

المسمى تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير الى
اعجاز القرآن تصنيف الامام الكامل المحقق الثقة
الهمام الفاضل نادرة الزمان ونتيجة الاوان
مورد الافاده ومصدر الاجاده الشيخ العلامة على
المهايمى قدس الله روحه ونور ضريحه

وبهامشه نزهة القلوب فى تفسير غريب القرآن للامام
أبى بكر محمد بن عزيز السجستانى عليه سحائب الرحمة
والرضوان

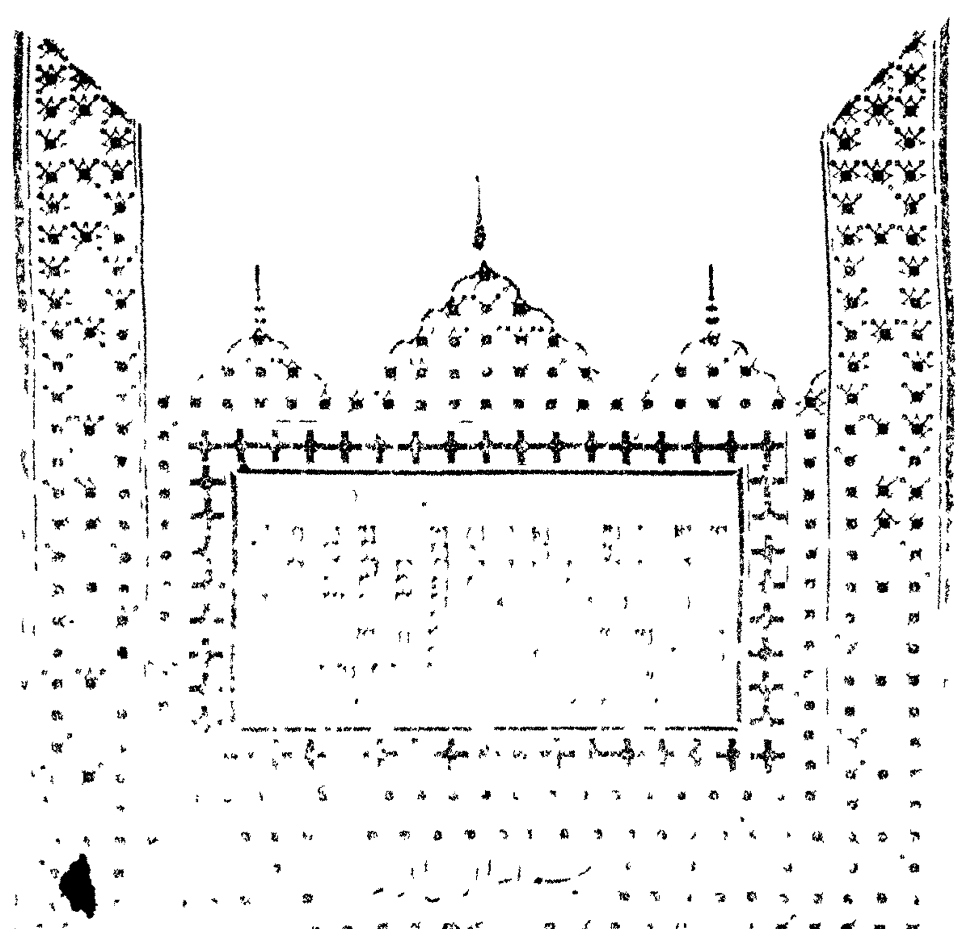
(طبع بمطبعة بولاق بمصر) باجازة الوزير الكبير
الخطير الشهير المجتلى دقائق العلوم المتحلى برقائق
الفهوم تاج العلماء العاملين وزين النبلاء
المجيدين ذى المجد الاثيل والقدر الجليل مولانا الشيخ
محمد جمال الدين لازالت ألوية فضائله منشورة فى
العالمين مدار مهام رياسة مدينة بوفال بالاقطار
الهنديه حفظه الله تعالى من كل آفة وبليه

(ترجمة المفسر رحمه الله تعالى)

هو العلامة علي بن أحمد بن ابراهيم بن اسمعيل كان
من كمل علماء الهند ذا شهرة باهرة ومحاسن زاهرة ومن
كبار أرباب الطريقة أهل النفس المطمئنة مسكنه القرية المسماة
ماهم التي هي قرية من بلدة بمباي بثلاثة اميال ومدفنه بالقرية المذكورة
والآن هو مشهور بالمخدوم علي المهائمي كانت ولادته سنة ٧٧٦ ووفاته
الثامن من جمادى الآخرة سنة ٨٣٥ من الهجرة النبوية على صاحبها ألف
لاة وتحية وهو من مشاهير العلماء ومقاماته وكراماته أجل من أن تحصى
لاسيما أنه كان مشرفا بتعليم سيدنا الخضر عليه السلام معلم حضرة سيدنا
موسى كليم الله ذي الجلال والاكرام عليه وعلى نبينا محمد
أزكى التحيات وأشرف السلام
ذكره بعض الفضلاء

(فهرسة الجزء الاول من تفسير القرآن المسمى تيسير الرحمن وتيسير المنان)

(تمت)



بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا الشيخ أبو عبدالله محمد بن محمد بن حامد بن مفرج بن غياث الارتاحى قراءة عليه وأنا أسمع قال أنبانى الشيخ أبو الحسن على بن الحسين بن عمر الفراء قال أخبرنى الشيخ أبو الحسن عبد الباقى بن فارس المقرئ بالجامع العتيق بمصر فى شعبان سنة أربع وخمسين وأربعمائة قال أخبرنا أبو أحمد عبدالله بن الحسين ابن حسنون البغدادى المقرئ بالجامع العتيق سنة ست وثمانين وثلثمائة

الحمد لله الذى أنار بكلامه قلوب أولى الالباب ليبصروا به مع عقولهم طريق الصواب يفصل لنا ظاهره من الاقوال والاعمال وباطنه من الاعتقادات والاخلاق والمقامات والاحوال فيحل عنها قيود النقائص لتسرع الى غاية الكمال وجعل شمسه بحيث يحتملها أبصارهم بأن حجبها بمظاهرها من الكلمات والآيات فكانت غيوما ممطرة يخرج ما فيها كالنباتات من جمعها لمانى الملك والملكوت بفتح أبواب الرحموت فيتفجر بها ينابيع الاسرار ثم تصير بحارا من الانوار ممتلئة بأنواع الجواهر الكبار من خاضها نال الكبريت الاحمر من المعارف المقلبة الى نفائس الصفات واستخرج الياقوت الاحمر من معرفة ذاته سبحانه وتعالى والاكهب من معرفة صفاته الكاملات والاصفر من معرفة أفعاله فى الكائنات والدر الازهر من التزكية والتحلية التى هى الصراط المستقيم والزبرجد الاخضر من معرفة أحوال السعداء والاشقياء يوم رجوعهم الى العزيز الحكيم ومن ساح بسواحلها التقط العنبر والعود من معرفة احراقه الفجار بالنار ذات الوقود يصعد منه دخان الخوف الى القلوب فتسترح بالرغبة فى علام الغيوب ومن تغلغل فى جزائرها استبرز من حيواناتها ترياق الحجج والبينات لدفع سموم الشبه المهلكات والمسك الاذفر من معرفة الاحكام الفرعية الناشرة طيب الذكر فى الامصار والفلوات والصلاة على المخصوص بأعلى الكتب واجلاها وأجمعها وأحلاها المعجز لمن بلغ فى البلاغة غايتها وفى العدواة منتهاها

ممن

ممن اجتمع ببلاده أكثر من حصا البطحاء ورمال الدهناء وتفرق فى الآفاق منهم ومن سائر الفضلاء حتى أعرضوا عن المعارضة بالحروف الى المقارعة بالسيوف فاحتملوا بذل المهج فلم يعارض الى مدة ثمانمائة واحدى وثلاثين من الحجج الا معارضة ركيكة هى ضحكة للناظرين ومنهم من تعلل بأنه سحر مبين مع أن المعجزة القولية لا مجال لتوهم السحر فيها ولا سبيل لاسبابه اليها مع انها فى جميع وجوه الهداية بلغت أقصى الغاية وأشارت الى مالا يتناهى من فوائد العلوم المهمة فى باب الديانة فأقامت من الحجج ورفع الشبه ما عجز عنه أهل الملل والفلسفة وقد اعترف بفضله من يعتد به منهم وشهد له كتب من تقدم من المرسلين ولذلك ظهر دينه على كل دين وكان علماء امته كانبياء بنى اسرائيل فى فتح أبواب اليقين ونصب كل سلطان مبين وكثر أولياء أمته بالكرامات التى هى كمعجزات الاولين وقد أعطى منها ما سبق به السابقين نخروج الماء من الاصابع أغرب من خروجه من الحجر وشق البحر دون شق القمر والبراق الرافع الى ما فوق السموات بليلة مع الرجوع قبل الفجر أجل من ريح غدوها شهر ورواحها شهر وتكلم الشاة المسمومة وتسبيح الحصا وحنين الجذع أتم من الاحيا محمد سيد الرسل المخصوص بأكمل السبل وأقربها الاسهل الاجل لذلك كان ناسخ الملل وفاسخ الدول صلى الله عليه وعلى آله الذين فاقوا سائر الامم بما استنبطوا من الكتاب والسنة من العلوم المهمة التى أناروا بها قلوب العالمين وزينوا بها ألسن العاملين وقوموا بها أعضاء العابدين صلاة تنمو الى أبد الآبدين وسلم كثيرا (وبعد) فهذه خيرات حسان من نكت نظم القرآن لم يطمث أكثرهن انس قبلى ولا جان ولم يكن لى أن أمسهن اذ لا يمسهن الا المطهرون وأنا غريق بحر خبث هلك فيه الاكثرون ولكن الله سبحانه وتعالى من على بالتيسير فى خطبهن الخطير بمحض فضله اذ هو بكل فضل جدير وعلى كل شئ قدير فأمكننى أن أبرزهن من خدورهن ليرى بمرايا جمالهن صور الاعجاز من بديع ربط كلماته وترتيب آياته من بعد ما كان يعد من قبيل الالغاز فيظهر به انها جوامع الكلمات ولوامع الآيات لا مبدل لكلماته ولا معدل عن تحقيقاته فكل كلمة سلطان دارها وكل آية برهان جارها وان ما توهم فيها من التكرار فمن قصور الانظار العاجزة عن الاستكبار ولا بد منه لتوليد الفوائد الجمة من العلوم المهمة وتقرير الادلة القوية وكشف الشبه المدلهمة مأخوذة من تلك العبارات من غير تأويل لها ولا تطويل فى اضمار المقدمات ولا ابعاد فى اعتبار المناسبات مع وفاء بالاغراض وشفاء للامراض بما فيها من أغذية طيبة لا يعقب اختلالا ولا ملالا وأدوية حلوة جامعة للمنافع حالا ومآلا وثمرات أشجار أصولها ثابتة وفروعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين لطوائف العلماء لا مقطوعة ولا ممنوعة ومع كونها مرفوعة قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيأ بما أسلفتم فى الايام الخالية تجرى من تحتها الانهار من الانوار المتضمنة للاسرار بل مرج فيها بحرا الظاهر والباطن يلتقيان بالتوفيق وان كان بينهما برزخ التفاوت فلا يبغيان فى التحقيق

قال أنبأنا أبو بكر محمد ابن عزيز السجستانى رحمه الله (قال) الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله الطاهرين وسلم تسليما هذا تفسير غريب القرآن ألف على حروف المعجم ليقرب تناوله ويسهل حفظه على من أراده وبالله التوفيق والعون

(الهمزة المفتوحة)

(الم) وسائر حروف الهجاء فى أوائل السور كان بعض المفسرين يجعلها أسماء

يخرج منهما من لطائف الشريعة والطريقة والحقيقة اللؤلؤ والمرجان لتحلية السن أهلها والاذهان وتجرى فيهما اعلام العلوم برياح الفهوم مملوءة بامتعة الاصول المقررة لتحصيل أرباح جهاز الفروع المكثرة أو لجلب خيول الحجج القاطعة وأفيال البينات الساطعة لقتال أعداء الدين والاستيلاء على قلاع شبهاتهم التى هى عندهم أعلى حصن حصين بجعلها قاعا صفصفا بعد استنزال من كان بها فى عزمتين وسلخ جلودهم التى تجلدوا بها على مقاومة كل سلطان مبين من براهين اليقين حتى يصير أسودهم قرودا خاسئين وسوادهم سود الوجوه فى نار القهر خالدين ويصير أهل الحق فى نعيم التحقيق لا يمسهم فيها نصب بغير عليهم شراب علم اليقين بل يجعله بيضاء لذة للشارب علم عين اليقين يصحون بها الآيات الآفاق والانفس التى تجلى الله بها لاهل حق اليقين مع انى لم أغص غمارهم ولم أشق غبارهم ولم أقف آثارهم وبضاعة علومى وأعمالى مزجاة وأستار الجهل والكسل على مرخاة ولكن الله غالب على أمره يمن على من يشاء فوق قدره تفضل على من موجبات شكره أن بصرنى بما تميز به لباب كتابه من قشره ويسر لى الاطلاع على بعض ماخفى من سره * (لذلك سميته تبصير الرحمان وتيسير المنان بعض ما يشير الى اعجاز القرآن) * نسأله من فضله أن يزيدنا بصيرة بأسراره وغوصا فى غماره وتوفيقا لاقتفاء آثاره واقتباس أنواره والقيام بشكره والتحفظ من قهره ومكره وأن ينفعنى بكتابى والطالبين ويجعلهم فيه راغبين ويرحمنى واياهم ومن دعا لى منهم ويتقبل فى دعوته برحمته انه هو أرحم الراحمين * (ولنقدم أمورا) * الاول اتفقت الملل على أنه تعالى متكلم مخبر طالب ولا يصير متكلما الا بقيام صفته به اذ لو صار بخلقه فى غيره لصار بخلق السواد اسود وليست صفته هذه العبارات التى هى اعراض غير قارة مؤلفة مرتبة اذ ليس محلا للحوادث وهى غير العلم اذ لا طلب به وغير الارادة اذ لا اخبار بها وليس الطلب نفس الارادة اذ قد يطلب من الشخص ما لا يراد منه لاظهار عصيانه وليس بمجرد الصيغة وليس الاخبار نفس العلم اذ قد يخبر بخلاف ما يعلم ولا سفه فى اخبار وطلب نفسيين بلا سماع سامع اذا قصد التعلق به وقت وجوده ولا كذب فى التعبير بالماضى عند اعتبار زمن الاخبار ولا تعدد فهذه الصفة وان تعلقت بما لا يتناهى فلا تأليف ولا ترتيب وليست نفس المنقسم الى الاخبار والطلب اذ ليسا من جزئياته بل من متعلقاته وهو نفس المتلو والمحفوظ والمكتوب وان كانت التلاوة والحفظ والكتابة منا وان أريد بها الحاصل بالمصدر حادثة والقرآن اسم لذلك المعنى ولهذه العبارات بالاشتراك والاول كلام الله تعالى بمعنى انه صفته والثانى بمعنى انه ليس من صنع غيره والمطلق على العبارات كلى يطلق على الكل والبعض وهو المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتحدى بسورة منه فعجز أهل عصره ومن بعدهم عنه لانه أحلى من نظمهم ونثرهم مع مخالفته لاساليبهم وأكمل معنى جمع من علوم جمة ما لا يتناهى من فوائد مهمة فى ألفاظ قليلة قريبة الفهم بعيدة الغور يشهد لها العلوم ويشهد بها ويشتمل على أصول مسائلها مع دلائلها ورفع الشبه عنها لاتجاهه بوجوه كثيرة باعتبار ربط كما انه

بما افتتحت به وبعضهم يجعلها أقساما أقسم الله تعالى بها لشرفها وفضلها لانها مبادى كتبه المنزلة ومبانى أسمائه الحسنى وصفاته العلا وبعضهم يجعلها حروفا مأخوذة من صفاته عز وجل كقول ابن عباس فى كهيعص ان الكاف من كاف والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق (أأنذرتهم) أأعلمتهم بما تحذرهم ولا يكون المعلم

السور تعرف كل سورة

وترتيب آياته الذي يفتقر فيه الى تأمل كامل وتدبر تام من ذي علوم كثيرة وباعتبار استقلالها بالنزول وعدم الارتباط فى الظاهر مع اعتبار المعانى الحقيقية والمجازية والاشارات من شبهة الاشتقاق وغيرها والاستدلالات من جمع متفرقها أوضمها الى الاحاديث النبوية أو القواعد العقلية أو الفوائد الكشفية * (الثانى) * الانزال الايواء أو التحويل من علو الى سفل كانزال الجيش أو القطر ولما كانا بالحركة وليست الصفة الا بتبعية الموصوف اذا استقرت ولا حركة لله ولا للمعنى القائم به ولا للعبارات الغير المستقرة فلابد من التجوز بأن يقال ظهر ذلك المعنى فى القلم الاعلى بلبسة الحقائق المجردة للحروف ثم زاد ظهورها باللوح المحفوظ ثم لم يزل يزداد حتى وصل الى سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلبه أو يقال وصف بوصف حامله باعتبار حمله نفس المعنى أو الصور المحفوظة أو المكتوبة أو باعتبار قيام الالفاظ به ولو عند الاداء الى المنزل عليه والسر فى انزال العبارات جذب القاصرين بما يناسبهم من الاصوات والحروف منها الى ما يناسبه من معانيها وحقائقها كتعلمنا بالحيوانات العجم نخاطبهم بما يناسبهم لكن هذا المنزل لما كان معجزا ظهرت به عظمته فكان أشد للجذب الى الكمالات باستفادة الاعتقادات والاحكام وعلوم المعاملة والمكاشفة وغيرها مما لا يتناهى * (الثالث) * الاستنباط قال عليه الصلاة والسلام من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار * قال الامام حجة الاسلام فى الاحياء تحريم التكلم بغير المسموع باطل اذ لا يصادف السماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا فى بعض الآيات والصحابة رضى الله عنهم ومن بعدهم اختلفوا اختلافا كثيرا لا يمكن فيه الجمع ويمتنع سماع الجميع من رسول الله صلى الله عليه وسلم والاخبار والآثار تدل على اتساع معانيه قال عليه السلام لابن عباس رضى الله عنه اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل فلو كان مسموعا فلا وجه للتخصيص وقال عز وجل لعلمه الذين يستنبطونه وقال أبو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وقال على رضى الله عنه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب وقال ابن مسعود من أراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن وقال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم ومابقى من فهمها أكثر وقال آخر القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتى علم اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومطلع وفى القرآن اشارة الى مجامع العلوم وكل ما أشكل على النظار ففى القرآن رموز اليه فالنهى اما عن التأويل على وفق ماله من الرأى الذى لولاه لم يلح له لكن يلبس على خصمه بالتمسك بآية على تصحيح بدعته مع علمه بأنه ليس بمراد وقد يكون له غرض صحيح يتمسك عليه بآية يعلم أنه ليس المراد منها كمن يدعو الى مجاهدة النفس فيتمسك بقوله عز وجل اذهب الى فرعون انه طغى ويشير الى نفسه وقد تكون الآية محتملة فيميل فهمه الى ما يوافق غرضه واما عن التسارع الى الباطن قبل احكام الظاهر فانه كالبلوغ الى صدر البيت قبل مجاوزة الباب هذا حاصل كلامه * وقال شارح التأويلات أجمعوا على استخراج معانيه بالرأى واختلفوا فى التوفيق بينه وبين الاحاديث فقيل التفسير بيان سبب النزول

منذرا حتى يحذر باعلامه فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا (أندادا) أمثالا ونظراء واحدهم ند (ازلهما الشيطان) أى استزلهما يقال ازللته فزل وازالهما نحاهما يقال ازلته فزال (آل فرعون) قومه وأهل دينه (آيات) علامات وعجائب أيضا وآية من القرآن كلام متصل الى انقطاعه وقيل معنى آية من القرآن أى جماعة حروف يقال خرج القوم بآيتهم أى بجماعتهم

(قال الشاعر)

والتأويل بيان مايحتمل اللفظ وقد جعل الله القرآن أصلا لجميع مايحتاج اليه وليس كله منصوصا فلا بد من الاستخراج بالرأى بالعرض على الاصول وقيل التفسير بيان حقيقة اللفظ اذا علمت والتأويل صرف اللفظ المحتمل الى بعض وجوهه لموافقته للاصول فلو قطع منه كان تفسيرا بالرأى * وقال الشيخ أبو منصور التفسير هو القطع فان كان ثمة دليل قطعى صح والا حرم لما فيه من الشهادة على الله بما لا يؤمن فيه الكذب والتأويل بيان عاقبة الاحتمال بغالب الرأى بلا قطع وقيل باتحاد التفسير والتأويل فالذى بالرأى هو الصادر عن العقل دون العرض على الاصول من آية محكمة أو خبر متواتر أو اجماع فالسلف انما فسروا القرآن بدليل اذنوا بالعمل بمثله بأبلغ الاجتهاد وقيل التفسير بالاجتهاد والعرض على الاصول تفسير بالرأى لكنه نوعان مذموم يشهد فيه على الله بكونه حقا ومحمود يعتقد حقيقته بغالب الرأى مع احتمال الخطا وقيل المذموم جعل الرأى معيارا لما جاء به القرآن فيفسر على وفقه تقريراله ويترك ظاهر القرآن والمحمود جعل الرأى تابعا لدلالة القرآن وقيل المنهى تفسير المتشابه لانه غلو فيما لا يحتاج اليه وأما المحتاج اليه فتفسيره بالرأى مأمور هذا حاصل كلامه (وأقول) لك أن تحمل النهى على جميع الوجوه المذمومة سوى تفسير المتشابه بما يوافق المحكم فله فوائد لا تحصى والممنوع حمله على ظاهره أو على ما يهواه

(الكلام فى الاستعاذة)

ليست من القرآن بل مقدمة القراءة أوجبها ابن عطاء لكل قراءة واشهر عباراتها اعوذ بالله من الشيطان الرجيم العوذ الالتجاء أو الاعتصام أو التحصن أو الاستعانة والباء للالصاق أى ألصق التجائى بحفظ الله او اعتصامى بقوته أو تحصنى بمنعه أو استعانتى بفضله ولك تبديل الصلة والشيطان من الشطن وهو البعد لبعده عن الله أو الخير يريد ابعاد المتقرب الى الله اذا بعد من أجله أو من الشيط وهو البطلان أو الهلاك أو الاحتراق لانه باطل فى نفسه مبطل لمصالحه ومصالح من ابطل من أجله هالك باللعنة يريد اهلاك من لعن لاجله محترق غضبا عليه اذا رآه يتقرب الى ربه والمستعاذ منه وسواسه واغواؤه وجميع شروره بل نفسه لانه بذاته شر يستعاذ منه والرجيم من الرجم وهو الرمى بالحجارة لانه يرمى بالسب والشهب ويدل على وجوده رؤية جم غفير من الانبياء والاولياء صورته وسماعهم صوته والآيات والاخبار وماله من الافعال كمسه مجنونا يفيق بالرقى وقد علم من سنة الله أنه لا يفعل شيأ الا بسبب يخصه ولهذا اذا استنارت حيطان البيت واسود سقفه علم أن سبب الاستنارة غير سبب الاسوداد فكذا أسباب استنارة القلب واسوداده فيقع فيه افكار واذكار يستبصر فيها تارة ويتحير أخرى فالمبصر ملك خلق لافاضة النافع فى العاقبة وكشف الحق والوعد بالمعروف والمحير شيطان خلق لضد ذلك * واختلف فى حقيقته فقيل مجرد يتصرف بالتعلق ويدرك بآلة هى كرة الاثير وأول به خلقه من نار ويتميز عن الله تعالى بالمرتبة وليست التجرد أخص صفاته بل هو القيومية وقيل القوة المتوهمة أو المتخيلة المعارضة للعاقلة خلق من الحرارة الغريزية وقيل جسم

ناري

خرجنا من النقيين لاحق مثلنا بآ بينا نزجى اللقاح المطافلا
أى بجماعتنا

(أمانى) جمع أمنية وهى التلاوة ومنه قوله اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته أى اذا تلا ألقى الشيطان فى تلاوته والامانى الاكاذيب أيضا ومنه قول عثمان رضى الله عنه ماتمنيت منذ أسلمت أى ماكذبت وقول بعض

نارى والصحيح أنه من العناصر لكن الغالب عليه النار ولا يحس بها لانكسارها بالامتزاج
ولا يجب رؤية الكثيف اذا لم يتلون ولا يمتنع نفوذه بطريق الضوء ولا قدرة اللطيف على
الافعال لو لم يرق قوامه بل النار والريح أقوى ولا تشكل الجسم بالاشكال المختلفة كما فى
السحرة ولا تشكل المجرد من عالم المثال بما يناسب ما غلب عليه ولا يغلط فيه اذا رآه القلب
من وجهه الذى يلى الملكوت عند اشراقه على باطن سر القلب والصورة فيها تابعة للصفة
فيرى الشيطان فى صورة كلب أو خنزير أو ضفدع بخلاف رؤيته من الوجه الذى يلى عالم الملك
فانه كثيرا ما يحصل لخلل الدماغ والاول يختص بالكمل ولا يخل وجود الشيطان الوثوق
بالمعجزات لاختصاصها بالنفس الخيرة الداعية الى وجوه الخير المحض فى العموم والشيطان
ان دعا الى خير فلتفويت خير أعظم أو جر شر لا يفى به ومن عداوته حمله العوام على التفكر
فى ذات الله تعالى وصفاته وأسرار النبوة والامور الاخروية وافضاؤه بهم الى انكارها مع
قيام البراهين القاطعة عليها وأنه يعدهم الامان من عذاب الله واليأس من ثوابه من غير
شبهة فضلا عن حجة وكفى دليلا فيه خلق الله العقل فى الانسان ليفوز بالثواب وينجو عن
العذاب لا ليتعب مع استراحة البهائم وأنه يعد على عبادة الاوثان بالتقرب الى الله ويخوف من
قهرها فى ترك عبادتها ويأمرهم بالاخلاص فيها ويغرق المصلى فى بحار الرياء والعجب وينسيه
الافعال وعدد الركعات ويوقعه فى تحسين النية ومخارج الحروف ويذهب به الى مهمات
لا تخطر بباله فى غيرها ولا تفيده أبدا ويخوف بالفقر فى اعطاء الزكاة ويحث على الانفاق
فى المحرمات ويخيل حصر اللذات فى الشهوات والجاه والعجز والذلة عند عدم امضاء الغضب
ويرى التعب فى عبادة الله تعالى ويسهل على الكفار تحمل المشاق فى عبادة الاوثان ويمنع
عن القتل فى سبيل الله ويحث الكفار على قتل أنفسهم عند الاوثان وقتل من يدعوهم الى
الاسلام ويدعو من له أزواج وجوار معطرة مزينة الى زنا من ليس لها ذلك ويأمر الامراء
بالظلم فى الاموال مع وفورها لهم وبقتل الانفس بأدنى مخيلة مع تمكنهم من الدفع لو وقع وقبل
الوقوع يندفع بأدنى من القتل وله أبواب يطول شرحها ومن عداوته انه اتفقت الملة
والفلسفة على أن من فسد اعتقاده خلد فى العذاب أو عمله عذب بحسبه وينقسم الى عقلى
وخيالى وحسى ومن الناس من منع الاخيرين لتوقفهما على آلات جسمانية والموت قاطع
علاقتها ولا دليل على امتناع تعلقها بأبدان تركبت من الاجزاء الاصلية من أبدانهم أو بجزء
منها للادراك أو بجسم آخر ومنهم من أجاز الخيالى بأحد الوجهين الآخرين كما فى النوم
الا أنه يزول باليقظة ولا يتوقف تألم النفس على السبب الخارجى وقال الفارابى وابن سينا
العقل وان لم يوجب الحسى فلا يمنعه بل يحسنه لحسن التخويف فى مبادى الافعال لانه ينفع
الاكثر وهو انما يتم بالاعتقاد الجازم بالايفاء فالايفاء مقتض لازدياد النفع واتفقت الفلاسفة
على العقلى وجعلوه أكمل من الحسى والخيالى وقالوا كمال النفس ان فات لنقصان غريزتها
فلا عذاب كالصبى والمجنون أو لوجود ضد فى القوة النظرية بصيرورته ملازمة يتعذب بها

العرب لابن دأب وهو
يحدث أهذا شئ رويته أم
شئ تمنيته اى افتعلته
والامانى أيضا ما يتمناه
الانسان ويشتهيه (أيدناه)
قويناه (أسلمت لرب
العالمين) اى سلم ضميرى له
ومنه اشتقاق المسلم والله
أعلم (آبائك ابراهيم
واسمعيل واسحق) والعرب
تجعل العم أبا والخالة أما
ومنه قوله تعالى ورفع

من شعورها لنقصها واشتياقها الى كمالها مع امتناع اكتسابه لفوات آلته وعدم اشتغالها بشئ آخر ومادامت فى جلباب البدن يعتقد فى نقصاناتها انها كمالات فاذا ارتفع ظهر النقص واشتاقت الى الكمالات ولا يصل اليها فيقع فى النار الروحانية فهو عندهم كالكافر عندنا يتعذب بقدر رسوخ الضد وعدم رسوخه أو فى القوة العملية تألمت بحسبه والقائل بالخيالى قال بظهوره فى صورة النار والحيات والعقارب لكنها تزول لانها انما حصلت من ركون النفس الى البدن وبزول بطول العهد فيتصل بمحل السعادة فهو عندهم كالفاسق عندنا وأما الصالحة البريئة عن الهيآت الفاسدة فتلتذ بكمالاتها أبدا لتخلصها الى عالم القدس وترقيها الى عين اليقين فهو كالمؤمن التقى عندنا لكنه مبنى على امتناع اعادة البدن والحق اعادته فيجوز العقلى بوجوه أخر والحسى والخيالى فهذا رأى من يعتد به من أهل النظر والكشف من المليين والفلاسفة وثمة جماعة ليسوا فى شئ منهما يدعون فناء النفس وامتناع اعادتها من غير شبهة فضلا عن حجة ويروجه بعضهم بنسبته الى معروف بدقائق العلوم كافلاطون وارسطو ولا شاهد لهم من تصنيف أو خط ولا برهان عليه والانبياء والاولياء والعلماء أولى بالتقليد منهم ومن أين يتصور فى حقهم برهان ضرورى لا يتطرق اليه الغلط مع وقوعه لهؤلاء مع غزارة علومهم وطول نظرهم فاذا جوزته فعليك باجتناب هذا الخطر العظيم ثم ان العبد المستعيذ لا يستقل بمقاومة الشيطان بمعارضة الوهم والخيال العقل فى جذب سائر القوى الى عالم السفل فلابد له أن يستعين بمن سلطه عليه ليبلوه أيرجع اليه أم لا وقد جرت سنته باعاذة من استعاذ به قال الامام حجة الاسلام فى منهاجه انه كلب سلطه الله عليك والاشتغال بمعالجته متعب مضيع للوقت وربما يظفر بك فيعقرك والرجوع الى رب الكلب ليصرفه عنك أولى فاذا رأيته يغلب فهو ابتلاء من الله تعالى ليرى صدق مجاهدتك وقهره فى ثلاثة أمور أن تعرف حيله فان اللص اذا علم احساس صاحب البيت به يفر وأن تستخف بدعوته فانه كلب نابح ان أقبلت عليه ولغ بك ولج والا سكت فاذا أعرضت عنه فاحذر من همه وأن تديم ذكر الله بقلبك ولسانك اذهو فى جنب الشيطان كالأكلة فى جنب الانسان على مافى الحديث* وقال فى احيائه انما يندفع الشيطان باستقرار الذكر فى القلب بعد عمارته بالتقوى وتطهيره عن الصفات الرديئة اذ هو كلب جائع لا ينزجر بمجرد اخسأ انه اذا كان بين يدى الزاجر لحم أو خبز فالشهوة اذا غلبت القلب رفعت الذكر الى الحواشى والشيطان يتمكن من سويدائه وطروق الشيطان لقلوب المتقين ليس للشهوات بل لخلوص الغفلة فاذا عاد الى الذكر خنس ثم ان أجل ما يلقى الشيطان وسوسته عند قراءة القرآن لكونه أجل المعارف والمواعظ الصارفة للعبد الى مولاه فالاستعاذة طهور عن موانع الاستغراق فيها

(سورة الفاتحة)

لها أسماء تدل على شرفها (فنها) فاتحة الكتاب لافتتاح قراءته وكتابته بها الان تسميتها وحمدها مبدأ كل أمر ذى بال تحاميا عن البتر لان وجود كل شئ بظهور اسم الله تعالى فيه وتقرره

أبويه على العرش يعنى أباه وخالته فكانت أمه ماتت (الاسباط) فى بنى يعقوب واسحق كالقبائل فى بنى اسمعيل واحدهم سبط وهم اثنا عشر سبطا من اثنى عشر ولدا ليعقوب عليه السلام وانما سموا هؤلاء بالاسباط وهؤلاء بالقبائل ليفصل بين ولد اسمعيل وولد اسحق عليهما السلام (أسباب) وصلات

بشكره بل هو مستزيد (ومنها) الفاتحة افتتح بها خزائن العلوم فبسم الله اشارة الى ذاته وأسمائه التى فوق الالوف وجميع العلوم بمعرفته وعبادته والرحمن الرحيم الى ظهور ذاته بالوجود وصفات الكمال ومنتهى العلوم الوصول الى ذلك وباء الالصاق الى التخلق بها والتحقق * والحمد الى شكر نعمه التى ذكر من جملتها الاطباء فى تشريح بدن الانسان خمسة آلاف منافع وهو أقل من قطرة فى البحر وفى ذلك معرفة النفس التى بها معرفة الكل * ورب العالمين الى أصناف الموجودات من العقول والنفوس والاجسام والاعراض * والرحمن الرحيم الى التخلص من الآفات والفوز بالخيرات وهو أعظم مقاصد العلم * ومالك يوم الدين الى المعاد وبقاء النفوس وسعادة بعضها وشقاوة بعضها وتخريب العالم الاعلى والاسفل والنفخ فى الصور والوقوف فى العرصات والحساب والميزان ودخول الجنة والنار والشفاعة وغير ذلك وأجل ذلك علم الاعتقادات والاعمال * واياك نعبد الى أنواع العبادات القلبية والقالبية وهى المقصودة من خلق العقلاء * واياك نستعين الى أنها لا تحصل الا بالاستعانة منه * واهدنا الصراط المستقيم الى الاستدلال والتصفية * وصراط الذين أنعمت عليهم الى النبوة والولاية والاعتقادات الصحيحة والاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة * وغير المغضوب عليهم ولا الضالين الى الكفار والفساق والاعمال الفاسدة والاخلاق الرديئة والاعتقادات الباطلة (ومنها) سورة الحمد لابتدائها بلفظه واشتمال حمدها سائر محامد القرآن وغيرها (ومنها) سورة الشكر لان الحمد رأس الشكر وقد جمعت وجوهه من المحبة بالجنان والثناء باللسان والخدمة بالاركان (ومنها) سورة المنة لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم (ومنها) القرآن العظيم (ومنها) المثانى لتكررها فى أكثر الصلوات أو لانها تضم اليها السورة فى أكثر الركعات أو لتكرر نزولها لانها نزلت بمكة حين فرضت الصلاة وبالمدينة حين حولت القبلة للالتفات الى انه رب الجهات كلها وقد اختار أفضلها فله الحمد كيف وهى جهة الامن فهو الرحمن باعطاء الامان وفيها مقام ابراهيم فهو الرحيم بالاطلاع على الخلة الابراهيمية وهو مالك يوم الدين يقطع النزاع فى القبلة يوم القيامة وهو المعبود دون الجهة فيجب امتثال أمره فى كل وقت دون تخصيص الجهة من عند أنفسنا بعد نسخ الامر الاول فهو المستعان فى الزام الخصوم فى الدنيا نطلب منه الهداية بتوجه الباطن اليه عند توجه الظاهر اليها اذ هو صراط المنعم عليهم بالرجوع اليه عند النظر الى خالقه غير المغضوب عليهم بعبادة الخلق دونه ولا الضالين بعبادة المظاهر أو لانها استثنيت من كتب الاولين لقوله عليه السلام والذى نفسى بيده ما أنزل فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الزبور مثل الفاتحة (ومنها) سورة الكنز لقول على رضى الله عنه نزلت سورة الفاتحة من كنز تحت العرش أى من أسرار المعارف المحيطة بمعرفة الذات والاسماء والافعال والمعاد والصراط المستقيم والجزاء والحاجة والاحكام فالله اسم جامع للذات والاسماء وأشار بباء الالصاق الى أن وجودات الاشياء قائمة به قيام الاجساد بالارواح فهو سر وجودها وليس

الواحد سبب وصلة وأصل السبب الحبل يشد بالشئ فيجذب به ثم جعل كل ما جر شيأ سببا (أصبرهم) وصبرهم واحد وقوله تعالى فما أصبرهم على النار أى أى شئ صبرهم على النار ودعاهم اليها ويقال فما أصبرهم على النار أى ما أجرأهم على النار (ألفينا) وجدنا (أهلة) جمع هلال يقال الهلال

بطريق الايجاب بل لانه رحم بافاضة الوجود والكمالات الذاتية وهو اشارة الى أفعاله وأشار
الى سرها بأنه انما فعل ما فعل لكمال ذاته المقتضى للحمد لان من شأن كمال الكامل التكميل
ولا استكمال له فى ذلك لانه رب الكل فهو مفيض للكمالات عليها ولو كان مستكملا لكان
مستفيضا منها وأشار الى أن حمده محيط بلامى الاستغراق والاختصاص لانه المفيض على
الكل ما استحقوا به الحمد فهو أولى بذلك الحمد وهو المطلع للحامد المفيض عليه قدرة الحمد
فهو الحامد والمحمود فى الكل بالحقيقة ثم أشار الى سر حمده بأنه ربى الكل تربية رحمة بأن
خلقه على ما ينبغى ثم أفاض ما يحتاج اليه فى بقائه وما يفيد سائر الكمالات التى لا تتناهى
وأشار الى المعاد بمالك يوم الدين والى احاطة مالكيته باضافتها الى اليوم المحيط بهم والى سره
بترتيبه على الرحمن الرحيم اذ لا يتم الرحمة على المظلوم بدون ذلك ولا يتم النعمة باعطاء ملك
الابد على كلمة أو على عمل بدون ذلك ثم أشار الى الصراط المستقيم فأشار الى التحلية بالعبادة
والى التزكية بالاستعانة والى احاطتها بالتخصيص والى سره بالشكر المشار اليه بالحمد
والصبر المشار اليه بالعبادة ثم أشار الى سر العبادة بالدعاء الذى هو مخها لتضمنها التضرع
والابتهال الذى هو روح العبودية وأشار الى الجزاء بالانعام والغضب وأشار الى احاطته
بحصوله لكل سالك طريق الهداية والضلالة والى سره بترتيبه على العبادة والاستعانة فان
الربوبية والعبودية انما يتم حقهما بذلك والى المحاجة بأنه مبدأ الكل باتفاق فلا بد من
دليل للقائل باستقلال الواسطة ولا شبهة له فى ذلك فضلا عن حجة والى احاطتها بتعميم الحمد
والربوبية والى سرها بتعميم الرحمة المقتضية شكرها بنسبة النعم اليه لا الى الغير كيف
والواسطة مرحوم فلا يستقل بدون الراحم والى الاحكام بالعبادة والى احاطتها باطلاقها
للتعميم مع الاختصاص به والى سرها بالاستعانة الدالة على التبرى وهو لباب عقيدة التوحيد
(ومنها) سورة تعليم المسئلة والدعاء لان السؤال فيها بعد الثناء والعبادة والدعاء فيها بما هو
أهم أصول الامور وهو الهداية للصراط المستقيم الذى هو سبب الانعام الابدى المبعد عن
الغضب والضلال (ومنها) سورة المناجاة لان المصلى يناجى بها الرب فيجيبه الرب على ما فى
حديث القسمة (ومنها) سورة التفويض لما فيها من الاستعانة (ومنها) سورة الوافية
لاشتراط ايفائها فى كل ركعة أو لوفائها بمعراج الصلاة فأشار بالباء الى أنه أظهر الاشياء
اذ به ظهرت الموجودات لكنه لغاية ظهوره خفى اذ عمت رحمته بافاضة الوجود وسائر
الكمالات حتى استحق جميع المحامد لانه ربى الكل بما ينبغى أولا فى وجوده ثم أعطى كلا
ما ينبغى فى بقائه وليست تلك الكمالات لذوات الموجودات لانه قاهر عليها باذهابها لكنه يعظم
عوضها لمن عبده واستعان به ولم يرها كمالاته بل رآه ناقصا لا يطلب الكمالات بالهداية
والاستقامة والانعام ويخاف البقاء فى النقص أو العود اليه فيستعيذ من الغضب والضلال
أو لوفائها بالترتيب الكامل لانه ذكر الله تعالى واستدل عليه برحمته الموجبة لحمده المطلع على
كمالاته فى تربية كل شئ بما يليق به أولا فى افاضة الوجود والصفات وثانيا بأسباب البقاء

وسائر

فى أول ليلة الى الثالثة هلال ثم يقال القمر الى آخر الشهر (أفضتم من عرفات) دفعتم بكثرة (الايام المعلومات) عشر ذى الحجة والايام المعدودات أيام التشريق (الحج أشهر معلومات) شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة أى خذوا فى أسباب الحج وتاهبوا له فى هذه الاوقات من التلبية

وسائر الكمالات وخوف عن سوء العاقبة المذهبة بها ليكون داعيا الى تصحيح الاعتقادات
وتحسين الاخلاق والافعال فلذلك عقبه بالعبادة وأراه قاصرا فى ذلك محتاجا الى الاستعانة
ورتب على ذلك الهداية والاستقامة والانعام المطلوب بالذات والخروج عن الغضب
والضلال المهروب عنه بالذات بعد ذلك (ومنها) سورة الشفاء والشافية لقوله عليه السلام
فاتحة الكتاب شفاء من كل داء وروى من السم لان نور اسم الله يذهب بالظلمة التى هى ينشأ
منها أسباب الداء ورحمته تنافى آفة الداء وحمده يجلب الشفاء والاقرار بربوبيته يقتضى
التربية التى بها يكمل الشفاء وبالرحمة يقتضى كمال الافعال المرتبة على كمال الصحة
وبمالكيته ليوم الدين قهر أسباب الداء والجزاء على الحمد بالشفاء وبطلب الهداية ازالة
أمراض القلب الموجبة أمراض البدن وباستقامته استقامة أحوال البدن الذى هو
مطية القلب وبالانعام يستدعى اللطف بالانتفاع بالخيرات بتبعية الشفاء ويدفع الغضب
والضلال ازالة أصول أسباب الداء (ومنها) الرقية لان صحابيا مر بمصروع فقرأ عليه هذه
السورة فبرأ (ومنها) أم الكتاب وأم القرآن لرواية الترمذى عن أبى هريرة لاشتمالها على علم
الشريعة التكليفات أصولها وفروعها والطريقة معاملات القلوب والحقيقة مكاشفات
الارواح فمن الاصول معرفة الله تعالى بأنه الذى قامت به الموجودات قيام الاجساد
بالارواح ومعرفة وجوده بأنه الذى رجح من رحمته أحد طرفى الممكنات ومعرفة صفاته بأنها
الكمالات الموجبة للحمد والتربية تقتضى الحياة والعلم والارادة والقدرة والجزاء والسمع
والبصر لاقوال المكلفين وأفعالهم والكلام الذى به التكليف ومعرفة أسمائه بأنها
الوسائط القريبة له بينه وبين خلقه بها يربى ويرحم ويفضل ومعرفة توحيده بأنه رب كل
ما عداه ومعرفة استحقاقه للعبادة بأنه المنعم المتفضل المرجوع اليه ومعرفة افتقار العبد
اليه ابتداء بأنه الرب ووسطا بأنه الرحمن الرحيم وانتهاء بأنه مالك يوم الدين ومعرفة النبوة
والولاية والايمان بالانعام ومعرفة الكفر والبدعة والفسق بالغضب والضلال ومعرفة
السعادة والشقاوة بذلك أيضا ومعرفة الفضل والعدل بالرحمن الرحيم مالك يوم الدين ومعرفة
الحكمة بترتيب الانعام على الهداية والاستقامة وترتيبهما على العبادة والاستعانة ومعرفة
القضاء والقدر بالعبادة والاستعانة اذ لو لم يقدر خلاف ما كلف لم يكن للاستعانة كثير معنى
ومعرفة المبدا ببسم الله والمعاد بمالك يوم الدين والانعام والغضب ومن الفروع معرفة
العبادات بنعبد والمعاملات والمناكحات والحكومات بنستعين لان الهوى معارض للعقل
فيها والواجب والمندوب والمباح والصحيح بالهداية والحرام والمكروه والفاسد بالغضب
ومأخذها من الامر والنهى بالعبادة والغضب وما يترتب عليهما من الوعد والوعيد بالانعام
والغضب ومن علم الطريقة معرفة كمال النظرية والعملية بالصراط المستقيم ونقصانهما
بالغضب والضلال ومعرفة ما يجب رعايته فى ابتدائه بالعبادة وفى الوسط بالاستعانة وفى النهاية
بالاستقامة ومعرفة أوصاف النفس بالغضب والضلال لانحرافها عن الاستقامة ومعرفة

وغير ذلك الاشهر الحرم
أربعة أشهر رجب
وذو القعدة وذو الحجة
والمحرم واحد فرد وثلاثة
سرد أى متتابعة (ألباب)
عقول واحدها لب (ألد)
شديد الخصومة (أفرغ
علينا صبرا) اصبب كما
تفرغ الدلو أى تصب
(الاذى) ما يكره ويغتم به
(أقسط عند الله) أعدل
عند الله (آنت أكلها

أوصاف القلب بالاستقامة والهداية ومعرفة التخلية بالعبادة والاستعانة والتحلية بالهداية والاستقامة والتجلية بالانعام ولابد فى التخلية من الخلوص عن الشهوة بالعبادة التى هى نهاية ضدها وعن الغضب برحمة الله لانه لاينبغى لمن يرجو رحمته أن يغضب على من رحمه وعن الهوى بالاستقامة اذهى مضلة عنها ومن فروع الثلاثة الحسد والخلوص عنه بالحمد لله رب العالمين لدلالته على رضاه باعطائه العالمين والحسد ضده والحرص والخلوص عنه بالحمد والبخل والخلوص عنه برب العالمين اذلا بخل باليس له والعجب والخلوص عنه بالحمد والاستعانة والكبر والخلوص عنه بالعبادة والكفر والبدعة والخلوص عنهما بالاحترازعن الضلال ولابد فى التحلية من التوسط فى الاخلاق كالتعفف والشجاعة والسخاء وفى الاعتقادات أن لايميل الى التعطيل والتشبيه وفى الاعمال أن لايقصر ولا يترهب أشار الى الجميع بالصراط المستقيم ومن الزهد والمحبة والشوق بالحمد لانه يرى منه اللذات دون الاسباب فيتزهد فيها ويحبه ويشتاق اليه ومن الافتقار اليه بالاستعانة وطلب الهداية ومن التذلل فيه بالعبادة ومن معرفة عزة الربوبية وذل البشرية برب العالمين وبإياك نعبد ولابد فى التجلية من المعرفة بالباء المشعرة بالاتصال الروحانى به المفيد لها ومن الذكر بأسمائه ومن الشكر بالحمد ومن الرجاء بالرحمة ومن الخوف بمالك يوم الدين والغضب ومن الاخلاص بإياك نعبد ومن الدعاء باهدنا ومن الاقتداء بالارواح الطيبة بصراط الذين أنعمت عليهم ومن الاستعانة بنون نعبد ونستعين ومن التحرز من صحبة الارواح الخبيثة بغير المغضوب عليهم ولا الضالين ومن علم المكاشفة معرفة سر الربوبية بالحمد لله لانه انما رجع حمد الكل اليه لقيام وجوده به وقد دل عليه باء البسملة ومعرفة تجلى الجلال بمالك يوم الدين والغضب والجمال بالرحمن الرحيم مالك يوم الدين والانعام والكمال بالحمد لله رب العالمين الى يوم الدين ومعرفة أنواع الاسماء باختلاف المذكور فيها ومعرفة النفس بالضلال والقلب بالاستعانة والروح بالهداية والسر والخفا بالاستقامة والانعام ومعرفة سر النبوة بالحمد لله الى الرحيم والانعام والوحى بالباء لانه من اتصال بعض الارواح ببعض الى أن يصل الى الحق ومعرفة الفرق بين النبوة والولاية بالتابع والمتبوع فى صراط الذين ومعرفة الاحوال والمقامات بإياك والهداية والاستقامة والانعام (ومنها) علم اليقين بالغيب الى مالك يوم الدين وعين اليقين بإياك وحق اليقين بالرحمة والهداية والانعام والاستقامة ومعرفة سر القضاء والقدر بالرحيم المخصص بقدر الاستعدادات ومعرفة أسرار العبادات بترتيبها على الاسماء وأسرار المعاملات بترتيب الهداية على الاستعانة وأسرار الامور الاخروية بالانعام على المستقيم والغضب على الغير ومعرفة تسخير عالم الشهادة لعالم الغيب بالاستعانة ومعرفة فناء ماسوى الله فيه بمالك يوم الدين لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ومعرفة بقائه به بالاستقامة والانعام ومعرفة الدنيا ببسم الله اذهو المبدا ومعرفة الآخرة بالحمد لله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (ومنها) سورة الاساس لانها ركن الصلاة التى هى أساس الخيرات لانها تنهى عن الفحشاء والمنكر وتوصل

الى

ضعفين) أعطت ثمرها ضعفين (أصلت الارضين) أسلت مهرها من الارضين (أخلصت عبادتى وجهى لله) أخلصت عبادتى لله (أنى لك هذا) من أين لك هذا وقوله أنى شئتم كيف شئتم ومتى شئتم وحيث شئتم فتكون أنى على ثلاثة معان (أقلامهم) قداحهم يعنى سهامهم التى كانوا يجيلونها عند العزم على الامر (الاكمه) الذى يولد أعمى (أحس)

الى مقام المناجاة والمشاهدة أو لتأسيس الافعال فيها على الاسماء والحمد لله عليها والعبادة على المالكية والهداية على الاستعانة والجزاء على الهداية والاستقامة وضدهما (ومنها) سورة الصلاة لانها ركن في كل ركعة للمأموم والامام لما روى الدارقطني عن النبي عليه السلام أنه صلى بعض الصلاة التي يجهر فيها بالقراءة فلما انصرف أقبل علينا بوجهه الكريم فقال مالي أنازع القرآن لا تقرؤا شيأ من القرآن اذا جهرت الا بأم القرآن فانه لا صلاة لمن لم يقرأ بها وأما قوله عز وجل وأنصتوا فالمراد عن غير القرآن للاتفاق على وجوب القراءة على مصل يسمعه من غير امامه وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى قال قسمت الصلاة أي السورة التي هي أعظم أركان الصلاة بيني وبين عبدي نصفين أي قسمين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى ذكرني عبدي أي الذكر الجامع لذاتي وأسمائي وصفاتي وأفعالي واذا قال الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي أي بالحمد الجامع لمحامد الكل للكل واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله عظمني عبدي أي بنسبة ايجاد الكل الي على ما ينبغي واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي أي أفردني عبدي بالعظمة اذ لا مالك يومئذ غيره أصلا واذا قال اياك نعبد يقول الله عبدني عبدي أي بعبادة الكل على أتم وجوه الاخلاص واذا قال واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي أي جامع لحق العبودية من الاستعانة وحق الربوبية من الاعانة واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله هذا لعبدي ولعبدي ما سأل أي هذه الامور من طلب الهداية والاستقامة والانعام والفرار من الغضب والضلال أعظم حقوق العبودية قام بها العبد على نهج التذلل الذي هو روح العبودية فحق أن أقوم بحق الربوبية من اعطاء كل ما سأله كأنه استوجبه ثم البسملة تناسب الطهر لرفع نور اسم الله ظلمة الحدث والرحمة فيها للاستقبال لان رحمة الايجاد بتوجه الحق للاشياء وتوجهها اليه وتوجه البدن الى مبدأ ترابه الغالب عليه من الكعبة يوجب توجه روحه الى مبدئه والحمد القيام لاشعاره بقيام الخلق بالحق حتى رجعت محامدهم اليه ورب العالمين الركوع لشموله الرب والعبد شمول الركوع معنى القيام والقعود والرحمة بعده الاعتدال لانها الابقاء المستلزم للاعتدال المنافي للاختلال ومالك يوم الدين السجود لان الكل في غاية التذلل له يومئذ واياك نعبد القعدة بين السجدتين لان العبادة سبب التقرب وقد كمل بالسجود والمقرب مستحق للجلوس المعقب واياك نستعين السجدة الثانية لدلالتها على أن قرب العبادة انما هو بعونه وعونه مرجو بالاستعانة منه وهي توجب مزيد التذلل له فهذا القرب يوجب مزيد التذلل له وهو بالسجدة بعد السجدة واهدنا الصراط المستقيم قعدة التشهد لاشارتها الى اكرام المستقيم وصراط الذين أنعمت عليهم قراءة التشهد لانها تحف والمتحف ينعم عليه وغير المغضوب عليهم ولا الضالين السلام (ومنها) سورة النور لاشتمالها على نور الذات والاسماء والصفات والافعال والعبادة والاستعانة والهداية والاستقامة والانعام والتحرز عن ظلمة

علم ووجد (أولى الناس) أحقهم به بابراهيم) (أنصاري) أعواني (أليم) مؤلم أي موجع (أنقذكم منها) خلصكم منها (أخزيته) أهلكته

(قال أبو عمرو ويقال باعدته من الخير ومنه قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي)

(الارحام) القرابات واحدتها رحم والرحم في

الغضب والضلال وافاضة الانوار على المصلى فافهم والله الموفق والملهم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

بعض آية من النمل وليست من القرآن فى براءة اجماعا فيهما ونفى مالك وقدماء الحنفية قرآنيتها ومتأخروهم كونها من السور على الصحيح من المذهب واتحد رأى الشافعى أنها من الفاتحة وأصح قوليه من غيرها وأول الآخر بأنها غير تامة فى الغير استدل النفاة برواية عن أنس ابن مالك صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان وكانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله وأخرى وانهم لا يذكرون بسم الله وأخرى ولم أسمع أحدا منهم قال بسم الله وأخرى فلم يجهر أحد منهم ببسم الله * وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله * وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله تعالى حمدنى عبدى واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله تعالى أثنى على عبدى واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدنى عبدى واذا قال اياك نعبد واياك نستعين يقول الله تعالى هذا بينى وبين عبدى * وعنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى سورة الملك انها ثلاثون آية وفى الكوثر انها ثلاث آيات والعدد يكمل بدون التسمية وبأنها لو كانت من الفاتحة لم يكن أنعمت عليهم آية فيكون لله أربع ونصف وللعبد اثنان ونصف قال القاضى البلاقلانى ولا يبعد أن يفسق المثبت لانها ان تواترت امتنع الخلاف والا لم يكن القرآن حجة قطعية وساغ دعوى الشيعة بالتغيير فيه واستدل جاعلها من القرآن لا السور برواية أبى سلمة انه عليه السلام كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم آية فاصلة وقال ابراهيم بن يزيد لعمرو بن دينار ان الفضل الرقاشى يزعم أن بسم الله ليست من القرآن فقال سبحان الله ما أجرأ هذا الرجل سمعت سعيد بن جبير يقول سمعت ابن عباس يقول كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم علم أن تلك السورة ختمت وفتحت غيرها وعن طلحة بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك بسم الله الرحمن الرحيم فقد ترك آية من كتاب الله وعن أبى بن كعب انه قال له عليه السلام أى آية أعظم فى كتاب الله قال بسم الله الرحمن الرحيم وقد أجمعوا على أن ما بين الدفتين كلام الله واتفقوا على كتابتها بخط المصحف ولم يكتبوا آمين ولا أسماء السور * واستدل الشافعى برواية لام سلمة قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب فعد بسم الله الرحمن الرحيم آية الحمد لله رب العالمين آية الرحمن الرحيم آية مالك يوم الدين آية اياك نعبد واياك نستعين آية اهدنا الصراط المستقيم آية صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آية وأخرى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ولابى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال عن ربه قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله مجدنى عبدى واذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدنى عبدى واذا قال الرحمن الرحيم قال الله

غير هذا ما يشتمل على ماء الرجل من المرأة ويكون منه الحمل (آنستم منهم رشدا) أى علمتم ووجدتم آنست نارا أبصرتها والايناس الرؤية والعلم والاحساس بالشئ (أفضى بعضكم الى بعض) انتهى اليه فلم يكن بينهما حاجز وهو كناية عن الجماع (أخدان) أصدقاء واحدهم خدن (أحصن)

أثنى على عبدى وإذا قال مالك يوم الدين قال الله فوض الى عبدى وإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال الله هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل وإذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله هذا لعبدى ولعبدى ما سأل * وعنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه فدخل رجل فافتتح الصلاة وتعوذ وقال الحمد لله رب العالمين فسمع النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال للرجل قطعت على نفسك الصلاة أما علمت أن بسم الله الرحمن الرحيم من الحمد من تركها فقد ترك آية منه ومن ترك آية منه فقد قطع عليه الصلاة * وعنه أنه صلى الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب سبع آيات أولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم وربما سئل عن الجهر بها فقال لا أدرى وروى البيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يجهر فى الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم وروى الجهر بها عن عمر وابن عمر وابن عباس وابن الزبير وتواتر الجهر بها عن على رضى الله عنه والجواب عن شبه النفاة أن روايات أنس وأبى هريرة متعارضة والتنصيف فى المعنى وإشارة عائشة رضى الله عنها الى السورة وتقديمها على غيرها والكتابة بخط القرآن مع الإجماع على أن ما بين الدفتين قرآن يغنى عن التواتر القولى لكن عدمه أورث شبهة منعت التكفير ولم يظهر دليل كونها من سائر السور وإن ظهر على أنها من القرآن * ثم نقول الباء للإلصاق تشعر باتصال العبد بربه وتواضعها الخطى بأن الاتصال بالرب يوجب مزيد التواضع له وإن كان به الارتفاع على ما سواه وانكسارها بأنه إنما يتصل به المنكسر قلبه وجعلها النقطة تحتها بأنه يجعل كل ما سواه تحت قدمه ووحدتها بأن همته التوحيد وفصها الفم بأنه يفتح له أبواب العلوم والفوائد سيما عند اشتغاله بمحامده وقراءة كتابه بعد التخلص من الشيطان ويتعلق بالحمد أى ملتبسا باسمه الظاهر فى الحامد أو مطلقا أو بأعوذ أن اقرئ ليشعر بأنه لا يستقل بالالتجاء اليه أو بمحذوف تخفيفا ليشير الى أن الاتصال به يفيد تخفيف المؤن فعل لأنه الأصل فى التعلق ولموافقة إياك ليشير الى إحداثه الاتصال به ليعترف بالتقصير فى الماضى وقصد التلافى فى المستقبل أو اسم ليشعر بثباته حالة الذكر والغفلة من جنس الابتداء ليناسب مبدئيته تعالى أو ما جعلت التسمية مبدأ له كالقراءة ليشعر بدوام ملابسته مؤخر ليشعر بتقديم اسم الله تعالى تعظيما له وحصرا وردا على القائل باسم اللات والعزى أو مقدم ليشعر بأن الأهم التلبس باسمه مع عدم المبالاة بالقائل والاسم لفظ مستقل الدلالة لا تفيد هيئته زمنا والمسمى المدلول والتسمية الوضع أو الذكر فيغاير الاسم المسمى إلا فى نحو زيد مرفوع أو الاسم المدلول المطابق والمسمى الذات من حيث هى أو باعتبار ما صدق عليها والتسمية اللفظ فيتحد الاسم والمسمى وقد يؤخذ المدلول أعم من المطابق فيعتبر فى أسماء الصفات ما يقصد من المعانى التضمنية فيتحدان فى أسماء الذوات ويتغايران فى أسماء الأفعال

تزوجن أحسن زوجن (أذاعوا به) أفشوه (أركسهم) نكسهم وردهم فى كفرهم (آمين البيت الحرام) عامدين البيت وأما قوله فى الدعاء امين فبتخفيف الميم وتمد وتقصر وتفسيره اللهم استجب لى ويقال امين اسم من أسماء الله تعالى (الأزلام) القداح التى كانوا يضربون بها على الميسر واحدها زلم وزلم (من أجل ذلك) من

ويتوسطان في أسماء الصفات فمن رأى حدوث أسماء الله قال بالاول ومن رأى قدمها قال بالثاني ومن رأى الفصل قال بالثالث فعلى تقدير المغايرة يكون المقام الاسم للكتابة والاتصال اتماهو بذاته تعالى أو للتمييز عن القسم وعلى تقدير الاتحاد يكون الاتصال بالذات باعتبار المعاني التي بها تعلق العالم به اغناه عن العالمين بدونها ثم ان كان من السمو أشار الى سموحال من اتصل به أو من السمة أشعر بظهور سمات أسمائه وصفاته فيه والاله اسم لذات المعبود فهو وان لوحظ فيه المعنى لم يقصد فلذلك لا يوصف به ثم غلب على المعبود بحق بطريق الكلية ثم حذفت همزته وعوضت بحرف التعريف وقطعت همزته في النداء لمحض التعويض لخص بالفرد المستحق لها اتفاقا فلذلك أفاد استثناؤه التوحيد * قال الامام الرازي الاله هو الموجود الازلي الابدي الواجب لذاته المنزه عما لا يليق به الموجد لغيره * والله علم للفرد الموجود من هذا المفهوم الكلي قائم مقام الاشارة فان كانت الاشارة الى الذات اشارة الى الصفات تناولها والا فلا * وقال الامام حجة الاسلام في المقصد الاقصى الله اسم للموجود الحق الجامع لصفات الالهية المنعوت بنعوت الربوبية المتفرد بالوجود الحقيقي والاشبه انه جار مجرى الاعلام وتبعه البوني * وقال الشيخ محيي الدين بن العربي في شرح أسماء الله ت. الى الله الذي له القدرة والاختراع والخلق والامر جامع الذات والصفات والافعال انتهى وقيل الاصل فيه هاء الغيبة ثم زيد لام الملك لمالكيته ثم حرف التعريف تفخيما وقيل الهمزة الظهور والذات ظهور الالف بها الذلك استخلف عليها والهاء لانبهارها اشارة الى أنه الظاهر والباطن واللام الاولى لتعريفه بالظهور والثانية اشارة الى لطفه بالبطون بعد كمال الظهور والاشبه أنه علم جامد للفرد الموجود من واجب الوجود وهو قول أكثر المحققين كالخليل وسيبويه والشافعي وأبي حنيفة والحليمي والخطابي وامام الحرمين والغزالي وكيف لا يوضع لاجل الاشياء اسم يشار به اليه اشارة معنوية تميزه عما عداه ولا يدل ثبوت الاله والوله وتأله على اصالة الهمزة لجواز كونها مشتقة من الله ولما قطعت همزته في النداء أشبهت الاصلية فأتى بها فيها واعتبر فيها معنى العبادة التي يستحقها ويعرف لاجلها ثم ان جعل علما للذات مع الصفات تعلق حمده بالكل واستعاذته بالذات مع صفة القهر للعدو واللطف بالمستعيذ وتلبس القراءة بنور الكل وان جعل للذات فحمده انما كان جامعا لان كمالات الصفات من لوازم كمالات الذات واستعاذته بالذات كافية في قهر العدو ولطف المستعيذ لانهما من لوازم الذات والتبست قراءته بالذات لخرقها حجب الافعال والصفات والرحمة رقة القلب وعطفه ويراد في حق الله تعالى غايته من ايصال الخير ودفع الشر وتنقسم الى ذاتية عامة افاضة الوجود وخاصة تخصص بعض العبيد للتقريب اليه وهما المرتبتان على اسم الله ووصفية عامة افاضة ما يليق من الاعراض وخاصة ما يتفضل به البعض على البعض وهما المرتبتان على اسم الرب قيل الوجود كله خير والشر هو العدم اذ هو عدم كمال الوجود كالفقر والموت والجهل

جناية ذلك ويقال من أجل ذلك من جراء ذلك ومن جرا ذلك بالمد والقصر ويقال من أجل ذلك من سبب ذلك (أحبار) أدلة علماء واحدهم حبر (على المؤمنين) أي يلينون لهم من قولك دابة ذلول أي منقاد سهل لين ليس هذا من الهوان انما هو من الرفق (أعزة على الكافرين) أي يعازون الكافرين

ويطلق على سببه مجازا كالبرد والافعال المذمومة والاخلاق الرديئة والآلام والغموم فالبرد من حيث هو كيفية وبالقياس الى سببه ليس بشر وانما عرض له من حيث افساده أمزجة الثمار فالشر بالذات فقد الثمار كمالاتها والظلم والزنا ليسا بشر من حيث صدورهما عن الغضبية والشهوية وانما عرض لهما بالقياس الى المظلوم والى السياسة المدنية أو الى النفس الناطقة الضعيفة عن ضبط القوتين والاخلاق والآلام ليستا بشرور من حيث هي ادراكات الامور وانما هي شرور بالنظر الى فقدان أحد تلك الاشياء كماله فهو الشر بالذات (قال) الامام حجة الاسلام في المقصد الاقصى انما أراد الخير لذاته والشر للخير في ضمنه لذلك قال سبقت رحمتي غضبي فان خطر لك شر لا ترى تحته خيرا أو امكان تحصيل ذلك الخير بدون ذلك الشر فاتهم عقلك فليس كل محال يدرك استحالته بالبديهة أو بالنظر القريب ثم رحمة الله أكمل لانه جواد يفيد ما ينبغي لا للعوض كالثواب والثناء ولا لغرض كازالة الرقة وحب المال والعبد لا يخلو من أحدهما مع انه انما يعطي بداعية من الله فهو الراحم بالحقيقة ثم انما ينتفع بعطائه اذا اسلم الله قواه على أن عطاءه يوجب التذلل له وهو ذلة والتذلل لله عزة ثم اشتق منها صيغتا مبالغة وهما الرحمن الرحيم والاول أبلغ لكثرة حروفه وخص بالله لا بطريق العلمية لجريانه وصفا فكفر من أطلقه على غير الله ومبالغته اما بالكمية لكثرة افراد الرحمة الايجادية حتى يدخل فيها الشرور سيما من حيث تضمنها اللطف أو افراد المرحوم أو بالكيفية بتخصيصه بالجلائل أو المستمرة وتقديم اسم الله لكونه علما ثم الرحمن لانه مثله في الاختصاص والرحيم ان خص بالرحمة الخاصة ففيه ترق أو بالدقائق تتميم وهو تخصيص بعد التعميم فيهما وان عم فهو تتميم من وجه ترق من وجه وهو تعميم بعد التخصيص فيهما وذكرهما بعد اسم الله تعالى ان تناول الاسماء للتفصيل بعد الاجمال مع التخصيص بعد التعميم ثم مع كونهما للمبالغة بولغ فيهما بالتجوز باطلاق السبب على المسبب أو الملزوم على اللازم ففيه ايهام الجمع بين المثلين وتعلق الاستعاذة بالرحمن على تقدير كونه لكثرة الرحمة الايجادية انه وان أوجد العدو من رحمته به وسلطه من رحمته بالتسلط فمن رحمته على المستعيذ أن تلطف به بقهر عدوه ومنع تسلطه عنه وعلى اعتبار كونه للطف في ضمن القهر أن تلطف بالمستعيذ بتوفيقه لمجاهدة من ابتلى به وعلى تقدير كونه لكثرة افراد المرحوم ان من عمت رحمته الكل حتى أمهل الشيطان حقه أن يرحم المستعيذ به بدفع شر عدوه عنه وعلى تقدير كونه لجلائل النعم أن حقه أن يجل رحمته للمستعيذ به بقهر عدوه بالكلية وانابته على مجاهدته وعلى تقدير كونه لاستمرار النعم ان حقه أن يبقي على المستعيذ به ما أنعم عليه من العبادة وأما تعلقها بالرحيم فعلى تقدير خصوصه بالرحمة الخاصة أن حقه أن يخص المستعيذ بتلك الرحمة بدفع شر العدو عنه أو بالدقائق أن من حقه أن يبعده من وسواسه وعلى تقدير عمومه أن حقه أن لا يخلي المستعيذ به عن رحمة تمنعه عما استعاذ منه وأما تعلق الحمد به فظاهر الا على ايجاد الشر وزنه وانه يرفع بها الدرجات اذ ينال بها الصبر الذي لا نهاية لاجره

يغالبونهم ويمانعونهم يقال عزه يعزه عزا اذا غلبه (أوحيت الى الحواريين) (ألقيت في قلوبهم وأوحى ربك الى النحل ألهمها (أغرينا بينهم العداوة والبغضاء) هيجناها ويقال أغرينا بينهم ألصقناها بهم ذلك مأخوذ من الغراء والعداوة تباعد القلوب والنيات والبغضاء البغض (الاوليان) واحدهما

وأما تعلق القراءة فيرجى بتعلق الرحمن افاضة أنواع الرحمة أو جلائلها على القارئ وبتعلق الرحيم يرجى خصائصها أو دقائقها، وتقديم الاستعاذة على التسمية مع انها الاشق الها على المبدئية بالبداية أولى للاشعار بأنه لابد من رفع الحجب التي أعظمها الشيطان أولا ومن تطهير القلب عن كدوراته لتنزيل الذكر به أو بأنه لما استعاذ به اطلع على عجزه الكلي فتعلق بالجامع ليتلطف به ويقهر عدوه ثم طلب اللطف بحفظه عن شر العدو ثم بتحصيل الكمالات له أو بأنه بالاسم الاول سلط الشيطان بقهره ونبه على التعوذ عنه بلطفه أو سلطه لتكميل ثوابه ان جاهده وعقابه ان أهمله وبالثاني أن يطلب اللطف الخفي بالمجاهدة وبالثالث الكفاية عنه، وأما ترتيب الحمد على التسمية مع انه أيضا ثناء فلانه لما ذكر الكامل بذاته وصفاته وأفعاله عقبها بالحمد ليكون على الجميع بعد معرفة المحمود وجهات حمده وتخصيص التسمية بهذه الاسماء ليعلم أن الاولى التعلق بجامع الكمالات ليفيض ما يستحق من عامها أو خاصها بحسب الاستعداد الحاصل بالتعلق (الحمد لله) الحمد ذكر اللسان كمال ذي علم وهو ما يرفع حال الشئ ذاتيا كوجوب الوجود والاتصاف بالكمالات والتنزه عن النقائص أو وصفيا ككون صفاته كاملة واجبة أو فعليا ككون أفعاله مشتملة على حكمة فأكثر تعظيما له آثره على المدح الذي هو ذكر اللسان كمال الشئ ذا علم أو لا لان الكمال الذي لا يعتبر معه العلم لا يكون كمالا مطلقا ويقابله الذم وعلى الشكر وهو مقابلة الانعام بالتعظيم ذكرا باللسان أو اعتقادا بالجنان أو خدمة بالاركان مع صرف ما أنعم الى ما أنعم لاجله لانه وان عم جهات الشاكر قصر عن احاطة كمالات المشكور اذ لا يتعلق باللازمة ويقابله الكفران وعلى الثناء الذي هو ذكر الاوصاف كمالات أو نقائص، ولام الحمد للجنس والجارة للاختصاص فيختص حقيقة الحمد به فيدخل فيه حمد الحق نفسه وحمد الخلق بأنهم مظاهر ذاته أو صفاته أو أسمائه أو أفعاله للحق وحمد الخلق للخلق بما اطلع الله بعضهم على ما أفاض على بعضهم من صور كمالاته أو آثارها ولا يرجع اليه المذام اذ لا ذم في الافاضة وانما هو في الاتصاف بالمذموم على انه انما أفاض الخير لذاته والشر لعارض تقتضيه الحكمة فهو برعايتها محمود هنالك أيضا وللقصد الى التعميم لم ينسبه الى حامد فلا يقدر حمدت أو أحمد الا لبيان انه كان الاصل ثم عدل عنه للدلالة على التعميم والثبات وحمد الشاهد نفسه انما قبح لما فيه من تهمة الكذب والكبر بغير الحق وتزكية النفس مع ما فيه من ذل العبودية وعيوب وآفات وكماله من غيره لذلك قبح له التكبر فلا يتصور شئ من ذلك في حق الله تعالى فلا يقبح منه مع أن فيه تنبيها على عجزهم عن حمده الا أن يقلدوه اجمالا فيحمدوه به تقربا اليه لينالوا به الدرجات والكمالات أو أنهم لما عجزوا عن شكره لامتناع احاطتهم بنعمه حمد عنهم ليقرر عليهم نعمه ويزيدهم من فضله وذلك أن النعمة وهي ما يطلب ويؤثر حقيقة هي السعادة الابدية وما يوصل اليها من فضائل النفس ومرجعها الى الايمان المنقسم الى اعتقاد واقرار وعمل وحسن خلق فلا يقدم على مقتضى شهوة أو غضب الا بمراعاة العدل وفضائل

الاولى والجمع الاولون والاتى الوليا والجمع الوليات والولى (أنباء) أخبار واحدها نبأ (أكنة) أغطية واحدها كنان (أساطير الاولين) أباطيل وترهات واحدها أسطورة واسطارة ويقال أساطير الاولين أي ما سطره الاولون من الكتب (أوزارهم على ظهورهم) أي أثقالهم يعني آثامهم

البدن المقمة لها وهى الصحة والقوة والعفة والجمال وطول العمر ومقمها أربعة خارجة وهى المال والاهل والجاه وكرم العشيرة ولا ينتفع الا بأسباب يجمع بينها وبين الفضائل النفسية من الهداية بمعرفة طريق الخير والشر بالعقل والشرع وثمرة المجاهدة ونور يشرق فى عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة ومن الرشد الباعث الى جهة السعادة ومن التسديد بتيسير الحركة الى صوب الصواب فى أسرع الاوقات لمساعدة الاسباب ومن التأييد تقوية أمره بالبصيرة من داخل ومساعدة الاسباب من خارج فهذه ستة عشر ضربا أدناها الصحة ولا يمكن استقصاء أسبابها فإنها الا كل وهو اكونه فعلا حركة تفتقر الى جسم ذى قدرة وارادة وعلم فلنذكر أسبابه فالنبات لما فيه من قوة جذب الغذاء بعروقه أكمل من الجماد لكنه يعجز عن طلب البعيد اذ لا معرفة له ولا انتقال فاعطى الحيوان الحواس أولها اللمس ليحس بنار وسيف فيهرب لكن المقتصر عليه كالدود يعجز عن الهرب عما بعد وطلبه فخلق الشم لادراك الرائحة فربما يطوف الجوانب ولا يعثر على الغذاء فخلق البصر ليدرك البعيد وجهته لكن لا يدرك المحجوب فيعجز عن الهرب الا بعد قرب العدو فخلق السمع وخلق لمعرفة الغائبات الكلام المنتظم من الحروف ثم خلق الذوق ليدرك حال الغذاء الواصل ثم الحس المشترك ليتأدى اليه المحسوسات ليدرك المرارة والصفرة بما أكله مرة من المنغص بهما ثم خلق الشهوة الحركة الى المطلوب والكراهة للهرب من الضد والغضب لدفع ما يضر لئلا يؤخذ عنك ما حصلته من الغذاء والباعث الدينى لمعرفة العواقب والرجل آلة للطلب والهرب واليد للاخذ والفم لايصال الطعام الى المعدة والطاحونة وهى اللحيان المركب عليهما الاسنان ليسهل ابتلاعه واللسان ليحركه ويذوقه وينطق واللعاب ليعجنه والمرىء والحنجرة ليدفعه الى المعدة التى لابد منها فينفتح لاخذ الطعام ثم ينطبق ويضغط حتى ينقلب الطعام فيهوى الى المعدة ثم يطبخ فيها الى أن تتشابه أجزاؤه كماء الشعير من حرارة الكبد والطحال والترب ثم ينتقل من مجارى العروق الى الكبد فيصير كالدم فيتولد منه السوداء كالدردى يجذبها الطحال من عنقه الممدود وصفراء كالرغوة تجذبها المرارة كذلك فيصفى الدم مع زيادة رقة ورطوبة لما فيه من مائية تجذبها الكليتان بعد الطلوع من عروق دقيقة ثم تنقسم العروق الى البدن حتى تصير شعرية ثم تقذف المرارة بعنق آخر الى الامعاء ليحصل به رطوبة مزلقة فى ثقل الطعام وفى الامعاء لذع للدفع والطحال يحيل فضلته فيحصل فيها حموضة وقبض ثم يرسل منها الى فم المعدة لتحريك الشهوة ويخرج الباقى مع الثفل وأما الكلية فتغتذى بما فى تلك المائية من دم وترسل الباقى الى المثانة ثم لابد من ماكول له أصل يحفظه لئلا يتلف فيبقى جائعا فلابد من تنميته ليتم حاجاتك فخلق فيها قوة التغذية ولابد لها من ماء يمتزج بتراب وهواء ولابد للهواء من ريح يحركها بعنف حتى ينفذ فيها فيقع الازدواج بين الثلاث ولابد من حرارة الربيع أو الصيف اذ يضر فيه البرد المفرط ثم الماء يحتاج فى انسياقه الى أرض الزراعة الى بحار وأنهار وعيون وسواق ثم لا يرتفع الى الاراضى المرتفعة فخلق الغيوم

وقوله حملنا أوزارا من زينة القوم أى أثقالا من حليهم وقوله تعالى حتى تضع الحرب أوزارها أى حتى تضع أهل الحرب السلاح أى حتى لا يبقى الا مسلم أو مسالم وأصل الوزر ما حمله الانسان فسمى السلاح أوزارا لانه يحمل وقوله ولا تزر وازرة وزر أخرى أى لا تحمل حاملة ثقل أخرى أى

وسلط عليها الرياح وخلق الجبال حافظة للمياه وتتفجر منها العيون تدريجا لئلا يغرق البلاد ولابد للحرارة فى وقت الحاجة من تسخير الشمس لتسخن الارض وقتا دون وقت ثم النبات ان ارتفع عن الارض كان فى الفواكه انعقاد وصلابة فلابد من رطوبة ينضجها فسخر القمر وكذا كل كوكب فى السماء مسخر لفائدة ولا يتم ذلك الا بحركات الافلاك وهى بالملائكة فمنهم أرضية وكلهم الله بك فلا يغتذى بجزء من بدنك الا بسبع ملائكة فاكثر لان معنى الغذاء قيام جزء من الطعام مقام ما تلف فلابد من ملك يجذب الغذاء الى جوار اللحم والعظم اذ لا يتحرك بنفسه ومن ثان يمسكه ومن ثالث يخلع عنه صورة الدم ورابع يكسوه صورة اللحم أو العظم وخامس يدفع الفاضل وسادس يلصق الجنس الى الجنس وسابع يراعى المقادير لئلا يتشوه الصورة وبعض الاجزاء كالعين والقلب يحتاج الى أكثر من مائة ملك وعددهم ملائكة السماء وعددهم حملة العرش ثم ان الله سبحانه وتعالى ربط قوام الاعضاء وقواها ببخار لطيف يتصاعد من الاخلاط الى القلب ويسرى فى جميع البدن بالعروق الضوارب وهو الروح الحيوانى وهو كالسراج والقلب مسترجته والدم الاسود فتيلته والغذاء زيته والحياة ضوءه وهو غير الروح الالهى والمنعم بالكل هو الله تعالى لا شريك له فهو المشكور دون الوسائط فمن رأى للوزير والوكيل دخلا فى انعام الملك لم يتم له شكره وانما يتم لمن يراهما كالقلم والكاغد فكذا سائر الاسباب سخرها الله تعالى حتى ان من أوصل نعمته اليك فهو مضطر بما سلطه عليه من الارادة وألقى فى قلبه أن فى اعطائك له نفعا فينبغى أن يكون فرحك بالمنعم لترتقى الى درجة القرب منه والاستدلال به على عنايته ليرجى ثوابه ثم انه ينبغى ان يقصد به الخير ويضمره للكافة ويظهر شكره باللسان والجوارح باستعمالها فى طاعته فمن استعملها فى معصيته فقد كفر بالنعمة ثم لا ينبغى أن يرى الشكر من نفسه بل من ربه فهو الشاكر والمشكور فيختص به الحمد من كل وجه لكن من فعل على يديه ما بلغت به الحكمة غايتها فهو الشاكر وما وقعت دونها فهو الكفور ونسبته الى الاول محبة والى صاحبه رضا والى الثانى كراهة والى صاحبه لعنة فأشار الى السعادة الاخروية بالانعام والى الفضائل النفسية بالتربية والى الفضائل البدنية والخارجية بالرحمة والى الاسباب الجامعة بالعبادة والاستعانة والهداية والاستقامة والانعام والى جر المنافع ودفع المضار بالشهوية والغضبية بالرحمة والى التعديل بمالك يوم الدين والى المأكول واعطاء القوى بالتربية والى ارتباط كل من العلوية والسفلية بالآخر وربط البدن والقوى بالبدن برب العالمين والى أن المنعم بالكل هو الله بالحمد لله والى المحبة والرضا بالانعام والى الكراهة واللعنة بالغضب وقدم الحمد فى مقاصد الكتاب للاشعار بأنه أعظم مقاصد انزال الكتب وارسال الرسل وتكليف العباد وخلقهم وأنه مقدمة كل خير ومنتهاه ولأمر ما قال اللعين ولا تجد أكثرهم شاكرين وأقسم الله سبحانه لاهله بالمزيد فقال لئن شكرتم لازيدنكم وقدم المبتدأ لانه أهم بعد معرفة المنعم فى التسمية مع أن تأخير لله ليشعر بأنه المرجع ولا حاجة الى تقديم الخبر للاختصاص لحصوله من

لام

لا تؤخذ نفس بذنب غيرها ولم يسمع لاوزار الحرب واحد الا أنه على هذا التأويل وزر وقد فسر الاعشى أوزار الحرب بقوله
وأعددت للحرب أوزارها
رماحا طوالا وخيلا ذكورا
ومن نسج داود يحدى بها
على أثر الحى عيرا فعيرا
أى تجرى بها الابل (أفل) غاب (أنشأكم) ابتدأكم

لام التعريف والجر وأظهر اسم الله بعد ذكره للاشعار بأن اقتضاء الحمد باعتبار ظهوره وحذف الخبر وأقيم الظرف مقامه فكأنه جمع فيه بين الحذف والذكر المتنافيين ثم ان قدر فعلا دل على التجدد والاسمية على الثبوت ففيه ايهام الجمع بينهما من وجه آخر وان قدر اسما ففيه ايهام الجمع بين المثلين لانه مشعر بالثبوت المحض من غير تجدد فكأنهما ثبوتان وذكر المسند اليه لانه الاصل مع التلذذ بذكره مع كونه ناشئا من النعم منشئا للمزيد مع التلذذ بذكر المنعم ففيه ايهام الجمع بين المثلين من وجه آخر (رب العالمين) الرب المالك فلا يتعين عليه تصرف دون ضده فهو متفضل بالانعام فله الحمد من جهة استيلائه وتفضله أو السيد الذى علت رتبته فله أعلى المحامد لعلوه و باعلائه للعبيد بانعامه عليهم أو الخالق فله أتم المحامد على كمال أفعاله وصفاته التى تتوقف عليها وانعامه قبل الاستحقاق أو المربى وهو المصلح أو المدبر بتبليغ الشئ أعلى مراتبه بجعل النطفة علقة ثم مضغة ثم أعضاء مختلفة ثم افاضة الروح عليها واعطاء كل عضو قوة تليق به ثم تكميله بالشريعة والطريقة والحقيقة فله أجمع المحامد والعالم مايعلم به الخالق من المحدثات جمع ليشير الى توحيده وعموم فيضه واستيلائه جمع العقلاء ليشير الى أنهم المقصودون بالذات ثم انه أضاف الحمد أولا الى الذات الجامعة للكمالات ثم الى الربوبية التى بظهورنور الوجود ثم الى الصفات الظاهرة فى المظاهر بصورها وآثارها ثم بما يترتب عليها من الجزاء وفى رب العالمين باعتبار اشارته الى ماذكر ايجاز وايراده بعد الاسم الجامع اطناب ففيه ايهام الجمع بين الضدين وهو كالخاص بعد العام والرحيم خاص بعد الرحمن ففيه ايهام الجمع بين المثلين ثم انه صفة موضحة باعتبار ان العوام انما يعرفون الله بالعالمين ومادحة باعتبار ان الخواص انما يعرفون الاشياء به ففيه مع جعل المعرف معرفا ايهام الجمع بين المعنى الحقيقى والمجازى للوصف ثم ان العالمين معرف لله فى حق العوام فهو أعرف وقد عرف بلام التعريف ففيه ايهام تحصيل الحاصل ثم ان هذه الاسماء علة الحمد والحمد علة ظهورها لانه ربى ليحمل ففيه ايهام علية الشئ لما هو معلوله وفى الاضافة تعظيم المضاف بأن له الاستيلاء على الكل والمضاف اليه بأن له هذا الرب الكامل التربية والحمد بأنه لايليق لغيره والعالمين جمع عالم وهو جمع فى المعنى فهو مع كونه تفرقة اشارة الى جمع الجمع (الرحمن الرحيم) قد مران وصفى التسمية ذاتيتان وهاتان وصفيتان وقيل هناك بتسكين هيبة اسم الله وهنا الترجية العابدين المخوفين بمالك يوم الدين اذ لابد للعبادة الشاقة من قائد الرجاء وسائق الخوف احداهما التسكين هيبة العوام وترجيتهم والاخرى للخواص ويمكن أن يشار بذلك الى أنهما كما وقع بهما الابتداء يقع بهما الانتهاء فتعذيب الكفار رحمة للابرار بالانتقام من أعدائهم واعطائهم منازلهم من النار وأخذهم منازلهم من الجنة أو الى انهما كما كانتا مبدأ الحمد العامة مبدأ للعام والخاصة للخاص فهما منتهاه كذلك أو الى أن الحمد وان كمل فلا يكافئ النعم السابقة عامة أو خاصة فلا يوجب المزيد الا بجعل الرحمتين اياه موجبا له العامة للمزيد العام والخاصة للخاص أو الى أنه كما انقسمت رحمة الدنيا الى عامة

وخلقكم (أكابر) عظماء (الاعراف) سور بين الجنة والنار سمى بذلك لارتفاعه وكل مرتفع من الارض اعراف واحدها عرف ومنه سمى عرف الديك عرفا لارتفاعه ويستعمل فى الشرف والمجد وأصله فى البناء (أقلت سحابا ثقالا) يعنى الريح أى جاءت سحابا ثقالا بالماء يقال أقل فلان

ايجادية وخاصة تفضلية تنقسم رحمة الآخرة الى عامة مجانية وخاصة تقريبية أو الى أنه تعالى كما رحم أولا بذكر أسمائه رحمة عامة أو خاصة رحم ثانيا بالعبادة العامة أو الخاصة أو الى أن العامة الدنيوية انما شابت المحنة لوقوعها بين الجلال والجمال والاخروية وقعت بين الجمالين أو الى أن الرحمة علة للحمد بلا واسطة الا أن تكون الخاصة واسطة للعامة وللعبادة بواسطة مالك يوم الدين العامة للعامة والخاصة للخاصة فالحمد أتم تقريبا اذ هو المقصود من العبادة المقصودة من خلق المكلفين المقصودين من خلق العالم (مالك يوم الدين) بالالف عاصم والكسائي والباقون بغيرها والمادة للربط والشدة فالك الشيء من اشتد ارتباطه به فاستقل بالتصرفات فيه لو كمل رأيه ولم يتعلق به حق الغير بعينه فالوكيل والولي ليسا بمالكين لعدم استقلالهما والصبي والمجنون مالكان امتنع تصرفهما القصور رأيهما والراهن مالك امتنع تصرفه لتعلق حق المرتهن بعينه بخلاف المؤجر لان حق المستأجر انما يتعلق بالنفع والملك من اشتد ارتباط الخلق به لقدرته على حفظ مصالحهم ودفع مفاسدهم ونفوذ أمره ونهيه فيهم ثم منهم من اختار المالك لانه يعم تعلقه بالناس وغيرهم وكمال قدرته على المملوك لتمكنه من بيعه وهبته ومزيد علوه على العبد وقوة نسبته لامتناع خروج العبد من ملك السيد وعدم وجوب رعاية العبد على السيد ووجوب خدمة العبد له وعدم استقلال العبد بدون اذنه والعبد يطمع في المولى والملك في الرعية وللملك انصاف وعدل وهيبة وسياسة والعبد يرجو من مولاه العفو والتربية ولمولاه عليه رقة ورحمة ونحن الى العفو والتربية والرقة والرحمة أحوج منا الى الهيبة والسياسة والعدل والانصاف والملك اذا عرض عليه العسكر رد الضعفاء والمالك يعين عبده المريض وحروف المالك أكثر فيكثر ثوابه ورد بأن الملك انما امتنع تعلقه بغير الناس لعدم تعلقهم بأمره ونهيه والاعم كسليمان عليه السلام وبأن للملك استيلاء على الاحرار والعبيد والعلو على الحر أتم وان لم يكن له عبد ولا يمكن للرعية الخروج عن ولاية الملك الا اذا لم تتم ولايته وقد عمت هنا اذ أضيفت الى الكل ويمكن لعبد الحربي الخروج عن ملكه بالهرب الى دار الاسلام بل يمكنه قهر مولاه واسترقاقه أينما كان والعبد يطلب النفقة والكسوة من سيده وهو أشد من رعاية الرعية ويجب عليهم امتثال أمر الملك وهو خدمته ويستقل العبد بالاكتساب والاتهاب ولا تستقل الرعية بأخذ الحقوق في مكان الفتن ولا باقامة الحدود والاقتصاص والمولى يطمع في أموال العبد ويعدل بين عبيده وينصف بينهم وله عليهم هيبة وسياسة ويرجى من الملك العفو والتربية وله رقة ورحمة في ضعفاء الرعية ونحن في التمدن أحوج الى الهيبة والسياسة وهو يعطي الضعفاء من مال الصدقة ويخلص الرعية من الاعداء والثواب انما يكثر بكثرة الحروف لو لم يكن الاقل أشرف منه * ومنهم من اختار الملك لان كل ملك مالك وأمر الملك ينفذ على المالك بلا عكس فيهما وسياسة الملك أقوى وأقسام الك لا يقاوم ملكا ومالك الملك أكثر ويكثر ملاك بلد دون ملوكه والرب بمعنى المالك فيتكرر والملك من جملة الاسماء التسعة

والتسعين

[margin note:] اذا استقل به الشيء واستقل به اطاقه وحمله وفلان لا يستقل بحمله وانما سميت الكيزان قلالا لانها تقل بالايدي أي تحمل فيشرب فيها (آلاءه) نعم الله واحدها ألى وألي وإلى (أرجئه) أخره أي احبسه وأخر (آسى) أحزن (أسفا) شديد الغضب والاسف والاسيف الحزين أيضا (أخلد الى الارض)

والتسعين وليس فيها المالك نعم فيها مالك الملك وقد تمدح به في القرآن دون مالك الملك بالكسر والملك هو المذكور في آخر القرآن والختم انما يكون بالاشرف ويجب على الكل طاعة الملك لا المالك الاعلى عبيده ورد بأن الملك انما يتم المالك لو لم يضف الى الكل وأمر الملك انما ينفذ في مالك لو لم يشتمل ملكه وسياسة الملك لكونها غير مضمونة أقوى وانما مقاومة الملك لمن لم يعم ملكه واطلاق المالك على من قل ملكه لا يجعله أدنى مطلقا بل اذا كان كذلك وانما يكثر ملاك البلد حيث لم يشتمل ملك الواحد ولا بأس بذكر الخاص بعد العام وليس كل ما في الاسماء التسعة وتسعين أعلى من كل ما خرج منها وذكر مالك الملك يستلزم ذكر المالك لانه اذا ذكر المقيد كان المطلق مذكورا في ضمنه والتمدح بمالك الملك تمدح بمالك الملك اذا عم بطريق الاولى وذكر الملك في آخر القرآن انما يفيد الشرف لو لم يكن في تخصيصه فائدة أخرى مع أن ترتيب السور غير منزل واذا عم ملك المالك وجب على الكل طاعته ولو صحت الادلة كان لكل ترجيح من وجه واليوم ما بين طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس وقد يراد به مجرد الوقت ويوم الدين يوم القيامة ما بين النفخة الثانية الى استقرار أهل الجنة والنار فيهما والدين الملة أي يوم ظهور نفع ملة الاسلام أو حقيتها للكل أو الانقياد أي انقياد الكل لله أو الجزاء أو القضاء أو الحساب أو السياسة واللام على الاول للعهد وعلى البواقي للاستغراق اذ لا يعتد بما تقدمه وهو مشهور في الملة فان أريد غيرها فتورية أو تجوز فان كانت الاضافة بمعنى اللام وأريد باليوم ما فيه من الملك ففيه مجازان وان كانت بمعنى في فهو ظرف للمالكية وقد قصد احاطتها فكأنها ظرف لظرفها ثم الاضافة بمعنى في اما على معنى مالك الامر كله يوم الجزاء فالزمان ان كان موجودا دخل في الكل فقد أضيف اليه ظاهرا وباطنا جميعا وأما على معنى مالك اليوم المحيط بما فيه فيجعل كناية عن مالكية ما فيه لان الغالب ان المظروف ملك مالك الظرف ثم اضافة المالك للاختصاص فالكية تعالى للكل وان كانت مستقرة فكأنها لم تكن قبل ذلك اليوم لتوهم مالكية الغير قبله ثم اضافة اليوم للاختصاص فهو اشارة الى أنه وان وقع في ذلك اليوم أمور كثيرة فالمقصود منها الدين وقد فهم ذلك من تخصيص هذا الاسم من بين أسماء يوم القيامة ففيه اجتماع المثلين بل ثلاثة ثم اضافة المالك الى يوم لتعظيم المضاف لظهور احاطة مالكيته أو المضاف اليه بأنه بلغ في كمال رفع اللبس بحيث لم يبق فيه وهم شركة الغير ثم اضافة اليوم تتضمن تعظيم اليوم ففيه تعظيمان فهو أيضا يوهم اجتماع المثلين من جهة أخرى ثم ان أريد بالدين الاسلام ففيه تعظيم المضاف اليه بأن له يوما خاصا يظهر فيه كمال نفعه وان أريد غيره ففيه تعظيم المضاف بأنه الذي يعتد به دون ما تقدمه ثم المالك مضاف الى المستقبل فان أريد به الاستقرار يوهم الاستقرار مع العدم في الماضي والحال وان قصد به الماضي والدين مستقبل ففيه جمع بين الماضي والمستقبل وهما ضدان في الظاهر ومثلان في الحقيقة اذ المراد باسم الفاعل الماضي والمستقبل أيضا ثم مالك صفة توضيح اذ يظهر به حقيقة الهيبة لانه يرفع توهم عجزه أو جهله أو رضاه بالقبيح أو صفة مدح

اطمأن اليها ولزمها وتقاعس ويقال فلان مخلد أي بطيء الشيب كأنه تقاعس عن ان يشيب وتقاعس شعره عن البياض في الوقت الذي شاب فيه نظراؤه (أيان) معناها أي حين وهو سؤال عن زمان مثل متى (وإيان) بكسر الهمزة لغة سليم حكاها الفراء وبه قرأ السلمي إيان يبعثون

اذ علل به الحمد لانه انما يتم بالجزاء على الابتلاء والاخذ من المظالم فكأنه علة لنفسه وترتيب مالك يوم الدين على الرحيم لان الرحمة الخاصة بالحقيقة هى السعادة الابدية التى تكون يوم الدين وعلى الرحمن بواسطته لان العوام انما خوفوا به لاصلاح باطنهم وظاهرهم ليرجوا بهذه السعادة ان تأثروا بها فكانت رحمة عامة موصلة الى الخاصة لمن تأثر وقد قصد فى حق من لم يتأثر أيضا وعلى الربوبية بواسطتهما لانهما انما يتم بالاصلاح المذكور ليفضى الى السعادة الابدية فالاصلاح رحمانية والافضاء الى السعادة رحيمية وعلى اسم الله بواسطة الثلاثة لان الهيته انما تظهر بهذه التربية التى انما تتم بالرحمتين اللتين تمامهما بالجزاء ووجه استحقاق الحمد على هذه المالكية انه يظهر به فضل الخالق باعطائه على كلمة واحدة أو عمل ساعة ما لا يحصى من الثواب الابدى وعدله اذ لم يجاوز فى الجزاء ما يناسب الافعال والاعتقادات وحكمته بالتفرقة بين المحسن والمسىء بالانعام الصرف والانتقام الصرف والجزاء مصلح للظاهر والباطن رافع للحجب الظلمانية من متابعة الهوى والغضب وبه يتم التمدن وقيل حمد أولا باعتبار الهيته المقتضية للوجود ثم بالربوبية المقتضية للاعراض ثم بالرحمانية المقتضية لاسباب المعاش ثم بالرحيمية المقتضية لاسباب انتظام المعاد ثم بالجزاء المرتب على اصلاحه او الاخلال به ♦ وقيل فى ايراد الاسماء الخمسة فى الفاتحة ان العبادة مقتضى الالهية والاستعانة مقتضى الربوبية وطلب الهداية مقتضى الرحمانية والاستقامة مقتضى الرحيمية والانعام مقتضى المالكية عند الاستقامة كما ان الغضب مقتضاها عند الاخلال بها (اياك نعبد واياك نستعين) ايا ضمير منفصل منصوب المحل واللواحق لبيان حاله ولا محل لها عند سيبويه والفارسى وضمائر معه أضيف اليها عند الخليل والاخفش والمازنى وعند الفراء هى الضمائر وايا اعتماد وعند الزجاج والسيرافى ونقله ابن عصفور عن الخليل اسم ظاهر بمعنى النفس وعند سائر الكوفيين الضمير المجموع والعبادة تذلل للغير عن اختيار لغاية تعظيمه فخرج التسخير والسجر والقيام والانحناء نوع تعظيم والاستعانة طلب المعونة ما يفيد استطاعة على الفعل أو تيسيرا له أو تقريبا اليه أو حثا عليه ♦ والسر فى العبادة من وجوه الاول ان الله تعالى لكمال ذاته وصفاته وأفعاله يقتضى أن يتذلل له من لا يخلو عن نقص لغاية تعظيمه رعاية للحكمة الواضعة كل شىء موضعه الثانى انه تعالى منعم على الانسان بغاية الانعام اذ جعله مختصر الحضرة الالهية بما أفاض عليه من الوجود والحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام ومختصر العالم لانه بالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة كالعناصر وبالتركيب كالمعادن وبالغذاء والتوليد كالنبات وبالحس والتخيل والتوهم والتلذذ والتألم كالحيوان وبالجراءة كالسبع وبالمكر كالشيطان وبالمعرفة كالملك وباجتماع الحكم فيه كاللوح المحفوظ وبما يثبت بكلامه صور الاشياء فى القلوب كالقلم الاعلى فلا بد أن يشكره بصرف نعمه الى ما خلقها من أجله وقد أعطى العقل للمعرفة والآلات الجسمانية لتكييف الجوارح بهيئة العبادة الحافظة للمعرفة فبهيئته لتكميل ملكيته بمساعدة أعمال البدن

(أيان مرساها) متى مثبتها من ارساها الله أى أثبتها أى متى الوقت الذى تقوم عنده وليس من القيام على الرجل انما هو من القيام على الحق من قولك قام الحق أى ظهر وثبت

(أنفال) غنائم واحدها نفل والنفل الزيادة والانفال مما زاده الله هذه الامة فى الحلال لانه كان محرما على من كان قبلهم

اعمال القلب لارتباط بينهما فالانسان مخلوق للمعرفة والعبادة فلو اخل بشئ منهما لم يكن انسانا بالحقيقة ولما عارض العقل فى ذلك الوهم والخيال أيده بالشرع فلو فقد عجز العقل عن ادراك أكثر الامور فالعقل بصر والشرع شعاع * الثالث الانسان يفتقر فى تعيشه الى معاونة ومعاملة لا يتم الا بالعدل ولا يتفق عليه ما لم يعلم كونه من الله ولا يتم الا برجاء الثواب وخوف العقاب ولا يتمان الا بما يذكر الاله على التكرير والذكر القلبى انما يتم بافعال الجوارح * الرابع ان الكمال الانسانى أن تنجلى مرآة قلبه فيحاذى شطر الحق ويلحق بافق الملائكة والاتراكم الخبث على مرآة القلب باتباع الشهوات المظلمة فيلحق بافق البهائم ولا ينجلى الا بالمجاهدة وهى بالعبادة القامعة ظلمات الاهوية التى هى امراض القلب المؤلمة عند مفارقة الروح من البدن فالعبادات أدوية بها تتنور القلب بالمشاهدة وتشرف اللسان بالذكر وتزين الاعضاء بالخدمة وهى وان كانت تذللا فى الظاهر فباطنها عز وتجمل ويكفى فى ذلك انها اشتغال بالحق وفيه كمال لذة العارفين وبه تقر أعينهم وتسر قلوبهم وتريح أرواحهم والسر فى الاستعانة من وجوه * الاول ان العبادة وان كانت كسبا للعبد فهى بخواطر لا يشعر بها العبد قبل وقوعها فهى باحداث الله وكذا العلم بنفعها وضررها ولا يلجئ الى الفعل ما لم يكن راسخا ولا قدرة للعبد فى ذلك فهو بعون الله تعالى وانما هو فى الغالب للمستعين به * الثانى العقل يختار الاصلح فى العواقب وان كان فيه مشقة ومؤنة فى الحال والهوى يؤثر ما يدفع الاذى فى الحال وتعمى عليه العواقب فيتنازعان ويكون الترجيح غالبا لجند الهوى لسبقه واستقراره بمملكة القلب فلا يمكن ازعاجه الا بعون الله تعالى * الثالث العبادة لا تتيسر الا برفع العوائق الدنيا والخلق والشيطان والنفس ورفع العوارض الرزق والاخطار والمصائب وأنواع القضاء ورفع القوادح الرياء والعجب وغيرهما وبتحقيق البواعث الخوف والرجاء وكل ذلك عقبة شاقة لا يتيسر قطعها الا بعون الله تعالى وتوفيقه * وقدم العبادة لانها وسيلة والاستعانة حاجة على ان اهم ما نستعين له اتمام العبادة واتمام الشئ يشبه لواحقه فاقيم سببه مقامه وفيه اشارة الى انه انما يعين العابد اذا استعان به وأنه لا بد من الاستعانة به فيها وفى جميع الاحوال وترتب العبادة على مالك يوم الدين لانها ان كانت لطلب الثواب والهرب من العقاب فلا يكونان الا يومئذ وان كانت لمشاهدة الرب فلا يتم الا هنالك وترتب الاستعانة عليه لانها اما لخوف تلف الثواب أو انقلابه سببا للعقاب أو لخوف الحجاب ولو بالعبادة عن المعبود وانما يتم رفعه يومئذ وعلى الرحمن الرحيم بواسطته لانها شكر النعم السابقة لتصير سببا للمزيد الى الابد وذلك بالاعانة المستمرة الى ذلك اليوم وعلى رب العالمين بواسطة الكل لان الربوبية تستحق العبادة سيما اذا رحم سيما اذا رتب عليه الجزاء والاعانة حق الربوبية نظرا الى رحمته بالمستعين به خوفا من التلف الظاهر يومئذ وعلى الله بواسطة الكل لانه انما يستحقها بواسطة الربوبية وهو انما يتم بما بعدها وتقديم اياك التنبيه على عظمة الله ليعبد على الخشية فلا يلتفت يمينا وشمالا ولان الابتداء بذكر المعبود أولى من الابتداء

وبه سميت النافلة من الصلاة لانها زيادة على الفرض يقال لولد الولد النافلة لانه زيادة على الولد وقيل فى قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة انه دعا باسحق فاستجيب له وزيد يعقوب كأنه تفضل من الله عز وجل وان كان كل بتفضله (أمنة) مصدر أمنت أمنة وامنا وامانا كلهن

بصفة العبد وهى العبادة والاستعانة ولتقديم الواجب على الممكن وليسهل بمعرفته تحمل
اثقال العبادة وليستعد لها بالبصيرة فلا يأخذه الكسل والغفلة أوليفيد الاختصاص
لاختصاصه بغاية العظمة وكمال القدرة والانعام التام والجود العام وانما خاطبه بعد الغيبة
لانه قبل ذكر الصفات لم ينكشف انكشافه بعد ذكرها فكان فى حكم الغائب قبل ذكرها
والمشاهد بعدها ولانه كان أولا ذاكرا ففكرا ثم صار واصلا ولان الثنا مصحبة وهى فى
الغيب آكد والعبادة خدمة وهى فى الحضور أتم ونون نعبد للجمع ان قرأ فى الصلاة جماعة
وان صلى فيها منفردا فمعه الملائكة ثم انه يذكر مع عبادته عبادة غيره سعيا فى حقه أو دلالة
على انه واحد من العباد نفيا لتوهم ادعاء التفرد بها او استقصارا لذكر عبادته وحده من غير ان
يضمها الى عبادة أخيه أو ليورد العبادات موردا واحدا لئلا تتوزع قبولا وردا
أو ليستشعر بتعظيم نفسه عند التذلل له لئلا يستنكف عنها او يجرى فى نون نستعين بعض
هذه الوجوه وفصلت الجملة عما قبلها لكمال الانقطاع لان ما قبلها يتعلق بالله وهذا بالعبد
أو لكمال الاتصال لانها كبيان ما تقدم لان الثناء أيضا عبادة وكذا جملة اهدنا عن نستعين
لان طلب الهداية استعانة مع أن جملة اهدنا انشائية وجملة نستعين خبرية فكلاهما متردد
بين كمال الانقطاع وكمال الاتصال وكرر اياك لئلا يتوهم انه يستعين بالعبادة بل بمجرد الفضل
الالهى ولم يقل لك نعبد لئلا يتوهم انها تفيد شيأ ولم يقل بك نستعين لئلا يتوهم جعله آلة
متوسطة بينه و بين مطلوبه ولم يقل لانعبد الا اياك مع انه مصرح بالنفى اشعارا بقلة الالتفات
بالنفى مع انه ايجاز وانفصال الضمير اطناب فيتوهم الجمع بينهما ولم يقل عبادتى لك اشعارا
بوقوع الفترة فيها ولا اياك عبدت لئلا يتوهم الفراغ عنها ولم يؤكد العبادة اشعارا بضعفها
ولا المسند اليه اشعارا بقصور عبادتهم حتى يجوز ان يتوهم فيهم انهم ليسوا بعابدين وأكد
بالتقديم اشعارا بانهم وان قصروا فى العبادة لا يعبدون غيره ثم الاستعانة تذلل كالعبادة
فيتوهم اجتماع المثلين وطلب الهداية أيضا استعانة ولم يذكر شيأ من المتعلقات ولا من
التعليلات ليذهب وهم السامع كل مذهب ممكن أو ليجعل كناية عن أى مقيد شاء ولم يقل
اعنا كما قال اهدنا ليشعر بأن الحاجة بالحقيقة لطلب الهداية وذكر الاستعانة كالاستحضار
فى طلب الحاجة أولا (اهدنا الصراط المستقيم) الهداية الدلالة بلطف اما بالهام كمص
الثدى والتشكى بالبكاء أو بافاضة المشاعر الظاهرة والباطنة أو ببديهة العقل أو الدلائل
النظرية أو بارسال الرسل وهى اما عامة تعريف طريق الخير والشر وهو اما تبيانى شرح
ما جاؤا به بحيث لا يتطرق اليه الاحتمال ويدخل فيه الابتلاء واما توفيقى وهو الاخذ والتمسك
بهدى الانبياء الذى يوصل الى السعادة الابدية والاصطفاء اما الى الجنة واما الى الحق واما
خاصة اشراق نور فى عالم النبوة أو الولاية يكشف عن الاشياء على ما هى عليه اما من الله قل
ان هدى الله هو الهدى أو الى الله انى ذاهب الى ربى سيهدين أو بالله لولا الله ما اهتدينا
أو أخص ما يدعيه العبد حالا فحالا من ترقيه فى العلوم و زيادته فى صالح الاعمال والذين

سواء (امطرنا عليهم) يقال لكل شئ من العذاب امطرت بالالف وللرحمة مطرت (اذان من الله) اعلام من الله والاذان والتأذين والايذان الاعلام وأصله من الاذن يقال أذنتك بالامر تريد أوقعته فى اذنك (اقاموا الصلاة) اداموها فى مواقيتها ويقال اقامتها ان يؤتى بها

اهتدوا زادهم هدى ويعدى بالى اذا أريد الايصال الى الطريق و باللام اذا أريد وصف الطريق وبنفسه اذا أريد تسييره فيه الى ان يقطعه ويصل الى المقصود والصراط الطريق الواضح واصله السين سمى به لانه يسرط السابلة اى يبتلعهم وكأنه يشير الى ان من عظمته انه بحيث لا يظهر سالكوه وان بلغوا ما بلغوا من بذل وسعهم فيه والمستقيم ما لا يميل الى جانب وهو ان يأخذ بالاوساط فى الاعتقادات بان لا يقول بنفى الصفات ولا باثباتها على نهج التشبيه ولا بالجبر والتفويض ولا ينفى الرؤية ولا يثبتها على نهج التشبيه برؤية الاجسام والاعراض ولا ينفى الكلام النفسى ولا يجعله نفس العبارات الحادثة وفى الاخلاق بتهذيب الناطقة عن الجربزة وهى استعمال الفكر فيما لا ينبغى والغباوة تعطيله وتهذيب الشهوية مبدأ جذب المنافع ودفع المضار عن الخداعة الوقوع فى ازدياد اللذات على ما لا ينبغى والجمود السكون عما رخص فيه عقلا وشرعا لتحصيل العفة بصرف الشهوية الى مقتضى الناطقة ليسلم عن عبادة الهوى وتهذيب الغضبية مبدأ الاقدام على الاهوال والتسلط والترفع عن التهور الاقدام على ما لا ينبغى والجبن الخوف عما ينبغى لتحصيل الشجاعة وانقياد الغضبية للناطقة ليكون اقدامها واحجامها على حسب الرؤية من غير اضطراب والمطلوب تكثير الادلة أو امتثال جميع أوامره ونواهيه عز وجل أو تميز الطرق الموصلة اليه أو تحصيل الفضائل أو الرتب العالية أو الثبات على ما هو عليه من جملة ادعاء بذلك لانه الحكمة التى هى خروج النفس من القوة الى كمالها الممكن علما وعملا لان من أوتيها فقد أوتى خيرا كثيرا من فضائل الدارين على ما اتفقت الملة والفلسفة عليه وللدعاء تأثير تواتر عن الانبياء والاولياء والحكماء حتى قيل الدعاء لاستجلاب المطالب كالفكر لاستجلاب العلوم وأورد صيغة الامر للاشعار بجزم الطلب واظهار الرغبة وليس بأمر حقيقى لانه تذلل ولا من تذكير الساهى وحمل البخيل على الجود لان الحكمة قد تقتضى منع الطالب اذا لم يتذلل ولا ينافى الرضا بالقضاء لانه قد يكون رضا الله فى وقوعه بعد التذلل والجزم فى طلبه ويجوز أن يشترط وقوعه فى علم الله به ولم يجعله ماضيا لانه يشعر بالتحقيق المنافى للابتهال والتضرع وأورد اهدنا لانه لعل فى الجمع من يستحق الاجابة ولا يليق بالكريم رد البعض أو لانه لما ذكر حمدهم وعبادتهم واستعانتهم دعا لهم ولم يقل واياك نستهدى لان ظاهره خبر يحتمل الكذب ولم يعتبر ذلك فيما تقدم لتلبسه بهما ولم يقل وأرشدنا لان الرشد فوق الهداية فكأنه اعترف بالقصور عن غاية الكمال وان طلب الاستزادة والمراتب العالية ولم يقدم المفعول قصدا الى التخصيص لان غير المستقيم لا يتوهم طلبه ولا يتصور التوهم فى حق الله تعالى ولم يقل مستقيم الصراط لان الاضافة البيانية انما تليق بما يلتبس فيه الموصوف بغيره والاستقامة انما هى وصف الصراط المستعار عن الطريق المحسوس الموصوف بوصفه ترشيحا ولم يقل بنون التأكيد لان كامل الرحمة لا يحتاج الى تأكيد طلبها منه على انه كرر الصراط ثلاث مرات بابداله الصراط وغير المغضوب عليهم ورتب الهداية

يتشوقها كا [illegible] الله تعالى يقال تام الامر وأتام الامر اذا جاء به معطى حقوقه (آتوا الزكوة) اعطوها يقال آتيته أعطيته وأتيته جئته (أواه) دعاء و يقال كثير التأوه أى التوجع شفقا وفرقا والتأوه ان يقول أوه أو وفيه خمس لغات أوه واو وأوه وآه وأوه ويقال هو يتأوه ويتأوى (اسلفت) قدمت (الآن)

على الاستعانة لان الهداية استعانة خاصة وعلى العبادة بواسطتها الانها تفيد الهداية اذا كملت بالمجاهدة المفتقرة الى الاستعانة وعلى مالك يوم الدين بواسطتهما لانه انما يكمل نفعهما يومئذ بواسطة العبادة الكاملة بالاعانة وعلى الرحمتين بواسطة الثلاثة لانه رحم بالهداية العامة والخاصة وبواسطة العبادة والاستعانة من خوف يوم الدين وعلى رب العالمين بواسطة الاربعة لانه انما ربى بالهداية بواسطة رحمته بالعبادة وبالاستعانة من خوف الجزاء وعلى الله بواسطة الجميع لانه لا علاقة له بالعالم سوى الربوبية فاذا تعلق رحمه وكملت رحمته باصلاح الاعتقادات والاخلاق والاعمال من التخويف بالجزاء الداعى الى العبادة والاستعانة

(صراط الذين أنعمت عليهم) قد مر ان النعمة مايطلب ويؤثر والحقيقية هى السعادة الابدية والمجازية مايوصل الى العامة والمنعم عليهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون فالنبى انسان كمله الله بلا واسطة تربية بشر بل بتأثير نور القدس فيه فى القوة النظرية المتجلى فيها صورة الاشياء بحيث لا يتطرق اليها الغلط والعملية جعلت ملكة يقتدر بها على اعمال صالحة منفرة عن اللذات البدنية مرغبة فى اللذات الروحية ثم بعثه لتكميل الخلق فيما وصدقه بمعجزة أمر تخرق العادة المشهورة تظهر من نفس خيرة تدعو الى الخيرات مقرونا بدعوى النبوة على وفقها يتحدى به من غلب عليهم نوعه ويتعذر معارضته فالامر يعم القول والفعل والترك كالقرآن واجراء الماء من الاصابع وترك الطعام مدة مديدة والتقييد بالمشهورة لانه يعتاد ظهور الخارق من الانبياء والاولياء امكنه نادر وبالنفس الخيرة للتحرز عن خوارق المتاله لان دلالة الخارق فى حقه معارضة بما يقطع ببطلان دعواه وبالدعوة الى الخيرات عن السحر اذ لا يتأتى للساحر الدعوة اليها عادة وهو وان خرج بقيد خيرية النفس الا ان شريتها ربما لا تظهر بخلاف المتاله وباقتران دعوى النبوة عن الكرامات وبكونها على وفقها عن يقول آية نبوتى ان ينطق هذا الحائط فنطق بانه كذاب وبالتحدى عن الارهاص وبتعذر المعارضة عما يستعان فيه بخواص الاشياء وبغلبة النوع كالسحر والطب والفصاحة فى عهد موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام اذ لا عبرة بتحدى الغير وقد يزاد قيد أن يكون فى زمن التكليف احترازا عن خوارق الآخرة واشراط الساعة ولا حاجة الى ذلك لخروجها بما مر وقد جرت سنة الله تعالى بخلق العلم الضرورى فمن شاهدها أو سمعها بالتواتر بصدق من ظهرت على يديه فكانت كصريح التصديق منه * قال الراغب لكل نبى آيتان عقلية يعرفها البصراء كالانوار الرائقة عليهم والاخلاق الكريمة لهم والعلوم الزاهرة بان يكون كلامهم ذا حجة وبيان يشفى السامعين وهذه أحوال لا يطلب معها بصير معجزة الا عنادا والثانية معجزة لابد للقاصرين عن ادراك الفرق بين كلام الله والبشر عن طلبها وقال بعض المحققين القاصر يستدل بالمعجزات على الاعتقادات الصائبة والاعمال الصالحة والكامل يستدل بكمالهما فى شخص على صدقه ووجوب اتباعه اذ الامراض الروحانية غالبة على الاكثر لنقصانهم فى القوتين فاذا رأينا من يعالجها ويكمل النفوس علمنا انه طبيب حاذق ونبى صادق ثم النبوة

تعاضد

أى فى هذا الوقت والآن هو الوقت الذى أنت فيه

(اخبتوا الى ربهم) تواضعوا وخشعوا لربهم ويقال اخبتوا الى ربهم اطمأنوا الى ربهم وسكنت قلوبهم ونفوسهم اليه والخبت ما اطمأن من الارض

(اراذلنا) الناقصو الاقدار فينا

(أوجس فى نفسه خيفة) احس وأضمر فى نفسه

تعاضد العقل فيما يستقل كوجود الباري وتفيده بما لا يستقل كالكلام والرؤية والمعاد الجسماني وبيان تفاصيل الثواب والعقاب على الاعمال وبيان حال أفعال تحسن تارة وبقبح أخرى على ان الاكتساب بالعقل لا يتأتى لمن خلا عن صناعة النظر ويفوت اكتساب أسباب المعاش والصديق من احترز عن الكذب والمعاريض الاعند الضرورة وأخلص فلا يمازجه حظ النفس ولم يتردد في عزمه واستوى سره وعلانيته وكان له غايات مقامات الدين والشهيد من تحقق بالمشاهدة قلبه والصالح من طهر ظاهره عن المعاصي وباطنه عن الاعتقادات الفاسدة والاخلاق الرديئة ويشملهم اسم الولي وهو المقبل على الله بكل حال وقد يكون له كرامة أمر خارق للعادة خال عن دعوى النبوة مقرون بالتزام متابعته فخرج بالخلو المعجزات وبالالتزام الاستدراج ومؤكده تكذيب الكذاب كصيرورة العين الصحيحة عورا بدعوة مسيلمة لتصحيح العوراء ويسمى اهانة وما وقع تخليصا للمؤمنين ويسمى معونة ولا كرامة بدون الايمان ومتابعة الشريعة فاذا رأيت من يصدر عنه الخوارق غير مستقيم فذلك من تعلقه بالشيطان فانه يعطي الخبيث الخوارق كما يعطيها الله تعالى الطاهر بالحاقه بافق الملائكة ❊ قال الامام حجة الاسلام في منهاجه من نعم الله عليهم ان يثني عليهم ويعظمهم ويحبهم ويتوكل أمرهم ويتكفل برزقهم ويكفيهم من أعدائهم ويكون انيسهم ويعز نفوسهم فلا يرضون بخدمة الملوك لهم ويرفع هممهم عن التلطخ بقاذورات الدنيا ويغنيهم وينور قلوبهم فيكشف لهم عن علوم لا يصل غيرهم الى بعضها الا بجهد جهيد في عمر مديد ويشرح صدورهم فلا تضيق عن الدنيا ومصائبها ومؤن الناس ومكايدهم ويجعل لهم مهابة في قلوب الجبابرة ويحمل الناس على حبهم ويبارك في كلامهم وانفاسهم وافعالهم واماكنهم وفيمن صحبهم أو رآهم ويسخر لهم البر والبحر ويسيرون في الهواء ويمشون في الماء ويقطعون الارض في أقل من ساعة ويسخر لهم الحيوانات ويملكهم مفاتيح الارض فحيث ضربوا أيديهم فلهم فيه كنز وأرجلهم فلهم فيه عين وأينما نزلوا فلهم فيه مائدة ان شاؤا ويجعل لهم جاها عنده ليستنجح بهم الحاجات ويجيب دعوتهم ولو أشاروا الى جبل لزال ثم يهون عليهم سكرات الموت ويثبتهم على الايمان ويرسل اليهم الروح والريحان بالبشرى والامان ويخلدهم في الجنان ويعظم ملائكة السموات أرواحهم والناس جنائزهم ويزدحمون في الصلاة عليهم ويؤمنهم فتنة القبور ويوسعها لهم وينورها ويؤنس أرواحهم فيجعلها في أجواف طيور خضر ويحشرهم في عز وكرامة من حلل وتاج وبراق وبيض وجوههم ويؤمنهم من أهوال يوم القيامة ويعطي كتبهم بأيمانهم وييسر حسابهم ومنهم من لا يحاسب ويثقل ميزانهم ومنهم من لا يوقف للوزن ويوردهم الحوض على النبي صلى الله عليه وسلم ويجيزهم الصراط وينجيهم من النار ومنهم من لا يسمع حسيسها ويحمدله ويشفعهم كالانبياء ويعطيهم ملك الابد ويحل لهم الرضوان الاكبر ويلقون رب العالمين هذا مع ما سبق في بحث الحمد ❊ وكرر الصراط ليشير الى ان المنعم عليهم انما أنعم عليهم بالسعادة الاخروية ووسائلها لسلوكهم

خوفا (امر باهلاك) من
بهم ليلا يقال سرى
وأسرى لغتان (آوى الى
ركن شديد) أنضم الى عشيرة
منيعة وقوله تعالى فتولى
بركنه أي بجانبه أي
أعرض (أدلى دلوه)
أرسلها ليملأها ودلاها
أخرجها (أشده) منتهى
شبابه وقوته واحدها
شد مثل فلس وأفلس
وشد كفهم لهم فلان ودى

الصراط المستقيم ثم الابدال اطناب وحذف العامل ايجاز ففيه ايهام الجمع بين النقيضين وحذف المعمول أيضا ايجاز ففيه ايهام الجمع بين المثلين ثم انه تخصيص بعد التعميم ان اريد المستقيم فى الجملة لان هذا فى أعلى مراتب الاستقامة لاختصاصه بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين فان اريد كامل الاستقامة فهو تفصيل للمجمل ثم انه جمع فيه بين فعل العبد أى الاستقامة وفعل الرب أى الانعام واضافة الصراط تتضمن تعظيم المضاف بانه لايسلكه أحد الامن انعم عليه أو المضاف اليه بانهم الذين يطلب من الله التوفيق لمتابعتهم ولم يقل من انعمت عليهم لاحتمال ان يكون نكرة موصوفة فلا يفيد العلم بكونهم معروفين بالانعام عليهم لكنه شرط طلب المتابعة لامتناع طلب متابعة المجهول حاله واسند الانعام الى الذات اشعارا بكماله وخاطب لئلا يرجع الى الغيبة بعد الحضور فانه قصور ولم يقدم عليهم لان التخصيص مانع لطلب المثل وجعله ماضيا لئلا يتوهم انه مشكوك فيه شك المستقبل وحذف مفعول الانعام ليشمل الدنيوية والاخروية ان جعل مطلقا فى قوة العام أو ليكون كناية عن المقيد الذى هو السعادة الاخروية أو ليذهب وهم السامع كل مذهب ممكن وقابل بين الانعام والغضب والضلال لانهما سببا الانتقام فكانهما نفسه وجعل الواحد مقابل الاثنين اشعارا بغلبته لان الرحمة سابقة وسيأتى تمام تحقيقه (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) الغضب كيفية نفسانية يغلى منها دم القلب فتفزح النفس عنه دفعا للمكروه وقهر السببه وأول فى حق الله تعالى بالانتقام أو ارادته وقال الامام حجة الاسلام وهو نسبة مشيئة الله الى من استعمل اسباب الحكمة دون غايتها ومبدؤه الكفران ويترتب عليه اللعن والمذمة ويقابله الرضا نسبة مشيئته تعالى الى من استعمل اسباب الحكمة لاتمامها ومبدؤه الشكر ويترتب عليه الثناء والعطاء والضلال سلوك طريق لايوصل الى المطلوب اما الغفلة كايثار اللذات الحسية على الروحانية ايثار الصبى اللعب على السلطنة أو الغرور بكون النفس الى ماتهواه أو لشبهة ككون النقد خيرا من النسيئة والدنيا نقد وهو غلط فان العشرة النسيئة خير من نقد الواحد عند التيقن والآخرة يقين عند البصراء من الانبياء والاولياء والعلماء وعلى القاصرين تقليدهم كما ان على المريض تقليد الطبيب فان كان شكا فالمريض يتيقن بشاعة الدواء ويشك فى الشفاء أو اغلبه هوى عليه يضيق صدره عن الخير ويشرحه للشر فان استمر عليه أورثه رينا ثم غشاوة ثم طبعا ثم ختما ثم قفلا ثم موت القلب فلا ينفعه الآيات والنذر وفى عكسه ان صبر على اقتراف الحسنة أورثه حسنا ثم انشراح صدر ثم يصير كحنا للتقوى ثم ينزل عليه سكينة تهزه فان انتهت صارت عصمة ٭ وفسر البيضاوى المغضوب عليهم بالعصاة والضالين بالجاهلين بالله لان المنعم عليه من جمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به فيقابله من أخل باحدهما فالمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه وبالعقل جاهل ضال وأقول المغضوب عليه المعاند فى الكفر تقليدا أو تقصيرا او المتعمد بالمعاصى والضال الواقع فى الكفر تقليدا أو تقصيرا فى النظر وفى المعاصى اعتمادا على كرم الله وعفوه

والقوم اولى وشدة وأشد مثل نعمة وانعم ويقال الاشد اسم واحد لاجمع له بمنزلة الآنك وهو الرصاص والاسرب وهو القزدير وذكر عن مجاهد فى قوله تعالى ولما بلغ أشده قال ثلاثا وثلاثين سنة واستوى قال أربعين سنة واشد اليتيم قالوا ثمان عشرة سنة (أكبرنه) اعظمنه

اوالمغضوب عليه الكافر والضال المبتدع أوالمغضوب عليه المنتقم منه والضال المخطئ
أعم منه ومن المعفو عنه وهذا أقرب تحذرعن متابعتهم لانها كمتابعة أعداء الملوك بجعل
التابع في حكم المتبوع وابتدأ باسم الله وحمده وانتهى بذم الغضب والضلال لان مطلع
الخيرات الاقبال على الله وتمامها بالسلامة عن الغضب والضلال وفيه اشارة الى سبق الرحمة
ثم ان جعل غير بدلا فكأن الداعى رأى قصورنفسه عن سلوك صراط المنعم عليهم فاعرض عن
طلبه واخذيطلب السلامة وان جعل وصفا باعتبار اشتهار المضاف اليه بمغايرة الموصوف
بان يكون تعين المغضوب عليهم ولا الضالين بالمخلين باحدى القوتين مثل تعين المنعم عليهم
بالجمع بينهما كمالا فهو طلب الجمع بين سلوك طريق المنعم عليهم والسلامة عن طريق غيرهم
اذقديعطيان خوارق يتوهم انهم أنعم وكرامات ولفظة غير تشعر بالمغايرة الكلية وزيادة
لامشعرة بان المطلوب الاخلاء عنه سواء قارنه الغضب أم لاثم انه نسب الانعام الى الحق لانه
تفضل به دون الغضب لانه سبب فعل المغضوب عليه فهو كالفاعل الحقيقى له على ان نسبة
الغضب الى الله يؤيس من رحمته ولم يقل غيرالذين غضبت عليهم لانه يخص الاحترازعن المعلوم
والمقصود التعميم ولم يقل غير مغضوب عليهم لئلا يتوهم اختصاص الهرب من قوم دون
قوم ثم المغضوب عليهم مجاز مرسل تجوزه تابع لتجوز الغضب ان أريد المنتقم منهم ثم الاصل
ان يجعل المغضوب عليهم فى مقابلة المنعم عليهم والضالون فى مقابلة الهداة لكن لما جعل
المنعم عليهم هداة يطلب صراطهم قابل المنعم عليهم بهما مقدما لما يقابل الصريح أو يقال
المنعم عليه لما كان هو الجامع بين القوتين قوبل بهما وقدم الاهم وهو من استولى عليه
الغضب بحيث لا يرجى انفكاكه عنه بناء على انه الكافرثم عم بما يعمه والفاسق ولم يقل
ولا المضلين لان الاضلال وان كان من الله لكنه بعد اختيارهم فهم أولى بنسبته اليهم (آمين)
ليس من القرآن وفاقا لم يكتبه الاولون فى مصاحفهم بمعنى استجب أو كذلك افعل او قاصدين
نحوك أو عاجزين عن بلوغ الثناء عليك أو راجين اجابة الدعوة أو مشتغلين بها عن سائر
الاشياء أو راضين بما قضيت لنا أو علينا وبالجملة ففيه رجوع الى الله وادامة الافتقار اليه
وهو أصل كل خير وبه يتم سلوك طريق الحق ويسلم من الآفات سلمنا الله عنها بمحض فضله
ومنه انه أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة البقرة)

سميت بها لدلالة قصتها على وجود الصانع اذحياة القتيل ليست من ذاته والالحيي كل قتيل
ولا بضرب بعض البقرة عليه والالحصلت متى ضرب وعلى قدرته لانه أحيي بمحض قدرته
لا بهذا السبب بل عنده وعلى حكمته لانه اشار بذلك الى احياء القلب بذبح النفس الامارة
المظلمة له وعلى النبوة لكونها معجزة وفيها اشارة الى وجوب طاعة الانبياء من غير تفتيش
لتقل المؤنة ولا تقع الفضيحة التى وقعت للقائلين أتتخذنا هزوا وعلى الاستقامة لان طلب
الدنيا ذلة وطلب ما سوى الله شبهة وعلى ان المجاهدة تفيد الهداية وعلى شرائط ذلك بكونها فى

(اصب اليهن) امل اليهن يقال اصباني فصبوت أي حملني على الجهل وعلى ما يفعل الصبي ففعلت (اضغاث احلام) اخلاط احلام مثل اضغاث الحشيش يجمعها

غير زمن الشيخوخة لان قلع أصول الهوى بعد استحكامها وضعف النفس القالعة لها بعيد جدا ولا فى زمن سكر الشباب لقلة العقل المحارب للهوى مع التزين بصفرة الصلاح وهى التى تسر الناظرين وعلى المعاد بعود الحياة الى القتيل وسائر ما فى السورة مقدمات أو مقدمات لهذه الامور

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اى باسم الله الذى تجلى بذاته وصفاته فى كتابه الشامل على بيان كمالاته الرحمن بنفى الريب عنه بجعله معجزا للكل الرحيم بجعله هدى للمتقين (الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى) اى الاصل اللازم للمستدل ذلك الكتاب البعيد درجة كماله لجمعه ما فى الكتب الالهية قبله مع رفعه كل ريب باقامة الحجج ورفع الشبه مؤيدا بالاعجاز وتصديق الكتب الالهية له قبله وكشوف الاولياء بعده بل انما يعرف صدق الجميع به والادلة العقلية المحضة قلما تخلو عن معارضة أو مناقضة أو نقض والنقلية المحضة من سائر الكتب تحتمل التحريف وقد ارتفع من هذا الكتاب ما ذكر مع كمال هدايته لما لا يتناهى من المطالب العلمية والعملية أو أعلى لامع ماح للظلمات ذلك الكتاب لان فيه أدلة قاطعة مؤيدة بما ذكر مع رفع ما يوقع فى الريب حتى يفيد الهداية الكاملة أو أتم لطف مفيد للكمالات لانه أفاد بالفاظ قليلة ما لا يتناهى من العلوم مؤيدة بنفى الريب وتكميل الهداية أو أساس لب للمطالب العالية لان فيه الادلة الاولية التى لا ريب فيها مع انتاجها أكثر الغوامض التى هى لب المطالب العالية أو غير ذلك مما يناسب المقام (للمتقين) المتقى من وقى نفسه عما يضرها فى الآخرة من اعتقاد وخلق وعمل كملت هدايتهم لانهم لما اتقوا لم يعطلوا النظر ولم يقصروا فيه ولا الجوارح ولم يتركوا الاخلاق الرديئة فيها وغيرهم يتمسكون بالشبهات الداعية الى التعطيل والتقصير والترك اما الاعتقادات فلانهم (الذين يؤمنون بالغيب) الايمان هو التصديق بما علم بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عدى بالباء لتضمنه معنى الوثوق أو الاعتراف والغيب ما خرج عن ادراك الحواس الظاهرة والباطنة كالصانع والملائكة واليوم الآخر والقدر والكتب والرسل من حيث اضافتهما الى الله اعتبر ليبقى اختيار المكلف والهداية فى ذلك الاطلاع على حقائق وتفاصيل من ذلك (و) أما الاعمال فلانهم الذين (يقيمون الصلوة) اى يحفظونها من كل خلل فى عمل القلب واللسان والجوارح فريضة أو عزيمة أو بعضا أو هيئة أو شرطا أو أدبا بكل حال يهتدون فيها الاسرارها كدلالة الطهر على الحدث والخبث على الطهر عن علائق الحوادث من جهة خبثها المناسب الحق المنزه فيصلح لخدمته وتوجه الظاهر الى القبلة التى هى منشؤه على توجه الباطن الى جناب الحق الذى هو منشؤه ويؤيده شغل اللسان بدعاء الاستفتاح ودلالة القيام على الاستقامة والتكبير على استصغار ما سواه للاعراض عنه ويؤيده رفع اليدين ودلالة الثناء باللسان الذى هو ترجمان القلب على ميله بالكلية اليه ويؤيده الخطاب والتخصيص بالعبادة والاستعانة والتضرع اليه بها وبسؤال

الانسان فيكون فيها ضروب مختلفة واحدها ضغث وهو ملء كف منه (اعصر خمرا) أى استخرج الخمر لانه اذا عصر العنب فانما يستخرج الخمر ويقال الخمر العنب بعينه حكى الاصمعى عن معتمر بن

الهداية وبالتعوذ من طريق أهل الغضب والضلال ودلالة الركوع على الانكسار لعظمته والاعتدال على الاستقامة فيه والسجود على التذلل بعد الانكسار والجلوس على التقرب بالسجود والسجود الثانى على رفع التكبر بالتقرب (و) أما الاخلاق فلانهم الذين (مما رزقناهم ينفقون) الرزق ما ساقه الله الى الحيوان لينتفع به ونسبه الى عظمته ليدل على عظم فيضه تسهيلا للانفاق منه ويدخل فيه انفاق المال تطهيرا للشهوية عن البخل وتحصيلا للسخاء ببذل الزكاة والفطرة وصدقة التطوع والوقف وبناء المساجد والمدارس والقناطر وفى الحج والجهاد وأشار الى منع الاسراف فى الانفاق على النفس والاهل وغيرهم بمن التبعيضية وبذل الروح فى سبيل الله تطهيرا للغضبية عن الجبن وتحصيلا للشجاعة فاستكمل بذلك القوتين بعد استكمال الحكمية بما مر (و) كيف لا يكون هذا الكتاب هدى الى ما لا يتناهى وهو يوجب الايمان بكل ما أنزل اليك منه ومن السنة وبما أنزل على الانبياء من كتبهم وسننهم من قبلك فلا شك أن (الذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) أحاطوا بالهدايات كلها كيف (و) قد زاد أهل هذا الكتاب بمزيد تفصيل وتحقيق للامور الاخروية فلا شك أنهم (بالآخرة هم يوقنون) فان لم يطلعوا على تفاصيل هدايات سائر الكتب فلا شك ان (أولئك) مستولون (على هدى) عظيم (من ربهم) الذى ربى الامم كلها بتلك الهدايات بالايمان بها اجمالا بل بما كان هذا الكتاب شاملا على ما فيها (و) ليست شاملة على ما فيه فلا شك أن (أولئك هم المفلحون) بالهدايات كلها بل لا هداية لهم أصلا لان الكفر بهذا الكتاب يستلزم الكفر بها على انه ضلال لا يوازيه تلك الهدايات (ان الذين كفروا) بهذا الكتاب لم يكن كفرهم لشبهة عرضت لهم فى اعجازه بعد النظر فيه بل لتركهم النظر أو لعنادهم ولا يكادون ينظرون أو يتركون العناد وان خوفتهم من ذلك وعرفوا صدقك بل (سواء عليهم) انذارك وعدمه بحيث يشك فيه (أأنذرتهم أم لم تنذرهم) لانهم سواء ظهر لهم الدليل أم لا (لا يؤمنون) والكفر انكار شئ مما علم بالضرورة كونه من دين محمد عليه السلام بأن لا ينقاد له عرف حقيته أو اعترف بها أم لا ثم أشار الى أن الدلائل وان كانت قطعية فانما تفيد من فتح الله عليه باب النظر وهؤلاء (ختم الله على قلوبهم) أى جعلها كالمستوثقة بالختم فلا يستدلون بأنفسهم (و) لا يسمعون الى المستدلين لان الله ختم (على سمعهم و) لا يبالون بكمال المستدلين اذا رأوه اذ (على أبصارهم غشاوة و) ليس لهم أن يعتذروا بعدم اطلاعهم على حقيته بل (لهم عذاب عظيم) لان ذلك كان من تقصيرهم وعنادهم وكان من وجوه كثيرة ثم ان الختم والغشاوة لم يكونا لخفاء الاعجاز لانه ختم عليهم وغشى بالنسبة الى أظهر الاشياء وهو الله تعالى وحكمته المقتضية للجزاء وان ادعى بعضهم ظهورهما له (و) ذلك أن (من الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) بهما فى الباطن مع غاية وضوحهما ثم من شدة ختمهم وغشاوتهم انهم يظنون أنه لو تحقق الله والجزاء لتمسكا عليه بايمانا فى الظاهر

سلمان قال لقيت اعرابيا ومعه عنب فقلت له ما معك فقال خمر (آوى اليه أخاه) ضمه اليه وأوى اليه انضم اليه (آثرك الله علينا) فضلك الله علينا ويقال له علينا أثرة أى فضل (أناب) تاب والانابة الرجوع عن منكر (أشق) أشد (أصنام) جمع صنم والصنم ما كان

كما تمسك به على المؤمنين فى حقن الدماء والاموال فهم فى زعمهم (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم) لان الله تعالى أعلى من أن يخدع و يظهره على المؤمنين وان أجر وهم مجرى أنفسهم و يقع خداعهم بأنفسهم اذ يرونها ذلك كالداتهم فى تركهم النظر بالكلية (وما يشعرون) بخداعهم لانفسهم مع غاية ظهوره وانما لايظهر لهم اذ (فى قلوبهم مرض) هو تفريطهم فى القوة الحكمية فيما ألفوه من دين آبائهم وافراطهم فى الشهوية والقرآن وان كان شفاء الا أنهم لما أبغضوه لم يستعملوا النظر فيه (فزادهم الله مرضا) بافراط الغضبية (و) عدم النظر لو صلح عذرا فى عدم الايمان فليس بعذر فى التكذيب فلا محالة (لهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) لانه تكذيب بلا دليل بل مع الدليل على صدقه وهو الاعجاز (و) لعدم شعورهم بالمرض (اذا قيل لهم لاتفسدوا فى الارض) من افراطكم فى الشهوية والغضبية وتفريطكم فى الحكمية بترك الانقياد للشرائع التى بها انتظام أمر الدارين وتحقق الانسانية (قالوا انما نحن مصلحون) أى مقصورون على الاصلاح لا نا نرجع الامر الى ما كان عليه فى الازمنة الماضية (ألا انهم هم المفسدون) لان ذلك الامر كان فسادا مستمرا ازاله الله ببعثة الرسل فلما استرجعوه كانوا مفسدين بعد الاصلاح وهو أتم من ترك المستمر (ولكن لايشعرون) من مرض قلوبهم انه مخل بانتظام أمر الدارين و بتحقق الانسانية مع ظهوره (واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس) الذين قصدوا اصلاح نظام الدارين وتحقق الانسانية اذ به الانقياد لقواعد العدل التى بها الانتظام والتحقق (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) الذين من سخافة رأيهم لم يستوفوا فوائد الشهوية والغضبية (ألا انهم هم السفهاء) بترك تعديلهما واتباعهما للحكمية وهو أتم استيفاء لمن تأمل حق التأمل (ولكن لايعلمون) لتركهم التأمل بالكلية ثم أشار الى أن قولهم أنؤمن كما آمن السفهاء ليس بطريق التصريح بل مقتضى عباراتهم (و) ذلك انهم (اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) بالجملة الفعلية الماضية من غير تأكيد لعلمهم بقبولهم له عن سفاهتهم اذ يحقنون بمجرد ذلك دماءهم وأموالهم مع ظهور افسادهم (واذا خلوا) أى مضوا خالين عن حضور مؤمن معهم (الى شياطينهم) أى الذين ماثلوا الشياطين فى التمرد (قالوا انا) وان أظهرنا الايمان لهم حينا مستمرون على الكفر (معكم) فى أعلى مراتبه فأكدوا لهم بالجملة الاسمية لاعتقادهم كمالهم بحيث لايقبلون منهم ذلك القول مع اظهارهم الايمان من غير تأكيد ومع ذلك يعتقدون فيهم انهم يعترضون عليهم بلسان الحال ما لكم تظهرون الايمان لهم فيقولون (انما نحن مستهزؤن) أى مستخفون بهم لاغترارهم بمجرد قولنا المخالف لفعلنا فقال عز وجل ان كان المؤمنون محل استهزائهم حينا مع غاية جهلهم فهم محل استهزاء الله علام الغيوب استهزاء مستمرا بتجدد الامثال اذ (الله يستهزئ بهم) بحقن دمائهم وأموالهم ليزدادوا نفاقا فيزدادوا عذابا هو أشد بلا امن ذهاب الاموال والدماء المؤلم أيام الحياة الدنيا (و) يدل

عليه

معمورا من حجر أو صفر أو نحو ذلك والوثن ما كان من غير صورة (أصفاد) أغلال واحدها صفد (أسقيناكموه) تقول لما كان من يدك الى فيه سقيته فاذا جعلت له شربا أو عرضته لأن يشرب بفيه أو يسقى زرعه قلت أسقيته و يقال سقى وأسقى بمعنى واحد قال

عليه انه (يمدهم) بالتيم مستغرقين (في طغيانهم) مجاوزة الحد في الضلال (يعمهون) أي يترددون مع حدوث الدلائل يوما فيوما فهذا دليل على مزيد عذابهم الذي هو أشد وجوه الاستخفاف وسيفتح لهم في النار بابا الى الجنة كلما صاروا اليه سد عليهم وكيف لا يستهزئ الله بهم وهم أسفه الناس معاملة معه اذ (أولئك الذين اشتروا) أي استبدلوا (الضلالة) أي النفاق (بالهدى) أي الايمان الذي أنطق الله به ألسنتهم وفيه ربح الدارين وفي الضلالة خسرانهما فان لم يكن خسران الدنيا (فما ربحت تجارتهم) أي ما كانت سبب ربح الدنيا وقد خسروا الآخرة اذ ضيعوا رأس مالها (و) هو الهدى لانهم (ما كانوا مهتدين) بمجرد النطق بالايمان وان كان هدى في نفسه كيف وقد استبدلوه بتكذيب الباطن فلم يربحوا شيأ وقد خسروا سعادة الابد التي لو استبدلوها بسعادة الدنيا كان عين الخسران العظيم فكيف اذا لم يحصل أيضا وأي سفه أعظم من ذلك (مثلهم) أي صفتهم العجيبة الشأن في اشتراء الضلالة المظلمة بالهدى المنير (كمثل الذي استوقد نارا) أي طلب الوقود ليرتفع لهب النار لمزيد الانارة اذا ادعوا لانفسهم قوة الايمان الذي هو في الانارة المعنوية مثل النار في الحسية أو أشد (فلما أضاءت) النار (ما حوله) أي حول المستوقد فابصر ما فيه اطفأ النار على ظن انه لم يبق له اليها حاجة كذلك اطفاء هؤلاء مصباح الايمان من باطنهم على ظن انه لا يحتاج اليه الا في حقن الاموال والدماء مما حول النفس وقد حصل كالابصار للمستوقد فلما ماتوا (ذهب الله بنورهم) أي بفائدته من حقن الدماء والاموال (وتركهم في ظلمات) ظلمة الكفر وظلمة أهوال يوم القيامة وظلمة غضب الله وعقابه بحيث لا يعقبها نور اذ (لا يبصرون) خلاصهم عنها فهذا مثلهم لو سمعوا لكنهم (صم) ولو سمعوا لم ينطقوا بما يزيله من الايمان الخالص لانهم (بكم) ولو أمكنهم النطق به لم ينطقوا اذ لا يرون حسن الايمان وقبح النفاق لانهم (عمي فهم) وان أمكنهم الاقالة (لا يرجعون) عن ضلالتهم الى هداهم (أو) مثلهم في اشتراء الضلالة بالهدى (كصيب من السماء) أي كمثل مستبدل مكان مطر كثير من السماء وهو نظير الاسلام الذي هو مكان مطر العلوم النافعة بمكان لا صيب فيه وهو نظير الكفر الذي ليس في مكانه مطر علم نافع استبدلوا مكان الصيب بما فيه من أذيات اذ (فيه ظلمات) ظلمة تتابع القطر وظلمة الغمام وظلمة الليل (ورعد) هو الصوت المسموع من السحاب باصطكاك أو خرق (وبرق) ما يخرج منه من الاجزاء المحترقة الدخانية التي فيها دهنية بالحرق ولا شيء من ذلك في مكان لا صيب فيه كذلك في الاسلام أذيات مطا عن الجهال والجهاد والهجرة عن الاهل والاموال ورعد الوعيد على المعاصي وبرق الدلائل المانعة من استيفاء الشهوات وامضاء الغضب بل كما أن الهاربين من مكان المطر (يجعلون أصابعهم) أي أناملهم (في) صماخ (آذانهم) خوفا (من) تأثير أصوات (الصواعق) جمع صاعقة نار تنزل من السحاب يجعلونها فيها (حذر الموت) من تأثيرها فكذلك هؤلاء يجعلون أصابعهم

لبيد
سقى قومي بني مجد وأسقى
نميرا والقبائل من هلال
(أرذل العمر) الهرم الذي ينقص قوته وعقله وبصره
الى الخرف ونحوه (أثاث) متاع البيت واحدها
أثاثة (أكنان) جمع كن وهو ما ستر ووقى من الحر والبرد (أنكاث) جمع نكث

في آذانهم من سماع الوعيد لئلا يلجئهم الى اخلاص الايمان الذي يرونه موتا بفوات ما ألفوه من دين آبائهم (و) هؤلاء وان هربوا من سماع الوعيد فلا يفوتونه اذ (الله محيط بالكافرين) محيط بهم قهره أينما هربوا لانه كما يخاف الهاربون من المطر لاجل البرق اذ (يكاد البرق يخطف) أي يعمي (أبصارهم) كذلك هؤلاء يخافون من برق الدلائل أن يخطف أبصار شبهاتهم وكان الهاربين من المطر (كلما أضاء) العالم بالبرق (لهم مشوا فيه) كذلك هؤلاء المنافقون اذا رأوا غلبة نور الاسلام مشوا فيه (و) كان الهاربين (اذا أظلم) العالم (عليهم) بذهاب البرق (قاموا) كذلك هؤلاء اذا ظهرت لهم أذية قاموا في كفرهم ظاهرين به فهذا مثالهم لكنهم لا يسمعونه ولا يبصرون ما فيه لذهاب سمعهم وأبصارهم الباطنة (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) الظاهرة أيضا كما لو شاء لذهب بسمع الجاعلين أصابعهم في آذانهم من الصواعق وأبصار الخائفين من البرق بل لو شاء لذهب بهما من غير صاعقة ولا برق (ان الله على كل شيء قدير) فلا يحتاج الى سبب ولا يمنعه مانع ثم أشار بأن هذا التمثيل لا يفيد علما فلا يعارض الدليل القاطع على وجوب عبادة الله بالاسلام له والانقياد لاحكامه فقال (يا أيها الناس) أي يا من نسي الاصل الذي يتمسك به في مثل هذه المواضع فتمسك بهذا التمثيل الضعيف (اعبدوا ربكم) فان مقتضى حقيقة الرب أن يكون معبودا وحقيقة العبد أن يكون عابدا سيما اذا أنعم عليه بأجل النعم وهو الايجاد وما يتوقف عليه اذ هو (الذي خلقكم والذين من قبلكم) من مقدمات وجودكم فهذا الخلق يقتضي أجل وجوه الشكر وهو العبادة (لعلكم تتقون) سخطه بترككم مقتضى ربوبيته وعبوديتكم واهمالكم شكر اجل نعمه ثم التمثيل مقلوب عليكم على أبلغ الوجوه وهو أن ما جعلتموه مشبها به للهرب عن الاسلام أولى بأن يكون من أسبابه باعتبار ذاته ومبدئه ومنتهاه وما يحصل منه اذ هو (الذي جعل لكم الارض فراشا) أي وطاء قرركم عليها بأن جعل بعض أجزائها بارزة عن الماء مع اقتضاء طبعه الاحاطة بها وجعلها بين الصلابة واللطافة لتقعدوا وتناموا عليها كالفراش (والسماء بناء) أي سقفا مرفوعا تستظلون به عن أشعة أنوار الملائكة العلوية (وأنزل من) بعض أوضاع (السماء) في حال حركاتها (ماء) لانبات النبات الحامل مواد الثمرات (فأخرج به من الثمرات) اذ جعل في الماء قوة فاعلة وفي الارض قابلة يتولد من اجتماعهما أنواع النبات والثمار ليكون (رزقا لكم) وكما تفرد بهذه الانعامات أفردوه بالعبادة (فلا تجعلوا لله أندادا) أي امثالا في استحقاق العبادة فضلا عن الاشتراك في الالهية أو الصفات الكمالية (وأنتم تعلمون) انه لم يخلقكم ولا من قبلكم ولا السماء ولا الارض ولا أنزل الماء ولا أخرج الثمرات وهذا هو الاسلام الذي يقتضيه المطر مع لواحقه ولم يمنع طاعة الغير اذ هي امتثال أمر من له الامر كالرسول والحاكم بخلاف العبادة فانها غاية التذلل فلا يستحقها الا من له غاية العظمة ولما كانت العبادة مقتضى ذات الرب والعبد ومقتضى انعامه عليه لم يكن بد منها في

وهو ما نقض من غزل الشعر ونحوه وغيره (ان تكون أمة هي أربى من أمة) أي أزيد عددا ومن هذا سمي الربا (أمرنا مترفيها) بمعنى واحد أي كثرنا وأمرنا بالتشديد جعلناهم أمراء ويقال أمرناهم من الامر أي أمرناهم بالطاعة اعذارا وانذارا وتخويفا ووعيدا

الحكمة ولما كانت امتثال الامر وهو اما بالكتاب أو بالسنة أو بالاجماع أو بالقياس وأصل الكل الكتاب لم يكن منه بد وما لم يتم شأن هذا الا بنفي الريب عنه نفى عنه باعجازه فقال (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) يشير الى أنه لا ينبغي ان يرتاب فيه لكونه محض الحكمة البالغة فان فرض فلا ينبغي ان يدوم لوجود ما يزيله لحقه المضى فان دام فلا ينبغي أن يحيط بالجوانب احاطة الظرف بالمظروف لظهور محاسنه فان كان فغايته أن يكون نوعا أو فردا منه فان كنتم فيه مع انا جعلناه معجزا حال تفرقته في الانزال فحال الاجتماع أشد اعجازا ودل اعجازه على انه من مقام عظمتنا ولا يبعد لكون المنزل عليه عبدا منسوبا اليه لغاية كماله فان كنتم في ريب منه (فأتوا بسورة) طائفة من القرآن مترجمة أقلها ثلاث آيات من سور المدينة لاحتوائها على علوم واحكام احتواء السور على ما فيه (من مثله) أى مما يماثله بعض المماثلة (وادعوا) ان اتيتم بشئ وزعمتم انه من مثله (شهداءكم) أى من يشهد لكم فالعاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بما يظهر اختلاله (من دون الله) أى مجاوزين شهادته التي يأتي بها العاجز (ان كنتم صادقين) في ان للريب دخلا فيه (فان لم تفعلوا) أى لم تأتوا بعد هذه المبالغة في التحدى مع كثرتكم واشتهاركم بالفصاحة والبلاغة وتهالككم على العناد (ولن تفعلوا) والا لاشتهر لان الطاعنين فيه أكثر ودواعيهم الى التشهير أوفر فيمتنع خفاء المعارضة عادة وقد الجأتم الى جلاء الوطن و بذل المهج ظهر عنادكم مع الله ورسوله (فاتقوا النار التي) هي أثر غضب الله (وقودها) أى ما تتقد به ابتداء (الناس والحجارة) مع انهما سببا انطفاء نيران الدنيا فذلك من غاية شدة حرارتها ولا يتراخى التعذيب بها عن موتكم لانها (أعدت) أى هيئت (للكافرين) أى لتعذيبهم قبل خلقهم فضلا عن كفرهم ومعاصيهم لانه غضب عليهم في الازل تخوفهم به (وبشر) أخبر خبرا يغير بشرة الوجه وغلب في الخير حتى عد وقوعه في الشر تهكما (الذين آمنوا) بالكتاب المعجز (وعملوا الصالحات) التي أمر بها هو أو أحد فروعه من السنة والاجماع والقياس (أن لهم جنات) جنة الفردوس وجنة عدن وجنة المأوى ودار الخلد ودار السلام ودار المقامة وعليون وجنات معارفهم من الكتاب (تجرى من تحتها) أى من تحت اشجارها (الانهار) جمع نهر وهو المجرى الواسع بما أجروا من أنهار الحكمة الى ألسنتهم ثم الى العالم (كلما رزقوا منها) أى من تلك الجنات (من ثمرة رزقا) حقيقيا حسيا أو عقليا أو خياليا (قالوا هذا) جزاء (الذى رزقنا من قبل) من المقامات والاحوال التي هي ثمرات الايمان والاعمال (و) لما كانت لكل عمل ثمرات متشابهة يفضل بعضها بعضا (أتوا به متشابها) يشبه بعضه بعضا في الصور مع التفاوت في اللذات (ولهم فيها) على ما تخلقوا باخلاق الله في الكتاب (أزواج مطهرة) عن الاخلاق الرديئة (وهم فيها خالدون) لغلبة الروحانية على أجسامهم وبقاء هيئات الايمان والاعمال على أرواحهم وقلوبهم ولما كان ذكر الدال على مزيد عنايته بنوع الانسان باصلاح معاشه ومعاده بارسال

فسقوا أى خرجوا عن أمرنا عاصين لذا لحق عليها القول فوجب عليها (أوابين) تواببين الوعيد (أجلب عليهم) اجمع عليهم (أسفا) غضبا ويقال حزنا (أبصر به وأسمع) أى ما أبصره وأسمعه (أعثرنا عليهم) أطلعنا عليهم (أساور) جمع اسورة واسورة جمع سوار وسوار

الرسل وذكر النحل والنمل لبيان عظيم عنايته بأحقر الاشياء حتى الهم الاول طريق تحصيل العسل والثانى شأن سليمان عليه السلام وذكر الذباب والعنكبوت لتحقير الاصنام من يعبدهم حتى كأنهم قالوا لو دل اعجازه على أنه كلام الله دل ذكرها على أنه ليس بكلامه اذ لا يليق لعظمته رد الله عليهم بقوله (ان الله لا يستحيي) أى لا يترك ترك المستحيي اذ هو لازم الحياء الذى هو انقباض النفس عن القبح مخافة الذم (أن يضرب مثلا ما) أى ان يجعل شيأ ما مثلا لآخر أوجار باجراه (بعوضة فما فوقها) فى الصغر مثلا لاحقر الاشياء اذ لاذم فى ذلك اذ الواجب فيه أن يكون على وفق الممثل له من جهة التمثيل الذى يبرز المعنى المعقول فى صورة المحسوس تخليصا للعقل عن منازعة الوهم لكن السامعون قسمان مؤمنون يعتبر بقولهم لجريهم على وفق العقل وكفار لا يعتبر بقولهم لجريهم على خلافه عنادا (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق) أى الثابت الذى لا يمكن تبديله اذ لا يمكن بيان خسة الشئ بتمثيله بأعظم الاشياء (من ربهم) أى الذى رباهم بما بين لهم من مراتب الاشياء ليضعوا كل شئ فى مرتبته (وأما الذين كفروا فيقولون) مع علمهم بحقيته (ماذا أراد الله) مع غاية عظمته (بهذا مثلا) أى بجعل هذا الحقير مثلا مع انه لا يناسب عظمته (يضل به) مع كونه سبب الهداية (كثيرا) يرى تمثيل أحقر الاشياء لبيان حقارته بالشئ المعظم وأشار بقوله كثيرا الى أنه لا يغتر بكثرتهم حتى يحمل قولهم على الصواب فيعتبر ذمهم (ويهدى به كثيرا) يعرفهم حقارة بعض الاشياء ليجتنبوه فضلا عن أن يعبدوه (و) ليس بطريق التحكم اليه لانه (ما يضل به الا الفاسقين) أى الخارجين عن حد العقل لما مر وعن حد الشرع لانهم (الذين ينقضون عهد الله) فى التوراة أن يبينوا أمر محمد صلى الله عليه وسلم وينصروه استعار لابطاله النقض اذ شبهه بالحبل لربطه أحد المتعاهدين بالآخر كقوى الحبل (من بعد ميثاقه) أى من بعد تحقق ما يقع به لوثاقة من المعجزات التى تكفى فى الالزام لولا العهد (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) وهى وصلة الرسل أن لا يفرقوا بتصديق البعض وتكذيب البعض (ويفسدون فى الارض) بتعويق الناس عن الايمان وحثهم على القتال حفظا على الرشا ولكن (أولئك هم الخاسرون) اذ خسروا ديارهم وأموالهم والعقل وفوائد الكتاب والآخرة ثم أشار الى أن الكفر بكتاب الله لبيانه حقارة ما دونه بطريق التمثيل بأحقر الاشياء لئلا يعبدوا عظمة عنايته بأحقرها الحث على عبادته كفر بالله لاستدعائه عبادة الغير دون عبادته على أن فيه تكذيب الله وتكذيب ما بين من كمال معرفته فأنكر الحالة التى يكون عليها الكفر ليكون انكارا له بطريق برهانى فقال (كيف تكفرون بالله) فى الجملة سيما لبيان حقارة بعض الاشياء لئلا يعبدوا عظمة عنايته بأحقر الاشياء الحث على عبادته (و) قد عظمت عنايته بكم اذ (كنتم أمواتا) أى أجساما لا حياة فيها عناصر أو أغذية أو نطفا أو مضغا ثم أمواتا بالجهل (فأحياكم) بنفخ الارواح فيكم وانزال الكتاب عليكم (ثم يميتكم) باذهاب صفات نفوسكم

وهو الذى يلبس فى الذراع من ذهب فان كان من فضة فهو قلب وجمعه قلبة وان كان من قرون أو عاج فهو مسكة وجمعها مسك (أرائك) أسرة فى الحجال واحدها أريكة (أجاجها) واحدها أريكة ويقال (الخاض) جاء بها على غمى (ألجأها) أهش بها الاغصان أضرب بها الاغصان ليسقط ورقها على غنمى

بمقتضى الكتاب وبالموت الطبيعى لالاعدامكم بل لينقلكم الى دار أكمل من داركم (ثم يحييكم) بصفاته بمقتضى الكتاب وبالنشر ولا يكون كالاحياء الاول مع الحجاب (ثم اليه ترجعون) بالبقاء به بعد الفناء بمقتضى الكتاب وفى الموت الطبيعى للجزاء الفارق بين الولى والعدو ولا يترك ذلك لانه قد خلق لكم جميع النعم فلابد ان يسألكم عنها هل صرفتموها فيما خلقها من أجله أم لا اذ (هو الذى خلق لكم) أى قدر لنفعكم (ما فى الارض جميعا) حتى السموم والقاذورات اذ ينتفع بها فى بعض الادوية وقد خلق فيكم اسرار جميعها (ثم استوى) أى توجه (الى السماء) لتضمنها أسباب تحصيلها (فسواهن سبع سموات) أى جعلهن سبع سموات معتدلة لا عوج فيها ولا فطور ليحصل من أوضاع كواكبها السيارة الاشياء المكنونة فى الارض وخلق فيكم اسرارها أيضا وانما خص السبع لغلبة تعلق الآثار السفلية بكواكبها وليس فى الآية نفى الزائد (و) ذلك لعلمه بربط كل شئ بسببه اذ (هو بكل شئ عليم) فيعلم ما فيها فيسهل عليه جميع اسرارها فى الانسان ويعلم اجزاء الميت فيسهل عليه جمعها للاعادة ويعلم مقدار ما يقتضى كل عمل من الجزاء وما يقتضيه شاكر هذه النعم وكافرها فلا يعمل الحكمة من راعاها فى هذه الاشياء بترك الجزاء فهذا كالمجئ الى ترك الكفر به ولو فى ضمن الكفر بهذا الكتاب ثم أشار الى انه انما خلق له ما فى الارض جميعا وسوى له السموات السبع لانه جامع لاسرار الله وأسرار العالم صالح لخلافته عليهم (و) اذكر لمنكر ذلك (اذ قال ربك) أى وقت قول ربك اظهارا لفضل آدم قبل خلقه لئلا يرى بعين الحقارة أصلا (للملائكة) وهم اجسام لطيفة خيرة قادرة على التشكل باشكال مختلفة عند جمهور المتكلمين وجواهر مجردة خيرة مخالفة للنفوس الناطقة تتصور بصور خيالية عند الفلاسفة (انى جاعل فى الارض) أى التى هى محل الكون والفساد فهو محل التصرف من عناصرها ومن الروح السماوى (خليفة) نائبا عنى عليهم والهاء للمبالغة (قالوا أتجعل فيها) لعمارتها واصلاحها (من يفسد فيها) لكونه من العناصر المختلفة الداعية الى اللذات السفلية (ويسفك الدماء) اذ فيه قوة غضبية من النار (ونحن) وان لم يكن لنا جمعية (نسبح) ذاتك ملتبسا (بحمدك) على كمالاتها (ونقدس) أى ننزه صفاتك فنقول انها مستحقة (لك) دون غيرك (قال انى اعلم) من قصور تسبيحكم وتقديسكم وعدم صلاحيتكم للخلافة على الكل واقتضاء ظهور أسمائى اللطفية والقهرية (ما لا تعلمون و) لما لم يكن للخليفة بد من العلم بحقائق المستخلف والمستخلف عليه ليؤثر بها فيها على أكمل الوجوه (علم آدم) بخلق علم ضرورى فيه (الاسماء كلها) أى الالفاظ الدالة على الحقائق اذ هى أقل ما يفيد التمييز بينها (ثم عرضهم) أى المسميات (على الملائكة فقال أنبئونى باسماء هؤلاء) أى بأقل مميزاتها حتى يصح دعواكم استحقاقكم الخلافة عليها اللازمة لكلامكم ودعواكم (ان كنتم صادقين) فى دعواكم أنكم تسبحون الله على الاطلاق أى بجميع أسمائه وتقدسونه بها (قالوا

فتأكله (أزرى) عونى وظهرى ومنه فآزره أى فأعانه (آناء الليل) ساعاته واحدها انى وانى وانى (أمثلهم طريقة) أعدلهم قولا عند نفسه (أمتا) ارتفاعا وهبوطا ويقال نبكا النبك الروابى من الطين (آذنتكم على سواء) أعلمتكم فاستوينا فى العلم قال الحرث بن

سبحانك) أى تنزهك تنزيها عن أن يقصر علمك أو تشاركك فيه أو تعبث فى فعلك وانما سألناك استفسارا واسترشادا لانه (لاعلم لنا الا ما علمتنا) وانما لم تعلمناها ابتداء اذ (انك أنت العليم) بان حقائقنا لا تقتضى العلم بها بلا واسطة وقد جعلت الوسايط مع قدرتك على الافعال ابتداء لانك أنت (الحكيم قال يا آدم أنبئهم) وان كنت دونهم فى التجرد الذى به الاطلاع (بأسمائهم) أى بأسماء المسميات المعروضة عليهم فأنبأهم بجميعها (فلما أنبأهم بأسمائهم) مع فواتها للحصر من غير غلط فيها (قال ألم أقل لكم انى أعلم) مالا تعلمون قاصدا به انى أعلم (غيب السموات) أى العالم العلوى مع كونكم منه (و) غيب (الارض) أى العالم السفلى مع ظهوره للحس ففى كل منهما من الخفايا مالا يبلغه علمكم بأدنى وجوه التمييز مع كمال تجردكم (وأعلم ما تبدون) من قولكم أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء والحكمة تقتضى ايجاده ليظهر أثر الاسم القهار والغفار ونحوهما (وما كنتم تكتمون) من كونكم أحق بالخلافة منه ثم ألزمهم الاعتذار لما قالوا فيه والتذلل لما رأوا فيه من عظيم القدرة وظاهر الآيات (و) اذكر لمنكر ذلك (اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) بجعله قبلة سجود تحية اكراما له واستلزم أمر الملائكة أمر من دونهم من الجن سيما من لحق بهم كابليس (فسجدوا) أى المأمورون بالسجود (الا ابليس أبى) أى امتنع عن السجود (و) انما امتنع لانه (استكبر و) أدى استكباره الى انكار وجوبه لذلك (كان من الكافرين) بالله لانكار وجوب امتثال أمر قطعى من أوامره وفيه اشارة الى أنه اذا كان انكار واجب كفرا بالله فكيف لا يكون انكار واجبات القرآن كلها كفرا به ثم أشار الى أن ترك امتثال الامر من غير انكار الوجوب كان سبب هبوط آدم الى متاعب الدنيا الباقية فى نسله الى يوم القيامة (و) ذلك انا زدناه اكراما اذ (قلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك) تكميلا لاكرامك باكرام محبوبتك دار كرامتنا (الجنة و) أكملنا استيلاءهما عليها اذ قلنا (كلا منها) أى من نعيمها (رغدا) أى واسعا كثيرا (حيث شئتما) أى من أى مكان شئتما (و) من اكرامنا اياهما أنا لم نكلفهما بشئ سوى أن قلنا (لا تقربا) فضلا عن تناول شئ منها فضلا عن الاكل اذ القرب من الشئ يأخذ بمجامع القلب و يلهيه عما هو مقتضى الشرع والعقل (هذه الشجرة) من بين الاشجار الفائتة للحصر وكانت شجرة الحنطة أو الكرمة أو التينة (فتكونا من الظالمين) أنفسهم بتفويت الكرامات والتعرض للعقاب والعتاب فكان هذا مدخلا للشيطان (فأزلهما) أى أصدر زلتهما (الشيطان عنها) أى عن تلك الشجرة (فأخرجهما مما كانا فيه) من الكرامات قيل أتى باب الجنة فمنعته الخزنة فجاءته الحية فسألها الدخول بفيها فأدخلته فوقف بين يدى آدم فقال هل أدلك على شجرة الخلد فلم يقبل فقاسمهما انى لكما لمن الناصحين فاغترا فبادرت حواء ثم ناولت آدم فصدرت هذه المعصية من آدم قبل النبوة بنسيان جرم النهى بتسخير ابليس ونسيانه قوله فتكونا من الظالمين (وقلنا) لاهباط نهينا

حلزة شعر
آذنتنا ببينها أسماء
رب ثاو يمل منه الثواء
(أوثان) جمع وثن وقد مر تفسيره (أترفناهم) نعمناهم و بقيناهم فى الملك والمترف المتقلب فى لين العيش (أحاديث) أى جعلناهم أخبارا وعبرا يتمثل بهم فى الشر لا يقال جعلته حديثا فى الخير (أيامى) الذين

عن حده (اهبطوا) من دار كرامتنا الى دار الابتلاء وأقله العداوة والمضرة فى الدنيا والدين اذ (بعضكم لبعض عدو) يعاديكم ابليس بالاضلال والحية باللدغ (و) لا رجوع لكم الى الجنة عن قريب اذ (لكم فى الارض مستقر) أى مدة استقرار يوقع فى الامل (ومتاع) يوقع فى الشهوات و ينسى نعيم الجنة (الى حين) أى القيامة على ظهرها أو فى بطنها ولما لم يكن معصية آدم كفرا و كان معتنى به ألهمه الله كلمات (فتلقى) أى تقبل (آدم من) الهام (ربه كلمات) هى ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فاستغفر عنها وتاب عن امثالها (فتاب) الله (عليه) أى قبل توبته وان لم يمكنه اتيان مثل ذلك الذنب لافراط رحمته به (انه هو التواب الرحيم) ومع فضل رحمته به لم يرفعه الى الجنة فى الحال بل (قلنا اهبطوا) أى استقروا بمكان الهبوط (منها) أى من أثر تلك المعصية (جميعا) أى مجتمعين مع ما بينكم من العداوة لان المقصود بالذات من الاهباط الى دار الابتلاء هو الابتلاء بالتكليف (فاما يأتينكم منى هدى) أى فان تحقق لكم اتيان هدى علمتم بالدلائل العقلية والمعجزات القولية والفعلية انه منى (فمن تبع هداى) أى ذلك الهدى بعد ما علم كونه هدى فى نفسه لا يصح نسبته الى مضل (فلا خوف عليهم) بكونه تلبيسا منى أو من فعل الشيطان أو من الاطلاع على بعض الامور السماوية أو الارضية اذ علم انتفاء جميع ذلك بالعادة (ولا هم يحزنون) لما يفوتهم من الدنيا بعده (والذين كفروا) أى أنكروا ذلك الهدى بتلك الاحتمالات البعيدة بل الباطلة بكونه هدى فى نفسه (وكذبوا بآياتنا) الواقع صدقها فى القلوب بالضرورة فلا يرفعون الى الجنة ولا يتركون فى محل الهبوط المذكور بل يهبطون عنه الى أسفل سافلين اذ (أولئك أصحاب النار) اى لا انتقال لهم عنها كأهل الاهباط الاول بل (هم فيها خالدون) اذ لا يتم الابتلاء الا بايعاد العذاب الخالد ولا يتم الا بالايفاء به (يا بنى اسرائيل) اى يا أولاد صفوة الله أو عبد الله يعقوب المطلعين على قصة آدم وعهده (اذكروا نعمتى التى أنعمت) على اسلافكم فكانت فى معنى الانعام (عليكم) من لدن آدم بقبول توبته الى زمن موسى بفلق البحر لكم واغراق أعدائكم وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى عليكم وانزال التوراة فانها كرامات مثل كرامات آدم باسجاد الملائكة له وادخاله الجنة (وأوفوا بعهدى) بالايمان بكل هدى تحقق مجيئه منى سيما هدى محمد صلى الله عليه وسلم المأخوذ فيه ميثاق الانبياء عليهم السلام فانه ليس بأقل من عهد آدم فى الشجرة وما أخذ عليه فى ذريته بعد الهبوط (أوف بعهدكم) بازالة الخوف والحزن وتكفير السيئات وتضعيف الحسنات و رفع الآصار والاغلال (و) لا تخافوا فوات جاهكم ورشاكم بل (اياى فارهبون) فى كل ما تأتون وتذرون والرهبة خوف مع تحرز ثم أشار الى أنه لو لم آخذ عليكم العهد بالايمان به لوجب عليكم أيضا فقال (وآمنوا بما أنزلت) اى بما علمتم انزاله منى باعجازه وعلم كونه هدى لكونه (مصدقا لما معكم) فى القصص والاعتقادات والنسخ ليس بتكذيب بل بيان لانتهاء الحكم

لأزواج لهم من الرجال والنساء واحدتهم أيم (أشتاتا) فرقا الواحد شت (أصيل) ما بين العصر الى الليل وجمعه أصل ثم آصال ثم أصائل جمع جمع الجمع (أحسن مقيلا) من القائلة وهى الاستكنان فى وقت انتصاف النهار وجاء فى التفسير انه لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يستقر أهل

باتمامصلحته التي شرع لها (ولاتكونوا أول كافر به) يتبعكم من بعدكم فيكون عليكم اثمكم مع اثمهم (ولاتشتروا) اى ولاتستبدلوا (بآياتى) اى بالايمان بآيات التوراة الدالة على وجوب اتباع محمد صلى الله عليه وسلم (ثمنا قليلا) اى حظا يسيرا من الرشوة لتزدادوا بذلك اثما الى تلك الآثام (واياى فاتقون) ان لم تخافوا ذهاب الآخرة لاعتقاد كم انه لن تمسكم النار الا أياما معدودات فلا تأمنوا غضبي فى استبدال آياتى (ولاتلبسوا) على عوامكم (الحق) من تأويل تلك الآيات (بالباطل) من تأويلكم حيث لاتغيرون ألفاظ التوراة (و) لا (تكتموا الحق) من ألفاظ التوراة أو تأويلها (وأنتم تعلمون) اى عن التعمد منكم لا الخطا فى الاجتهاد فيرجى عفوه (و) لايكفيكم العمل بالمنسوخ من التوراة وان لم تغيروه ولم تلبسوا فيه ولم تكتموه بل (أقيموا الصلوة وآتوا الزكوة) بمقتضى هذا الكتاب (و) اعملوا بفضائله وان لم تكن ناسخة لما فى كتابكم لذلك (اركعوا مع الراكعين) اى صلوا بالجماعة اذ فضلت على صلاة الفذ فى هذه الملة بسبع وعشرين درجة فأتوا بفضائل هذا الكتاب سيما التى بها تطاهر النفوس على الخيرات ثم أشار الى انهم لايأتون بأصل أعمال البر من كتابهم فضلا عن فضائل كتابكم فقال (أتأمرون الناس بالبر) وهو التوسع فى الخيرات أو مراعاة الاقارب أو حسن معاملة الناس (وتنسون أنفسكم) اى تتركونها ترك المنسى فلا تأتون بشئ من الخيرات فضلا عن الفضائل (وأنتم تتلون الكتاب) اى التوراة فحقكم أن تسبقوا الناس بالعمل بما فيه ليقتدى الناس بكم ويعتمدوا على أقوالكم (أ) رضيتم بهلاك أنفسكم مع صلاح غيركم (فلا تعقلون) والعقل فى اللغة الحبس سمى به الادراك الانسانى لمنعه عن القبائح وليس المراد منع الواعظ اذا لم يتعظ بل حثه على تزكية النفس وتكميلها أولا (واستعينوا) على البر ان شق عليكم (بالصبر) عن الشهوات المانعة عنه (و) استعينوا على هذا الصبر باقامة (الصلاة) الجاذبة الى الله تعالى (و) لكن الاستعانة بها شاقة (انها لكبيرة) اى شاقة فى نفسها تقتضى الصبر على الطاعات (الا على الخاشعين) الخائفين السالكين الى الله فانها لاتشق عليهم فلا تشق الاستعانة بها فى حقهم على الصبر عن الشهوات لذلك كانت فى حقهم تنهى عن الفحشاء والمنكر كيف وهى فى حقهم قرة أعينهم لمشاهدتهم الحق فان لم يشاهدوه فلا أقل من أن يكونوا هم (الذين يظنون) اى يعتقدون اعتقادا راجحا (أنهم ملاقوا ربهم) فيشاهدهم (و) ان لم يكونوا على هذا الاعتقاد فلا أقل من أن يعتقدوا (أنهم اليه راجعون) فيتوقعون فى مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ حتى تنغص الشهوات عندهم فاى استعانة للصبر عنها أعظم منها فى حقهم ثم أشار الى أنه اذا شق عليهم الصبر استعانوا بالشكر الموجب للمحبة المفيدة اللذة التى هى أكمل من لذات سائر المشتهيات فقال (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) فحقكم ان تشكروها بأعمال البر بقدر ما أنعمت به عليكم (وأنى فضلتكم على العالمين)

الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار فحين القائلة وقد فرغ من الامر فيقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار (أماني كثيرا) أمانى جمع انسى وهو واحد الانس جمعه على لفظه مثل كرسى وكراسى والانس جمع الانس يكون مطرح ياء النسبة مثل رومى وروم ويجوز أن يكون أمانى

اي على عالي زمانكم بتكثير الانبياء والملوك العدول والعلماء العاملين فيكم فحقكم أن تفضلوا الخلائق بفضائل الاعمال واذا عسر عليكم الصبر والشكر استعينوا بالخوف (واتقوا) اذا تركتم البر بأنفسكم اكتفاء بأمر غيركم (يوما لا تجزى نفس) أنت بالبر المأمور في حق الآمر به (عن نفس) اى أمرتم بالبر اذا تركته (شيأ ولا يقبل منها) اى من نفس أنت بالبر المأمور (شفاعة) في حق الآمر به (ولا يؤخذ منها عدل) اى لا يقبل من النفس الآتية بالبر فدية تماثل نفس المفدى عنه لو وجدت عندها أو من النفس الآمر به فدية عن نفسها (ولا هم ينصرون) بدفع العذاب عنهم قهرا فالآية الكريمة نفت دفع العذاب عنهم من كل وجه لانه اما بالقهر وهو النصر أم لا فاما مجانا وهو الشفاعة أم لا فاما بأداء ما كان عليه وهو الاجتزاء واما باعطاء البدل وهو الفدية ولا متمسك للمعتزلة في الآية على نفي الشفاعة لاختصاصها بمن لا برله وهو الكافر (و) اذكروا من جملة تلك النعم (اذ نجيناكم) اى وقت انجائنا اياكم (من) أشد عذاب (آل) اى أهل (فرعون) هو لقب من ملك العمالقة ككسرى وقيصر والنجاشي لمن ملك الفرس والروم والحبشة والمراد مصعب بن قابوس أو مصعب بن زياد أو وليد بن مصعب كان بعد فرعون يوسف الريان بن الوليد بأكثر من أربعمائة سنة (يسومونكم) اى يبغونكم (سوء العذاب) اى افظعه (يذبحون أبناءكم) اى يكثرون ذبح ذكور أولادكم (ويستحيون نساءكم) اى يتركونهن احياء يستفرشهن اعداؤكم (وفي ذلكم) المذكور (بلاء) اى امتحان (من ربكم) بتسليطهم عليكم (عظيم) ليكون انجاؤكم بعدها أعظم نعمة واتعلموا أن من صبر على أشد البلاء نال أعظم الجزاء سيما في دار الجزاء ثم هذا الانجاء يقتضي من الشكر ما يقصر معه كل عبادة شاقة وقد تحمل أوائلكم هذه المشاق من أعدائهم فمالكم لا تتحملون مشاق عبادته وقد خففها عليكم في هذه الشريعة (و) اذكروا المعرفة عظم نعمة التنجية حتى أفردت بالذكر بعد التعميم (اذ فرقنا) اى فصلنا (بكم) اى بسبب وصولكم (البحر) حين أمر موسى عليه السلام ان يسرى بكم فوصلتم اليه والماء في غاية الزيادة ورأيتم فرعون خلفكم فقلتم ياموسى أين ما وعدتنا هذا فرعون خلفنا ان أدركنا قتلنا والبحر امامنا ان دخلناه غرقنا فأوحى الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق وأرسل اليه الريح والشمس حتى يبس فخضتم فيه كل فرقة في سكة (فأنجيناكم) من آل فرعون ومن كل شبهة في وجود الصانع الحكيم القدير أو في نبوة موسى فوصل فرعون فاقتحم هو وجنوده فالتطم عليهم (وأغرقنا آل فرعون) لئلا يبقى لكم خوف منه ولا حزن من خروجكم من دياركم فملككم ديارهم وأموالهم ولم تترك لكم شكا في ذلك اذ أغرقناهم (وأنتم تنظرون) فكان اغراق عدوكم بنظركم أعظم نعمة عليكم يوجب أعظم شكر فحقكم أن تخوضوا بحر عبادته في سكك أنواعها وتغرقوا أعداءها في بحر التزكية بنظركم الحافظ من

جمع انسان وتكون التاء بدلا من النون لان الاصل أناسين بالنون مثل سراحين جمع سرحان فلما ألقيت النون من آخره عوضت الياء بدلا منها (أثاما) عقوبة والاثام الاثم أيضا (الارذلون) أهل الضعة والخساسة (ازلفنا ثم الآخرين) أي جمعناهم في البحر حتى غرقوا ومنه ليلة المزدلفة

تلبيس أنفسكم ثم أشار الى انه أنجاهم من جريمة اتخاذهم العجل وقد أخذ بعادونه آل فرعون فقال (و) اذكروا (اذ واعدنا موسى) بعد هلاك فرعون انزال كتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون بعد ثلاثين ليلة يقومها ويصوم نهارها فلما تمت أنكر رائحة فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك أبطلتها بالسواك فأتمها بصوم عشر أخر فتم (أربعين ليلة) فجاء جبريل على فرس الحياة لا يصيب شيأ الا حيى ليذهب بموسى الى ربه فلما رآه السامرى وكان منافقا من قوم يعبدون البقر قال ان له شانا فأخذ قبضة من تربة حافره وكان بنو اسرائيل استعاروا من قوم فرعون حليا كثيرا حين أرادوا الخروج من مصر لعلة عرس لهم فقال لهم السامرى ان الحلى المستعارة لا تحل لكم فادفنوها بحفرة حتى يرجع موسى فيرى فيها رأيه فلما اجتمعت صاغها السامرى عجلا فى ثلاثة أيام ثم ألقى فيها القبضة التى أخذها من تراب حافر فرس جبريل فأخرج عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر كأحسن ما يكون وخار خورة فقال السامرى هذا الهكم واله موسى تركه ههنا وخرج يطلبه ولذلك تأخر فشككتم فى أمره (ثم اتخذتم العجل) الها (من بعده) اى من بعد خروج موسى الزاجر عن عبادة فرعون والاوثان (وأنتم ظالمون) مثل ظلم آل فرعون بل أشد لانه بعد الايمان (ثم عفونا عنكم) اى تجاوزنا عن مؤاخذتكم (من بعد ذلك) الاتخاذ بعد الايمان (لعلكم تشكرون) عفونا بتحمل المشاق فى عبادتنا وقد خففنا أكثرها فى هذه الشريعة فما لكم تعرضون عنها (و) اذكروا (اذ آتينا موسى الكتاب) الجامع لقواعد الشرع ليقوم به الشاكرون (والفرقان) اى الفرق بين المحق والمبطل (لعلكم تهتدون) لما هو شكر المحق والمبطل (و) من تلك الهداية التوبة فهذه التوبة من شكر المحق لانه عرف قدر نعمته حتى آثرها على الحياة الدنيا بقتل الانفس حدا على اتخاذ العجل فاذكروا (اذ قال موسى لقومه) من افراط شفقته عليهم (يا قوم) ان من شفقتى عليكم أن أخلصكم من عقوبة ظلمكم (انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) الذى هو أبعد من فرعون عن الالهية (فتوبوا الى بارئكم) الذى خلقكم برآء من الشرك والمعاصى ويرجى تبرئتكم عن هذا الظلم الذى لا ينمحى هيئته عن قلوبكم لافراط حبكم اياه (فاقتلوا أنفسكم) لانه وان كان شرا عند أنفسكم لكن (ذلكم خير لكم عند بارئكم) اذ يبرئكم عن جريمته التى تخلدكم فى النار ففعلتم (فتاب عليكم) اى قبل توبتكم وان كانت جريمتكم أعظم لكفركم بعد الايمان (انه هو التواب) اى البالغ فى قبول التوبة حتى انه قبلها على عمل أهلك بعادونه آل فرعون وانما تاب عليكم لانه (الرحيم) اذ رحم على تعذيب ساعة بكرامة الابد وهذه من الهداية الفارقة بين المحق والمبطل قد أخذ بها دماؤكم وأنتم لا تسمحون بمجرد القول ولا بالاعمال السمحة من هذه الشريعة مع وفور فضائلها ثم أشار الى انهم لم يؤمنوا بهدى موسى وفرقانه بعد سماعه من الله بلا واسطة لشبهة واهية من احتمال

بكونه

أى ليلة الازدلاف أى الاجتماع ويقال أزلفناهم أى قربناهم من البحر حتى اغرقناهم فيه ومنه أزلفنى كذا عند فلان أى قربنى منه (أعجمين) جمع أعجم وأعجمى أيضا اذا كان فى لسانه عجمة وان كان من العرب ورجل عجمى منسوب الى العجم وان كان فصيحا ورجل اعرابى اذا كان بدويا .

كونه من الشيطان واستحقوا بذلك ما هو أشد من القتل فقال (واذ قلتم ياموسى) حين اختار سبعين من خياركم بأمر الله لتعتذروا اليه من عبادة العجل فأمرهم بالصوم والتطهر فلما دنا من طور سينا وقع عمود الغمام فدخله وأدخلهم فخروا له سجدا فسمعوه يكلم موسى فلما فرغ وانكشف الغمام قالوا (لن نؤمن لك) اى لقولك انه مسموع من الله (حتى نرى الله جهرة) اى رؤية ظاهرة ظهور صوت الجهر فغضب الله عليكم عن قولكم لن نؤمن لك لا عن طلب رؤيتكم اياه اذ لا يستحيل كرؤيته ايانا (فأخذتكم الصاعقة) نار من السماء (وأنتم تنظرون) اليها ولا يمكنكم الفرار عنها فأحرقتكم فدعا موسى وبكى وتضرع وقال يارب ماذا أقول لبنى اسرائيل وقد أهلكت خيارهم (ثم بعثناكم) اى أحييناكم (من بعد موتكم) الحقيقى لا السكتة (لعلكم تشكرون) نعمة الانجاء من الهلاك بعد تحققه وهو فوق الانجاء السابق (و) لكنكم لم تشكروها كما لم تشكروا انظائرها اذ (ظللنا عليكم الغمام) فى التيه انجاء عن حر الشمس بدعوة موسى عليه السلام اذ شكوتم اليه فارسل غماما أبيض وهذا أعظم اذ كان حال الغضب الموجب كونكم فى التيه (و) زدناكم انعاما فيه اذ (أنزلنا عليكم المن) الترنجبين (و) قلتم لموسى قد قتلنا حلاوته فادع لنا ربك أن يطعمنا اللحم فانزلنا عليكم (السلوى) السمانى أو طائرا يشبهه ولم يكن معه كلفة ولا مؤنة شكر بل قلنا لكم (كلوا من طيبات مارزقناكم) فلا تدخروه ولا تستبدلوه فانه مناف للشكر (وما ظلمونا) بالكفران المنافى للشكر وان كان مانعا من فيضنا الذى هو حقنا (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفران المانع من الفيض عليهم الذى لا مؤنة معه ولا حساب ولا عذاب فعادتكم الكفران فلذلك كفرتم نعمة بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ولم تأتوا بأعمال الشكر على دينه وان كانت أخف مما فى دينكم ثم أشار الى انهم لم يشكروا انعما الاتم ولا تكلف فيها بترك الادخار والاستبدال أدنى وجوه الشكر الذى كلفوا به من السجود وطلب المغفرة مرتمع ما وعدوا عليه من عموم المغفرة ومزيد الثواب فقال (واذ قلنا ادخلوا هذه القرية) أريحا أو ايليا أو بيت المقدس (فكلوا منها) اى من مطاعمها (حيث شئتم) اى من أى مكان وزمان شئتم (رغدا) اى أكلا واسعا (و) يكفيكم من الشكر عليه أقل شئ (ادخلوا الباب سجدا) جمع ساجد (وقولوا) طلبا لعموم المغفرة (حطة) اى حط عنا خطايانا (نغفر لكم خطاياكم) كلها (و) لا نقتصر عليه بل (سنزيد المحسنين) ثوابا فوق ثواب غيرهم (فبدل الذين ظلموا) الاستغفار بالسخر كفرا اذ قالوا (قولا غير الذى قيل لهم) لفظا ومعنى وهو حنطا سمقاتا أى حنطة حمراء (فأنزلنا على الذين ظلموا) دون غيرهم (رجزا) ما يعاف منه والمراد الطاعون (من) أعظم الاماكن (السماء بما كانوا يفسقون) أى يخرجون عن أمر الله خروجا فاحشا فهذه عادتهم فى كفران نعم الله وتبديل أوامره لذلك كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وغيروا نعته

وان لم يكن من العرب ورجل عربى منسوب الى العرب وان لم يكن بدويا وقال الفراء الاعجمى منسوب الى نفسه من العجمة كما قالوا للاحمر أحمرى وكقوله وهو العجاج
أطربا وأنت قنسرى
شيخ كبير
والدهر بالانسان دوارى
انما هو دوار (الايكة) الغيضة وهى جماع من

ثم أشار الى أن النعم الالهية لو لم تكن فى حقهم سبب الكفر فلا أقل من أن تكون سبب التفرقة فقال (واذ استسقى موسى) أى دعا بالسقى (لقومه) اذ عطشوا فى التيه (فقلنا اضرب بعصاك الحجر) وكانا من الجنة حملهما آدم فتوارثهما الانبياء عليهم السلام حتى وصلا الى شعيب فأعطاهما موسى عليه السلام وكان مكعبا ينبع من كل وجه ثلاث أعين يسيل كل عين فى جدول ولا يبعد من قدرة الله أن يجعل الحجر جاذبا للهواء مقلبا لها بقوة تبريده بالماء (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) عدد قبائلهم (قد علم كل) قبيلة (أناس مشربهم) المعين اذ لا يجتمعون على مشرب واحد فلم يجتمعوا فى حياة موسى الجامع لهم على مشرب واحد فكيف يجتمعون بعده على شريعة واحدة فقيل لهم (كلوا) من المن والسلوى (واشربوا) من المشارب حال كونهما (من رزق الله) فلا تستعينوا به على معصية الله بل اجعلوه عونا على طاعته واستدلوا به على عنايته بكم (ولا تعثوا) أى لا تفسدوا افسادا ساريا (فى الارض) حال كونكم (مفسدين) بالتفرقة فلا تزيدوا عليها فعلم أن نعم الله لم تزل فى حقهم سببا لمزيد فسادهم لذلك زادوا افسادا ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ثم أشار الى أن النعم المذكورة انما كانت فى حقهم أسباب الكفر والتفرقة لكونهم أمورا سماوية فشقت عليهم لميلهم الى الامور الارضية فقال (واذ قلتم يا موسى) نادوه باسمه من قلة أدبهم (لن نصبر على طعام واحد) وهو المن والسلوى لكونه سماويا (فادع لنا) أى للتيسير لنا (ربك يخرج لنا) أى لاطعامنا (مما تنبت الارض) أى بعض نباتات الارض (من بقلها) المنتفع بنفسه من غير انتظار شئ من حبوب أو ثمرة (وقثائها) الثمرة المنتفع بظاهرها (وفومها) أى حنطتها الحبة المنتفع بلبها (وعدسها) الحبة المعينة فى أكل الخبز من الحنطة (وبصلها) المشابه للاصول المعين فيه أيضا (قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير) أى أتطلبون أدنى الاشياء قدرا ونفعا ولذا تبدل أعلاها ولذلك استبدلوا الدنيا بالآخرة وشريعتهم بهذه الشريعة (اهبطوا مصرا) أى انزلوا بلدا (فان لكم) فيه (ما سألتم) من غير دعاء أحد ولا يليق بى أن أدعو لتنزيلكم (و) لما مالوا الى الادنى (ضربت عليهم الذلة والمسكنة) أى جعلت كالقبة المضروبة عليهم فى الاحاطة بهم فلا يكاد ترى يهوديا الا ذليلا ومسكينا فى نفسه أو فيما يظهره من حاله مخافة أن يستزاد فى الجزية وفيه اشارة الى أنهم ليس لهم اذلال هذا الدين أصلا (و) ليس تذللهم ومسكنتهم محمودا يفيد رضا الله بل لذلك (باؤا) أى رجعوا الى ذلة أنفسهم ملتبسين (بغضب) عظيم (من الله) بتسليط قهره ومنع لطفه ولذلك سلط عليهم الكفر ومنعهم الايمان وليس بمجرد استبدالهم الطعام الممل لهم بل (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) التى من جملتها المن والسلوى (و) لكفرهم كانوا (يقتلون النبيين) شعيبا وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم السلام مع علمهم أنه (بغير الحق) أى الموجب له

الشعير (أوزعنى) ألهمنى يقال فلان موزع بكذا ومولع به ومغرى به بمعنى واحد (أثاروا الارض) قلبوها للزراعة (أهون عليه) أى هين كما يقول فلان أوحد أى وحيد وانى لأوجل أى وجل وفيه قول آخر أى وهو أهون عليه عندكم أيها المخاطبون لان الاعادة عندهم أسهل من الابتداء

ثابت شرعا وكذلك بالآيات الظاهرة على يدى محمد صلى الله عليه وسلم ويريدون قتله (ذلك) الكفر والاجتراء على قتل الانبياء (بما عصوا) فان المعاصى تجر الى الكفر لا لانهم أصروا على صغائر أو اكتسبوا كبائر على الندور (و) لكن لانهم (كانوا يعتدون) أى يتجاوزون الى الاصرار على الكبائر وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لاصرارهم على أخذ الرشوة ثم أشار الى أن الاصرار على الكبائر وان كان يجر الى الكفر فالايمان بالله واليوم الآخر يمحو كل ما مضى من ذلك والعمل الصالح يزيل الخوف والحزن فقال (ان الذين آمنوا) باللسان دون القلب وان خادعوا الله والمؤمنين (والذين هادوا) وان كثرت قبائحهم (والنصارى) وان قالوا بالهية المسيح (والصابئين) وان عبدوا الكواكب (من آمن) منهم مخلصا (بالله واليوم الآخر) الذى لا يتم الايمان بالله بدونه اذ به الايمان بدوام ربوبيته لهم وعموم قدرته وحكمته وعدله وأما الايمان بالكتب والرسل والملائكة فلازم للايمانين اذ لا يعرفان الا بهذه الامور فلم يصرح به لقوة دلالة الايمانين عليه (وعمل صالحا) ولا بد فيه من الاخذ بالناسخ وترك المنسوخ (فلهم أجرهم) الكامل الذى لو استمروا على الايمان والعمل الصالح من وقت مولودهم (عند ربهم) الذى يربى لهم ايمان أقل المدة وعمله فيبلغه مبلغ ما كان مدة العمر كله (ولا خوف عليهم) من تأثير الكفر السابق فى نقص الاجر لان العمل اللاحق جبر هذا الايمان (ولا هم يحزنون) لفوات العمل مدة الكفر لان هذا العمل استدرك ما فاته ثم أشار الى أنهم لا يعملون ذلك العمل ما لم يشدد عليهم هذا الميثاق فقال (واذ أخذنا ميثاقكم) أى عهدكم الوثيق بتحمل الاحكام الشاقة من التوراة فأبيتم فشددنا عليكم (ورفعنا فوقكم الطور) أى رفع جبريل بأمرنا جبلا قلعه على قدر عسكركم فوق رؤسكم قائلا (خذوا ما آتيناكم) من التكاليف التى هى بالحقيقة عطايا (بقوة) تتحملون بها مشاق اكتساب الدنيا ولذلك لا تصبرون الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم الا بالقتل والاسر والاجلاء (و) لا تقتصروا على ظاهر العمل بل (اذكروا ما فيه) من الاسرار والفوائد (لعلكم تتقون) أى رجاء ان تبلغوا بذكرها رتبة المتقين (ثم توليتم) أى أعرضتم عن ظاهره وباطنه (من بعد ذلك) التشديد البليغ فلذلك تعرضون عن دعوة محمد صلى الله عليه وسلم (فلولا فضل الله عليكم) بامهالكم (ورحمته) بتمكينكم من التوبة من غير قتل الانفس (لكنتم من الخاسرين) أى لمضى حكم خسرانكم فلم يقبل التبديل فلا تحققوا خسرانكم بالموت على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وكيف تستبعدون مضى حكم خسرانكم على ترك متابعة محمد صلى الله عليه وسلم وقد خسر من أعرض عما هو أدنى منه بكثير (و) هو انه (لقد علمتم الذين اعتدوا) بالصيد (منكم فى السبت) الذى أمرتم فيه بالتجرد للعبادة وكانوا بأيلة قرب الساحل فاذا كان يوم السبت اجتمعت الحيتان مخرجة

وأما قوله الله أكبر فالمعنى الله أكبر من كل شئ (أنكر الاصوات) أقبح الاصوات وانما يكره رفع الاصوات فى الخصومة والباطل ورفع الصوت محمود فى مواطن منها الاذان والتلبية (ادعياءكم) من تبنيتموه (أقطارها) وأقتارها جوانبها الواحد قطر وقتر (أشحة) جمع شحيح أى بخيل (أوبى

خرطومها هنالك واذا مضى تفرقت فقال لهم الشيطان انما نهيتم عن أخذها يوم السبت فعمد رجال الى حفر الحياض حول البحر وشرع الانهار منه اليها فاذا كان عشية الجمعة فتحوا الانهار ليقبل الموج بالحيتان الى الحياض فاذا كان يوم الاحد أخذوها وهكذا أدت بهم الحال الى زمان ثم أخذوا يصطادونها يوم السبت واجترؤا عليه (فقلنا لهم) على لسان داود (كونوا قردة) سود الوجوه (خاسئين) أى مهانين ولذلك قلبت بواطن هؤلاء واسودت وجوهها وهانت على الله لاصطيادهم حيتان الرشا فى أيام المحاكمة (فجعلناها) أى تلك العقوبة (نكالا) أى عبرة (لما بين يديها وما خلفها) أى للقرى القريبة منها والبعيدة عنها (وموعظة للمتقين) الذين يسمعونها الى يوم القيامة فلو صح دعواهم التقوى لانفسهم لاعتبروا وغيروا بذلك حالهم فى ترك متابعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم أشار الى أن اعراضهم عن أمر الله لم يتأخر الى عصر المعتدين فى السبت بل كان فى عصر موسى مرارا فى أمر واحد قصدوا اذلاله وان فعلوه آخرا فقال (واذ قال موسى لقومه) حين قتل رجل منهم ابن عمه ثم أصبح يدعى على الناس بالقتل فجحدوا فسألوه أن يدعو الله ليبين لهم (ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) تضربون ببعضها الميت فيحيا فيخبر من قتله (قالوا) من سوء محاورتهم (أتتخذنا هزوا) أتجيب سؤالنا عن القاتل بذبح البقرة (قال أعوذ) أى امتنع (بالله) من (أن أكون من الجاهلين) بالجواب على خلاف السؤال وبالاستهزاء فى طلب القصاص فلما علموا انه عزم من الله وأرادوا التخلص باتصافها بأوصاف لا توجد بقرة تتصف بها أصلا (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) أى ما حالها التى جعلت فيها هذه الخاصية تصير بها ماهيتها ممتازة عن ماهية سائر البقور (قال انه يقول) ليست هذه الخاصية فيها باعتبار خصوصية ماهية أو صفة سوى كمال السن (انها بقرة لا فارض) أى مسنة قطعت سنها (ولا بكر) فتية ولا تميل الى احدى الجانبين بل (عوان بين ذلك) أى متوسطة بين المذكور ولا تنظروا الى الخواص بل الى أمر من يوجدها ببعض مشيئة (فافعلوا ما تؤمرون قالوا) كان الكمال يكون بالسن يكون باللون (ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها) حتى نعلم انه كمال أم لا (قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها) أى شديد صفرتها وهو أكمل الالوان اذ به (تسر الناظرين) أى تعجبهم والسرور فى الاصل لذة فى القلب تحدث عند حصول نفع أو توقعه (قالوا) انه وان كان كمالا لكنه كمال مشترك فيه ولا يصلح مرجحا لايجاد هذه الخاصية (ادع لنا ربك يبين لنا ماهى) أى ماهيتها المشخصة التى رجحت به فيها ايجاد هذه الخاصة على الخصوص (ان البقر تشابه علينا) اذ ليس فى شئ مما ذكرت ما يرجح ايجادها فيه على الخصوص (وانا) اذا وجدنا ذلك المرجح (ان شاء الله لمهتدون) بالاطلاع على مبدا هذه الخاصية ولمتابعتك (قال انه يقول) المرجح عزتها فى ذاتها وسلامتها عن العيوب (انها بقرة لا ذلول) أى غير مذللة (تثير الارض) أى

معه) سعى معه والتأويب سير النهار كله فكان المعنى سعى معه نهارك كله كتأويب السائر نهاره كله وقيل أوبي سبحى بلسان الحبشة (أسلنا) أذبنا من قولك سال الشئ واسلته انا (أثل) شجر شبيه بالطرفاء الا انه أعظم منه (أسروا الندامة)

تقلبها للزراعة (ولا) عاملة (تسقي الحرث مسلمة) عن العيوب (لاشية فيها) لا يخالط لونها بشيء من الالوان الاجنبية (قالوا الآن جئت بالحق) أي بالسبب الثابت لايجاد هذه الخاصية بحيث لانتردد فيه (فذبحوها) بعدما اشتروها بل مسكها ذهبا (وما كادوا يفعلون) لخوف الفضيحة في ظهور القاتل ولغلاء الثمن روى أن الشيخ الصالح كانت له عجلة أتى بها غيضة وقال اللهم انى استودعكها لابنى حتى يكبر وكانت وحيدة بهذه الصفات فساوموها اليتيم وكان يراجع أمه وتقول لاتبع حتى تراجعنى فلم يزالوا يساومونه ويراجعها حتى اشتروها بالثمن المذكور وكانت البقرة يومئذ بثلاثة دنانير ثم أشار الى أن اعراضهم عما ذكرانما كان آخرا وأما أولا فقد كانوا مستبعدين أن يكون له وحى يطلعه على الغيب فقال (واذ قتلتم نفسا فادارأتم) أى تدافعتم (فيها) لاستبعادكم أن يوحى الى موسى فى ذلك (والله مخرج عن قلوبكم (ما كنتم تكتمون) من أمر القاتل وانه لو سماه موسى لكذبوه (فقلنا) اذبحوا بقرة و (اضربوه ببعضها) فان الله يحييه عنده لا به (كذلك يحيي الله الموتى) عند نفخ الصور لابه ولا بسبب آخر يؤثر فى ذلك (ويريكم آياته) الدالة على قدرته على الاشياء بغير سبب مؤثر (لعلكم تعقلون) كمال قدرته (ثم) انه يقدر على خلاف مقتضى السبب فانه (قست) أى تصلبت (قلوبكم من بعد ذلك) الاحياء الدال على الاحياء الاخروى الموجب للخوف الملين للقلوب لقبول الخيرات (فهى) فى الصلابة (كالحجارة) لا كالحديد الذى يلين بالنار اذ لاتلين بنار التخويف (أو) هى (أشد قسوة) من الحجارة فلا تصلح لان يكون مشبها بها كيف (وان من الحجارة) كالجبال (لما يتفجر منه الانهار) بأن ينقلب بعض أجزائها هواء ثم يجذب الهواء من الجوانب ويقلبها بقوة تبريدها ماء (وان منها لما يشقق) بمدافعة الماء من خلفه (فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط) أى ينزل من الجبل (من خشية الله) أى من الريح العاصفة او جبة خشية الله بالقهر عندها وقلوبكم لاتذوب ولاتشقق لدخول الوعظ فيها ولا تنزل عن كبرها وتعديها بالمصائب (وما الله بغافل عما تعملون) من ازدياد التعدى والتكبر عند ازدياد الآيات والزواجر (أ) تعلمون هذه القساوة منهم وازدياد التعدى والتكبر ومع ذلك ترونهم الدلائل وتزجرونهم بالمواعظ (فتطمعون أن يؤمنوا لكم) أى لدلائلكم وزواجركم (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) من التوراة يدل على صدق نبيكم وصحة دينكم (ثم يحرفونه) بتغيير اللفظ أو بالتأويل الفاسد (من بعد ما عقلوه) أى فهموه فهما ساعده عقلهم فأتوا بلفظ يغايره من كل وجه أو معنى ليس له أصل (وهم يعلمون) ما فى تحريفه من شدة غضب الله تعالى ثم أشار الى أن هذا التحريف حيث ظهر لنا على لسان بعضهم والا فهم مبالغون فى الكتمان ويشددون على من أظهر (و) ذلك أن فريقا منهم (اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) أى صدقنا نبيكم فى الباطن لانه مذكور فى كتابنا لكن لانترك فى الظاهر دين آبائنا خوفا من أقاربنا أو أكابرنا ولانترك التمسك بالتوراة (واذا خلا بعضهم الى بعض) فاجتمع الكاتمون مع المظهرين مع خلو المجلس عن

أظهروها ويقال لمتوها يعنى كتمها العظماء من السفلة الذين أضلوهم وأمروهم من الاضداد (الاذقان) جمع ذقن وهو مجمع اللحيين مفتوح اللام وهما العظمان اللذان تنبت عليهما اللحية (أغشيناهم فهم لايبصرون) جعلنا على أبصارهم غشاوة أى غطاء

المؤمنين (قالوا) أى الكاتمون للمظهرين (أتحدثونهم) أى المؤمنين (بما فتح الله عليكم) من خزائن علمه (ليحاجوكم به عند ربكم) أى ليغلبوكم بالحجة ويشهدوا عليكم عند ربكم (أ) تلقنونهم الحجة عليكم (فلا تعقلون) فقال الله تعالى (أ) يزعمون انهم لو كتموا لم يكن لكم حجة عليهم ولا لله (ولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) فله أن يحتج بنفسه ويظهرها للمؤمنين ليحتجوا به عليهم ثم أشار الى أن تحريفهم لا يتم على المؤمنين بل على من كان منهم أميا فقال (ومنهم أميون) أى باقون على ما ولدتهم أمهاتهم (لا يعلمون الكتاب الا أمانى) أى أحاديث قدرها المحرفون فى أنفسهم تقدير الامانى الكاذبة ولا يتخلصون بذلك عن الكفر لانهم يعلمون أنهم كذابون فلا يحصل لهم الجزم بقولهم (وان هم الا يظنون) أى ما يبلغ اعتقادهم الا هذا الظن الراجح اذ يظنون انهم لا يجترؤن على تحريف كتاب الله فيقلدونهم ويتركون الادلة القاطعة للمؤمنين لكنهم لا يبلغون مبلغ عذاب المحرفين (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) المحرفة (ثم يقولون هذا) هو النازل (من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا) أى ليأخذوا من الاميين باعطاء المحرف لهم قليلا من الرشا (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) أى فلهم الويل الزائد على عذاب الاميين من جهتين ليستأنفهم من جهة كتابتهم للمحرف ومن جهة اكتساب الرشا عليه ثم أشار الى انهم انما احتملوا الويل من الجهتين لاعتقادهم انه وان كثرت جهاتهم فلا يعذبون الا قليلا (و) ذلك انهم (قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة) أربعين عدد أيام عبادة العجل أو سبعة أيام لان مدة الدنيا بزعمهم سبعة آلاف سنة يعذبون يوما لكل ألف سنة (قل أتخذتم عند الله عهدا) من كتابه بذلك (فلن يخلف الله عهده) ان كان لكم عند الله عهد (أم) لم تتخذوه ولكن (تقولون على الله ما لا تعلمون) صدقه من الخبر المروى عن يعقوب عليه السلام ان الله تعالى عهد اليه أن لا يعذب بنيه الا تحلة القسم فان صح عنه فالمراد أولاد صلبه لا ذريته النازلة المشتملة على مؤمن وكافر قال عز وجل ليس كما يقولون (بلى من كسب سيئة) ولو صغيرة من دون تحريف الكتاب وأخذ الرشوة (و) لكن استباحها حتى (أحاطت به خطيئته) بأن صارت كفرا محبطا لاعماله وأنتم باعتقاد تقليل مدة العذاب فى معنى المستبيحين وقد كفرتم بالدليل القاطع من هذا الكتاب (فأولئك أصحاب النار) أى ملازموها (هم فيها خالدون) كيف وهم فى مقابلة المؤمنين الصالحين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) فكما يدوم جزاء أحد الفريقين يدوم جزاء الآخر اذ لا يتم نظام العالم بينهم الا بوعد الثواب الدائم أو العقاب الدائم ولا يتم الا بالا يفاء به ثم أشار الى أن فى كتابكم ما يكاد ينفى كون العذاب أياما معدودة فانه أخذ فيه مواثيق كثيرة يبعد أن يكون العذاب على نقض جميعها لمدة يسيرة سيما اذ بولغ فى توثيقها سيما اذا صار النقض عادة فقال (واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل) على التوحيد فى العبادة قلنا بطريق الاخبار الذى يرى المؤمن الخلف فيه تكذيبا (لا تعبدون الا الله و) قلنا (بالوالدين

(اجداث) قبور واحدها جدث (أسلا) استسلا لامر الله (ألفوا) وجدوا (الاحزاب) الذين تحزبوا على أنبيائهم أى صاروا فرقا (أتراب) جمع ترب أى (أكفلنيها) ضمها الى واجعلنى كافلها أى الذى يضمها ويلزم نفسه حياطتها والقيام بها

إحسانا)

احسانا) بحذف العامل أى احسنوا وهو نوع من المجاز المفيد للمبالغة (وذى القربى) المشاركين لهما فى القرابة (واليتامى) محل الشفقة للضعف (والمساكين) محلها الفقر (وقولوا للناس حسنا) اكتفى فى الاجانب بالاحسان القولى لانه لا يتيسر الفعلى فى حق العامة قدم حق الآدمى على حقه سوى التوحيد لانه أشد فالنقض فيه أصعب ثم قال (وأقيموا الصلوة) العبادة الشاملة للقلب واللسان والجوارح (وآتوا الزكوة) المحسنة للاخلاق (ثم توليتم) عن هذه المواثيق كلها (الا قليلا منكم) فكيف يكون العذاب على نقض جميعها أياما معدودة كيف (وأنتم معرضون) أى عادتكم الاعراض ولو قالوا أكثر هذه أمور هينة لا تقتضى طول مدة العذاب على نقضها أجيبوا بانكم تخلفون بمواثيق لا يهون الامر فيها بل يقرب من التوحيد (و) ذلك (اذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم) أى لا يريق بعضكم دم بعض فيه فيفضى الى اراقة دم نفسه قصاصا لها أو الى العذاب الاخروى الذى هو أشد منه بكثير (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) أى لا يخرج بعضكم بعضا من داره ولو باساءة جواره لانه يفضى الى اخراج المخرج من الجنة أوردهما بطريق الخبر كالتوحيد فيما تقدم ليعلم انهما قريبان منه (ثم أقررتم) أى اعترفتم بالتزام هذين الميثاقين (وأنتم تشهدون) به الآن أيضا وان نقضتموهما (ثم) بعد هذا الاقرار والشهادة (أنتم هؤلاء) أى المشار اليهم بالقرب لدناءة حالكم تنقضون الميثاقين الواردين بطريق الخبر فيشبه التكذيب اذ (تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) ولا يختص ذلك بالقاتل والمخرج بل يعم المظاهر وأنتم (تظاهرون عليهم) أى يعين بعضكم بعضا على القتل والاخراج (بالاثم والعدوان) أى بما هو معصية فى نفسه وتعد على أخيه وذلك أن قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه فى القتل والاجلاء وقد أخذ عليكم الميثاق أيضا بأن كل أسير وجدتموه من بنى اسرائيل فاشتروه بما قام من ثمنه وأعتقوه فلم تنقضون هذا الميثاق (و) هو قوله (ان يأتوكم أسارى تفادوهم) ولذلك لم يذكر فى المواثيق المنقوضة أولا فقيل لهم كيف تقاتلونهم وتفدونهم قالوا نفديهم لانا أمرنا بذلك ونقاتلهم حياء أن تذل حلفاؤنا فقيل (وهو) أى الشأن (محرم عليكم اخراجهم) والقتل أولى والمعاونة على القتل قتل وعلى الاخراج اخراج (أ) تعملون ببعض المواثيق وتنقضون البعض (فتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) أى تفعلون فعله (فما جزاء من يفعل ذلك) سيما (منكم الا خزى) هو ذل يستحيى منه (فى الحيوة الدنيا) كقتل قريظة وسبيهم واجلاء بنى النضير ونفيهم لاستهانتهم بمواثيق الله دون مواثيق حلفائهم (ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب) لا الى عذاب هين مدة معلومة لكثرة ما نقضوا من مواثيق الله المؤكدة مع كونها معظمة فى نفسها حتى انه لو ترك هذه المبالغة فى شأنهم توهم فيه الغفلة (وما الله بغافل عما تعملون) وكيف لا يردون فى الآخرة الى أشد العذاب ولم يتركوا لانفسهم منها شيأ اذ (أولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة) حيث

(أحببت حب الخير عن ذكر ربى) أى آثرت حب الخيل عن ذكر ربى وسميت الخيل الخير لما فيها من المنافع وفى الحديث الخير معقود بنواصى الخيل (الايد) القوة كقوله داود ذا الايد واما قوله تعالى أولى الايدى والابصار فالايدى من

آثروا أمر حلفائهم على أمر الله فلم يتركوا شيأ من خير الآخرة (فلا يخفف عنهم العذاب) لانه خير أخروى فلا يحصل لهم باختيار الهى (ولاهم ينصرون) بدفعه قهرا ثم أشار الى أنه لوهان عليهم العذاب بالقتل والاخراج والمعاونة فكيف يهون على نقض ميثاق الايمان بالرسل الذى هو بمنزلة التوحيد وعلى قتلهم فقال (ولقد آتينا موسى الكتاب) المشتمل على المواثيق كلها وآكدها الايمان بالرسل الذين يأتون بعده (وقفينا من بعده بالرسل) فكذبتم البعض وقتلتم البعض (و) ان زعمتم أنهم لم يكونوا أولى معجزات قاهرة فقد (آتينا عيسى بن مريم البينات) القاهرة كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وهى كآيات موسى أو أجل (و) زدناه المعجزات القولية اذ (أيدناه بروح القدس) بتغليب ملكيته على بشريته (أ) نقضتم الميثاق فى حقهم بلا سبب سوى مخالفتهم أهويتكم (فكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم) كمحمد وعيسى (وفريقا تقتلون) كشعيا وزكريا ويحيى عليهم السلام زيادة على التكذيب وانما قال تقتلون لانهم يجددون قصده لو وجدوا الآن (وقالوا) فى الاعتذار انما فعلنا بهم ذلك لانه لم يظهر لنا صدقهم اذ (قلوبنا غلف) أى كانها مغشاة بالغلاف قال الله تعالى ليس كذلك (بل) لانهم (لعنهم الله بكفرهم) فكانت كفرهم غلافا لهم أكده الله باللعن (فقليلا ما يؤمنون) حتى بموسى الذى زعموا الايمان به وكيف يهون عذابهم على تكذيبهم هذا النبى لوهان على تكذيب من سبق وقد كملت معرفتهم به وعنادهم معه وحسدهم عليه (و) ذلك انهم (لما جاءهم كتاب) علموا انه (من عند الله) لاعجازه وقد تأكد بكونه منه أنه (مصدق لما معهم) من كتاب الله من غير أن يكون للمنزل عليه به خبر قبل نزوله (وكانوا من قبل) معترفين نبوته وفضله على سائر الانبياء اذ كانوا (يستفتحون) أى يطلبون النصر به (على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا) قبل مجيئه بما ذكر فى كتابهم وبعده بمعجزاته سيما القولية المصدقة لما معهم (كفروا به) عنادا وحسدا فكيف يخفف فى حقهم العذاب أو يجعل أياما معدودة (فلعنة الله على الكافرين) أى كلهم سيما من كفر عنادا وحسدا فانهم (بئسما اشتروا به أنفسهم) وهو (أن يكفروا بما أنزل الله) أى بئسما باعوا به حظ أنفسهم الاخروى اذ باعوه بالكفر بما أنزل الله لاريب فيه بل (بغيا) أى عنادا مع الله كراهة (أن ينزل الله) من وحيه الذى هو (من فضله على من يشاء من عباده) سيما من رآه اهلا له دونهم فعاندوا الله (فباؤا بغضب) عظيم من الله على عنادهم معه وتحكمهم عليه (على غضب) على كفرهم بآياته ورسله ونقضهم مواثيقه فكيف يكون عذابهم هينا وأياما معدودة كيف (و) قد أذلوا بالقتل والتكذيب من أعزهم الله بالتصديق فلا جرم يكون (للكافرين عذاب مهين) لا يتبدل بالاعزاز بعد أيام معدودة ولا بالتخفيف (و) يدل على أن كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم انما كان لحسدهم على انزال الكتاب على غيرهم وهو أنهم (اذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله) أى بكل ما أنزله (قالوا نؤمن بما أنزل علينا) احترازا عن المنزل على غيرهم كراهة انزال الله على الغير

الاحسان يقال له يد فى الخير وقدم فى الخير والابصار البصائر فى الدين (اتراب) اقران اسنان واحدها ترب (أشرقت الارض) أى أضاءت (أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) مثل قوله تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم

وحسدا

وحسد المنزل عليه (ويكفرون بما وراءه) مع تحقق الموجب للايمان فيه (وهو) أنه
(الحق) في نفسه وكونه (مصدقا لما معهم) من الكتاب الذي يؤمنون به (قل) ان صح
ايمانكم بالتوراة وقد تضمنت ميثاق الايمان بكل نبي فما لكم لا تؤمنون بالانبياء وان منعكم
التمسك بالتوراة عن الايمان بنبي لنسخه بعض أحكامها (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان
كنتم مؤمنين) أي ان صح دعواكم فعلم أنكم لا تؤمنون بها أيضا ثم أشار الى أن كفرهم
لم يتأخر الى عصر الانبياء الذين قتلوهم بل كفروا في عصر موسى بما هو أشد منه (و) ذلك انه
(لقد جاءكم موسى بالبينات) الدالة على تخصيص الله بالالهية والعبادة له (ثم اتخذتم العجل)
الها معبودا (من بعده) أي من بعد تقررها عندكم (و) لا يبعد منكم اذ (أنتم ظالمون) أي
عادتكم الظلم كقولكم سمعنا وعصينا حين رفع عليكم الطور (و) ذلك (اذ أخذنا ميثاقكم
ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة) تحملون بها المشاق (واسمعوا) كل ما نقول
لكم لئلا يفوتكم شيء من ذلك (قالوا سمعنا وعصينا و) انما قالوا عصينا في تلك الحالة لانهم
(أشربوا) أي تداخلهم حب العجل تداخل الشراب في أعماق البدن فاستقر (في قلوبهم
العجل بكفرهم قل) ان كان قولكم عصينا واشراب العجل صادرا عن أمر ايمانكم (بئس
ما يأمركم به ايمانكم) من هذه القبائح وغيرها مما ذكرنا (ان كنتم مؤمنين) أي ان صدقتم في
دعوى الايمان بالتوراة (قل) ان كان كفركم بما وراء التوراة لزعمكم انه لم ينزل بعدها كتاب
لكانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة و (ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله) سيما اذا
كانت (خالصة) لا بمعنى اختصاصكم بارفع الدرجات منها بل (من دون الناس) أي مجاوزة
عنهم لكان الموت أحب اليكم وان علمتم انه يحصل لكم بالحياة أعمال رافعة للدرجات الا انه
يتأخر بها الوصول الى المحبوب وبالموت يحصل بسرعة والانقطاع عن المحبوب أشد وان علم
انه يحصل بعد مدة أكمل فلو تحقق عندكم (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) في هذه الدعوى
وحصل لكم متمناكم لانه موعود به عند التمني قال عليه السلام لو تمنوا الموت لغص كل
انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي (ولن يتمنوه أبدا) أي ماداموا في
هذه الحياة لعلمهم انه يحصل به متمناهم واذا حصل جازاهم الله (بما قدمت أيديهم) أي كسبت
أنفسهم أطلقت على العامل آلة أكثر الاعمال مجازا وهو من الاخبار بالغيب اذ لو تمنوه
بالقلب لاظهروه باللسان دفعا للمقالة ولو أظهروه لاشتهر وكيف لا يجازيهم مع ظلمهم (والله
عليم بالظالمين) فهم وان لم يتمنوه يميتهم الله ثم يجزيهم وأشار الى أن تمني الموت لا يصير محبوبا
لهم وان تركوا طبعهم فقال (ولتجدنهم أحرص الناس على حيوة) أي نوع من الحياة وهي
المتطاولة مع الرفاهية (و) زاد حرصهم على الكل حتى على من لا يعرف الآخرة (من الذين
أشركوا) وقد بلغ من حرصهم أنه (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) وان علموا أنه لا يبقى
للمسن شيء من القوى ولا يتمتع بعيشه لكنهم يتباعدون بذلك من العذاب (وما هو
بمزحزحه من العذاب أن يعمر) أي وما التعمير يبعده من العذاب وان بلغ أن يعمر مدة

ثم يحييكم فالموتة الاولى
كونهم نطفا في أصلاب
آبائهم لان النطفة ميتة
والحياة الاولى احياء الله
تعالى اياهم من النطفة
والموتة الثانية اماتة الله
اياهم بعد الحياة والحياة
الثانية احياء الله اياهم
للبعث فهاتان موتتان
وحياتان ويقال الموتة

الدنيا الانها وان طالت فهى قريبة وهو يزدادبالتأخر معصية فلا يعد تبعيدا وانما المبعد الحقيق ما يبعده تحقيقا (والله بصير بما يعملون) فلا يخفف عنهم بل يزيدهم بزيادتهم اعمالهم ولو قالوا لا نكفر بما وراء التوراة لانه نزل على غيرنا بل لانه نزل به عدونا وهو جبريل كما قالوا العمر رضى الله عنه حين دخل مدارسهم فقالوا ما صاحب محمد الذى يأتيه بالوحى فقال جبريل فقالوا ذلك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا وهو صاحب كل عذاب وخسف (قل) ان جبريل لا يعاديكم بل تعادونه لانه أنزل القرآن على غيركم (من كان عدوا لجبريل) لذلك فلا وجه لعداوته (فانه نزله على قلبك باذن الله) لا باستقلال من نفسه لانه رسول الله فلا يفعل الا بامره واظهاره أسرار اليهود بأمر الله أيضا لا بعداوته على أنه لو كان عدوا فلا وجه لترك الايمان بالمنزل لكونه (مصدقا لما بين يديه) فرده رد لما بين يديه (وهدى) أكمل من هداه (و) لكنهم ردوه لكونه (بشرى للمؤمنين) ولو آمنوا لدخلوا فى تلك البشرى أيضا فلا وجه لعداوته على أنها عداوة لله أن ينزل من فضله على غيرهم (من كان عدوا لله) لانزاله فضله على من يشاء أو لامر آخر (وملائكته) الذين ليسوا برسل (ورسله) الذين ليسوا بملائكة فانه أيضا من عداوته لان عداوة المحب عداوة المحبوب (وجبريل وميكال) الجامعين بين الملكية والرسالة فانه أولى بأن تكون عداوتهما عداوة الله فمن عادى الله بذاته وعادى هؤلاء من خواص أحبابه فعداوة الله منعكسة عليه (فان الله عدو للكافرين) بوجه من الوجوه فكيف لا يعادى من جمع هذه الوجوه كلها (و) عداوة جبريل لانزال القرآن على غيرهم عين عداوتنا لانا منزلون بالحقيقة (لقد أنزلنا اليك آيات) أى معجزات لاقدرة لغيرنا عليها وليست للاضلال لكونها (بينات) أى واضحة الهداية لموافقتها كتب الاوائل والعقل (وما يكفر بها الا الفاسقون) أى الخارجون عن مقتضى العقل والنقل (أ) ينكرون فسقهم (وكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم) عهد بنو قريظة والنضير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يعاونوا المشركين على قتاله فنقضوه ولم يفسقوا بمجرد نقض العهد (بل) بكفرهم أيضا اذ (أكثرهم لا يؤمنون) بكتابهم أيضا فى الحقيقة (و) يدل عليه أنه (لما جاءهم رسول) علموا بمجيئه (من عند الله) بمعجزاته مع أنه (مصدق لما معهم) ومقتضاه أن يزدادوا ايمانا بكتابهم ويؤمنوا به وهم قد عكسوا الامر اذ (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله) الذى يعترفون بحقيته كأنهم جعلوه (وراء ظهورهم) لا يلتفتون حتى صاروا (كأنهم لا يعلمون) فاختاروا الجهل المطلق على علم الكتاب الالهى (و) لم يقتصروا على ذلك التبديل (اتبعوا ما تتلوا الشياطين) أى كتب السحر التى تتلوها شياطين الانس والجن يفترون (على ملك سليمان) أنه حصل له بهذا العلم فسخر به الانس والجن والريح فكذبهم الله عز وجل بأن أكثر أعماله كفر (وما كفر سليمان) قط لاعترافكم بنبوته ووجوب عصمة الانبياء عن الكفر (ولكن الشياطين) من بطلانهم فى أنفسهم (كفروا) أى مضوا على كفرهم بحيث يعتقدون تأثير الاسباب وزاد كفرهم

الاولى التى تقع بهم فى الدنيا بعد الحياة والحياة الاولى احياء الله تعالى اياهم فى القبر لمساءلة منكر ونكير والموتة الثانية اماتة الله تعالى اياهم بعد المساءلة والحياة الثانية احياء الله تعالى اياهم للبعث (أسباب السموات) أبوابها (أقوات) أرزاق بقدر ما يحتاج اليه

بأنهم (يعلمون الناس السحر) باستعمال أعماله (و) ما اقتصروا على سحر الشياطين الذي خالط فيه الكفر وغيره بل اتبعوا أيضا ما هو محض الكفر (ما أنزل على الملكين) النازلين (ببابل) من أرض الكوفة يسميان (هاروت وماروت) ابتلاء من الله للناس بتعليم السحر ليميزوا بينه وبين المعجزة (و) ما يقصدان بذلك اضلال الناس وتكفيرهم بل (ما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة) أي ابتلاء من الله (فلا تكفر) باعتقاد تأثير الكواكب أو الشياطين أو بعبادتهم ولا كفر في تعليم ما يؤدي الى الكفر ولا في تعلمه كان يقول المعلم اذا عبد الكوكب الفلاني أو الشيطان الفلاني حصل كذا فيتعلمه وانما يكفر من عبدهما أو اعتقد تأثيرهما (فيتعلمون منهما) ما غايته اضرار الناس اذ من جملته علم (ما يفرقون به بين المرء وزوجه) مما يفضي الى قطع النسب الموجب لتخريب العالم وأشار الى أن من الكفر في السحر اعتقاد الضرر بدون اذن الله فقال (وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله و) لو لم يكن فيه كفر ولا في العمل به ولا في اعتقاد تأثير الكواكب أو الشياطين لكان حق العاقل أن يتعوذ منه اذ (يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) لا كالفلسفة التي تضر تارة وتنفع أخرى (و) ليس اختيارهم اياه من جهلهم بضرره فوالله (لقد علموا لمن اشتراه) أي أخذ السحر بدل كتاب الله فآثره عليه (ماله في الآخرة من خلاق) أي نصيب (و) لا يقتصر في حقه على قطع النصيب بل (لبئس ما شروا به أنفسهم) أي بئسما باعوا به حظهم الاخروي حتى كأنهم أتلفوا أنفسهم (لو كانوا يعلمون) أن لهم بدل السعادة الابدية الشقاوة الابدية لكنهم يزعمون أنه ينقطع عذابهم تمسكا باعتقادهم أنهم لن تمسهم النار الا أياما معدودة (ولو أنهم آمنوا) بكتابهم وبما أمروا بالايمان به مما نزل بعده (واتقوا) عن متابعة المنسوخ بعد نزول الناسخ ومتابعة كتب السحر (لمثوبة) ما (من عند الله خير) من الدنيا وما فيها فضلا عن رشاهم وما يحصل لهم من السحر لكنهم انما يعلمون ذلك (لو كانوا يعلمون) الحقائق أن المثوبة خير من الرشا وغيره ولكنهم يؤثرون السعادة الدنيوية على الاخروية ثم أشار الى أنهم اعتادوا التلبيس في كلامهم وهو مما يشبه السحر فهم جامعون بين السحر وما يشبهه اذ يقولون راعنا ويوهمون أنهم يطلقونه بمعنى راقبنا اطلاق المؤمنين ويقصدون معنى الاحمق اسم فاعل من الرعونة على أنه منادى نكرة فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) وان لم تقصدوا به المعنى الباطل اذ يصير ذريعة للمبطلين وكما أن الايمان يقتضي ترك السحر يقتضي ترك التلبيس وان لم يقصده المؤمن (وقولوا) بدله (انظرنا) اذا خاطبكم الرسول لتفهموا كلامه (واسمعوا) سماعا لا تحتاجون معه الى شيء من القولين (وللكافرين) الذين آذوه بهذا التلبيس (عذاب أليم) أشد ايذاء لهم من هذه المخاطبة ثم أشار الى أن أهل الكتاب انما يخاطبونكم بذلك ليوهموا الناس حماقتكم المنافية للانزال عليكم لانه (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم) فاذا عجزوا عن منع الله عن الانزال قصدوا هذا الايهام ولا يتم لهم الا بمنع الانزال (و) لكن لا يتأتى لهم

واحدها قوت (أرداكم) أهلككم (أكامها) أوعيتها التي كانت فيها مستترة قبل تنظرها واحدها كم وقوله تعالى والنخل ذات الاكمام أي الكفرى قبل أن تتفتق (آذانك) أعمالك (أكواب) أباريق لا عرا لها ولا خراطيم واحدها كوب (آسفونا) أغضبونا

المنع اذ (الله يختص برحمته من يشاء) بل ربما يرحم غيرهم بأكمل مما رحمهم كيف (والله ذو الفضل العظيم) ومن الفضل العظيم النسخ وهو بيان انتهاء التعبد بالقراءة أو الحكم أو كليهما فانا (ما ننسخ من آية أو ننسها) أى نؤخرها ونبعدها عن الذهن فلا يسبق اليه لفظها ولا معناها (نأت بخير منها) أى أسهل فى العمل أو أوفق لمصلحة الفاعل أو العصر أو أكثر فى الاجر (أو مثلها) أن يكون المتأخر فى عصره مثل المتقدم فى عصره فى الامور المذكورة واذا فعلنا ذلك بآيات الكتاب المعجز فلا يبعد أن نفعل مثله بغيره ولو لم يتم فضل الناسخ أو مثليته لغيرهم لا ينقادون له اذ لابد فيه بل التخفيف أو رعاية المصالح أو اعطاء الفاضل للفاضل ولا يبعد من الله (ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير) فيقدر على التخفيف ورعاية المصالح واعطاء كل ذى حق حقه ولا يبعد منه تفضيل الامم بعضها على بعض (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) فكما فضل السموات على الارض فضل بعض عباده على بعض وبعض أحكامه على بعض (و) ان لم ينقادوا الله فى تفضيله (ما لكم من دون الله من ولى) يجرى أموركم على أكمل مما يعطيكم وأصلح (ولا نصير) يدفع عنكم النقائص والمفاسد أتستقرون على حكم الله فى كل عصر (أم) لا بل (تريدون أن تسئلوا رسولكم) بتبديل حكم الله (كما سئل موسى من قبل) فى أمر البقرة المطلقة أن يبدلها بالمقيدة بالقيود الصعبة وفيه رد على اليهود بأنه لا نسخ فى حكم الله على أن هؤلاء يرون تبديل الناسخ بالمنسوخ كفرا (ومن يتبدل الكفر بالايمان) فانه وان ظن أنه اهتدى (فقد ضل سواء السبيل) اذ لم يبق هدى بعد النسخ ثم ان أهل الكتاب يعلمون بوقوع النسخ فى دينهم فى أمر البقرة وأن شبهتهم واهية ولكن (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم) بالقاء الشبه (من بعد ايمانكم كفارا) كما كفروا (حسدا) لا موجب له من قبلكم بل (من عند أنفسهم) ولا بقاء شبهة عندهم بل (من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا) أى تجاوزوا عن الالتفات الى قولهم وشبههم (واصفحوا) أى أعرضوا عن قتالهم (حتى يأتى الله بأمره) بالقتال ولم يؤخره لعجزه (ان الله على كل شئ قدير) لكن لحكمة لئلا يقال اذا غلب عن قلة واستمر عليه أنه انما يغلب بقوة سحره (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة) ليكون جهادا على أنفسكم بدل الجهاد عليهم واجعلوهما على وفق الناسخ الخير دون المنسوخ (وما تقدموا لانفسكم من خير) وان خالف المنسوخ (تجدوه عند الله) وهو أن منعه المتعبد بالمنسوخ (ان الله بما تعملون بصير) فيقبل من عمل بالناسخ ويرد من عمل بالمنسوخ على عكس ما عنده لعدم ابصاره ثم قال (و) هذا القول منهم كما (قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى) أى قالت اليهود لا يدخل الجنة الا يهودى وقالت النصارى لا يدخلها الا نصرانى قال عز وجل (تلك أمانيهم) أى اراداتهم التى يتمنونها على الله (قل هاتوا برهانكم) عليه من نص أو عقل (ان كنتم صادقين) فى هذا القول (بلى) لا نص عليه ولا عقل بل على أن (من أسلم وجهه لله) أى جعله منقاد الآياته وأحكامه فى كل عصر (وهو محسن) للنظر فيها والعمل بمقتضاها (فله أجره

(أبرموا امرا) أحكموا امرا (فانا أول العابدين) معناه ان كنتم تزعمون ان للرحمن ولدا فانا أول من يعبده على أنه واحد لا ولد له ويقال فانا أول الآنفين والجاحدين لما قلتم (أثرة) وأثارة من علم أى بقية من علم يؤثر عن الاولين أى يسند اليهم

عندربه) وان لم يكن عندهؤلاء (ولاخوف عليهم) من قول هؤلاء (ولاهم يحزنون) من التردد من قواهم (و) كيف لا يطلب البرهان منهم وقد ضلل كل فرقة صاحبتها اذ (قالت اليهود ليست النصارى على شئ) من الدين والهداية بل على محض الضلال فى الاعتقاد والعمل (وقالت النصارى ليست اليهود على شئ و) لا ترجيح لفرقة باختصاصها بالعلم اذ (هم) بأجمعهم (يتلون الكتاب) وترجيح عالم على آخر انما يكون بالدليل ولا دليل لهم بل (كذلك قال الذين لا يعلمون) من قبلهم من جهال الامم فلو جاز تقليد احدهم لجاز تقليد احد القدماء لانهم انما قالوا (مثل قولهم) بلا فرق فان أصروا على قولهم بلا دليل ولم يبالوا بالدليل على خلافه (فالله يحكم بينهم يوم القيامة) بما يجازيهم (فيما كانوا فيه يختلفون) اذ يجازى كلا على وفق اعتقاده وعمله وكيف يؤخذ بقولهم وهم يمنع النسخ أظلم الناس (ومن أظلم ممن منع مساجد الله) أن يصلى فيها بمقتضى الناسخ ليتضمن ذكر الله بجميع الاجزاء من القلب واللسان والجوارح فكأنه منع (أن يذكر فيها اسمه و) اذا منع لم يتم اعمارتها فكأنما (سعى فى خرابها) لكنه انما يتأتى لو سلطوا عليها والله تعالى لا يسلطهم بل (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين) من المؤمنين اذ ليس لهم بعد الاسلام دخولها الا باذن المؤمنين بل (لهم فى الدنيا خزى) قتل وأسر وجزية لاهانتهم الناسخ الفاضل (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) لمنع الله اعطاء الثواب على العمل بالناسخ ثم أشار الى أنهم وان منعوا عن الصلاة فى المسجد الحرام والاقصى فقد جعل الله لكم الارض كلها مسجدا فقال (ولله المشرق والمغرب) أى الارض كلها (فأينما تولوا) أى وليتم وجوهكم شطر القبلة (فثم وجه الله) أى الجهة التى أمر بها القربة اليها فى الصلاة وانما جعل جميع الارض مسجدا لكم لسعة رحمته بكم وعلمه بمصالحكم (ان الله واسع عليم) ولعلمه بمصالحكم لا يمنع اعطاء الثواب على العمل بالناسخ ثم العمل بالمنسوخ اما عن قول محمد صلى الله عليه وسلم ولا يرضونه أو عن قولهم (و) لا اعتماد عليهم اذ صاروا مشركين كيف اذ (قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه) من أن يجانس شيأ والولد من جنس الوالد أبدا فلو فرض له مجانس فليس مما فى السموات والارض (بل له ما فى السموات والارض) ملكا على أن ولده يجب أن يكون خارجا عن العبودية وهؤلاء (كل له قانتون) ولا متشبث لهم فى ولادة عيسى بلا أب ولا فى علم عزير بالتوراة بلا تعلم اذ هو (بديع السموات والارض) فلا يبعد أن يوجد بلا أب أو يعلم بلا واسطة بشر كما انه لا يحتاج فى ايجاد الاشياء الى مادة ومدة بل (واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) والولد من الحوادث المقتضية لجعل بعض ما حصل بالامر ولدا دون البعض تحكم محض (وقال الذين لا يعلمون) لما رأوا بعض الانبياء أتى بحكم وآخر بخلافه ولكل آية تصدقه (لولا يكلمنا الله) بأن الحق ما أتى به فلان (أو) لولا (تأتينا آية) ملجئة بأن الحق حكم فلان ومنشأ هذا جهلهم بأنهم لم يبلغوا رتبة المكالمة مع الله لاختصاصها بالملائكة والانبياء عليهم السلام ويجوز تعدد أحكام الله بحسب الاشخاص أو الازمنة فبقى الاشتباه على هؤلاء مع كونهم من أهل

(آنفا) أى الساعة من قولك استأنفت الشئ اذا ابتدأته وقوله تعالى ماذا قال آنفا أى الساعة أى فى أول وقت يقرب منا (أحقاف) رمال مشرفة معوجة واحدها حقف (أضل أعمالهم) أبطل أعمالهم (أثخنتموهم) أكثرتم

الكتاب كما بقي على المشركين من قبلهم فكما قال هؤلاء (كذلك قال الذين من قبلهم) بلا
تفاوت بل (مثل قولهم) وان كان هؤلاء من أهل العلم دون من قبلهم لكن (تشابهت
قلوبهم) بالكفر فصاروا امثالهم في الجهل فأنكروا الآيات الدالة على حقية كل من الناسخ
والمنسوخ في عصره ولكنه (قد بينا الآيات) الرافعة لشبهة امتناع تعدد حكم الله بحسب
الاشخاص والازمنة بتعدد المصالح (لقوم يوقنون) ثم انهم يريدون في الآيات البلوغ الى
حد الالجاء وليست بشرط بل يكفي البلوغ الى صلاحية الانذار والتبشير وقد وجد ذلك
في آيات محمد صلى الله عليه وسلم كما قال (انا أرسلناك بالحق) أي بالدلائل الثابتة التي لا تتزلزل
بشبهة (بشيرا ونذيرا) ولا يضر في صحتها انكار هؤلاء اياها الا انه عن عناد لانهم اختاروا لانفسهم
الجحيم (ولا تسئل عن) انكار المعاندين (أصحاب الجحيم) ولو قيل ان صلحت آياتك للتبشير والانذار
لقبلها أهل العلم وان عاند فيها الجهال لكن اليهود والنصارى لا يقبلونها فقال (ولن ترضى
عنك اليهود ولا النصارى) فيقبلوا آياتك لانهم لاشتهارهم بالعلم يريدون أن يكونوا متبوعين
على الاطلاق فلا يرضون عنك وان بلغت ما بلغت (حتى تتبع ملتهم قل) لا يتبع رسول
الا الهدى و(ان هدى الله) في كل عصر (هو الهدى) الذي جاء به رسول ذلك العصر وغيره
وان كان قبل النسخ هدى فانه يصير بعده هوى (ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من
العلم) القطعي بأن هدى هذا العصر ما جئت به لا غير (مالك من الله من ولي) يقويك (ولا نصير)
يدفع عنك العذاب حتى موسى وعيسى باتباعك ملتهما على أن أهل الكتاب قسمان قسم هم
(الذين آتيناهم الكتاب) بالحقيقة وهم الذين (يتلونه حق تلاوته) من غير تحريف لفظا أو
معنى (أولئك يؤمنون به) اي بمحمد صلى الله عليه وسلم لعلمهم بكمال آياته وصلوحها للتبشير
والانذار (ومن يكفر به) وهو القسم الآخر (فأولئك هم الخاسرون) للايمان بمحمد
وبكتابه جميعا وللآخرة وبكل فضيلة حصلوها وان حصلوا الرياسة وجامع سائر أموالهم
وديارهم (يا بني اسرائيل) الزاعمين استحقاق مطلق المتبوعية حتى لأكمل الرسل صلى الله عليه
وسلم (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) حتى ادعيتم هذا الاستحقاق من ذلك (و) من (أني
فضلتكم على العالمين) اي على عالمي زمانكم فليس مقتضى تلك النعمة وذلك التفضيل أن
تتكبروا على آياتي ورسلي وتكفروا وابى بالكفر بهما (واتقوا) في ذلك (يوما لا تجزي نفس)
فضلتم من نسبتكم اليها (عن نفس) تبعتها اذا تكبرت على آياتي فكفرت بها او برسلي (شيأ ولا
يقبل منها عدل) اي فدية لو فادوكم باعمالهم الصالحة أو بأنفسهم (ولا تنفعها شفاعة) منها وان
نفعت في حق الاجانب (ولا هم ينصرون) بدفع العذاب قهرا من قوة نسبتم اليها أو غيرها
(و) كيف تستحقون متبوعية أكمل الرسل صلوات الله عليهم أجمعين وليس فيكم من يستحق
متبوعية العوام لظلمكم فاذكروا (اذ ابتلى ابراهيم) اي كلفه (ربه بكلمات) اي بعمان النار
والهجرة وذبح الولد والختان أو الشمس والقمر والكواكب أو بعشر في براءة التائبون
العابدون الآية وعشر في المؤمنين قد أفلح المؤمنون الآيات وعشر في الاحزاب ان المسلمين

والمسلمات

فيهم القتل (آسن) وآسن متغير الريح والطعم (أشراطها) علاماتها ويقال أشرط نفسه للامر اذا جعل نفسه علامة له ولهذا يسمى أصحاب الشرط للبسهم لباسا يكون علامة لهم والشرط في البيع علامة للمتبايعين (أولى لهم) وأولى لك فأولى لهم

والمسلمات الآية وقيل خمس في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وخمس في البدن قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء (فأتمهن) اى فاحسن الصبر أو النظر أو العمل (قال انى جاعلك للناس اماما) اى قدوة ان بعدك فى هذه الكلمات وغيرها (قال و) اجعل (من ذريتى) اماما فى كل عصر (قال) فى بعض الاعصار لا يبقى منهم الا ظالم و (لا ينال عهدى) بالامامة (الظالمين) وقد تحقق ظلمكم بتحريف التوراة وقتل الانبياء واتخاذ العجل وغير ذلك (و) ان قالوا الا نريد المتبوعية لكن أحكام الله لا تتعدد فلابد من الرجوع الى أحكام التوراة أجيبوا بأن التوراة قد نسخت أحكام ملة ابراهيم فلم لا يكون لمن بعدها نسخ أحكامها فاذكروا (اذ جعلنا البيت) اى الكعبة (مثابة للناس) اى موضع ثواب لهم بالحج فى دين ابراهيم ثم نسخ فى دينكم (و) جعلناه لذلك (أمنا) لئلا يؤذى فيه الحجاج (و) جعلناه فى دينه قبلة اذ قلنا (اتخذوا من مقام ابراهيم) وهو الحجر الذى فيه أثر أصابع رجليه (مصلى) وليس بقبلة فى دينكم (وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل أن طهرا بيتى) من الانجاس (للطائفين) اى الدائرين حوله وليس فى دينكم (والعاكفين والركع) ولا ركوع فى دينكم (السجود) فقد نسختم من دينه ودين أولاده هذه الامور (و) كيف لا يكون محل الحج فى عهد ابراهيم وأولاده وقد دعا بذلك ابراهيم فاذكروا (اذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا) أى ذا أمن لئلا ينقطع عنه الحجاج (وارزق أهله من الثمرات) لئلا يضطروا الى نهب الحجاج وخص بدعاء الرزق (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) لئلا يعمره الكفار فيضعوا فيه أو حوله الاحجار (قال) لا أميز بين الفريقين بما يكون ملجئا الى الايمان بل أرزق المؤمنين (ومن كفر) لكن من كفر (فأمتعه) بالامن والثمرات (قليلا) أى أيام حياته (ثم اضطره الى عذاب النار و) لا أخفف عنه بتعميره بل يكون (بئس المصير) مصيره لانه ألحد فى بيتى فأضاعف عذابه (و) كيف تنكرون كونه محل الحج والقبلة وقد دعا بذلك ابراهيم ايماء تارة وتصريحا أخرى فاذكروا (اذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل) أى يبنيان أساسه بما يرفعه قائلين (ربنا تقبل منا) هذا البناء الذى نبنيه للحج والتوجه اليه فى الصلاة (انك أنت السميع) لدعائنا (العليم) بنياتنا فهذا ايماء وأصرح منه قوله (ربنا واجعلنا مسلمين لك) بأن نقصد بالحج والتوجه اليه عبادتك لا عبادته (و) اجعل (من ذريتنا أمة مسلمة لك و) أصرح من ذلك قوله (أرنا مناسكنا) أى متعبداتنا فى الحج بأسرارها (وتب علينا) فيما سهونا من المناسك وأسرارها (انك أنت التواب الرحيم) وكيف تنكرون بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ناسخا لما نسختم من ملته وقد قال ابراهيم (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) وليس فيهم غير محمد صلى الله عليه وسلم (يتلوا عليهم آياتك) الدالة على تعظيمك وتعظيم رسولك وبيتك (ويعلمهم الكتاب) أى علم الظاهر لئلا يضلوا بالباطن لو تجرد (والحكمة) أى الباطن المطلع لهم على أسرار الحج والتوجه اليه فى الصلاة (ويزكيهم) عن سوء الاعتقاد فيما بعد من أفعاله عن العقل وعن الالتباس بأفعال الكفرة فانه قد كثر فيه ذلك (انك أنت

تهديد ووعيد أى قد وليك شر فاحذره (أملى لهم) أطال لهم المدة مأخوذة من الملاوة والملاوة وهو الحين أى تركهم حينا ومنه قولهم تمليت حينا أى عشت معه حينا (أضغانكم) أحقادكم واحدها ضغن وحقد وهو ما فى القلب مستكن

(العزيز) أى الغالب بتيسيره هذه الاسرار (الحكيم) فى تخصيص اظهارها بمن يستحقه فيكفى فى محمد صلى الله عليه وسلم هذا المقدار فلا يحتاج معه الى تعيين اسمه وهيئته وزمانه ثم أشار الى أن محمدا عليه السلام لما كان مبينا لآيات البيت وأسرار المناسك كانت ملته ملة ابراهيم وانما نسخت فى حق اليهود لقصورهم لانهم أهل الظاهر المحض فلما جاء أهل الكمال الجامعون بين الظاهر والباطن عاد ذلك المنسوخ فالميل عنه ميل عن الكمال الذى فى ملة ابراهيم (ومن يرغب عن ملة ابراهيم) بعد حصول الاستعداد لها (الا من سفه نفسه) أى جهل كمال استعدادها المقتضى للتعبد بأكمل الملل وهى ملة ابراهيم كيف (ولقد اصطفيناه فى الدنيا) بالرسالة والنبوة والولاية والامامة وتكثير الانبياء من نسله واعطاء الخلة واظهار المناسك وأسرارها عليه وجعل بيته أمنا ذا آيات بينات الى يوم القيامة (وانه فى الآخرة) وان انقطعت نبوته ورسالته وامامته (لمن الصالحين) بولايته الخاصة التى هى أفضل من النبوة والرسالة وان كانتا أفضل من ولاية من تمحض وليا وقد حصلت له هذه الكمالات بمجرد اسلامه (اذ قال له ربه) بالوحى الظاهر أو الخفى (أسلم قال أسلمت لرب العالمين) فأسلم بجميع أسمائه وأحكامه فى كل عصر فجذبه ربه بجمعها اليه وبقى أثره فى أولاده الى أن كمل مع كمالات أخر فى محمد صلى الله عليه وسلم (و) ذلك لانه (وصى بها ابراهيم بنيه) اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل أربعة وعشرون والتوصية التقدم الى الغير بقول فيه صلاح وقربة (و) وصى بها (يعقوب) ابن ابنه بنيه أيضا روبيل وشمعون ويهوذا وسوز وخور زمولون ودوان ونفتوفى وكداد وأوشير وبنيامين ويوسف قائلين (يابنى ان الله اصطفى لكم الدين) أى الاسلام الذى لا يسمى غيره معه دينا ولا يقبل اعتقادا وعملا يخالفه (فلا تموتن) أى لا تكونن قبيل الموت على حالة وان فنيتم فى الله أو بقيتم به (الا وأنتم مسلمون) لا تدعون الالهية لانفسكم ولا تعتقدونها للمخلوق باعتبار الذات أو باعتبار صفات الكمال أو استحقاق العبادة له ولم يوص فى التزام أحكام اليهودية أو النصرانية أو أحكام ملته بل تركها على الانقياد لرسول كل زمان على أنه لم يوص هو ولا يعقوب بعبادة عزير وعيسى أكنتم غائبين غيبة مطلقة بأن لم يصل اليكم قصة وصية يعقوب بنيه (أم كنتم شهداء) أى حاضرين اذ بين لكم فى كتابكم قصة وصيته (اذ حضر يعقوب الموت) فوصى بنيه بعبادة الله وترك عبادة الغير (اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك) أى اسلافك لا من أشرك منهم بل (ابراهيم واسمعيل واسحق) ولما أوهم تكرير الاضافة التعدد أزالوه فقالوا (الها واحدا) لم يتقيدوا بملة نبى دون آخر بل قالوا (ونحن له مسلمون) أى منقادون لاحكامه فى كل عصر يأتى بها رسول ذلك العصر وأنتم يا أهل الكتاب وان كنتم من أولادهم فليس فيكم من ذلك شئ فكأنها فى حكم (تلك أمة) أى جماعة (قد خلت) أى مضت مع وصاياها وآثارها فى حقكم (لها ما كسبت) من الاعتقادات والاعمال والاخلاق (ولكم ما كسبتم) عما لم ترثوا منهم (و) لا ينفعكم انتسابكم اليهم اذ (لا تسئلون عما كانوا يعملون)

لو

من العداوة (آثامهم) جازاهم (آزره) اعانه (ألقى السمع وهو شهيد) استمع كتاب الله وهو شاهد القلب والفهم ليس بغافل ولا ساه (ألقيا فى جهنم) قيل الخطاب لمالك وحده والعرب تأمر الواحد والجمع كما تأمر الاثنين وذلك أن الرجل أدنى

قوله روبيل الخ سقط من هذا العد لاوى وبه تتم الاثنا عشر وقد وقع فى كتب التفسير والتاريخ اضطراب شديد فى ضبط تلك الاسماء والذى ذكره بعض المؤرخين ما نصه وأما أسماء آباء الاسباط الاثنى عشر أولاد يعقوب فهم روبيل ثم شمعون ثم لاوى ثم يهوذا ثم يساخر بكسر الياء المثناة التحتية وتشديد السين المهملة وفتح الخاء المعجمة ثم زبولون ثم يوسف ثم بنيامين ثم دان ثم نفتالى بفتح النون وسكون الفاء وفتح التاء المثناة فوق وكسر اللام ثم كاد ثم أشار اهـ

لو عملوا السيئات فكذا لا ينفعكم حسناتهم اذا لم تكونوا على وصاياهم وآثارهم ثم أشار الى أنهم لا يعترفون بكمال ملة ابراهيم بل يكادون يجعلونها ضلالا فقال (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا) لان الهداية منحصرة فيهما (قل) لا انحصار للهداية فيهما (بل) نتبع (ملة ابراهيم) فانها أكمل من اليهودية والنصرانية سيما التي اليوم لكونه (حنيفا) أى مائلا عما سوى الله اليه وأنتم تميلون الى عزير أو المسيح (وما كان من المشركين) باعتقاد استحقاقهما للعبادة فان قالوا جعلتم اليهودية والنصرانية شركا كنتم كافرين بما أوتى موسى وعيسى (قولوا) ما كفرنا بشئ يجب الايمان به بل (آمنا بالله) المستلزم للايمان بجميع آياته وأحكامه المستلزم للايمان بجميع الرسل (و) لكن نقدم الافضل ونقدم من تبعه افضل تبعيته فالافضل ومن تبعه فنقول آمنا بجميع (ما أنزل الينا) من الآيات والاحكام التى هى غاية الكمال (وما أنزل الى ابراهيم) مما يشبه هذا الكمال (و) الى (اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) ممن هو تابع أو كالتابع لهذا الكمال (وما أوتى موسى وعيسى) فهما وان فضلا بعض من تقدم فما أوتيا الا مقدار استعداد اممهما فهو دون ما تقدم فأخرناهما لكن لكمالهما جعلنا الايمان بهما مستقلا (و) كذلك آمنا بجميع (ما أوتى النبيون من ربهم) وان كان فيه تفاوت ولكن (لا نفرق بين أحد منهم) بالايمان بالبعض دون البعض كيف (ونحن له مسلمون) أى منقادون لجميع أحكامه فى الاعصار وان تفاوتت فضلا بتفاوت الامم (فان آمنوا) أى اليهود والنصارى الحاصرون للهداية فى ملتهم (بمثل ما آمنتم به) من المتقدم عليهم والمتأخر والمعاصر لهم (فقد اهتدوا) أى صدق عليهم لفظ الهداية وان لم ينحصر فيهم (وان تولوا) فهم وان وافقوا موسى أو عيسى فى الظاهر (فانما هم) بالحقيقة (فى شقاق) أى خلاف معهما فان حاجوك أو قاتلوك على ذلك أو غيره (فسيكفيكهم الله وهو السميع) لاقوال الفريقين (العليم) بمن هو على الحق منهما وقد بينه لنا بيانا واضحا حتى صار صبغة لقلوبنا (صبغة الله) اى صبغ قلوبنا بالهداية والبيان صبغة كاملة لا ترتفع بماء الشبه ولا تغلب صبغة غيره عليه كيف (ومن أحسن من الله صبغة) وكيف تذهب عنا صبغته (و) نحن نؤكدها اذ (نحن له عابدون) والعبادة تزيل رين القلب فينطبع فيها صورة الهداية بمزيد وضوح (قل أتحاجوننا فى) دين (الله) اذ لا يتعدد (و) لا يبعد اذ (هو ربنا وربكم) وله باختلاف نسبه أسماء مختلفة تقتضى أحكاما مختلفة عند ظهور سلطنتها (و) كذلك يكون (لنا أعمالنا) التى نعملها على وفق أمره الآن (ولكم أعمالكم) التى عملتموها على وفق أمره حين أمرتم بها وأما الآن فلا يحصل لكم أجرها (و) يحصل لنا اذ (نحن له مخلصون) العمل باتباع أمره وأنتم تتبعون أهواءكم بعد نسخ أمره أتقولون ديننا أكمل من دين ابراهيم وأولاده (أم تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) أولاد يعقوب (كانوا هودا أو نصارى) لان دين الله لا يتبدل (قل أأنتم أعلم أم الله) الذى حكى لكم فى كتابكم أن فى دينه وجوب الحج وكون الكعبة قبلة ووجوب الركوع فى الصلاة وقد

أعوانه فى ابله وغنمه اثنان وكذلك الرفقة أدنى ما تكون ثلاثة تجرى كلام الواحد على صاحبيه (ادبار السجود) ذكر عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال ادبار السجود الركعتان بعد المغرب

رجح دينه بتكثير الانبياء من أولاده وذكره في كتابكم أيضا وذكر أيضا حقية هذه الملة وانها اتق في الاكثر ملة ابراهيم لكنكم تكتمون هذه الشهادات كلها (ومن أظلم ممن كتم شهادة) واحدة صحت (عنده) أنها (من الله) بل زدتم على الكتمان بالتحريف (وما الله بغافل عما تعملون) من كتمانكم وتحريفكم ولا يمنع اعمال أسلافكم من مجازاتكم على وفق أعمالكم بل (تلك أمة قد خلت) بأعمالها لم تترك اهم من أعمالهم شيأ (لها) جزاء (ما كسبت) من الصالحات (ولكم) جزاء (ما كسبتم) من الصالحات وكيف يكون لكم جزاء أعمالهم (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) والجزاء انما يكون عقيب السؤال وسؤال الشخص عن عمل الغير غير معقول في العدل ولما كانت ملة الخليل عليه السلام أكمل كانت قبلتها أكمل فلا يشكر التحويل اليها الا سفيه كما قال (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها) بعد الكعبة والنسخ انما يكون بالخير (قل لله المشرق والمغرب) أي الجهات كلها فله أن يولي عباده الى أي جهة شاء لينضبط بها ظاهرهم فينضبط باطنهم لعلاقة بينهما مع اجتماع الخلائق الى جهة واحدة ليتفق بواطنهم في استفاضة الانوار وله أثر عظيم لذلك شرعت الجماعة في الصلاة ليتفق أهل محلة ووجبت في الجمعة ليتفق أهل بلد ووجب الحج ليتفق أهل الآفاق ولا يتأتى تعيين الجهة الا بأمر سماوي نخص ابراهيم عليه السلام بأكمل الجهات وهي الكعبة لانها المبدأ الترابي للانسان اذ بسطت الارض من تحتها فاذا توجه اليه الظاهر توجه الباطن الى مبدئية جناب الحق وقد كان فيها الدرة المحمدية التي أجابت الحق من الارض وما قابلها من السماء اذ قال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ثم جعلت لليهود صخرة بيت المقدس لان منها عروج بعض الانبياء الى السماء فالتوجه اليها مشعر بعروج الصلاة ثم جعلنا لمحمد صلى الله عليه وسلم ليكون جامعا الجهات له الكعبة أولا لكمال نشأته ثم جعلت له الصخرة بعد تحقق معراجه ليزداد عروجا حين تحول الى المدينة فصلى اليها ستة عشر شهرا يتألف بها اليهود ثم عاد الى الكعبة لان النهاية هي الرجوع الى البداية فكانت غاية الكمال لان توجه الظاهر اليها لما استلزم توجه الباطن الى الحق لم يكن ثم مسافة والمعراج يشعر بالمسافة وهي انما تعتبر في حق البعداء فلذلك قال عز وجل (يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) أي الى أقرب الطرق وذلك لقربكم من الله بكمال الاعتدال في الاعتقاد والاخلاق والاعمال ثم أشار بانا كما جعلناكم معتدلين لتقربينا جعلناكم معتدلين لتكميل العدالة فقال (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) أي معتدلة في الاعتقادات والاخلاق والاعمال (لتكونوا شهداء على الناس) لكمال عدالتكم لعدم ميلكم الى طرف مع ان هذا الاعتدال بعد التزكية والتصفية يفضي الى كشف الامور على ما هي عليه اذ لم يختل بالرياضة المزاج فلم يفض الى الجنون (ويكون الرسول عليكم شهيدا) اذا أنكر المشهود عليهم أن يكون لكم هذه الرتبة فبينها لهم الرسول بيان الشاهد عند الحاكم ثم قال اعتذارا عن الانتقال من الكامل الى الناقص في النسخ (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها)

وادبار النجوم الركعتان قبل الفجر الادبار جمع دبر والادبار مصدر أدبر ادبارا (ايان يوم الدين) متى يوم الجزاء (ألتناهم) نقصناهم يقال الت يالت ولات يليت لغتان (اللات والعزى ومناة) أصنام كانت في جوف الكعبة

أي بيت المقدس بعد الكعبة التي هي أكمل منها (الا لنعلم من يتبع الرسول) أي ليتميز بمقتضى علمنا باليهود من يتبع الرسول منهم لرؤية تأليفه (ممن ينقلب على عقبيه) فيزعم انه عليه السلام تبعهم (وان كانت لكبيرة) أي وان تلك القبلة كانت ثقيلة على أرباب النظر لما فيها من الانتقال من الاعلى الى الاسفل (الا على الذين هدى الله) للحكمة الالهية في تأليف اليهود فان هداهم يجبر نقصها ولما كان هذا كمالا في حق الرسول عليه السلام دون الصحابة توهموا ضياع صلاة من صلى اليها فأزاله الله عنهم بقوله (وما كان الله ليضيع ايمانكم) أي أعمالكم التي عملتموها بمقتضى ايمانكم بالله انقيادا لامره فانه أتم في العبودية من اتباع ما يطابق العقل اذ فيه انقياده والله تعالى يكمل لمنقاده نقص الجهة (ان الله بالناس لرؤف رحيم) ثم أشار الى أن الله تعالى وان كمل أجر المتوجهين الى الصخرة من فضله لامتثالهم لكنها لما كانت دون الكعبة الكاملة بالذات أراد الكامل بالذات أن يؤمر بالجهة الكاملة ليكمل أجره باعتبار الذات وباعتبار الفضل من امتثال الامر فقال (قد نرى تقلب وجهك في السماء) تنتظر الوحي الامر بالكعبة (فلنولينك قبلة ترضاها) فانه وان كملت العبودية في الصخرة نراعي رضاك باعطاء الكامل بالذات (فول وجهك شطر المسجد الحرام) أي الذي يحرم على الكامل النظر الى غير الله ولا يختص ذلك بك لغاية كمالك بل يكون لاتباعك بتبعيتك حتى قيل لهم (وحيثما كنتم) من المراتب (فولوا وجوهكم شطره) فانكم تنالون بتبعيته من الكمال مالم ينله من هو أفضل منكم من قدماء الانبياء (وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق) أي توجه هذه الامة الى الكعبة وان كانت دون الانبياء المتوجهين الى الصخرة هو الحق الذي جاءهم (من ربهم) الذي رباهم باعطاء هذه الفضيلة بتبعية أكمل الرسل لكنهم يكتمون فضائل هذه الامة ويحرفون الكلم عن مواضعه في نعوت محمد صلى الله عليه وسلم (وما الله بغافل عما يعملون) من الاعمال ثم أشار الى أن هذا آية لكونه من أخبار الغيب عما بالغوا في ستره من كتبهم موجبة لمتابعة قبلتك (و) لكن (لئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك) اذ يريدون أن يصيروا لك متبوعين لا تابعين (و) لكن (ما أنت بتابع قبلتهم) الآن وان تبعتها أولا لانك رجعت الى كمال مبدئك في منتهاك (و) لا يتبعون الدلائل لانه (ما بعضهم بتابع قبلة بعض) وان كان له دليل من نص كتبهم لكنه لم يبق دليلا بعدما نسخ بل صار هوى (ولئن اتبعت أهواءهم من بعدما جاءك من العلم) بان قبلتهم نسخت بما هي أكمل منها نسخا مؤبدا (انك اذا لمن الظالمين) بترجيح الادنى على الاعلى مخالفا لامر الله (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) أي اتباعك قبلتهم بعد نسخها معرفة لا التباس فيها (كما يعرفون أبناءهم) من غير لبس اذ لا يخفى عليهم جواز النسخ (وان فريقا منهم ليكتمون الحق) من جواز النسخ (وهم يعلمون) حقيته وان الكعبة أعلى من الصخرة وان كانت معراج بعض الانبياء فان سلم علوها فاتباع أمر الله هو (الحق) الآن في (من ربك) دون اتباع مقتضى ذوات الاشياء على خلاف أمره (فلا تكونن من الممترين) من هذه الشبهة فقد

من حجارة كانوا يعبدونها (أكدى) قطع عطيته ويئس من خير مأخوذ من كدية الركية وهو أن يحفر الحافر فيبلغ الى الكدية وهي الصلابة من حجر أو غيره فلا يعمل

رفعت بالكلية (و) يدل على أن الواجب متابعة أمر الله لا غير أنه (لكل وجهة هو موليها) أى لكل مصل من عباد الامم جهة هو مول وجهه اليها امتثالا لامر الله اذ هو الخير عند تعارضه مع الفضل الذاتى (فاستبقوا الخيرات) أى فبادروا الى تحصيل الخيرات من امتثال أوامر الله المفيد للسعادات الابدية (أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا) أى ففى أى جهة تكونوا من الجهات المأمورة يأت بكم الله الى مقام قربه ولا يستبعد ذلك فى الجهات الناقصة (ان الله على كل شئ قدير) ثم أشار الى أنه عز وجل وان أتى الى مقام قربه كل متوجه الى جهة أمر بها فلا تتوجه الى أى جهة شئت مما أمر بها الاولون اذ لم تبق جهة بل (ومن حيث خرجت) أى ومن أى مقام أولئك الانبياء خرجت من عهدته (فول وجهك شطر المسجد الحرام) لانه الجهة الجامعة لفضائلها (وانه للحق من ربك) الجامع ففيه فوائد سائر الجهات بل لم تبق جهات فى حق أحد يأتى به الى مقام قربه اذ صارت منهية (وما الله بغافل عما تعملون) من الاعمال المخالفة لامره الحاضر او افقتها ما مضى من أمره ثم أشار الى أنكم كيف لا تؤمرون بجهة الكعبة مع انكم على ملة ابراهيم فلو خالفتم قبلته لالزمكم الناس بمخالفتكم ملته فقال (ومن حيث خرجت) عن كمال عهدة ملة ابراهيم (فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم) من مراتبكم (فولوا وجوهكم شطره) بمتابعة نبيكم (لئلا يكون للناس عليكم حجة) بمخالفة ملة ابراهيم (الا الذين ظلموا منهم) فانهم لا يحتجون عليكم بذلك اذ يزعمون انها ليست قبلته بل قبلته الصخرة لكونه يهوديا أو نصرانيا فى زعمهم (فلا تخشوهم) أن يقولوا خالفتم قبلة ابراهيم لان هذا القول منهم يخالف ما تواتر من قبلة ابراهيم (واخشونى) فلا تخالفوا أمرى بطعنهم ترجيحا له على أمرى (و) لو صح قولهم انها ليست قبلة ابراهيم فانما أمرتكم بها (لاتم نعمتى عليكم) بالتوجه الى اكمل الجهات المتضمنة للآيات البينات والامن (ولعلكم تهتدون) للصراط المستقيم بالتوجه اليها لاستلزامه التوجه الى الباطن فتهتدون بهذه القبلة هداية كاملة (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم) أى كهدايتكم بارسالنا من مقام عظمتنا فيكم أيها الكمل رسولا كاملا (يتلوا عليكم آياتنا) المنسوبة الى عظمتنا مما تدل على ذاتنا وصفاتنا وأفعالنا واسرارنا (ويزكيكم) أى يزكى نفوسكم باعتقاداتها وأخلاقها وأعمالها (ويعلمكم الكتاب) الجامع للعلوم الظاهرة والباطنة (والحكمة) التى يتوصل بها الى الحقائق (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) بالنظر الجامع والاستدلال ويعلم سائر الكتب الالهية فالكعبة تتضمن هذه الاشياء ان كوشف بحقيقتها وهى انما تحصل بالتوجه الى الله والاستغراق فى ذكره (فاذكرونى أذكركم) باعطاء هذه الامور (واشكروا لى) لازيدكم منها (ولا تكفرون) بدعوى الكمال لانفسكم اذا حصلت لكم تلك الاشياء ثم أشار الى أن الذكر والشكر وترك الكفران انما يتم بالصبر والصلاة اللذين هما مقتضى الايمان فقال (يا أيها الذين آمنوا استعينوا) لتحصيل تلك الامور (بالصبر) عن المعاصى وعلى الطاعات (والصلوة) الجامعة لطاعة القلب واللسان والجوارح والناهية

معوله شيأ فيأس ويقطع المفر يقال أكدى فهو مكد (اقنى) جعل لهم قنية أى أصل مال (أزفت الآزفة) قربت القيامة سميت بها لقربها يقال أزف شخوص فلان اى

عن

عن الفحشاء والمنكر بل الصبر كاف فى ذلك بل فى تحصيل جميع الكمالات (ان الله) الجامع للكمالات (مع الصابرين و) لما كان معهم وأجلهم الصابرون فى الجهاد والله تعالى مستجمع للكمالات التى من جملتها الحياة (لاتقولوا لمن يقتل فى سبيل الله) من الصابرين على الجهاد (أموات) لايحصل لهم الترقى فى الكمالات (بل أحياء) يحصل لهم الترقى فيها (ولكن لاتشعرون) بحياتهم اذلم يظهر منها شئ فى أبدانهم وان حفظ بعضها عن التلف (و) اذا كان فى القتل فى سبيل الله أتم وجوه الحياة وهى نتيجة الصبر فلايخلو عن افادة حياة فى شئ كان لذلك (لنبلونكم) لننظر هل تصبرون (بشئ من الخوف) من عدو لننظر هل تصبرون معه على الاسلام (والجوع) لننظر هل تصبرون على ملازمة ديار الاسلام (ونقص من الاموال) بايجاب الزكاة (والانفس) بايجاب الجهاد لننظر هل تصبرون عليهما أم ترتدون من أجلهما (والثمرات) بموت الاولاد وانقطاع التجارات لننظر هل تصبرون أم تجعلون ذلك من شؤم الاسلام فتكفرون وقدم الخوف المفوت للحياة فى الحال ثم الجوع المفوت بعد حين ثم الاموال المفضية الى الجوع ثم الجهاد المحتمل للافضاء الى الموت ثم الثمرات لانه فى معنى موتهم بانقطاع نسلهم وأموالهم (وبشر الصابرين) عليها بأن الله معهم سيما (الذين اذا أصابتهم مصيبة) مما ذكر (قالوا انا لله) أى عبيد له فلاينبغى أن نخاف غيره لان سيدنا غالب على الكل أو نبالى بالجوع لان رزق العبد على سيده فان منع وقتا فلابد أن يعود اليه وأموالنا وأنفسنا وثمراتنا ملك له فله أن يتصرف فيها بما يشاء (وانا اليه راجعون) فيحصل لنا عنده مافوته علينا (أولئك عليهم صلوات من ربهم) أى أنواع الرحمة الخاصة التى لايبالى معها بالمصيبة فى الآخرة (ورحمة) عظيمة فى الدنيا عوض مصيبته كيف (وأولئك هم المهتدون) بوفاء حق الربوبية والعبودية فلابد أن يوفى الله عليهم صلواته ورحمته ثم أشار الى أن من المصائب التى لابد من الصبر عليها مصائب الطعن فى الدين كطعن اليهود وغيرهم فى السعى بين الصفا والمروة اذ كان أهل الجاهلية يسعون بينهما ويتمسحون بصنمين كانا عليهما اساف على الصفا ونائلة على المروة فلما جاء الاسلام كسرا فقال الطاعنون هؤلاء يعظمون مكانهما فقال عز وجل (ان الصفا والمروة من شعائر الله) أى اعلام متعبداته والسعى بينهما من جملة التعبدات للتحقق بصفاته السبع بعد التخلق بها بالطواف فى حق الكامل والقاصر يتشبه به ولايبالى بمطاعن الاعداء فى اقامة العبادات (فمن حج) أى قصد (البيت) من عرفة (أو اعتمر) فقصده من الميقات أو أدنى الحل (فلاجناح عليه) أى لاضيق عليه من مطاعن الاعداء فى (أن يطوف بهما) أى يسعى بينهما تأكيدا للطواف كيف (ومن تطوع خيرا) أى أطاع الله بنافلة (فان الله شاكر) له فكيف لايشكره فى الواجبات وكيف يبالى مع شكره بمطاعن أعدائه (عليم) بمقاصد الاعداء فيجازيهم ويكفى به مكافاة ثم أشار الى أنهم انما خافوا طعن اليهود لان عادتهم كتمان الحق فهم يكتمون السعى بين الصفا والمروة فى دين ابراهيم فيقولون يعظمون مكان الصنمين ويفعلون أفعال الجاهلية ولكن لم يبق لهما تعظيم بعد

قرب وقوله تعالى وأنذرهم يوم الآزفة يعنى يوم القيامة (أعجاز نخل منقعر) أصول نخل منقلع وأعجاز نخل خاوية أصول نخل بالية (أشر) مرح متكبر وربما كان المرح من النشاط (الانام) الخلق (الاعلام) الجبال

كسرهما واتماه وتعظيم ماعظم الله على لسان ابراهيم بل الطاعنون مطعونون (ان الذين
يكتمون ما أنزلنا) • (من البينات) الدالة على شعائر الله وغيرها (والهدى) فيها (من بعد ما بيناه
للناس) من غير التباس اذ جعلناه (فى الكتاب) ليتواتر فلا يمكن اخفاؤه فيسعون فى اخفاء
المتواتر (أولئك يلعنهم الله) أى تطردهم عن رحمته لسدهم طريقه (ويلعنهم اللاعنون) من
الملائكة والناس والحيوانات والجمادات لان كتمانهم سبب خراب العالم (الا الذين تابوا)
من القاء الشبهة مبالغة فى الكتمان (وأصلحوا) بازالتها عن قلوب من ألقوها اليهم (وبينوا)
ما كتموا (فأولئك) وان بقى فى الضلال من أضلوهم (أتوب عليهم) أى أخرجهم من اللعنة
(و) ذلك لانى (أنا التواب الرحيم ان الذين كفروا) بكتمان هؤلاء عليهم (وماتوا وهم كفار)
بعد بلوغ البينات أو قبله (أولئك عليهم لعنة الله) لاختيارهم تقليد الكاتمين مع علمهم بكذبهم
وصدق الانبياء (و) لعنة (الملائكة والناس أجمعين) فاذا لعن المكتوم عليهم لكفرهم
فكيف لا يلعن الكاتمون اذا أصروا عليه لكنهم بمجرد التوبة يخرجون عن الخلود
والمكتوم عليهم اذا لم يتوبوا يبقون (خالدين فيها) أى فى اللعنة فلا تتبدل عليهم بوجه من
الوجوه (لا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون) أى لا يمهلون ساعة مع العود الى التشديد
عقيبها اذ التخفيف والانظار نوع اخراج عن اللعنة (و) انما لعن المكتوم عليهم لعلمهم ان
خالق المعجزات واحد اذ (الهكم اله واحد) فالذى أظهر المعجزات على يدى من آمن به
الكاتمون هو الذى أظهر المعجزات على يدى من كفر به المكتوم عليهم بتلبيس الكاتمين
وليس الانحصار فى وحدانيته من حيث انه الاله الاعظم ودونه آلهة صغار يقدرون على
خلق المعجزات بل (لا اله الا هو) ولا يبعد عليه ارشاد المتأخرين بارسال رسول لانه (الرحمن
الرحيم) وارشادهم رحمة عامة والارسال خاصة فمن لم يؤمن فقد أخرج نفسه عن رحمة الرحمانية
فيلحقه اللعنة من الله ومن خواص عباده من الملائكة والناس الخواص بتبعيته والعوام
لانهم يتعذبون بسببهم أو يتأذون بعذابهم وكيف ينكرون وجود الله وتوحيده ورحمانيته
ورحيميته وقد دل عليها دلائل العلويات والسفليات وعوارضهما والمتوسطات (ان فى خلق
السموات والارض) أى العلويات والسفليات (واختلاف الليل والنهار) من عوارض
حركات السموات بالكواكب والشمس ثم قدم من المتوسطات الماء لكونه مبدأ الاحياء
وابتدأ منه بالبحر الذى هو الاصل واعتبر من عوارضه تحريكه للفلك فقال (والفلك التى تجرى
فى البحر بما ينفع الناس) اذ هو كتحريك السموات للشمس المفيد اختلاف الليل والنهار ثم
ذكر ماء السماء الحاصل من بخار البحر ومن عوارضه احياء الارض وبث الدواب فقال (وما
أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة) ثم ذكر الهواء
وتحريكه للسحاب كتحريك البحر للفلك فقال (وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء
والارض لآيات) أى دلالات على كل ماذكر (لقوم يعقلون) أى يستعملون العقل اما دلالة
السماء والارض على وجود الاله فلانهما حادثان لان لهما أجزاء يفتقران اليها فلابد لهما من

واحدها علم (أفنان) واحدها فنن (أول
أغصان الحشر) أول من حشر
وأخرج من داره وهو
الجلاء (أوجفتم) من
الايجاف وهو السير
السريع (أسفار) كتب
واحدها سفر (اللاتى)
واحدها التى والذى جميعا

محدث ليس بعض أجزائهما لانه دخله التركيب الحادث والقديم لا يكون محلا للحوادث والمحدث لابد أن يكون قديما قطعا للتسلسل وعلى التوحيد فلان اله السموات لو كان غير اله الارض لم يرتبط منافع أحدهما بالآخر وعلى الرحمتين لانه عز وجل جعل في الارض موادا قابلة للصور المختلفة وأفاضها واحدة بعد أخرى بتحريك السموات وأما دلالة اختلاف الليل والنهار على وجود الاله فلحدوثهما من حركات السموات ولابد لها من محرك فان كان حادثا فلابد له من محدث وعلى التوحيد فلان اله الليل لو كان غير اله النهار لامكن كل واحد أن يأتي بما هو له في وقت اتيان الآخر بما هو له فيلزم اجتماعهما وهو محال فان امتنع لزم عجز أحدهما أو كليهما وعلى الرحمتين فلان الاعتدال الذي به انتظام أمر الحيوانات انما يكون من تعاقبهما اذ دوام الليل مبرد للعالم في الغاية ودوام النهار مسخن له في الغاية وأما دلالة الفلك على وجود الاله فلانها أثقل من الماء فحقها الرسوب فيه فامساكها فوق الماء من الله ودخول الهواء فيها وان كان من الاسباب فلا يتم عند امتلاء الفلك بالامتعة الكثيرة اذ يقل الهواء جدا فيضعف أثره في امساك هذا الثقيل جدا فلا ينبغي أن ينسب الا الى الله تعالى من أول الامر وعلى التوحيد فلأن اله الفلك لو كان غير اله البحر لربما منع أحدهما الآخر من التصرف في ملكه وهو يفضي الى اختلال نظام العالم لاختلاف المنافع المنوطة بالفلك وعلى الرحمتين فلأنه رحم المسافرين بالتجارات والمسافر اليهم بالامتعة التي يحتاجون اليها وأما دلالة انزال الماء على وجود الاله فلأنه أثقل من الهواء فوجوده في مركزه لا يكون الا من الله وعلى التوحيد فلان اله الماء لو كان غير اله الهواء لمنع من التصرف في ملكه وعلى الرحمتين فلأنه أحيا به الارض معاشا للحيوانات وبث به الدواب تكميلا لمنافع الانسان وأما دلالة تصريف الرياح على وجود الاله فلأنها حادثة تحدث هذه مرة وهذه أخرى وقد يعدم الكل فلابد من محدث فان كان حادثا افتقر الى قديم وعلى التوحيد فلانه لو كان لكل ريح اله لامكن للكل أن يأتي بماله فيلزم اجتماع الرياح المختلفة وهو مخل بالنظام وعلى الرحمتين فلأنها تحرك الفلك والسحب وتنمي الاشجار والثمار وأما دلالة السحاب على وجود الاله فلأنه لو كان ثقيلا انزل أو كان خفيفا لصعد لكنه يصعد تارة وينزل أخرى فهو من الله تعالى وأما على التوحيد فلأن اله السحاب لو كان غير اله السحاب الآخر لامكن لكل واحد أن يجعل سحابه في مكان سحاب الآخر فيلزم تداخل الاجسام أو العجز وعلى الرحمتين فلأن منها الامطار وله وجوه أخر من الدلالات وفوائد غير محصورة قنعنا بما ذكرنا ثم ان الله تعالى انما أظهر هذه الآيات الدالة على وجوده وتوحيده ورحمته ليخصه الخلق بالمحبة والعبادة (و) لكن (من الناس من يتخذ من دون الله) أي مجاوزين الله (أندادا) أي أمثالا مع ان الآيات منعت من أن يكون له ند واحد فضلا عن جماعة يسوون بينهم وبين الله اذ (يحبونهم كحب الله و) ليس حبهم لله من ايمانهم بالله حتى يفيدهم عنده اذ مقتضى الايمان تفضيل حبه على حب كل ما سواه (والذين آمنوا أشد حبا لله) لانهم يعلمون ان جميع الكمالات

والالاتي واحدها التي لا غير (ارجائها) نواحيها وجوانبها واحدها رجا مقصور ويقال ذلك لحرف البئر ولحرف القبر وما أشبهه (أوسطهم) أعدلهم وخيرهم (أوعى) جعله في الوعاء يقال أوعيت المتاع في الوعاء اذا جعلته فيه

له ومنه والواسطة انما يكون سببا ولا منة له كالقلم والمداد فى عطاء الملك وانما اتخذوها ليتقربوا منها اذ يرون فيها قوة الانداد (ولو يرى) الآن (الذين ظلموا) باتخاذهم أندادا ما يرونه (اذ يرون العذاب) من (أن القوة لله جميعا) ليس لغيره قوة الامداد أصلا (و) ان كانت فلا يستقل منه باتخاذه ندا لان الله تعالى يغار من ذلك فلو رأوا الآن ما يرونه حينئذ من (أن الله شديد العذاب) من شدة غيرته لتبرؤا منهم الآن لكنهم انما يرون ذلك حين يرون العذاب فيتبرؤن من محبة الانداد (اذ تبرأ الذين اتبعوا) وهم الآمرون باتخاذ الانداد (من الذين اتبعوا) فلا يتحملون من عذابهم شيأ (و) لكن (رأوا العذاب) من جهة اضلالهم أيضا (وتقطعت بهم الاسباب) أى أسباب الخلاص منه فلا يكون تبرؤهم من أسبابه (وقال الذين اتبعوا) تمنيا لما كانوا أتهم فى التبرئ منهم (لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم) لو وقع عليهم ما يشقهم وان أمكننا تحمله (كما تبرؤا منا) ولكن لا يفيدهم التمنى بل يزيدهم تحسرا ولا يكتفى بهذا التحسر بل (كذلك يريهم الله أعمالهم) كلها (حسرات عليهم) ولا ينقطع تحسرهم لانه بانقطاع العذاب (وما هم بخارجين من النار) ثم أشار الى أنه ليس مقتضى محبة الله ترك الطيبات فضلا عن تحريمها فقال (يا أيها الناس كلوا مما فى الارض) أى بعض ما فيها وهو ما لم يرد الشرع بتحريمه (حلالا) ليس فيها حرمة غصب أو رشوة (طيبا) لا شبهة فيه (ولا تتبعوا) بالتحريم (خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين) يجركم الى الكفر بالتحريم قد عمت عداوته فى كل شئ لانه (انما يأمركم بالسوء) فى الاعمال (والفحشاء) فى الاخلاق (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) فى الاعتقادات أو يقال انما يأمركم بالسوء فى ترك الطيبات اذ فيه ترك الشكر والفحشاء فى تحريمها وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون من انه حرمها على احبائه واباحها للعوام (و) انما يأمرهم الشيطان بذلك بما يزينها من كونها دين آبائهم فيرونها أرجح من شرع الله حتى (اذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) أى آمنوا به واتبعوه (قالوا) لا نؤمن به ولا نتبعه (بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) يتبعون آباءهم (ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيأ) من الحسن والقبح (ولا يهتدون) للوصول الى شئ منهما اذ جهلوه ثم أشار الى أنه انما يأتى لهم اتباع ما أنزل الله لو سمعوه سماع الانسان المدرك لما فى الكلام من المنافع والمضار باكتساب المحاسن والقبائح (و) لكن (مثل الذين كفروا) فى فهم ما أنزل الله (كمثل) الحيوان (الذى ينعق) أى يصوت له (بما لا يسمع) أى لا يدرك من سماعه (الا دعاء ونداء) أى الا أنه يدعوه الى فعل كذا يطلب اقباله عليه ولا يفهم وراء ذلك شيأ فهم بالنسبة الى سماع الفهم (صم) والى النطق بمقتضاها لو سمعوا (بكم) وذلك لانهم بالنظر الى حقيقة الامر (عمى) والتعقل فرع هذه الامور فاذا فقدوها (فهم لا يعقلون) مقاصد المنزل ثم أشار الى أنه ليس مقتضى الايمان والمحبة ترك الطيبات بل أكلها مع شكر الله عليها فقال (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) اذ مقتضى الايمان ابلاغ حكمة الله غايتها فما خلق للاكل غايته الاكل (واشكروا لله) ففيه مزيد حبه بل خصوصه به (ان كنتم اياه تعبدون) فلا تتركوا سنة المتوسط

(أصروا) أقاموا على المعصية (أطوارا) ضروبا وأحوالا نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ويقال أطوارا أصنافا فى ألوانكم ولغاتكم والطور الحال والطور التارة والمرة (أشد وطأ) أثبت قياما يعنى ان ناشئة الليل وهى

اذ

اذهو كالقلم والمداد ثم أشار الى أنه انما يقطع محبته أكل ما حرم وهو (انما حرم عليكم الميتة) لانها خبثت بنزع الروح منها بلا مطهر من الذبح باسم الله تحقيقا أو تقديرا فتتعلق أرواحكم بالخبيث فتخبث فينقطع عنها محبة الله وانما أبيح ميتة السمك لان أصله الماء المطهر فكما لا يؤثر فيه النجاسة لا يؤثر نزع الروح فيما حصل منه والجراد لانه حصل من غير تولد ولا خبث فى ذاته كسائر الحشرات (والدم) لانه متعلق الروح بذاته فلا يقبل الطهر (ولحم الخنزير) لان خبث اخلاق روحه انما كان من تعلقها باللحم فكان خبيثا بذاته يؤثر خبثه فى اخلاق الآكل (وما أهل به لغير الله) لانه زاد خبثه فلا رخصة فى أكل شئ منها وان زعم الآكل أنه تبقى محبته لله ولا يؤثر فيه خبثها وانما تحل للمضطر (فمن اضطر غير باغ) اى خارج على الامام (ولا عاد) أى متعد بقطع الطريق ونحوه فأكله (فلا اثم عليه) وان بقيت حرمته لانه اذا تناوله حال الاضطرار لا يؤثر فيه الخبث لانه كاره بالطبع (ان الله غفور) ساتر لخبثه فى حقه (رحيم) برعاية حق ابقائه ثم أشار الى أنه تعالى حرم الرشا أشد من تحريم ما ذكر لانه حرمها للمضطر وغيره سيما التى تؤخذ بدل كتمان ما أنزل الله فقال (ان الذين يكتمون ما أنزل الله) لا من اسرار العلوم التى لا تبلغها فهوم العامة بل مما جعله (من الكتاب) لتعميم الهداية به (ويشترون به ثمنا قليلا) من الرشا (أولئك ما يأكلون) أكلا مستقرا (فى بطونهم الا النار) فلا يجدون منها راحة فى الباطن (و) لو من سماع كلام الله بالتعنيف حال التعذيب اذ (لا يكلمهم الله يوم القيامة و) لا من جهة كون التعذيب لتزكية اذ (لا يزكيهم) ليدخلوا الجنة طاهرين من الغواشى الظلمانية كيف (ولهم عذاب أليم) من كل جهة فى كل وقت اذ (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) اى استبدلوا اضلال أنفسهم وغيرهم عن الكتمان والتحريف بالاهداء (والعذاب بالمغفرة) اى أسبابه بأسبابها (فما أصبرهم على النار) اذ تحقق الاسباب بمنزلة تحقق المسبب (ذلك) أى تنزل تحقق الاسباب منزلة تحقق المسبب (بأن الله نزل الكتاب بالحق) اى بالجد لا بمجرد التخويف (وان الذين اختلفوا فى الكتاب) هل هو لمجرد التخويف أو على الجد (لفى شقاق بعيد) أى خلاف مع مراد الله بعيد عن موافقته هذا فى حق المتردد فكيف فى حق من جزم بذلك واجترأ لاجله على تحريفه فقد تحققت فيه عداوة الله وهى أجل أسباب النار وان قالوا اما اشترينا الضلالة بالهدى ولا العذاب بالمغفرة بل نحن أهل البر لصحة قبلتنا أجيبوا بأنه (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) أى ليس الثبات على ما يقبل النسخ بعد تحقق نسخه بالتحويل من المشرق الى المغرب و بالعكس مع ترك ما لا يقبل النسخ وهو الايمان (ولكن البر) ايمان (من آمن بالله) ومنكم من اتخذ العجل وقالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة وقالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله وأكثر اليهود مجسمون (واليوم الآخر) ومنكم من يقول لن تمسنا النار الا أياما معدودة (والملائكة) ومنكم من يقول جبريل عدونا (والكتاب) وأنتم لا تؤمنون بالقرآن واليهود بالانجيل[٣] (والنبيين) وأنتم لا تؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم ومنكم من

ساعاته أوطا للافهام وأسهل على المصلى من ساعات النهار لان النهار خلق لتصرف العباد فيه والليل خلق للنوم والراحة والخلوة من العمل فالعبادة فيه أسهل وجواب آخر أشد وطأ اى أشد على المصلى من

٣ قوله واليهود بالانجيل كذا فى النسختين بأيدينا والمناسب اسقاط اليهود لان الكلام معهم كما هو ظاهر اه مصحح

كذب عيسى وقتل شعيا وزكريا ويحيى هذا فى باب الاعتقاد (و) أما الاعمال فالبر من
(آتى المال) غالبا (على حبه) اياه لترجيحه جانب الله على جانب هواه (ذوى القربى) ليكون
صدقة وصلة (واليتامى) الصغار الذين مات آباؤهم لاحتياجهم مع عجزهم عن الكسب
والسؤال (والمساكين) من أسكنهم الحاجة (وابن السبيل) اى المسافرين وان كان لهم مال
فى أوطانهم (والسائلين) وان لم يعرف بواطن أحوالهم يكتفى فيهم بظواهرها (وفى الرقاب)
لانهم وان لم يحتاجوا الى النفقة يحتاجون الى تخليصهم عن الرق فهذه حقوق الخلق قدمها
لانها أشد ثم ذكر حقوق الله فقال (وأقام الصلوة) الشاغلة جميع الاجزاء بالعبادة وأنتم لا
تقيمونها على الكمال الذى فى هذا الدين (وآتى الزكوة) أداء لحق الله وان كفى بدونها حوائج
المذكورين وأنتم تأخذون الرشا هذا ما ألزمه الله الناس من غير التزام منهم (و) أما ما ألزموه
عن التزام فالبر (الموفون بعهدهم اذا عاهدوا) أى اذا وعدوا أنجزوا واذا حلفوا أو نذروا
وفوا واذا ائتمنوا أدوا ومنكم من لا يؤدى الامانة ولو دينارا ما لم يقم على طلبه صاحبه
(و) خص الله (الصابرين) بأكمل البر اذ صبروا (فى البأساء) شدة الفقر (والضراء) المرض
(وحين البأس) القتال وأنتم لم تصبروا عن الرشا ولا على طعام واحد وقلتم اذهب أنت وربك
فقاتلا انا ههنا قاعدون وانما يتم لهم البر اذ (أولئك الذين صدقوا) فى الاعتقاد (وأولئك
هم المتقون) فى الاخلاق والاعمال فتم برهم فى الظاهر والباطن ولم يصح لكم اعتقاد ولا خلق
ولا عمل ثم أشار الى أن من البر القصاص الذى لا يقول به النصارى فقال (يا أيها الذين آمنوا
كتب عليكم القصاص) اى فرض عليكم اقامة القود بالتسوية (فى القتلى) فيقتل (الحر
بالحر) أى بقتله الحر ويدخل فيه الانثى الحرة لاستوائهما فى الحرية (والعبد بالعبد) وبالحر
بطريق الاولى لا الحر به لعدم الاستواء بالحرية ولا بالانسانية لانه ملحق بالحيوانات باعتبار
كونه محلا للتصرف ولا بالاسلام لعدم كماله فيه لبقاء أثر الكفر وهو الرق (والانثى بالانثى)
وبالذكر بطريق الاولى وقتل الذكر بها ليس الا للاستواء بالحرية والانسانية والاسلام فلم
يعتد بنقيصة الانوثة فجعلت الذكورة للرجل كسائر الفضائل ولم يعتبر سائر الفضائل لئلا
يؤدى الى سد باب القصاص ويفهم من اعتبار المساواة انه لا يقتل المسلم بالكافر لان العبد
المؤمن خير من المشرك فاذا لم يقتل الحر بالعبد فبالكافر أولى (فمن عفى له) حق (من أخيه
شئ) بأن عفا بعض الاولياء حقه أو جزأ من حقه (فاتباع بالمعروف) أى فالواجب على ولى
الدم طلب الدية بالطريق المعروف من غير استزادة واستعجال (وأداء اليه باحسان) أى
الواجب على الجانى اداء الدية من غير بخس ولا مماطلة (ذلك) المذكور من القصاص والدية
عند العفو (تخفيف من ربكم) باسقاط القصاص بعد العفو وقد ألزم القصاص اليهود
(ورحمة) بايجاب القصاص قبله بعد ان ألزم العفو النصارى (فمن اعتدى بعد ذلك) المذكور
بأن قتل جماعة لقتل الواحد واحدا أو قتل بعد العفو أو ماطل فى اداء الدية أو بخس

صلاة النهار لان الليل خلق للنوم فاذا أزيل عن ذلك ثقل على العبد وكان ما يتكلفه فيه من الثواب أعظم من هذه الجهة وقرئت أشد وطاء اى مواطأة اى أجدر أن يواطئ اللسان القلب وأقوم العمل وقرئت

فيها

فيها (فله عذاب أليم) فى الآخرة (و) انما كان القصاص برامع كونه اتلافا للجانى اذ (لكم فى القصاص حيوة) للقاتل والمقتول بالزجر عن القتل وللقاتل فى الآخرة ولاقاربه بالاقتصار عليه تدركونها (ياأولى الالباب) أى ياأهل النظر فى البواطن دون المقتصرين على الظواهر الذين لايدركون فيه سوى الاتلاف شرع لكم (لعلكم تتقون) أى رجاء تحفظكم عن الافراط فى الغضبية وعن غضب الله على هدم بنيانه بلا موجب ثم أشار الى ان من البر الوصية وأخرها عن القصاص لانها من أسباب بقاء الحياة والقصاص كنفيها فقال (كتب عليكم) أى فرض عليكم وكان قبل آية الميراث فلما نزلت نسخت شرعيتها فى حق الوارث ووجوبها فى حق الكل ولم يقل ههنا ياأيها الذين آمنوا لانها من مقتضيات طبع الانسان فلا تتوقف على الايمان (اذا حضر أحدكم الموت) أى ظهرت اماراته (ان ترك خيرا) أى مالا فاضلا عن مؤن تجهيزه وديونه (الوصية للوالدين والاقربين) أى لمن وجدهم ولم يكونوا يورثونهم (بالمعروف) فلا يفضل الغنى على الفقير واذا أوصى صار ذلك (حقا) لازما تقريره (على المتقين) وان لم يبال به الفاسقون فليس لاحد تغييره (فمن بدله) أى غيره من الاولياء والاوصياء والشهود (بعد ماسمعه) من المحتضر وان لم يكن به شهود (فانما اثمه على الذين يبدلونه) لاعلى من حكم بقولهم (ان الله سميع) لاقوال المبدلين (عليم) بمقاصدهم فلو قصدوا بالتبديل خيرا فلا اثم عليه كما قال (فمن خاف من موص جنفا) غلطا (أو اثما) حيفا (فأصلح بينهم) أى بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع (فلا اثم عليه) لانه بدل الباطل بالحق بل يرجى غفران ذنب الموصى (ان الله غفور رحيم) ثم أشار الى ان من البر الذى يقتضيه الايمان الصيام التى فيها قتل النفس واحياء الروح فقال (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) وهو الامساك عن الطعام والشراب والجماع مدة معلومة (كما كتب على الذين من قبلكم) أى على الامم من تحريم الطعام والشراب والجماع بعد العشاء الاخيرة (لعلكم تتقون) المعاصى التى منشؤها الشهوات اذ يكسرها الصيام لكنها جعلت فى حقكم (أياما معدودات) عاشوراء وثلاثة من كل شهر والامم مختلفة فى الايام ووجوب الاداء يختص بالصحيح المقيم (فمن كان منكم مريضا) يضره الصوم (أو) راكبا (على) ظهر (سفر) فشق عليه الصوم فأفطر (فعدة) أى فالواجب عدد أيام تساوى أيام الافطار (من أيام أخر) غير المعدودات المذكورة (و) يجب (على) المفطرين (الذين يطيقونه) اى الصوم اذا أفطروا (فدية) هى (طعام مسكين) مد عند الحجازيين ونصف صاع من بر أو صاع من غيره عند العراقيين لانه اذا أعطاه كان ممسكا عنه فكان كالصائم (فمن تطوع) أى زاد فى الفدية تطوعا بالزداد (خيرا فهو خير له) من الاقتصار على ماأوجبه الله (وان تصوموا خير لكم) من الفدية وان زيد فيها (ان كنتم تعلمون) فضيلة الصوم وفوائده وهذا كله فى أول الاسلام اذ لم يعتادوا الصوم ثم أشار الى نسخ صيام ثلث الايام بصيام رمضان ونسخ الفدية على المطيقين بالقضاء وذكر فضيلة هذه الايام أولا ليعلم انها خير من المنسوخة فقال (شهر رمضان) هو (الذى أنزل فيه القرآن) أى

أشدوطأ وقيل هو بمعنى الوطء وقال الفراء لايقال الوطء وماروى عن أحد ولم يجز (أقوم قيلا) أصح قولا لهدوء الناس وسكون الاصوات (انكالا) قيودا ويقال

في ليلة القدر منه من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض وذلك لانه الشهر التاسع من شهر الهجرة يشعر بهجرة الكامل من العالم السفلي الى العلوي بصعوده سماء بعد سماء الى أن يبلغ التاسع وهو العرش المجيد الذي فوقه اللوح المحفوظ المشتمل على القرآن فيكاشف به (هدى للناس) في نفسه من اعجازه (وبينات) أي شواهد (من الهدى) أي الدلائل القطعية (والفرقان) ودفع الشبهة فاذا كوشف بالقرآن ظهر له اخلاق الله التي تجلى بها فيه ومن جملتها الصوم اذ هو تخلق بالصمدية لانه استغنى عن الطعام والشراب والنكاح (فمن شهد) أي علم (منكم الشهر) باستكمال شعبان أو برؤية عدل الهلال (فليصمه) فهذا ناسخ لما ذكر أولا لكن بقي منه حكم المريض والمسافر فقيل (ومن كان منكم (مريضا أو على سفر) فافطر (فعدة من أيام أخر) لا من رمضان آخر وانما أبقى ذلك لانه (يريد الله بكم اليسر) هو وان والى عليكم الشهر (لا يريد بكم العسر) اذ في التوالي لا تختلف العادة والافطار بل في سنة واحدة مرة (و) أمركم (لتكملوا العدة) فيكمل تأثرها بالتصفية (و) لمزيد التصفية أمركم الله به (لتكبروا الله) بمشاهدته بعد استكمالها ليلة العيد وفجرها شكرا (على ما هداكم) بمزيد التصفية (و) أيضا خفف عليكم اذ كانت سبعة وثلاثين يوما بثلاثين (لعلكم تشكرون) هذا التخفيف فيجبر الشكر ما نقص من تلك الايام بالاجر ثم أشار الى أن هجران العالم السفلي وان أفاد التقريب بالاصعاد الى سماء بعد سماء فليس بشرط فيه فقال (واذا سألك عبادي عني) أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه (فاني قريب) أراهم وأسمعهم ما يتقربون به الي فاقربهم اذ (أجيب دعوة الداع) منهم بايثار أو باعطاء المسؤل (اذا دعان) من غير تأخير وهو من خواص القرب لكنه مشروط باجابتهم لي وايمانهم بي (فليستجيبوا لي) فيما أدعوهم الي عبادتي (وليؤمنوا بي) بتصحيح الاعتقاد واذا اجابوا لي وآمنوا بي (لعلهم يرشدون) لما يرشد له الصاعدون الى السموات ثم أشار الى أن التقرب الى الله لا ينافي التلذذ بغيره ولو كان بالصوم الذي هو الامساك عن المشتهيات فيختص ذلك بوقت الامساك لا دائما (أحل لكم ليلة الصيام الرفث) هو الافصاح عما يجب أن يكنى عنه كلفظ النيك وان أوجب لكم الميل الكلي (الى نسائكم) فانه بالليل كالطعام والشراب وانما أبيح مع ما فيه من مزيد الميل الى غير الله لصعوبة الصبر عند المعانقة اذ (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) أي يشتمل كل واحد صاحبه اشتمال الثوب وكان حقه أن يمنع منه بعد العشاء الاخيرة اقرب به من الصوم كما كان في أول الاسلام ولكن (علم الله أنكم كنتم تختانون) اى تفعلون خفية فعل الخائن فتظلمون (أنفسكم) بتعريضها للعقاب ونقص حظها من الثواب باشر عمر رضي الله عنه بعد العشاء فندم واعتذر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقام رجال واعترفوا بمثله ثم ندموا عليه (فتاب عليكم) أي قبل توبتكم (وعفا عنكم) اى جاوز عنكم تحريمه بلا كراهة (فالآن باشروهن) اى الزموا بشرتكم بشرتهن وهو كناية عن الجماع (وابتغوا) لابطال الميل الكلي اليهن بتحصيل (ما كتب الله لكم) من الولد لا قضاء الشهوة (و) كذلك

أغلالا واحدها نكل
(اسفر) الصبح اى أضاء
(أمشاج) اخلاط واحدها مشيج ومشج وهو ههنا اختلاط النطفة بالدم
(أسرهم) خلقهم (ألفافا)

(كلوا واشربوا) بعد العشاء الاخيرة وان قرب من وقت الصوم جوز جميع ذلك (حتى يتبين لكم) ابتداء ضوء الصبح فى ظلمة الليل كأنهما يتميزا لكم (الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر) الصادق الذى لا تعقب نوره ظلمة (ثم أتموا الصيام) اى صوم كل يوم (الى الليل) اى الى غروب الشمس من ذلك اليوم مع ظهور الظلمة من قبل المشرق لا الى غيبوبة الشفق لان ابتداء الظهور موجب للتخلق باخلاقه وابتداء البطون راد الى عالم السفل ثم أشار الى انه وان احل لكم ليلة الصيام الرفث لم يبح مع الاعتكاف فقال (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون) وان خرجتم عن المساجد وأنتم فى حكم المستقر (فى المساجد) والصائم قد خرج عن الصوم بالليل ثم قال ان لم تفهموا معانيها يكفيكم فيها أن (تلك حدود الله) الحاجزة بين ما أحل وحرم (فلا تقربوها) لئلا تدعوكم الى تخطيها (كذلك) اى مثل ذلك البيان الرافع للشبه (يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون) أى يتحفظون عن غضبه ثم أشار الى أن المقصود من الصوم الكف عن الشهوات المباحة والمحرمة يجب الصوم عنها أبدا وأجلها حقوق الخلق فقال (ولا تأكلوا أموالكم) أى بعضكم مال بعض بل يجب عليه حفظ ماله كانه مال نفسه ولا يجوز بذلك أكله كانه مشترك (بينكم) سيما (بالباطل) أى بالطريق الذى لم يشرعه الله فانه لا يجوز لاحد فى مال نفسه فكيف فى مال الغير (وتدلوا بها) أى ولا تتوسلوا بتلك الاموال (الى الحكام) بجعل بعضها رشوة لهم (لتأكلوا) بواسطة حكمهم الفاسد (فريقا) أى طائفة عظيمة (من أموال الناس) من غير ان تخرج عن اضافتها اليهم لكونهم مالكين لها (بالاثم) أى بواسطة حكمهم الفاسد فانه لا يفيد الحل ولا يشترط فى هذا علم من تأكلون ماله بل يحرم عليكم اذا أكلتموه (وأنتم تعلمون) انه ليس لكم بخلاف ما اذا وهبه المورث ولا علم للوارث به فانه لا يأثم بأكله الوارث لكن اذا علم وجب عليه رد بدله ثم أشار الى ان من أخذ مال الغير لا يبقى عليه ويبقى ظلمة الاثم كالقمر يأخذ نور الشمس فلا يبقى عليه ويعود مظلما فقال (يسئلونك عن الاهلة) روى ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم لا يزال يزيد حتى يمتلئ ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا (قل) بعد الاشارة بالترتيب على أكل مال الغير الى الجواب الحقيق انه بقدر محاذاته للشمس فاذا حاذاها طرف منه استنار ذلك الطرف ثم تزداد المحاذاة والاستنارة حتى اذا تمت بالمقابلة امتلأ ثم تنقص المحاذاة والاستنارة حتى اذا حصل الاجتماع أظلم بالكلية لكن لم يصرح به لانه اشتغال بعلم الهيئة الذى لا ينتفع به فى الدين وصرح بالاسلوب الحكيم اشعارا بأن الاولى السؤال عن الحكمة فيه فقال (هى) أى الزيادات والنقائص (مواقيت للناس) اى دلائل أوقات خاصة لآجال الناس وتعليقاتهم فى الايمان والنذور من غير افتقار الى حفظ الحساب ومراجعة المنجم الفاسق عما يحكم على الاشياء باختلاف القرانات فانه لكثرة خطئه فيها يدعى علم الغيب وان أصاب فى الحساب (والحج) والصوم لان مراجعة المنجم فيهما أشد ثم اشار الى ان سؤالكم عما يتعلق بعلم الهيئة على اعتقاد انه علم نافع كاعتقاد أهل الجاهلية البر فى اتيان المحرم البيوت من

أى ملتفة من الشجر واحدها لف ولفيف ويجوز أن تكون الواحدة لفا والجمع ألفاف (قوله تعالى أحقابا) جمع حقب والحقب ثمانون سنة وقوله لابثين فيها أى كلما مضى حقب تبعه حقب آخر أبدا (قوله

ظهورها الا أن يكون من الحمس كنانة أو قريش أو الى ان أكل مال الغير من غير الوجه المشروع في القبح كدخول الدار من ظهرها وان استحسنه الراغبون في الدنيا بجعلهم ذلك برا فقال (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) كان الرجل منهم اذا أحرم لم يدخل دارا ولا حائطا من بابه بل نقب في ظهر بيته أو يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من أهل الوبر خرج من خلف الخيمة والفسطاط (ولكن البر من اتقى) ما حرم الله في الاحرام ومن أموال الناس (وأتوا البيوت من أبوابها) فانه لا كراهة فيها فضلا عن الحرمة بل يحرم مراعاة أمر الجاهلية فكلوا أموال الناس من الوجوه المشروعة (واتقوا الله) في شرع الاحكام أو تغييرها (لعلكم تفلحون) بكل بر وما يترتب عليه ثم أشار الى أن دخول بيوت الدين من أبوابها انما يتم برفع الشبهات التي تدخل البيوت من ظهورها (و) هو انما يتم بقتال الكفار باقامة الحجج مرة والسيف أخرى فقال (قاتلوا) بالسيف (في سبيل الله الذين يقاتلونكم) دون الشيوخ والنساء والصبيان (ولا تعتدوا) بالمثلة والمفاجأة من غير دعوة وقتل المعاهد (ان الله لا يحب المعتدين و) ليس من الاعتداء قتلهم في الحرم (اقتلوهم حيث ثقفتموهم) أي أبصرتموهم من حل وحرم (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) من حل وحرم وجواز الاخراج اتفاقا دليل جواز القتل لان الاخراج فتنة أي محنة يفتتن بها الانسان (والفتنة أشد) أي أصعب (من القتل) لدوام تعبها ثم انكم (و) ان أمرتم بالقتال في الحرم (لا تقاتلوهم عند المسجد الحرام) لان حرمته لذاته وحرمة سائر الحرم من أجله (حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم) فيه فلا تفتقرون الى الفرار عن الحرم (فاقتلوهم) فيه اذ لا حرمة لهم لهتكهم حرمة المسجد الحرام (كذلك جزاء الكافرين) لا يترك لهم حرمة كما لم يتركوا حرمة الله في آياته (فان انتهوا) عن الكفر بعد القتل لم يطالبوا به (فان الله غفور رحيم) وان كان حق الآدمي لئلا يكون مانعا من الاسلام لكنه لم يرحمهم حال الكفر فقال (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) أي لا يوجد كفر وشبهة (ويكون الدين) كله (لله) أي يصير جميع الاعمال لله بلا عائق لكنه يرحمهم بمجرد انتهائهم حتى انه يغضب من أجلهم على من ظلمهم لذلك فقال (فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين) أي فلا سبيل الا على من قتلهم ولو قصاصا ثم أشار الى انهم كما يقاتلون عند المسجد الحرام اذا قاتلوا فيه يقاتلون في الشهر الحرام اذا قاتلوا فيه فقال (الشهر الحرام بالشهر الحرام) أي تهتك حرمته بهتكهم حرمته (والحرمات قصاص) أي متساوية فلا يفضل شهر حرام على آخر بحيث يمتنع هتك حرمته لهتكهم حرمة ما دونه على انا لا نهتك حرمة الشهر والمسجد الحرام والحرم بل نهتك حرمة من هتك حرمة أحدها (فمن اعتدى عليكم) وهتك فيه حرمة مكان أو زمان (فاعتدوا عليه) لا على الزمان والمكان (بمثل ما اعتدى عليكم) لا بأزيد منه (واتقوا الله) في هتك حرمة الشهر والمسجد والحرم بدون هتكهم وفي زيادة الاعتداء (و) ان خفتم غلبتهم في المستقبل فالله يكفيكم (اعلموا أن الله مع المتقين) وليس من الاعتداء الاستعانة على الكفار بمن لا يقاتلونهم بأنفسهم بل

تعالى اغطش ليلها) أظلم ليلها (قوله تعالى أقبره) أي جعله ذا قبر يوارى فيه وسائر الاشياء تلقى على وجه الارض يقال أقبره اذا جعل له قبرا وقبره اذا دفنه (قوله تعالى أنشره) أحياه (قوله عز وجل أبا) هو ما رعته الانعام ويقال الاب للبهائم

استعينوا عليهم ولو بالاستئجار (وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا) بترك الانفاق المفضى الى غلبتهم أنفسكم فى التهلكة كأنكم (بأيديكم) القابضة عن الانفاق تفضون بها (الى التهلكة وأحسنوا) الظن بربكم فى الانفاق بأنه يعوضه عليكم فى الدنيا والآخرة (ان الله يحب المحسنين) الظن به ومن أحبه الله لا يفوته شئ (وأتموا) ولو بالقتال فى الشهر الحرام فانه ليس من الاعتداء بل يكاد يكون من الواجبات لتوقف الواجب عليهما (الحج والعمرة) أى اعمالهما بعد احرامهما اذ وجبا (لله) فمن عاق عنهم ماعاق الله عن حقوقه وذلك لان البيت لكونه أول متعبد لله نازل منزلة بيت الملك الذى يقصده الزوار من بعد وهو الاحرام يجتمعون للزيارة تارة على فناء حريمه وهو الوقوف بعرفة فى الحج وكذا أكثر اعماله ويفترقون تارة وهو العمرة فيطوفون حوله على عدد صفاته السبع التى يتخلق بها المتقربون اليه ويسعون لما كيده النازل منزلة التحقق بها ويحلقون لقطع علائق ماسواه (فان أحصرتم) أى فان حبسكم العدو ولم يمكنكم قتالهم أوتركتم فأردتم التحلل (فما استيسر من الهدى) أى فالواجب ما تيسر من ذبح بدنة أو بقرة أو شاة لان الابتلاء بالاحصار من خباثة النفس ولا يمكن افناؤها اختيارا فأفنى ما يناسبها من الحيوانات (ولا تحلقوا رؤسكم) للتحلل (حتى يبلغ الهدى محله) أى حتى تعلموا بلوغ الهدى مذبحه من الحرم ان أمكن ايصاله اليه والا فحيث أحصر على ما نقله الماوردى عن جميع أصحابنا البصريين وذكر أن الشيخ أبا حامد نقله عن نص الشافعى قال ومن أصحابنا البغداديين من جوز نحره فى الحل وان قدر على ايصاله الى الحرم انتهى وهذا هو المشهور فى المتأخرين وتأويل الآية حينئذ حتى يذبح الهدى فيستقر فى محله وذلك لان الهدى يقوم مقام الافعال السابقة على الحلق واذا لم يجز الحلق قبل البدل فقبل المبدل أولى بالامتناع الا لضرورة مع فدية (فمن كان منكم مريضا) يتضرر بالشعر (أوبه أذى من رأسه) من قمل أو صداع (ففدية من صيام) ثلاثة أيام لانه تعدى على الاحرام والطواف والسعى فيصوم لكل تعديوما (أو صدقة) ثلاثة آصع يتصدق بها على ستة مساكين زيدت على قوت اليوم لانها أخف على النفس من الصوم وقد كملت الجناية (أونسك) أى ذبح بدنة أو بقرة أو شاة وهو لكماله لم يتعدد (فاذا أمنتم) أى كنتم آمنين من أول الامر أو صرتم بعد الاحصار (فمن تمتع) باستباحة محظورات الاحرام (بالعمرة) أى بالفراغ من أعمال العمرة (الى الحج) أى الى وقت الاحرام بالحج (فما استيسر من الهدى) أى فالواجب عليه انما هو الجزاء الكامل لانه احيا النفس فلا بد من قتل بدلها (فمن لم يجد) هديا (فصيام ثلاثة أيام فى الحج) أى بعد الاحرام قبل الفراغ من اعماله والاولى سادس ذى الحجة وسابعه وثامنه جبرا لنقص فى أعماله الثلاثة الوقوف والطواف والحلق (وسبعة اذا رجعتم) الى أوطانكم ابقاء للصفات السبع التى يتخلق أو يتحقق بها بعد الرد الى العالم السفل (تلك عشرة كاملة) فى العوض عن الهدى لانه يجبر ما نقص جبرا مؤبدا لايضاف معه الاختلال فى حق الكامل (ذلك) أى

(وقوله كالفساكهة للناس (وقوله أى أذنت لربها وحقت) أى سمعت لربها وحق لها ان تسمع (قوله تعالى والارض ذات الصدع) أى تصدع بالنبات (قوله تعالى أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) أى ظفر من طهر نفسه بالعمل الصالح وفات الظفر من أخلها

وجوب دم المتمتع (لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) أى لمن لم يكن وطنه دون مسافة القصر من الحرم لان من دونها فى حكم القرب من الله فالله تعالى يجبره بفضله (واتقوا الله) فى الجناية على احرامه (واعلموا أن الله شديد العقاب) لمن جنى على احرامه أكثر من شدة الملوك على من أساء الادب بحضرته وكيف لا تعظم الجناية على أفعال الحج وهى معظمة عظم لها أوقاتها اذ (الحج) أى أوقات أعماله (أشهر معلومات) بكثرة الفضائل عند أهل الحقائق فشوال يطلع على أعمال الحق وذو القعدة على صفاته وذو الحجة على ذاته والمراد عشرها الاول نزل منزلة الكل لغاية فضله (فمن فرض) أى أوجب على نفسه (فيهن الحج) باحرامه ولو بنية النفل (فلا رفث) أى فمقتضى احرامه ان لا يوجد جماع (ولا فسوق) بارتكاب محظورات الاحرام وغيرها (ولا جدال) أى مماراة أحد من الرفقة والخدام (فى الحج) أى فى أيامه بل ينبغى أن يوجد فيها كل خير مع خيرات الحج (وما تفعلوا من خير) ولو أدنى (يعلمه الله) فيعظم الجزاء عليه بانضمامها الى خيرات الحج (و) ليس من الخيرات ترك التزود وان أشعر بالتوكل بل (تزودوا) اتقاء السؤال فانه خير من التوكل (فان خير الزاد) أى زاد الآخرة الذى يترك له زاد الدنيا عند تاركه (التقوى) فانها خير من الاعمال النافلة بل لا ينفع عمل بدونها وهى تنفع بدون الاعمال (واتقون يا أولى الالباب) أى يا أهل الحقائق الباطنة فان كل باطن يخالف التقوى مردود وكيف تمنعون من التزود ولا تمنعون من التجارة اذ (ليس عليكم جناح) أى ضيق فى (أن تبتغوا فضلا من ربكم) من الربح اذ يريح قلوبكم عن اهتمام الرزق لعبادته ومعرفته واقصدوا لعبادته ومعرفته الاجتماع بعرفات (فاذا أفضتم من عرفات) أى دفعتم منها بكثرة دفع الماء عند صبه (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) أى فصلوا المغرب والعشا جمعا لتذكروا الله بالجمع بين الظاهر والباطن لاطلاعكم على ذلك عند الوصول الى مبادى حرمة المشعر الحرام وهو جبل قزح أو ما بين جبلى المزدلفة من مازمى عرفة الى محسر (واذكروه كما هداكم) بدلائل الكتاب والكشف والعقل (وان كنتم من قبله لمن الضالين) أى وانكم كنتم من قبل أن هداكم الله بذلك لمن الضالين باعتقاد الهية المظاهر والهية من ذكر الله حتى نفى فيه أو بقى به (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) اى افيضوا من المشعر الحرام الذى أفاض منه الحمس الذين زعموا انهم الناس فلم يخرجوا منه الى عرفة ابقية اعمال الحج طواف الركن والسعى والحلق والرمى (واستغفروا الله) عند الترقى اليها عما سلف من المعاصى حال وصولكم فى بعد الذكر السابق فانه أقرب الى القبول (ان الله غفور رحيم) يغفر ذنب المستغفر ويرحم عليه (فاذا قضيتم مناسككم) أى فرغتم من اعمال الحج (فاذكروا الله) بعمارها كم بها ولا تعجبوا بما حصل لكم من الكمال (كذكركم آباءكم) اذ منوا عليكم بالتربية (أو) كذكر قوم (أشد ذكرا) لله منكم لا بانكم لان منة الله بالاهداء والتوفيق والتعريف أجل من كل منة واقصدوا بذكره دون غيره لئلا تجعلوه واسطة (فمن الناس) أى الذين نسوا حق عظمته (من يقول ربنا آتنا) مرغوبتنا (فى الدنيا) لا نطلب غيرها انهم هذا

بالكفر والمعاصى ويقال أفلح من زكاه الله وخاب من أضله الله (قوله أنقض ظهرك) أى أثقل ظهرك حتى سمع نقيضه أى صوته وهذا مثل ويقال أنقض ظهرك أثقله حتى جعله نقضا والنقض البعير الذى قد أتعبه السفر والعمل فنقض لحمه فيقال

(و) ان ذكر الله (ماله فى الآخرة من خلاق) أى نصيب على ذكره لانه استوفى نصيبه فى الدنيا بتخصيص دعائه به (ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة) صحة وكفافا وتوفيقا (وفى الآخرة حسنة) ثوابا ورحمة (وقنا عذاب النار) بالعفو والمغفرة (أولئك) وان اساؤا الادب معه بتوسيطه (لهم نصيب) من حسنات الدنيا والآخرة (مما كسبوا) من هذا الدعاء وسائر الاعمال يحاسبهم الله فى أسرع الاوقات ليوصلها اليهم بسرعة (والله سريع الحساب) واما من دعا الله لذاته ولم يطلب منه سواه فلا حساب لعطائه (واذكروا الله) لذاته لا لطلب شئ منه فان لم يتيسر أيام عمركم فلا أقل من ان تذكروه لذاته (فى أيام معدودات) هى ايام التشريق بالتكبير ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمى الجمار والسر فى الرمى الاستهانة بالشيطان بذكر الله وتعظيمه والجمرات الثلاث بمنزلة مداخله من القوة النظرية والشهوية والغضبية وأيام التشريق بمنزلة مراتب النفس الامارة واللوامة والمطمئنة ورمى جمرة العقبة يوم العيد لتزكية الامارة لتعود الى الفطرة وأمرها اهم فقدم والتزكية انما تكون بذكر الله فاذكروه فى هذه الايام سيما الاولين (فمن تعجل فى يومين) أى نفر فى اليوم الثانى بعد رمى الجمار قبل الغروب (فلا اثم عليه) بترك مبيت ليلة الثالث بمنى ورميه اذ لا يحتاج الى تزكية المطمئنة (ومن تأخر فلا اثم عليه) وان زاد عملا يشبه زيادة ركن فى الصلاة لانه احتاط بتزكية المطمئنة احترازا عن تلبيس الامارة بأنها صارت مطمئنة لكنه (لمن اتقى) أن يأتى بمحرم (واتقوا الله) أن تدعوا لانفسكم كمالا بهذه التزكية (واعلموا أنكم اليه تحشرون) فلو ادعيتم الكمال لانفسكم كنتم مدعين مشاركته فى الكمالات فيكون حشركم اليه حشر من ادعى الشركة معه ثم اشار الى انه لا يغتر باظهار النفس الكمال لما للروح ثم لا يبالغ فى تزكيتها ويوليها أمرها فتظهر عداوتها الكامنة وتفسد عليها ميلها الى الله وتهلك اعمالها وأحوالها ومقاماتها حتى تصير لا تبالى بالله وترد الى جهنم البعد والفراق فتستقر فيها فتصير كالاخنس بن شريق اذ قال عز وجل فى حقه (ومن الناس من يعجبك قوله) اى يعظم فى نفسك حلاوته وفصاحته (فى الحيوة الدنيا) التى هى مبلغ علمه وحظها على نفسه يظهر محبته لك (ويشهد الله على ما فى قلبه) من الايمان بك والمحبة لك لئلا يتفرس فيه الكفر والعداوة (وهو ألد الخصام) أى أشد فى العداوة اذ لا اثر فى العداوة الظاهرة يعتد به (و) لذلك (اذا تولى) اى صارت له قوة استيلاء على ثقيف (سعى فى الارض ليفسد فيها) بالقتل والاسر والنهب (ويهلك الحرث) أى الزرع بالاحراق (والنسل) أى المواشى الناتجة ففعل ما لا يفعله مؤمن أو محب لله ورسوله لانه مفسد كيف (و) هو مما لا يحبه الله تعالى اذ (الله لا يحب الفساد) فيصير فاعله مبغضا ساقطا عن حبه كيف (و) لم يبال بالله حتى (اذا قيل له اتق الله) فى الافساد والاهلاك (أخذته العزة) أى غلبته عزته فمنعته عن قبول قول الناصح وأمرته (بالاثم) واذا لم يكفه النصح بتقوى الله (فحسبه) أى كافيه (جهنم) اذا استقر فيها أبدا (ولبئس المهاد) أى الفراش الذى يستقر عليه بدل فرش عزته ثم أشار الى أن التزكية انما

حسنه نقض (قوله عز وجل أثقالها) جمع ثقل واذا كان الميت فى بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها (قوله عز وجل أوحى لها) وأوحى اليها واحد أى أمرها وفى التفسير أوحى لها أمرها (قوله عز وجل الهاكم التكاثر) شغلكم

تتم ببيع النفس لطالب مرضاة الله تعالى فقال (ومن الناس من يشرى نفسه) اى يبيعها حتى كانه ينساها (ابتغاء) أى طلب (مرضات الله) لا حظ من حظوظها فيه مبتدءا لذاته لا لدنياه ولا لآخرته (والله رؤف بالعباد) الذين امحضوا عبادته فلم يكونوا ابراء سو برحمهم باعطاء حظوظهم فى الدنيا والآخرة اذ يتلذذون به فوق تلذذ أهل الدنيا بدنياهم وأهل الجنة بجنتهم وكثيرا ما يفيض عليهم حظوظها أيضا ثم أشار الى ان بيع النفس ابتغاء مرضاة الله انما يتم بالانقياد لله ظاهرا وباطنا ولا يتم مع طلب حظوظ النفس لانه يعارض فيه ارادته بارادة الحق فقال (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم) فان مقتضى الايمان الانقياد له بالكلية فان لم يتم فلا بد من الدخول فيه فادخلوا فيه (كافة و) لا مانع من الدخول فيه سوى اتباع خطوات الشيطان (لا تتبعوا خطوات الشيطان) فانه وان جاءكم بلذات دنيوية أو أخروية يفوت عليكم لذات أهل الله (انه لكم عدو مبين فان زللتم) باتباع خطوات العدو (من بعد ما جاءتكم البينات) على عداوته وعلى عظم لذات أهل الله ثم أهل الجنة واعقدتم على حلمه وكرمه وجوده (فاعلموا أن الله عزيز حكيم) فاذا أخللتم بمقتضى عزته بترك الانقياد له فلا بد ان يفعل بكم ما هو مقتضى حكمته من الفرق بين من قام بمقتضى عزته ومن أخل بها وكما انه جواد كريم لطيف فهو مانع منتقم شديد العقاب ثم أشار الى انه لا يكفى فى الدخول فى السلم الانقياد الظاهر مع انكار الباطن فانه مكر مع من يطلع على مكر الخلائق ولا يطلعون على مكره فقال (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله) بقهره مخفيا له (فى ظلل من الغمام) أى السحاب الابيض الموهم كونه ماطرا اخفاءهم النفاق (و) تأتيهم (الملائكة) الذين لا يبصرون بالقهر الذى لا شعور به أصلا بخلاف الذى فى الغمام (و) لا وجه لانتظارهم اذ (قضى الامر) فى حق المنافقين بذلك والانتظار مشعر بالتردد وكيف يتردد فيه (والى الله ترجع الامور) فاذا لم ينقادوا باطنا يكون رجوعهم اليه رجوع العبد الخارج على الملك اذا رد عليه قهرا ثم أشار الى انه لا ينبغى لمن ينقاد لله ان يغتر بما يظهر عليه من الخوارق فقال (سل بنى اسرائيل كم آتيناهم) على رهبانيتهم على خلاف شرعهم (من آية بينة) فصرفوها وهى نعم الله الى معاصيه فأهلكناهم (و) هكذا (من يبدل نعمة الله) بمعصيته (من بعد ما جاءته) اشتد غضبه عليه (فان الله شديد العقاب) ثم أشار الى ان الخوارق ان لم تقارن بالانقياد لله لم تدل على القرب من الله بل على البعد منه حتى يكتسب بها الدنيا فيشبه الكفرة اذ (زين للذين كفروا الحيوة الدنيا) كيف (و) يكون سبب ازدرائه بالمؤمنين فيشبه الكفرة اذ (يسخرون من الذين آمنوا) بما فاقوا عليهم بأمور الدنيا كذلك أهل الخوارق يسخرون من العوام بما فاقوا عليهم بالخوارق بل على المتقين الذين لا خوارق لهم (والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة) وان لم يفوقوا بالخوارق فى الدنيا بل رزقهم الله الخوارق كرزق الكفرة الاموال (والله يرزق من يشاء بغير حساب) فمجرد التقوى أدل على القرب من الخوارق ثم أشار الى انهم كيف عظموا بالخوارق انفسهم ولم يعظموا الانبياء بمعجزاتهم التى هى أعظم الخوارق مع اقترانها بالدعوة

(قوله أبابيل) التكاثر فى تفرقة أى حلقة جماعات واحدها ابالة وابول حلقة ويقال هو جمع وابيل ويقال لا واحد له (قوله تعالى الابتر) الذى لا عقب له (قوله تعالى أحد) بمعنى واحد وأصل أحد وحد فابدلت الهمزة من الواو

العامة الى الخيرات بل كانت سبب تفرقهم لظهورها على يد غيرهم وذلك أنه (كان الناس أمة واحدة) متفقين على الاسلام فيما بين آدم وادريس وعلى الكفر فيما بينه وبين نوح (فبعث الله النبيين) بالمعجزات القاهرة والبراهين القاطعة مقرونة بالدعوة الى الخير في العموم اذ بعثهم (مبشرين) لمن آمن وأطاع (ومنذرين) لمن كفر وعصى (وأنزل معهم الكتاب) الجامع لما يحتاجون اليه في باب الدين على الاستقامة والهداية التامة التي لا يحتاج معها الى خارق لكونه ملتبسا (بالحق) من جميع الوجوه (ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) من الاعتقادات والاعمال ومعجزاتهم مؤيدة له (وما اختلف فيه) مع كونه رافعا للاختلاف (الا الذين أوتوه) أي علموه ولم يكن اختلافهم لالتباس عليهم من جهته بل (من بعد ما جاءتهم البينات) أي الدلائل الواضحة بكون الشبهة بازائها شبهة في مقابلة البديهيات فكان اختلافهم (بغيا بينهم) أي حسدا وقع بينهم لكنه لم يبق شبهة في حق من آمن (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق) أي للحق الذي اختلفوا فيه (باذنه) أي بتيسيره لا بمراجعتهم المختلفين ولا بمجرد اقامته الدلائل الواضحة (والله يهدي من يشاء) بغير دليل ظاهر ولا معلم يشري (الى صراط مستقيم) كذلك خوارق أهل الضلال سبب الالتباس عليهم وقد هدى الله المؤمنين فميزوا بين المعجزات والكرامات وبين سائر الخوارق ولو قيل كيف يميز الحق من المبطل مع انه يدعي الخوارق والشبه أجيب بأنه التباس ضعيف اذ المعجزة غير مقدورة للبشر مقرونة بالدعوة الى الخير في العموم لكن قد يبتلى به كما يبتلى الضعفاء بالبأساء والضراء في الاسلام اذ لولاه لاتفق الكل على الحق لانه طالبه ولا مانع عنه أحسبتم أن تدخلوا الجنة من غير ابتلاء في تمييز المعجزات أو الدلائل عن الخوارق والشبه (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) أي من غير ان يأتيكم الشأن العجيب الذي كان للماضين قبلكم فكان سنة الله التي لا تتبدل (مستهم البأساء) أي أصابهم الفقر والشدة (والضراء) أي المرض والزمانة (وزلزلوا) أي أزعجوا من خوف العدو (حتى يقول الرسول) الداعي الى الصبر الواعد بالنصر (والذين آمنوا معه) العازمون على الصبر الموقنون بوعد النصر (متى نصر الله) استبطاء له فيقال لهم (ألا ان نصر الله قريب) فكذلك التمييز بين المعجزات وسائر الخوارق وبين الدلائل والشبه قريب وان استبعده البعض ثم أشار الى أن السؤال المذكور في وضوح الرد كالسؤال عما ينفقون (يسئلونك ماذا ينفقون) يستصعبونه مع وضوحه (قل) الالتباس في المصرف أكثر فكم ان تسألوا عنه أولا وتجابوا بأن (ما أنفقتم من خير) فيه اشارة الى أن كل خير صالح للانفاق (فللوالدين) قبل غيرهما ليكون اداء الحق تربيتهما مع كونه صلة وصدقة (والاقربين) بعدهم ليكون صلة وصدقة (واليتامى) بعدهم لان فيهم الفقر مع العجز (والمساكين) بعدهم لاحتياجهم (وابن السبيل) بعدهم لانه كالفقير لغيبة ماله ثم صرح بجواب أصل السؤال تنبيها على غباوتهم مع مزيد تعميم فقال (وما تفعلوا من خير فان الله به عليم) فيجازيكم عليه وفيه اشارة

المفتوحة كما أبدلت من المضمومة في قولهم وجوه وأجوه ومن المكسورة في قولهم وشاح وإشاح ولم يبدلوا من المفتوحة الا في حرفين أحد وامرأة أناة وأصلها وناة من الونى وهو الفتور

(باب الالف المضمومة)

الى أن ما يأتى به صاحب المعجزة خرق فى نفسه فلولم تميز المعجزة عن سائر الخوارق فعلكم ان تفعلوا ما هو الخير بكل حال ولو قالوا ان أمر الشبه صعب لا يكاد يسهل أجيبوا أنها صعب لكراهتكم حلها لما يفوتكم من الدين المألوف لكم فيكون حلها على أنفسكم بمنزلة القتل لها فالكره فى حلها كالكره فى الجهاد اذ (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم) ومنه الجهاد اذ به ظهور الاسلام وتيسير اعماله بلا مانع وحل الشبه اذ به الوصول الى الحق المفيد للسعادة الابدية المنجى عن الشقاوة الابدية (وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم) ومنه ترك الجهاد القالع للاسلام المانع من أعماله وحب الملة الباطلة المفوتة للسعادة الابدية المفضية الى الشقاوة الابدية ثم قال (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) فاذا اشتبه عليكم شئ فعليكم بكتاب الله وسنة رسوله ثم أشار الى ان مما اشتبه عليهم أمرك بقتالهم فى الشهر الحرام مع قولك بحرمته وهو أيضا مسهل الردة فهم (يسئلونك عن الشهر الحرام) أيحرم أم لا فتقول انه حرام فيسألونك عن (قتال فيه قل قتال فيه كبير) من المعاصى الكبائر كيف (و) هو (صد عن سبيل الله) أى عن التجارة التى جعلها الله سبيل الرزق لعباده (و) لو استبيح هذا القتل فهو (كفر به و) صد عن (المسجد الحرام) اذا قتل الحجاج الخارجون فى الشهر الحرام فهذا وجه تحريم القتال فى هذا الشهر (و) لكن (اخراج أهله) أى اخراجهم أهل المسجد الحرام وهم النبى والمؤمنون (منه أكبر عند الله) جرما من قتلهم اياهم لان الاخراج فتنة (والفتنة أكبر من القتل) فقد فعلوا بكم فى المسجد الحرام ما هو أكبر من القتل فيه وحرمة المسجد كحرمة الشهر على ان قتالهم لكم ليس كقتالكم اياهم لانكم تقتلونهم دفعا عن أنفسكم وعلى أن يؤمنوا فيفوزوا بخير الدارين (و) هم يقاتلونكم لطلب الردة بل (لا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا) أى قدروا على ردتكم وهى أضر من القتل الذى تدفعونه لان غاية القتل الموت وهو حاصل للمرتد وان لم يقتل (و) انما كانت الردة أضر لانه (من يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم) أى تلفت جميع مساعيهم النافعة لهم (فى الدنيا) اذ ترفع الامان عن أموالهم وأهلهم (والآخرة) اذ يسقط ثوابهم (و) لا يقتصر عليه بل (أولئك أصحاب النار) وهى أشد من القتل سيما اذ (هم فيها خالدون ان الذين آمنوا) بحرمة الشهر فى نفسه وجواز قتال المخرجين أهل المسجد الحرام منه (والذين هاجروا) اذ أخرجوا من المسجد الحرام (وجاهدوا فى سبيل الله) ولو فى الشهر الحرام للدفع عن أنفسهم أو للدعوة الى الاسلام المفيد لهم فى الدارين (أولئك) وان باشروا القتال فى الشهر الحرام (يرجون رحمة الله) على ايمانهم وهجرتهم وجهادهم للدفع أو لايمان المقتول (والله غفور) لهتكهم حرمة الشهر (رحيم) بما رخص فى القتال مع قيام دليل الحرمة ومما اشتبه عليهم أمر الخمر لانها تقوى وتفرح ويؤدى سكرها الى التشاتم والتضارب والتقاتل وأمر الميسر لانه يحصل لواحد مالا ويضيعه على آخر فهم (يسئلونك عن الخمر والميسر) اباحتان لمنافعهما أو بحرمان لمفاسدهما (قل فيهما اثم كبير ومنافع

للناس)

(قوله تعالى وأتوا به متشابها) أى يشبه بعضه بعضا لجائز أن يشتبه فى اللون والخلقة ويختلف فى الطعم وجائز أن يشتبه فى النبل والجودة فلا يكون فيه ما يتقى ولا ما يفضله غيره (قوله عز وجل أميون) الذين

للناس) يرون بينهما معارضة فيستشكلونه (و) ليس بمشكل مع ظهور رجحان جانب الاثم
اذ (اثمهما أكبر) تأثيرا (من نفعهما) لان الضرر الاخروي لا يحتمل للنفع الدنيوي بل يراه
نفعا من نسي ذلك الضرر (ويسئلونك ماذا ينفقون) فان رجحان الامر الاخروي على النفع
الدنيوي يقتضي انفاق الجميع (قل) لم يأمركم باخلال الامر الدنيوي للنفع الاخروي وانما
منع النفع الدنيوي للضرر الاخروي فانفقوا (العفو) أي الفاضل الذي يمكن التجاوز عنه
لعدم الاحتياج اليه كما في الخمر لا يحتمل بترك أمر دنيوي بل في مشربه أنواع من الخلل الدنيوي
فالاثم انما كان لاختلال الامر الدنيوي بذهاب العقل فلذلك قال عقيبه (كذلك) هكذا
(يبين الله لكم الآيات) الامر والنهي وهوان الدنيا (لعلكم تتفكرون في الدنيا) انها فانية
(والآخرة) انها باقية وفي أمورهما لتصلحوهما ولا تحملوا مفسداتهما فلا تتركوا اللذائذ
الباقية للذائذ الفانية (ويسئلونك عن اليتامى) بان الضرر الاخروي اذا كان مانعا من النفع
الدنيوي وفي أكل مالهم ضرر أخروي ولا يؤمن منه أوجب التحرز عنهم وهو مضيع لهم
(قل) لا ضرر أخروي في اصلاحهم بل (اصلاح لهم خير) دنيوي لهم وأخروي لكم
(و) خطر أكل مالهم ليس بمانع من مخالطتهم بل (ان تخالطوهم فاخوانكم) ولا بأس
بمخالطة الاخوان اذا لم يكن على وجه الافساد (والله يعلم المفسد) ويميزه (من المصلح) في الجزاء
فاحترزوا عن الافساد ولا تتركوا الاصلاح فان تركه يشق عليهم (ولو شاء الله لاعنتكم)
أي أشق عليكم بما تشقون عليهم ولا يمنعه من ذلك شيء (ان الله عزيز) أي غالب على ما أراد
(حكيم) وقد اقتضت حكمته ذلك فلا يتركه ثم أشار الى أن الخطر الاخروي وان أمر بتحمله
في أمر اليتامى لا يجوز تحمله في مناكحة أهل الشرك فقال (ولا تنكحوا المشركات حتى
يؤمن) بل يحتمل لاجله الضرر الدنيوي بنكاح الامة المفضي الى رقية الولد (ولامة مؤمنة
خير من مشركة) فان نقصان الرقية فيها مجبور بالايمان الذي هو أجل كمالات الانسان (ولو
أعجبتكم) بسائر الفضائل فان نقصان الكفر لا يجبر بها (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا)
بل يحتمل لاجله الضرر الدنيوي بفوات الكفء (ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم)
بكثرة الفضائل فان ذهاب الكفاءة بالكفر غير مجبور بشيء منها وأشار الى وجه الخطر بقوله
(أولئك يدعون الى) أسباب (النار) ويؤثرونها لافراط المحبة بينهم (والله) يمنع مناكحتهم
وأمر بمناكحة الارقاء لانه (يدعوا الى) أسباب (الجنة و) أسباب (المغفرة) المنجية من النار
وييسر ذلك (باذنه) أي بتوفيقه (ويبين آياته للناس) ليتذكروا لا على القطع بل بطريق
الرجاء (لعلهم يتذكرون ويسئلونك عن المحيض) هل يجب ابعادهن عن مكان الفراش للخطر
في الاجتماع (قل) لا خطر في ذلك يعتد به اذ (هو أذى) يأباه الطبع السليم وغايته اعتزال
النساء في محل الحيض (فاعتزلوا النساء في المحيض) أي الفرج (و) للخطر في ذلك (لا تقربوهن)
بمباشرة حريم الفرج وهو ما بين السرة والركبة (حتى يطهرن) أي يحصل لهن النقاء عن الدم
بل حتى يغتسلن (فاذا تطهرن) أي اغتسلن (فأتوهن) أي أبيح لكم اتيانهن (من حيث

لا يكتبون واحدهم أمي منسوب الى الامة الامية التي هي على أصل ولادات أمهاتها لم تتعلم الكتابة ولا قراءتها (قوله عز وجل وأشربوا في قلوبهم العجل) أي حب العجل (قوله عز وجل أهل به لغير الله) ذكر عند ذبحه اسم غير الله وأصل الاهلال رفع

أمركم الله) أى من القبل الذى أباحه الله لكم وتوبوا لو أتيتم قبل التطهر أو فى غير المأتى فان
التوبة طهر (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) لانهم يرجعون اليه ويناسبونه فى
التنزه وانما أمركم باتيان القبل لان الحرث انما يكون من جانبه اذ (نساؤكم حرث لكم)
تلقون فى أرحامهن بذر الولد وهو النطفة ومنع اتيان الدبر لا يمنع اتيان القبل من جهته
(فأتوا حرثكم أنى شئتم) أى من أى جهة شئتم فلا تبالوا بقول اليهود ان من جامع فى القبل من
جهة الدبر كان الولد أحول (وقدموا) على الاتيان قصد طلب الولد فانه يفيد الثواب
(لانفسكم واتقوا الله) أن تضيعوا بذره بوضعه فيما لا يحل (واعلموا أنكم ملاقوه) فيسألكم
عن بذره (وبشر المؤمنين) الواضعين بذره فى محل أمره بما يجازيهم على تعميرهم للعالم ثم أشار
الى أن قضاء الشهوة لا يمنع من تأثير قصد الخير كما أنه لا يمنع تأثيره نقض اليمين فقال (ولا تجعلوا
الله عرضة لأيمانكم) أى حاجزا يمينكم لاجل يمينكم به على أن لا تبروا أو على أن تفعلوا فعلا
محرما أو على أن لا تدخلوا فى الاصلاح وبين (أن تبروا وتتقوا) فعل المحرم (وتصلحوا بين
الناس) فانقضوا أيمانكم وكفروا عنها يحصل لكم أجر الخير (والله سميع) لاعتذاركم عن يمينه
اذا نقضتموه لتعظيم أمره (عليم) بأنكم قصدتم به تعظيم أمره لا هتك حرمته فلا يؤاخذكم بتلك
اليمين بعد التكفير كما انه (لا يؤاخذكم الله باللغو) أى بالكلام الذى لم يقصد بأيمانكم وان
دخل (فى أيمانكم) بلا قصد (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) من هتك حرمته بنقض
اليمين المقصودة أو جعلها وسيلة الى اكتساب حرام (و) انما لا يؤاخذكم باللغو مع قلة
مبالاتكم اذ (الله غفور حليم) ثم أشار الى أنه كما لا يؤاخذكم بنقض اليمين اذا نقضت للبر
والتقوى والاصلاح وكفرت لا يؤاخذ بيمين المولى وهو من حلف لا يجامع امرأته فوق أربعة
أشهر أو مطلقا اذا كفر فقال (للذين يؤلون) أى يحلفون للامتناع (من نسائهم تربص أربعة
أشهر) أى انتظار نسائهم مضى أربعة أشهر اذ لا يحتملن الصبر فوق ذلك (فان فاؤا) اى رجعوا
اليمين بالجماع فنقضوا اليمين وكفروا عنها (فان الله غفور) لحنثه (رحيم) على النساء بما رخص
لهم فى الحنث (وان عزموا الطلاق) أى حققوا موجبه وهو ترك الفئ كأنهم قصدوه جزما
(فان الله سميع) لقصدهم (عليم) بما يجب عليهم من تطليقها من أنفسهم أو على لسان الحاكم
(والمطلقات) ولو موليات انتظرن المدة المذكورة وفى معناهن المفارقات حال الحياة بردة أو
خيار اذا كن من ذوات الاقراء مدخولات غير حاملة (يتربصن بأنفسهن) أى ينتظرن
بحمل أنفسهن عليه قهرا (ثلاثة قروء) أى مضى ثلاثة اطهار يجتمع الحيض فيها فى أرحامهن
اجتماعا كاملا وحين ينتقلن الى الحيض لان هذا الانتقال يدل على براءة الرحم بحسب
الغالب اذ حيض الحامل نادر ولو كثر فلا يكاد يخفى الحمل بعد هذا العدد وجعل تعدد
الطلقات توسيعا لمدة الرجعة على من راعى حقها لعله يذهب عن قلبه فى هذه المدة ما كرهها
فيراجعها وعلى من استكمل ليذوق وبال فراقه لو عاد بعد العدتين (ولا يحل لهن أن يكتمن
ما خلق الله فى أرحامهن) من الحيض أو الولد استعجالا للعدة أو ابطالا لحق الزوج فى الرجعة

الصوت (قوله عز وجل
اضطر) أى ألجئ (قوله
عز وجل أمة) وهى على
ثمانية وجوه أمة جماعة
كقوله عز وجل أمة من
الناس يسقون وأمة اتباع
الانبياء عليهم السلام كما
تقول نحن من أمة محمد
صلى الله عليه وسلم وأمة
رجل جامع للخير يقتدى به

(ان كن يؤمن بالله) ان جرين على مقتضى الايمان به الخوف من ذاته (واليوم الآخر) الخوف من جزائه (وبعولتهن) أى أزواجهن (أحق بردهن) ان كان الطلاق رجعيا (فى ذلك) أى فى زمان التربص (ان أرادوا) بالرجعة (اصلاحا) لا اضرارا (و) الاصلاح انما يتم باداء كل حق الآخر اذ (لهن) على الرجال من المهر والكفاف وترك الاضرار (مثل الذى عليهن) للرجال من الاطاعة والتعفف وحفظ البيت (بالمعروف و) ليس لهن التحكم على الرجال من الاعتراض بتزوج أخرى أو بالتسرى اذ (للرجال عليهن درجة والله عزيز) اى قادر على انتقام من منع حق صاحبه (حكيم) ينتقم منه بمقتضى حكمته (الطلاق) أى التطليق الذى يستحق الزوج الرد فى عدته (مرتان) فى كل مرة له الرد والتطليق فان رد (فامساك بمعروف) أى فالواجب امساكها باقامة حقوق الزوجية ولا يجوز اضرارها بذلك بتطويل العدة (أو) طلق فالواجب (تسريح باحسان) أى لا يأخذ منها شيأ (و) ذلك لانه (لا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيأ) من المهر والنفقة فضلا عن سائر أموالها فى كل وقت (الا) وقت (أن يخافا ألا يقيما حدود الله) أى حقوق الزوجية ثم هذا الخوف يجب أن يكون بحيث لو رفع الى الحكام يقع فى قلوبهم (فان خفتم) أيها الحكام لو رفع أمرهما اليكم (ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما) أى لا حرج على المرأة فى الاعطاء وعلى الزوج فى الاخذ (فيما افتدت به) نفسها عن ضرره ولو زائدا على قدر المهر والنفقة ولا يكون حينئذ تسريحا باحسان بل خلعا (تلك) الاحكام (حدود الله فلا تعتدوها) فلا يحل للزوج أن يأخذه ان اختص به خوف عدم اقامة الحدود ولا للمرأة أن تعطيه ان اختص بها ذلك (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) فى الاخذ والاعطاء وان صح عقد الخلع واذا خيرناه بعد المرتين بين الامساك والتسريح (فان طلقها فلا تحل له) برجعة ولا بنكاح جديد (من بعد) لانه قطع محبتها من نفسه وقلبه وروحه فلم يبق له علاقة يمكنه جذبها بها (حتى تنكح زوجا غيره) أى حتى تذوق وطء زوج آخر بنكاح صحيح وذلك لئلا يكثروا التطليق والعود مع أنها لما نكحت زوجا آخر وطئها صارت كأنها لم تكن امرأة الاول أصلا فكأنها لم تكن بينهما محبة انقطعت يحتاج وصلها الى علقة بل صارت لا تعرفه ولا يعرفها على ان القطع اذا كان من البعض كان كقطع الشجرة لا من أصلها فيمكن عودها وان كان من الاصل فلا تعود الا بغرس جديد وجعل الى غارس آخر لئلا يكون القاطع غارسا مرة أخرى فيلزمه السفه (فان طلقها) الزوج الثانى (فلا جناح عليهما) أى على الزوج الاول والمرأة (أن يتراجعا) الى الزواج بتجديد النكاح (ان ظنا) أى اعتقدا اعتقادا راجحا اذ لا يمكن الجزم بالامور المستقبلة (أن يقيما حدود الله) أى حقوق الزوجية (وتلك) أى اصابة الزوج الثانى وتطليقه وظنهما اقامة حقوق الزوجية (حدود الله يبينها لقوم يعلمون) لان من قطعت محبته يحتاج فى تجديدها الى حيلة (واذا طلقتم النساء) أيها الازواج الثوانى (فبلغن أجلهن)

كقوله ان ابراهيم كان أمة قانتا لله وأمة دين وملة كقوله عز وجل انا وجدنا آباءنا على أمة وامة حين وزمان كقوله عز وجل الى أمة معدودة وكقوله وادكر بعد أمة أى بعد حين ومن قرأ أمه وأمه أى نسيان وأمة أى قامة يقال فلان حسن القامة

أي فبلغ انتظارهن مايقرب آخر مدتهن فأنتم كالازواج الاولين (فامسكوهن بمعروف) أي بقصد اقامة حقوق الزواج (أو سرحوهن بمعروف) أي اتركوهن مسرحات من غير قصد العضل (ولا تمسكوهن ضرارا) بهن بتطويل العدة (لتعتدوا) عليهن بجعلها كالمعلقة (ومن يفعل ذلك) فهو وان ظلمها في الظاهر (فقد ظلم نفسه) بالحقيقة لانه يعطيها أعماله الصالحة أو يتحمل أعمالها الطالحة ويحبس في النار بحبسها في العدة (ولا تتخذوا آيات الله) أي مواعيده التي بينها بآياته (هزوا) فيدوم حبسكم في النار (واذكروا نعمت الله عليكم) اذ جعلهن بأيديكم ولو جعلكم بايديهن لاضررن بكم فلا تتوسلوا بنعمته الى معصيته (و) اذكروا (ما أنزل عليكم من الكتاب) أي العلم الظاهر (والحكمة) أي العلم الباطن لاصلاح شأنكم اذ (يعظكم به) فلا تفسدوا عليكم ما أصلح الله لكم بآياته وظواهر علومه وبواطنها وزواجره (واتقوا الله) في افساد ما أصلح بذلك (واعلموا أن الله بكل شئ) من اصلاحكم وافسادكم (عليم) وكفى بعلم الملك القدير العدل الحكيم زاجرا عن مخالفته ثم أشار الى أنه كما لا يجوز اضرارهن بالامساك عند تقارب انقضاء العدة لا يجوز اضرارهن بعد انقضائها بمنع التزويج فقال (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أي فبلغ انتظارهن آخر أجلهن (فلا تعضلوهن) أي لا تمنعوهن أيها الازواج (أن ينكحن أزواجهن) أي من أردن من الازواج اذ لم تبق لكم زوجيتهن بل صار غيركم أولى بهذه الاضافة (اذا تراضوا بينهم بالمعروف) أي بطريق النكاح (ذلك) النهي عن العضل (يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله) بقدرته وعدله وحكمته (واليوم الآخر) يوم جزائه (ذلكم أزكى لكم) لنفوسكم من الميل اليهن (وأطهر) لقلوبكم من وسوسة الشيطان (والله يعلم) ما في العضل من ضرر كم عند الله (وأنتم لا تعلمون) ما على أهل العضل من الشدة عنده (والوالدات) ولو مطلقات مأمورات بأن (يرضعن أولادهن) ولو في بيوت المطلقين اذ لم يكن لهن الحضانة لعدم أهليتهن وان خيف ميلهم اليهن سيما بطول مدة المساكنة لكونها (حولين كاملين) يحتمل ذلك لحفظ الاولاد عن التلف وهذه المدة غاية (لمن أراد أن يتم الرضاعة) فلا يحتمل اسكانهن في بيوت المطلقين أكثر من ذلك (و) الولد وان كان للوالدة (على المولود له) أجرتها ولم يقل على الوالد ليشعر بأنه ينتسب اليه لا اليها ولذلك كان عليه مؤنته لا عليها وأجرة المثل في ذلك (رزقهن) أي طعامهن (وكسوتهن بالمعروف) أي بما يراه الحاكم هذا اذا كان الوالد موسرا اذ (لا تكلف نفس الا وسعها) وأما اذا كان الوالد معسرا فحينئذ يصير على الوالدة ولو معسرة (لا تضار والدة بولدها) بمنع ارضاعه ولو عند اعسار الاب (ولا مولود له بولده) عند اعساره وان كان لها الحضانة فذهبت به الى بيتها عند المفارقة اذ ليس عليها مؤنته (وعلى الوارث مثل ذلك) أي ويجب على الصبي اذا ورث مال أبيه أجرة المرضعة ولو أمه هذا اذا احتاج الصبي الى الرضاع (فان أرادا) أي الابوان (فصالا) أي فطاما صادرا (عن تراض منهما) لا لكراهة أحدهما الآخر (و) لا عسر الاتفاق ولا تعب التربية بل عن (تشاور) وهو

الامة أي القامة وأمة الرجل منفرد بدين لا يشركه فيه أحد قال النبي صلى الله عليه وسلم يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده وأمة أم يقال هذه أمة زيد أي أم زيد (قوله عز وجل أحصرتم) أي منعتم من السير بمرض أو عدو أو

استخراج الرأى (فلا جناح عليهما) فى منع الارضاع وأجرته (وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم) من غير أمهاتهم لكراهة ظهرت فيهن (فلا جناح عليكم) ولو بعد استئجارهن له مدة (اذا سلمتم) اليهن (ما آتيتم) أى سميتم لهن من الاجر (بالمعروف) أى بالوجه المستحسن شرعا بخلاف ما اذا كانت الاجارة فاسدة فانه يجب فيه أجرة المثل لمدة الرضاع (واتقوا الله) فى الميل الى المرضعات اذا كن مطلقات أو أجنبيات وفى منع شئ من حقوقهن عند ارادة الاسترضاع من غيرهن (واعلموا أن الله بما تعملون بصير) وان لم يبصره غيركم ولما ذكر عدة المفارقة حال الحياة وحكمها فى الارضاع فى أثناء العدة وبعدها عقبها بعدة المتوفى عنها زوجها فقال (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن) أى ينتظرن أزواجهم بعدهم (بأنفسهن) أى بحملها على الصبر (أربعة أشهر وعشرا) أى مضيها لئلا يتعارض فى قلبها حب المتوفى وحب الجديد فاخذت مدة صبرها وهو أربعة أشهر وزيد عليه العشر اذ بذلك ينقطع صبرها فتميل الى الجديد ميلا كليا فينقطع عن قلبها حب المتوفى على أنه يظهر فى حق المدخول بها حركة الحمل اذ تكون بعد أربعة أشهر لكنها تبتدئ ضعيفة وتتقوى بمضى عشر آخر ولم يكتف بالاقراء الدالة على عدمه ههنا بخلاف الفراق حال الحياة لان الفراق الاختيارى شاهد عدمه مع شهادة الاقراء فثمة شاهدان وههنا واحد وعدم الحركة بعد هذه المدة يقوى شهادة الاول فيكون كالشاهد مع اليمين (فاذا بلغن أجلهن) أى بلغ انتظارهن آخر عدتهن (فلا جناح عليكم) يا أولياء المتوفى (فيما فعلن فى) حق (أنفسهن) من التزويج قبل الحول (بالمعروف) أى بالوجه المشروع من حضور الولى والشهود (والله بما تعملون خبير) فيجازيكم على لومكم اياهن على الامر المشروع (و) كما لا جناح عليهن فى التزويج بعده (لا جناح عليكم) أيها الخاطبون (فيما عرضتم به) أى أوردتموه بطريق التعريض وهو افهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا (من خطبة النساء) بأن تقولوا لها انك جميلة أو صالحة أو رب راغب فيك أو من يجد مثلك (أو) فيما (أكننتم) أى أضمرتم من نكاحهن (فى أنفسكم) وان كان حقه التحريم فضلا عن التعريض باللسان لكن أباحه الله لكم اذ (علم الله أنكم ستذكرونهن) من عدم صبركم عنهن فلا تعتد واما أباح لكم الى ماوراءه (ولكن لا تواعدوهن) حال العدة ولو (سرا الا أن تقولوا) بطريق التعريض (قولا معروفا) يدل على النكاح لا السفاح ولا باستعجال النكاح فانه زيد اباحته لانه يخاف سبق الغير عند كمال العدة بخطبتها (ولا تعزموا) أى لا تقصدوا جزما حال العدة (عقدة النكاح) بعد العدة لانه يقيد من يد تحريك من الجانبين بحيث لا يطاق معه الصبر الى انقضاء العدة (حتى يبلغ الكتاب) أى ما قدر من العدة (أجله) أى آخره (واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم) من الميل اليهن قبل الاجل (فاحذروه واعلموا أن الله غفور) ذلك الميل اذ لم يتعد العزم عقدة النكاح لانه (حليم لا جناح) أى لا ضيق (عليكم) من لزوم المهر عليكم ولا على نسائكم من لزوم

سائر العوائق (قوله عز وجل أخراكم) أى آخركم (قوله عز وجل أجورهن) أى مهورهن (قوله عز وجل ابسلوا) أى ارتهنوا وأسلموا للهلكة (قوله عز وجل أجاج) أى مالح مر شديد الملوحة (قوله عز وجل أكله) ثمره (قوله عز وجل أملى لهم) أى

العدة عليهن أو الاضرار بهن (ان طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة) أى قبل الوطء وقبل فرض المهر وأما اذا طلقها بعد الوطء وقبل الفرض يلزم مهر المثل وبعد الوطء والفرض يلزم المسمى (و) حيث لا مهر عليكم (متعوهن) جبر الوحشة الفراق وهى مفوضة الى رأى الحاكم ينظر فى حال المطلق (على الموسع قدره) أى يجب على الموسر قدر ما يليق بيساره (وعلى المقتر قدره) أى على المعسر قدر ما يليق باعساره (متاعا بالمعروف) اى بالوجه المستحسن فلا يزاد الى نصف مهر المثل ولا ينقص الى ما لا يعتد به (حقا) اى ثبت ذلك ثبوتا مستقرا (على المحسنين) اى الناظرين الى الله فلا يليق بهم ايحاش خلقه بالكلية (وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) اى قبل الوطء (وقد فرضتم لهن) فى العقد أو بعده (فريضة) ولو أقل من مهر المثل (فنصف ما فرضتم) اى فالواجب نصف المسمى (الا أن يعفون) فلا شىء على المطلقين (أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح) اى الزوج المالك عقدة النكاح عن استرداد النصف فانه لكونه مالك النكاح يستحق رد حقه مع حقها (وأن تعفوا) عن استرداد النصف (أقرب للتقوى) ليكون جبرا للاساءة اذ النصف الآخر انما هو لتحقق نصف موجبه اذ موجبه العقد والوطء وقد تحقق العقد (ولا تنسوا الفضل) أى التفضيل بالزيادة لئلا يذهب بالوحشة (بينكم ان الله بما تعملون بصير) فلا يضيع تفضلكم ثم أشار الى أن اساءة التطليق وان لم تكن بدعة وأدى فيها المتعة أو المهر لا يذهب الا باكتساب الحسنات سيما الصلاة لا كيف كانت بل بالمحافظة (حافظوا على الصلوات) برعاية فرائضها وسننها وأوقاتها (و) لا تكتفى المحافظة على صلاة ما بل لا بد من المحافظة على (الصلوة الوسطى) وهى الصبح الواقعة بين صلاتى الليل والنهار المشهودة للملائكة النازلين والصاعدين وقيل العصر كقوله عليه السلام شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا (وقوموا لله قانتين) أى خاشعين أو ذاكرين لو هذه المحافظة فى غير شدة الخوف (فان خفتم) واشتد خوفكم (فرجالا أو ركبانا) أى فصلوا راجلين أو راكبين فيعفى عن كثرة الافعال واتمام الركوع والسجود واستقبال القبلة (فاذا أمنتم) اى زال خوفكم ولو فى أثناء الصلاة (فاذكروا الله) اى فصلوا ذاكرين (كما علمكم) من فرائضها وسننها (مالم تكونوا تعلمون) مما أفادكم الله أسرارا وصلوما ولما ذكر متعة المطلقات وما يرتفع به اساءة المطلقات بالكلية اشار الى متعة المتوفى عنها فقال (والذين يتوفون منكم ويذرون) أى يتركون (أزواجا) الزمهم الله (وصية لازواجهم) أن يمتعوهن بالنفقة والكسوة (متاعا) ممتدا (الى) آخر (الحول غير اخراج) اى غير مخرجات من مساكن الفراق وكان هذا فى أول الاسلام ثم سقطت النفقة والكسوة بتوريثها الربع أو الثمن والحول بأربعة أشهر وعشرا وبقى لها السكنى لكنها كانت فى أول الاسلام الى سنة وكانت على سبيل الخيار لها (فان خرجن فلا جناح عليكم) يا أولياء الميت (فيما فعلن فى) معاش (أنفسهن من) كسب (معروف) جائز شرعا (والله عزيز) اى غالب على مجازاة ما فعلن من غير المعروف بفعله لانه (حكيم) ثم الزمن

أطيل لهم المدة واتركهم ملاوة من الدهر والملاوة من الدهر والملوان الليل والنهار (قوله عز وجل احصروهم) احبسوهم وامنعوهم من التصرف (قوله عز وجل أذن خير لكم) يقال فلان أذن أى يقبل كل ما قيل له

ملازمة السكنى أربعة أشهر وعشرا وذلك لانه لم تكن من عادتهن ملازمة البيوت تم الزمن محافظة على ماء الرجل ثم أشار الى أنه كما يكون للمتوفى عنها زوجها نفقة وسكنى مع أخذها كل المهر يكون للمطلقات بعد الفرض والمس أيضا فقال (وللمطلقات) غير من طلقت قبل المسيس بعد الفرض لانه لما نقص الفرض في حقها لم تستحق الزيادة (متاع بالمعروف) جبرا لوحشة الفراق والمهر حق بضعها (حقا على المتقين) أى ثبت ثبوتا مستقرا على من يتقي البقاء على الاساءة (كذلك) اى مثل ذلك البيان الشافى (يبين الله لكم) فى جميع المواضع (آياته) الدالة على أحكامه الحكمية (لعلكم تعقلون) اى تستعملون عقولكم لاستنباط وجه الحكمة فيها ثم أشار الى أنكم لو منعتم المهر والمتعة بعد ما أمر الله بهما لم يبعد ان يسلبكم الاموال والحياة التى تجمع لها وان أعطيتم لم يبعد ان يعوضها لكم بل لا يبعد منه تعويض الحياة فقد عوضها قوما غير محصورين (ألم تر) أيها المنكر لذلك (الى) أهل داوردان (الذين خرجوا من ديارهم) اذ وقع بها الطاعون الى واد أفيح (وهم ألوف) ثلاثة أو أربعة أو عشرة أو بضعة وثلاثون أو أربعون أو سبعون (حذر الموت فقال لهم الله موتوا) اذ ناداهم ملك من أسفل الوادى وآخر من أعلاه ان موتوا فماتوا جميعا فبليت أجسادهم وعريت عظامهم (ثم أحياهم) اذ مر بهم حزقيل بن بوزى فجعل يتفكر فيهم فأوحى الله اليه تريد ان أريك آية قال نعم وقيل دعا ان يحييهم فأحياهم ليتوفوا آجالهم تفضلا عليهم وعلى من بلغهم خبرهم ليعتبر وافيفوزوا (ان الله لذو فضل على الناس) يتفضل عليهم ليشكروه (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) ثم أشار الى أنه لا يبعد من الله أن يأمركم باعطاء المهر والمتعة (و) قد أمركم يبذل المهج اذ قال لكم (قاتلوا فى سبيل الله واعلموا) ان أنكرتم أمره أو قصدتم عصيانه (أن الله سميع) لانكاركم وقصدكم (عليم) بمقتضاهما من الجزاء ثم أشار الى أن بذل المهج والحقوق ليس اتلافا للنفوس والاموال بل تعويض بما هو أجل (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) على سبيل الاخلاص امتثالا لامره لا لحاجته بل لتضعيفه بمقتضى عظمته (فيضاعفه له) بتكثير فوائد الحياة والاموال فى الآخرة أو الدنيا أيضا (اضعافا كثيرة و) لا يبعد ان يقبض عمن لا يقرضه ويبسط لمن يقرضه اذ (الله يقبض ويبسط و) لو لم يعد كم الاضعاف لوجب عليكم امتثال أمره اذ (اليه ترجعون) وكيف ينكر بسط الله وقبضه وهو الذى يعطى الفقير الملك ويسلبه من أهله ويقوى الضعفاء من الجمع القليل ويضعف الاقوياء من الجمع الكثير (ألم تر الى الملا) اى الاشراف (من بنى اسرائيل) الذين كمل شرفهم فى عهد موسى ثم زال ثم عاد (من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم) هو اشمويل بن بال أو ابن هلقايا أو شمعون بن صفية حين ظهرت العمالقة قوم جالوت على كثير من أرضهم وأسروا من أبنائهم لوكهم أربعمائة وأربعين غلاما وأخذوا توراتهم (ابعث لنا ملكا) اى أقم لنا أميرا (نقاتل) معه عن رأيه (فى سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا) اى هل قرب تركم القتال ان فرض عليكم (قالوا ومالنا ألا نقاتل) اى اى

(قوله عز وجل أولوا الارحام) واحدهم ذو (قوله (الات) واحدها ذات (قوله تعالى أترفوا) أى نعموا وبقوا فى الملك والمترف المتروك يفعل ما يشاء وانما قيل للمنعم مترف لانه لا يمنع من تنعمه فهو مطلق فيه (قوله عز وجل اجتثت) معناه استؤصلت (قوله

شئ عرض لنا يكون سبب أن لانقاتل (فى سبيل الله وقد) تحقق فينا موجبه اذ (أخرجنا من ديارنا و) أفردنا من (ابنائنا فلما كتب عليهم القتال) بعد الحاحهم فى طلبه (تولوا) اى أعرضوا عنه جبنا (الاقليلا منهم) وهم الذين عبروا النهر (و) لم يجعل الله المتولين جبناء الا لعلمه بظلمهم اذ (الله عليم بالظالمين و) يدل على ظلمهم اعتراضهم على نبيهم فى تعيينه بأمر الله الملك الذى طلبوا تعيينه اذ (قال لهم نبيهم) الذى عرفوا صدقه بالمعجزات (ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) فاعترضوا عليه بل على الله اذ (قالوا أنى يكون له الملك علينا) وهو من أولاد بنيامين (ونحن) لكوننا من أولاد يهودا (أحق بالملك منه و) غير المستحق ربما يصير ملكا لسعة المال لكنه (لم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم و) لا يتوقف اصطفاؤه على ارث أومال وليس بطريق التحكم بل لانه (زاده بسطة فى العلم) أى علم المملكة (والجسم) لجعله عظيم الجسم جميل الصورة مهيبا (و) ان كان لا يشترط شئ من ذلك فى حق الله اذ (الله يؤتى ملكه من يشاء و) لا يمكن التضييق عليه اذ (الله واسع) لكنه لا يتحكم لانه (عليم و) من ظلمهم انهم لم يكتفوا بهذا البيان من نبيهم بل طلبوا منه الآية حتى (قال لهم نبيهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت) صندوق التوراة (فيه سكينة من ربكم) اى سكون نفوس بنى اسرائيل يتقوون به على الحرب (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) وضع فيه أولادهما عصا موسى وثيابه وعمامة هرون فلما فسدوا واغلب عليهم العمالقة فكان عندهم الى ان أصابهم الدواهى فتشاءموا بالتابوت فأخرجوه الى الصحراء فأخذته الملائكة فيأتيكم (تحمله الملائكة) بين السماء والارض وأنتم تنظرون فتضعه بين يدى طالوت (ان فى ذلك لآية لكم) على ملكه وعلى صدقى لكنها انما تتم دلالتها عندكم (ان كنتم مؤمنين) بآيات الله وأنبيائه ولما اعترضوا على نبيهم فيما سألوه وسألوا منه الآية عليها بتلاهم الله فيما سألوه من النهر لعطشهم (فلما فصل طالوت) نفسه عن البلد (بالجنود) أى معهم وكانوا ثمانين ألفا من الشبان الفارغين عن التجارة والدهقنة وغيرهما (قال ان الله مبتليكم) أى معاملكم معاملة المختبر (بنهر) سألتموه لخروجكم وقت القيظ (فمن شرب منه فليس منى) أى من أشياعى الذين يقاتلون معى (ومن لم يطعمه) أى لم يذقه (فانه منى) وليس من الشاربين أحد منى (الا من اغترف غرفة) واحدة (بيده) الواحدة فانه لا يخرج بذلك عن كونه منى لانه فى معنى من لم يذقه (فشربوا منه) الى حد الارتواء (الا قليلا منهم) ثلثمائة وثلاثة عشر عدد أهل بدر اقتصروا على الغرفة فكفتهم للشرب والارواء ومن لم يقتصر غالبه العطش واسودت شفته (فلما جاوزه) أى النهر (هو) أى طالوت (والذين آمنوا معه) فصدقوه أن النهر للابتلاء (قالوا) أى المفرطون فى الشرب (لا طاقة لنا اليوم) قبل رؤية جالوت (بجالوت وجنوده) اذ سلب الله شجاعتهم (قال الذين) اغترفوا غرفة بأيديهم لا نبالى لهم مع أمر الله على انا ان قتلنا لقينا الله اذ كانوا (يظنون أنهم ملاقوا الله) مع انا نرجو نصره لمتابعتنا أمره اذ (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة) أى كثر غلبة الجماعة القليلة على الجماعة الكثيرة

عزوجل اجنبى) وجنبى بمعنى واحد (قوله أف ولا تنهرهما) ألاف وسخ الاذن والتف وسخ الاظفار ثم يقال لما يستقل ويضجر منه أف وتف له (وقوله تعالى أف لكم ولما تعبدون) أى تبا لكم (قوله تعالى أفرغ عليه)

لا لافراط قوة القليلة بل مع ضعفهم (باذن الله) أى بتيسيره (و) يربى ذلك الصابرين اذ
(الله مع الصابرين و) كما لم يجبنوا عند مجاوزة النهر لم يجبنوا لرؤية جالوت وجنوده ولم يجبنوا
لشجاعتهم أيضا بل (لما برزوا) أى ظهروا (لجالوت وجنوده) اذ دنوا منه (قالوا ربنا أفرغ)
اى افض (علينا صبرا) فى قتالهم فلا نجزع للجراحات طلبوه أولا لانه ملاك الأمر (وثبت
أقدامنا) فى مكان الحرب فلا نهرب منه وهو مسبب للصبر ثم طلبوا النصر المرتب عليهما
فقالوا (وانصرنا) لانا مؤمنون بك (على القوم الكافرين) بك (فهزموهم) أى هؤلاء القليلون
اولئك الكثيرين (باذن الله) اذ شجع القليلين وجبن الكثيرين (وقتل داود) الذى كان أضعف
عسكر الضعفاء (جالوت) الذى هو رأس الاقوياء وروى انه عزوجل أوحى الى شمويل ان
جالوت يقتله أصغر أولاد ايشى وكان مع أولاده السبع فى عسكر طالوت فطلبه من ابيه فجاء
وقد كلمته فى الطريق ثلاثة أحجار انك تقتل بنا جالوت فحملها فى مخلاته ورماه بها فقتله فخص
بهذه الشجاعة العظيمة التى قوى بها جماعة الضعفاء المحصورين وضعف بها جماعة الاقوياء
الغير المحصورين (و) لم يقتصر فى حقه عليها بل (آتاه الله) مع ذلك (الملك) الذى استولى
به على الاقوياء والضعفاء (والحكمة) التى لا نسبة لخير الملك الى خيرها الكثير (و) مع ذلك
(علمه مما يشاء) من اسرار العلوم (و) انما قوى الله هؤلاء الضعفاء وأعطى بعضهم الملك
والحكمة ومن سائر العلوم ليدفع فساد الاقوياء بالسيف والشبهات وسوء العشيرة اذ (لولا
دفع الله الناس بعضهم) من أهل الشر (ببعض) من أهل الخير (لفسدت الارض) أى
مضى فسادها ولم يعد الى صلاح فهو وان قهر الجمهور لم يقصد به عموم القهر بل دفع عموم
الفساد للاوقات كيف وانما يتركه من لا يعم فضله (ولكن الله ذو فضل على العالمين) ولذلك
انما قهر من قهر بعد اظهار الآيات على ألسن الرسل وقد أراد الآن ازالة الفساد العام
أيضا بارسالك مع الآيات اذ (تلك) المذكورات من اماتة الالوف واحيائهم وتمليك طالوت
واتيان التابوت وانهزام جالوت وقتل داود اياه وتملكه (آيات الله) اذ هى أخبار غيوب تدل
على كمال قدرته وحكمته ولطفه (نتلوها عليك بالحق) الثابت عند أهل الكتاب والتواريخ
(وانك لمن المرسلين) بتلك الآيات وآيات اخر تفوق آيات الاولين ثم أشار الى انه عزوجل وان
كان ذا فضل عام على الناس لم يكن رافعا الفساد من أصله لانه أوجب التفاوت فى الناس
حتى الرسل الذين لهم غاية الكمال الانسانى اذ (تلك الرسل) حزقيل واشمويل وموسى وهرون
وداود ومحمد عليهم السلام ليسوا بالسوية بل (فضلنا بعضهم على بعض) اذ (منهم من كلم الله)
كموسى عليه السلام بلا واسطة (ورفع بعضهم درجات) كداود آتاه الله النبوة والرسالة
والخلافة والملك والحكمة فلا يبعد ان يرفع محمدا صلى الله عليه وسلم درجات كتكليمه ليلة
المعراج ورؤيته وتقريبه قاب قوسين وتعميم دعوته وتعظيم آياته وجمعه وتكثيرهما وتكثير
فضائله العلمية والعملية (و) لا يمنع التفضل على موسى وداود اذ (آتينا عيسى ابن مريم
البينات) التى هى أكمل من آيات موسى وداود كابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى

أى أصب عليه عذابا (قوله عزوجل اخفيها) استرها وأظهرها أيضا وهو من الاضداد من اخفيت واخفيها أظهرها والاغير من خفيت (قوله عزوجل ازلفت الجنة) قربت وادنيت (قوله تعالى اضمم يدك الى جناحك) أى اجمع يدك

(و) قد آتيناه مع الآيات الفعلية الآيات القولية أيضا اذ (أيدناه بروح القدس) ولا يدل
اختلاف اهل الكتاب في عيسى بعد اتفاقهم على موسى وداود على نقص عيسى اذ لم يكن عن
شبهة فضلا عن حجة بل عن عناد محض قدره الله عليهم ليهلكهم اذ بالغوا فيه حتى اقتتلوا
(ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم) أي من بعد اعدائهم بموسى وداود وغيرهما الآيات
ظهرت عليهم (من بعد ما جاءتهم البينات) على يدي عيسى ومحمد عليهما السلام اكمل من
آياتهم فكان حقهم الاتفاق عليهما (ولكن اختلفوا) ولم يقتصروا على هذا الاختلاف
في حقهما بل وقع في حق الاولين (فمنهم من آمن) بموسى وداود وغيرهما اذ آمن بعيسى ومحمد
عليهم السلام (ومنهم من كفر) بالكل ولم يقتصروا على الاختلاف بطريق التردد فيهما
اذ لم يردهم الله الى ذلك لعدم كونهما محل التردد بل ردهم الى الجزم بالكفر لافراط عنادهم
(ولو شاء الله ما اقتتلوا) مع علمهم بأنهم على الباطل (ولكن الله) رد عنادهم الى الجزم بالكفر
لانه (يفعل ما يريد) ولا يريد الا مقتضى استعداد المحل ولذلك أوقع التفاوت بين الناس ثم
أشار الى ان الله تعالى وان خلق الناس متفاوتين فلا ينافي عموم تفضله اذ جعلهم قابلين
لتحصيل الفضائل وهيأ لهم أسبابه كالمال ينفق في سبيل الله فيشترى به في الدنيا فضيلة السخاء
وفي الآخرة رضوانه وجنته ويحصل به خلة الفقراء وشفاعة الاولياء منهم فقال (يا أيها الذين
آمنوا انفقوا مما رزقناكم) لتشتروا منا الرضوان والجنة وتحصلوا اخلة فقرائنا وشفاعة
أوليائنا (من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه) فيشترى الجنة والرضوان (ولا خلة) تسامح بهم ما
(ولا شفاعة) تخلص من النار (و) لم يمنع فضله الكافرين بابطال القابلية أو بعدم تهيئة
الاسباب لهم بل (الكافرون هم الظالمون) بابطال القابلية وصرف الاسباب الى امور الدنيا
بشراء أمتعتها وتحصيل خلتها والتوسل به الى شفاعة خواص الملوك اليهم وبالجملة صرفوا
المال في غير مصرفه ثم أشار الى ان ظلمهم لا يختص بذلك بل وقع في حق الله من جهات كثيرة
اذ منهم من ينكر وجوده ومنهم من ينكر توحيده ومنهم من يقول بحلوله أو اتحاده ومنهم من
ينكر كمال علمه ومنهم من ينكر كمال قدرته ومنهم من يشرك غيره في صفات الكمال واستحقاق
العبادة لكنه هو (الله) الواجب الوجود الذي له الوجود الحقيقي لا لغيره ولا يشاركه في صفات
كماله ولا في استحقاق العبادة غيره اذ (لا اله الا هو) وكيف يستحقها غيره وهو ميت لذاته اذ هو
(الحي) لذاته وحياة الغير من ظهور حياته فيه بل الغير معدوم في ذاته اذ هو (القيوم) اى
القائم بذاته المقوم لكل ما عداه فوجود الكل من ظهور نور وجوده فيه ومن كمال حياته
وقيوميته أنه (لا تأخذه سنة) فتور تتقدم النوم (ولا نوم) حال تعرض للحيوان من استرخاء
دماغه من رطوبات أبخرة متصاعدة تمنع الحواس الظاهرة عن الاحساس فهما نقصان
للحياة منافيان للقيومية لانهما من التغيرات المنافية لوجوب الوجود الذي للقيوم ونفي
النوم أولا التزاما ثم صريحا ليدل كمال نفيه على ثبوت كمال ما ينافيه ومن كمال قيوميته
اختصاصه بملك العلويات والسفليات المشار اليه بقوله (له ما في السموات) من الملائكة

الى جيبك والجناح ما بين
أسفل العضد الى الابط
وقوله تعالى واضمم
اليك جناحك من الرهب
يقال الجناح ههنا اليد
ويقال العصا (قوله عز
وجل اسلك يدك في جيبك)
أى ادخلها فيه ويقال
الجيب ههنا القميص

والشمس

والشمس والقمر والكواكب (ومافى الارض) من الاصنام وغيرها حتى انه لاحكم لغيره
بطريق الشفاعة يدفع بها مايريده بل من افراط هيبته (من ذا) من الانبياء والملائكة فضلا
عن الاصنام (الذى يشفع عنده) فضلا ان يقاومه أو يناصبه (الا باذنه) تحققا للعبودية على
ان الشفيع انما يشفع بعد ان يعلم ذنب المشفوع له لكنه لايعلم الا باطلاع الله اياه وهو بذاته
(يعلم ما بين ايديهم) اى ماقدموا من الطاعات أو المعاصى (وما خلفهم) اى ما أخروا منهما
(ولا يحيطون بشئ من علمه) الذى به مؤاخذته (الا بما شاء) وبمجرد اطلاعهم لايمكنهم من
الشفاعة اذ احاط ملكه بالكل لانه (وسع كرسيه) الذى به تصرفه فى العالم مما دون العرش
(السموات والارض) فله ان يتصرف كيف شاء بلا معارض فلايمكن للشفيع ان يشفع
بدون اذن مالكه ومالك المشفوع له (و) كذلك أحاطت قدرته حتى انه (لا يؤده) اى لا يشقه
(حفظهما) اى السموات والارض فلايمكن للشفيع مقاومته ولا أن يحفظ عليه مايريد
اهلاكه أو تعذيبه وفيه اشارة الى انه لا يفتقر الى شريك ولا ولد وكيف يشق عليه (وهو
العلى) أى الغالب على الكل كيف وهو (العظيم) الذى لاعظمة لغيره اذا اعتبر معه واملوه
وعظمته لايحله الحوادث ولا يحلها ولا يحدبها وكيف لايكون انكار هذه الامور أعظم ظلم
منهم مع انها تكاد تكون ضرورية حتى انه (لا اكراه) على العقول فى التزامها بل (فى)
جميع أمور هذا (الدين) لانها منقادة للدلائل ان لم يعقها تعصب أو عناد وقد ظهرت دلائله
حتى انه (قد تبين) بهذه الآية وأمثالها (الرشد) منحصرا فى هذا الدين متميزا (من الغى)
فى سائر الاديان تميزا لم يبق معه شبهة الامن جهة تسويل شيطان يأمر بالطغيان على الله أو وهم
أو خيال يطغى على العقل (فمن يكفر بالطاغوت) اى بجميع مايدعو الى الطغيان (ويؤمن
بالله) الذى يدعو اليه العقل السليم والكشف المستقيم (فقد استمسك بالعروة الوثقى) اى
بالحلقة القوية (لا انفصام) اى لا انقطاع (لها) بشبهة فان عرضت استعان عليها بالله (والله
سميع) لدعوة من يستعين به (عليم) بما يقطع الشبهة من قلبه (الله ولى الذين آمنوا)
اذا توجهوا عند توارد الشبهات على قلوبهم (يخرجهم من الظلمات) اى ظلمات الشبهات
(الى النور) اى نور الدلائل المفيدة لليقين الماحى للشبهات بالكلية (والذين كفروا) انما
تبقى شبهاتهم لرجوعهم فى دفعها الى شياطين الانس والجن فهؤلاء (أولياؤهم الطاغوت
يخرجونهم من النور) اى نور الدلائل القطعية (الى الظلمات) اى ظلمات الشبهات (أولئك)
بمراجعتهم الطاغوت واتباعهم الشبهات دون الانبياء والاولياء والعلماء والدلائل القاطعة
(أصحاب النار هم فيها) وان كانوا مجتهدين مع المعاندين (خالدون ألم تر الى) اخراج الطاغوت
نمرود (الذى حاج ابراهيم) اى جادله (فى ربه) من نور نسبة الاحياء والاماتة اليه الى ظلمات
نسبتهما الى نفسه واستعان الطاغوت على هذا الاخراج (أن آتاه الله الملك) الذى أقل شكره
ان يعترف به (اذ قال ابراهيم) حين سأله من ربك الذى تدعونا اليه وذلك حين أخرجه من
السجن للاحراق (ربى الذى يحيى ويميت) وأنت عاجز عنهما فلا تستحق الربوبية (قال)

(قوله اغضض من صوتك) أى انقص منه ومنه قوله قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم أى ينقصوا من نظرهم عما حرم عليهم فقد اطلق لهم سوى ذلك (قوله عز وجل اركض برجلك) اضرب الارض برجلك والركض الدفع بالرجل ومنه ركضت

لست بعاجز بل (أنا أحيي) بمباشرة المرأة (وأميت) بالقتل (قال ابراهيم) أريد الاحياء والاماتة بنفخ الروح واخراجه وأنت عاجز عن تحريك بعض الاجسام المتحركة الى جهة بتحويلها الى أخرى مع ان أصل التحريك من آثار الحياة فاذا عجزت عن أثر من آثارها مع وجود مثله فأنت عنها في غاية العجز (فان الله يأتي بالشمس) بتحريك فلكها على خلاف حركته الخاصة (من المشرق) الى المغرب (فأت بها) بتحريك فلكها على حركته الخاصة (من المغرب) الى المشرق ان قدرت على مقاومته (فبهت الذي كفر) اى غلب بالحجة من ثبت كفره لكنه لم يخرج من ظلمته لاصراره على العناد الذي هو أجل وجوه الظلم (والله لا يهدي) بالحجج والدلائل (القوم الظالمين) بالعناد (أو) ألم تر الى (كالذي) اى مثل عزير بن شرخيا أو ارميا بن حلقيا الخروج من الظلمات الى النور بطريق لا نظير له حين (مر على قرية) هي بيت المقدس (وهي خاوية) اى حيطانها ساقطة (على عروشها) اى سقوفها لسقوطها أولا حين خربها بختنصر (قال) استعظاما لقدرة المحيي واستصغارا لنفسه عن معرفة كيفية الاحياء (أنى يحيي هذه الله بعد موتها) اى كيف يعمر الله هذه القرية بعد خرابها فكان منه كالوقوع في الظلمات فأراه الدليل على الاحياء الحقيقي في نفسه مبالغة في قلع الشبهة اخراجا له منها الى النور (فأماته الله) وتركه ميتا (مائة عام) ليندرس بالكلية (ثم بعثه) أي أحياه ببعث روحه الى بدنه وبعض اجزائه الى بعض بعد تفرقها ولما التبس عليه أمر الموت بالنوم سأله عن مقدار لبثه ليعلم ان اللبث في النوم لا يمكن هذه المدة وذلك اذ (قال كم لبثت) وكان قد مات ضحى وبعث بعد المائة قبل غروب الشمس (قال) قبل النظر الى الشمس (لبثت يوما) ثم التفت فرأى بقية فقال (أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام) فان ترددت (فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه) أي لم يتغير اذ لو لم يكونا معادين لكانا بطول النهار متغيرين (و) لو امكن بقاؤهما على حالهما (انظر الى حمارك) كيف صار عظاما ولا يتصور في يوم واحد فاعدنا لك الكل ليكون لك آية على البعث (ولنجعلك آية للناس) على البعث وان لم يشاهدوا اعادتك ولا اعادة طعامك وشرابك وحمارك (و) لو أردت معرفة كيفية الاحياء (انظر الى العظام) أي عظام الحمار (كيف ننشزها) أي نرفع بعضها على بعض ونركبه عليه (ثم نكسوها لحما فلما تبين له) اعادته مع طعامه وشرابه وحماره بعد التلف الكلي وظهر له كيفية الاحياء (قال أعلم أن الله على كل شيء قدير) نخرج من الظلمات الى النور (و) اذكر لتمثيل قصة المار على القرية في الاخراج من الظلمات الى النور بالاحياء قصة ابراهيم (اذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال) مع علمه بأنه اكمل الناس ايمانا ليظهر به غرضه في الجواب فيعلمه السامعون (أ) تشك في قدرتي على الاحياء ووعدي به (ولم تؤمن قال بلى آمنت (ولكن) سألت (ليطمئن قلبي) برؤية الاحياء فوق طمأنينته بالوحي والاستدلال (قال) ان أردت الطمأنينة (فخذ أربعة) أي أربعة افراد (من) اجناس (الطير) الذي هو أعلى من الحيوانات الارضية والمائية (فصرهن) أي اضممهن (اليك) لتتأملها فلا

الدابة اذا ضربتها برجلك ويقال اركض برجلك ادفع برجلك (قوله تعالى أولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع) أى لبعضهم جناحان ولبعضهم ثلاثة ولبعضهم أربعة (قوله عز وجل أم القرى) أى أصل القرى لان الارض دحيت من تحتها يعني مكة

يلتبس

يلتبس عليك بعد الاحياء (ثم) اذبحهن وجزئهن و (اجعل على كل جبل) بحضرتك وكانت اربعة أو سبعة (منهن جزأ ثم ادعهن) بتعالين (يأتينك سعيا) أى مسرعات فأخذ طاوساوديكا وغرابا وحامة أو نسرا فذبحهن ونتف ريشهن وأمسك رؤسهن وخلط سائر أجزائهن ووزعها على الجبال ثم ناداهن فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صرن جثثا ثم اقبلن الى رؤسهن فانضممن اليها وفيه اشارة الى ان من أراد احياء نفسه بالحياة الابدية فعليه بقتل حب الشهوات والزخارف الطاوسية والصولة الديكية والخسة والامنية الغرابية ومسارعة الهوى الحامية والاقبال على القوى البدنية بقتلها ومزجها لتنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية العقل والشرع (واعلم ان الله عزيز) لا يعجزه مراد (حكيم) لا يحيى قبل القيامة فى مستمر العادة لئلا يكون الجاء الى الايمان بالبعث وانما اراكه لسبق ايمانك الذى قصدت الطمأنينة فيه ثم أشار الى أن هذا الاحياء كما يخرج عن ظلمات الاعتقادات الى نورها يخرج عن ظلمات الاخلاق والاعمال الى نورها اذ يعتقد انه كما يحصل الاحياء بطريق الاثبات يحصل الجزاء بطريق الاثبات أيضا حتى ان الاعمال المالية كذلك فقال (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة) القيت فى الارض ثم (انبتت) ساقا ثم انشعبت سبع شعب خرج من كل شعبة سنبلة فصارت (سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة) أى عدد كثير من الحبات وهذا فى الذرة والدخن كثير و فى البر فى الاراضى المغلة فالمال حبة وسبيل الله أرض المزرعة وقبول الساق وتربيته الشعب على عدد صفاته السبع والسنابل تجلى تلك الصفات فى العبد والحبات آثار ذلك التجلى فى العبد (والله يضاعف) هذا التضعيف أو أكثر منه (لمن يشاء) بحسب النيات والاستعدادات (و) لا يبعد من فضله اذ (الله واسع) لا يتضيق عليه ما يتفضل به لكن لا يتسع فى حق الكل لانه (عليم) بالنيات والاستعدادات ولو قيل اذا كان الانفاق كالقاء البذر وهو محل الآفات الكثيرة فهو تضييع للحاضر لامر مشكوك اجيب بأن آفات الانفاق ليست سماوية بل من المنفق فعليه ان يحفظ نفسه من المن والاذى والرياء (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله) لا فى سبيل غيره كالرياء (ثم لا يتبعون) أى لا يعقبون (ما انفقوا منا) أن يعتد باحسانه على من احسن اليه (ولا اذى) أن يتطاول عليه بالانعام (لهم أجرهم) المضاعف (عند ربهم) اذ ربى لهم الصدقة (ولا خوف عليهم) من آفة سماوية فى الاستقبال (ولا هم يحزنون) لها فى الحال وانما منع تعقيبهما لان منع الصدقة مع عدمهما خير من الصدقة مع أحدهما اذ (قول معروف) اى رد جميل للسائل (ومغفرة) ينالها من الله بذلك القول (خير من صدقة يتبعها أذى) اذ لا يحصل للصدقة ثواب ولا به مغفرة و يحصل اثم الاذى والمن قريب منه وان لم يحصل به اثم (والله غنى) عن طلب صدقة لعبيده مع الاذى لهم أو المن عليهم (حليم) عن معاجلة من يمن و يؤذى بالعقوبة ولو قيل كيف يكون منع الصدقة مع عدم الاذى خيرا من الصدقة معها مع ان ثواب الصدقة أعظم فلو اجتمع سيئة الاذى فلا أقل من ان تبقى فى

(قوله عزوجل أم الكتاب) أصل الكتاب يعنى اللوح المحفوظ (قوله عزوجل أولوا العزم من الرسل) نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم وعلى جميع الانبياء السلام (قوله عزوجل ازدجر) افتعل من الزجر وهو الانتهار (قوله عزوجل افسم

نفسه حسنة اذلا يمحوها السيئة الفرعية أجيب بانه يبطلها مادونها فضلا عنها (يا أيها
الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى) فانهما اساءتان ينافيان الاحسان المعتبر
فى الصدقة والمنافى مبطل كالرياء فيصير المان والمؤذى (كالذى ينفق ماله رئاء الناس
و) لا يقبل لانه كالذى (لا يؤمن بالله واليوم الآخر) اذ مقتضى هذا الايمان العمل لله
وطلب اجر الآخرة وليس هذا من الصدقة الممثلة بالبذر المنبت سبع سنابل (فمثله) اى
هذا المنفق رئاء (كمثل) من ألقى بذره على (صفوان) هو الحجر ألقى عليه اذ (عليه تراب) وهو
انما ينبت لو دام مع سبب الانبات وهو الماء لكن لا يدوم معه فاذا ألقى عليه البذر (فأصابه
وابل) لم يبق عليه تراب ولا بذر (فتركه صلدا) أى املس لا شئ عليه فالمرائى لم يلق البذر
فى سبيل الله وان توهم انه سبيله نظرا الى المصرف وكان سبيل الشيطان لبس عليه والمان
والمؤذى قد انتقلا من سبيل الله اليه فاذا ازال بوابل العدل الالهى فكما لا يقدر الزارعون
على الصفوان على تحصيل الغلة قليلها أو كثيرها (لا يقدرون) أى المرائى والمان والمؤذى
(على) تحصيل (شئ مما كسبوا) اى من ثواب ما عملوا اذ لم ينظروا الى الثواب الاخروى
ما شبهوا الكنار (والله لا يهدى القوم الكافرين) الى تحصيل الثواب الاخروى فكذا من
اشبههم ثم أشار الى ان الزرع ليس مثال كل صدقة فقال يقابل منها ما يمثل بغيرها فقال
(ومثل الذين ينفقون اموالهم) لا لرياء ولا للاجر الدنيوى ولا الاخروى بل (ابتغاء مرضات
الله وتثبيتا من انفسهم) فى محبته بقطع محبة ما سواه فهو فى تضعيف مراتب القرب (كمثل)
غارس (جنة) أى بستان (بربوة) أى موضع مرتفع فان عظم عليه الفيض الالهى يضاعف
قربه فصار كأنه (أصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان) لم يعظم فلا بد من فيض ما كما ان
الجنة ان (لم يصبها وابل فطل و) ليس التفاوت بالتحكم بل بحسب حال العمل فانه يتفاوت
وان قصد به طلب رضا الله وتثبيت النفس بل هو أشد تفاوتا من الذى طلب به الاجر اذ (الله
بما تعملون بصير) ولو قيل ينبغى ان لا يبطل بالمن والاذى ما قصد به طلب رضا الله وتثبيت
النفس اذ ليس مثاله الزرع أصلا حتى يكون كالزرع على الصفوان بل مثاله الجنة بالربوة
التى لا تضيع بوابل ولا بطل اجيب بانه كما انقلب المثال فى حق المان والمؤذى من الزرع
المنبت سبع سنابل الى الزرع على الصفوان انقلب هنا الى البستان المحترق (أيود أحدكم
أن تكون له جنة من نخيل واعناب) هما مثالان للمراتب الشريفة (تجرى من تحتها الانهار)
هو مثال ازدياد الشرف بالتزين بالمعارف ونحوها (له فيها من كل الثمرات) هو مثال فوائد
القرب (وأصابه الكبر) هو مثال العجز عن اكتساب ما نزل عنها من الدرجات العالية (وله
ذرية ضعفاء) هو مثال شدة احتياجه اليها فليست مما لا يبالى بالنزول عنها او احتراقها
(فأصابها اعصار) أى ريح هو مثال المن والاذى (فيه نار) هو مثال غضب الله (فاحترقت)
أى الجنة (كذلك) أى مثل ذلك البيان (يبين الله لكم) جميع (الآيات) لتعتبروا

بظواهرها

احلات (قوله عز وجل
احلات) اخرت (قوله
تعالى أخدود) هو شق فى
الارض وجمعه اخاديد
(باب الالف المكسورة)
(قوله تعالى اهدنا) أى
ارشدنا (قوله عز وجل
استوقد) بمعنى أوقد (اذ)
وقت ماض (واذا) وقت
مستقبل (ابليس) افعيل

بظواهرها (لعلكم تتفكرون) فى اسرارها ثم أشار الى انه انما يمثل بالزرع المنبت سبع
سنابل أو بالجنة بربوة ما انفق من الجيد فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى الايمان الانفاق
من الجيد سيما مايطلب به رضا الله وتثبيت النفس (انفقوا من طيبات) أى جيدات
(ما كسبتم) بتجارة أو صناعة (ومما) أى ومن طيبات ما (أخرجنا لكم من الارض) من
الحبوب والثمار والمعدنيات (و) لو وقع الردىء فى مخرجكم من غير قصد أو اختلط فربما
يرجى فيه القبول ولكن (لا تيمموا) أى لا تقصدوا (الخبيث) وحده (منه تنفقون) أى
تخصونه بالانفاق منه (و) لو كان لكم دين على أحد فأعطاكموه فيه (لستم بآخذيه الا أن
تغمضوا فيه) بالمسامحة عليه (واعلموا) انكم انما تأخذونه عند المسامحة لحاجتكم و(أن الله
غنى) كيف يقبل الردىء وهو ذم والله (حميد) من كل وجه وكيف يقبله الله وانفاقه بأمر
الشيطان اذ (الشيطان يعدكم الفقر) فى الانفاق (و) ان أصررتم على الانفاق (يأمركم
بالفحشاء) أى بغاية القبح وهو قصد الردىء وكذلك يأمركم بسائر أنواع الفحشاء من الرياء
والانفاق فى المعاصى من غير تذكير للفقر فيها بل يوهم فيها تحصيل الجاه الجاذب للاموال
(والله يعدكم) بالانفاق سيما من الجيد (مغفرة منه) للذنوب حتى يسقط البليات من أجلها
فى الدارين (وفضلا) بتعويض الاضعاف أو تعظيم الدرجات ولا يتوهم عليه خلاف الوعد
لانه انما يكون بالضيق (والله واسع) وانما ضيق على من ضيق لانه (عليم) باستعداده ثم أشار
الى انه انما لا يغتر بوعد الشيطان ويوقن بوعد الله من آتاه الله الحكمة ولكنه عز وجل
انما (يؤتى الحكمة) وهى اتقان العلم والعمل (من يشاء) لا كل أحد كيف (ومن يؤت
الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) اذ بها انتظام أمر الدارين فتكون مرجعا لاهلهما لكمال
قوتيه النظرية والعملية (وما يذكر) غوائل وعد الشيطان وفوائد وعد الله وجوبا حتى
يجانب الاول ويلازم الثانى (الا أولوا الالباب) أى الاسرار ثم أشار الى ان من دواعى
التذكير فى غيرهم النظر الى علم الله فقال (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر) يؤل الى
الانفاق (فان الله يعلمه) فلا حجة للعوام بانهم لم يكن لهم ما يتذكر به من الاطلاع على الاسرار
ويجب على الكل الاكتفاء به (و) بالجملة (ما للظالمين) وهو من لا يكتفى بعلم الله أو ينفق من
الردىء أو يمن أو يؤذى (من انصار) أى حجج تنصرهم ثم أشار الى ان اظهار الصدقات لا ينافى
الاكتفاء بعلم الله اذ يكفى ترك المبالاة بنظر الخلق بل (ان تبدوا) أى تظهروا (الصدقات)
غير مبالين بعلم الخلق (فنعما هى) أى فنعم شيأ هى أى احسن من كل وجه لانه يجمع المستحقين
ويرفع التهمة ويدعو له كل من يسمع من محتاج وغيره ويفيد اتباع الناس اياه (وان تخفوها)
مخافة الرياء وسترا لعار الفقراء (و) مع ذلك (تؤتوها الفقراء) أى جميع المستحقين (فهو خير
لكم) لا يتعدا كم الى الاتباع لما حصل لكم من الاخلاص الذى عجزتم عنه مع الابداء (و) استركم
عار الفقراء (يكفر عنكم من سيئاتكم و) لا تضركم التهمة اذ (الله بما تعملون خبير) فربما
يزيل عنكم التهمة وان ابقاها فلا تضركم * وعن ابن عباس رضى الله عنهما صدقة السر فى

من أبلس اى يئس ويقال
هو اسم أعجمى فلذلك
لا ينصرف (قوله ارهبون)
خافون وانما حذفت الياء
لانها فى رأس آية ورؤس
الآيات ينوى الوقف
عليها والوقوف على الياء
يستثقل فاستغنوا عنها
بالكسرة (اسرائيل)
يعقوب عليه السلام
(قوله عز وجل اهبطوا

التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ثم أشار الى انك وان بينت لهم فوائد الصدقتين ودرجاتهما فليس لك ايصالهم اليها اذ (ليس عليك هداهم) ايصالهم الى الله والى ثوابه ودرجات قربه (ولكن الله يهدى) عقيب بيانك لجريان سنته بخلق الاشياء عقيب أسبابها الاعلى سبيل الوجوب بل على سبيل الاختيار (من يشاء) بخلق الهداية فى قلبه (و) هى ان (ما تنفقوا من خير) صدقة أو صلة أو غيرهما (فلأنفسكم) بالحقيقة لان المنفق عليه انما يقضى بها حاجته الفانية ويحصل لكم بها الثواب الابدى (و) ليس ما ينفق لطالب الاجر نفقة يعتد بها بل (ما تنفقون) نفقة كاملة (الا) ما تنفقونه (ابتغاء وجه الله) اذ يحصل بها القرب من الله ولا نسبة للاجر الى القرب (و) القرب ليس بمانع من الاجر بل (ما تنفقوا من خير) ابتغاء وجه الله (يوف اليكم) بفوائده من التقرب والثواب الاخروى والدنيوى (و) بالجملة (أنتم لا تظلمون) فى المعاملة مع الله سيما اذا كان عطاؤكم (للفقراء) أى المحتاجين الى النفقة لينفقوا على العبادة لانهم (الذين احصروا) أى حبسهم قصد العبادة (فى سبيل الله) حتى انهم (لا يستطيعون) من فرط اشتغالهم بالعبادة (ضربا) أى ذهابا (فى الارض) لا كتساب أو سؤال واترككهم اياهما مع قيامهم بالعبادة (يحسبهم الجاهل) بحالهم (أغنياء) لامن اتساعهم فى المآكل والملابس بل (من التعفف) عن السؤال مع عدم الاكتساب (تعرفهم بسيماهم) وان سألوا على الندور (لا يسئلون الناس الحافا) أى الحاحا بالملازمة (و) لا يختص هؤلاء بالانفاق عليهم بل (ما تنفقوا من خير) ولو على المحبين وعلى من لم يتحقق فقرهم أو لم تشتد حاجتهم (فان الله) يجازيكم عليه بقدر استحقاقكم اذ هو (به عليم) ثم أشار الى أنه كما لا يختص الانفاق بالكامل من المستحقين لا يختص بالكامل من الاوقات والاحوال بل (الذين ينفقون أموالهم بالليل) وان عسر فيه اجتماع المستحقين (والنهار) وان خيف فيه الرياء (سرا) ولو فى الليل (وعلانية) ولو فى النهار (فلهم أجرهم) أكمل مما يستحقونه لكونه (عند ربهم) الذى يربى صدقتهم فيهما (ولا خوف عليهم) من التشبه بفعل المرائى فى النهار مع الجهر ولا من عدم استيعاب المستحقين أو من التهمة فى الليل مع السر (ولا هم يحزنون) لما يحصل لهم من النقص الضرورى بهذه العوارض ثم أشار الى أن الخوف والحزن لا يندفعان بالانفاق من مال الربا فى سبيل الله اذ لا يملكه صاحبه وان حصله بالمبايعة لانه خبط فيها بالتعويض من غير عوض فى الواقع فالبيع مقابلة عين أو منفعة بعين أو منفعة فلا بد فيه من تحقق العوضين بجميع أجزائهما حالا أو مآلا ولا تحقق لبعض أجزاء أحد العوضين فى الربا لانه بيع نقد بنقد أو مطعوم بمطعوم الى أجل أو بيع أحدهما بجنسه مع زيادة والمقابلة فى غير الجنس تقع بمجموع أحد العوضين لمجموع الآخر لا باعتبار الاجزاء وفى الجنس باعتبار الاجزاء فلا يبقى للزائد مقابل لكنه عفى عنه فى غير الربويات لقلة الحاجة اليها فلا يعد تضييعا كليا والفاضل فى الربو بين المختلفين باعتبار الاجل خارج عن مقابلة

منها) الهبوط الانحطاط من علو الى سفل بالضم والكسر جميعا (قوله تعالى اهبطوا مصرا) اى انزلوا مصرا (قوله عزوجل ادارأتم) أصله تدارأتم اى تدافعتم واختلفتم فى القتل اى ألقى بعضكم على بعض فادغمت التاء فى الدال لانهما من مخرج واحد فلما أدغمت سكنت

المجموع لانه لولا الاجل لم يؤخذ الفاضل فهذا خبط فى المقابلة لذلك كان ما ادّاهم الى الخبط
كما قال (الذين يأكلون الربوا لايقومون) من قبورهم (الا كما يقوم) المصروع (الذى
يتخبطه الشيطان) أى يوقعه فى الخبط وهو ضرب على غير الساق (من المس) أى من مس
الشيطان اياه على ما يزعمون أن اختلاط العقل انما يكون من مسه فيكون نهوضهم
وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقلهم بل لان الله أربى فى بطونهم ما أكلوا فأثقلها (ذلك)
القيام المخبط (بأنهم) ضموا الى قبيح المعاملة قبح الكفر حتى (قالوا) أولا انما الربا مثل
البيع فى تحصيل الربح ثم جعلوا المشبه به مشبها للمبالغة فقالوا (انما البيع مثل الربوا)
فجعلوا الربا أصلا يقاس به البيع (و) هو قياس باطل لانهم ردوا به النص اذ (أحل الله
البيع وحرم الربوا) فكانوا محللين لما حرم الله بقياسهم مع ظهور الفرق اذ ليس فى البيع
اعتبار مقابلة مع عدمها فى الواقع بخلاف الربا لكنهم لا يؤاخذون به قبل النص (فمن جاءه
موعظة) أى زجر (من ربه فانتهى) أى تبع نهيه (فله ما سلف) لا يسترد منه ما أخذ لانه
كالمجتهد المخطئ (وأمره الى الله) ان شاء آخذه لظهور الفرق وان شاء عفا عنه لان الفرق
وان ظهر لارباب النظر يجوز أن يخفى على العوام (ومن عاد) الى تحليل الربا بعد النص
(فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) لكفرهم بالنص وردهم اياه بقياسهم الفاسد بعد
ظهور فساده ثم أشار الى أن الربا كما يتضمن الضرر الاخروى ففيه ضرر دنيوى والصدقة كما
تتضمن النفع الاخروى تتضمن النفع الدنيوى أيضا اذ (يمحق الله الربوا) أى يذهب بركته
ويهلك المال الذى يقع فيه (ويربى الصدقات) وانما يمحق الربا لان صاحبه ان استحله
فكافر والا فأثيم (والله لا يحب كل كفار أثيم) وانما يربى الصدقات لانه نتيجة الايمان
والاعمال الصالحة (ان الذين آمنوا) فرجح ايمانهم أمر الله بالانفاق على حبهم للمال (وعملوا
الصالحات) المنتجة محاسن الاخلاق التى من جملتها الجود (وأقاموا الصلوة) التى تنهى عن
الفحشاء والمنكر التى من جملتها الاخلاق الذميمة التى من جملتها الشح (وآتوا الزكوة) التى
هى أجل أسباب فضيلة الجود (لهم أجرهم) الكامل من كل وجه لكونه (عند ربهم) فيكمل
فى الدنيا والآخرة (ولا خوف عليهم) من منع الاجر الدنيوى من الاخروى (ولا هم يحزنون) من
نقص الاجر الاخروى بالدنيوى ثم أشار الى أنه انما يمحق الربا بغضبه على صاحبه لابطاله حكمة
الله فى خلق الاموال فقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) ابطال حكمته فانه مقتضى الايمان
به (وذروا ما بقى من الربوا) على الغرماء فانه أقل مقتضى التقوى بل مقتضى الايمان فتتركونه
(ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا) ترك ما بقى كنتم متهاونين بأمره ومن تهاون بأمر ملك حاربه
(فأذنوا) أى اعلموا (بحرب) عظيم (من الله ورسوله) التابع له حربا وصلحا (وان تبتم) من
الارتباء واعتقاد حله (فلكم رؤس) أى أصول (أموالكم لا تظلمون) بطلب الزيادة (ولا
تظلمون) بالنقص والمطل هذا اذا كان المديون موسرا (وان كان ذو عسرة) بالكل
أو البعض (فنظرة) أى فالواجب امهال بقدر ما أعسر (الى ميسرة) بذلك القدر (وأن

فاجتلبت لها ألف الوصل للابتداء وكذلك اداركوا واثاقلتم واطيرنا وما أشبه ذلك (قوله تعالى ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن) اختبره بمأمورات فأداهن وهى من السنن قبل وهى عشر خصال خمس منها فى الرأس وهى الفرق فرق الشعر وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس فى البدن الختان وحلق

تصدقوا) بابراء قدر ما أعسر (خير لكم) لأنه ربما لا يحصل البدل في الحال فيأخذ ما يساويه في الآخرة والصدقة تتضاعف الاضعاف المذكورة (ان كنتم تعلمون) بحقائق الاعمال ثم أشار الى أن الدائن ان لم يتصدق فحقه أن لا يضيق على المدين باستيفاء جميع حقه والى أن حق المدين أن يوفي حق الدائن لئلا يستوفى منه الباقي بالفاني فقال (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت) فان استوفى الدائن حقه بالتضييق على المدين استوفى الله منه حقوقه بالتضييق وان سامحه فالله أولى بالمسامحة والمدين ان لم يوف حق الدائن مع قدرته على الاداء استوفى الله منه حقه وأما من لا يقدر فيرجى أن يعفو الله عنه ويرضى خصمه بعوض من عنده فان زعم الدائن أنه بالاستيفاء بالتضييق غير ظالم أو زعم المدين أن اعطاء الباقي بالفاني ظلم قيل (وهم لا يظلمون) أما الدائن فلأن الله يستوفي حقه منه غير ظالم وأما المدين فلأنه انما استوفى منه الباقي بالفاني لتقصيره في الاداء ولا سبيل الى تعطيل الحقوق في العدل الالهي ثم أشار الى أن استيفاء الحقوق في الدنيا انما يتيسر بالكتابة سيما في الديون المؤجلة لغلبة النسيان بعد طول المدة فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم الداعي الى الايفاء والاستيفاء بلا زيادة و بلا نقص للولي والوصي والوكيل انكم (اذا تداينتم بدين) وان قل سيما اذا كان (الى أجل مسمى) بالايام والشهور لا الحصاد وقدوم الحاج (فاكتبوه) استحبابا (وليكتب بينكم) مبالغة في قطع النزاع بينكم (كاتب) متوسط لا يميل الى جانب لأنه متصف (بالعدل ولا يأب) أي ولا يمتنع (كاتب) من (أن يكتب كما علمه الله) من شرائط الاقرار والدعوى وليس هذا مما يتسامح فيه بل هو كالواجب (فليكتب وليملل) المدين (الذي عليه الحق) على الكاتب لأنه المقر المشهود عليه (وليتق) الكاتب (الله ربه) الذي رباه بتعليم الكتابة والعبارة أن يغير على المملي بالزيادة عليه أو بالنقص في مال صاحبه (ولا يبخس) أي لا ينقص (منه) أي مما عليه (شيأ) من صفات الدين وشروط الاقرار والدعوى هذا اذا كان المدين رشيدا قويا في نفسه مستطيعا على الاملاء (فان كان) المدين (الذي عليه الحق سفيها) ناقص العقل (أو ضعيفا) لمرض أو هرم يشق عليه الاملاء (أو لا يستطيع أن يمل هو) لجهله باللغة أو بالشرع (فليملل وليه) أي من يقوم مقامه من قيم أو وكيل أو مترجم فانه وان لم يكن له نيابة الاقرار فله نيابة املاء الكتابة ثم يراجع الصاحب ان أمكن والا فالولي ملتبسا (بالعدل) لا يميل الى المنوب ولا الى الدائن ثم أشار الى أن الكتابة وان روعي فيها ما ذكر لا يؤمن معها النزاع فلا بد لقطعه من الاستشهاد فقال (واستشهدوا) ندبا (شهيدين) لأن ولاية الشاهد ضعيفة فلا بد من تقويتها (من رجالكم) المسلمين اذ لا ولاية للمرأة وان صلحت للتقوية ولا عدالة الكافر (فان لم يكونا) أي الشاهدان (رجلين فرجل وامرأتان) فانهما يقومان مقام الرجل في تقوية ولاية الشاهد الرجل لكنه يختص بالاموال بشرط أن يكون الكل (ممن ترضون من الشهداء) لاتصافهم بالاسلام والعدالة وعدم العداوة والغفلة والتهمة وانما اشترط

العامة والاستفتاء وتعليم الانقياد و ... الأبد فانهم ... أي فعمل بهن ولم يدع منهن شيأ (وقوله إني جاعلك للناس اماما) أي إني جاعلك الناس فيتبعونك يأتمون بك ويأخذون عنك وبهذا سمي الامام اماما لأن الناس يؤمون أفعاله أي يقصدونها ويتبعونها ويقال للطريق امام لأنه يؤم أي يقصد ويتبع (ومنطوقه عز وجل وانهما

مع ذلك فى المرأة التعدد كراهة (أن تضل احداهما) لقصور عقلها (فتذكر) عند التعدد
(احداهما الاخرى) الضالة ثم أشار الى أنه وان ندب الاستشهاد حرم على الشهود الاباء
فقال (ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا) لاقامة الشهادة اذ به ينتفى الحق جزما وكان بعلة
الاستشهاد محتملا ثم أشار الى أنه لا يتيسر الشهادة للشهداء بعد طول المدة الا بالكتابة فقال
(ولا تسأموا) لا تملوا أيها الشهداء (أن تكتبوه) أى الحق الذى تحملتم الشهادة فيه
(صغيرا) كان (أو كبيرا) وان كان مؤجلا كتبوه (الى أجله ذلكم) أى المذكور من
الكتابة (أقسط) أى أكثر قسطا من الاجر للشهداء (عند الله) لانهم أعانوا المتداينين
بتحمل الشهادة والكتابة (وأقوم) أى أعون (للشهادة) أى لاقامتها اذ بها يتم الاعتماد على
الحفظ (وأدنى) أى أقرب فى (ألا ترتابوا) أى لا تشكوا فى جنس الدين وقدره وأجله
بتشكيك أحد المتداينين (الا أن تكون تجارة حاضرة) أى حالة (تديرونها) أى تكثرون
ادارتها (بينكم) فتصعب عليكم كتابتها مع قلة الحاجة اليها (فليس عليكم جناح) فى (ألا
تكتبوها) وان كان قد يقع فيها النزاع فذلك نادر (و) لكن (اشهدوا) استحبابا (اذا
تبايعتم) شيأ خطيرا وان كان العوضان مقبوضين مبالغة فى قطع النزاع (ولا يضار كاتب)
بمنع جعله (ولا شهيد) بمنع مؤنة مجيئه من مسافة (وان تفعلوا) الضرار (فانه فسوق) أى
خروج عن طاعة الله ضار (بكم واتقوا الله) ان يأخذ باقيكم بفانيكم ويعذبكم بالخروج
عن طاعته وكيف تخرجون عن طاعة الله (ويعلمكم الله) مصالحكم فان لم تعلموا وجه
المصلحة فيه فيكفى فيها كونه من الله (والله بكل شئ عليم) ثم أشار الى أنه انما يكتب اذا
تيسر فان لم يتيسر فالاولى الارتهان فقال (وان كنتم) راكبين (على سفر ولم تجدوا كاتبا)
وان وجدتم الشهود (فرهن) أى فالذى يستوثق به رهن (مقبوضة) يقبضها الراهن هذا
اذا لم يأمن البعض البعض بلا وثيقة (فان أمن بعضكم بعضا) واستغنى عن الارتهان
(فليؤد الذى اؤتمن) دينه الذى جعله الدائن (أمانته وليتق الله ربه) فى منع حقوق عبيده
(ولا تكتموا) أيها الشهود سيما عند عدم الكتابة (الشهادة ومن يكتمها) كانت معصية أعظم
من معاصى اللسان والجوارح المؤثرة فى القلب بواسطتها (فانه آثم قلبه) بلا واسطة لان
الكتمان فعله (والله بما تعملون) بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم (عليم) وان لم يعلم الناس
بعضها ولا يبعد على الله تأثيم القلب اذ (لله ما فى السموات وما فى الارض) والقلب من جملة
ما فيهما وخواطره وان كانت من غير اختيار فله أفعال اختيارية بعضها يتوقف تمامه على
فعل اللسان أو الجوارح وبعضها لا يتوقف كالنفاق وكتمان الشهادة والحسد (وان تبدوا)
أى تظهروا (ما فى أنفسكم) من الافعال الاختيارية باللسان أو الجوارح (أو تخفوه
يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء) فى غير الكفر (ويعذب من يشاء) فيما أبدى أو أخفى مما
لا يتوقف تمامه على فعل اللسان والجوارح (و) لا يبعد من الله تعذيب القلب وان كان
مجردا اذ (الله على كل شئ قدير) فيقدر على تعذيبه بما يضاده لقدرته على ايجاد ضده مع

لبامام مبين) أى لبطريق
واضح يمرون عليهما فى
أسفارهم يعنى القريتين
المهلكتين قوم لوط
وأصحاب الايكة فيرونهما
ويعتبر بهما من خاف
وعيد الله تعالى (والامام)
الكتاب أيضا (ومنه قوله
عز وجل يوم ندعوا كل
أناس بامامهم) أى بكتابهم
ويقال بدينهم (والامام)
كل ما ائتممت به واهتديت
به (قوله عز وجل اصطفى)

تجرده ولما كان لله أن يغفر ويعذب لم يكن بد من اعلام ما يعذب عليه وهو التكليف به اذ هو بدونه يكون من تكليف الغافل واعلام الكل بلا واسطة يكاد يكون ملجئا الى الايمان فلابد من واسطة هو الرسول ولابد من ايمانه أولا ليتبعه المرسل اليه لذلك (آمن الرسول بما أنزل اليه) من التكليف (من ربه) بمقتضى ربوبيته (والمؤمنون) آمنوا بذلك المنزل بتبعيته وأصل التكاليف الايمان وأصله الايمان بالمكلف ثم بالوسايط على ترتيبها لذلك (كل آمن بالله) المكلف (وملائكته) الآتين بالتكليف منه الى عباده (وكتبه) المشتملة على تفصيل ذلك التكليف (ورسله) الواصل اليهم التكليف أولا ثم أشار الى أن اختلاف الكتب والرسل في بعض الفروع لا يوجب التفريق لذلك قالوا (لا نفرق بين أحد من رسله) بالايمان بالبعض والكفر بالبعض لاتحاد موجب الايمان وهو ظهور المعجزة بلا معارضة ما يكذبها من دعوى المحال وخيانة النفس ثم أشار الى المقصود من التكليف وهو قبوله اعتقادا وعملا فقال (وقالوا سمعنا وأطعنا) ولما علموا أنهم لا يخلون عن تقصير فيهما وان الرب يغفر لمن يشاء قالوا (غفرانك ربنا و) كيف لا نستغفرك اذ (اليك) باليوم الآخر (المصير) أي مصيرنا بعد الموت وهذا ايمان باليوم الآخر وقد كان هو الموجب الكلي أولا لكن لما أشبه العلة الغائية أخره في الوجود تأخيرها ثم أشار الى أن طلبهم الغفران لم يكن لان الله كلفهم بما لا طاقة لهم اذ (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) بل قصروا بترك ما يطيقونه من الطاعات أو فعل ما يطيقون تركه من المعاصي اذ علموا أن كل نفس (لها ما كسبت) من الطاعات (وعليها ما اكتسبت) من المعاصي أورد الاكتساب ههنا لان النفس تشتهيه وتنجذب اليه فيه لها احتمال بخلاف الخير ولما علموا أن الخطأ والنسيان وان كان غير مقدورين منشؤهما تفريطه وقلة مبالاته قالوا (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا) أمرك ونهيك (أو أخطأنا) بالتباس المأمور بالمنهي أو بالعكس ولما علموا أن في المقدور ما يصعب على النفس كقتل النفس في التوبة وقطع موضع النجاسة من الثوب وغيره وصرف ربع المال في الزكاة قالوا (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) أي عبأ ثقيلا يحبس صاحبه في مكانه (كما حملته على الذين من قبلنا) من الامم السالفة ولما فرغوا من الدعاء في رفع شدائد التكليف دعوا في رفع شدائد البليات فقالوا (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) من بليات الدنيا والآخرة ولما علموا أنها بسبب الذنوب قالوا (واعف عنا) أي امح عنا ذنوبنا فلا ترسل علينا بلية في الدنيا ولا في الآخرة (واغفر لنا) أي استر اساءة ذنوبنا فلا تفضحنا بها فانها من أشد البلايا ثم قالوا (وارحمنا) أي تفضل علينا بالرحمة مع كوننا مقصرين مذنبين ففي عبادك من هو أشد تقصيرا منا وهم الكفار وقد دوا الينا بالايمان فاذن (أنت مولانا) ولابد للولي الابد من أثر نتميز به عن الاعداء وأولاه النصر عليهم (فانصرنا) لانا مؤمنون بك (على القوم الكافرين) الذين هم أعداء أوليائك والله الموفق الملهم والحمد لله رب العالمين ملء السموات وملء الارض وملء ما شاء الله من شيء بعد حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده وصلى الله

اختار (استحاب) أي أجاب (اعتمر) أي زار البيت والمعتمر الزائر قال الشاعر
وراكب جاء من تثليث معتمرا
ومن هذا سميت العمرة لانها زيارة البيت ويقال اعتمر أي قصد ومنه قول العجاج
لقد سما ابن معمر حين اعتمر
مغزى بعيدا من بعيد وضبر
أي جمع (قوله عز وجل

على سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة آل عمران)

*سميت بها لان اصطفاء آل عمران وهم عيسى ويحيى ومريم وأمها نزل فيه منها مالم ينزل في غيره اذ هو بضع وثمانون آية وقد جعل هذا الاصطفاء دليلا على اصطفاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وجعله متبوعا الكل محبا لله ومحبوبا له وتسمى الزهراء لانها كشفت عما التبس على أهل الكتابين من شأن عيسى عليه السلام والامان لان من تمسك بما فيها أمن من الغلط في شأنه والكنز لتضمنها الاسرار العيسوية والمجادلة لنزول نيف وثمانين آية منها في مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم نصارى نجران اذ وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ستون راكبا منهم وفيهم العاقب والسيد فكلما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما عليه السلام أسلما قالا أسلمنا قبلك قال كذبتما قد منعكما من الاسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب فقالا ان لم يكن ولد الله فمن أبوه فقال عليه السلام ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد الا ويشبه أباه قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شئ يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيأ قالوا لا قال ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك شيأ الا ما علم قالوا بلى قال ألستم تعلمون أن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب قالوا بلى قال ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي ولدها كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فأنزل الله لتصديقه بضعا وثمانين آية من صدر آل عمران وتسمى سورة الاستغفار لما فيها من قوله والمستغفرين بالاسحار وطيبة لجمعها من أصناف الطيبين في قوله الصابرين والصادقين الى آخره (بسم الله) الجامع للكمالات اللطفية والقهرية اذ لطف بعيسى قوما آمنوا برسالته وقهر به قوما كذبوه أو جعلوه الها أو ولده (الرحمن) بافاضة الحياة وافادة القوام وارسال الرسل وانزال الكتب (الرحيم) بافاضة العلم والتوفيق للايمان بالكل والعمل بالمتأخر (الم الله لا اله الا هو الحي القيوم) أي الاله اللازم الوجود لذاته المنزه عن حلول الحوادث فيه وحلوله فيها والاتحاد بها هو الله اذ الاله من له غاية الكمال والاجلال أن يكون كل عال الها سافل ومن لا يلزمه الوجود لذاته كان ناقصا اذ أصله العدم الذي هو غاية النقص وحلول الحوادث يوجب التغير وليس من غاية كمال الى غاية كمال لان المتساويين لا يعلو أحدهما الآخر فضلا عن غاية العلو عليه فلا تعدد لغاية الكمال فلذلك لم يتعدد الاله ولو كان من نقص لزم أن لا يكون الها قبله ولو كان الى نقص لزم أن لا يبقى الها بعده والحلول ان كان حلول المظروف لزم كونه محاطا وهو نقص ولو كان حلول العرض أو الصورة افتقر الى المحل الحادث وهو انقص من الافتقار الى القديم وفي الاتحاد ان لم يبق أحدهما لزم اتحاد الموجود بالمعدوم وان لم يبقيا لزم فناء القديم

استيسر) أي تيسر وسهل (قوله تعالى انفصام) أي انقطاع (قوله عز وجل اعصار) أي ريح عاصف ترفع ترابا الى السماء كأنه عمود نار (قوله تعالى الحافا) أي الحاحا (قوله عز وجل فأذنوا بحرب من الله) أي اعلموا ذلك واسمعوا وكونوا على اذن منه ومن قرأ فآذنوا أي فاعلموا غيركم ذلك (قوله تعالى انجيل) افعيل من النجل وهو

والغاية كماله اقتضى صفات الكمال التي أولها الحياة رتبة لتوقف العلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام عليها ولما كان وحده كاملا بالذات كانت كمالات سائر الاشياء مستفادة منه فكان قيوما وعيسى لم يكن واجب الوجود اذ لم يوجد قبل أمه ولا في غاية الكمال اذ الله أكمل منه ولا منزها عن الحلول في الحوادث اذ كان في السموات والارض ولا عن حلول الحوادث فيه اذ كان آكلا شاربا ولا حيا لذاته لقابليته للموت ولا قيوما لكل ما عداه اذ كان قبله أشياء والازلي اللطيف المنان هو الله اذ لابد للحوادث من مبدا اذ لا وجود لها من ذواتها ويجب أن لا يكون لذلك المبدا ابتداء اذ لابد من الرجوع الى من له الوجود والكمالات لذاته ويجب أن لا يشارك في كمالاته لان الكمالات بالذات يجب أن تكون في الغاية والا لجاز أن يكون فوقه ذات تقتضي كمالات فائقة فيلزم جواز أن يكون كل عال الها بالنسبة الى السافل ولابد أن يكون لطيفا اذ الكثافة من التركيب المسبوق بالاجزاء ولابد أن يكون منانا بافاضة الكمال لانه لما لم يكن لغيره بالذات فلو لم يفض لم يحصل له كمال أصلا فمن بافاضة الحياة التي يتوقف عليها سائر الكمالات بعد ما اتصف بها لذاته وبافاضتها صار قيوما لها لان الحياة مقومة للاشياء ففيضها أولى بالتقويم ولم يكن عيسى أزليا لكونه مولودا ولا لطيفا لظهور الكثافة في جسمه ولا منانا على الكل لسبق كثير من الاشياء عليه والاتم ذاته ولطفه ومجده هو الله لاختصاصه بصفات الكمال بحيث لا يشارك فيها وافاضة الحياة هي أصل الالطاف لتوقف الانتفاع بسائرها عليها وانما أفاضها لكونه حيا لذاته واختصاصه بالقيومية بحيث لم يظهر بها في غيره وعيسى لم يتم ذاته بالاختصاص بصفات الكمال ولا لطفه بافاضة الحياة على العموم ولا قيوميته اذ لم يكن قائما بذاته مستقلا به العدم وجوب وجوده والاحد الذي له ملك الكل هو الله اذ لا اله الا هو وقد ملك حياة الكل لانها من فيضه لكونه حيا لذاته بل وجود الكل وسائر صفاتهم مفاضة منه لكونه قيوما للكل وعيسى ليس باحد لتركيبه ولم يملك حياة الكل ولا وجوده أو غير ذلك مما يناسب المقام ثم أشار الى أن القيومية اما بظهور آثار الاسماء والصفات الالهية أو بظهور صورها بحسب تفاوت المظاهر فالمظهر الكامل يقتضي ظهور صورها لذلك (نزل عليك) يا أكمل المظاهر (الكتاب) الذي هو صورة كلامه المفيدة كمال الحياة وقوام المعاش والمعاد مع التفرقة بالتنزيل نجما بعد نجم للاشعار بأنه وان كان صورة صفة قديمة فهو حادث لكن ليس كالحوادث التي هي آثار بل ملتبس (بالحق) مناسب لصفات كماله ولذلك كان معجزا ولاعجازه كان (مصدقا لما بين يديه) أي معرفا صدق الكتب السالفة (و) انما كان كذلك لانه (أنزل التوراة والانجيل من قبل) وانما أنزلا دفعة لانهما كانا (هدى للناس) هداية عامة تحصل بدفعة بخلاف الخاصة فانها انما تحصل بدفعات كشفا بعد كشف (وأنزل الفرقان) أي اقامة الدلائل ورفع الشبه في الكتب السالفة وفي هذا الكتاب معا لكنه أيضا دفعي لاجتماعها في طور العقل بخلاف المعاني الكشفية التي فوق طور العقل فانها

الاصل والانجيل أصل لعلوم وحكم ويقال هو من نجلت الشئ اذا استخرجته وأظهرته والانجيل مستخرج به علوم وحكم (قوله عز وجل اصر) ثقل وعهد أيضا (قوله تعالى افترى) اختلق (قوله عز وجل استكانوا) خضعوا (اسرافنا) افراطنا (قوله تعالى انفضوا) تفرقوا

ليست دفعية لانها أمور غير متناهية فمن هنا كان احياء محمد صلى الله عليه وسلم الاحياء
المعنوى أتم من احياء عيسى عليه السلام الاحياء المعنوى وكذلك الحسى لان تكليم الحصى
أعظم من احياء الموتى فلو كان عيسى بذلك الها فمحمد صلى الله عليه وسلم أولى بها لكنه أقر
بالعبودية فعيسى أولى بها ولافادة الهداية الخاصة مع اقامة الدلائل ورفع الشبه كان كل
آية منه معجزة فكان الكفر بها أشد من الكفر بالكتب السابقة لذلك قال (ان الذين
كفروا بآيات الله) التى هى آيات من جهات شتى (لهم عذاب شديد) فوق عذاب من كفر
بالتوراة والانجيل لانه ظهر فيها بكمال عزته فالكافر بها مستهين لعزته ولم يبطل بذلك عزته بل
صارت موجبة لقهره كما قال (والله عزيز ذو انتقام) وانما كان هذا الكتاب معجزا مفيدا
للهداية الخاصة مع اقامة الدلائل ورفع الشبه لان الله عز وجل لم يخف عليه وجوه الاعجاز
التى يعجز بها أهل الارض وأهل الظاهر وأهل السماء أهل الكشوف كما قال (ان الله لا يخفى
عليه شئ فى الارض ولا فى السماء) ولذلك جمع فيه العلوم الظاهرة والباطنة التى لا تتناهى
من باب المعاملة والمكاشفة ويدل على عدم خفاء شئ عليه أنه (هو الذى يصوركم فى الارحام)
صورا جامعة للاسرار الارضية والسماوية تارة وغير جامعة أخرى (كيف يشاء) وقد جعل
آيات كتابه صورا جامعة لمعانى صفة كلامه فى أرحام الالفاظ وصورا فى أرحام المعانى معانى
أخر وهلم جرا والكمال العيسوى ان بلغ هذا الحد لم يدل على الهيته اذ غايته أنه صورت
الكمالات فى رحمه كما أنه صور جامعا فى رحم أمه وقد شاركه كثير من الانسان فى ذلك فكما
لا يدل التصوير فى الارحام الحسية جامعا على الالهية لم يدل فى الارحام المعنوية على ذلك
بل كمال هذا التصوير انما يدل على أن الله هو الجامع للكمالات لانه (لا اله الا هو) كيف
وليس لغيره جمعيته لانه راعى عزته فى ظهوره فلم يظهر على ما هو عليه فى شئ بل ظهر فى كل
شئ بمقدار استعداده رعاية للحكمة فهو (العزيز الحكيم) ويدل على كمال عزته وحكمته
انه (هو الذى أنزل عليك) يا مظهر العزة والحكمة الالهية (الكتاب) الجامع الذى لا يتأتى
جمعيته مع اختصاره الا أن يجعل بعض ألفاظه محتملا لوجوه كثيرة لكنه لعزته جعلها بحيث
تفضى الى احتمالات توقع فى الضلال لكن جعل للتحفظ عنها ألفاظا لا تحتمل الا وجها
واحدا فكان (منه آيات محكمات) لا تحتمل الا وجها واحدا (هن أم الكتاب) أى الاصل
الذى مرجع معانيه عند الاشكال فيها اليه (وأخر متشابهات) تحتمل وجوها بعضها من
العلوم الخفية وبعضها كفر أو بدعة ويميزان بالرد الى المحكمات وفيه رد على نصارى نجران
اذ تعلقوا بقوله تعالى وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فدخلوا فى جملة (فأما الذين فى
قلوبهم زيغ) أى ميل الى كفر أو بدعة (فيتبعون ما تشابه منه) أى الوجه الذى تشابه فيه
الحق والباطل (ابتغاء الفتنة) أى طلب الايقاع فى الكفر أو البدعة أو ايهام التناقض
(وابتغاء) حصر (تأويله) فيما يناسب رأيهم الفاسد (وما يعلم تأويله) على سبيل الحصر
(الا الله والراسخون فى العلم) لما رأوا الوجوه الكثيرة فى تأويله ومنها ما يؤدى الى الكفر

واصل الغض الكسر
(قوله تعالى ادرؤا)
(اناثا) فى قوله ان
يدعوا من دونه الا اناثا
يدعون من دونه الا اناثا
أى مواتا مثل اللات
والعزى ومناة واشباهها
من الآلهة المؤنثة ويقرأ
أنثا جمع وثن فقلبت الواو
همزة كما قيل فى اقتت
وقتت ويقرأ أنثا جمع اناث
(قوله عز وجل استهوته
الشياطين) أى هوت به

أو البدعة أو التناقض لم يروا الحصر ولم يردوها الى ما يؤدى الى المحذور بل (يقولون آمنا به) على ما أراد من تلك الوجوه أو غيرها ولا محذور فيها اذ (كل) من المحكم والمتشابه (من عند ربنا) العزيز الحكيم فلا يبعد ان يرد البعض الى البعض ولا يمكن رد المحكم الى المتشابه اذ لا يحتمل الا وجها واحدا (وما يذكر) الوجوه الكثيرة مميزة من المحذور (الا أولوا الالباب) أى بواطن العلوم ومع ذلك يخافون من كثرتها الوقوع فى المحذور فيقولون (ربنا لا تزغ قلوبنا) أى لا تملها الى محذور (بعد اذ هديتنا) بأن لها التأويلات الصحيحة الموافقة للمحكمات (وهب لنا من لدنك رحمة) نطلع بها على ما عندك من تأويلاتها الكثيرة السالمة من المحذور (انك أنت الوهاب) أى المبالغ فى الهبة حتى انك تهب ما عندك من اسرار كتابك بعض خواص عبادك ولا يعسر عليك جمع تأويلاتها فى قلوب عبادك مع انها مجتمعة عندك كما انك تجمع المتفرقات يوم القيامة (ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه) فيمكنك جمعها فى قلوب بعض عبادك مع نفى الريب عنها كيف وقد وعدت بذلك اذ قلت والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ويهدى اليه من ينيب كما وعدت بالحشر (ان الله لا يخلف الميعاد) ولخطر الضلال فى تأويلها منع السلف عن الخوض فيه ولكون الله واهبا لبعض عباده اسرار تأويلاتها الصحيحة رخص الخلف فى الخوض فيه ثم أشار الى أن الهبة المعتبرة هى هبة هذه الاسرار دون الاموال والاولاد بل هى مع الكفر سبب مزيد العذاب والى ان المتمسك بالمتشابه كالمتمسك بقياس أمر الآخرة على أمر الدنيا فى افادة الاموال والاولاد فقال (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ) وان اغنت المؤمنين اذ صرفوا الاموال فى سبيل الله والاولاد الى عبادته (وأولئك) أى الكفار وأموالهم وأولادهم (هم وقود النار) وكيف تنفعهم هنالك ولم تنفع آل فرعون فى الدنيا فلم تمنعهم من الغرق بل كانت سبب مزيد عذابهم فسنة كفرة العصر فيها (كدأب) أى سنة (آل فرعون والذين من قبلهم) وان لم يكن سبب أصل العذاب لكن سبب مزيده لانهم (كذبوا بآياتنا) فصرفوها فى غير مصارفها فاجتمعت عليهم معاصى الكفر ومعاصى صرف النعم فى غير مصارفها (فأخذهم الله بذنوبهم و) ان رحمهم بالاموال والاولاد أولا اذ (الله) كما هو الرحمن الرحيم فهو أيضا (شديد العقاب) ولو قالوا انما أخذ الله آل فرعون ومن قبلهم لعدم تدينهم بدينه ونحن متدينون بدين موسى (قل للذين كفروا) بهذا الدين كفركم به ككفر آل فرعون بموسى وقد فعل بقريش لكفرهم به ما رأيتم فسيفعل بكم ما فعل بهم (ستغلبون) كما غلبوا وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بنى النضير وفتح خيبر وسيفعل بكم ما فعل بآل فرعون آخرا (و) هو أنكم (تحشرون الى جهنم) ولا تخلصون بأيام قلائل بل مهدت لكم على الابد كما مهدت لهم (وبئس المهاد) لكم كما انها بئس المهاد لهم اذ كان كفركم بآيات محمد عليه السلام ككفرهم بآيات موسى اذ (قد كان لكم آية) كآياتهم (فى فئتين) أى فرقتين (التقتا) للحرب ولا يتصور السحر بعد الالتقاء اتفاقا كيف

وأذهبته (قوله جل وعلا افتراء عليه) الافتراء العظيم من الكذب يقال لمن عمل عملا فبالغ فيه انه ليفرى الفرى (قوله عز وجل املاق) فقر (قوله عز وجل اداركوا فيها) أى اجتمعوا (قوله عز وجل افتح بيننا) احكم بيننا (قوله عز وجل استرهبوهم) أخافوهم استدعوا رهبتهم من الرهبة (الاهتك)

و(فئة) منهما (تقاتل في سبيل الله) وهي أبعد من السحر (وأخرى كافرة) هي ان تكون
ساحرة أقرب من ان تكون مسحورة وتلك الآية ان المشركين كانوا تسعمائة وخمسين
رجلا مع مائة وتسعين فرسا (يرونهم) أي المسلمين وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر مع فرسين وسبعين
بعيرا وستة أدرع وثمانية سيوف (مثليهم) أي مثلي المشركين لا بطريق التخييل بل (رأى
العين والله يؤيد بنصره من يشاء) من غير احتياج الى اراءة ذلك لكنه أراهم لتكون عبرة
(ان في ذلك) التكثير والتقليل وغلبة القليل مع عدم العدة على الكثير شاكي السلاح
(لعبرة لاولي الابصار) لكن يمنع من الابصار الاخذ بالشهوات اذ (زين للناس) فرجع عند
نفوسهم على مقتضى العقل من الابصار (حب الشهوات) أي الميل الى أخذها التحيزها
مع الجهل بعواقبها (من النساء) اذ يحصل منهن أتم اللذات (و) النفس تدعي فيهن العاقبة
الحميدة من تحصيل (البنين) لقيامهم مقامه من بعده (و) لحبهم بقاء أنفسهم ونسائهم وبنيهم
يحبون تحصيل (القناطير) أي الاموال الكثيرة المنضد بعضها فوق بعض (المقنطرة) أي
المضعفة فوق الاضعاف (من الذهب والفضة و) لمحافظة الاموال عن الاعداء يحبون تحصيل
(الخيل المسومة) أي بارعة الجمال اذ هي أهيب (و) لاكلها الاموال يحبون تحصيل
الاموال النامية من (الانعام) أي الابل والبقر والغنم (و) لغذاء الانفس والخيل والانعام
يحبون تحصيل (والحرث) ثم أشار عز وجل الى غلط النفس في ترجيح ميلها اليها على مقتضى
العقل من الابصار بأن (ذلك متاع الحيوة الدنيا) الخسيسة الفانية (والله عنده) للناظر في
آياته (حسن المآب) الذي لا غاية لشرفه وبقائه وكثيرا ما يكون لاصحاب الشهوات شر
المآب فيفوتونه اللذات الى أبد الآباد (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم) الذي ملتم اليه في اللذة
الحسية حاصل (للذين اتقوا) الله فنظروا في آياته ولم ينهمكوا في شهواتهم (عند ربهم) الذي
رباهم بالنظر في الآيات وعدم الانهماك في الشهوات (جنات تجري من تحتها الانهار) في
باب المطعوم والمشروب ولا حاجة لهم الى الاموال والاولاد والخيول والانعام والحرث
لكونهم (خالدين فيها و) لهم بدل النساء الدنيا (أزواج مطهرة) عن الخبث في البدن والخلق
مما لا يخلو عنه نساء الدنيا غالبا (و) تحصل لهم مع هذه اللذات الجسمانية لذة روحانية هي
(رضوان) عظيم (من الله و) انما رضي الله عنهم اذ (الله بصير بالعباد) الذين يتقونه مع
مبالغتهم في عبادته لانهم (الذين يقولون ربنا اننا آمنا) فان لم يكن لنا عبادة أخرى مقبولة
فالايمان وحده سبب جواز المغفرة (فاغفر لنا ذنوبنا) فان لم تغفرها فعذبنا بمصائب الدنيا
(وقنا عذاب النار) وليس هذا لانهماكهم في الشهوات المانعة عن الطاعات الموقعة في
المعاصي لكونهم (الصابرين) على الطاعات وعن المعاصي (و) ليس صبرهم بطريق الرياء
لكونهم (الصادقين و) لا يتركون النوافل خوف الرياء لكونهم (القانتين و) لا يقتصرون
على الطاعات البدنية ولا يفعلونها لتحصيل الاموال لكونهم (المنفقين) منه في سبيله
(و) لا يعجبون بأعمالهم بل يرون فيها التقصير لكونهم (المستغفرين) سيما (بالاسحار) جمع

في قراءة من قرأ و يذرك
والاهتك أى عبادتك
(قوله تعالى انسلخ منها)
خرج منها كما ينسلخ
الانسان من ثوبه والحية
من قشرها أى من جلدها
(قوله عز وجل الا ولا ذمة)
إلّا على خمسة أوجه إلّا
الله عز وجل والّا عهد والّا
قرابة والّا حلف والّا جوار
(قوله عز وجل اقترفتموها)
اكتسبتموها (قوله اثاقلتم)
تثاقلتم الى الارض (قوله
عز وجل ارصادا) ترقبا

مصر آخر الليل وهو لكونه وقت عموم الغفلة أقرب الى القبول والاجابة قبل المعاملة مع الله امابمنع النفس من الرذائل وحبسها على الفضائل وهو الصبر أو بعمل اللسان وهو الصدق أو الجوارح وهو الصلاة والصوم والحج أو تفريق المال فى سبيل الخير واما بطلب وهو الاستغفار وتوسيط الواو للدلالة على الاستقلال لكل واحد من هذه الامور ثم أشار الى انه كيف لا يرضى عن هؤلاء وقد شهدوا توحيده اذ (شهد الله أنه لا اله الا هو) أى دل دلالة قطعية على انه لا موجود حقيقى سوى ذاته فوجودات الاشياء ظلال وجوده وصفات كما انها ظلال صفاته وأفعالها آثار ارادته وقدرته (و) ان لم يصلوا اليه وصلوا الى توحيد الملائكة وأولى العلم اذ شهدت (الملائكة وأولوا العلم) اذ رأوا ذلك حال اعتدالهم لانه شهد الله بذلك (قائما بالقسط) من غير ميل ولا ريب ونفى ذلك ظهور الالهية فيهم اذ (لا اله الا هو) كيف ولم يظهر فى شئ على ما هو عليه فى نفسه لانه (العزيز) بل بحسب استعداد المحل لانه (الحكيم) واذا لم يكن من حصل له التجلى الشهودى الهامعين ان يقال (ان الدين عند) تجلى (الله الاسلام) الذى هو الانقياد لله باقرار ربوبيته وعبوديته ما سواه فبطل بذلك الهية عيسى وابنيته وابنية العزير ولو قيل لو شهد أهل العلم بالتوحيد لم يقل أهل الكتاب بالهية عيسى ولا بثالث ثلاثة أجيب بأنهم لم يتفقوا عليه فلم يكن ذلك مقتضى علمهم لكنهم اختلفوا الى قائل بثالث ثلاثة وقائل بالحلول وقائل بالاتحاد وقائل بالرسالة (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) فى عيسى (الا من بعد ما جاءهم العلم) من الكتاب ومن دلائل العقل بأن الدين هو التوحيد ولم يكن اختلافهم لشبهة يعتدبها عندهم بل (بغيا) حصل من مجادلة وقعت (بينهم) فافضت الى الكفر بآيات الله الدالة على التوحيد (ومن يكفر بآيات الله) بشبهات قابلها الله بتلك الآيات الدالة لحاسبها هل ترجح عليها أم ترجح الآيات وهو وان طال على الخلق لا يطول على الله (فان الله سريع الحساب) وقد اثبت بآية لا يقابلها شبهة أصلا (فان حاجوك) بعد اقامة تلك الآيات (فقل) لم يبق بينى وبينكم مجادلة لانى (أسلمت وجهى لله) أى انقدت لآياته المنزلة على وعليكم (ومن اتبعن) وان لم يتبع أهل ملتكم ما اتبعه أنبياؤكم فقد اتبع أهل ملتى آياتى وآيات أنبيائكم فليس فينا من يتبع مجادلتكم الباطلة (وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين) عند تساوى آياتك فى الظهور للغير يقين (ءأسلمتم) لآياتى التى هى أجل من آيات أنبيائكم (فان أسلموا فقد اهتدوا) هدى لا يعترضه شبهة من شبهاتهم لاتفاق آياتى وآياتهم على تصحيحه (وان تولوا) عن هداك وأصروا على القول بالهية عيسى أو بكونه ثالث ثلاثة (فانما عليك البلاغ) أى تبليغ دلائل الاسلام ورفع الشبهة عنه لا الاكراه عليه اذا عاندوك (و) هم وان عموا فى عنادهم لم يعموا البصرائهم ولو تم تلبيسهم على البعض العماة لم يتم على الله اذ (الله بصير بالعباد) ثم أشار الى انه كما أمر بتبليغ الدلائل أمر بتبليغ ما يترتب على انكارها لاسيما اذا أنكرها بغيا سيما اذا أفضى البغى الى قتل الانبياء فقال (ان الذين يكفرون بآيات الله)

يقال أرصدت الشئ اذا جعلت له عدة والارصاد فى الشر ويقال رصدت وأرصدت فى الخير والشر (قوله عز اسمه أى جميعا) (قوله ورب) أى توكيد للاقسام قال أبو عمرو المعنى نعم وربى (قوله) أى وربى تصديق (قوله عز وجل اقضوا الى ولا تنظرون) أى امضوا ما فى أنفسكم ولا تؤخرون كقوله فاقض ما أنت قاض أى فامض ما أنت ممض (قوله عز وجل الطمس)

التى يعلمون انه لا يقدر عليها الا الله (و) لا يقتصرون على الكفر بها بل مع ذلك (يقتلون النبيين) الذين ظهرت على أيديهم وقد آمنوا بمن ظهرت على أيديهم امثالها فهم يقتلونهم مع علمهم انهم يقتلونهم (بغير حق) اذ لم يدعوا بها محالا ولم يظهر منهم خيانة نفس تدل على انه مصر مع خروجه عن مقدرة البشر (و) ان زعموا انهم انما قتلوهم لكذبهم فى دعوى النبوة فمالهم (يقتلون الذين يأمرون بالقسط) على انهم (من) جملة عوام (الناس) فعلم ان بغيهم انما هو على القسط الذى أنزله الله فبغيهم عليه بغيهم على الله (فبشرهم) بما تبشر به الكافرين بالله وبجميع أنبيائه (بعذاب أليم) وان زعموا انهم ليسوا امثالهم لتمسكهم بدين عيسى أو موسى وقيامهم بأعماله فقل (أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا) فلا يحقن بها دماؤهم ولا أولادهم ولا أموالهم وان حقن بها من المنافق والمرائى (والآخرة) فلا يخفف بها عنهم العذاب فضلا عن النجاة (و) ان زعموا ان من تمسك بدينه يشفع لهم أو يحتج لهم فقل (مالهم من ناصرين) ثم أشار الى انه كيف لا يحبط أعمالهم وهم لا يقتصرون على الكفر بكتابك بل يكفرون بكتابهم اذ لا يرون اعتقاداتهم به ولا وجوب العمل باحكامه فقال (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله) أى يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى التوراة (ليحكم) بما يقطع النزاع (بينهم) فى ان ابراهيم هل كان يهوديا أم لا وهل عندهم الرجم أم لا فيقرون بأنه كتاب الله النازل لقطع النزاع (ثم يتولى فريق منهم و) لا يقتصرون على التولى فى محل النزاع بل (هم معرضون) أى مستمرون عليه اتخذوه عادة (ذلك) الاستمرار على الاعراض لتساهلهم بأمر الدين وتهاونهم به (بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات) فلا ثل والاهتمام بأمر الايمان والعمل انما يكون باعتقاد دوامه أو طول مدته (و) ليس ذلك لنص وجدوه فى كتابهم بل (غرهم) فأوقع الخلل (فى دينهم ما كانوا يفترون) من ان الله وعد يعقوب ان لا يعذب أولاده الا تحلة القسم واذا اغتروا بهذا المفترى فى الدنيا (فكيف) يصنعون لفضيحتهم عليه (اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه) لنفضحهم فى الاولين والآخرين (و) لا يقتصر على تلك الفضيحة بل (وفيت كل نفس) جزاء (ما كسبت وهم) وان تمسكوا بهذا المفترى (لا يظلمون) فى توفية الجزاء لظهور كونه مفترى اذ يرفع الاهتمام بأمر الشرائع بالكلية ويوجب التهاون بها ثم أشار الى انهم انما لا ينقادون لحكم الله فى كتابه الذى يعترفون بصدقه لدلالته على انتقال الملك والنبوة منهم اليك وهم يريدون ان تتذلل لهم (قل) لا أخاطبكم فى ذلك فضلا عن التذلل بل أقول (اللهم مالك الملك) أى المتصرف فى الملك الظاهر والباطن وهو النبوة لا تصرف فى اعطائهما وسلبهما لغيرك بل (تؤتى الملك من تشاء) ولو من الاميين (وتنزع الملك ممن تشاء) ولو من أهل الكتاب ولا يعد منك ذلك لان ايتاء الملك اعزاز ونزعه اذلال (و) أنت (تعز من تشاء وتذل من تشاء) لكنك لا تفعل ذلك على سبيل التحكم اذ (بيدك الخير) الذى هو الحكمة فلا تفعل خلاف مقتضاها وان لم يجب عليك بل (انك على كل شئ قدير) ولا يعد منك قلب

أى ام أى أذهب من قولك طمس الطريق اذا عفا ودرس (قوله عز وجل اجرامى) مصدر أجرمت اجراما (قوله تعالى اعتراك بعض آلهتنا بسوء) أى عرض لك بسوء ويقال قصدك بسوء (قوله استعمركم فيها) جعلكم عمارا لها (قوله ارتقبوا انى معكم رقيب) انتظروا انى معكم منتظر (استعصم) أى امتنع (قوله عز وجل استيأسوا)

الاعزاز بالاذلال وبالعكس لانك تقلب بعض لبزاء الليل المظلمة باجزاء النهار المنيرة وبالعكس اذ (تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل و) لو قيل لاقلب هنالك لان الزمان أمر متوهم فلا شك انك (تخرج الحى من الميت) أى الحيوان من النطفة (وتخرج الميت من الحى) أى النطفة من الحيوان واعطاء الملك والنبوة احياء ونزعهما اماتة بل لاقلب ههنا فان اعطاء الملك والنبوة رزق (و) أنت (ترزق من تشاء بغير حساب) فغاية أمر النبوة انها فضيلة بلا نهاية ثم أشار الى انه لما كان من شأن الله قلب المنير بالمظلم والحى بالميت وهو بالمصاحبة أقرب وجب ترك تلك المصاحبة فقال (لا يتخذ المؤمنون) أولو الانوار الاحياء (الكافرين) أولى الظلمات الاموات (أولياء) سيما (من دون) أى مجاوزين موالاة (المؤمنين) الذين هم سبب ازدياد النور والحياة والجبر لما نقص بصحبة الكفار (ومن يفعل ذلك) فى وقت من الاوقات (فليس من) موالاة (الله) مفيض الحياة والانوار (فى شئ الا) وقت (أن تتقوا منهم تقاة) أى تخافوا منهم محذورا فاظهروا معهم الموالاة فدفعها (ويحذركم الله) فى موالاتهم بالباطن (نفسه) التى هى أولى بالخوف لانهم انما يؤثرون بتمكينه ويعجزون بتعجيزه (و) ان أثروا فهو منقطع والخوف من الله لا ينقطع اذ (الى الله المصير قل) كيف لا تخافون منه مع شمول علمه وقدرته (ان تخفوا ما فى صدوركم) من موالاة أعدائه (أو تبدوه) زاعمين أنكم انما توالونهم بالظاهر خيفة منهم (يعلمه الله) وان أخفيتم علينا فى الاخفاء والاظهار وكيف (و) هو (يعلم) جميع (ما فى السموات وما فى الارض والله على كل شئ قدير) فيقدر على ما لا يقدر عليه الاعداء وهم انما يقدرون باقداره على أمور معدودة ويعجزون عنها بتعجيزه ولا يعجز الله بحال فليس تركه المجازاة لعجزه بل لانه أخرها الى يوم القيامة فيجازيكم بعد اعلامكم (يوم تجد كل نفس) جميع (ما عملت من خير محضرا) بصور يناسبها وهيآت فى بدنها أو نفسها أو قلبها أو روحها أو فى صحف الملائكة وكفى بذلك تلذذا مع انه يجازى عليها بمقتضى فضله وجوده الكامل (و) تجد (ما عملت من سوء) أيضا محضرا بصور بحيث يتألم بمجرد حضورها حتى انها (تود لو أن بينها وبينه) أى عملها السوء (أمدا بعيدا) لا يصل أحدهما الى الآخر ثم انه عز وجل يجازى عليها بمقتضى قهره وغضبه (و) لذلك (يحذركم الله نفسه و) لا ينافى ذلك رحمته ورأفته لانه انما حذرهم برأفته اذ (الله رؤف بالعباد) ليرحمهم اذا خافوه فاذا لم يخافوه فكأنما أخرجوا أنفسهم من دائرة رحمته ورأفته ولو قالوا انما نحبهم لكونهم عباد الله فحبهم محبة الله ولا يحذرنا الله على محبته ومحبة ما نحبه من أجله (قل) انما يفيد كم محبتكم لله اذا أحبكم عليها وهى محبتكم أولياءه الذين يستعملونكم اعمالا يحبها ويجنبونكم اعمالا يكرهها وأجلهم انا (ان كنتم تحبون الله) أى تميلون الى مطالعة رؤية الكمال الحقيقى فيه (فاتبعونى) فى الاعمال المحبوبة له الكاشفة عن جماله وترك الاعمال المكروهة له الحاجبة عنه (يحببكم الله) أى يقربكم من جناب قربه ويوتيكم فى جوار قدسه ويكشف الحجب عن قلوبكم (ويغفر لكم ذنوبكم) الحاجبة عنه

(قوله استعملوا من نبيت (قوله أصدع بما تؤمر) افرق وامضه ولم يقل به لانه أراد ذهب به الى المصدر (استفزز) فاصدع بالامر أى استخف (قوله عز وجل أصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم) أى احبس نفسك عليهم ولا ترغب عنهم الى غيرهم (قوله عز وجل استبرق) هو ثخين الديباج وهو فارسى معرب (قوله

من افراط محبته لكم اذ لايبالى لذنوب المحبوب كيف (والله غفور رحيم) لمن يكمل محبته له ثم قال (قل) لاتغتروا بغفرانه على مجرد المحبة منكم بل (أطيعوا الله) الذى تدعون محبته فان المحب لمن يحب يطيع (و) أطيعوا (الرسول) الذى هو محبوبه فان المحب كما يطيع المحبوب يطيع محبوب المحبوب (فان تولوا) زاعمين انه لاحاجة للمحب الى اطاعتهما فلا يحبهم الله لانهم كفروا بانكار وجوب اطاعتهما والكفر عداوة منافية للمحبة (فان الله لايحب الكافرين) ثم أشار الى انه لايبعد ان يجعل الله بعض عبيده محبوبا له بحيث يحب من يتبعه ويطيعه ويبغض من خالفه وعصاه فذلك من سنته فيما مضى (ان الله اصطفى آدم) فأحب من سجد له من الملائكة وأبغض من لم يسجد له وهو ابليس ومن عصاه وهو قابيل (ونوحا) فنجى من اتبعه فى السفينة وأغرق من عصاه حتى ابنه كنعان (وآل ابراهيم) اذ جعل فيهم موسى جاوز بمن اتبعه البحر وأغرق من عصاه (وآل عمران) اذ جعل فيهم عيسى أبرأ من اتبعه من العمى والبرص وجعل من خالفه خنازير (على العالمين) أى على عالمى زمانهم ثم ان اصطفاء الله لآل ابراهيم وآل عمران انما كان لكونهم (ذرية) ورثت الاصطفاء (بعضها من بعض و) لايبعد اصطفاء الله محمدا صلى الله عليه وسلم لدعوة ابراهيم مع كونه من ذريته وقد اصطفى آل عمران لدعوة امرأته لذريتها بمجرد القبول والاعاذة من الشيطان اذ (الله سميع) لمن يدعو (عليم) بمن يستحق اجابة الدعوة (اذ قالت امرأت عمران) حنة بنت فاقوذ حين حملت بعدما أمسك عنها الولد حتى اسنت فبيناهى تحت ظل شجرة أبصرت طائرا يطعم فرخا فتحركت وقالت اللهم لك على ان رزقتنى ولدا ان أتصدق به على بيت المقدس (رب انى نذرت لك مافى بطنى محررا) أى خالصا لخدمته لاأشغله بشئ من أمورى (فتقبل منى انك أنت السميع العليم) فقال لها زوجها ماصنعت أرأيت ان كان فى بطنك شئ لايصلح لذلك (فلما وضعتها) أى الانثى التى حملتها (قالت) تحزنا وتحسرا أو اعتذارا (رب انى وضعتها أنثى) وكنت رجوت ان يكون ذكرا وانما تحسرت أو اعتذرت اذ جهلت قدرها (والله أعلم بما وضعت) أى بعظم شأن ما وضعت لايحيط به علم غيره (وليس الذكر) الذى طلبت (كالانثى) التى وهبت اذ فضلت كثيرا من كمل الاولياء من الرجال (و) قالت جبرا لما توهمت من النقصان (انى سميتها مريم) أى العابدة والخادمة ليطابق اسمها فعلها ثم طلبت عصمتها فى ذلك الفعل وغيره فقالت (وانى أعيذها بك) أى اجيرها بحفظك (وذريتها من الشيطان الرجيم) أى المطرود لهذا الفتك فلا تجعل عليها وعلى ذريتها له سلطانا يكون سببا لطردهما (فتقبلها ربها) بسبب تحريرها وتسميتها او استعاذتها (بقبول حسن) بجعلها فوق كثير من الاولياء (وأنبتها نباتا حسنا) بجعل ذريتها من كبار الانبياء (و) من كمال تربيتها انها (كفلها زكريا) حين حملتها حنة الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وكانوا سبعة وعشرين وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها اذ كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا انا أحق بها اذ عندى خالتها وهى

عز وجل ارتدا على آثارهما قصصا) أى رجعا آثارهما اقصصا) أى رجعا بقصان الاثر الذى جا آفيه (قوله إمرا) أى عجبا ويقال داهية (قوله تعالى انتبذت من أهلها) أى اعتزلتهم ناحية ويقال قعد نبذة ونبذة أى ناحية (قوله عز وجل الحاد) ميل عن الحق (قوله عز وجل اخسؤا فيها) ابعدوا وهو ابعاد بمكروه (قوله عز

ايشاع بنت فاقوذ فأبوا الا القرعة وانطلقوا الى نهر فالقوا فيها اقلامهم على ان من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو أولى بها فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فبنى لها بيتا وجعل لها سبعة أبواب يغلق عليها اذا خرج عنها فصارت في صغرها بحيث (كلما دخل عليها زكريا المحراب) أي الغرفة التي بنى لها (وجد عندها رزقا) فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء (قال يا مريم أنى لك) أي من أين لك (هذا) الرزق الآتي في غير أوانه والابواب مغلقة (قالت هو من عند الله) ينزلها من الجنة (ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) ولا يكون ذلك على العمل المحصور فهو منه تفضل فكذا تفضل على* فهذا اصطفاء لآل عمران ثم بنبوة عيسى عليه السلام ثم أشار الى ما حصل لزكريا من تربيتها ورؤية كمالها فانه لما رأى رزق مريم قال ان الذي قدر على ان يأتي بفاكهة في غير أوانها بلا سبب لقادر على ان يهب لي ولدا في غير أوانه بلا سبب يعتد به أو يصلحني وزوجتي للولادة (هنالك دعا زكريا ربه) ليربيه بابقاء علمه وعمله ونبوته بعده (قال رب هب لي) مناسبا الحالي (من لدنك) بغير سبب يعتد به (ذرية طيبة) أي طاهرة عن الاعمال الطالحة والاخلاق الرديئة (انك سميع) أي مجيب (الدعاء) فأجابه الله فارسل اليه الملائكة (فنادته الملائكة) جبريل واشياعه (وهو قائم) في مناجاة الله فلا دخل للشيطان في ذلك الوقت اذ كان (يصلي) وهو وانما ينتهز وقت الغفلة وليست وقت الغفلة والوسوسة في حق الانبياء عليهم السلام سيما وقد كان (في المحراب) أي في المسجد فكانت صلاته كاملة (أن الله يبشرك) على ألسنتنا (بيحيى) أي بمسمى به لانه يحيا به ذكره وعمله وعلمه فلا ينقطع بموته شيء من ذلك بل يكمل به أمر عيسى الذي طلب هذا من رؤية كرامة أمه اذ يكون (مصدقا) بعيسى الذي حصل (بكلمة من الله) بلا واسطة أب فيصير عليا الكلمة الله (و) انما يكمل به أمر عيسى لانه يكون (سيدا) يتبعه قومه وكيف لا (و) هو ان يكون (حصورا) أي مبالغا في حبس النفس عن الشهوات بحيث لا يهم بمعصية أصلا (و) لغاية كماله يكون (نبيا) ولا شك في نبوته اذ يكون (من الصالحين) فلا يتوهم منه الدعوى الكاذبة (قال) زكريا (رب أنى) أي كيف (يكون) أي يحصل (لي غلام وقد بلغني الكبر) أي أدركني الكبر الكامل المانع من الولادة تسع وتسعون سنة فهل أرد الى الشباب (وامرأتي عاقر) أي مستقرة على العقر لم تلد في شبابها فكيف بعدما كبرت وبلغت ثمانيا وتسعين سنة (قال) جبريل (كذلك) يكون لك الولد على الحال التي أنت وزوجتك عليها فلا تلد بعده لان الله تعالى لا يحتاج الى سبب بل (الله يفعل ما يشاء قال) زكريا (رب اجعل لي آية) أي علامة أعرف بها الحمل لاستقبله بالبشاشة والشكر واستريح من مشقة الانتظار (قال) الله على لسان جبريل (آيتك ألا تكلم الناس) أي لا تقدر على مكالمتهم (ثلاثة أيام) مع قدرتك على تسبيح الله وذكره لا لاستغراقك بالله لانك تشتغل بهم الا انك لا تكلمهم (الا رمزا) اشارة بنحو يد ورأس (واذكر ربك كثيرا) لتستفيض منه الانوار فتفيضها على ولدك (وسبح) طهر نفسك من الاخلاق الرديئة وقت ظهور النفس (بالعشي) من العصر الى الغروب

(والابكار)

وجل افك) أسوأ الكذب افتراء) افتعله واختلقه (الاربة) الحاجة (قوله عز وجل اطيرنا) أصله تطيرنا ومعنى تطيرنا تشاءمنا (قوله عز وجل اقصد في مشيك) اعدل ولا تتكبر ولا تدب دبيبا والقصد ما بين الاسراف والتقصير (قوله عز وجل اسوة) ائتمام واتباع (قوله عز وجل اناه) بلوغ وقته ويقال أنى يأني

(والابكار) من الفجر الى الضحى ثم أشار الى مزيد اصطفاء مريم فقال (واذ قالت الملائكة يا مريم) فيه اشارة الى جواز تكليم الملائكة الولى و يفارق النبي في دعوى النبوة (ان الله اصطفاك) بالتقريب والمحبة (وطهرك) عن الرذائل لتدوم مناسبتك له الجاذبة لك اليه (واصطفاك) بالتفضيل (على نساء العالمين) وفيهن وليات (يا مريم اقنتي) أي اعبدي شكرا (لربك) على اصطفائه (واسجدي) أي كثري له السجود بتكثير الصلاة لتزدادي قربا بغاية التذلل له (واركعي مع الراكعين) أي وصلي بالجماعة لينضم انكسارهم لعظمته الى انكسارك فتزدادي قربا وأشار بتقديم السجود وتأخير الركوع مع الراكعين الى ان الركوع وان كان أقل افادة للتقريب فهو اذا كان مع الراكعين أكثر افادة له من السجود حال الانفراد ثم أشار الى ان كرامات مريم صارت آية لنبينا عليه السلام اذ (ذلك من أنباء الغيب) لا تذكره اليهود لانكارهم فضلها ولا النصارى لدلالته على عبوديتها وهم يزعمون ربوبيتها (نوحيه اليك) مطابقا لما في كتابهم مع اخفائهم اياه بل لا تعلم ما يظهرونه اذ لم تسمع من أحدهم شيأ وهم معترفون بذلك فلم يبق الا الوحي أو تكون لديهم (و) لكن (ما كنت لديهم) معاينا فتعلمهم (اذ يلقون) في النهر (أقلامهم) ليعلموا (أيهم) تخرج قرعته فهو (يكفل مريم) كيف (وما كنت لديهم) في ابتداء شأن هذه القرعة (اذ يختصمون) في كفالتها فمن أين لك الاحاطة بجميع أحوالها الا بالوحي ولا يبعد الوحي اليك وقد أوحي الى مريم وليست بنبية (اذ قالت الملائكة يا مريم) ازالة لغمها من تهمة الولادة بلا أب (ان الله يبشرك) بمولود يحصل (بكلمة منه) بلا واسطة أب (اسمه) الذي يميزه لقبا (المسيح) وعلما (عيسى) وصفة (ابن مريم) اذ لا أب له ولو كان له الهية أو ابنية لكان في اسمائه ما يدل على ذلك ولا يكون مذللا بنسبته الى الام بل يكون (وجيها في) أهل (الدنيا) يعظمونه غاية التعظيم (و) أهل (الآخرة) كيف (و) هو (من المقربين و) يدل على قربه ظهور الارهاصات عليه قبل النبوة اذ (يكلم الناس) كلام الانبياء وهو (في المهد و) يستمر عليه الى ان يصير (كهلا) فلا يتوهم فيه انه كان في حال الصبا من الشيطان لانه استمر عليه الى حال كمال العقل وكيف يتوهم فيه (و) هو (من الصالحين) والشيطان انما يداخل الفساق (قالت) مخاطبة لله الذي بعث اليها الملائكة كأنها شاهدته (رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال) لها جبريل (كذلك) أي على الحالة التي أنت عليها من عدم مس البشر اذ (الله يخلق ما يشاء) ولا يحتاج الى سبب بل (اذا قضى أمرا) أي حكم بايجاد شئ (فانما يقول له كن فيكون) من غير توسط حادث (و) يرفع عنك التهمة بما يظهر عليه من الكمالات اذ (يعلمه) بلا واسطة معلم من البشر (الكتاب والحكمة) أي العلم الظاهر والباطن (و) يكلمهما فيه اذ يعلمه (التوراة) المشتملة على الظواهر (والانجيل) المشتمل على البواطن (و) كيف تبقى التهمة ويجعله (رسولا الى بني اسرائيل) الذين يعلمون انه يجب ان يكون كاملا وولد الزنا

وآن يتميز بمنزلة حان يحين (قوله عز وجل امتازوا اليوم أيها المجرمون) اي اعتزلوا من أهل الجنة وكونوا فرقة على حدة (قوله عز وجل اصلوها) أي ذوقوا حرها يقال صليت النار وبالنار اذا نالك حرها ويقال اصلوها أي احترقوا بها (قوله عز وجل فاستفتهم) أي سلهم (قوله عز وجل البائسين) يعني البأس وأهل دينه بجهم

ناقص وتكون له معجزات قاهرة اذ يتصداهم (أنى قد جئتكم بآية) قاهرة تعاون بالضرورة كونها (من ربكم) لعجزكم عنها وهى (أنى أخلق لكم) أى لاعجازكم صورة (من الطين كهيئة) أى كصورة (الطير فانفخ فيه) أى فيما اخلق (فيكون) أى يصير (طيرا) حقيقيا ذا حياة (باذن الله) أى أمره لا باستقلال منى (وأبرئ الاكمه) الممسوح العين (والابرص) الذى لا يقبل الدواء بمجرد الدعاء وافعل ماهو أبلغ من ذلك (و) هو أنى (أحيى الموتى باذن الله) لا باستقلال منى نفيا لتوهم الالهية فهذه معجزات قاهرة فعلية (و) من معجزاتى القولية انى (أنبئكم) أى أخبركم (بما تأكلون وما تدخرون) لاولادكم وللمستقبل فتتركونه (فى بيوتكم ان فى ذلك لآية) أى دلالة (لكم) على صدق (ان كنتم مؤمنين) مصدقين بآيات الله فانها لم تقف فيما مضى على ذلك (و) ليست معجزاتى لاضلالكم حتى تشكوا فيها بل لاهدائكم اذ كنت (مصدقا لما بين يدى من التوراة) المشهورة بالاهداء (و) لكنى نسخت بعض أحكامها لانى جئتكم (لاحل لكم بعض الذى حرم عليكم) فيها انظلكم كأكل الشحوم والثروب ولحوم الابل والعمل فى السبت (و) ليس ذلك من الاضلال لانى (جئتكم بآية من ربكم) تدل على وجه تحريمها فى ذلك العصر وتحليلها فى هذا العصر (فاتقوا الله) فى تحريم ما أحل ولو بعد التحريم (وأطيعون) فى تحليل ما حرم فى ذلك العصر لدلالة معجزاتى على صدقى ولم يظهر لى من خيانة النفس ما يشكك فى تلك المعجزات اذ أدعوكم الى عبادة الله (ان الله) هو (ربى) ان تجلى فى بهذه الامور فأنا عبده كما انكم عبيده (و) هو (ربكم فاعبدوه) بمقتضى أمره فى كل عصر (هذا) المذكور من تحليل الشئ فى عصر وتحريمه فى آخر بمقتضى مصالح الازمنة (صراط مستقيم) بايصال الحكمة غايتها فى أقرب المسافات ولو وصلت على خلافه بعدت المسافة ولما رأوه ينسخ بعض أحكام التوراة كفروا به (فلما أحس عيسى) اى أدرك ادراك المحسوسات (منهم الكفر) عند اظهارهم اياه بايذائهم له (قال) مع ماله من معجزة الاحياء الذى القدرة عليه بالاستقلال قدرة على الاماتة بلا آلة مختبرا ايمان المخلصين ولذلك لم يكتف بنصر الله (من) الجمع الذين هم (أنصارى) ولا يعسر عليهم كثرة المؤذين لانهم يضمون أنفسهم (الى الله) فى نصره الكافى وحده (قال الحواريون) اى المنسوبون الى الحور وهو البياض لاستنارة قلوبهم (نحن) أنصارك لانا (أنصار الله) ونصرك نصره لانك داع اليه بأمره وكيف لا ننصر الله وقد (آمنا بالله) ومقتضاه نصره والانقياد لاوامره فانقدنا لاوامره التى بلغتنا منه (واشهد) أيها الداعى الى الايمان المبلغ للاحكام لننقاد لها (بأنا مسلمون) اى منقادون من كل وجه فى الظاهر والباطن ثم اشهدوا الله لانهم ربما أنزل من الايمان به وبأوامره المقتضى لاتباع رسوله فى العمل بمقتضاها فقالوا (ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول) فاشهدناك على ما نحن عليه لصدقنا فى دعواه (فاكتبنا مع الشاهدين) على ايمان الخلائق وكفرهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة بالكشف عن بواطنهم بزيادة انارة قلوبنا فوق انارتها للايمان والانقياد للاحكام جزاء على اشهادنا اياك

بغير اضافة بالياء والنون على العدد كان كل واحد اسمه الياس وقال بعض العلماء يجوز أن يكون الياس والياسين بمعنى واحد كما يقال ميكال وميكائيل ويقرأ على آل ياسين أى على آل محمد صلى الله عليه وسلم (قوله عز وجل اشمأزت) معناه نفرت والمشمئز النافر (قوله عز وجل اصفح عنهم) أى أعرض عنهم

أومع الشاهدين للحقائق (و) لما قصدوا ايذاء عيسى وخافوا سوء دعوته وقتال حواريه (مكروا) فوكلوا عليه من يقتاله (ومكر الله) بالقاء شبهه على بعضهم وجعله بحيث لا يصلون اليه أبدا وجعلهم مضرورين باتباعه دائما وهو أشد عليهم من تضررهم به (و) ذلك اذ (الله خير) اى اغلب (الماكرين اذ قال الله يا عيسى) اعلاما له بمكره بالاعداء وتخليصه عن مكرهم (انى متوفيك) اى آخذ بكليتك (و) لا أدع لك شهوة طعام ولا شراب فتحتاج الى مساكنة الارض لانى (رافعك الى) أى الى سمائى (و) انما أرفعك لانى (مطهرك من) جوار (الذين كفروا) لئلا يصل اليك من آثارهم شئ (و) كما أجعلك فوق أهل الارض فأنا (جاعل الذين اتبعوك) من المسلمين والنصارى (فوق الذين كفروا) بك من اليهود يغلبونهم (الى يوم القيامة) قيل لم يبق لليهود بعد ذلك ملك ودولة (ثم) لا أقتصر فى حقهم على ذلك بل (الى مرجعكم) للتحاكم (فأحكم) لقطع النزاع (بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) من الايمان والكفر وغيرهما (فأما الذين كفروا) بك فانهم وان آمنوا بموسى وسائر الانبياء (فأعذبهم عذابا شديدا) كعذاب من كفر بالكل (فى الدنيا) بالقتل والاسر والجزية (والآخرة) بالنار والحيات والعقارب وضرب الزبانية والسلاسل والاغلال وغير ذلك (و) هم وان آمنوا بالانبياء الماضين (مالهم) أحد منهم (من ناصرين) بالشفاعة أو الاحتجاج أو الدفع قهرا (وأما الذين آمنوا) بك وبكل من آمنت بهم (وعملوا الصالحات) وان كان فيها ما نسخ بعض أحكام التوراة (فيوفيهم أجورهم) مثل أجور من عمل بما فى التوراة قبل النسخ ولا يعطى العامل بما نسخ منها شيأ بعد النسخ لانه ظالم (والله لا يحب الظالمين) بمنع النسخ أو بالقول بالهية عيسى أو ابنيته أو بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكيف لا يكون منكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ظالما بعد ظهور آياته التى من جملتها (ذلك) المذكور لانا (نتلوه عليك) من غير ان يكون لك اطلاع سابق عليه مع انه (من الآيات) المعجزة بذاتها (و) بجمعها وجوه الحكمة لانها من (الذكر الحكيم) المفيد شرف القائل به لتفوقه بوجوه الحكمة وكيف لا يكون القائل بابنية عيسى ظالما بجعله فوق آدم لتولده بلا أب مع انه دون آدم (ان مثل عيسى) اى شأنه العجيب الموهم ابنيته مطابقا له (عند الله كمثل آدم) فى الحدوث بلا أب بل دونه لان الله تعالى (خلقه من تراب) محدث بلا أبوين (ثم قال له) أى لتكوينه انسانا بنفخ الروح فيه (كن) انسانا حيا وأمره يفيد قوة التكون (فيكون) هذا هو المثل (الحق) اى الثابت الذى لا يقبل التاويل جاء (من ربك) الذى رباك بالاطلاع على الحقائق (فلا تكن من الممترين) بما ورد فى الانجيل من اطلاق لفظ الاب على الله فانه اطلاق مجازى لانه لما حدث منه كان كابيه واذا ظهر لك الحق من ربك بالبيان التام (فمن حاجك) اى جادلك (فيه) لاثبات ابنيته بظواهر الانجيل (من بعد ما جاءك من العلم) القطعى الموجب لتأويله (فقل) لم يبق بيننا وبينكم مناظرة ولكن نرفع عنادكم بطريق المباهلة (تعالوا) اى هلموا بالعزم (ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) أى يدع كل

وأصل الصفح أن تنحرف عن الشئ فتوليه صفحة وجهك أى ناحية وجهك وكذلك الاعراض هو أن تولى الشئ عرضك أى جانبك ولا تقبل عليه (قوله الغوا فيه) وهو من اللغا وهو الهجر والكلام الذى لا نفع فيه (قوله عز وجل اعتلوه) أى قودوه بالعنف (قوله تعالى ان نظن الا ظنا) معناه ما نظن الا ظنا

مناومنكم أعزة أهله وألصقهم بقلبه ممن يخاطر الرجل بنفسه لهم ويحارب دونهم ويدع نفسه يضا (ثم نبتهل) اى نتضرع الى الله تعالى فى دعاء اللعنة (فنجعل لعنت الله على الكاذبين) منا ومنكم ليهلكهم الله وينجى الصادقين فلا يبقى العناد الباقى عليكم بعد اتفاق الدلائل العقلية والنقلية روى أنه عليه السلام قرأ الآية على وفد نجران ودعاهم الى المباهلة فقالوا حتى ننظر فخلوا فقالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ماترى فقال لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل فى أمر صاحبكم والله ماباهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ونبت صغيرهم فان أبيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة خلفه وعلى خلفها وهو يقول لهم اذا أنا دعوت فأمنوا فقال لهم أسقفهم يامعشر النصارى انى لأرى وجوها لوسألوا الله عز وجل أن يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا (ان هذا) اى خلق عيسى بأمر الله لا بمجامعته مريم (لهو القصص الحق و) كيف يجامعها ولا يجوز له ينفصل بمجامعته اذ (مامن اله الا الله) فكما لا يتعدد افراده لا يتعدد أجزاؤه والا لوجب اتصاف كل جزء منه بالكمالات الموجبة لالهية ذلك الجزء (و) لو كان له جزء لم يتذلل بمجامعة امرأة أرضية لانه (ان الله لهو العزيز) ولو اشتهى ذلك لمنعته حكمته لانه (الحكيم) فحكمته تحفظ عليه عزته (فان تولوا) اى أعرضوا عن القول بعبودية عيسى عليه السلام فهم مفسدون اعتقادهم واعتقاد غيرهم فى الله فلا يفوتونه (فان الله عليم بالمفسدين) يجازيهم بمقدار افسادهم (قل ياأهل الكتاب) المطلعين على الاعتقادات الصائبة لا وجه لاعراضكم عن دعوتى الى القول بعبودية عيسى (تعالوا الى كلمة سواء) اى قول معتدل لا يميل الى التعطيل ولا الى الشرك متفق عليها (بيننا وبينكم) وهى (ألا نعبد الا الله) اى لانرى غيره مستحقا للعبادة فنعبده (ولا نشرك به شيا) فى كمال صفاته الذى به الهيته (ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا) اى آلهة صغارا مع علمنا بكونهم فى الكمال (من دون الله) والالهية انما هى بغاية الكمال (فان تولوا) عن هذه الكلمة السواء المتفق عليها (فقولوا) خرجتم عن دين الله الذى هو الاسلام ولكن (اشهدوا بانا مسلمون) لتكون شهادتكم سبب نجاتنا وهلاككم ولما قالوا انما الخلاف فى هذه الكلمة ولكنك تزعم انك على ملة ابراهيم وتخالف اليهود والنصارى وكان ابراهيم يهوديا أو نصرانيا فقال لهم عز وجل (ياأهل الكتاب) الذين حقهم أن لا ينطقوا الا بما علم لهم (لم تحاجون) أى تجادلون (فى ابراهيم) انه كان فى أحد الفريقين ولا شك ان اليهودية بعد انزال التوراة والنصرانية بعد انزال الانجيل (وما أنزلت التوراة والانجيل الامن بعده) التوراة بعده بألف سنة والانجيل بعده بألفى سنة (أ) تجعلونه على شريعة كانت بعده بهذه المدة (فلا تعقلون ها أنتم هؤلاء) اى تنبهوا أيها المشار اليهم بالاشارة القريبة لدناءة عقولهم (حاججتم فيما لكم به علم) من أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم اذ له ذكر فى كتابكم فأمكنكم تغييره لفظا أو معنى (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) من أمر ابراهيم اذ لاذكر له فى كتابكم فلا يمكنكم فيه التغيير (والله يعلم) فيبينه

لنبيه

(قوله لا يؤدى الى يقين انما يخرجنا الى ظن مثله (قوله انشزوا) أى ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا الغيركم يقال قعد على نشز من الارض أى مكان مرتفع ونشز [٣] (قوله استحوذ عليهم الشيطان) أى غلب عليهم الشيطان واستحوذ مما أخرج على الاصل ولم يعل ومثله استروح واستنوق الجمل واستصوبت رأيه

[٣] (قوله ونشز يعنى بتحريك الشين مصحح

نبيه (و) ان لم يعلمكم لذلك (أنتم لا تعلمون) وان كنتم منتسبين اليه (ما كان ابراهيم) لو كان
على شريعة التوراة والانجيل (يهوديا ولا نصرانيا) اى معتقدا اعتقادهم اليوم فى عزير
وعيسى (ولكن كان حنيفا) اى مائلا عن الاعتقادات الفاسدة (مسلما) اى منقادا
للاعتقادات الصحيحة (و) لو كان له شئ من اعتقاداتهم اليوم فلا شك انه (ما كان من
المشركين) بالقول بابنية عزير أو عيسى أو بالهيتهما ثم ما زعمتم انكم أولى به لان شريعته كانت
موافقة لشريعة التوراة والانجيل ممنوع بل (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه) قبل
نزول التوراة والانجيل اذ لم يتغير عليهم شئ من شريعته (وهذا النبى) الناسخ الناسخ
التوراة والانجيل من شريعته (والذين آمنوا) به فعملوا بشريعته الموافقة لشريعة
ابراهيم ثم قال (و) لو كنتم موالين له بالعمل بشريعته وكانت منسوخة بهذه الشريعة
لم يفدكم موالاته اذ لا يواليكم الله اذ (الله ولى المؤمنين) ثم أشار الى أن اهل الكتاب انما ادعوا
يهودية ابراهيم أو نصرانيته لانكم تزعمون انكم على ملته فأرادوا ان يلزموكم اليهودية
أو النصرانية لانه (ودت) اى أحبت (طائفة من أهل الكتاب) الذين حقهم محبة الاهداء
(لو يضلونكم) بالقاء شبهة يهودية ابراهيم أو نصرانيته لكنها انما تتم لو صحت يهوديته
أو نصرانيته (و) اذا لم تثبت اضلالهم فى هذه الدعوى فهم (ما يضلون الا أنفسهم وما
يشعرون) أنه يعود اضلالهم الى أنفسهم اذا عجزوا عن اثبات هذه المقدمة ثم قال انكم
انما تدعون الناس الى اليهودية والنصرانية لظهور الآيات على يدى موسى وعيسى عليهما
السلام (يا أهل الكتاب) المؤمنين بآيات موسى وعيسى (لم تكفرون بآيات الله) الظاهرة
على يدى محمد صلى الله عليه وسلم مع انها اجل من آياتهما (وأنتم تشهدون) آياته وقد سمعتم
آيات موسى وعيسى والمشهود أولى بالترجيح من المسموع ثم أشار الى أن هذه الآيات
لو لم تكن أجل فلا تكون أقل الا عن تلبيسكم (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) فتجعلون
تكليم الحصى وشق القمر من السحر دون احياء الموتى وشق البحر (و) قد صدقه كتابكم
لكنكم (تكتمون الحق) اى الثابت فى كتبكم (وأنتم تعلمون) ما هو مراده وان غيرتموه
بتأويلكم الفاسد (و) من تلبيسهم الحق بالباطل أنه (قالت طائفة من أهل الكتاب) اثنا
عشر من يهود خيبر (آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا) من نسخ التوراة (وجه النهار)
اى أوله (واكفروا آخره) فقولوا نظرنا فى كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذى فى
كتابنا (لعلهم) اى أصحاب محمد (يرجعون) عن دينه اذ يتوهمون أنهم بعد ترك العناد انما
رجعوا الا انهم علموا حاله (و) من كتمانهم الحق أنهم قالوا (لا تؤمنوا) اى لا تظهروا تصديقكم
بمحمد لكونه فى كتابكم (الا لمن تبع دينكم) اى لمن علمتم استقراره على اليهودية (قل)
كأنكم تهدون الناس باليهودية لكنه لم تبق هدى بعد مجىء محمد صلى الله عليه وسلم (ان
الهدى هدى الله) وليس هدى الله بعد مجيئه صلى الله عليه وسلم بمقتضى التوراة التى

(قوله تعالى امتحنوهن) أى اختبروهن (قوله عز وجل اسعوا الى ذكر الله) بادروا بالنية والجد ولم يرد العدو والاسراع فى المشى (ائتمروا بينكم بمعروف) أى ليأمر بعضكم بعضا بالمعروف (قوله استغشوا ثيابهم) تغطوا بها (قوله التفت الساق بالساق) آخر شدة الدنيا بأول شدة الآخرة ومعنى التفت أى التصقت من قولهم امرأة لفاء اذا

حصرتم هدى الله فيها الاهداء لكنكم تكتمون انه هدى الله بعد مجيئه كما كان التوراة هداه قبل مجيئه كراهة (ان يؤتى احد) من هدى الله (مثل ما أوتيتم) فضلا عن الفاضل في التقريب من الله وافادة الثواب (أو) كراهة اظهار أن (يحاجوكم) اى يغلبوكم بالحجة (عند ربكم) فانكم تكرهون ظهور ذلك لما فيه من ذهاب رياستكم ورشاكم (قل ان) الاخفاء انما يمنع الايتاء لو كان الفضل بيدكم لكن (الفضل بيد الله) ولا يمكنكم منعه فانه مع منعكم اياه (يؤتيه من يشاء) كيف (و) منعكم تضييق عليه ولا يمكن اذ (الله واسع) وان أمكنكم التضييق فهو (عليم) بدفعه عن نفسه فيزيده اخفاؤكم ثم ان اخفاءكم فضل المؤمنين انما يأتى لو ساووكم في الفضل أو نقصوا لكن الله (يختص برحمته من يشاء) فيزيده فضلا عليكم كيف (و) فضله ليس منحصرا فيما أعطاكم اذ (الله ذو الفضل العظيم) ثم أشار الى أنه لا يبعد منهم التلبيس وقد ظهرت فيهم الخيانة في أقل شئ ويبعد من مؤمنهم وقد ظهرت فيهم الامانة في شئ عظيم فقال (ومن أهل الكتاب) عبد الله بن سلام أودعه رجل من قريش ألفا ومائتي أوقية من الذهب فاداه اليه فهو (من ان تأمنه بقنطار) مال منضد بعضه على بعض (يؤده اليك) وان لم تطالبه فيبعد منه التلبيس لان أمانته مع الخلق تدل على امانته مع الله فلا يفترى عليه انه ما ذكر في كتابه نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومنهم من) فنحاص بن عازوراء استودعه قرشي دينارا فلم يؤده اليه فهو (ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك) لكونه في غاية الخيانة بحيث يخون في غير شئ (الا ما دمت عليه) اى على رأسه (قائما) بالمطالبة والترافع واقامة البينة فلا يبعد منه الخيانة مع الله بكتمان ما أمر باظهاره طمعا في ابقاء الرياسة والرشا عليه (ذلك) اى الدليل على خيانتهم مع الله انهم يعتذرون عن الخيانة مع الخلق اذا ظهرت بالافتراء على الله لان اعتذارهم (بأنهم قالوا ليس علينا في) مال (الاميين) الذين ليسوا من أهل الكتاب (سبيل) الى ذم وعقاب فهم يخونون مع الخلق (ويقولون) في الاعتذار عنه (على الله الكذب) فيخونونه ايضا (وهم يعلمون) أنه كذب محض ليس لهم فيه نص قطعي ولا ظني مبينا ولا دلالة (بلى) النص الالهى أن (من أوفى بعهده) أوفى الله عهده ومن نقض عهده نقض الله عهده واداء الامانة من وفاء العهد بل من التقوى (و) قد نص على ان من (اتقى فان الله يحب المتقين) فلو لم يكن عليهم سبيل لكان حقهم ان يستأثر والمحبة الله على كل شئ ثم أشار الى أنهم متى يبالون بعهد الناس ولم يبالوا بعهد الله اذ يستبدلونه وكيف يتقون الله في أمانات الخلق ولم يتقوه في أمانته وهي وجوب تعظيمه اذ يهتكونه بالايمان الكاذبة فقال (ان الذين يشترون بعهد الله) اى يأخذون بدله بتغييره (وأيمانهم) اى وبأيمانهم الكاذبة يبدلونها فيأخذون (ثمنا قليلا) اى شيأ حقيرا من الدنيا الحقيرة التى لا نسبة لجمعها الى أدنى ما فوتوه (أولئك لا خلاق) اى لا نصيب ثواب (لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله) بما يرضيهم (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) نظر الرضا (ولا يزكيهم) عما يوجب العقاب (ولهم عذاب أليم) بالنار والتوبيخ ونظر الغضب والهيآت الظلمانية وذلك لانهم انما أخذوه بعدم رؤيتهم في ايفاء

التصقت فخذاها ويقال هو من التفاف ساقى الرجل عند السياق يعنى عند سوق روح العبد الى ربه ويقال التفت الساق بالساق مثل قولهم شمرت الحرب عن ساقها اذا اشتدت (قوله تعالى انكدرت) انتثرت وانصبت ومنه قول العجاج أبصر خربان فضاء فانكدر (وهو طائر واحده خرب) وهو ذكر الحبارى

عهـده ورعايته تعظيمه نصيبا من ثواب الآخرة ولا من مكالمة الله بما يرضيهم ولا بنظره بالرضا اليهم ولم يريدوا التزكية عن موجب العذاب وكيف لا يكون كذلك (وان منهم لفريقا) لا يقتصرون على تغيير العهد بمجرد التأويل بل (يلوون) اى يحرفون (ألسنتهم) فيظهرون أكاذيبهم ملتبسة (بالكتاب لتحسبوه) اى لتتوهموا انه (من) ألفاظ (الكتاب وماهو من الكتاب) لفظا ولا تأويلا (و) لا يقتصرون على الايهام بل يصرحون اذ (يقولون هو من عند الله وماهو من عند الله) تنصيصا ولا استنباطا (و) بالجملة لا يبالون بالله اذ (يقولون على الله الكذب) فى كتابه وغيره (وهم يعلمون) أنهم يكذبون ثم انهم كما كذبوا على الله كذبوا على رسله اذ زعموا أن عيسى أمرهم أن يتخذوه ربا فرد الله تعالى عليهم بأنه (ما كان) يصح من الله الذى لا يعطى مرتبة النبوة الالمن علم أنه يقوم بحقها أن يجمع هذه الفضائل (لبشر) مع بقاء بشريته التى لابد من بقائها أبدا (أن يؤتيه الله الكتاب) اى علم الاعتقادات والاخلاق (والحكم) اى الشريعة (والنبوة) ليدعو الى الله (ثم يقول للناس) الذين بعثه الله اليهم ليدعوهم الى عبادته وحده (كونوا عبادا لى) فاتخذونى ربا (من دون الله) لان ذلك استنقاص لهم (ولكن) يستكملهم اذ يقول لهم (كونوا ربانيين) اى منسوبين الى الرب بالتخلق بأخلاقه أو بالتحقق بها أو بالفناء فيه والبقاء به (بما كنتم تعلمون الكتاب) الناس فان ثواب تعليمه ينير قلوبكم فيبدل أخلاقه أو ينزل بها نور التجلى الشهودى (وبما كنتم تدرسون) اى تقرؤن فانه يجركم الى الله تعالى وهذا لو كان التعليم والقراءة لله تعالى وحده (ولا يأمركم) أيها المأمورون بالربانية بما هو غاية النقص (أن تتخذوا الملائكة والنبيين) الذين هم وسايط ما بينكم وبين الله (أربابا) استنزالا لكم عن عبادة الله الى عبادتهم على انه رد الى الشرك الذى بعثوا لمحوه (أيأمركم بالكفر) اى بالعود اليه (بعد اذ أنتم مسلمون) اى بعد استقراركم على الاسلام الذى تحملوا فيه المتاعب الكثيرة ثم ذكر انهم كما قالوا على الله ورسله مالم يقولوه كتموا على الله ورسله ما بالغوا فى الامر ببيانه من أمر كل رسول جديد مؤكدا بالايمان به والنصرله فقال (واذ أخذ الله ميثاق النبيين) اى العهد الوثيق من كل نبى صادق أن يقولوا لامهم عن لسانى (لما آتيتكم من كتاب وحكمة) اى ان الذى آتيتكم من الكتاب وأسراره فانما آتيتكم لتعرفوا طريق الهداية وتجعلوه أصلا ترجعون اليه اذا أشكل عليكم الامر فاذا جعلتموه أصلا (ثم جاءكم رسول) بالمعجزات (مصدق لما معكم) وان كان ناسخا لبعض أحكامكم بعادات الحكمة على اقتضاء الزمان ذلك (لتؤمنن به) لانه اجتمع فيه شاهدان المعجزات والهداية (و) لا تقتصرون على الايمان بل (لتنصرنه) أيضا مبالغة فى تشهير أمره ثم بالغ الله على الانبياء بمراجعة أممهم اذ (قال أأقررتم) اى هل أخذتم اقرار قومكم بقبوله (وأخذتم على ذلكم اصرى) اى عهدى الثقيل (قالوا أقررنا) اى أخذنا اقرارهم مع المبالغة (قال فاشهدوا) عليهم الزموهم اذا أنكروا (و) ان لم يحتج الى

(قوله انفطرت) اى انشقت (قوله تعالى انشق القمر) اذا تم وامتلأ فى الليالى البيض ويقال انشق استوى (قوله ايابهم) رجوعهم (قوله عز وجل ارم) أبو عاد وهو عاد بن ارم ابن سام بن نوح ويقال ارم اسم بلدتهم التى كانوا فيها (قوله اقتحم العقبة) هى عقبة بين الجنة والنار والاقتحام الدخول فى الشئ والمجاوزة له بشدة وصعوبة (وقوله عز وجل فلا اقتحم

شهادتكم سوى المبالغة اذ (أنا معكم من الشاهدين) واذا بالغ الله تعالى هذه المبالغة فى أخذ الانبياء ميثاق أقوامهم على هذا النهج البليغ (فمن تولى بعد ذلك) اى أعرض عن هذا العهد فلم يؤمن بالرسول المذكور ولم ينصره (فأولئك) وان كانوا من أهل الكتاب (هم الفاسقون) اى الخارجون عن دائرة أهله بالحقيقة فلا عبرة بشهادتهم ولا باخبارهم فان قالوا هذا الرسول ليس مصدقا لهم لانهم دعوا الى ربوبية أنفسهم قيل لهم (أ) يطلب الانبياء من الناس اتخاذهم أربابا وهذا دين المشركين (فغير دين الله) الذى هو التوحيد (يبغون) اى يطلبون لاتباعهم (و) ليس هذا مقتضى كمالهم فى التجلى الشهودى اذ (له أسلم من فى السموات) من أهل الفناء والبقاء (والارض) من عوام المؤمنين والكفار (طوعا) ان كان من أهل البقاء أو مؤمنا (وكرها) ان كان من أهل الفناء او كافرا فلا يدعى الالهية إلاله لا لنفسه وكيف (واليه يرجعون) فى التوحيد فلا مساغ لغيره فى دعوى الالهية أصلا ولو قالوا أنتم تطلبون بترك اليهودية والنصرانية غير دين الله (قل) لهم (آمنا بالله) ويهود هذا الزمان ونصاراه أشركوا به (وما أنزل علينا و) ان كان فيه ما ينسخ بعض أحكام التوراة والانجيل فهو موافق (ما أنزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) فلو اخل نسخنا للتوراة والانجيل لاخل نسخكم لما أنزل على هؤلاء (و) مع ذلك أيضا صدقنا (ما أوتى موسى وعيسى والنبيون) وان اختلفت شرائعهم لكونها (من ربهم) اى الذى ربى كلا بما هو مصلحته وهم وان تفاوتت شرائعهم كمالا ونقصا (لا نفرق بين أحد منهم) بالايمان بالبعض والكفر بالبعض لان التفاوت فيها بتفاوت استعدادات الامم (و) لا نجعل بعضهم أربابا وبعضهم عبيدا بل (نحن له مسلمون) فهذا هو الاسلام الذى هو الانقياد لربوبية الله وأوامره فى كل عصر (ومن يبتغ) اى يطلب (غير الاسلام دينا) فاتخذ البعض أربابا وصدق البعض دون البعض وآمن بالمنسوخ دون الناسخ (فلن يقبل منه) اذلم ينقد لامر الله فى عصره وان انقاد لما أمر به من قبله (و) لا يحصل ثواب من عمل بالدين المنسوخ قبل نسخه بل (هو فى الآخرة من الخاسرين) للاجر على الناسخ والمنسوخ جميعا وكذا أجر ما صح من الاعتقادات والاعمال والاخلاق لان الكفر محبط للكل وكيف لا يكونون خاسرين فى الآخرة وقد خسروا وجوه الهداية فى الدنيا اذ (كيف يهدى الله قوما كفروا) بالرسول بعد مجيئه (بعد ايمانهم) به قبل مجيئه اذ رأوه فى كتبهم (و) ليس هذا الكفر مجرد نقضهم الميثاق بالايمان بكل رسول يأتيهم مصدقا لما معهم بل مع ذلك (شهدوا أن) هذا (الرسول حق و) هو وان لم يعين زمانه ومكانه وقبيلته وسائر مشخصاته يكفيهم انه (جاءهم البينات) التى آمنوا لمثلها ولما دونها بموسى وعيسى عليهما السلام فظلموا بحقه الثابت ببيناته وتصديقه الكتب السماوية (والله لا يهدى القوم الظالمين) فلا يجازيهم جزاء أهل الهداية وان اهتدوا بالايمان ببعض ما فى كتبهم بل (أولئك جزاؤهم) جزاء الظالمين بالكفر الكلى

العقبة) أى لم يقتحمها ولم يجاوزها ولا تكون مع الماضى بمعنى لم مع المستقبل كقوله
ان تغفر اللهم تغفر جما
وأى عبد لك لا ألما
أى أى عبد لك لم يلم بذنب أخذه من اللمم وهو من الصغائر (قوله عز وجل انبعث أشقاها) انفعل من البعث والانبعاث هو الاسراع فى الطاعة للباعث وأشقاها هو قدار بن سالف عاقر الناقة (قوله

وهو (أن عليهم لعنة الله) الذى بعث الرسل وأعطاهم البينات و وأثق بالايمان بكل رسول جاءهم بالبينات مصدقا لما معهم ونص على الرسول (والملائكة) الذين جاؤا بالرسالة أو شهدوها (والناس أجمعين) من المؤمنين الذين آذوهم والكافرين الذين وقعوا فى الكفر بسببهم يتسلطون عليهم مجتمعين ويبقون فى اللعنة (خالدين فيها) لا ينقص عنهم أصلا لذلك (لا يخفف عنهم العذاب) وان آمنوا ببعض مافى كتبهم (ولاهم ينظرون) لينتفعوا بثواب ذلك البعض لو حصل ثوابه (الا الذين تابوا) فانهم لا يبقون فى اللعنة ولو (من بعد ذلك) الكفر بعد الايمان (وأصلحوا) عقائد من أضلوهم بازالة الشبهات عنهم (فان الله غفور رحيم) لانه لما سقطت التبعات عن المضلين سقطت عن المضلين أيضا اذ كانوا سبب اسقاطها أيضا (ان الذين كفروا بعد ايمانهم) فيه اشارة الى أن اضلال الكافر الاصلى ساقط بالتوبة وان مات المضل كافرا (ثم ازدادوا كفرا) باضلال غيرهم (لن تقبل) فى حق من أضلوهم (توبتهم) اذلم يزيلوا شبهاتهم (وأولئك) بترك شبهاتهم (هم الضالون) وفيه اشارة الى أنهم لو لم يمكنهم ازالتها بالموت أو بالغيبة البعيدة يرجى عفوها وكيف تقبل توبتهم ولا يبقى باضلالهم حسناتهم لومات المضلون كفارا (ان الذين كفروا) باضلالهم (وماتوا وهم كفار) لتركهم الشبهات عليهم (فلن يقبل من أحدهم) فضلا عن جمع منهم (ملء الارض ذهبا) لو تصدق به المضل وأعطى المضل عوضا عن اضلاله فانه لا ينتفع به (و) كذا (لو) وحده (افتدى به أولئك) لو أعطوا ثوابه لم ينتفعوا به اذ (لهم عذاب أليم ومالهم من ناصرين) من ثواب يدفعه أو حجة أو شفاعة ثم أشار الى أن انفاق المال وان لم يقع فداء للكافرين فهو فى نفسه شريف اذ (لن تنالوا البر) اى بر الله رحمته ورضوانه (حتى تنفقوا) فى سبيله (مما تحبون) اى بعض محبوباتكم من المال أو الجاه أو النفس (و) ليس المطلوب انفاق النصف أو الثلث أو الربع بل (ما تنفقوا من شئ) حقير او عظيم (فان الله به عليم) يجازيكم بقدره وانما كان انفاق المحبوب سبب نيل البر لان ترك المحبوب من أجله من أسباب التقرب اليه لذلك تقرب يعقوب عليه السلام بترك أحب الطعام اليه اذ كان به عرق النسا فنذران شفى لم يأ كل أحب الطعام اليه وهو لحم الابل ولبنه فدل هذا على أنه (كل الطعام) أى الحلال فى دين محمد عليه السلام (كان حلا لبنى اسرائيل) فى عهد ابراهيم وبنيه عليهم السلام قبل ظلمهم ولم يحرم عليهم بعد ظلمهم (الا ما حرم اسرائيل) وهو يعقوب عليه السلام (على نفسه) بنذره فكان تحريم يعقوب (من قبل أن تنزل التوراة) ولم يكن تحريم ابراهيم كما قالت اليهود واعترضوا بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم انك تزعم انك على ملة ابراهيم وكان لا يأ كل لحوم الابل وألبانها وأنت تأ كلها فقال عليه السلام كان ذلك حلالا لابراهيم فقالوا كل ما تحرمه اليوم كان حراما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا (قل) ان كذبتمونى (فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) فى أنها كانت محرمة فى دين ابراهيم وان التوراة لم تنسخ شيأ من أحكامه فاذا لم تأتوا بها علم أنكم

تعالى انحسر) أى اذبح ويقال انحر ارفع يديك بالتكبير الى نحرك

(باب الباء المفتوحة)

(قوله بلاء) على ثلاثة أوجه نعمة واختبار ومكروه (وقوله عز وجل بارئكم) خالقكم (قوله عز وجل باؤا بغضب من الله) انصرفوا بذلك ولا يقال باء الا بشر ويقال باء بكذا اذا أقر به أيضا (قوله عز وجل بديع) أى مبتدع (قوله بث فيها) أى فرق فيها (قوله بالغ)

تفترون على الله بأنه قال بامتناع النسخ مع انه لايمتنع عقلا (فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك) أي ظهور نسخ التوراة أحكام ملة ابراهيم (فأولئك هم الظالمون) بالحكم على الله ومنعه من رعاية مصالح الازمنة واذا كانت التوراة ناسخة لبعض أحكام ملة ابراهيم (قل صدق الله) فيما ذكر في هذا الكتاب من جواز النسخ وانه نسخ به ما نسخ التوراة من أحكام ملة ابراهيم (فاتبعوا ملة ابراهيم) وهو مقتضى امتناع النسخ أيضا كيف وليس في ملته ما في يهودية اليوم ونصرانيته من الاعتقادات الفاسدة اذ كان (حنيفا) أي مائلا عن الاعتقادات الفاسدة كيف وفي يهودية اليوم ونصرانيته شرك لاثبات الولد أو الهية عيسى (وما كان من المشركين) وكيف تزعمون أنكم على ملة ابراهيم وقد كانت قبلته الكعبة بل قبله آدم وكيف تنكرون نسخ التوراة أحكام ملة ابراهيم وقد نسخت القبلة بصخرة بيت المقدس (ان أول بيت وضع للناس) أي لتوجههم اليه في الصلاة لتجتمع قلوبهم في تلك الجهة مع تفرقهم في العالم (للذي ببكة) أي مكة لان الارض دحيت من تحتها فهي مبدأ الجسم الترابي فتوجهه اليه يوجب توجه الروح الى مبدئه واعتبار المبدئية يقتضي الاولوية ولم تكن الصخرة قبلة ابراهيم ومن قبله اتفاقا ولدحو الارض من تحتها كان (مباركا) لان بركات الارض انما خرجت ببسطها فكانت في الاصل تحتها فيرجى للمتوجه اليه البركات المعنوية (و) لكون التوجه اليه توجها الى الله كان (هدى للعالمين) كيف وقد كوشف بالتوجه اليه في الصلاة وبالطواف حوله الحقائق الالهية والكونية كيف و (فيه آيات بينات) رمى الطير أصحاب الفيل بحجارة من سجيل وتعجيل عقوبة من عتا فيه واجابة دعا من دعا تحت ميزابه واذعان النفوس لتوقيره من غير زاجر ومن أعظمها التنازل منزلة الكل (مقام ابراهيم) الحجر الذي قام عليه عند رفعه قواعد البيت كلما علا الجدار ارتفع الحجر في الهواء ثم لين فغرقت فيه قدماه كأنهما في طين فبقي أثره الى يوم القيامة (و) من آياته أن (من دخله كان آمنا) من نهب العرب وقتالهم وقد أمن صيده وأشجاره وكيف تنكرون كون الحج من دين ابراهيم وقد نسخته التوراة فنسخ نسخها هذا الكتاب فقال (ولله) أي ويجب للتقرب اليه (على الناس حج البيت) أي قصد زيارته من عرفات لنزوله منزلة بيت الله لو كان له مكان ولكن انما يجب على (من استطاع اليه سبيلا) اي قدر على الذهاب اليه والرجوع الى بيته بوجدان الزاد والراحلة مع نفقة الاهل (ومن كفر) بفرضية الحج فلا يبالي به كما لم يبال بفرضيته وهو أولى بعدم المبالاة لغناه على الاطلاق (فان الله غني عن العالمين قل يا أهل الكتاب) الزاعمين انهم يؤمنون بجميع آيات الله (لم تكفرون بآيات الله) في بيته وآيات التوراة الدالة على وجوب الحج في ملة ابراهيم وآيات محمد عليهما السلام ولا تقتصرون على الكفر بها بل تحرفونها لفظا أو معنى (والله شهيد على ما تعملون قل يا أهل الكتاب لم) لا تقتصرون على انكار فرضية الحج بل مع ذلك (تصدون) الناس (عن سبيل الله) الذي جعله سبيلا لابراهيم ومحمد عليهما السلام وقومهما فتمنعون عن الحج (من آمن تبغونها) بالقاء

الشبهات

طالب (وقوله غير باغ ولا عاد) أي لا يبغي الميتة أي لا يطلبها وهو يجد غيرها ولا عاد أي لا يعدو شبعه (قوله عز وجل باشروهن) أي جامعوهن والمباشرة الجماع سمي بذلك لمس البشرة البشرة ظاهر الجلد والادمة باطنها (قوله بسطة في العلم) أي سعة من قولك بسطته اذا كان مجموعا ففتحته ووسعته (وقوله وزادكم في الخلق بسطة) أي طولا وتماما كان أطولهم

الشبهات (عوجا) لتلا يبق المؤمن به على ايمانه (وأنتم شهداء) انهم على الحق بنصوص كتابكم لكنكم تحرفونها (وما الله بغافل عما تعملون) من تحريفها والقاء الشبه على من يأخذ بمقتضاها (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم أن لا تقلدوا أحدا ولو أهل الكتاب لانكم (ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب) بحسن اعتقادكم فيهم لكونهم أهل الكتاب (يردوكم بعد ايمانكم) بالتوحيد والنبوة (كافرين) الكفر الذى كنتم عليه من الشرك وانكار النبوة اذ يرضون بالرد اليه دون البقاء على التوحيد والاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وكيف تكفرون) بالله لقولهم (وأنتم تتلى عليكم آيات الله) التى هى أجل من الآيات المتلوة عليهم (و) ان لم تدركوا اعجازها فارجعوا الى رسوله اذ (فيكم رسوله و) من لم يجد رسوله يكفيه الاعتصام به فانه (من يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم) فى ادراك اعجاز آيات الله ورفع الشبه عنها ثم أشار الى أنه انما يتم ادراك الحجج ورفع الشبه بكمال التقوى المفيدة تزكية النفوس وتصفية القلوب فقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) باستفراغ الوسع فى القيام بالواجبات والمستحبات واجتناب المحرمات والمكاره ولا تغفلوا عن الشبهات فانه يخاف معها الموت على الكفر (ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) أى وقد دفعت شبهاتكم ثم أنه يقع بالتزكية والتصفية أنواع من الخلل كانحراف المزاج وتلبيس الشيطان (و) لدفعها (اعتصموا بحبل الله جميعا) أى بكتابه فى اعمال التصفية والتزكية وفى المكاشفة ثم الاعتصام بالكتاب انما يتم بالاجتماع على طلب الحق لا بالجدل الباطل الداعى الى الافتراق (و) لذلك قال (لا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم) بتأليف قلوبكم لتجتمعوا على طلب الحق (اذ كنتم أعداء) فقلب عداوتكم بالمحبة (فألف بين قلوبكم) وأزال افتراقكم المشتت لاموركم (فأصبحتم) اى صرتم (بنعمته اخوانا) متحابين فى الله مجتمعين على الخيرات متعاونين على البر والتقوى (وكنتم) بتلك العداوة (على شفا) اى طرف (حفرة من النار) بالقتال والنهب والاسر (فانقذكم منها) قيل كان الاوس والخزرج أخوين وقع بين أولادهما العداوة والحروب مائة وعشرين سنة ثم رفعت بالاسلام (كذلك) اى مثل ذلك البيان (يبين الله لكم آياته) فى كل مكان لانقاذكم عن الضلال فيه (لعلكم تهتدون) لرشدكم الدينى والدنيوى فيه ثم أشار الى انه كما انقذكم من النار والضلال بارسال الرسل وانزال الآيات فليكن فيكم من ينقذ اخوانه فقال (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير) اى الايمان (ويأمرون بالمعروف) اى بكل معروف من واجب ومندوب يقربهم الى الجنة ويبعدهم من النار (وينهون عن المنكر) اى عن كل منكر من حرام ومكروه يقربهم الى النار ويبعدهم من الجنة (وأولئك) الداعون الآمرون الناهون (هم المفلحون) الفائزون بأجور أعمالهم واعمال من تبعهم (ولا تكونوا كالذين) قربوا أنفسهم واخوانهم من النار لانهم (تفرقوا) بالمجادلة الباطلة (واختلفوا) فى الاعتقادات

طوله مائة ذراع وأقصرهم طوله ستون ذراعا (بكة) اسم لبطن مكة لانهم يتباكون فيها اى يزدحمون ويقال بكة مكان البيت ومكة سائر البلد وسميت مكة لاجتذابها الناس من كل أفق يقال امتك الفصيل ما فى ضرع الناقة اذا استقصى فلم يدع منه شيأ (بت) تمد بليل يقال بت فلان رأيه اذا فكر فيه ليلا ومنه قوله جاءها

الواجبة (من بعد ما جاءهم البينات) القاطعة التي لابد منها في باب الاعتقادات (وأولئك)
وان زعموا ان اختلافهم وقع عن اجتهادهم (لهم عذاب عظيم) فوق عذاب المعاصي
الفرعية لانهم اتبعوا الشهوات وتركوا قواطع الادلة التي لا مجال للاجتهاد في مقابلتها (يوم
تبيض وجوه) لاتباعها الادلة القاطعة التي هي الانوار الساطعة (وتسود وجوه) لاتباعها
الشبهات المظلمة ليستدل بذلك على ايمانهم وكفرهم ايجازى كل بمقتضى حاله (فأما الذين
اسودت وجوههم) فيقال لهم (أكفرتم) باتباع الشبهات في باب الاعتقادات (بعد) موجب
(ايمانكم) من الدلائل القاطعة فانتم وان اخترتم ذلك عن اجتهاد (فذوقوا العذاب بما
كنتم تكفرون) اذ لا يغتر بالاجتهاد لانه أقيمت الادلة القاطعة في مقابلة شبهها (وأما الذين
ابيضت وجوههم ففي رحمة الله) لاتباعهم الادلة القاطعة التي أقامها الرحيم من
اتبعها رحمة مؤيدة لذلك (هم فيها خالدون تلك) المذكورات واجبة لاعتقاد لانها (آيات
الله) لا لمجرد التخويف بل (نتلوها) من مقام عظمتنا المقتضية كمال الصدق (عليك)
يا أكمل الرسل فلا ينزل عليك ما فيه نقيصة الكذب لمجرد التخويف بل (بالحق) اى الثابت
وكيف يكون لمجرد التخويف وهو ظلم بالتسوية بين المحسن والمسيء وليس من المظالم الجزئية
بل الكلية (وما الله يريد ظلما للعالمين و) هو وان كان متصرفا في ملكه اذ (لله ما في السموات
وما في الارض و) لكن (الى الله ترجع الامور) وهو حكيم يرى مخالفة الحكمة ظلما لما فيه
من وضع الشيء في غير موضعه فلا يفعل خلاف الحكمة بمقتضى السنة وكيف لا تبيض
وجوهكم ولا تخلدون في رحمة الله ولا تفلحون وقد (كنتم خير) كل (أمة) كأنها (أخرجت)
أي استثنيت من الناس (للناس) لانتظام أمورها (تأمرون بالمعروف) فتكملونهم
(وتنهون عن المنكر) فتدفعون عنهم النقائص (و) قد كملتم في أنفسكم اذ (تؤمنون بالله
و) لمجرده كنتم خيرا من أهل الكتاب اذ (لو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم) وان لم يتعد
خيرهم الى غيرهم اذ لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر ولعلهم بخيريته (منهم المؤمنون)
كعبد الله بن سلام (و) لا ينافي ذلك كفر الاكثرين به اذ (أكثرهم الفاسقون) في الفرعيات
فلا يعد فسقهم في الاعتقادات لغلبة الهوى في حقهم على مقتضى علمهم لذلك يقصدون
اضراركم لكن (لن يضروكم) لكونكم خير خلق الله فيعينكم الله (الا أذى) باللسان
(وان يقاتلوكم) بالسيف أو المناظرة (يولوكم الادبار ثم لا ينصرون) أى لا يكون لهم الكرة
عليكم أبدا وكذلك كان حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر وعكابرتهم مع الله
العزيز ومع أعزة عباده من خيار المؤمنين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر (ضربت
عليهم الذلة) أي جعلت عليهم كالقبة المضروبة في الاحاطة (أينما ثقفوا) أى في أى مكان
وجدوا وبحيث لا يمكنهم السكون فيه (الا) معتصمين (بحبل من الله) وهو الايمان بالله ورسوله
في الظاهر (وحبل من الناس) أي وبعقد ذمة أو هدنة أو أمان من الناس (و) هو لا يفيدهم
عند الله لانهم (باؤا) أي رجعوا عن الايمان برسوله قبل مجيئه بعد مجيئه فالتبسوا (بغضب من

باتنا بياتا أى ليلا وكذلك
بيتهم العدو (وقوله تعالى
بهيمة) كل ما كان من
الحيوان غير ما يعقل
ويقال البهيمة ما استبهم
عن الجواب اى استغلق
(قوله تعالى بحيرة) وهى
الناقة اذا انتجت خمسة
أبطن فان كان الخامس
ذكرا نحروه فأكله الرجال
والنساء وان كان الخامس
أنثى بحروا أذنها اى شقوها
وكانت حراما على النساء

الله و) لايمكنهم العود الى عزتهم لانهم (ضربت عليهم المسكنة) المستلزمة للذلة (ذلك) أى
ضرب الذلة والمسكنة والغضب (بأنهم) استكبروا على الله اذ (كانوا يكفرون بآيات الله
و) زادوا عليه اذ عاندوا مع الله اذ كانوا (يقتلون الانبياء) عالمين بأنه (بغير حق) موجب ظنى
ولا قطعى (ذلك) الكفر وقتل الانبياء (بما عصوا و) ليس كمعاصى الجمهور ولانهم (كانوا
يعتدون) أى يجاوزون التوسط الى الغاية فغضب الله عليهم فجرهم الى الكفر ثم انهم وان
كان فيهم الاعتداء الموجب للغضب (ليسوا سواء) أى مستوين حتى لايعتد بايمان من آمن
منهم ويحمل على النفاق بل (من أهل الكتاب) الذى شأنه التأثير فاذا لم يعم فلا بد من نوع منه
تأثر به (أمة قائمة) بما فى التوراة على أكمل الوجوه حتى يتدينوا بدين محمد صلى الله عليه وسلم
الناسخ لبعض أحكامها (يتلون آيات الله) المنزلة على محمد صلى الله عليه وسلم (آناء) اى ساعات
(الليل وهم) يصلون صلاة التهجد (يسجدون) فيها وان لم يكن فى دين اليهود فيفيدهم مزيد
تقرب وقت عموم الغفلة فهذا يدل على أنهم (يؤمنون بالله) فينقادون بجميع آياته (واليوم
الآخر) فيجانبون الغفلة ثم لاتقتصر خيراتهم على أنفسهم بل تتعدى الى العموم (و) لذلك
(يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر و) ليست لطلب الرياسة لانهم (يسارعون فى
الخيرات) وطالب الرياسة يتبع هواه فلا يمكنه المسارعة الى الخيرات فى عموم الاوقات
(و) ان صحت لهم المسارعة الى الخيرات فلا يظهر عليهم أثرها وقد ظهر على هؤلاء فعلم أن
(أولئك من الصالحين) وانما ميز بينهم وبين اخوانهم حيث غضب على اخوانهم وجعل
هؤلاء من الصالحين لانهم مسارعون فى الخيرات كيف (وما تفعلوا من خير فلن تكفروه)
بفعل الاخوان (والله) وان غضب على اخوانهم جعلهم من الصالحين لتقواهم لانه (عليم
بالمتقين) واذا كانت التقوى كافية فى ذلك فالمسارعة الى الخيرات زيادة على الكفاية ولو قيل
كيف غضب على اخوانهم وقد أنعم عليهم بالاموال والاولاد أجيبوا بأنهما ليسا من الانعام
فى حق الكفار فى الآخرة اذ لا يدفعان غضبه عليهم فقيل (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم
أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ) وان كان التصدق بالاموال يطفئ غضب الرب فى حق
المؤمنين ويغفرون بموت أولادهم أو استغفارهم (وأولئك) اى الكفار وأموالهم
وأولادهم (أصحاب النار) اى ملازموها يزدادون بها عذابا ولو كانت مفيدة لهم لم يتأت لهم
الانتفاع بها اذ (هم فيها خالدون) ولا يفيدهم التصدق بها التخفيف اذ (مثل ما ينفقون) مع
أن الغالب أنهم ينفقونه (فى) استجلاب فوائد (هذه الحيوة الدنيا) من طلب الثناء أو دفع
البليات فان كان للآخرة فهو حرث أصابه الكفر ومثله فى اهلاك ما أصابه (كمثل ريح
فيها صر) أى برودة شديدة (أصابت حرث قوم) فاهلكته فكذا ريح الكفر اذا أصابت حرث
انفاق قوم (ظلموا أنفسهم فأهلكته) فصار الظلم ريحا لحصوله من هوى النفس ذات برودة
شديدة لكونه ظلم الكفر الذى هو الموت المعنوى فاهلكته (وما ظلمهم الله) باهلاك حرثهم

لحمها وابنها فاذا ماتت حلت للنساء والسائبة البعير يسيب بنذر يكون على الرجل ان سلمه الله من مرض أو يبلغه منزله أن يفعل ذلك فلا يحبس عن رعى ولا ماء ولا يركبه أحد والوصيلة من الغنم كانوا اذا ولدت الشاة سبعة أبطن نظروا فان كان السابع ذكرا ذبح فأكل منه الرجال والنساء وان كانت أنثى تركت فى الغنم وان

بارسال ريح من عنده (ولكن) كانوا (أنفسهم يظلمون) بارسال ريح الظلم الكفرى على حرثهم الاخروى ثم أشار الى أن الكفر لما كان ريحا مهلكة حرث أعمال أربابه فلا يبعد منه اهلاك حرث أعمال من صحبهم سيما من أحبهم فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ترك صحبتهم فان لم تتركوها فعليكم ان (لا تتخذوا بطانة) اى محبة باطنة معرفة للاسرار (من دونكم) أى مجاوزة بطانة المؤمنين وكيف لا يؤثر ريح كفرهم فى حرثكم وهم (لا يألونكم خبالا) اى لا يقصرون فى افساد عقائدكم لاحباط أعمالكم ولا يبعد منهم لانهم (ودوا ما عنتم) اى تمنوا ما يهلككم فضلا عن أعمالكم ويدل على هذا التمنى انه (قد بدت البغضاء) أى ظهر البغض الباطن حتى خرج (من أفواههم) اذ لا يتمالكون أنفسهم من افراط بغضهم وان قصدوا مراعاتكم (و) هذا يدل على أن (ما تخفى صدورهم أكبر) مما ظهر (قد بينا لكم الآيات) الدالة على سوء اتخاذكم اياهم بطانة تمتنعوا منها (ان كنتم تعقلون ها أنتم أولاء) أى تنبهوا أيها الحق المشار اليهم بالاشارة القريبة (تحبونهم ولا يحبونكم) فعدم محبتهم كاف فى امتناع اتخاذهم بطانة لو لم يظهر بغضهم (و) ليس فيكم ما يوجب بغضهم لكم لانكم (تؤمنون بالكتاب كله) فلا تنكرون من كتابهم شيأ (واذا لقوكم) بعد ظهور البغضاء من أفواههم خافوا أن تقطعوا مودتكم فلا يصل اليهم أسراركم لذلك (قالوا آمنا) بكتابكم ونبيكم سرا ولا نظهره خوفا من قومنا (و) لكنه ايمان نفاق معكم لانهم (اذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ) أن لا يجدوا الى التشفى منكم سبيلا (قل) زادكم الله غيظا لزيادة ظهورنا (موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور) فكيف لا يعلم عضكم الانامل فان لم تطلعوا منهم على هذا الغيظ لكونه فى خلوتهم فلا بد أن تطلعوا منهم على أنهم (ان تمسسكم حسنة) بظهوركم على العدو ونيلكم الغنيمة وخصب معاشكم وتتابع الناس فى دينكم (تسؤهم وان تصبكم سيئة) باصابة العدو منكم أو اختلاف بينكم أو جدب أو بلية (يفرحوا بها) واذا امتنعتم من موالاتهم فغاية ما يكون منهم انهم يؤذونكم (وان تصبروا) على ايذائهم (وتتقوا) الله فى موالاتهم (لا يضركم كيدهم شيأ ان الله بما يعملون) من الكيد (محيط) لا يمكنه ان يصل اليكم (و) اذكر اهم فى دفع الله كيد أعدائهم عنهم يوم أحد (اذ غدوت) أى خرجت بالغدوة (من أهلك) أى حجرة عائشة فتركت الاستراحة فى وقتها لاهتمامك لقتال العدو بأحد (تبوئ) أى تنزل (المؤمنين) وكانوا زهاء ألف (مقاعد) أى أماكن (للقتال) فلما بلغوا الشوط اعتزل ابن أبى فى ثلثمائة وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا لو نعلم قتالا لاتبعناكم فكان هذا كيدا منه (والله سميع) لقوله (عليم) بكيده الذى كاديه لك بعض المؤمنين (اذ همت) أى قصدت (طائفتان) بنو سلمة وبنو حارثة (منكم ان تفشلا) أى تجبنا فتتخلفا مع ابن أبى (و) لكن عصمهم الله اذ (الله وليهما) مولاهما فتوكلا عليه (وعلى الله) لا على قوة النفس أو المدد (فليتوكل المؤمنون) فلا تخافوا قوة الاعداء وعدتهم وكثرة عددهم وكيف لا تتوكلون على الله (ولقد نصركم الله) لتوكلكم عليه

كان ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبح لمكانها وكان لحومها حراما على النساء ولبن الانثى حرام على النساء الا أن يموت منها شىء فيأكله الرجال والنساء والحامى الفحل اذا ركب ولد ولده ويقال اذا أنتج من صلبه عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يمنع من كلا (قوله تعالى بغتة) اى فجأة (قوله عز

(ببدر) موضع بين مكة والمدينة أو بئر منه (وأنتم أذلة) لا قوة لكم ولا عدة ولا كثرة اذ كنتم
ثلثمائة وثلاثة عشر مع فرسين وثمانية سيوف وستة أدرع (فاتقوا الله) ان تو الوا أعداءه
عن ذلة أو قلة (لعلكم تشكرون) تقويته واعزازه لكم ونصره لكم ودفعه أعداءكم كما فعل
ببدر (اذ تقول للمؤمنين) تقوية لقلوبهم بوعد النصر (ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم)
لتقويتكم ونصركم ودفع أعدائكم (بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) من سمائه لقتال
أعدائه وجعل عدد المدد ثلاثة أضعاف عدد الكفار كما انهم ثلاثة اضعاف عدد المسلمين
(بلى) يكفيكم ولكنه يزيدكم (ان تصبروا) على قتالهم (وتتقوا) الفرار عنهم (ويأتوكم
من فورهم) اى ساعتهم (هذا) فلا تنزعجوا بمفاجأتهم (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من
الملائكة مسومين) اى معلمين بأنهم ملائكة لا بشر لتزدادوا قوة وأعداؤكم خوفا وجعل
الزيادة ضعف عدد الكفار مع انهم لو كانوا ضعف عدد المسلمين لوجب على المسلمين قتالهم
فكيف اذا انعكس الامر ولا ينافي هذا ما مر من رؤيتهم المسلمين ضعفهم لانه تميز عنهم
الملائكة (وما جعله الله) اى هذا الامداد (الا بشرى) تقوية (لكم و) ما جعله الا (لتطمئن)
اى لتسكن (قلوبكم به) فلا تجزع من رؤية كثرة عدوهم وعددهم وقوتهم (و) لم يكن
اليه حاجة لانه (ما النصر) ولو مع الامداد (الا من عند الله) وحده (العزيز) اى الغالب على
الاسباب بحيث يمكنه التأثير على خلافها (الحكيم) في استعمالها وقد اقتضت حكمته أن
ينصركم مع قلتكم وذلتكم (ليقطع طرفا من) جملة (الذين كفروا) لاقتضاء كفرهم
تضعيفهم بعد قوتهم (أو يكبتهم) اى يخزيهم (فينقلبوا خائبين) منقطعي الآمال لكن (ليس
لك من الامر) اى أمرهم من القطع أو الا كبات (شئ) جزما بل هو في مشيئة الله فله أن يفعل
أحدهما (أو يتوب عليهم) فيوفقهم للايمان (أو يعذبهم) لاصرارهم بعد رؤية هذه الآية
ولا يبعد (فانهم ظالمون) لاستمرارهم على العناد ثم أشار الى أن ظلمهم وان كان سبب العقاب
فلله أن يزيله أو يديمه كيف (ولله ما في السموات وما في الارض) وهو من جملة ما فيهما فهو
(يغفر لمن يشاء) بازالة الظلم (ويعذب من يشاء) بادامته (و) لا يبعد أن يغفر للظالم اذا تاب اذ
(الله غفور رحيم) ومع غفرانه ورحمته له شدة في حق الظالم بالكفر أو بموالاة الكفار
أو بتضييع سائر الحقوق حتى حق الجمادات (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ترك الظلم
ولو على الجمادات (لا تأكلوا الربوا) فتظلموا الاموال بجعلها مقابلة لما لا وجود له فان رجوتم
الرحمة والغفران في اليسير فلا تأكلوه (أضعافا مضاعفة) اى زيادات مكررة (واتقوا الله)
ان لم تخافوا سطوتها (لعلكم تفلحون) بايفاء حقوقكم وصونكم عن أعدائكم كما صنتم
حقوق الاشياء (واتقوا) في أكلها أضعافا مضاعفة الافضاء الى الكفر الذي يوجب لكم
(النار التي أعدت للكافرين و) لو لم يكن للاموال حقوق (أطيعوا الله والرسول) في ترك
الربا (لعلكم ترحمون) بالتفضل عليكم فوق حقوقكم فضلا عن الصيانة التي هي من

وجل بازغا) اى طالعا
(قوله تعالى بينكم) اى
وصلكم والبين من الاضداد
يكون الوصال ويكون
الفراق (قوله عز وجل
بصائر من ربكم) مجازها
حجج بينة واحدتها بصيرة
(قوله عز وجل بوأكم)
أنزلكم (قوله عز وجل
بأس) أى شدة ويقال بؤس
أيضا اى فقر وسوء حال
(بئيس) شديد (بنان)
أصابع واحدها بنانة (قوله

حقوقكم ثم أشار الى أن النار المعدة للكافرين كما يخاف على آكل الربا أضعافا مضاعفة يخاف على كل مصر على المعاصى فقال (وسارعوا الى) أسباب (مغفرة) فانها وان كانت (من ربكم) من غير تأثير للاسباب فيها فسنة جارية بالفعل عندها وهى الاستغفار والندم والعزم على أن لا يعود (و) لا يتم الا بالمسارعة الى أسباب (جنة) هى الاعمال الصالحة لانها تمحو المعاصى اذ يدخل صاحبها فى سعة الرحمة لذلك (عرضها السموات والارض) لو وضع بعضها بجنب بعض فهى من أسباب الصيانة عن الاعداء والبليات بل أسباب المغفرة أيضا أسباب الجنة لان المغفور له لاحق بالمتقين والجنة (اعدت للمتقين) لان المسارع الى أسباب المغفرة ينظر الى الله كنظر المتقين (الذين ينفقون) أموالهم اتقاء محبتها (فى السراء والضراء) أى فيما يجلب مسرة للمؤمن أو يدفع مضرة عنه اتقاء تضييعها ثم ذيل الشهوية (والكاظمين) اى الكافين (الغيظ) عن امضائه مع القدرة عليه اتقاء التعدى فيه الى ما وراء حقه (والعافين عن الناس) ما يغيظ الثلاثة ثم ذيل الغضبية فانهم أعدت لهم الجنة لانهم محسنون آثروا جناب الحق على شهوتهم وغضبهم (والله يحب المحسنين) لانهم لا ينظرون الى ما سواه فضلا عن محبته ويقرب منهم فى النظر الى الله المسارعون الى المغفرة (و) هم (الذين اذا فعلوا فاحشة) اى فعلة بالغة فى القبح متعدية (أو ظلموا أنفسهم) بغير التعدى (ذكروا الله) فاشبهوا المحسنين من وجه لكن رأوا معاصيهم حجبا (فاستغفروا لذنوبهم و) انما استغفروا لعلمهم انه (من يغفر الذنوب) فيرفع حجابها (الا الله و) خافوا استحكام الحجاب بالاصرار لذلك (لم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) انه ذنب بخلاف ما لو لم يعلموا لانهم عوام أو لكونه فى محل الاجتهاد فانه لا يخاف حجابيته عليهم اذا لم يقصروا (أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم) اى ستر لذنوبهم ليصيروا كالمحسنين (و) اذا صاروا كالمحسنين فجزاؤهم (جنات) جزاء على مشاهدتهم اياه (تجرى من تحتها الانهار) جزاء على اجرائهم أنهار المعارف فى قلوبهم بمسارعتهم فى رفع الحجب عنها (خالدين فيها) لبقاء احسانهم دائما فهذا أجر المسارعين الى المغفرة وفوقه أجر المسارعين الى الجنة وهم العاملون (و) لذلك قال (نعم أجر العاملين) لذلك اتسع جنتهم الى أن صار عرضها السموات والارض ثم أشار الى أنكم لو أصررتم على المعاصى ولم تبادروا الى الاستغفار فلا يقتصر فى حقكم على ابقاء الحجاب بينكم وبين ربكم الموجب للعذاب الاخروى بل (قد خلت) اى مضت (من قبلكم سنن) من أنواع المؤاخذات والبلايا سيما فى حق المكذبين الذين يتخذون منهم بطانة لينجوا عن أذياتهم فلا تنجون عن شدائد الله التى عليهم للعوق بكم بهم (فسيروا فى الارض) التى فيها ديارهم الخربة وآثار اهلاكهم (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) وقيسوا عليها عاقبة اللاحقين بهم (هذا) من مؤاخذة المذكور (بيان للناس) الذين نسوا مؤاخذتهم فاتخذوهم بطانة للتحفظ عنهم ونسوا ما على اللاحقين بهم من مؤاخذة الله (وهدى) الى التحفظ عنهم بالتوكل على الله (وموعظة) أى تخويف نافع (للمتقين) الذين منهم التحفظ الكلى الذى لا يتم الا بالتحفظ عن

عزوجل بياتا) اى ليلا والبيات الايقاع بالليل (قوله عزوجل براءة) اى خروج من الشئ ومفارقة له (قوله عزوجل بوأنا بنى اسرائيل) أنزلناهم ويقال أخلصنا لهم مبوأ وهو المنزل الملزوم (قوله عزوجل بادئ الرأى) مهموز اى أول الرأى وبادى الرأى غير مهموز اى ظاهر الرأى (قوله عزوجل بعلى) بعل المرأة

الله

الله بل بطانتهم عين الخوف ولا خوف منهم فى الواقع وانما هو من وهنكم (ولا تهنوا) اى ولا تضعفوا فى أنفسكم لتفتقروا الى اتخاذهم بطانة ومنشأ هذا الضعف الحزن من أذياتهم (ولا تحزنوا) اذ لا تصل أذياتهم الى اتلافكم بل هم التالفون (وأنتم الاعلون) اى الاغلبون لكن انما تغلبون (ان كنتم مؤمنين) مخلصين لانه انما وعد النصر للمؤمنين ولا تضعفوا عن الجهاد بمس القرح فانه (ان يمسسكم قرح) يوم أحد (فقد مس القوم) العدو يوم بدر (قرح مثله) ولم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم أولى لانكم موعودون بالنصر دونهم (و) المس مرة لا يدل عليه فى كل مرة اذ (تلك الايام) اى أيام النصر (نداولها) اى نصرفها فنجعلها دولة لطائفة مرة ولاخرى أخرى فنقسمها (بين الناس) لئلا يجبنوا (وليعلم الله الذين آمنوا) اى وليتميز الثابتون على الايمان فى علم الله عما سواهم اذ لو دام النصر للمؤمنين لكان ملجأ للناس الى اعتقاد حقيتهم (ويتخذ منكم شهداء) ولو دام النصر للمؤمنين لقل الشهداء منهم لكن الله تعالى يريد تكثيرهم لانه يحبهم لكونهم مظلومين (والله لا يحب الظالمين) فيجعل محبته لهم لو لم يظلوا للمظلومين مع محبته لهم لايمانهم (وليمحص) اى يطهر (الله الذين آمنوا) بالشهادة عن معاصيهم (ويمحق الكافرين) بالقتال اذ لو دام النصر للمؤمنين لدام صلحهم معهم فكانوا باقين أضعفتم عن أعمال الجنة (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله) اى ولم يتميز ما علم الله من (الذين جاهدوا منكم) ممن علم ضعفهم عن الجهاد (ويعلم الصابرين) على الشدائد حفظا للايمان عمن يجزع فينقلب (و) كيف ضعفتم الآن و (لقد كنتم تمنون الموت) على الشهادة (من قبل أن تلقوه) أى أسبابه (فقد رأيتموه) اى متمناكم (وأنتم تنظرون) شدائده وتضعفون ثم أشار الى أن قتل محمد صلى الله عليه وسلم وموته ليس من أسباب الضعف بل هو كالقرح فقال (وما محمد الا رسول) والرسل منهم من مات ومنهم من قتل فلا منافاة بين الرسالة والقتل والموت اذ (قد خلت من قبله الرسل) بل الضعف عن الجهاد حينئذ مشعر بالردة (أ) تؤمنون به فى حال حياته (فان مات أو قتل انقلبتم) اى ارتددتم كأنكم انقلبتم (على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ) بابطال دينه فانه سيظهره على يدى من يشكره (وسيجزى الله) بالنصر والغلبة فى الدنيا والثواب والرضوان فى الآخرة (الشاكرين) نعمة الاسلام بالجهاد فيه روى انه لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه ذهب مصعب بن عمير وكان صاحب رايته فقتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل محمدا صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا صلى الله عليه وسلم وصرخ ابليس الا ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال المنافقون لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم وقال بعضهم ليت ابن أبي يأخذ لنا أمانا من أبي سفيان فقال أنس بن النضر ان كان محمدا قد قتل فان رب محمد حى لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم انى أعتذر اليك مما يقولون وأبرأ منهم وسل سيفه وقاتل حتى قتل فكان من الشاكرين ثم أشار الى أن قتل محمد صلى الله عليه وسلم أو موته

زوجها وبعل اسم صنم أيضا قال الله عز وجل أتدعون بعلا (قوله تعالى بقية الله خير لكم) اى ما أبقاه الله لكم من الحلال ولم يحرمه عليكم فيه مقنع ورضا فذلكم خير لكم (قوله عز وجل بعدت ثمود) اى هلكت يقال بعد يبعد اذا هلك وبعد يبعد من البعد (قوله تعالى بخس) نقصان يقال بخسه حقه

كما لا يكون سببا للردة لا يكون سببا للهزيمة فقال (وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله) وما
يأذن الا عند انتهاء الاجل لانه كتب عمر الانسان (كتابا مؤجلا) اى منتهيا الى أجل ولا يغير
ما كتب لموت رسول أو قتله (و) ليس مسقطا الثواب دنيوى ولا أخروى بل (من يرد ثواب
الدنيا) وهو النصر والغنيمة (نؤته منها) اذ وعدناهما المؤمنين (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته
منها) وكيف لا وقد شكر نعمة الاسلام (وسنجزى الشاكرين) ثم ان قتل نبى لو كان موجبا
للوهن لحصل للعلماء بالله العاملين من القدماء (و) لكن (كأين من نبى) أى كثير من
الانبياء قتلوا حين (قاتل معه ربيون) اى المنسوبون الى الرب من العلماء العاملين (كثير)
لا يخلو عمن يطلع على موجب الوهن لو خفى على القليل كيف ولم يحصل لهم تردد (فما وهنوا)
اى ضعفوا (لما أصابهم فى سبيل الله) من القرح الظاهر مع الباطن بموت الرسول (وما
ضعفوا) ولو ضعفوا لاستكانوا (و) لكنهم (ما استكانوا) للاعداء بل صبروا على قتالهم
(والله يحب الصابرين) على قتال أعدائه سيما اذا قتل نبيهم لانه أشد (وما كان قولهم) مثل
قول المنافقين والضعفاء ولا المجبنين بقولهم بل ما كان (الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا)
فأضافوا الذنوب الى أنفسهم طلبوا الاستغفار لها لما علموا أنها سبب الهزيمة والمصائب
(و) لم يقتصروا على نسبة الصغائر الى أنفسهم بل قالوا (اسرافنا فى أمرنا) ومع قوتهم على
الصبر لم ينسبوه الى أنفسهم (و) لم يعتمدوا عليها بل قالوا (ثبت أقدامنا) فى قتال أعدائك
(و) قالوا (انصرنا على القوم الكافرين) لئلا يذهبوا بنصر قتل الانبياء (فآتاهم الله ثواب
الدنيا) من الثناء الحسن والنصر والغنيمة لو رجعوا احياء (وحسن ثواب الآخرة) أتم مما
يثيب به القاعدين لانهم محسنون بالنظر الى الله (والله يحب المحسنين) ومحبته سبب كل فضيلة
وحسن ثم أشار الى أن علماء العصر من أهل الكتاب ليسوا كقدمائهم حتى يؤخذ بقولهم بل
(يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) فتسمعوا اقوالهم (يردوكم) الى الشرك (على
أعقابكم فتنقلبوا خاسرين) لدين الاسلام ودين أهل الكتاب حين كان حقا ومحبة الله
ورضوانه وثوابه الدنيوى والاخروى فلا تعتقدوا أنهم يوالونكم كما توالونهم (بل الله مولاكم)
فاستعينوا له كيف (وهو) اذا استعنتم له (خير الناصرين) ينصركم خيرا من نصرهم لو نصروكم
وكيف لا يكون خير الناصرين وهو ينصركم بغير قتال (سنلقى فى قلوب الذين كفروا
الرعب) بعد غلبتهم وذلك أن أبا سفيان لما رجع ندم ببعض الطريق فعزم أن يعود على
المسلمين ليستأصلهم فألقى الله الرعب فى قلبه لغضبه عليهم (بما أشركوا بالله ما لم ينزل به) أى
بكونه الها أو متصفا بصفاته أو مستحقا للعبادة (سلطانا) أى حجة قاطعة ينبنى عليها
الاعتقادات (و) لا يكتفى فى حقهم بهذا القدر بل (مأواهم النار) لظلمهم بالشرك (وبئس
مثوى الظالمين) النار ثم أجاب عن هزيمة أحد مع وعده خير النصر وذلك انه عليه السلام
أقام الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير على جبل عينين وجعله على يساره واحدا خلفه

(قوله بثى
اذا نقصه
وحزنى) البث أشد الحزن
الذى لا يصبر عليه صاحبه
حتى يبثه اى يشكوه
والحزن أشد الهم (قوله
تعالى بصيرة) اى يقين
كقوله أدعو الى الله على
بصيرة اى على يقين (وقوله
بل الانسان على نفسه
بصيرة) اى من الانسان
على نفسه عين بصيرة اى
جوارحه يشهدن عليه
بعمله ويقال الانسان

واستقبل المدينة وقال لهم احموا ظهورنا فان رأيتمونا غنمنا فلا تشاركونا وان رأيتمونا نقتل
فلا تنصرونا فأقبل المشركون فرشق الرماة خيولهم بالنبل وضربوهم بالسيف حتى قتلوا
منهم اثنين وعشرين فولوا هاربين فقال بعض الرماة انهزم القوم فما مقامنا فأقبلوا على
الغنيمة وقال بعضهم لا تجاوزوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت عبد الله بن جبير فى
نفر أقل من عشرة فحمل عليهم خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل فقتلوهم وأقبلوا على
المسلمين فاختلطوا على غير شعار فجعل بعضهم يقتل بعضا فقتل سبعون من المسلمين وأرجف
بأن محمدا قد قتل فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورائهم الى عباد الله فأنا رسول الله
من يكر فله الجنة فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين فلما رجعوا
قال ناس من أصحابه من أين أصابنا هذا وقد وعدنا النصر فنزل (ولقد صدقكم الله وعده)
أن ينصركم (اذ تحسونهم) أى تبطلون حسهم بقتلهم (باذنه) حين رشقهم الرماة وضربوهم
(حتى اذا فشلتم) أى ضعفتم عقلا اذ ملتم الى الغنيمة (وتنازعتم فى الامر) فى الاقامة بالمركز
(وعصيتم) أمر الرسول عليه السلام أن لا تشركونا فى الغنيمة (من بعد ما أراكم ما تحبون)
من النصر انقسمتم قسمين (منكم من يريد الدنيا) أى الغنيمة فترك المركز (ومنكم من يريد
الآخرة) فثبت فيه (ثم صرفكم) أى كفكم (عنهم) بالهزيمة (ليبتليكم) ببلاء الهزيمة
(ولقد عفا عنكم) اذ لم يستأصلكم بعد مخالفة الرسول عليه السلام (والله ذو فضل على
المؤمنين) لذلك تفضل بالعفو (اذ تصعدون) أى تبعدون فى الفرار (ولا تلوون) أى
لا تلتفتون بالوقوف (على أحد والرسول يدعوكم) الى عباد الله (فى أخراكم) أى ساقتكم
(فأثابكم) أى جازاكم الله على فشلكم وعصيانكم (غما) متصلا (بغم) من القتل والجرح
وظفر المشركين وارجاف قتل الرسول عليه السلام وانما فعل ذلك لتتمرنوا على الصبر (لكيلا
تحزنوا) فيما بعد (على ما فاتكم) من المنافع (ولا ما أصابكم) من المضار (والله خبير بما
تعملون ثم) كان عاقبة الامر أيضا النصر اذ (أنزل) الله (عليكم من بعد) ازالة (الغم)
الكثير بتحقق سلامة الرسول عليه السلام (أمنة) مع بقاء الحرب (نعاسا) أى نوما
(يغشى) أى يغلب (طائفة منكم) هم المخلصون كانت تسقط سيوفهم من أيديهم فيأخذونها
مرة بعد أخرى (وطائفة) هم المنافقون (قد أهمتهم) أى أوقعتهم فى الهموم (أنفسهم) اذ
(يظنون بالله غير الحق) أى اخلاف الوعد (ظن) الملة (الجاهلية يقولون) لرسول الله
صلى الله عليه وسلم (هل لنا من الامر) أى من أمر النصر الذى وعدته (من شئ قل ان الامر)
أى أمر النصر (كله لله) أى لحزب الله اذ لا عبرة بالوسط بل لا ينافيه الهزيمة فى الاول
أيضا والنصر لا يوجب سلامة الكل وهم يعلمون ذلك لكنهم لا يعتقدون نصركم فى الآخر
وان رأوا نعاسكم لذلك (يخفون فى أنفسهم) عند قولك ان الامر كله لله (ما لا يبدون لك)
وهو انهم (يقولون) فى أنفسهم (لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا) فكأنهم يزعمون

الانسان بصير على نفسه والهاء دخلت للمبالغة كما دخلت فى علامة ونسابة ونحو ذلك (قوله تعالى بوار) أى هلاك (قوله عز وجل باخع نفسك) أى قاتل نفسك (قوله تعالى بعثناهم) أى أحييناهم (قوله تعالى الباقيات الصالحات) الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (قوله تعالى بارزة) أى ظاهرة

أنهم لو اتبعهم المقتولون فلم يخرجوا من ديارهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتلوا (قل لو كنتم في بيوتكم) وتبعكم المقتولون فلم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يثبتوا في ديارهم بل (لبرز) أي خرج (الذين كتب عليهم القتل) في مكان كذا ووقت كذا فانه يوقع في قلوبهم الخروج (الى مضاجعهم) أي مكان قتلهم في زمانه اذ لا يقع خلاف المقدر المحتوم والحكمة تقتضي هذا التقدير ليصبروا ويشهدوا فيتطهروا (وليبتلى) أي يمتحن (الله) أي يفعل فعل الممتحن ليستخرج (ما في صدوركم) من الاخلاص والنفاق ليجعله حجة عليكم (وليمحص) أي وليظهر للخلق (ما في قلوبكم) التي تنقلب من الايمان الى النفاق (و) لا يبعد على الله اذ (الله عليم بذات الصدور) أي الضمائر الملازمة لها ثم أشار الى أن الانهزام الذي كان في الوسط لم يكن من الله تعالى ابتداء على خلاف ما وعد من النصر بل من الشيطان فقال (ان الذين تولوا) أي انهزموا (منكم) مع علمهم بأن الانهزام (يوم التقى الجمعان) أي جمع المسلمين وجمع المشركين من الكبائر (انما استزلهم الشيطان) أي حملهم على الزلة بمكر منه مع وعد الله النصر (ببعض ما كسبوا) أي بشؤم بعض اكتسابهم كترك المركز والميل الى الغنيمة مع النهي عنه فمنعوا التأييد وقوة القلب (ولقد عفا الله عنهم) لندمهم واخلاص توبتهم في الآخرة كما عفا عنهم في الدنيا اذ لم يستأصلهم (ان الله غفور حليم) لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب فيغفر له ثم أشار الى أن استزلال شياطين الانس كاستزلال شياطين الجن فقال (يا أيها الذين آمنوا) الايمان ينافي الشيطنة لذلك (لا تكونوا كالذين كفروا) فلحقوا بالشياطين (وقالوا لاخوانهم) استزلالا لهم عن أمر المعاش والمعاد (اذا ضربوا) أي سافروا (في الارض) لتجارة فأصيبوا بغرق أو قتل (أو كانوا غزا) فأصيبوا باصطدام أو قتل (لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا) ولا يفيدهم فانما يقولونه (ليجعل الله ذلك) القول (حسرة في قلوبهم) أي القائلين والسفر والغزو ليسا من أسباب الموت بل يوجد بعض أسبابه هنالك كما يوجد البعض الآخر في دار الاقامة والكل عند الله على أنه لا أثر للاسباب (و) انما (الله) هو الذي (يحيي ويميت) بالحقيقة (والله بما تعملون) أيها المؤمنون في زعمهم من مشابهتهم في هذا القول (بصير) اذ تنسبون الفعل الى الاسباب حقيقة ثم أشار الى أن الموت في سبيل الله ليس مما يوجب الحسرة بل مما يوجب الفرح (و) ذلك لانكم (لئن قتلتم في سبيل الله أو متم) من غير قتال بعد الخروج له (لمغفرة من الله) لذنوبكم التي لولم تغفر عظمت عليكم حسرة (ورحمة) لوفاتتكم عظمت حسرة أيضا (خير مما يجمعون) اذ لا تندفع تلك الحسرة بأموال الدنيا كلها بل ترك الجهاد هو الموجب للحسرة (و) ذلك لانكم (لئن متم أو قتلتم) لا في سبيله (لالى الله تحشرون) فترون من غضبه عليكم مع رضاه عمن قتل أو مات في سبيله ما يوجب عليكم أعظم وجوه الحسرة وقدم القتل أولا لانه أعظم للاجر وأخره ثانيا لانه أمر عارض والموت حتف الانف لا بد منه وكيف ينكر الحشر الى الله لمن مات أو قتل وقد حشر من جاهد في سبيله من غير موت ولا قتل وكيف لا يغفر للميت

أي ترى الارض ظاهرة ليس فيها مستظل ولا متفيا ويقال الارض الظاهرة البراز (قوله عز وجل بغيا) يعني فاجرة (قوله تعالى بال) حال (قوله عز وجل بهيج) أي حسن يبهج من يراه أي يسره والبهجة الحسن والبهجة السرور أيضا (قوله عز وجل باد) أي من أهل البدو كقوله عز وجل سواء العاكف فيه والباد

والمقتول في سبيله وقد غفر للمجاهد ورحم بدونهما (فبما رحمة من الله) أى فبشئ حصل بالحشر الى الله من التخلق بأخلاقه لا بطريق الاتصاف بصفات الالهية حقيقة بل برحمة عظيمة من الله مفيدة للاتصاف بما يناسب صفاته التي من جملتها الغفران والحلم (لنت لهم) أى للذين تولوا عنك وأنت تدعوهم وللقائلين لاخوانهم اذا ضربوا فى الارض أو كانوا غزا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ومن هذه الرحمة جمعتهم (ولو كنت فظا) أى سيئ الخلق (غليظ القلب) قاسيه (لانفضوا) أى تفرقوا فلم يجتمعوا (من حولك) فلا تتم دعوتك وكمال اللين في العفو (فاعف عنهم) كما عفا الله عنهم (واستغفر لهم) لئلا ينقص بها رتبتهم في الآخرة (وشاورهم في الامر) لتتودد اليهم ويثبتوا على رأيهم ولا يعترضوا عليك ولا تبالغ في المشورة بل اعزم على أمر (فاذا عزمت) فبعد لك اعتراض (فتوكل على الله) في امضاء ما عزمت (ان الله يحب المتوكلين) فيصلح شأنهم ويهديهم الى الصواب وكيف يلتفت الى الاعتراض بعد التوكل على الله مع انه (ان ينصركم الله) وهو ناصر للمتوكل عليه اذا صدق فى توكله (فلا غالب) عليكم بل تكون الغلبة لكم (وان يخذلكم) ولا يعد خذلانه لمن توكل على رأيه وقوته (فمن ذا الذي ينصركم) أى يعصمكم من قوتكم ورأيكم (من بعده) أى بعد خذلانه (وعلى الله) لا على الآراء والقوى (فليتوكل المؤمنون) الذين يعلمون أنه لا تأثير لشئ دونه ولما كان النصر بالايمان والتوكل على الله ويبعد من الخائن فلا يتصور ممن نباه الله من الحقائق فقال (وما كان لنبي أن يغل) أى يخون في غنيمة كما قال المنافقون في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر اهل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها وكما ظن الرماة يوم أحد فقالوا نخشى أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ شيأ فهو له (و) كيف يكون ذلك في شأن من رفع الله قدره وهو موجب للاذلال لان (من يغلل يأت بما غل) حاملا له على ظهره ليفتضح في المحشر (يوم القيامة ثم) لا يقتصر على ذلك الاذلال بل يجازى على غله جزاء كاملا اذ (توفى كل نفس) جزاء (ما كسبت) فلا ينقص من حق من غل لانه حق الخلق (وهم لا يظلمون) بابطال حقوقهم بالعفو عمن غل عليهم ولو قيل انه عز وجل يرضى خصوم أوليائه بتعويض من عنده يقال أولياؤه هم الذين اتبعوا رضوانه (أ) يغل وليه (فمن اتبع رضوان الله) لا يكون (كمن باء) أى كالغال الذى رجع (بسخط من الله و) السخط على أهل الغلول أشد اذ (مأواهم جهنم) وانما يعوض لاوليائه لان لهم الى ربهم المصير وأما المصير هؤلاء مصيرهم جهنم (وبئس المصير) وانما كان السخط على قوم أشد منه على غيرهم اذ (هم درجات) أى متفاوتون (عند الله) والغال أدنى درجة والنبي أعلى درجة فكيف يجعل الله في أعلى الدرجات من عمل عمل أدناها (والله بصير بما يعملون) ثم أشار الى أنه كيف يكون الرسول غالا وقد من الله بعثه فكيف يمن ببعث الخائن فقال (لقد من الله على المؤمنين) وان كان سبب تعذيب الكافرين (اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) أى منتسبا الى جميع أحيائهم قيل الا بنى تغلب ليكون رحيما عليهم وهو ينافى الغلول (يتلوا عليهم آياته)

(قوله البيت العتيق) بيت الله الحرام وسمى عتيقا لانه لم يملك و يقال سمى عتيقا لانه أقدم ما فى الارض ويقال ان الله عز وجل أعتق زوارهمن النار اذا توفاهم على توحيده وما عليه نديه (قوله صلى الله عليه وسلم) (قوله تعالى برزخ الى يوم يبعثون) يعنى القبر لانه بين الدنيا والآخرة وكل شئ بين شيئين فهو برزخ ومنه وجعل بينهما برزخا أى

ولا يظهر الا على يدى الكامل فلا يتأملوا ما لم يؤمر بالتكميل ولا يتصور كون الكامل المكمل غالا (ويزكيهم) وتزكية الغير بعد تزكية النفس ومما يزكى عنه الغلول (ويعلمهم الكتاب والحكمة) أى العلم الظاهر والباطن وهو من دلائل كمال النفس المنافى للغلول وكيف لا يكون بعثه منة وقد هداهم الله به فى القوة النظرية والعملية (وان كانوا من قبل) أى وانهم كانوا قبل بعثه (لفى ضلال مبين) ظاهر (أ) تنكرون منة الله فى بعثه اذ تزعمون أنكم قتلتم بسببه (و) ذلك أنكم (لما أصابتكم مصيبة) بأحد فقتل منكم سبعون (قد أصبتم مثليها) ببدر اذ قتلتم من المشركين سبعين وأسرتم سبعين (قلتم أنى) أى من أين لنا (هذا) الواقع ونحن مسلمون ورسول الله فينا (قل هو من عند أنفسكم) اذ أخذتم فداء سبعين من أسراء بدر برأيكم فتركتم قتلهم الذى هو الصواب فقتل منكم سبعون (ان الله على كل شئ قدير) فكما قدر على مجازاة الكفار يوم بدر قدر على مجازاتكم يوم أحد ثم قال (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله) ليجازيكم على فراركم يوم الزحف فى الدنيا ليسقط عنكم عذاب الآخرة (وليعلم المؤمنين) أى وليميزهم بين الناس على وفق علمه بهم (وليعلم الذين نافقوا) ان تميزوا اذ (قيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله) مباشرة (أو ادفعوا) العدو بتكثير سوادكم (قالوا لو نعلم) أنه يصح أن يسمى (قتالا لاتبعناكم) لكنه ليس الا القاء النفس فى التهلكة (هم) بهذا القول (للكفر) فى الظاهر (يومئذ) قبل هذه المصيبة (أقرب منهم للايمان) فى الظاهر مع أنه لا ايمان لهم فى الباطن أصلا اذ (يقولون بأفواههم) من كلمتى الشهادة (ما ليس فى قلوبهم و) لو لم تظهر امارات الكفر عليهم فى الظاهر فلا يعتد بايمانهم فى الظاهر اذ (الله أعلم بما يكتمون) وهو انما يتبع علمه وقد ظهرت أمارته من امارات الكفر عليهم لانهم (الذين قالوا لاخوانهم) أى من أجل أقاربهم من قتلى أحد (و) قد صدق هذه الامارة فعلهم اذ (قعدوا لو أطاعونا) فى القعود (ما قتلوا) كما لم نقتل (قل) كأنكم تزعمون أنهم لو أطاعوكم دفعتم عنهم الموت (فادرؤا) أى ادفعوا (عن أنفسكم الموت) فانها أقرب اليكم من أنفسهم (ان كنتم صادقين) فى أنكم تقدرون على دفع أسبابه ثم أشار الى أن قتلكم بأحد لو لم يكن من أخذكم الفداء من أسراء بدر ولا من ميلكم الى الغنيمة على خلاف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من فراركم بل من سبب الرسول فلا ينافى المنة ببعثه صلى الله عليه وسلم اذ به صار الشهداء فى حكم الاحياء فقال (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا) تعطلت أرواحهم (بل أحياء) فوق أحياء الدنيا لانهم مقربون (عند ربهم) اذ بذلوا له أرواحهم لا بمعنى بقاء أرواحهم ورجوعها اليه لمشاركة أرواح غيرهم فى ذلك بل بمعنى أنهم (يرزقون) رزق الاحياء لا بطريق التخيل الذى لسائر أهل البرزخ بل بطريق التحقيق كما روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أرواح الشهداء فى أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل معلقة تحت العرش وهو أجل من رزق أحياء الدنيا اذ لا يخلون عن غم وتعب وهم يرزقون (فرحين بما آتاهم الله) من غير تعب وكسب بل

(من

نا جزا (قوله عز وجل بغى عليهم) أى ترفع عليهم وعلا وجاوزا المقدار (قوله مكنون) تشبه بيض الجارية بالبيض بياضا وملاسة وصفاء لون وهى أحسن منه وانما تشبه بمكنون مصون الالوان ومكنون مصون (قوله البطشة الكبرى) يوم بدر ويقال يوم القيامة (قوله والبطش أخذ بشدة (قوله البيت المعمور) بيت فى السماء الرابعة حيال

(من فضله) الذى لايغتم فيه بسلبه (و يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم) أى و يطلبون البشارة من الله بشهادة من بقى من اخوانهم فى الدنيا (من خلفهم) فنقصت عليهم لذاتهم اذ لايخلون عن خوف الآخرة وقد عاوا فى حق الشهداء (ألا خوف عليهم) من عقوبة الآخرة بعد الشهادة (ولاهم يحزنون) بما فاتهم من لذات الدنيا بل (يستبشرون بنعمة) عظيمة (من الله) أى من ثوابه (وفضل) من قربه وكيف لايكون لهم ذلك (وأن الله لايضيع أجر) عوام (المؤمنين) فكيف يضيع أجر الشهداء وقد اختاروا جناب الله على أنفسهم ثم أشار الى من بالغ فى ترجيح جنابه لقوة ايمانه فقال (الذين استجابوا) دعوة الله ورسوله الى الخروج فى طلب أبى سفيان وقومه مرجحين (لله والرسول) على أنفسهم لانهم أجابوهما (من بعد ما أصابهم القرح) اذ قصد العود اليهم لاستئصالهم حين بلغ الروحاء فقال لقومه لامحمدا قتلتم ولا الكواعب أردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب أصحابه للخروج فى طلبه ارهابا له فخرج معه سبعون رجلا حتى بلغوا حمراء الاسد فربه معبد الخزاعى وكان يومئذ مشركا فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك فى أصحابك ثم خرج فلقى أبا سفيان بالروحاء فقال وما وراءك يا معبد فقال محمد قد خرج فى أصحابه اطلبكم فى جمع لم أر مثلهم يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان متخلفا عنه وندموا على صنيعهم قال ويلك ما تقول قال والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصى الخيل قال فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال فانى والله أنهاك عن ذلك فألقى الله الرعب فى قلوبهم فرجعوا (للذين أحسنوا) نظروا الى الله تعالى لا الى نسبتهم الى الشجاعة وقوة الايمان (منهم واتقوا) اعتبار الخلق اليهم (أجر عظيم) لاينقص عن أجر الشهداء بل لعله يزيد عليه وهؤلاء هم (الذين قال لهم الناس) أى الركب المستقبل لهم (ان الناس) أبا سفيان وأصحابه (قد جمعوا) أنفسهم وقصدهم (لكم) أى لاستئصالكم (فاخشوهم) ولا تتخلصون منهم الا بالرجوع الى دينهم (فزادهم) قولهم (ايمانا) بأن الله هو الناصر القاهر المحيي المميت (وقالوا حسبنا) أى كافينا (الله) من غير عدة لنا ولا عدد وكيف لايكفينا وقد وكلناه (ونعم الوكيل) هو فأرهب الله عدوهم (فانقلبوا) أى رجعوا من حمراء الاسد (بنعمة من الله) هى الغلبة وكمال الشجاعة وزيادة الايمان والتصلب فى الدين (وفضل) هو ربح تجارتهم فى الطريق (لم يمسسهم سوء) اذ لم يلقوا عدوا (و) انما كان لهم ذلك لانهم (اتبعوا رضوان الله) فأرضاهم وتفضل عليهم فوق ما استحقوه (والله ذو فضل عظيم) فلا ينحصر فضله فيما أعطاهم ثم أشار الى أنه لما كان منشأ هذه الفضائل فلا مانع منه سوى الشيطان فقال (انما ذلكم) القائل ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم هو (الشيطان) جاء يخوفكم وهو انما (يخوف أولياءه) من دون الله (فلا تخافوهم) وان رأيتم لهم قوة وعدة وعددا (وخافون) أن تواتقوا أعدائى نترواقوتهم دون قوتى (ان كنتم مؤمنين) بعظم شأنى وعموم قدرتى ونفاذها دون قدرتهم (ولا يحزنك)

الكعبة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لايعودون اليه والمعمور المأهول والبحر المسجور المملوء (قوله تعالى بخسا ولا رهقا) بخسا انقصا ورهقا ما يرهقه أى ما يغشاه من المكروه (قوله تعالى برق البصر) شق و برق بفتح الراء من البريق اذا شخص يعنى اذا فتح عينيه عند الموت (قوله باسرة) متكرهة (قوله عز وجل بردا ولا

فضلا عن الخوف معاونة المنافقين الكفار لا لحقية دينهم بل لانهم (الذين يسارعون فى اظهار (الكفر) لصعوبة اخفائه عليهم (انهم) وان كانوا أعداءك من داخل (لن يضروا) أولياء الله لانهم يحميهم الله فلو أضروهم لاضروا (الله) بتعجيزهم اياه عن حمايتهم ولا يمكنهم أن يعجزوه (شيأ) بل (يريد الله) أن يضرهم الضرر الكلى وهو (الا يجعل لهم حظا فى الآخرة) مع غاية سعة رحمته ولا يبالى لما جعل لهم فى الدنيا من حقن الدماء والاموال (و) لا يقتصر على حرمانهم بل (لهم) مع ايمانهم الظاهر (عذاب عظيم) أعظم من عذاب من يظهر كفره ثم أشار الى أنه كما لا يضر المنافقون أولياء الله لا يضر المرتدون دين الله فقال (ان الذين اشتروا) أى استبدلوا (الكفر بالايمان) عند رؤيتهم هزيمة المسلمين بأحد (لن يضروا) دين الله الذى يريد مع ايقاع الهزيمة تارة والنصر أخرى اظهاره فلو أضروه لاضروا (الله) فى ارادته لكن لا يمكن اضراره فى ارادته (شيأو) انما يضرون أنفسهم فى الدارين اذ (لهم عذاب أليم) بذهاب أمانهم وظهور دين أعدائهم وشوكتهم فى الدنيا ورؤية درجات أعدائهم وشدة عذاب أنفسهم فى الآخرة ونقصهم مجبور بما لا ينحصر الى يوم القيامة ولو قيل كيف يكون للمرتدين العذاب الاليم فى الدارين وقد أملى لهم فقال عزوجل (ولا يحسبن الذين كفروا) من المرتدين وغيرهم (انما نملى لهم) أى أن املاءنا لهم (خير لانفسهم) بل هو سبب مزيد عذابهم لانه (انما نملى لهم ليزدادوا اثما) فيزدادوا عذابا فكأنه نفس العذاب بل زيادة فيه وقد يحترز من عذابهم أسم بالاثم مهانون (و) ان لم يبالوا به فى الدنيا لكن يبالون له فى الآخرة اذ (لهم عذاب مهين) فى أسفل دركات النار ثم أشار الى أن هزيمة المؤمنين ليس من اهانتهم حتى يكون عذابا مهينا لهم بل بسبب كمالهم اذ تميزوا بها عن المنافقين فقال (ما كان الله ليذر) أى ليترك (المؤمنين على ما أنتم عليه) من الالتباس بالمنافقين بل لا يزال يبتليكم (حتى يميز) المنافق (الخبيث من) المؤمن (الطيب و) لا يميز الا بهذا الابتلاء لانه (ما كان الله ليطلعكم) على ما فى قلوب الخلق من الايمان والكفر لانه اطلاع (على الغيب) اذ به يصير الكل مجتبى (ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء) باطلاعه عليه ليدل على اجتبائه ليقتدى به غيره (فآمنوا بالله) الذى يميز بينهما فى الدنيا ليدل على تميزه بينهما فى الآخرة (ورسله) الذى اجتباهم للاقتداء بهم فى الاعتقادات والاعمال (و) ليس ذلك على سبيل العبث بل (ان تؤمنوا) فتصححوا الاعتقادات (وتتقوا) فتصلحوا الاعمال (فلكم) لا ينتفع غيركم به (أجر عظيم) كفى به تميزا عن المنافقين لو لم يكن لهم مع فواته عذاب عظيم ثم أشار الى أن حسبان الكفار املاءهم خيرا كحسبان البخلاء ابقاء اموالهم خيرا من انفاقها فى سبيل الله فقال (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله) لينفقوا فى سبيله اذ جعله (من فضله) زائدا على قدر حاجاتهم (هو خيرا لهم) ينتفعون به فى المستقبل وأولادهم من بعدهم (بل هو) وان انتفع به أولادهم (شر لهم) لا يوازيه خيره لو حصل لانه (سيطوقون ما بخلوا به) أى يلزمون وبال ما بخلوا به لزوم الطوق بل يصور مالهم بصور

شرابا) بردا أى نوما ويقال فى مثل منع البرد البرد أى أصابنى من البرد ما منعنى من النوم (قوله تعالى) أى الآمن البلد الامين) يعنى مكة وكان آمنا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغار عليه (برية) خلق مأخوذ من برأ الله الخلق أى خلقهم فترك همزها ومنهم من يجعلها من البرى وهو التراب لخلق آدم عليه

شجاع

شجاع يجعل فى أعناقهم (يوم القيامة و) هبهم وان لم ينفقوه فى سبيل الله فهو راجع اليه اذ (لله ميراث السموات والارض) أى يصير أملاك أهلهما بعد فنائهم الى خالص ملكه كما يصير مال المورث ملك الوارث وكذلك يرث حياتهم وان لم يقتلوا فى سبيل الله ثم ان له أن يتلفه عليهم أو على أولادهم لانه مقتضى أفعالهم (والله بما تعملون خبير) وانما رأوا البخل خيرا لانهم رأوا الانفاق اتلافا بلا عوض لكنه تضعيف كما قال عز وجل من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة ولما سمعت اليهود ذلك قالوا ان الله فقير يستقرض منا فقال عز وجل (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) استهزاء بكلامه بحمله على خلاف مراده لانه أراد أنه ليس باتلاف بل هو تعويض كتعويض المستقرض فحملوه على الاستقراض للحاجة مع أنه لا دلالة للفظ لاستقراض عليه لكنه لما كثر وقوعه للحاجة صار كالمدلول الالتزامى له عرفا (سنكتب ما قالوا) بطريق الاستهزاء بكلامه الهاتك حرمته وحرمة المتكلم بحيث تبطل الهيته أو تكلمه به وهو فى معنى القتل لذلك عقبه بقوله (وقتلهم الانبياء) مع علمهم أنه (بغير حق) كما أن هذا التأويل أيضا بغير حق (و) انما نكتب ذلك ليكون حجة لنا فى تعذيبهم اذ (نقول) لهم (ذوقوا عذاب الحريق) أى أدركوه ادراك اللسان بالذوق للمطعومات بوصول أثرها الى باطنها فاذا انسبوا ذلك الى الظلم قيل لهم (ذلك بما قدمت أيديكم) من هتككم حرمة الله وحرمة كلامه وأنبيائه المبلغين له وأى ظلم أشد من ذلك فلا تنسبوا اليه المبالغة فى الظلم بل ثبت أنكم المبالغون فيه (وأن الله ليس بظلام للعبيد) ولو قالوا ما بالغنا فى الظلم بقتل الانبياء بغير حق بل انما قتلنا الكذابين أجيبوا بأنكم اعترفتم بكونهم أنبياء لانكم (الذين قالوا) فى الاعتذار عن ترك الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول) أى لمدعى الرسالة وان جاء بمعجزات قاهرة (حتى يأتينا) بهذه المعجزة المعينة (بقربان تأكله النار) النازلة من السماء عليه (قل) مقتضى هذا القول بعد تساوى المعجزات فى الدلالة على صدق من ظهرت على يديه صدق كل من جاء بهذه المعجزات سواء أتى بمعجزات أخر معها أم لا لكن (قد جاءكم رسل) كثيرون (من قبلى بالبينات) القاهرة (وبالذى قلتم) فيكذب قومهم فلو لم تكذبوهم (فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) فى أنا ما قتلنا الا الكذابين وأنا انما كذبنا محمدا لعدم اتيانه بهذه المعجزات المعينة (فان كذبوك) بعد بطلان عذرهم المذكور (فقد كذب رسل من قبلك) من غير عذر فى التكذيب لانهم (جاؤا بالبينات) أى المعجزات الفعلية (والزبر) معرفة كتب الانبياء السابقين عليهم من غير تعلم بشرى (والكتاب المنير) أى المزيل شبهات أهل الكتب السابقة ولو قيل ان كان الله مضاعفا للقرض أضعافا كثيرة فانا لا نجدها مع كثرتها أجيب بأنكم انما لا تجدونها لانها مما لا تنقطع عن غاية كثرتها والامور الدنيوية منقطعة اذ (كل نفس ذائقة الموت) فلو حصل لكم فيها بعض الاضعاف فلا يوفى فيها (وانما توفون أجوركم يوم القيامة) على أن الاجور انما تتم بالابعاد

السلام من التراب
(باب الباء المضمومة)
(بكم) خرس (قوله برهانكم) أى حجتكم يقال قد برهن قوله بينه بحجة (بهت الذى كفر) وبهت أيضا انقطع وذهبت حجته (قوله تعالى بروج مشيدة) حصون مطولة واحدها برج وبروج السماء منازل الشمس والقمر وهى اثنا عشر برجا (قوله تعالى بورا) هلكى (قوله

من النار وادخال الجنة بل ذلك جميع الاجر (فمن زحزح) أى أبعد (عن النار) التى هى مجمع الآفات والشرور (وأدخل الجنة) الجامعة اللذات والسرور (فقد فاز) بكل هبة سنية ونعمة هنية ثم ان الاضعاف لو تمت فى الدنيا لكانت سبب مزيد الغرور المتضمن ضرر الآخرة كيف (وما الحيوة الدنيا) وان خلت عن تلك الاضعاف (الامتاع الغرور) ولدفع الغرور (لتبلون فى أموالكم) باذهابها (وأنفسكم) باماتتها وقتلها (ولتسمعن) عند الابتلاء فى الاموال والانفس (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) وان كان حقهم ان يبينوا ان الابتلاء لدفع الغرور ولكنهم ساووا المشركين اذ تسمعون منهم (ومن الذين أشركوا أذى كثيرا) بأن دينكم لو كان حقا لما ذهبت أموالكم ولا قتلت أنفسكم (وان تصبروا) عند الابتلاء وسماع الاذيات (وتتقوا) ترك الدين عند ذلك (فان ذلك من عزم الامور) أى من الامور التى جزم الله بالامر بها ثم أشار الى ان أذى أهل الكتاب أعظم من أذى المشركين لانهم يغيرون ما فى كتابهم وقد منعوا كتمانه فضلا عن التغيير فقال (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه) أى الكتاب (للناس) وان لم يسألوهم (ولا يكتمونه) ان سألوهم (فنبذوه) أى الميثاق (وراء ظهورهم) لا ينظرون اليه البتة بل غيروه (واشتروا به) أى استبدلوا به (ثمنا قليلا) من الرشا الذى هو سبب العذاب الخالد (فبئس ما يشترون) بتغيير كلام الله ونبذ ميثاقه وراء ظهورهم ثم أشار الى انهم لا يرون قبح ذلك بل يفرحون به فقال (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا) من اشتراء الثمن القليل بتغيير كلام الله انه سبب فرح بل هو سبب حزن كيف (و) لا يحبون ظهوره لانه يوجب الذم بل (يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) من وفاء الميثاق من غير تغيير ولا كتمان فلا تحسبن انه يدوم حمدهم بل يظهر شرهم فيذمون فان لم يظهر (فلا تحسبنهم بمفازة) أى بنجاة (من العذاب و) لا ينتفعون بفرحهم وحمدهم فى الدنيا حين يكون (لهم عذاب أليم و) لا مانع منه اذ (لله ملك السموات والارض) فله تسليط ما يشاء منهما عليهم لتعذيبهم (و) له ان يعذبهم بغير تسليط شئ اذ (الله على كل شئ قدير) ثم استدل على قدرته على الاشياء ابتداء وحكمته فى ترتيب الاشياء على أسبابها وعلى ان للاعمال آثارا توجب الجزاء فقال (ان فى خلق) أى ايجاد (السموات والارض) ابتداء من غير سبب (واختلاف الليل والنهار) مسببين عن حركات الكواكب بتبعية حركات الافلاك وافادتهما الاظلام والاضاءة (لآيات) على القدرة والحكمة وآثار الاعمال (لاولى الالباب) أهل البواطن بالتزكية والتصفية بملازمة الذكر اذهم (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) فلا يخلو حال من أحوالهم عن ذكر الله المفيد صفاء الظاهر المؤثر فى تصفية الباطن ولم يمنعهم القعود ولا الاضطجاع عن خدمة الله وان منعا خدام الملوك عن خدمتهم (و) يعينهم فى ذلك انهم (يتفكرون) أولا (فى) حكم (خلق السموات) اذ جعلها متحركة تختلف بها أوضاع كواكبها صعودا وهبوطا واستقامة ورجوعا (والارض) اذ جعل فيها عناصر قابلة للكون

والفساد

عزوجل بكيا) جمع باك وأصله بكويا على فعول فادغمت الواو فى الياء فصارت بكيا (قوله عزوجل بدن) جمع بدنة وهى ما جعل فى الاضحى للنحر والنذر واشباه ذلك فاذا كانت للنحر على كل حال فهى جزور (قوله عزوجل بشرى) وبشارة اخبار بما يسر (قوله بست الجبال بسا) فتتت حتى صارت كالدقيق والسويق المبسوس أى المبلول

والفساد لتكوين المعادن والنباتات والحيوانات والانسان من آثار الاوضاع السماوية مع ما فيها من أنواع الحكم فيقولون (ربنا ما خلقت هذا باطلا) اى خاليا عن الحكمة (سبحانك) من ان تراعى الحكمة فى اجزاء العالم ولا تراعيها فى الانسان فقد خلقت فيه الصعود والهبوط والاستقامة والرجوع وجعلت لروحه وقلبه ونفسه من أعماله هيئات مختلفة وآثارا متنوعة وجعلت بيديه ما يستكمل به الحكمة فيستوجب الثواب أو يقطعها فيستوجب العقاب ونحن مقصرون فى استكمالها (فقنا) بفضلك (عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته) بابطال انسانيته اذ جعلته شرا من البهائم والنباتات والجمادات وليس ذلك منك ابتداء بل من ظلمنا (وما للظالمين من أنصار) فلا ينصرهم برد انسانيتهم تربيتك ولا رحمتك ولا عفوك فضلا عما سواك (ربنا اننا) ليس تقصيرنا من جهلنا بل علمنا الحكمة من جهتك اذ (سمعنا مناديا) أى داعيا اليها وهو الرسول (ينادى للايمان) الذى هو رأس الحكمة يأمرنا (أن آمنوا بربكم) الذى يربيكم بتكميل انسانيتكم بالايمان واعماله (فآمنا) طلبا للتربية به وبالاعمال (ربنا) ولكن صعب علينا الوفاء بمقتضى الايمان من اتيان الاعمال الصالحة واجتناب المعاصى والمكاره (فاغفر لنا ذنوبنا) فلا تفضحنا بها (وكفر) أى امح (عنا سيآتنا) أى المكاره فلا تعاقبنا عليها ولا تجعلها سبب المعاصى ولا تجعل المعاصى سبب الكفر (وتوفنا مع الابرار) ثم قالوا (ربنا) انا وان لم نستوجب على الايمان والاعمال شيأ من الثواب اذ يكفى فى الايمان النجاة عن العذاب الخالد وفى الاعمال كونها شكر النعم السابقة (و) لكن (آتنا ما وعدتنا على) ألسنة (رسلك ولا تخزنا) بافساد ايماننا واعمالنا بحيث لا نستحق عليه الموعود من الثواب بل يلحقنا وعيد العقاب (يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد) أى ميعاد الثواب والعقاب ولما دعوا الله تعالى عن كمال المعرفة والتزكية استحقوا الاجابة (فاستجاب لهم ربهم) جميع دعواتهم بكلمة واحدة وهى (أنى لا أضيع عمل عامل منكم) لاستلزام الوفاة على الايمان وتكفير السيآت واعطاء الموعود وأشار الى انه كيف يضيعه مع انه يلحق الناقص بالكامل حتى يسوى بين كل عامل (من ذكر أو أنثى) لسريان النور من الكاملين الى الناقصين اذ (بعضكم من بعض) فى اتمام الاجر وان كان الكامل يعطى من الفضل ما لا يعطى الناقص ثم أعمال الناقصين ان لم تكن مكفرة بأنفسها فاعمال الكاملين لابد ان تكون مكفرة بأنفسها (فالذين هاجروا) لتكميل ايمانهم فانهم (و) ان (أخرجوا من ديارهم) فاخراجهم لما كان سبب ايمانهم واختاروه كانت هجرتهم اختيارية (و) لو لم تكن اختيارية فلا شك انهم (أوذوا فى سبيلى) فتحملهم الاذى دليل كمال ايمانهم (و) قد زادوا على تحمله اذ (قاتلوا) لو كان قتالهم لدفع الاذى فقد وقع عليهم أعظم وجوهه اذ (قتلوا) فهذا كله دليل كمال الايمان المكفر اعمال صاحبه للسيآت لذلك (لأكفرن عنهم سيآتهم) فتستنير قلوبهم بحيث يسرى منها النور الى قلوب الناقصين (و) لو لم يكمل هذا النور فلا شك ان نور الاعمال يكمل

* وقال لص من غطفان وأراد ان يخبز فخاف ان يعجل عن الخبز فبل الدقيق وأكله عجينا فقال * لا تخبزا خبزا وبسا بسا *

(قوله عز وجل بنيان مرصوص) أى لاصق بعضه ببعض لا يغادر منه شيأ

(قوله عز وجل بعثرت) أى القبور بحثرت وأثيرت وأخرج ما فيها

(باب الباء المكسورة)

(قوله عز وجل بسم الله) اختصار المعنى أبدأ بسم

فيهم لذلك (لأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار) اذ صارت قلوبهم بأعمالهم بساتين
الاحوال والمقامات تجرى من تحتها أنهار المعارف فلا بد وان تجرى منها أنهار الانوار الى
قلوب اتباعهم كيف ولا يكون بقدر الاعمال اذ يكون (ثوابا من عند الله) فيعظم بقدر
عظمته وكيف لا يكون لثوابه نور (والله عنده حسن الثواب) ولكل حسن نور ولو قال قائل
لو كانت الحكمة فى خلق السموات والارض الدلالات الداعية الى الايمان والتقوى لكان
كل من كفر فى أسوأ الاحوال لابطاله الحكمة وكل من آمن فى أحسنها لاتمامه الحكمة
لكن كثيرا ما نرى الامر بالعكس يقال له (لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد) بالتصرف
فيها والاستيلاء عليها فانه ليس من محاسن الاحوال فى حقهم بل هو مكر عليهم اذ هو (متاع
قليل) يترتب عليه الاستقرار بجهنم اذ يتمتعون أيام الحياة (ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد)
وقد أفضى اليه متاعهم فبئس المتاع وما نرى من سوء حال المؤمنين فليس بسوء فى الحقيقة
اذ لم يترتب على معاصيهم (لكن الذين اتقوا ربهم) يصيبهم السوء ليكمل جزاؤهم على صبرهم
اذ (لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله) واذا كان هذا نزلا فلهم
درجات فوق ذلك بمجرد التقوى (وما عند الله خير للابرار) العاملين مع التقوى ومن أعمال
البر الصبر فالهم عليه درجات كثيرة وسببه الابتلاء فليس بسوء بالحقيقة ولو قيل لو كانت
الحكمة الدلالات الداعية الى الايمان الذى يدعون اليه لكان أهل الكتاب أولى بها قيل
انما يكون أولى بها من رجح جانب الله على جانب هواه لا بالعكس (وان من أهل الكتاب لمن
يؤمن بالله) فيرجح جانبه على هواه (و) لذلك يصدق (ما أنزل اليكم و) ليس ذلك منه كفرا
بكتابه بل يصدق أيضا (ما أنزل اليهم) ويدل على اخلاصهم كونهم (خاشعين لله) وانما
خالفوا سائر أهل الكتاب لانهم يرجحون جانب الرشوة وهؤلاء (لا يشترون بآيات الله ثمنا
قليلا) ولا يضرهم ترك ذلك الثمن اذ (أولئك لهم) بدله (أجرهم) الكامل (عند
ربهم) على الايمان بالله وبالمنزل عليهم وعليكم وبالخشوع وترك الثمن القليل ولا يتأخر
أجرهم الى مدة مديدة يؤثر لاجله الرشا الحالة لان الله يسرع حسابهم لايصال اجورهم
سريعا (ان الله سريع الحساب) ثم قال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم الوقوف
على حقائق الاشياء على ما هى عليه ولا يحصل بتقليد العلماء وان سبقوا وبلغوا ما بلغوا
لاختلافهم ولذلك يحتاج الى التفكر والمناظرة والنظر فى شرائط الاستدلال بحيث يرتبط
المدلول بدليله وترك التعصب والتمسك بالشبهات لذلك (اصبروا) فى التفكر (وصابروا)
فى المناظرة (ورابطوا) المدلولات بالدلائل (واتقوا الله) أن تتعصبوا أو تتمسكوا بالشبهات
(لعلكم تفلحون) بالاطلاع على حقائق الاشياء * ثم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة النساء)

سميت بها لان ما نزل منها فى أحكامهن أكثر مما نزل فى غيرها (بسم الله) المتجلى بجمعيته فى

النفس

الله وبدأت باسم الله ٣ حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه كقوله تعالى واسئل القرية أى أهل القرية ويجوز أن يسمى الفاعل والمفعول بالمصدر كقولك رجل عدل ورضا فرضا فى موضع مرضى وعدل فى موضع عادل فعلى هذا يجوز أن يكون البر فى موضع البار (قوله عز وجل بطانة من دونكم) أى دخلاء من

٣ قوله فى الهامش حذف المضاف الخ هكذا فى الاصل الذى بأيدينا ولعله سقط بعد قوله باسم الله (قوله عز وجل البر من اتقى) أى البر بر من اتقى فحذف الخ

النفس الواحدة (الرحمن) بخلق زوجها منها وبث الرجال والنساء منهما لعمارة العالم
(الرحيم) بما أمر من التقوى فى رعاية حقوقه وحقوق خلقه (يا أيها الناس) أى يامن نسى
التقوى التى هى حق الربوبية والتربية سيما فى الاموال التى رباكم بها سيما اذا قطعتم
الارحام (اتقوا ربكم) الذى رباكم بالتمدن وهو الاجتماع مع ابناء الجنس اذ هو (الذى)
أوجد فيكم مايوجب الائتلاف بينكم على أكمل الوجوه اذ جعلكم راجعين الى أصل
واحد اذ (خلقكم من نفس واحدة) هى آدم (و) لا ينافيه احتياجكم الى الابوين لانه
(خلق منها) من ضلعها الايسر بعد انتزاعها منه فى النوم (زوجها) لذلك كان فيها اعوجاج
وضعف وميل الجزء الى كله لذلك غلبت شهوتها وفيه ميل اليها ميل الكل الى جزئه (وبث)
أى نشر (منهما رجالا كثيرا ونساء) ثم من الرجال والنساء رجالا آخرين ونساء أخر وهلم
جرا الى يوم القيامة ولم يصف النساء بالكثرة لدلالة كثرة الرجال على كثرتهن لامتناع
مشاركة رجلين فى امرأة مع جواز اشتراك امرأتين فى رجل واحد ووجه الاتقاء فى ذلك
ان من قدر على اخراج أفراد غير محصورة من أمر واحد يقدر على اخراج معان غير محصورة
من فعل واحد منها مايدل على الكمال والاستقامة ومنها مايدل على الاعوجاج والنقص
ثم أشار الى انه لو لم يتق من جهة التربية لانها جهة اللطف فلابد ان يتقى من جهة الالهية فقال
(واتقوا الله) لكمال حكمته وقدرته وعظمته التى تقررت بقلوبكم اذ هو (الذى تساءلون)
أى يسأل (به) بعضكم بعضا وبالارحام فيقول أنشدك بالله (والارحام) اذ تقررت عظمتها
أيضا هذا على قراءة الجر بحذف المعطوف من الاصل والمعطوف عليه من الفرع وعلى
قراءة النصب واتقوا الارحام ان تقطعوها وليس التخويف من قطيعتها بالتخوف من لوم
الخلق فقط بل من الله تعالى أيضا (ان الله كان عليكم رقيبا) ينظر هل تقطعون الرحم
الذى جعله من الرحمن أم لا ثم أشار الى ان أجل مايؤمر فيه بتقوى الله على قطيعة الرحم
أموال اليتامى الذين لايخاف من دعاويهم وتشنيعاتهم فقال (وآتوا اليتامى) جمع يتيم
صغير مات أبوه من اليتم وهو الانفراد (أموالهم) بابقاء نفقتهم وكسوتهم فى الصغر ورد
مابقى عند البلوغ (ولا تتبدلوا) بأن تعطوا (الخبيث) الردى من أموالكم (بالطيب) الجيد
من أموالهم (ولا تأكلوا أموالهم) بضمها (الى أموالكم) للتوسعة (انه كان حوبا) أى
ذنبا يوجب ضيقا فى الآخرة (كبيرا) لايوازى الضيق الدنيوى (وان خفتم
ألا تقسطوا) أى ان لا تعدلوا (فى اليتامى) لكثرة عيالكم المحوجة الى أخذ شئ من أموالهم
فلا تكثروا النكاح (فانكحوا ماطاب لكم) أى لنفوسكم من جهة الجمال او الحسب أو العقل
أو الصلاح (من النساء) مقتسمين على سبيل الحصر فى هذه الاقسام (مثنى وثلاث ورباع)
أى ثنتين ثنتين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ذكر المكرر لئلا يكون كتقسيم الالف على
درهمين ولم يذكر أو لئلا يدل على ان الكل مخير فى أحد الاقسام بحيث اذا اختار واحدا منها
تعين على الجميع الاخذ به وفهم من الحصر فى الاقسام انه لا يجوز جمع خمسة هذا اذا لم تخافوا

غيركم وبطانة الرجل
ودخلاؤه أهل سره ممن
يسكن اليه ويثق بمودته
(قوله عزوجل بضاعة) أى
قطعة من المال يتجر فيها
(بضع سنين) البضع مابين
الثلاث الى التسع (قوله
بدارا) أى مبادرة (قوله عز
وجل بيع) جمع بيعة
للنصارى (قوله عزوجل
بغاء) زنا كقوله عزوجل
ولا تكرهوا فتياتكم على
البغاء أى على الزنا (قوله

الجور (فان خفتم الا تعدلوا) فى حقوق الايتام أو النساء لعدم الفة القناعة (فواحدة) أى فاختار والنكاح واحدة (أو) للتسرى (ما ملكت أيمانكم) لقلة مؤنتهن وليس هذا مشروطا بالخوف بحيث لولاه وجبت الزيادة لان الغرض منع الزيادة عنده لا وجوبها عند عدمه (ذلك) العدد من الازواج للقانع أو الاقتصار على واحدة أو على التسرى (أدنى ألا تعولوا) أى أقرب من ان لا تكثر عيالكم فيمكن معه القناعة بحيث لا يضطر الى الجور فى أموال اليتامى (وآتوا النساء صدقاتهن) أى مهورهن فانهن كالايتام (نحلة) أى عطاء غير مسترد بحيلة تلجئهن الى الرد (فان طبن) أى رضين (لكم) أى لجلب مودتكم بالعفو (عن شئ منه نفسا) لا لحياء عرض لهن منكم أو من غيركم (فكلوه هنيئا) سائغا (مريئا) محمود العاقبة وكانوا يتأثمون من ذلك لما توهموا انه أخذ البضع بلا عوض وقد أسقطنه بعد ما لكهن اياه ولا تأثم فى اسقاطهن من قلة عقلهن كالايتام لانهن كالرجال فى التصرفات والتبرعات (و) المال المعطى عن رضا النفس وان كان حلالا للمعطى له (لا تؤتوا السفهاء) من أزواجكم وأولادكم وغيرهما (أموالكم) مخافة ان ينفقوها فى معاصى الله مع انها (التى جعل الله لكم قياما) أى سبب استطاعة على طاعته (و) لكن (ارزقوهم) أى اطعموهم بقدر الحاجة (فيها واكسوهم) بما يليق بهم (وقولوا لهم قولا معروفا) مثل ان تقولوا ان الذى عندى هو مالكم احفظه عليكم اذا رأيت رشدكم أعطيتكم (و) كيف تعطونهم أموالكم وتدق بل لكم انكم اذا أردتم أداء أموال اليتامى اليهم (ابتلوا) أى اختبروا (اليتامى) بأن تكلوا اليهم مقدمات العقد قبل البلوغ (حتى اذا بلغوا النكاح) أى صاروا بالغين بالاحتلام أو استكمال خمس عشرة سنة (فان آنستم) أى أبصرتم (منهم رشدا) أى صلاحا فى الدين واهتداء الى حفظ المال (فادفعوا اليهم أموالهم) بلا مطل (و) اذا منعتم ان تدفعوا اليهم أموالهم قبل الاختبار مخافة أكلهم اسرافا فبالاولى أن (لا تأكلوها اسرافا و) لا تبادروا بأكلها (بدارا) كراهة (أن يكبروا) فيأخذوا أموالهم (و) أما الاكل بغير اسراف ففيه تفصيل (من كان غنيا فليستعفف) عن أكلها بالكلية (ومن كان فقيرا) يمنعه اشتغاله بمال اليتيم عن الكسب واهماله يفضى الى تلفه عليه (فليأكل بالمعروف) بقدر حاجته وأجرة سعيه ثم اشار الى انه كما لا تتلفونها عليهم لا تتلفونها على أنفسكم بترك الاشهاد فقال (فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم) اذ لا تصدقون فى الدفع اليهم بعد البلوغ وان صدقتم فى دفع قدر النفقة قبله ثم انكم (و) ان حاسبتموهم وأخذتم أقاريرهم لا يكفيكم عند الله بل (كفى بالله حسيبا) ثم أشار الى أن السفهاء وان لم تدفع اليهم أموالهم فلهم نصيب من التركة اذ يستوى فى الارث الكامل والناقص اذ (للرجال نصيب مما ترك الوالدان) وان لم يناسبوا الوالدة اذ ليس بالمناسبة بل بالقرابة (و) لذلك يكون لهم نصيب مما ترك (الاقربون) والقرابة كما توجد فى الكامل توجد فى الناقص (و) لذلك يكون (للنساء نصيب مما ترك الوالدان) وان قصرن عن مناسبة الوالد كيف (و) لا يمنع نقصهما ان ترث مما ترك (الاقربون) وليس

لجل

عز وجل بدعا من الرسل) أى بدأ أى ما كنت أول من بعث من الرسل قد كان قبلى رسل

(باب التاء المفتوحة)

(قوله عز وجل تلقى آدم من ربه كلمات) أى قبل وأخذ (قوله عز وجل تواب) أى انه يتوب على العباد والتواب من الناس التائب (قوله عز وجل تجزى) أى تقضى وتغنى كقوله لا تجزى نفس عن

لحل الثكل ونكاية العدو وان كانا كذلك باب المال لذلك لانه انما يتصور في المال الكثير
وههنا لا عبرة بالكثرة بل (مما قل منه أو كثر) على انه لو كان كذلك لكان بمقدار ما يحتاج اليه في
ذلك المعنى لكن ليس كذلك بل يؤخذ (نصيبا مفروضا) روى انه أتت امرأة أوس بن
الصامت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته وأخذ ابنا عمه سويد وعرفجة جميع ماله
فقالت مات زوجي وترك مالا حسنا وله ثلاث بنات وأنا امرأته ليس عندي ما اطعمهن
وأكسوهن فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يارسول الله لا يركبن فرسا ولا ينكين
عدوا ولا يحملن كلا فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال لهما لا تفرقا شيأ من ماله فان الله جعل
لهن ولم يبين حتى أنظر فأنزل الله تعالى يوصيكم الله الى آخره فأرسل اليهما فأعطى الزوجة
الثمن والبنات الثلثين والباقي لهما وانما أجمل أولا لانه أراد اثبات ما نفوه وانما قال نصيبا
مفروضا لئلا يهمل باطلاقه ولم يقل للرجال والنساء نصيب لئلا يتوهم انهن انما يرثن مع
الرجال لا منفردات ثم أشار الى انه وان كان لهما نصيب مفروض فللمريض ان ينقص
منه بالوصية بل يندب له ذلك سيما في حق الحاضرين سيما أولى القربى فقال (واذا حضر
القسمة) أي وقت قريبا (أولوا القربى) الذين لا ارث لهم قدمهم لان اعطاءهم صدقة
وصلة (واليتامى) الضعفاء بفقد الآباء (والمساكين) الضعفاء بفقد ما يكفيهم من المال
(فارزقوهم منه) أي اعطوهم بعضه وحمل على أقل من النصف لئلا يساووا من عظم فرضه
فيكون كأنه قطع نصيبه بالكلية (وقولوا لهم قولا معروفا) مثل استقلال اعطائكم
لهم والدعاء لهم وترك المن عليهم (وليخش الذين) حضروا المريض ان يقولوا له ما يبطل
حقوق الورثة وان كانوا أقرباء في أنفسهم أجانب للحاضرين وليس للحاضرين أولاد أو اهم
أولاد أقوياء فليفرضوا انهم (لو) ماتوا و (تركوا من خلفهم ذرية ضعافا) هل (خافوا
عليهم) الضياع أم لا فليفرضوا مثل ذلك في ورثة المريض فان لم يتقوا أحدا من الورثة لومة
أوشتمة (فليتقوا الله) ليس هذا منعا عن قول الخير بل (ليقولوا قولا سديدا) لا يبطل
الحقوق فلا يمنع الوصية ولا يأمر بتضييع الوصية الورثة واذا منع المريض من
التصرف في ماله لحق الورثة ولو أقوياء والحاضرون من أمره بالتضييع فالآكلون أولى
بذلك (ان الذين يأكلون) من الحكام أو الاوصياء أو الورثة (أموال اليتامى ظلما) ولو
بوصية الميت على سبيل الاسراف بخلاف أكل الفقير الناظر في ماله بقدر أجرته (انما
يأكلون) ما ينقلب (في بطونهم نارا) عقلية أو خيالية يعذبون بها في قبورهم (وسيصلون)
في القيامة ظاهرا وباطنا (سعيرا) ولما حذر من الظلم في أكل أموال اليتامى أشار الى العدل
في قسمته وقدم ميراث الاولاد لانهم قائمون مقامه من بعده كأنهم عينه فقال (يوصيكم
الله) أي يأمركم ويعهد اليكم باعتبار اسمه الجامع لجمعه وجوه الحكمة البالغة (في أولادكم)
لمزيد رحمته عليهم (للذكر مثل حظ الانثيين) أي للابن مع البنتين مثل نصيبهما وللابن الابن
مع بنتي الابن مثل نصيبهما وهكذا في السافلين لانه لو كمل نصيبها مع انها قليلة العقل

نفس شيأ) أي لا تقضي ولا تغني عنها شيأ يقال جزى فلان دينه اذا قضاه وتجازى فلان دين فلان أي تقاضاه والمتجازي المتقاضي (قوله عز وجل تلبسون) أي تخلطون (قوله عز وجل تعثوا) العثو والعيث أشد الفساد (قوله عز وجل تعقلون) العاقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها ومن هذا قولهم

كثيرة الشهوة لا تلفته في الشهوات اسرافا ولانها قد تنفق على نفسها وهو على نفسه وزوجته ولم يقل للذكر ضعف نصيب الانثى لان الضعف يصدق على المثلين فصاعدا فلا يكون نصا ولم يقل للانثيين مثل حظ الذكر ولا للانثى نصف حظ الذكر تقديما للذكر ولم يقل للذكر مثلا نصيب الانثى لان المثل في المقدار لا بتعدد الاشخاص ولم يعتبر ههنا هذا اذا كانوا ذكورا وانا ثا وان كان ذكرا أخذ الكل لانه ضعف نصيب البنت الواحدة المنفردة وهو النصف (فان كن نساء) محضة فانهن وان كن (فوق اثنتين) لا يحزن الكل رعاية للنقص الذاتي (فلهن ثلثا ما ترك) فكأنما أخذ الواحدة الثلث مع أخيها تأخذه مع أختها وليس دون الاخوات في القرابة وقد جعل الثلثين لاثنتين منهن فالبنتان أولى (وان كانت واحدة) فلا يكون لها الثلث فيكون نصيبها بلا شريك كنصيبها معه (فلها النصف) أى نصف ما ترك ولم يكمل لها لانها ناقصة ولذلك لم يجعل لها الثلثان اللذان هما نصيب الابن معها وذكر بعد ميراث الاولاد ميراث الوالدين لانهم مثلهم في الجزئية فقال (ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد) لانه ان كان ابنا أخذ نصيب الاب لتقدمه في العصوبة التي هي أصل الاب فشارك الاب الام في الثلث الذي لها في الاصل وان كانت بنتا قدمت بنصفها وأخذ الاب السدس بالعصوبة وشارك الام في ثلثها لئلا ينحط الذكر عن درجة الانثى (فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث) والباقي للاب للذكر مثل حظ الانثيين لكن قرر لها الثلث تنزيلا لها منزلة البنت مع الابن لا منفردة حطا لها عن درجتها لقيام البنت مقام الميت في الجملة هذا اذا انفردت الام عن كثرة الاخوة والاخوات (فان كان له) معها (اخوة) أو اخوات متعددة (فلامه السدس) لان الواحد منها اذا كان من جهة الام أخذ السدس فاذا تعددوا شاركوا الام في ثلثها مع ذلك ولو كانوا من جهة الاب أو الابوين فهم اولى بالنقص من حقها والفروض المذكورة انما يعطى أصحابها (من بعد وصية) لا رجوع عنها بل (يوصي بها أو دين) لانه يقدم على الوصية فكيف لا يقدم على الفروض ثم أشار الى أن ترتيب الورثة لم يفوض الى رأيكم لتعطوا من رأيتموه أنفع لكم فقال (آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون) في أغلب الاحوال (أيهم أقرب لكم نفعا) فاعتبرت قوة القرابة فصارت (فريضة من الله) بمقتضى علمه بالمراتب وحكمته في الترتيب (ان الله كان عليما حكيما) ولما فرغ عن ميراث النسب المتحقق فيه الجزئية شرع في ميراث السبب وقدمه على النسب الذي لا جزئية فيه لانها بالواسطة فقال (ولكم نصف ما ترك أزواجكم) جعل ارث السبب نصف ارث النسب (ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن) جعله شريكا في نصيب ذي السبب لانه في الاصل حائز فيكمل نصيبه بتشريكه وهذا أيضا مع نقصان النصيب (من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم) ليكون للانثى نصف حظ الذكر (ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم) تشريكا للولد في نصف نصيبهن مع قلته وهذا أيضا مع غاية قلته (من

بعد

اعتقل لسان فلان اذا حبس ومنع من الكلام (قوله تسفكون) أى تصبون (قوله عز وجل تظاهرون عليهم) أى تعاونون عليهم (قوله تهوى أنفسكم) أى تميل ومنه قوله أفرأيت من اتخذ الهه هواه أى ما تميل اليه نفسه وكذلك الهوى في المحبة وهو ميل النفس الى ما تحبه (قوله تشابهت قلوبهم) أى أشبه بعضها

بعد وصية توصون بها أو دين) ولما فرغ عن ميراث من ورث بنفسه شرع فى ميراث من ورث بالواسطة فقال (وان كان رجل يورث كلالة) اى من غير جهة الاب والفرع (أو امرأة) تورث كذلك صرح بها اشعارا بأنه كما يستوى منه بالنظر الى المأخوذ منه يستوى منه بالنظر الى الآخذ لان جهة الآخذ جهة الانثى فلو رجح الاخ بذكورته رجحت الانثى بمزيد المناسبة (وله أخ) من الام (أو أخت) من الام (فلكل واحد منهما السدس) الذى هو أقل نصيب الام الذى أخذها بواسطتها (فان كانوا) اى اولاد الام (أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث) الذى هو أعظم نصيب الام وأما الاخ والاخت من الاب أو الابوين فسيأتى حكمهما فى آخر السورة وانما قل نصيبهم ههنا قال (من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار) لوارث آخر ولو بوصية الميت لكون المذكور (وصية من الله و) لا يكون الا بمقتضى علمه وحكمته اذ (الله عليم) يعلم الاشياء والحكمة التى فيها فيحكم بمقتضى الحكمة ويعاقب من يترك حكمته ولكن لا يعجل اذ هو (حليم) فلا يخالف بالرأى الفاسد ثم أشار الى ان الاحكام المذكورة لو لم تكن على مقتضى العلم والحكمة لم يجز تغييرها اذ (تلك) الاحكام (حدود الله) وأقل ما فيها ان مراعيها مطيع الله ورسوله ومغيرها عاص لهما (ومن يطع الله ورسوله) فانه وان نقص حظه الدنيوى (يدخله) بدله (جنات تجرى من تحتها الانهار) ولو حصل له حظه لم يبق عليه وهذا باق لكونهم (خالدين فيها) ولو بقى فهو حقير (وذلك الفوز العظيم) الذى لو لم يبق لوجب ايثاره على الحقير الباقى (ومن يعص الله ورسوله و) سيما (يتعد حدوده) فانه وان وجد شهوته وجاهه فى الدنيا (يدخله نارا) تحول بينه وبين ما يشتهيه لا يبقى له ما حصل ويبقى عذابه اذ يصير (خالدا فيها و) لو بقى لا يوازى عذابه شهوته وجاهه اذ (له عذاب مهين) ولما فرغ عن أحكام الموتى حسا شرع فى أحكام الموتى معنى فقال (واللاتى يأتين الفاحشة) اى الخصلة البليغة فى القبح وهى الزنا حال كونهن (من نسائكم) أيها المسلمون (فاستشهدوا عليهن) اى فاطلبوا من القاذفين لهن (أربعة منكم) أى من المسلمين (فان شهدوا فأمسكوهن) اى احبسوهن حبس الميت فى القبور (فى البيوت) ليحبسن عن الزنا (حتى يتوفاهن الموت) أى يستوفى أرواحهن ملائكة الموت (أو يجعل الله لهن سبيلا) وهو رجم المحصنة وجلدها مع تغريب عام فكان الحبس فى أول الاسلام لكثرة الزنا وافضاء الرجم الى الارتداد ثم نسخ (و) الرجلان (اللذان يأتيانها) أى الفاحشة وهى اللواطة (منكم) أيها المسلمون (فآذوهما) بالتعيير والجلد (فان تابا) قبل ايذائهما (وأصلحا) بالقرائن (فأعرضوا عنهما) بالاغماض والستر (ان الله كان توابا رحيما) وقد نسخ أيضا ثم ان الله تعالى وان كان توابا رحيما فلم يلتزم قبول كل توبة بل (انما التوبة) التى يكاد قبولها يجب (على الله) هى الحاصلة (للذين يعملون السوء) فاحشة أو غيرها (بجهالة) بضررها ولو اعتمادا على كرم ربه وعفوه (ثم) لا يصرون عليه بل (يتوبون من قريب) قبل ان يصير رينا على قلوبهم (فأولئك) وان كثرت سيئاتهم وعادوا الى المعاصى والتوبة (يتوب الله عليهم) فى كل مرة لعلمه بأنه أتى بذنب بجهالة دعته الى ترجيح

قوضا فى الكفر والقسوة (قوله تصريف الرياح) أى تحويلها من حال الى حال جنوبا وشمالا ودبورا وصبا وسائر أجناسها (قوله تعالى تهلكة) أى هلاك (قوله تعالى تختانون أنفسكم) تفتعلون من الخيانة (قوله عز وجل تربص أربعة أشهر) أى تمكث أربعة أشهر (قوله تعضلوهن) أى تمنعوهن من التزوج وأصله من عضلت

هواه على عقله واقتضاء حكمته قبول عذر من صدق في اعتذاره (وكان الله عليما حكيما) ولو لم يكن عن جهالة أو لم يتب عن قريب فهي جائزة القبول ما لم يؤخر الى وقت العجز وهو وقت حضور الموت (و) ذلك لانه (ليست التوبة) حاصلة (للذين يعملون السيئات) اى المعاصي الفرعيات ويصرون عليها (حتى اذا حضر أحدهم الموت) المعجز عن العود الى مثلها (قال انى تبت الآن) فان قبول التوبة حينئذ ممتنع بمقتضى الحكمة لكنه في المعاصي الفرعية وأما الاعتقاديات فيجوز التوبة عنها ما لم يكاشف عن عالم الآخرة بالغرغرة أو الموت فلا توبة لاهل الغرغرة (ولا الذين يموتون وهم كفار) لانهم بمجرد الموت يعاينون العذاب اذ (أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما) يصلون اليه بمجرد الموت ويكاشف لهم عنه عند الغرغرة ولو لم يكن معدا لهم لربما جاز توبتهم بعد الموت أيضا ولما فرغ عن بيان حكم الفواحش التي اعترفوا بها شرع في بيان حكم الفواحش التي لم يعترفوا بها وهي انهم كانوا اذا مات أحدهم وله عصبة ألقى ثوبه على امرأته أو خبائها فيصير أحق بها في زعمهم فيتزوجها بلا صداق لزعمهم أن صداق الميت صداقه أو يزوجها من غيره ويأخذ صداقها أو يمنعها من التزوج لتفتدي بما ورثت أو تموت هي فيرثها فقال (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء) من ميتكم أنفسها أو صداقها أو فداءها أو مالها بموتها (كرها) اى حال كونها كارهة كيف وهو تضييق على الاجنبيات (و) قد منعتم من التضييق على أزواجكم اذ قيل لكم (لا تعضلوهن) اى لا تمنعوهن عن الحقوق حتى تضيقوا عليهن (لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) في المهور والنفقات ليتخلصن به عنكم (الا أن يأتين بفاحشة) اى زنا أو نشوزا أو سوء خلق (مبينة) لا متوهمة فيحل للزوج أن يسألها الخلع ولكن بعد حسن عشرته لذلك قيل لكم (وعاشروهن بالمعروف) اى بالانصاف في الفعل والاجمال في القول حتى لا تكونوا سبب الزنا بترككهن أو سبب النشوز أو سوء الخلق فلا يحل لكم حينئذ (فان كرهتموهن) فلا تلجؤهن الى الخلع ولا تعضلوهن بل اصبروا عليهن (فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) في الدنيا والآخرة وكانوا اذا أراد أحدهم نكاح جديدة بهت امرأته بزنا أو سوء خلق أو نشوز حتى يلجئها الى الافتداء ليصرفه في تزوج الجديدة أو مهرها أو نفقتها فقال الله عز وجل (وان أردتم استبدال زوج) جديدة (مكان زوج) تطلقونها اذ يتعذر الجمع او يتعسر (وآتيتم احداهن) اى احدى نسوتكم التي تريدون تطليقها او نكاح جديدة مكانها (قنطارا) اى مالا كثيرا مركوما بعضه على بعض في مهرها او نفقتها (فلا تأخذوا منه شيأ) ليصير مهر الجديدة او نفقتها او مؤن تزوجها سيما بالبهتان عليها (أ) يحل لكم وأنتم (تأخذونه) باهتين عليها (بهتانا) لم ينشأ عن ظن (و) لكن أثمتم فيه (اثما مبينا) فكيف يحل لكم شيء اثمتم في سبب تحصيله وهو البهتان (وكيف تأخذونه وقد) تقرر اذ (أفضى) اى وصل (بعضكم الى بعض) فأخذ عوضه (و) قد (أخذن منكم) بقول العاقد زوجتكها على ما أخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف أو تسريح باحسان (ميثاقا) اى عهدا وثيقا (غليظا)

المرأة اذا نشب ولدها في بطنها او عسر ولادته ويقال اذا عضل فلان أيمه منعها من التزوج (قوله عز وجل تميلوا) اى تعمدوا (قوله عز وجل تسأموا) أى تملوا (قوله عز وجل ترتابوا) تشكوا (التوراة) معناها الضياء والنور وقال البصريون أصلها وورية فوعلة من ورى الزند وورى لغتان اذا خرجت

مؤكدا مزيد تأكيد يعسر معه نقضه كالثوب الغليظ يعسر شقه ثم أشار الى أنه انما تحل امرأة المورث طوعا اذا لم تكن امرأة أحد الاصول فقال (ولا تنكحوا) اى ولا تطؤا بنكاح اوملك يمين (ما نكح) اى وطئ باحد الوجهين (آباؤكم) اى أحد أصولكم (من النساء) وان لم يكن أمهاتكم وكذا ان لم ترثوهم لاختلاف الدين فهن محرمات عليكم (الا ما قد سلف) فانها غير محرمة عليكم بمعنى أنكم لا تؤاخذون بها وان لم تنفرد (انه كان فاحشة) اى خصلة قبيحة جدا لانه يشبه نكاح الامهات (و) لذلك كان (مقتا) اى أشد بغض عند الله وعند ذوى المروآت حتى سموا ولد الرجل من امرأة أبيه مقيتا كيف (و) قد (ساء سبيلا) اى هتك حرمة الاب ولما حرمت أزواج الاصول لما فيه من هتك حرمتهم (حرمت) بطريق الاولى (عليكم أمهاتكم) اى وطء أصولكم لانه استهانة واستهانة الاصول قبيحة (وبناتكم) اى فروعكم لانهن كالاصول فى الجزئية (وأخواتكم) من أم او أب او منهما لانهن بعض اجزاء الاصول فهتكهن هتك بعض اجزاء الاصول (وعماتكم) لانهن فروع اصل الاب فهتكهن هتك بعض اجزاء أصل الاصل (وخالاتكم) لانهن فروع أصل الام (وبنات الاخ) لانهن فروع فرع الاصل وجزء الجزء جزء فهتكهن هتك بعض اجزاء الاصل (وبنات الاخت) لذلك (وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم) لان الرضاع جزء منها وقد صار جزأ من الرضيع فصار كأنه جزؤها فأشبهت أصله (وأخواتكم من الرضاعة) لانها جزء ما أشبهت أصله فأشبهت جزء أصله وأشار بلفظ الامهات والاخوات الى اعتبار جهات قرابة المرضعة (وأمهات نسائكم) اى أصول أزواجكم لانهن أصول فروعكم تحقيقا وتقديرا فهن كاجزاء اجزائكم (وربائبكم) اى فروع أزواجكم لانهن يشبهن البنات اذهن (اللاتى فى حجوركم) كالبنات الا انه انما يتحقق الشبه اذا كن (من نسائكم اللاتى دخلتم بهن) لانهن حينئذ بنات موطوآتكم كبنات الصلب (فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) لان كونهن فى حجوركم حينئذ ككون الاجنبيات فيها (وحلائل أبنائكم) اى موطوآت فروعكم بنكاح أوملك يمين لانهم أشبهوا الاصول فى الجزئية فأشبه أزواجهم بأزواجهم وقيدهم بكونهم (الذين من أصلابكم) احترازا عن زوجة المتبنى وزوجة ابن المرأة (و) حرم عليكم (أن تجمعوا بين الاختين) فى الوطء بنكاح أوملك يمين لما فيه من قطيعة الرحم وفى معناهما كل امرأتين أيتهما فرضت ذكرا كان بينهما محرمية (الا ما قد سلف) فانه معفو عنه وان لم يقرر (ان الله كان غفورا رحيما و) حرمت عليكم (المحصنات) اى المزوجات من الغير (من النساء) حرائرا واماء لئلا تختلط المياه فيضيع النسب (الا ما ملكت أيمانكم) بالسبى على أزواج الكفار فانه يرفع نكاحهن ويفيد الحل بعد الاستبراء ولو لم تعقلوا معانى حرمتهن فلا تستبيحوهن بل الزموا (كتاب الله) فانه يجب متابعته (عليكم و) لا ضرورة لكم فى استباحتهن أبدا لانه (أحل لكم ما وراء ذلكم) المذكور لفظا ومعنى وان كان فيهن نوع جزئية للاصول لو اعتبر لسد باب لنكاح وخص من ذلك نكاح المطلقة ثلاثا قبل التحليل ونكاح الملاعنة والمعتدات

ناره ولكن الواو الاولى قلبت تاء كما قلبت فى تولج وأصله وولج من ولج اى دخل والياء قلبت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وقال الكوفيون توراة أصلها تورية على تفعلة الا ان الياء قلبت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ويجوز أن يكون تورية على وزن تفعلة فنقل من الكسر الى الفتح كما قالوا جارية وجاراة وناصية وناصاة

والمشركات وذوات الارحام وليس حلهن بطريق الهبة بل بطريق (أن تبتغوا) اى تطلبوا (بأموالكم) تصرفونها فى مهورهن تحقيقا او تقديرا او غنهن او أجورهن حين جازت المتعة (محصنين) اى متحفظين عن اللوم والعقاب بنكاح أو متعة حين جازت أو ملك يمين (غير مسافحين) زانين فانه وان طلب بالمال يحرم لعدم تعيين المدة بخلاف المتعة (فما استمتعتم به منهن) اى فمن جامعتموهن ممن نكحتموهن نكاح المتعة (فآتوهن أجورهن) فانه انما يلزم فى الجماع بخلاف المهر فانه يجب نصفه قبل الوطء بالفراق حال الحياة وانما يجب المسمى اذا كان (فريضة) والا لزم أجرة المثل (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به) من الزيادة على المسمى او النقصان منه (من بعد الفريضة) فانه يجوز فيه التغيير بالتراضى (ان الله كان عليما حكيما) فى تزويج المتعة حين الحاجة وبتحريمها بعد انقطاعها لانه يلتبس بالزنا فى نظر العامة و يفضى الى اختلاط المياه قال الشافعى لا أعلم شيأ أحل ثم حرم ثم أحل ثم حرم غير المتعة ونقل ابو عبيدة الاجماع على نسخها ثم أشار الى نكاح مايستباح للضرورة كنكاح المتعة لكنها ضرورة مستمرة لا تنقطع بكثرة الاسلام فقال (ومن لم يستطع) اى لم يقدر (منكم) أيها الاحرار بخلاف العبيد أن يحصل (طولا) اى غنى يمكنه به (أن ينكح المحصنات) اى الحرائر المتعففات بخلاف الزوانى اذ لا عبرة بهن (المؤمنات) اذ لا عبرة بالكوافر (فمن ما ملكت أيمانكم) اى فله أن ينكح بعض ما ملكه أيمان اخوانكم (من فتياتكم) اى اماتكم حال الرق (المؤمنات) لا الكتابية لانه لا يحتمل مع عار الرق عار الكفر بل عار الكفر أشد لذلك جوز بعض أصحابنا نكاح الامة مع القدرة على نكاح الحرة الكتابية ويخاف فيه مخالطة الكفار وموالاتهم وهو أشد من خوف رق الولد (و) لا يشترط الاطلاع على بواطنهن بل يكتفى بظاهر ايمانهن وان كن مكرهات كما لا يشترط الاطلاع على بواطن ايمان الحرائر والاحرار بل (الله أعلم بايمانكم) و يحتمل عار الرق للضرورة اذ (بعضكم من بعض) فى الرجوع الى آدم والرق عارض لكن لا يبطل حق المالك (فانكحوهن باذن أهلهن) لا استقلالا (وآتوهن) باذنهن (أجورهن) وان لم يكن تسم (بالمعروف) بلا مطل وضرار اذا كن (محصنات) اى متعففات ويكفى فى ذلك كونهن فى الظاهر (غير مسافحات) اى زانيات بكل من دعاهن (ولا متخذات أخدان) اى اخلاء يخصصن بهم فى الزنا فلو كن احدى هاتين فلكم المناقشة فى أداء مهورهن ليفتدين نفوسهن (فاذا أحصن) اى ظهر احصانهن وأدى مهورهن (فان أتين بفاحشة) اى زنا (فعليهن) الآن ما كان عليهن قبل النكاح وقبل أداء المهر وهو (نصف ما على المحصنات) اى الحرائر (من العذاب) وهو خمسون جلدة لا الرجم ولا استرداد المهر لانهن من أهل المهانة فلا يفيد فيهن المبالغة فى الزجر ولمهانتهن خص (ذلك) اى اباحة نكاحهن (لمن خشى) اى خاف (العنت) اى المشقة فى التحفظ من الزنا (منكم) ايها الاحرار (وأن تصبروا) على تحمل تلك المشقة (خير لكم والله غفور) لما يخطر فى قلوبكم من دواعى الزنا (رحيم) باعطائكم الاجر على الصبر مع تلك الخواطر (يريد الله) بتحريم ما حرم من النساء

(قوله عز وجل تأويل) اى مصير ومرجع وعاقبة (قوله عز وجل وابتغاء تأويله) اى ما يؤول اليه ويقال من معنى وعاقبة ويقال تأول فلان الآية اى نظر الى ما يؤول معناها (قوله عز وجل تخلق من الطين) اى تقدر يقال لمن قدر شيأ وأصلحه قد خلقه وأما الخلق الذى هو احداث فلله عز وجل (قوله تدخرون) تفتعلون من الدخر (قوله

وتحليل ماأحل بالشرائط (ليبين لكم) مقتضى حكمته (و) ليست مما يختلف باختلاف الامم والازمنة فهو يريد ببيانها ان (يهديكم سنن) اى طرق الانبياء (الذين من قبلكم ويتوب عليكم) بالرد الى وجه الحكمة فيما أخطأتم فيه وكيف يترككم على الخطا (والله عليم) بخطئكم (حكيم) لايرضى بترك الخطا (والله يريد أن يتوب عليكم) بمنعكم أن ترثوا النساء كرها وان تنكحوا مانكح آباؤكم وان تجمعوا بين الاختين ليردكم الى مقتضى الحكمة (ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا) عن مقتضى الحكمة (ميلا عظيما) بالكره وهتك حرمة الاباء وافساد ذات البين ولو قيل انه قد أمركم بالميل فى نكاح بنات العمات والخالات مع انهن فروع أصولكم قيل (يريد الله) باباحتهن (أن يخفف عنكم) بالرخصة فيما بعد فيه الاصل والفرع بجميع الثلاث لينسد باب النكاح اذ لو اعتبر لوجب منع الانسان من شهواته (و) لكن (خلق الانسان ضعيفا) ولضعفه قد جوز له الامة ثم أشار الى أن من ميل مبتغى الشهوات التصرف فى الاموال بالطريق الباطل كالزنا فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم التحفظ من الباطل فى كل شئ (لاتأكلوا أموالكم) اى لايأكل بعضكم أموال بعض ولو (بينكم) لايخرج عنكم (بالباطل) من طرق التصرفات وكلها باطلة (الا أن تكون تجارة) اى معاوضة محضة كالبيع والاجارة أوغير محضة كالنكاح اوأخروية كالصدقة اودنيوية صدرت (عن تراض) من جانب الآخذ والمأخوذ منه (منكم) أيها الاحرار (ولا تقتلوا) بتضييع المال سيما بصرفه فى الزنا (أنفسكم) أما بتضييع المال فظاهر وأما بالزنا فلانه قتل معنوى للاولاد بابطال نسبهم وقتل لانفسكم اذ لاعقب لكم يقوم مقامكم (ان الله) بهذه التكليفات (كان بكم رحيما) اذ لاتعود الى عبادته (ومن يفعل ذلك) اى يأكل مال الغير (عدوانا) اى بطريق باطل تعدى فيه ما كان الله به (وظلما) بوضعه فى غير موضعه فقد خالف الله فيما أمر من اتمام الحكمة (فسوف نصليه نارا) وان لم يخل بشئ من عبادتنا لكنه أخل بأمرنا ونهينا وان كانا لنفعه (و) لايمنع من ذلك كمال رحمته بل (كان ذلك على الله يسيرا) ثم أشار الى أن رحمته لاتقتضى ترك صاحب الكبائر بل التجاوز عن صاحب الصغائر اذا اجتنب الكبائر فقال (ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه) وهى التى رتب عليها الحد أو أوعد عليها صريحا وقد قيل أكبر الكبائر الشرك بالله وأصغر الصغائر حديث النفس ومابينهما أوساط وعن النبى صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التى حرم الله وقذف المحصنة وأكل مال اليتيم والزنا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين (نكفر عنكم سيآتكم و) من كمال رحمتنا (ندخلكم) مع اجترائكم علينا بالصغائر (مدخلا كريما) وقيل من عن له أمران وذهبت نفسه اليهما بحيث لايتمالك فكفها من أكبرهما كفر عنه ماارتكب لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ثم أشار الى أن رؤية الشخص فضل أعماله أوحقارة ذنوبه مما يخل باجتناب الكبائر فقال (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) بسبب ترجيح الحسنات أوحط السيآت كما قال به لرجال انا لنرجو أن يفضلنا الله

(وماتفعلوا من خير فلن تكفروه) اى فلن تجحدوا ثوابه (قوله تهنوا) اى تضعفوا (قوله عز وجل تحسونهم) اى تستأصلونهم قتلا (قوله عز وجل تعولوا) تجوروا وتميلوا وأما قول من قال الا تعولوا أن لايكثر عيالكم فغير معروف فى اللغة (وقال) بعض العلماء انما أراد ان لايكثر عيالكم أى ان لاتنفقوا على عيال وليس

على النساء بالحسنات فى الآخرة كما فضلنا بالميراث وقالت النساء انا لنرجو أن يكون وزرنا نصف وزر الرجال كما ان لنا نصف ميراثهم بل (للرجال نصيب مما اكتسبوا) من حسناتهم لا ضعفه كالسيآت (وللنساء نصيب مما اكتسبن) من سيآتهن لا نصفه كالحسنات فان ترجيح أحد الجانبين دون الآخر تحكم محض (و) لكن (اسئلوا الله من فضله) أن يضاعف حسناتكم و ينقص بل يعفو سيآتكم وليس ذلك بطريق التحكم بل (ان الله كان بكل شئ عليما) فيتفضل على من هو مستعد للتفضل عليه ثم أشار الى أن اعطاء الفضل لا ينافى نصيب الاكتساب فان اكتساب الحسنات والسيآت كاكتساب الاموال يكون لكل مكتسب نصيب منها (و) مع ذلك (لكل) من الاموال (جعلنا) من فضلنا (موالى) ولا لم يكتسبوه بل حصل لهم (مما ترك الوالدان و) مما ترك (الاقربون و) مما ترك (الذين عقدت أيمانكم) فقلتم دمى دمك وحربى حربك وسلمى سلمك وترثنى وأرثك وتعقل عنى وأعقل عنك (فآتوهم نصيبهم) وهو السدس حفظا للايمان لأحفظ عليكم ما وعدتكم من اعطاء الفضل بالسؤال وكان هذا فى أول الاسلام طلبا للتقوية بكثرة المحالفين فلما قوى الاسلام نسخ بقوله عز وجل وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض (ان الله كان على كل شئ شهيدا) ينظر من يفى بحلفه فيفى له بفضله ثم أشار الى أن تفضيل الرجال على النساء ليس لفضلهم فى الآخرة بل لان لهم ولاية على النساء فقال (الرجال قوامون) اى لهم المبالغة فى القيام بمصالح النساء وتأديبهن فلهم ولاية (على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض) اى بسبب تفضيل الله بعض خلقه على بعض بكمال العقل ومزيد القوة والكامل بنفسه له حق الولاية على الناقص (و) تأكد ذلك (بما أنفقوا من أموالهم) فى مهورهن ونفقاتهن فصرن كالارقاء الذين لا يملكون وان ملكهم السيد لكن لما لم يتحقق الرق اقتصر على نقص الحظ ولكونهم فى معنى السادات وجبت عليهن طاعتهم كما يجب على العبيد طاعة السادات (فالصالحات) من النساء (قانتات) اى مطيعات للازواج ومن طاعتهن أنهن (حافظات للغيب) اى لما غاب عن أزواجهم من أموالهم وفروجهن مستعينات (بما حفظ الله) اى بحفظه مخافة أن يغلب عليهن نفوسهن وان بلغن من الصلاح ما بلغن (و) من قوامية الرجال ان (اللاتى تخافون) بظهور امارة (نشوزهن) اى عصيانهن (فعظوهن) اى خوفوهن بالقول كاتقى الله واعلمى أن طاعتك لى فرض عليك (و) ان لم ينزعن (اهجروهن فى المضاجع) اى ولوهن ظهوركم أو اعتزلوهن فى فراش آخر (و) ان لم ينزعن بذلك (اضربوهن) ضربا غير مبرح (فان أطعنكم) فى أثناء هذه الافعال (فلا تبغوا عليهن سبيلا) لما قيها ولا للطلاق ولا تغتروا بعلوكم (ان الله كان عليا كبيرا وان خفتم) أيها الحكام (شقاق بينهما) اى مخالفة مفرقة بينهما واشتبه عليكم أنه من جهته او من جهتها ولا يفعل الزوج الصلح ولا الصفح ولا الفرقة ولا تؤدى المرأة الحق ولا الفدية (فابعثوا حكما من أهله) اى أقاربه اذهم أعلم ببواطن الاحوال (وحكما من أهلها) لئلا يميل لاول الى جانبه وهذا على سبيل الاستحباب ويجوز هذا من جانب الاجانب (ان يريدا) أى

ينفق على عيال حتى يكون لا عيال فيكاه أراد ذلك أدنى الا تكونوا من يعول قوما (قال أبو عمرو وأخبرنا ثعلب عن على بن صالح صاحب المصلى عن الكسائى قال من العرب من يقول عال يعول اذا كثر عياله وأخبرنا أبو عمرو بن الطوسى عن العدانى مثله) (قوله عز وجل تغلوا فى دينكم) اى تجاوزوا الحد

الحكمان (اصلاحا يوفق الله) اى يوقع الله الوفاق (بينهما) ويستقلان بذلك ويتوكلان فى الخلع والطلاق ويجب عليهما أن يخلوا ويستكشفا عن حقيقة الحال فيعرفا ان رغبته فى الاقامة أو المفارقة (انّ الله كان عليما خبيرا) بظواهر الحكمين وبواطنهما ان قصدا افسادا يجازيهما عليه والايجاز هما على الاصلاح ثم أشار الى أن الفضل الاخروى ليس بهذه القوامية ولا بسائر الفضائل الدنيوية بل بعبادة الله مع توحيده وبالاحسان الى خلقه فقال (واعبدوا الله) فان عبادتكم اياه تقربكم اليه (و) شرط تقريبها اليه أن (لا تشركوا به شيأ) من الشرك الجلى والخفى للنفس وشهواتها وما يتوصل به اليها من المال والجاه هذا مع الله (و) اما مع الخلق فاحسنوا (بالوالدين احسانا) يفى بحق تربيتهما فانه شكر لهما يدعو الى شكر الله المقرب اليه مع ما فيه من صلة أقرب الاقارب الموجب لوصلة الله وقطعها القطعه (وبذى القربى) اى الاقارب ليكون صلة مقربة اليه (واليتامى والمساكين) ترحما عليهم مستوجبا لرحمته عز وجل (والجار ذى القربى) اى الذى قربت داره (والجار الجنب) اى الذى بعدت داره لان لهما قربا حسيا فاشبها ذوى القربى (والصاحب) فى الخيرات (بالجنب) فانه كالجار (وابن السبيل) اى المسافر فانه كاليتيم لانقطاعه عن أهله (وما ملكت أيمانكم) فانهم كالمساكين اذ لا يملكون شيأ وكيف تكون الفضائل الدنيوية بدون عبادة الله والاحسان الى خلقه فضائل أخروية مفيدة للتقرب اليه موجبة لرحمته وهى موجبة للخيلاء والفخر ولا يتم الا بالبخل أو الانفاق رياء (انّ الله لا يحب من كان مختالا) اى متكبرا يأنف عن عبادة الله (فخورا) لا يبالى بخلقه ولا يحسنون الى الخلق لانهم (الذين يبخلون و) لا يكونون سبب الاحسان أيضا اذ (يأمرون الناس بالبخل و) يبالغون فيه حتى انهم (يكتمون ما آتاهم الله من فضله) بل يكفرون بكونه من فضله أو ينسبونه الى اكتسابهم (وأعتدنا للكافرين) المستهينين بنا بنسبة الفضل الى غيرنا (عذابا مهينا والذين) لا يبخلون منهم انما (ينفقون أموالهم رئاء الناس) فلا يقبل احسانهم لان رياءهم يدل على تفضيلهم الخلق على الله ورؤيتهم على ثوابه (و) هو دليل انهم (لا يؤمنون بالله) الذى يتقرب اليه (ولا باليوم الآخر) الذى هو يوم الجزاء (و) كيف يقرب هذا الاحسان من الله وهو مقرب الى الشيطان (من يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا وماذا) اى أى ضرر من فوات تعظيم الخلق أو فوات حطام من جهتهم يغلب (عليهم لو آمنوا بالله) فلم يرجحوا الخلق عليه (واليوم الآخر) فلم يرجحوا تعظيمهم وحطامهم على ثوابه (وأنفقوا مما رزقهم الله) طلبا لرضاه وأجر آخرته وأى فائدة لهم فى علم الخلق (وكان الله بهم عليما) وأى ضرر فى فوات تعظيم الخلق وفوات حطامهم مع ايفاء الله تعالى ثوابهم (انّ الله لا يظلم مثقال ذرة) فى محل الغضب بالافراط فى التعذيب (و) لكنه يفرط فى محل الرضا فانه (ان تك) ذرتهم (حسنة يضاعفها ويؤت) زيادة على الاضعاف (من لدنه) مما يناسب عظمته (أجرا عظيما) ولو كانوا مرائين من حياء الناس أو تاركين الايمان بالله ورسوله من ذلك (فكيف) حالهم فى الحياء (اذا جئنا من كل أمة

(قوله وترتفعوا عن الحق (قوله عز وجل تستقسموا بالازلام) اى تستفعلوا من قسمت أمرى (قوله تعالى تنقمون منا) اى تكرهون منا وتنكرون (قوله تبوء باثمى واثمك) اى تنصرف بهما اذا قتلتنى وما أحب أن تقتلنى فان قتلتنى أحببت أن تنصرف باثم قتلى واثمك الذى من أجله لم يتقبل قربانك فتكون من أصحاب النار (قوله تصغى اليه) اى

ما افتروا من كونهم من كبين اجترؤا أيضا على عبادة الاصنام وترجيح دين عبدتهم على دين الموحدين بذلك أيضا فقال (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) الداعى الى التوحيد وترجيح أهله والكفر بالجبت والطاغوت (يؤمنون بالجبت) اى الاوثان (والطاغوت) اى الشيطان الداعى الى الطغيان بتعلقه بالاوثان (ويقولون للذين كفروا) اى اشركوا بالله (هؤلاء أهدى من الذين آمنوا) بالله وحده (سبيلا) نزلت فى حيى بن أخطب وكعب بن الاشرف خرجا فى جماعة الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنتم أقرب الى محمد منكم الينا لانكم أهل الكتاب فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا وقال أبو سفيان لكعب انك تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون ولا نعلم فاينا اهدى سبيلا نحن ام محمد فقال كعب اعرض على دينك قال فنحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقرى الضيف ونفك العانى ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودينه الحديث فقال كعب أنتم والله أهدى سبيلا مما عليه محمد (أولئك الذين لعنهم الله) بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وكتابه بجرهم الى عبادة الاصنام وترجيح الشرك على التوحيد (و) لم يدفع عنهم لعنه الله قراءتهم للتوراة لانه (من يلعن الله فلن تجد له نصيرا) يدفع عنه لعنة الله ألهم نصيب من الدين يأمرونهم بعبادة الجبت والطاغوت (ام لهم نصيب من الملك) يحفظونه لعبادتهما (فاذا) أى فلو كان لهم ذلك لافسدوا دينهم ودنياهم لانهم (لا يؤتون الناس) كلهم (نقيرا) أى واحدا وهو ما يوازى نقرة ظهر النواة كما انهم لما كان لهم نصيب من الكتاب لم يعطوا الناس شيأ من الارشاد مخافة ان يقطع عنهم الرشا أيحاربون الناس على ما آتاهم الله من فضله محاربة الملوك (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) وهو النبوة والرشد فيتمنون زواله مع ان الفضل الموروث لا يحسد عليه غالبا وفضل محمد صلى الله عليه وسلم موروث (فقد آتينا آل ابراهيم) الذين هم أسلاف محمد صلى الله عليه وسلم (الكتاب والحكمة) اى العلم الظاهر والباطن (و) لو زعموا أنهم لا يحسدون ايتاء الكتاب والحكمة بل تملكه علينا المبطل لرياستنا ورشانا فقد (آتيناهم ملكا عظيما) ليقوموا باصلاح العالم كله وكذلك آتينا محمدا الكل علم بذلك اليهود كلهم وان اختلفوا (فمنهم من آمن به) فاذعن لعلمه (ومنهم من) بالغ فى العناد حتى (صد) الناس (عنه) فكان عنادهم للعلم عناد المتزلم موجبا لغضبه المسعر جهنم عليهم (وكفى بجهنم سعيرا) اى مسعورة عليهم ان لم يعذبوا فى الدنيا وكيف لا وهى لكل كافر (ان الذين كفروا بآياتنا) بتحريف أو تكذيب للبعض لاستلزامه تكذيب الكل وان لم يصدوا الغير (سوف نصليهم نارا) ولا صلى الا بتسعيرها وكيف لا تكفيهم وهم يتألمون بها دائما لانهم (كلما نضجت جلودهم) أى احترقت احتراقا تاما (بدلناهم جلودا غيرها) أى جعلنا جلودهم المحترقة غير محترقة كان بدلناها جلودا اخر (ليذوقوا) أى ليحسوا بعد الاحتراق المانع من الاحساس (العذاب) فيدوم لهم (ان الله كان عزيزا) لا يمتنع عليه ما يريد

(قوله عز وجل تزيغ) اى تميل قلوب فريق منهم) اى تميل قلوب فريق منهم عن الحق (قوله نفيض) (قوله عز وجل تسبيل) (قوله عز وجل تلووا) اى تقرأ وتتلوا اى تتبع أيضا (قوله عز وجل ترهقهم) اى تغشاهم ومنه قولهم غلام مراهق اى قد غشاه الاحتلام (قوله عز وجل تغيير) اى تبديل الشئ عن حاله والابدال جعل الشئ مكان شئ (قوله تخرصون) تحدسون وتحزرون

مايريد من جعله المحترق غير محترق وغيره (حكيما) فى هذا التبديل اذلايتم تخليد العذاب الموعود على الكفر الذى لاينزجرون عنه بالعذاب المنقطع وعد الابد من ايقانه على انه لوجاز كون الوعيد تخويفا لجاز كون الوعد ترغيبا (و) ليس كذلك بل (الذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم) بمقتضى الوعد الذى لامدخل للخلف فيه وفاقا (جنات تجرى من تحتها الانهار) كما يجرى من تحت نارهم انهار الدم (خالدين فيها أبدا) خلودهم بتجديد الجلود وهذا وان كان كافيا فى المقابلة يتفضل عليهم فيكون (لهم فيها أزواج مطهرة) اتماما للتلذذ بالجنات والانهار (وندخلهم ظلا ظليلا) لاتنسخه الشمس لئلا تنقص الحرارة شيأ من لذاتهم كما لاينقص الاحتراق شيأ من آلامهم ثم أشار الى ان مما يوجب ادخال الجنات والازواج المطهرة والظل الظليل رد الامانات واقامة العدل فقال (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) اذ فيه ادخال السرور فى قلوبهم وايصال محبوبهم اليهم واطفاء حرارة قلوبهم (واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) لانه وان كان فيه ادخال الغم فى قلوب الظلمة وقطع محبوبهم عنهم وايقاد نار غضبهم ففيه ادخال السرور على قلوب المظلومين وايصال محبوبهم اليهم واطفاء نار الفتنة التى بينهم و بين الظلمة (ان الله نعما يعظكم) اى يخوفكم عن ضد ذلك (به) اى بهذا الامر المتضمن للنهى عن الضد (ان الله كان سميعا) لاقوالكم فى الامانات والاحكام (بصيرا) بافعالكم فيهما فان سمع ورأى خيرا جازاكم عليه خير الجزاء وان سمع ورأى شرا جازاكم عليه حقا لنفسه وراء حق الخلق وكما أمر الحكام بالعدل أمر الرعية بقبوله فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم قبول العدل (أطيعوا الله) الذى أسس قواعد العدل (وأطيعوا الرسول) الذى بينها (وأولى الامر) وهم الحكام وان كانوا (منكم) لايظهر لهم مزيد فضل عليكم لقيامهم بالعدل (فان تنازعتم) انتم وأولوا الامر (فى شئ) من الاحكام (فردوه الى) كتاب (الله و) الى سنة (الرسول) لا الى ماتهوون ولا الى مايهواه الحكام (ان كنتم تؤمنون بالله) الواضع لقواعد العدل (واليوم الآخر) الذى يجازى فيه الموافق والمخالف لتلك القواعد (ذلك خير) لكم ولحكامكم (و) ان رأيتموه شرا فى الحال فذلك (أحسن تأويلا) عاقبة لكم ولهم ثم أشار الى ان اطاعة الله واطاعة الرسول وأولى الامر انما تتم بالتحاكم اليهم لا الى من يدعو الى الطغيان فانه من علامات الكفر فقال (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) ومقتضى ذلك الانقياد لقواعد المنزل اليك والمنزل على من قبلك بالتحاكم اليك (يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت) اى الداعى الى الطغيان بالحكم على خلاف قواعد المنزل اليك والمنزل على من قبلك (وقد أمروا) فى جميع تلك الكتب (أن يكفروا به) لانه تحاكم على خلاف ما أنزل الله فى كتبه فيعصونه (و) يطيعون الشيطان اذ (يريد الشيطان) من الجن والانس (أن يضلهم ضلالا بعيدا) عن أديان جميع الرسل المنسوخ والناسخ جميعا نزلت فى منافق خاصم يهوديا فدعاه الى النبى صلى الله عليه وسلم لعلمه انه لايرتشى ولايجور والمنافق

(قوله عزوجل تلقفنا) (قوله والالتفات اى تصرفنا والالتفات الانصراف عما كنت مقبلا عليه (تزدرى أعينكم) يقال ازدرى به وازدراه اذا قصر به وزرى عليه اذا عاب عليه فعله (قوله تتبيب) تخسير (قوله) (فما تزيدوننى غير تخسير) اى نقصان ومعنى قوله (فما تزيدوننى غير تخسير) اى كلما دعوتكم الى هدى ازددتم تكذيبا فزادت

الى كعب بن الاشرف من شياطين اليهود لعلمه انه يرتشى ثم انهما تحاكما الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فحكم لليهودى فلم يرض المنافق فدعاه الى عمر فقال له اليهودى قضى لى محمد فلم
يرض بقضائه فقال للمنافق أهكذا قال نعم قال مكانكما حتى أخرج اليكما فأخذ سيفه فضرب
عنق المنافق وقال هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فقال جبريل ان عمر فرق بين
الحق والباطل فسمى الفاروق (و) يدل على بعد اضلالهم انهم (اذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل
الله) فى الكتب التى تدعون الايمان بها (والى الرسول) القائم بها (رأيت المنافقين يصدون)
أى يمنعون خصومهم فيبعدونهم (عنك صدودا) بليغا ليتمكنوا مما يريدونه بالرشوة ولو دفعوا
عن أنفسهم ضررها فى التحاكم اليك (فكيف) يدفعون ما يصيبهم فى التحاكم الى غيرك بل
غايتهم انهم (اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم) من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك
كقتل عمر المنافق تكلفوا الاعتذار كاذبا (ثم جاؤك يحلفون بالله) كذبا (ان اردنا) أى ما أردنا
بذلك التحاكم (الا احسانا) من الخصم الى صاحبنا (وتوفيقا) بالصلح بيننا وبينه (اولئك)
بعداء عن هذه الارادة وان ذكروها الك بل فى قلوبهم أن يميل من يتحاكمون اليه الى جانبهم
بالرشوة وهم (الذين يعلم الله ما فى قلوبهم) من النفاق والميل الى الباطل فهم وان ظهر اسلامهم
وأظهروا اعذارهم بحلفهم (فأعرض عنهم) اذ طلبوا القصاص (وعظهم) اى خوفهم من
أن يجرى عليهم أحكام الكفر (وقل لهم) ما يؤثر (فى أنفسهم قولا بليغا) فى التأثير ليصيروا
مجروحين بعد ما صار صاحبهم مقتولا وكيف لا يكون ترك الرضا بحكمه دليل النفاق وهو
مشعر بعدم وجوب طاعته (و) لكن (ما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) فطاعته
واجبة وانكار وجوبها كفر ثم أشار الى انه لغاية عظم هذا الكفر لا ينبغى لهم أن يعتمدوا
على استغفارهم بل لا بد لهم من طلب الاستغفار من الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا (و) لا
ينبغى لهم أن ييأسوا وان بلغ ذنبهم ما بلغ بل يجب ان يعتقدوا (لو انهم اذ ظلموا أنفسهم) هذا
الظلم العظيم غاية العظم (جاؤك) لطلب الاستغفار منك مع استغفارهم (فاستغفروا الله واستغفر
لهم الرسول) فكان استغفاره عليه السلام شفاعة لقبول استغفارهم (لوجدوا) أى لعلموا (الله
توابا) أى قابلا لتوبتهم (رحيما) أى متفضلا عليهم بالرحمة وراء قبول التوبة لكنهم لا يبالون
باستغفارك ويستمرون على عدم رضاهم بحكمك (فلا) ايمان لهم فى الحال (وربك لا يؤمنون)
فى الاستقبال (حتى يحكموك) أى يجعلوك الحاكم لا غيرك (فيما شجر) أى اختلط (بينهم)
لتصفى قلوبهم (ثم لا يجدوا فى أنفسهم) اى باطنهم (حرجا) اى ضيقا (مما قضيت) اى من كراهتهم
حكمك (ويسلموا) اى يذعنوا لحكمك (تسليما) تاما فالنفاق انما يرتفع بالكلية حينئذ ولا
تبقى منه بقية فى قلوبهم بجرهم الى استكماله فيما بعد لرسوخه فى قلوبهم غاية الرسوخ ثم أشار
الى ان التسليم الكلى انما يكون بالاذعان لامر قتل النفس أو لامر الخروج من الديار
(و) لكن (لو أنا كتبنا عليهم) جازمين (ان اقتلوا أنفسكم أو) أمرناهم بما يقرب منه وهو ان
(اخرجوا من دياركم ما فعلوه) بل نافق من لا ينافق اليوم (الا قليل منهم) لكمال اخلاصهم

خسارتكم (قوله عز وجل
تركنوا الى الذين ظلموا)
اى تطمئنوا اليهم وتسكنوا
الى قولهم ومنه قوله عز
وجل لقد كدت تركن
اليهم (قوله عز وجل
تعبرون) اى تفسرون
الرؤيا (تأويل الاحاديث)
تفسير الرؤيا (قوله عز وجل
تركت ملة قوم لا يؤمنون
بالله) اى رغبت عنها والترك
على ضربين أحدهما

واذ

واذعانهم ولذلك لاتأمرهم الابما يسهل عليهم ومع ذلك يخرجون لمخالفة أهويتهم (ولو انهم
فعلوا ما يوعظون به) أى يخوفون بالامر به عن تركه (لكان خيرا لهم) من حصول أهويتهم
لانه سبب فوات الباقى الشريف بالفانى الخسيس (وأشد تثبيتا) لدينهم ودنياهم اذ يخاف
من متابعة الهوى الجرة الى الكفر والحاكم اذا مال الى الرشوة ربما يكون الخصم أكثر
اعطاء لها (و) لانقتصر فى حقهم على حظ الباقى من ثواب سائر الاعمال بل (اذا لآتيناهم
من لدنا) مما يناسب عظمتنا (أجرا عظيما) فى الدنيا والآخرة على اذعانهم لاحكامنا
(ولهديناهم صراطا مستقيما) يكون سببا لعظم الاجر من وجوه كثيرة ثم أشار الى انه يحصل
لهم مع الاجور مراتب القرب فقال (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله
عليهم) بالتقرب منه (من النبيين) الذين أنبأهم الله أكمل الاعتقادات والاحكام وأمرهم
بانبائها الخلق كلا بمقدار استعداده وهذا لمن جاوز حد الكمال الى التكميل (والصديقين)
الذين كملت مطابقة علومهم لتلك الاعتقادات والاحكام لمشاهدتهم لها فى مشكاة النبوة عن
قرب وكملت مطابقة أعمالهم الظاهرة والباطنة لها وهذا لمن كان فى أعلى مراتب الكمال
ولم يبلغ حد التكميل (والشهداء) الذين شاهدوا الحقائق عن بعد وهذا لمن كان فى أوسط
درجات الكمال (والصالحين) الذين صلحت اعتقاداتهم وأعمالهم لافادة النجاة وهذا لعامة
أهل الطاعة (وحسن أولئك رفيقا) فى قطع منازل مزيد القرب من الله (ذلك) الرفق هو
(الفضل من الله) بعد انقطاع أسباب العمل (وكفى بالله عليما) بمقداره هذا الفضل لا يعلمه
غيره لانه أمر غير متناه فلا يصل اليه علم الخلائق المتناهى ثم أشار الى ان اجل الطاعات الموجبة
مرافقة المذكورين الجهاد الذى هو قتل النفس والخروج عن الديار الى مكان الاعداء
وقدم التحرز عن القاء النفس فى التهلكة فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم جهاد
الاعداء وقدموا وقاية ابدانكم (خذوا حذركم) أى ما تحترزون به المطاعن من الدروع
والتروس والاسلحة (فانفروا) أى اخرجوا (ثبات) أى متفرقين سرية بعد سرية اظهارا
للجراءة (أو انفروا جميعا) ايقاعا للمهابة بتكثير السواد ومبالغة فى التحرز عن الخطر (وان
منكم) يا جماعة المبالغين فى التحرز (لمن) والله (ليبطئن) اى ليتأخرن عن الخروج مع
الجماعة أيضا زيادة عن حد التحرز لنفاقه (فان أصابتكم مصيبة) قتل أو هزيمة (قال) معجبا
برأيه (قد أنعم الله على) بهذا الرأى اذ لم يصبنى ما أصابهم (اذ لم أكن معهم شهيدا) اى حاضرا
للحرب (ولئن أصابكم فضل) فتح وغنيمة (من الله ليقولن) تحسرا على رأيه بحيث لا يعارضه
فرح ما حصل لاخوانه لانه لا يعتد بمودتهم بل يرى (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتنى
كنت معهم فأفوز) بالغنيمة واسم الشجاعة (فوزا عظيما) فهؤلاء انما يقاتلون فى سبيل
الغنيمة ويرونها كل الفوز فاذا افتقدوها رأوه فى حياتهم الدنيوية (فليقاتل فى سبيل الله
الذين يشرون) أى يبيعون (الحيوة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل) فيتحقق
بيعه (أو يغلب) فانه وان لم يؤد المبيع الى الله تعالى لكنه لما قصده صار كالمؤدى (فسوف

مفارقة ما يكون الانسان
فيه والآخر ترك الشئ
رغبة عنه من غير دخول
كان فيه (قوله تعالى
تبئس) اى تفتعل من
البؤس وهو الفقر والشدة
اى لا يلحقك بؤس بالذى
فعلوا (قوله تالله) بمعنى
والله ابدلت الواو تاء مع اسم
الله دون سائر أسمائه (قوله
عز وجل تفتؤا تذكر

نؤتيه) على قصده بذل مهجته فى سبيل الله (أجرا عظيما) لانسبة لاجور الدنيا وحياتها ولا لاجور أكثر الاعمال اليها ثم أشار الى ان الله عز وجل لو لم يعدكم الاجر العظيم لوجب عليكم القتال فقال (ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله) وهو بنفسه سبب التقرب اليه وهو أجل من جميع الاجور (و) فى استخلاص (المستضعفين) الذين هم كانفسكم وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لضعفهم عن الهجرة (من الرجال) الضعفاء بالمرض أو الهرم (والنساء والولدان الذين يقولون) من ايذاء أهل مكة واذلالهم اياهم (ربنا أخرجنا من هذه القرية) وان كانت أشرف البقاع (الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا) يحفظ علينا ديننا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) يدفع عنا اذيات اعدائنا (الذين آمنوا) لاقتضاء ايمانهم سلوك سبيل الله وحفظه والترحم على أهله (يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت) أى الشيطان الآمر بغاية الطغيان كايذاء المستضعفين من المؤمنين وقتال اقويائهم بمحبة الشيطان (فقاتلوا) يا احباء الله (أولياء الشيطان) الذين يعادون الله لعداوته ولا تبالوا لكيده وان بالغ فى الكيد لاوليائه (ان كيد الشيطان كان ضعيفا) لانسبة له الى كيد الله لكم ثم أشار الى انهم لم يكونوا يبالون لهم زمان ضعف حالهم فلما قويت حالهم ضعفوا فقال (ألم تر الى الذين قيل لهم) عند استئذانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال قبل الهجرة وهم بمكة (كفوا أيديكم) عن القتال فانكم لم تؤمروا به لضعفكم (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة) فانهما جهادا أكبر (فلما كتب عليهم القتال) حين قوى حالهم (اذا فريق منهم) لرؤيه ضعفهم الآن ولم يروه قبل ذلك (يخشون الناس) فى القتال (كخشية الله) فى تركه فيترددون بينهما (أو أشد خشية) فيرجحون تركه (وقالوا) معترضين على الله (ربنا لم كتبت علينا القتال) مع اننا ضعفاء وان رأيت قوتنا تزداد يوما فيوما (لولا أخرتنا الى أجل قريب) يكمل فيه قوتنا (قل) لكم قوة كافية ولكنكم تخافون فوات متاع الدنيا مع انه لا ينبغى لكم ان تبالوا له عند أمر الله بالقتال اذ (متاع الدنيا قليل) مع انه يحصل بدله الحياة الاخروية (والآخرة خير لمن اتقى) الله فيرجح خشيته على خشية الناس (ولا تظلمون) اى لا تنقصون من أجوركم ولا من أعماركم ومتاعكم (فتيلا) اى مقدار شق النواة ولا يتوقف موتكم عند الاجل على القتال بل (أينما تكونوا) أى فى أى مكان تكونوا عند الاجل (يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج) اى حصون (مشيدة) مرفوعة مستحكمة لا يصل اليها القاتل الانسانى لكنها لا تمنع القاتل الالهى وان أنكرتموه اذ لا تنسبون اليه الشر وانما تنسبون اليه الخير (و) ذلك لانهم (ان تصبهم حسنة) كخصب (يقولوا هذه من عند الله) اى من قبله (وان تصبهم سيئة) كقحط (يقولوا هذه من عندك) بشؤمك قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها (قل كل) من الحسنة والسيئة (من عند الله) ايجادا اذ لا اله واحد فيجب أن يتحد فاعل الخير والشر وقد علموا ذلك (فمال هؤلاء القوم) الذين يزعمون انهم

يؤمنون

يوسف) اى لا تزال تذكر
يوسف وجواب القسم لا
المضمرة التى تأويلها تالله
لا تفتأ (قوله تحسسوا)
وتجسسوا بمعنى واحد اى
تعرفوا وتخبروا (قوله
تثريب) اى تعيير وتوبيخ
(قوله تغيض الارحام) اى
تنقص عن مقدار الحمل
الذى يسلم معه الولد
يقال غاض الماء اذا نقص
وغيض اذا نقص منه (قوله
تهوى اليهم) اى تقصدهم

يؤمنون بوحدة الصانع (لا يكادون يفقهون حديثا) ينطقونه فلا يعلمون مافيه من نقص الاقرار بوحدة لصانع ولو زعموا انا ننظر الى الاسباب نقول (ما أصابك من حسنة فمن الله) ابتداء اذ الطاعات لاتكافئ نعمة الوجود فكيف تقتضى الزيادة (وما أصابك من سيئة فمن) شؤم معاصى (نفسك) لامن شؤم معاصى الغير اذهو خلاف مقتضى العدل الالهى ولو أثر شؤم أحد فى غيره فمن أين يتصور لك الشؤم (و) قد (أرسلناك) نافعا (للناس) اذ جعلناك (رسولا) داعيا فى العموم الى الخيرات فأنت منشأ كل خير ورحمة (و) ان أنكروا رسالتك وزعموا ان السيئة من شؤم افترائك على الله (كفى بالله شهيدا) بصدقك اذ صدقك باظهار المعجزات على يديك واذا ثبت رسالتك فاليمن فى طاعتك والشؤم فى مخالفتك لان (من يطع الرسول فقد أطاع الله) واطاعة الله والرسول لليمن (ومن تولى) كان له من الشؤمية مالا يقدر على دفعها فأنت وان أرسلت لعموم الرحمة (فما أرسلناك عليهم حفيظا) عن المعاصى المستلزمة للشؤم (ويقولون) اى المنافقون لدفع شؤمهم من هذا الوجه الحاصل منا (طاعة) وهم انما يقولونه اذا كانوا عندك (فاذا برزوا) اى خرجوا (من عندك بيت) اى فعلت على اخفاء منك (طائفة منهم غير الذى تقول و) لا يقتصر على مخالفة القول بالقول أو باضمار الخلاف بل (الله يكتب) اى يثبت (ما يبيتون) ليؤثر شؤمها فيهم واذا نسب الله اليهم الشؤم ونسبوه اليك (فأعرض عنهم) فلا تبال لنسبتهم (وتوكل) فى دفعها (على الله) لئلا تهتك بها فى قلوب الخلائق (وكفى بالله وكيلا) فى دفعها وان بالغوا فى اشاعتها (أ) ينكرون نبوتك وينسبون اليك الافتراء على الله المستلزم للشؤم (فلا يتدبرون القرآن) ليعرفوا اعجازه الذى لادخل للسحر فيه من موافقته للعلوم واشتماله على فوائد منها وكمال حججه وبلاغته العليا وموافقة أحكامه للحكمة واخباره الماضية لكتب الاولين والمستقبلة للواقع (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) من مخالفة العلوم الكثيرة ومخالفة فوائده لها والتناقض فيها وبلوغ بعض حججه حد التمام دون البعض وموافقة بعض أحكامه للحكمة دون البعض وبعض أخباره الماضية لكتب الاولين دون البعض وبعض أخباره المستقبل للواقع دون البعض (و) لو وجدوا فيه اختلافا لافشوه لما علم من عاداتهم انهم (اذا جاءهم) من سرايا الرسول (أمر من الامن أو الخوف) تحدثوا به حتى (أذاعوا به) اى أفشوه وكان مفسدة لهم (ولو ردوه الى) رأى (الرسول والى) كبار الصحابة (أولى الامر منهم لعلمه) اى التدبر فيه (الذين يستنبطونه) اى يستخرجونه استخراج النبط وهو الماء من البئر فلو وجدوا فى القرآن ما يوهم الاختلاف لوجب عليهم استفسار الرسول والعلماء الذين هم أولو الامر ليعلمه (منهم) المجتهدون فى استنباط وجوه التوفيق (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بارسال الرسول وخلق أولى الامر المستنبطين للتدابير ووجوه التوفيق (لاتبعتم الشيطان) من عجزكم مع الكفرة المختالين وحيرتكم فى مواضع توهم الاختلاف (الا قليلا) فيتحملون اذية الكفار ويفوضون فى مواضع التوهم الامر الى الله ولم يأخذوا بالاوهام

وتهوى اليهم بحبهم وتهواهم (قوله تسرحون) اى ترسلون الابل غداة الى الرعى وترجعون تردونها عشيا الى مراحها (قوله عزوجل تميد) تحرك وتميل (قوله تبارك اسمه وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم) اى لئلا تميد بكم (قوله تخوف) اى تنقص (قوله عزوجل

الفاسدة واذا عجزوا عن معارضة القرآن بما يلزمهم من كثرة الاختلاف ولم يظهر عجزهم عن القتال مع ان فى تركه متابعة الاكثرين للشيطان (فقاتل فى سبيل الله) وان لم يساعدك احد اذ (لا تكلف الا نفسك و) لكن (حرض المؤمنين) اى رغبهم فاحملهم على القتال (عسى الله ان) يعجزهم كما عجزهم بالقرآن بان (يكف) اى يمنع عن التأثير (بأس) اى شدة (الذين كفروا) مع بقاء شدتهم فى أنفسها (و) لو بقى لها أثر فى أنفسها لم يبق لها مع بأس الله اذ (الله أشد بأسا) اى صولة (و) لا يبعد أن يشتد بأسه عليهم وهم قد استحقوا اشدة العذاب وهو (أشد تنكيلا) اى تعذيبا ثم أشار الى ان التحريض على القتال شفاعة فى تكثير الكبار ورفع الدرجات فقال (من يشفع شفاعة حسنة) كحمل المؤمنين على قتال الكفار (يكن له نصيب منها) اذ يحصل له مثل أجر المجاهد (ومن يشفع شفاعة سيئة) كحمل الكفار على قتال المؤمنين (يكن له كفل منها) اى يحصل له مثل وزر من عمل بها (وكان الله) غالبا (على كل شئ مقيتا) اى معطيا قوة كل واحد من العامل والحامل على العمل من الاجر أو الوزر من غير أن ينقص من اجر صاحبه أو وزره شيأ ثم أشار الى انه كما يكون للشفيع نصيب من شفاعته يكون للمحيي نصيب من تحيته لانه يتوصل بها الى المودة كالشفيع لنفسه فقال (واذا حييتم) اى اذا سلم عليكم فدعى لسلامة حياتكم وصفاتكم التى بها كمال الحياة (بتحية) فقيل السلام عليكم (فحيوا بأحسن منها) بان تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله ولو قالها المسلم زيد وبركاته (أو ردوها) فقولوا مثل ما قال أداء لحقه فانه محسوب عليكم لو لم تردوه ولو زدتم حوسب فى أجوركم (ان الله كان) ناظرا (على كل شئ حسيبا) معطيا للجزاء بحسب الحقوق والزيادات اذ يقتضيه كمال جوده لكمال ذاته وصفاته لانه (الله) الجامع للكمالات بحيث لا يشاركه فيها اذ (لا اله الا هو) وكماله يقتضى تكميل الاشياء بظهوره فيها ولا يتم الا بظهور جمعيته ولا يظهر الا يوم القيامة لغاية سعته دون الدنيا الضيقة لكن القيامة مرتبة على الدنيا والبرزخ فوالله (ليجمعنكم) فى الدنيا والبرزخ (الى يوم القيامة) المقتضى ظهور جمعيته لذلك (لا ريب فيه و) هو وان لم ينته الى حد الايجاب لكن أوجبه اخبار الله عنه لانه (من أصدق من الله حديثا) لانه عبارة كلامه الازلى الذى لا دخل للكذب فيه لانه نقص والغير وان دلت الدلائل على صدقه فكذبه ممكن اذا لم ينظر اليها ولما كان الامر الاخروى مرتبا على الدنيا لم يخل عن مظهر كامل كالرسول والولى وأكمل مظاهره أكمل الرسل وأكمل الامم فى المظهرية أمته فحقكم ان تكونوا اعلم ما فى العالم وشهداء الله فى أرض الله (فما) ذا عرض (لكم) اذ افترقتم (فى) حق (المنافقين فئتين و) كان حقكم الاجماع على نفاقهم اذ (الله أركسهم) اى ردهم الى الكفر منكوسين (بما كسبوا) من لحوقهم بالكفار وهم الذين أستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلم يزالوا يرتحلون مرحلة بعد أخرى حتى لحقوا المشركين (أتريدون) بالقول بيقائهم على الاسلام (أن تهدوا من أضل الله و) لو فرض انكم تقدرون على خلاف مراده لم يكن لكم سبيل الى هدايتهم لانه

تثبطا لاطلاله) اى ترجع من جانب الى جانب (قوله تقف ماليس لك به علم) اى تتبع مالا تعلم ولا يعنيك (قوله تبذير) اى تفريق ومنه قولهم بذرت الارض اى فرقت البذر فيها اى الحب والتبذير فى النفقة هو الاسراف فيها وتفريقها فى غير ما أحل الله قوله عز وجل ان المبذرين كانوا

(من يضلل الله) مع كمال جوده (فلن تجد له سبيلا) الى الهداية والا لاوجده الله فهداه بمقتضى كمال جوده وكيف يكون لهم اليه سبيل وقد أرادوا عموم الضلالة لانهم (ودوا لو تكفرون) اى احبوا كفركم (كما كفروا) اى مثل كفرهم بعد الايمان (فتكونون سواء) لاتعارضون ولاتقاتلون واذا كانوا يودون كفركم (فلا تتخذوا منهم أولياء) لئلا يفضى الى كفركم وان أظهروا لكم الايمان طلبا لموالاتكم (حتى يهاجروا) من دار الكفر (فى سبيل الله) لا فى سبيل الشيطان لقتال المسلمين (فان تولوا) عن الهجرة فهم وان أظهروا لكم الاسلام مع قدرتهم على الهجرة فافعلوا بهم ما تفعلون بالكفار لانه زال عنهم حكم النفاق بلحوق دار الكفر (فخذوهم) اى ائسروهم (واقتلوهم حيث وجدتموهم) فى دار الكفر أو خارجين عنها الا للهجرة الى دار الاسلام (ولا تتخذوا منهم وليا) وان أظهروا لكم موالاتهم (ولا نصيرا) وان زعموا انهم يدفعون عنكم الكفار ثم استثنى عن اسر المرتدين وقتلهم بقوله (الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) اى عهد بهدنة أو امان لئلا يفضى الى قتال من وصلوا اليهم فيفضى الى نقض الميثاق كخزاعة وادع عليه السلام هلال بن عويمر الاسلمى خروجه الى مكة على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ماله (او) يصلون الى قوم لاعهد لهم ولكن (جاؤكم) تاركين للقتال مع قوتهم عليه لانه (حصرت) اى ضاقت (صدورهم) لرؤيتهم عجزهم عن (أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم) من أجلكم وهم بنو مدلج فمنع من قتال من وصل اليهم لانه يفضى الى قتالهم المظهر لقوتهم المخفية (و) ذلك لكونهم أقوياء فى أنفسهم بحيث (لو شاء الله لسلطهم عليكم) ولو قاتلتموهم (فلقاتلوكم فان اعتزلوكم) بعد لحوق المرتدين بهم وتقويتهم لهم (فلم يقاتلوكم) وان ظهرت لهم بعض القوة (و) لم يعينوا مقاتلا بل (القوا اليكم السلم) الانقياد الذى كانوا عليه قبل ظهور القوة لهم (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) فى الاسر والقتل اذ لا ضرر منهم فى الاسلام لا فى الحال ولا فى الاستقبال وقتالهم يظهر كمال قوتهم بخلاف المتوقع منهم الضرر فى الاستقبال المشار اليهم بقوله (ستجدون) أقواما (آخرين) هم أسد وغطفان وبنو عبد الدار (يريدون) باظهار الاسلام لكم (أن يأمنوكم) على أنفسهم (و) باظهار الكفران (يأمنوا قومهم) وليس اظهارهم الكفر لمحض التقية بل انما يظهرون الاسلام لذلك لانهم (كلما ردوا الى الفتنة) اى الارتداد (أركسوا فيها) اى ردوا منكوسين كان الرجل منهم يقول له قومه بماذا أسلمت فيقول آمنت بهذا القرد وبهذا العقرب والخنفساء (فان لم يعتزلوكم) اى لم يتركوا الطعن فيكم فهم (و) ان (يلقوا اليكم السلم) اى الانقياد فزعموا انا على دينكم (ويكفوا أيديهم) عنكم فلم يقاتلوكم (فخذوهم) اى ائسروهم (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) اى وجدتموهم فى داركم أو دارهم (وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) اى حجة واضحة من جهة طعنهم فلا يعتبر أبدعواهم الاسلام ولا بالقاء الصلح ولا بكف الايدى لان الطعن ضرر ناجز

اخوان الشياطين الاخوة اذا كانت فى غير الولادة كانت المشاكلة والاجتماع فى الفعل كقولك هذا الثوب اخو هذا اى يشبهه ومنه قوله عز وجل وما نريهم من آية الا هى أكبر من اختها اى من التى تشبهها وتواخيها (قوله تعالى تخرق الارض) اى تقطعها اى تبلغ آخرها (قوله تهجد) اى اسهر (قوله تبيعا) اى وهجدتم

وانقيادهم لمحض العجز فيتوقع منهم الضرر في المستقبل اذا تقووا ثم أشار الى ان المؤمن
لا يجوز قتله الا بظهور الحجة عليه من الطعن أو اللحوق بدار الحرب مع القدرة على الهجرة
فقال (و) لولا ذلك (ما كان) يصح (لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا) قتلا (خطأ) وهو ما لا يضامه
القصد الى الفعل أو الشخص أو لا يقصد به زهوق الروح غالبا أو لا يقصد به محظور كرمي
مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه أو بفعل غير المكلف (ومن قتل مؤمنا خطأ)
باحد هذه الوجوه فهو وان عفي عنه لكنه لا يخلو عن تقصير في حق الله ولا يهدر دم المؤمن
بالكلية (فتحرير رقبة مؤمنة) اى فالواجب عليه لحق الله اعتاق نفس محكوم عليها
بالاسلام ولو صغيرة ليعتق الله عنه بكل جزء منها جزأ منه من النار (و) لحق ورثته (دية مسلمة)
اى مؤداة (الى أهله) اى ورثته يقتسمونها اقتسام الميراث تجب على كل عاقلة القاتل وهم
عصبة غير الاصول والفروع لانه لما عفي عن القاتل فلا وجه للاخذ منه وأصوله وفروعه
اجزاؤه فالاخذ منهم أخذ منه ولا وجه لاهدار دم المؤمن فيؤخذ من عاقلته الذين يرثونه
باقوى الجهات وهي العصبية لان الغرم بالغنم فان لم يكن له عاقلة أو كانوا فقراء فعلى بيت المال
فان لم يكن ففي مال القاتل (الا أن يصدقوا) اى أن يعفو الورثة هذا اذا كانت الورثة
مسلمين (فان كان) المقتول خطأ (من قوم عدو لكم) اى محاربين (وهو مؤمن فتحرير
رقبة مؤمنة) لحق الله وهو وان لم يكن مهدر الدم ديته ساقطة اذ لا حق للحربي (وان كان)
المؤمن المقتول خطأ (من قوم) من الكفار (بينكم وبينهم ميثاق) اى عهد من هدنة أو أمان
(فدية مسلمة الى أهله) اذ هم كالمسلمين في الحقوق بل يقدم حقهم على حق الله لذلك أخر قوله
(وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد) رقبة ولا ما يتوصل به اليها (فصيام شهرين متتابعين)
بحيث لو صام تسعة وخمسين وتعمد بافطار يوم استأنف الجميع لان الخطأ انما نشأ من كدورة
النفس وهذا القدر يزيلها ويفيد التزكية فكانت (توبة من الله) ماحية لاثر خطئه
بالكلية (وكان الله عليما) بمقدار كدورة هذا الخطأ العظيم (حكيما) في دواء ازالتها واذا
كان للخطا هذه الكدورة مع العفو عنه فأين كدورة العمد (ومن يقتل مؤمنا متعمدا)
بفعل يقتل غالبا قصده والشخص (فجزاؤه) ليس ماذكر ولا شيء آخر من شدائد الدنيا بل
(جهنم) لا مدة يسيرة بل طويلة بحيث يقال مجازا انه كان (خالدا فيها) كيف (و) قد (غضب
الله عليه) اذ قتل وليه عمدا (و) أثر غضبه به اللعنة لذلك (لعنه) أى أبعده عن الرحمة فلا يكاد
يصل اليها الا بعد مدة طويلة جدا (و) لم يقتصر في حقه على جميع ذلك بل (أعد له) وراء
ذلك (عذابا عظيما) فوق عذاب سائر الكبائر سوى الشرك وللاحتراز عن قتل المسلم عمدا
لا يقتل كل من توهم فيه الكفر كما قال (يا أيها الذين آمنوا) ليس مقتضى ايمانكم من قتل
توهمتم كفره بمجرد كونه في دار الكفر من غير لحوق بهم بعد الايمان ولا طعن في الدين لذلك
(اذا ضربتم) أى ذهبتم (في سبيل الله) الى أرض العدو للغزو (فتبينوا) حال من تقاتلونه
فمن تحققتم كفره فقاتلوه ومن توهمتم ايمانه فاتركوه (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام)

تابعا مطالبا (قوله عز وجل
تزاور) تمايل ولذلك قيل
للكذب زور لانه أميل عن
الحق (قوله عز وجل تقرضهم)
تخلفهم وتجاوزهم (قوله
تعالى تذروه الرياح) تطيره
وتفرقه (قوله تخذت) بمعنى
اتخذت (قوله عز وجل تنفد)
اى تفنى (قوله تؤزهم أزا)
اى تزعجهم ازعاجا (قوله عز
وجل تجهر بالقول) اى ترفع

أى الانقياد لدعوتكم فقال لا اله الا الله أو سلم عليكم تحية الاسلام (لست مؤمنا) فى الباطن وانما قلته بالسان لطلب الامان (تبتغون) أى تطلبون بقتاله (عرض الحيوة الدنيا) أى ماله الذى هو سريع النفاد مع انه لا اضطرار لكم اليه (فعند الله) لكم (مغانم كثيرة) تغنيكم عن قتل أمثاله مع عدم اطلاعكم على البواطن ولو جوزتم له لكنتم جائزى القتل أول ما دخلتم فى الاسلام اذ (كذلك كنتم) لا يعلم مواطأة قلوبكم لالسنتكم (من قبل) أى قبل ظهور علامات اخلاصكم (فمن الله عليكم) بحقن دمائكم وأموالكم فافعلوا بالداخلين فى الاسلام مثل ما فعل الله بكم (فتبينوا) حاله بالتوقف الى ظهور علامة الكفر عليه بالرجوع اليهم أو الطعن فى دينكم (ان الله كان بما تعملون خبيرا) هل تعملونه للاسلام أو لاجل المال روى أن سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت أهل فدك فهربوا وبقى مرداس ثقة باسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه بعاقول من الجبل وصعد ولما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه فنزلت وفيه دليل على أن المجتهد يخطئ وان خطأه معفو عنه ثم أشار الى أن وجوب الاحتياط لا ينتهى الى ترجيح ترك الجهاد فقال (لا يستوى القاعدون) عن الجهاد (من المؤمنين غير أولى الضرر) العمى والعرج والفقر فانهم اذا قصدوا الجهاد على تقدير السلامة ساووا المجاهدين بالنية ولا يعتد بزيادة أجر العمل لهم لعظم أمر النية (والمجاهدون فى سبيل الله) لا فى سبيل الشيطان ولا رياء ولا طمعا فى الغنائم (بأموالهم) التى ينفقونها على أنفسهم فى الجهاد أو على مجاهد آخر (وأنفسهم) وان أنفق عليهم غيرهم اذا لم يكن عندهم مال وليس نفى التسوية لتفضيل القاعدين لاحتياطهم بل لانه (فضل الله المجاهدين) لانهم رجحوا جانبه (بأموالهم وأنفسهم) التى هى أعز عليهم من كل شئ (على القاعدين) غير أولى الضرر (درجة) فى القرب ممن رجحوا جانبه (و) لكن (كلا وعد الله الحسنى) أى الجنة (و) لكن ليس وافيا بالتسوية اذ (فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) فوق أجر الايمان وسائر الاعمال حال كونه (درجات منه) من منازل الجنة أشير اليها بقوله عز وجل ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة الى قوله كتب لهم (ومغفرة) لذنوبهم كلها غير حقوق المسلمين (ورحمة) فوق الاجر ودرجاته بل درجة القرب المستحقة بالجهاد كيف (وكان الله غفورا رحيما) لمن لم يجاهد فى سبيله بماله ونفسه فكيف لا يغفر للمجاهدين ولا يرحمهم ولما أوهم ما انهم بما تقدم من تساوى القاعدين أولى الضرر والمجاهدين أن من قعد عن الجهاد لكونه فى دار الكفر محبوب منهم وان عجز عن اظهار دينه فان لم يحسب فلا أقل من أن يحسب من القاعدين غير أولى الضرر الموعود لهم الحسنى أزيل ذلك الوهم بأنهم بترك الهجرة من مكان لا يمكنهم فيه اظهار دينهم مع امكان الخروج عنه صاروا ظالمين مستحقين لتوبيخ الملائكة بل لعذاب جهنم فقال (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم) بترك الهجرة عن مكان لا يمكنهم فيه اظهار دينهم مع القدرة عليها (قالوا

(قوله تعالى تهلك صوتك (تردى) تهلك (قوله عز وجل تدنيا) تفترا (قوله تعالى تظما) أى تعطش (قوله عز وجل تضحى) أى تبرز للشمس وتجد الحر (قوله تعالى تبهتهم) أى تفجأهم (قوله تعالى تقطعوا أمرهم بينهم) أى اختلفوا فى الاعتقاد والمذاهب (قوله تبارك اسمه تذهل) أى تسلو وتنسى (قوله عز وجل تفث) أى تنظيف

فيم كنتم) أى فى أى شئ من أمر دينكم كنتم (قالوا كنا) عاجزين عن اظهار الدين اذ كنا (مستضعفين فى الارض) أى أرض الاعداء (قالوا) لم يلجئكم الاعداء الى مساكنة ديارهم (ألم تكن أرض الله) التى يمكن فيها اظهار دينه (واسعة فتهاجروا) من مكان الاستضعاف المسكون (فيها) فاذا اختاروا مكان الاستضعاف (فأولئك مأواهم جهنم) لانهم الذين ضعفوا أنفسهم (وساءت مصيرا) بدل المصير الى دار الهجرة فهى واجبة على كل من لا يمكنه اظهار الدين بمكان الى مكان يمكنه فيه (الا المستضعفين من الرجال) لعمى أو عرج أو مرض أو فقر (والنساء والولدان) فانهم معذورون فى تركها لانهم (لا يستطيعون حيلة) فى الخروج (ولا يهتدون سبيلا) أى لا يعرفون طريق دار الهجرة (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) فيه اشعار بأن ترك الهجرة أمر خطير حتى ان المضطر حقه أن يترصد الفرصة و يعلق بها قلبه وان الصبى اذا قدر فلا محيص له عنه وان قوامهم يجب عليهم أن يهاجروا بهم ثم أكد الاطماع لئلا ييأسوا فقال (وكان الله عفوا غفورا) ثم أشار الى أنه ليس فى حكم الاستضعاف خوف الادراك فى الطريق أو الوصول الى مكان العدو أو ضيق الرزق فى المهاجر اليه أو بطلان الاجر بالموت فى الطريق فقال (ومن يهاجر فى سبيل الله) فيه اشارة الى أن المهاجر فى سبيل الشيطان ليس بموعود بهذه الاشياء (يجد فى الارض مراغما) أى طريقا يراغم فيه أنوف أعدائه القاصدين ادراكه لانه ليس واحدا بل (كثيرا وسعة) من الرزق (ومن يخرج من بيته) بخلاف من نوى الهجرة ولم يخرج (مهاجرا) أى مقدرا للهجرة (الى الله) أى الى مكان أمر الله به (و) أولاه مكان (رسوله ثم يدركه الموت) فى الطريق فلا يخاف فوات أجره وغفران ذنبه (فقد وقع) أى ثبت (أجره) الكامل لانه نوى مع الشروع فى العمل ولا تقصير منه فى عدم اتمامه فكأنه وجب (على الله و) غفر ذنبه ورحم غفران الواصل الى دار الهجرة ورحمته اذ (كان الله غفورا رحيما) قيل لما سمع حبيب بن ضمرة الآية السابقة وهو شيخ كبير مريض قال ما أنا ممن استثنى الله لانى أجد حيلة ولى من المال ما يبلغنى المدينة وأبعد منها والله لا أبيت الليلة بمكة أخرجونى فخرجوا به يحملونه على السرير حتى أتوا به الى التنعيم فأدركه الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايع به رسولك ثم مات فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو وافى المدينة لكان أتم وأوفى أجرا وقال المشركون ما أدرك ما طلب فأنزل الله هذه الآية ثم أشار الى أن من السعة فى حق المهاجرين بل فى حق كل مسافر قصر الصلاة فقال (واذا ضربتم) أى سرتم مدين السير (فى الارض) وهو الذهاب مرحلتين (فليس عليكم جناح) أى اثم فى (أن تقصروا) أى تنقصوا شيأ (من) ركعات (الصلوة) ركعتين من الرباعية (ان خفتم) من اتمامها (أن يفتنكم) أى يقاتلكم (الذين كفروا) لانهم وان راعوا حرمة حرم مكة والاشهر الحرم لا يراعون حرمة الصلاة لعداوتكم (ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) فأصل القصر كان مشروطا

بهذا

من الوسخ وجاء فى التفسير أنه أخذ من الشارب والاظفار ونتف الابطين وحلق العانة (قوله تعالى تنبت بالدهن) تأويلها كأنها تنبت ومعها الدهن لانهم تغذى بالدهن وقرئت تنبت بالدهن أى ما تنبته كأنه والله أعلم يخرج ثمرها ومعه الدهن وقال قوم الباء زائدة انما يعنى تنبت الدهن أى ما تعصرون

بهذا الخوف ثم أسقط هذا الشرط واعتبر مشقة السفر لما روى مسلم عن يعلى بن أمية قال لعمر بن الخطاب ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فقد أمن الناس فقال عجبت مما عجبت فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها فاقبلوا صدقته أى رخصته ثم ذكر سائر تخفيفات الصلاة لخوف العدو فقال (واذا كنت) أيها الكامل الذى يتوهم فيه انه لا يأخذ بالتخفيفات (فيهم) أى فى جمع العدو (فأقمت لهم) أى لاصحابك الذين يحتاجون الى التخفيفات (الصلوة) بالجماعة التى لوفور أجرها يتحمل مشاقها ولا يخاف من النقائص معها (فلتقم) فى الركعة الاولى (طائفة منهم معك) وتكون الاخرى تجاه العدو (وليأخذوا أسلحتهم) التى لا تشغلهم عن الصلاة ولا تؤذى الجار لانه أقرب الى الاحتياط (فاذا سجدوا) سجدتى الركعة الاولى فارقوك وأتموا صلاتهم وتقوم الى الثانية منتظرا فاذا فرغوا (فليكونوا) يحرسونكم (من ورائكم و) اذا حرست الاولى (لتأت طائفة أخرى) وهم الذين (لم يصلوا) الركعة الاولى معك (فليصلوا) ركعتهم الاولى (معك) وأنت فى الثانية فاذا جلست منتظرا قاموا الى ثانيتهم وأتموها ثم جلسوا ليسلموا معك (وليأخذوا) سيما فى الثانية (حذرهم) أى تيقظهم لان العدو يتوهمون فى الاولى كون المسلمين قائمين فى الحرب فاذا قاموا الى الثانية ظهر لهم انهم فى الصلاة وجعله كالآلة فأمر بأخذه وعطف عليه (وأسلحتهم ود) أى تمنى (الذين كفروا لو) ينالون منكم غرة اذ (تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم) أى حوائجكم التى بها بلاغكم (فيميلون) أى يشدون (عليكم ميلة واحدة) فيقتلونكم روى ان المشركين لما رأوا المسلمين يصلون الظهر ندموا أن لا أكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعدها صلاة هى أحب اليهم من آبائهم وأمهاتهم أى العصر فاذا قاموا اليها شدوا عليهم فنزل جبريل عليه السلام بالآية (ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر) يثقل معه حمل السلاح (أو كنتم مرضى) يثقل عليكم حمله (أن تضعوا أسلحتكم و) لكن (خذوا حذركم) لئلا يهجم عليكم العدو وان كان المتوكل على الله لا يبالى بهم (ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) فلا يبعد ان يهينهم بنصر أعدائهم عليهم من غير حمل سلاح (فاذا قضيتم) أى أتممتم (الصلوة) اى صلاة الخوف (فاذكروا الله) جبر النقائصها استحبابا والاولى على هيئة الصلاة (قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم) أى سكنت قلوبكم بالامن ولو فى أثناء هذه الصلاة (فأقيموا الصلوة) كاملة وانما أجزنا فيها النقص مع الخوف رعاية لاوقاتها (ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) أى واجبة فى أوقاتها لا يجوز اخراجها عنها وان لزمها نقائص فى رعايتها (ولا تهنوا) أى ولا تضعفوا من شغلكم بالصلاة (فى ابتغاء القوم) أى طلب القوم الكفار بالقتال مخافة كثرة الافعال اذ رخص لكم فيها فلا عذر من جهتها فلو اعتذرتم فانما هو من جهة تألمكم لكن (ان تكونوا تألمون) فلا ينبغى أن يوهنكم كما لم يوهنهم (فانهم يألمون) لا دون تألمكم بل (كما تألمون) على أنه لا يخفف لالمهم (و) ألمكم مخفف اذ (ترجون

فيكون دهنا (قوله تعالى تترى) وتترا فعلى وفعلا من المواترة وهى المتابعة من لم يصرفها جعل ألفها للتأنيث ومن صرفها جعلها ملحقة بفعلل وأصل تترى وترى فابدلت التاء من الواو كما أبدلت فى تراث وتجاه ويجوز فى قول الفراء أن تقول فى الرفع تترو فى الخفض تتر وفى النصب تترا الالف بدل من التنوين (قوله

من الله) من القرب منه واستحقاق الدرجات من جناته واظهار دينه (مالا يرجون وكان الله عليما) بأنكم لاتضعفون معهم ان صبرتم (حكيما) فى أمركم بترك الوهن معهم ثم أمر بترك الوهن فى الانتصاف من الظالم للمظلوم فقال (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس) بطريق التسوية بينهم ولم نكلفك الاطلاع على الواقع بل (بما أراك الله و) لولم تفعل فلا تعكس (لاتكن للخائنين) أى للذب عنهم (خصيما) مع البراء (و) ان هممت به (استغفر الله) لان همك بالمعصية معصية (ان الله كان غفورا رحيما) روى ان طعمة بن أبيرق سرق درع جاره قتادة بن النعمان وكانت فى جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرقه حتى انتهى الى داره ثم خبأها عند زيد بن السمين اليهودى فالتمست الدرع من طعمة فحلف بالله ماله بها من علم فقال أصحاب الدرع لقد رأينا أثر الدقيق الى منزل اليهودى فأخذوها منه فقال دفعها الى طعمة فجاء قوم طعمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يجادل عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاقب اليهودى فأنزل الله هذه الآية ثم قال (ولا تجادل) اعتمادا على غفران الله ورحمته (عن الذين يختانون) اى يتعمدون الخيانة فيظلمون (أنفسهم) للستر عليهم لان الله لا يريد سترهم (ان الله لا يحب من كان خوانا) أى مبالغا فى الخيانة بالتعمد (أثيما) بالحلف الكاذب ورمى البرىء (يستخفون) أى يستترون بهما (من الناس) الذين لا نسبة لهم الى عظمة الله (ولا يستخفون من الله) فلا يستحيون منه مع جلالة قدره (و) لا يمكنهم الاستتار منه اذ (هو معهم) يعلم (اذ يبيتون) أى يزورون (مالا يرضى من القول) الحلف الكاذب ورمى البرىء وشهادة الزور (وكان الله بما يعملون محيطا) فيمكنه أن يفضحكم بظواهركم وبواطنكم بين الخلق الذين كنتم تستخفون من أقل القليل منهم (ها أنتم هؤلاء) أى تنبهوا أيها المشار اليهم بالاشارة القريبة بأن ستركم عليهم لا يمنع من فضيحة الله اياهم لان غايتكم انكم (جادلتم عنهم) للستر عليهم فانما يكون ساترا (فى الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم) ليدفع فضيحته بمقتضى علمه المحيط الذى يظهر به (يوم القيامة) بين الأولين والآخرين أيكون هناك من يستر عليهم (أمن يكون عليهم وكيلا) يدفع عنهم ثم أشار الى أن المعاصى لا تستتر بالمجادلة بل بالاستغفار فقال (ومن يعمل سوأ) أى معصية يسوء بها غيره (أو يظلم نفسه) فيخصها (ثم يستغفر الله) أى يطلب سترهما من الله (يجد الله غفورا) أى مبالغا فى الستر (رحيما) بالمحو ثم أشار الى أن المجادلة لو سترت فلا تستر اذا رمى بها بريئا عنها فقال (ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه) فيجوز أن يستره الله عليه ولو بالمجادلة (وكان الله عليما حكيما و) أما (من يكسب خطيئة) أى سهوا (أو اثما) عمدا (ثم يرم به بريئا) فلا يليق بعدل الله سبحانه وتعالى ستره (فقد احتمل بهتانا) على صاحبه (واثما) صارت خطيئته به عمدا فلابد فى مقتضى العدل الالهى ان يكون (مبينا) لاهولوفى القيامة (ولولا فضل الله عليك) بالهداية الكاملة (ورحمته) بالعصمة التامة (لهمت طائفة منهم أن يضلوك) أى اضلت اذ قصدت قصدا كليا طائفة عظيمة ممن يدعى محبتك أن يضلوك برمى البرىء والمجادلة عن

الخائنين

تعالى تجأرون) أى ترفعون أصواتكم بالدعاء (قوله تعالى تنكصون) أى ترجعون القهقرى يعنى الى خلف وقوله تهجرون من الهجر وهو الهذيان وتهجرون أيضا من الهجرة وهو الترك والاعراض وتهجرون بتشديد الجيم تعرضون اعراضا بعد اعراض وتهجرون من الهجر وهو الافحاش فى المنطق (تلقونه) أى

الخائنين (ومايضلون) بهذا الهم (الا أنفسهم) باعتقاد انهم يتمكنون من اضلالك مع ماعليك من الفضل والرحمة وكيف يضلونك بمثل هذه الكبائر (ومايضرونك من) تحصيل (شيء) لك من الصغائر كيف (و) قد (أنزل الله عليك) لارشاد الخلق الى يوم القيامة (الكتاب والحكمة) أى العلم الظاهر والاسرار الباطنة (وعلمك) من المغيبات (مالم تكن تعلم) بالاكتساب ولابالمجاهدة (و) ذلك لانه (كان فضل الله عليك عظيما) اذ جعل رسالتك ونبوتك وولايتك فوق ماللغير فكيف يتمكنون من اغوائك بمثل هذه الامور الشنيعة ثم أشار الى أن منشأ اجتماعهم على هم اضلالك انما كان بنجواهم فقال (لاخير فى كثير من نجواهم) بل فى شيء منها (الا) فى نجوى (من أمر) بخفية عن الحاضرين (بصدقة) ليعطيها اسرارا يستر به عار المتصدق عليه (أومعروف) لئلا يأنف المأمور عن قبوله لو جهر به (أو اصلاح بين الناس) بما لوظهر أولا ربما لم يتم قيل فى الحصر الخير امانفع جسمانى وهو فى الامر بالصدقة أو روحانى وهو فى الامر بالمعروف وامادفع وهو فى الاصلاح ويمكن أن يقال الخير امانفع متعد من المأمور وهو الصدقة أولازم له وهو المعروف أو دفع ضرر متعد أولازم له وهو الاصلاح (و) انما يتم خيريتها لوابتغى بها رضا الله تعالى فان (من يفعل ذلك ابتغاء) أى طلب (مرضات الله) أى وجوه رضوانه (فسوف نؤتيه أجرا عظيما) يساوى أجر الفاعل أو يفوقه وكيف لايعظم وهو يقابل عذاب مشاقة الله التى أوعد على مادونها بغاية الشدة وهى مشاقة الرسول بل مخالفة المؤمنين فقال (ومن يشاقق الرسول) أى يصير فى شق ويجعله فى آخر (من بعدما تبين له الهدى) فى شق الرسول دون ما اختاره (و) كذا من (يتبع غير سبيل المؤمنين) الذين أجمعوا عليه (نوله) اى نجعله واليا مربيا (ماتولى) من المشاقة ومتابعة غير سبيلهم فنزينه عليه تزين الكفر على الكفرة ليكون دليلا على شدة العقوبة فى الآخرة (ونصله جهنم) تطبيقا للدليل مع المدلول (وساءت مصيرا) وان توهم المزين له انه يحسن مصيره وفى الآية دليل على حرمة مخالفة الاجماع لانه عزوجل رتب الوعيد الشديد على مشاقة الرسول ومخالفة الاجماع فهو اما لحرمة أحدهما وهو باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر وأكل الخبز استوجب الحد اذ لادخل لأكل الخبز فيه أو لحرمة الجمع بينهما وهو أيضا باطل لان مشاقة الرسول حرام وان لم يضم اليها غيرها أو لحرمة كل واحد منهما وهو المطلوب ثم أشار الى أن وعيد مشاقة الرسول جازم دون مخالفة الاجماع لان مشاقة الرسول دليل تكذيبه وهو مستلزم للشرك بالله اذ خالق المعجزات لايكون الا الكامل القدرة ولايكون الا الاله فاذا نفاها عن الله فقد أثبت له شريكا (ان الله لايغفر أن يشرك به و) مخالفة الاجماع يجوز أن تكون مغفورة لانه (يغفر مادون ذلك لمن يشاء) اذ لاتنتهى الى الشرك وكيف يغفر أن يشرك به (و) هو أعظم وجوه الضلال فان (من يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) فترك جزائه يستلزم التسوية بينه وبين الهداية الكاملة وكيف لايكون ضلالا بعيدا مع انهم (ان يدعون) أى مايعبدون (من دونه الا اناثا) اما لفظا كصور الاسماء الالهية أو الملائكة أو الجنة أو

تقبلونه وقرئت تلقونه من الولق وهو استمرار اللسان بالكذب (قوله عزوجل تبارك) تفاعل من البركة وهى الزيادة والنماء والكثرة والاتساع أى البركة تكتسب وتنال بذكرك ويقال تبارك تقدس والقدس الطهارة ويقال تبارك تعاظم الذى بيده الملك (قوله تعالى تغيظا وزفيرا) التغيظ الصوت الذى

مشايخهم وهي مؤنثة لفظا واما معنى لان معبوداتهم منفعلة عن الله تعالى لحدوثها ثم ان الملائكة وأرواح مشايخهم لاتتعلق بتلك الصور ولايظهر بها الاسماء الالهية ظهورا كاملا (و) انما تتعلق بها الشياطين وتظهر فيهم (ان يدعون الا شيطانا) يتكلم بالسدنة معهم ويتراءى لهم ولايتقرب بعبادته الى الله لكونه (مريدا) أى خارجا عن طاعته بحيث (لعنه الله) أى أبعده عن رحمته فاراد ابعاد من أبعد بسببه (وقال) حين أبعد (لاتخذن من عبادك) الذين أبعدت بسببهم (نصيبا مفروضا) أى مقدارا من عبادتهم بأن يعبدوا غيرك أو يراؤا فيها أو يحجبوا بها أو يتلفوها فى المظالم أو يحبطوها بالكفر بعدها (ولأضلنهم) بايهام ان فى عبادة الاصنام عبادة الله لانها مظاهره فما يعبد فيها غيره (ولأمنينهم) بنيل الاجر منك على عبادة الاصنام أو بانكار البعث والجزاء أو بانه يحصل لهم أحسن وجوه الجزاء أو بطول بقائهم فى الدنيا ليؤثروها على الآخرة و بالحث على المعاصى وتسويف التوبة عليه (ولآمرنهم) على خلاف أمرك اضلالا لهم بانه أمرك وايقاعا لهم فى أمنية الثواب عليه (فليبتكن) أى فليشقن (آذان الانعام) أى البحائر والسوائب ليحرموها بعدما أحللتها لهم (ولآمرنهم) بتغيير مقتضى العقل الذى فطر الله عليه الخلق و بتغيير ظاهر الخلقة بالوسم والوصل والخصى وتشبيه الرجال بالنساء والنساء بالرجال (فليغيرن خلق الله) بأحد هذه الوجوه التى فيها موالاتى (ومن يتخذ الشيطان وليا) يأتى بما يدعوا اليه (من دون الله) أى مجاوزا ولاية بترك مايدعوا اليه (فقد خسر خسرانا مبينا) اذلم يجد ماوعده ولا ماوعده الشيطان لان غاية أمر الشيطان انه (يعدهم) وعدا ليس بيده (و) لكنه (يمنيهم) انهم ينالونه من الله وانما ينالونه لو صدق (و) لكن (مايعدهم الشيطان الاغرورا) ايهام نفع بما ليس فيه سوى الضرر اذ (أولئك) البعداء عن وعد الله (مأواهم جهنم) بوعيده (و) وعيده وان كان قد يتخلف فى حق غيرهم فهم (لايجدون عنها محيصا) أى معدلا (و) كيف لا يكون خسرانهم مبينا وقد خسروا الجنة الموعودة للمؤمنين العاملين للصالحات اذ (الذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات) وكفى بفواتها خسرانا لولم تجر من تحتها الانهار لكنها (تجرى من تحتها الانهار) أيضا ولولم تأبد ولكنها تأبد اذ يكونون (خالدين فيها أبدا) وليس كوعد الشيطان الذى هو غرور بل (وعد الله حقا) وكيف لايكون وعد الله حقا (ومن أصدق من الله قيلا) لانه دال على المعنى النفسى الذى لايتصور فيه نقيصة الكذب واذا صدق وعد الله صح انه (ليس) الامر (بأمانيكم) أيها المشركون انه لاجنة ولانار فان كانتا كنا أحسن حالا (ولا أمانى أهل الكتاب) انه ان يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وانه لن تمسنا النار الا أياما معدودة اذ ليس فى كتبهم ذلك بل الذى فيها (من يعمل سوأ يجز به) وقد حرفوا كتاب الله وغيروا نعت رسوله وكذبوا بآياته (ولا يجد له من دون الله) من الانبياء والاولياء (وليا) يرفع درجته فيرفع عنه السوء (ولا نصيرا) يدفع عنه السوء (ومن يعمل من الصالحات) وان لم يستوعبها (من ذكر أو أنثى) أى كامل أو ناقص (وهو مؤمن) بجميع

الكتب

يمهم به المغتاظ والزفير صوت من الصدر (قوله عز وجل نبرنا) أى أهلكنا (قوله عز وجل تبسم ضاحكا) التبسم أول الضحك وهو الذى لاصوت له (قوله تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه) أى حلفوا بالله انهم (قوله تعالى تأجرنى) أى تكون أجيرالى (قوله عز وجل تذودان) أى تكفان غنمهما وأكثر مايستعمل

الكتب والرسل (فأولئك) لعلو رتبتهم بالايمان الصحيح وبعض الاعمال الصالحة (يدخلون
الجنة) المناسبة لعلوهم وان لم يكونوا هودا أو نصارى (ولا يظلمون) أى لا ينقصون (نقيرا)
أى مقدار نقرة ظهر النواة فضلا عن ابطال الاجر بالكلية ولو قالوا كيف لا ينقص اجركم
عن أجرنا ودينا سابق وكذا نبينا رد عليهم بانه لا فضل للسبق بل للحسن (ومن أحسن دينا ممن
أسلم وجهه لله) فانقاد لجميع أوامره وآياته (وهو محسن) أى ناظر الى الله لا الى دين سبق
اليه آباؤه (و) لو اعتبرتم سبق دينكم فدين ابراهيم أسبق والمسلم قد (اتبع ملة ابراهيم حنيفا)
أى مائلا عن الاعتقادات الفاسدة الباطلة التى لكم (و) قد اشتهر بالفضل اذ (اتخذ الله
ابراهيم خليلا) لانه تخللت صفاته بصفاته أى ناسبها مناسبة تامة بقدر الطاقة البشرية والدين
المحمدى اشتمل على ملته وزيادات شريفة (و) لا بأس بنسخها بعض الاحكام اذ (لله ما فى
السموات وما فى الارض) فله أن يتصرف فيهما بما يشاء (و) لكنه راعى مصالح أهل كل
عصر وان لم يدركوها اذ (كان الله بكل شئ محيطا ويستفتونك فى النساء) كيف تورثهن مع
ان قريشا لم تورث الا من شهد القتال وحاز الغنيمة وقد ورثوا من ملة ابراهيم فكيف تخالفها
(قل الله يفتيكم فيهن) فى صحف ابرهيم وموسى وعيسى (و) يفتيكم أيضا (ما يتلى عليكم فى
الكتاب) من الله (فى يتامى النساء اللاتى) هن أحوج الى المال من الرجال وان كنتم
(لا تؤتونهن) بالنظر الى حاجتهن ولا الى (ما كتب لهن و) لا تراعون فى ذلك مصالحهم اذ
(ترغبون) فى (أن تنكحوهن) لتأكلوا أموالهن (و) يفتيكم أيضا فى (المستضعفين من
الولدان) الذين هم أحوج الى المال لعجزهم عن الاكتساب اذ تمنعونهم حقوقهم لعدم
شهودهم القتال (و) يفتيكم ان عليكم (أن تقوموا لليتامى) من النساء والولدان (بالقسط)
فلا تجعلوا حظهم دون حظ الكبار (وما تفعلوا من خير) سيما فى حق الضعفاء من حفظ
أموالهم والقيام بتدبيرهم (فان الله كان به عليما) يفعل بكم خيرا كما فعلتم بهم (وان خافت
امرأة) مخالفتكم أمر الله بايفاء حقوقها بان (خافت من بعلها) أى زوجها (نشوزا) أى
تجافيا عنها ومنعا لحقوقها (أو اعراضا) أى تطليقا (فلا جناح) أى لا اثم (عليهما) وان أعانته
على مخالفة أمر الله (أن يصلحا) بما يجمع (بينهما صلحا) بحط شئ من المهر أو النفقة أو هبة شئ
من مالها أو قسمها وكيف يكون عليهما جناح (والصلح خير) من الفرقة التى يلتزمها تحرزا
من حقوقها ومن الخصومة وسوء العشرة (و) انما صار خيرا مع كرهها ومخالفته لامر الله
لانه (أحضرت الانفس الشح) فلا تكاد المرأة تسمح بالنشوز والاعراض ولا الرجل فى
امساكها مع القيام بحقوقها (و) هذا وان رخص لكم فيه لكن (ان تحسنوا) العشرة
(وتتقوا) مخالفة أمر الله (فان الله كان بما تعملون) من تحمل المشاق من أجله (خبيرا)
فيعظم أجركم (و) انما رخص فى الصلح بعدما أمر بالقسط لما علم انكم (لن تستطيعوا أن
تعدلوا بين النساء) بحيث لا يقع ميل الى احداهن يدعو الى منع حقوق الاخرى (ولو
حرصتم) أى بالغتم لان الميل يقع بلا اختيار فى القلب لكنكم مختارون فى تنفيذه (فلا تميلوا)

فى الغنم والابل وربما
استعمل فى غيرهما
ويقال سنذودكم عن الجهل
وغنعكم علينا أى نكفكم
(قوله تعالى تصطلون)
أى تسخنون (قوله تعالى
تنوء بالعصبة) أى تنهض
بها وهو من المقلوب معناه
ما ان العصبة لتنوء بمفاتحه
أى ينهضون بها يقال ناء
بحمله اذا نهض به متثاقلا
وقال الفراء ليس هذا من
المقلوب انما معناه ما ان

عن امراة (كل الميل) فتتركوا المستطاع من القسط (فتذروها) أى تتركوها (كالمعلقة)
بين السماء والارض لاتكون فى احدى الجهتين لاذات بعل ولامطلقة (وان تصلحوا)
نفوسكم بمنعها اماتميل اليها (و) لاأقل من أن (تتقوا) نقص شئ من حقوقها مع عدم الميل
(فان الله كان غفورا) بميلكم (رحيما) باثابتكم (وان يتفرقا) أى اختارا الفرقة (يغن الله
كلا) من الزوج والزوجة بامرأة أخرى وزوج آخر (من سعته) أى سعة جوده (وكان
الله واسعا) فى الجود وانما يقبض عمن يقبض لانه كان (حكيما و) كيف لايكون واسعا اذ
(لله مافى السموات ومافى الارض) فله أن يعطى ماشاء منهما لمن شاء من عبيده (و) لكن
بمقتضى الحكمة (لقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) فعلموا سعة رحمتنا المجرئة لهم
على المعاصى (واياكم) وان كنتم أمة مرحومة (أن اتقوا الله) فان الحكمة لاتتم
الا بتقواه (و) ليس المراد ان حكمة الله لاتتم بدون تقواكم فانكم (ان تكفروا فان لله مافى
السموات ومافى الارض) يتم حكمته فيهما (وكان الله غنيا) فى اتمام حكمته عن تقواكم
(حميدا) أتمم حكمته بتقواكم أم لا (و) انما أمركم بالتقوى مع غناه فى اتمام حكمته عنكم
لانه أراد افاضة الكمالات عليكم من كل جانب اذ (لله مافى السموات ومافى الارض) ينفع من
شاء بماشاء منهما ويضر من شاء بماشاء منهما فاذا أمر عباده بامر ففعلوه سخرهما لهم
فانتفعوا بكل شئ فيهما ولم يضرهم شئ منهما اذ يصير وكيلهم (وكفى بالله وكيلا) ولكون أمره
اياكم بعبادته مع غناه عنها وعنكم لافاضة الكمالات عليكم عن استعدادكم لها بالعبادة فاذا
تركتموها (ان يشأ يذهبكم) أى لايظهر فيكم كمالاته التى خلقكم لظهورها فيكم (أيها الناس)
الذين نسوا سر خلقهم (ويأت بآخرين) لانه وان كان غنيا عن اظهار كمالاته فانه لغاية كماله
شأنه التكميل (و) لامانع له من هذه المشيئة اذ (كان الله على ذلك قديرا) ولا يمنعكم
عن عبادته اشتغالكم بطلب الدنيا لشدة حاجتكم اليها فان (من كان يريد ثواب الدنيا) فانه
يحصل له من عبادة الله كثواب الآخرة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة و) غاية طلب العابد
الدعاء والاولى الاكتفاء بعلمه اذ (كان الله سميعا) لدعاء من يطيعه (بصيرا) بحال من يكتفى بعلمه
ثم أشار الى أنهما انما يحصلان للمستقيم على أمر الله اذ يقيم له جميع وجوهه فقال (يا أيها
الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم المبالغة فى القيام بالقسط (كونوا قوامين بالقسط) أى
العدل والاستقامة اذ به انتظام أمر الدارين الموجب لثوابهما ومن أشده القيام بالشهادة
على وجهها كونوا (شهداء) مقيمين للشهادة مؤدين لها (لله ولو) كانت (على أنفسكم)
فاقروا بالحق عليها (أو الوالدين) أى الاصول (والاقربين) أى الاولاد والاخوة وغيرهم
(ان يكن) من تشهدون عليه (غنيا) تخافون منعه ما كان يعطيكم أو اضراره بكم (أو فقيرا)
ترحمون عليه بترك الشهادة عليه أو تخافون من الشهادة عليه أن يلجئكم الى ان تعطوه
مايكفيه (فالله أولى بهما) من المشهود عليه فاذا نظر اليه جعل الشهادة صلاحا لهما وكذا

مقاتحه لتنوء العصبة أى
تملهم بثقلها فلما انفتحت
التاء دخلت الباء كما قالوا
هو يذهب بالبؤس ويذهب
البؤس واختصاره تنوء
بالعصبة أى تجعل العصبة
تنوء أى تنهض متثاقلة
كقولك قم بنا أى اجعلنا
نقوم (قوله تعالى تفرح)
تأشران الله لايحب الفرحين
أى الاشرين وأما الفرح
بمعنى السرور فليس
بمكروه (وقوله تعالى

اذا نظرتم اليه جملها صلاحا لكم (فلا تتبعوا الهوى) ارادة (أن تعدلوا) عن أمر الله الذى
هو مصلح أموركم وأمور المشهود عليهم لو نظرتم ونظروا اليه (وان تلووا) أى تحرفوا
ألسنتكم عن الشهادة على وجهها (أو تعرضوا) عنها بكتمها (فان الله كان بما تعملون
خبيرا) فلا يبعد أن يوقع بكم المكروه ويبطل عليكم المطالب مع ما يجازيكم عليه فى الآخرة
ثم أشار الى أن اقامة العدل والشهادة لله تكميل للايمان بالله والرسول والكتاب فقال (يا أيها
الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ترجيح جانب من آمنتم به والتعظيم لرسوله والعمل بمقتضى
كتابه (آمنوا بالله) أى كملوا ايمانكم به باقامة العدل الذى فيه ترجيح جانبه (ورسوله) الذى
بعثه باقامة العدل (والكتاب الذى نزل) لتقرير قواعد العدل واحدة بعد أخرى (على
رسوله) لتأسيسها على أكمل الوجوه وأحسنها (والكتاب الذى أنزل من قبل) لتقرير قواعد
عدل زمانه فكماله انما يكون برعاية مصالح كل زمان ثم أشار الى أن ترك العدل والشهادة لله
يشبه الكفر بجميع ما يجب الايمان به فيشبه الضلال البعيد فقال (ومن يكفر بالله) الآمر
بالعدل (وملائكته) الآتية به من عند الله (وكتبه) الموضوعة لتقرير قواعده (ورسله)
المبينين لها (واليوم الآخر) الموضوع للجزاء على اقامته وتركه (فقد ضل ضلالا بعيدا)
أما الكفر بالله فظاهر وأما بالملائكة فلأنهم المقربون اليه وأما بالكتب فلأنها الهادية
اليه وأما بالرسل فلأنهم الداعون اليه وأما باليوم الآخر فلأن فيه نفع اقامته وضرر تركه
فاذا أنكر لزم انكار النفع الحقيقى والضرر الحقيقى فهو الضلال البعيد ثم الكفر بالملائكة
كفر بمظاهر باطنه وبالكتب كفر بمظاهر صفة كلامه وبالرسل كفر بأتم مظاهره وباليوم
الآخر كفر بدوام ربوبيته وعدله ثم الكفر بالملائكة يدعو الى الايمان بالشياطين
وبكتب الله الى الايمان بكتب الكفرة وبالرسل الى تقليد الآباء وباليوم الآخر الى الاجتراء
على القبائح وكل ذلك ضلال بعيد ثم أشار الى أن الكفر لما كان ضلالا بعيدا لم يفد الايمان
السابق عليه ولو مكررا لا هداية ولا مغفرة فقال (ان الذين آمنوا) بموسى (ثم كفروا)
بعبادة العجل (ثم آمنوا) عند عوده (ثم كفروا) بعيسى (ثم ازدادوا كفرا) بمحمد صلى الله
عليه وسلم (لم يكن الله ليغفر لهم) فيفيدهم أدنى فوائد الايمان لايمانهم السابق ولو مكررا
(ولا ليهديهم سبيلا) الى التحقيق ولا ينفع وان بقوا على الايمان بموسى اذ الكفر اللاحق ناسخ
للايمان السابق ولا ينفع تكراره سيما اذا عورض بمزيد الكفر وكيف ينفع السابق ولا
ينفع المقارن سيما فى حق المنافقين (بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما) ويدل على مقارنة ايمانهم
الكفر ترجيحهم جانب الكفرة فى المحبة اذهم (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون
المؤمنين) أى مجاوزين موالاة المؤمنين فان زعموا انهم انما يوالونهم تقية من اذلالهم يقال
لهم (أيبتغون) أى يطلبون (عندهم العزة) مع انها ليست عندهم (فان العزة لله جميعا) وهم
أعداؤه فلا يعطيهم منها شيأ فلو كانت لهم وجب على المؤمنين الصبر على الذلة بمقتضى الايمان
كيف (وقد نزل عليكم فى الكتاب) الذى تدعون الايمان به (أن) أى أن الشأن (اذا سمعتم

تخلقون افكا) أى تختلقون كذبا (قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع) أى ترتفع وتنبو عن الفرش (قوله تعالى تبرجن) أى تبرزن محاسنكن تظهرنها (قوله تناوش) أى تناول تهمز ولا تهمز والتناوش بالهمز التأخر أيضا قال الشاعر
تمنى نئيشا أن يكون أطاعنى
وقد حدثت بعد الامور أمور

آيات الله) من ذلك الكتاب أو غيره (يكفر بها و) لا سيما اذا كانت (يستهزأ بها فلا تقعدوا
معهم) أي مع الكافرين سيما المستهزئين فضلا عن موالاتهم (حتى يخوضوا في حديث غيره)
لان قعودكم معهم يدل على رضاكم بالكفر بها والاستهزاء (انكم اذا) أي اذا رضيتم بكفرهم
واستهزائهم (مثلهم) فاجتماعكم بهم ههنا سبب اجتماعكم في جهنم (ان الله جامع المنافقين
والكافرين في جهنم جميعا) وكيف لا يجتمعون بهم وأقل أحوالهم انهم ان لم يرجحوا الكفر
على الايمان يترددون في الترجيح بينهما اذ هم (الذين يتربصون) أي ينتظرون وقوع أمر
من الغنيمة أو الهزيمة (بكم فان كان لكم فتح) ولا يكون مع ضعفكم الا (من الله) ولا دخل
لمعونتهم فيه (قالوا) لكم (ألم نكن معكم) فلنا دخل في فتحكم فليكن لنا شركة في غنيمتكم
(وان كان للكافرين نصيب) من الفتح لئلا يلجئهم دوام الفتح للمؤمنين الى الايمان (قالوا)
لهم (ألم نستحوذ) أي ألم نستول (عليكم) فامكنا قتلكم (و) لكنا لم نقتلكم ومنعنا المؤمنين
أن يقتلوكم ألم (نمنعكم من المؤمنين) فهذا دليل على أن التردد في قلوبهم لا يزول بهذه الدلائل
(فالله يحكم بينكم) بازالة ترددهم (يوم القيامة و) ليس باعطاء الحجة لهم لانه (لن يجعل الله
للكافرين على المؤمنين سبيلا) بالحجة في الدنيا ولا في الآخرة ثم قال (ان المنافقين) من ترددهم
في ترجيح أحد الجانبين على الآخر مع وضوح دلائل ترجيح الايمان وفقد دليل على ترجيح
الكفر (يخادعون الله) أي يريدون مخادعته بان يدعوا لانفسهم أرجح الجانبين اذا رأوا
رجحان أحدهما عنده (وهو خادعهم) بالحقيقة اذ لا يريهم الارجح مع وضوح دلائله (و) من
مخادعته لهم انه لا يمكنهم من اتمام الصلاة حتى انهم (اذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى)
لا يهتمون لاتمامها بل لا يريدون الصلاة بالحقيقة وانما (يراؤن الناس و) لذلك (لا يذكرون
الله) فيها ليتقربوا اليه (الا قليلا) ليسمعوا الناس فيوهموهم انهم يتقربون اليه ولو أكثروا
ذكره لم يتأت لهم الاخلاص لانه بترجيح جانب الايمان وليسوا مرجحين أحد الجانبين لكونهم
(مذبذبين) أي مضطربين اضطرابا تاما (بين ذلك) أي ترجيح أحدهما بحيث (لا) يميلون (الى
هؤلاء ولا الى هؤلاء) وهذا من خداع الله بهم اذ لم يهدهم أحد السبيلين (و) مع ذلك لا ظلم من
جهته اذ لا استعداد لهم ليكون لهم سبيل الى الهداية فان (من يضلل الله فلن تجد له سبيلا)
فهذا دليل التردد وما سبق دليل ترجيحهم لجانب الكفر على الايمان (يا أيها الذين آمنوا)
أقل ما يقتضيه ايمانكم ترجيحه على الكفر وترك التردد فأنى يكون لكم ترجيح الكفر
(لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين) اذ يصير دليلا على ترجيح جانب الكفر
(أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) أي حجة ظاهرة على كفركم تبيح أموالكم
ودماءكم ولا يفيدكم التردد تخفيف العذاب فضلا عن النجاة (ان المنافقين في الدرك الاسفل من
النار) ولا تخفيف فيها ولا نجاة لاهلها (و) لا يفيدهم الجهل برجحان أحد الجانبين لظهور
ترجيح الايمان مع انه لا حجة في جانب الكفر أصلا فلذلك (لن تجد لهم نصيرا) من الحجج وغيرها
(الا الذين تابوا) عن النفاق (و) هي انما تتم اذا (أصلحوا) ما أفسدوا من اعتقادات المسلمين

واموالهم

(قوله عز وجل تسوروا (المحراب) أي نزلوا من ارتفاع ولا يكون التسور الا من فوق (قوله عز وجل توارت بالحجاب) أي استترت الشمس أضمرها بالليل يعني ولم يجر لها ذكر والعرب تفعل ذلك اذا كان في الكلام ما يدل عليه (قوله عز وجل تقشعر) أي تقبض (قوله تعالى تقلبهم في البلاد) أي تصرفهم فيها بالتجارة أي فلا يغررك

وأحوالهم (و) هو انما يتأتى اذا (اعتصموا بالله) بترك موالاة الكفار (و) هو انما يتيسر اذا (أخلصوا دينهم لله) فلم يبق لهم فيه تردد (فأولئك) لطهورتهم بهذه الامور لا يكونون فى درك من النار فضلا عن الاسفل بل (مع المؤمنين) المستمرين على الايمان بلا نفاق فى الجنان (وسوف يؤت الله المؤمنين) المستمرين على الايمان (أجرا عظيما) فوق أجر من تاب عن النفاق ويحتمل أن يقال وسوف يؤت الله المؤمنين بعد ادخال الجنان أجرا عظيما يشارك فيه التائبون عن النفاق ثم أشار الى أنه انما استثنى التائبين من المنافقين مع كونهم مخادعين لله مستحقين لعذاب أشد من عذاب الكفار لان الله تعالى لا يعذب أحدا ليشتفى به غيظا أو يدفع به ضررا أو يجر نفعا بل انما يعذب من يعذبه لانه حصل له مرض من جهله بالمنعم وعدم شكره له فاذا شكر المنعم وآمن به زال سببه (ما يفعل الله) من جر نفع له أو دفع ضر عنه (بعذابكم) الذى كان يعذبكم به لعدم شكركم وايمانكم (ان شكرتم وآمنتم) كيف (و) مقتضى جوده الانعام على من عرف قدر النعمة وأقر بالمنعم اذ (كان الله شاكرا) أى مجازيا على الشكر بالمزيد (عليما) باستعداده للانعام عليه فلا يبعد عليه أن يلحق التائب من الكفر والنفاق بالمستمر على الايمان والاعمال الصالحة وانما يعذب من لا يشكره لانه كالشاكى عنه ولا يحب الشكاية عن مخلوق فكيف عن نفسه فانه (لا يحب الله الجهر) أى الظهور (بالسوء) أى القبيح من الغير سيما اذا أظهره (من القول) وهو الشكاية (الا) قول (من ظلم) بذلك السوء فتظلم به فانه يحبه حتى انه يجيب دعاءه (وكان الله سميعا) لدعائه (عليما) بما يستحقه الظالم ولو لم يدع المظلوم ثم أشار الى أنه وان أحب الشكاية فهو أشد حبا للاحسان الى المسىء والعفو عنه فقال (ان تبدوا خيرا) أى تظهروا احسانا الى المسىء قدمه لانه أعلى (أو تخفوه) أى الخير وهو الاحسان الى المسىء ووسطه لانه أوسط (أو تعفوا عن سوء) وهو أدنى لكنه مع دناءته يفيد المناسبة مع الله الموجبة لشدة محبته من حيث العفو مع القدرة (فان الله كان عفوا قديرا) ثم أشار الى أن الكفر بالله أشد من ترك شكره ومن الشكاية عنه فالتعذيب عليه أولى (ان الذين يكفرون بالله) المنعم فضلا عن الاعتراف بنعمه والشكاية عنه (ورسله) الذين هم أعظم وجوه نعمه مع ان فيه شكاية عن الله بانه لم يهد طريقا الى معرفته وعبادته (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله) بانهم كذبوا على الله فهم أهل الشكاية وانما أعطاهم الله المعجزات امتحانا للخلق مع انهم لم يجعل عليه دليلا فهو مشكو عنه بتصديقهم بالمعجزات (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) فيشكون عن الله بتسويته بين الصادق والكاذب فى اظهار المعجزات على يديه (ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا) كأنهم يزعمون أن تصديق الكل افراط وتكذيب الكل تفريط وخير الامور أوساطها وهو انما يتصور حيث يكون وسط به طرفان وههنا لما ساووا فى المعجزات والدعوة الى الحق والقيام بالخيرات فى أنفسهم كان الكفر بواحد كفرا بالكل بل بالله اذ يعتقدون فيه انه صدق الكاذب بخلق المعجزات (أولئك هم الكافرون حقا) يستهينون بالله بتصديق

تصرفهم وأمنهم وخروجهم من بلد الى بلد وان الله تعالى محيط بهم (قوله تعالى التقاء) وقوله لتنذر (التلاق) أى يوم يلتقى فيه أهل الارض وأهل السماء ويوم التناد يوم يتنادى فيه أهل الجنة والنار وينادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم والتناد بتشديد الدال من ند البعير اذا مضى على وجهه ويوم

الكاذبين وبالرسل بانه لا يميز صادقهم عن كاذبهم فهو أزيد من الشكاية (و) لذلك (أعتدنا للكافرين عذابا مهينا) ثم أشار الى أن الايمان بواحد من الرسل يكون ايمانا بالكل والايمان بهم ايمانا بالله فلكل واحد من الايمانين أجر فقال (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم) وان كان الايمان بواحد ايمانا بالكل لان الكفر بواحد كفر بالكل (أولئك سوف يؤتيهم أجورهم) متعددة (و) يزيدهم المغفرة والرحمة اذ (كان الله غفورا رحيما) وان زعموا ان ايمانهم بالبعض وكفرهم بالبعض اظهر والفرق اذ سمعوا الله يكلم موسى فكأنهم رأوا نزول كتابه من السماء ولم يروا ذلك في هذا الكتاب من هنا (يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا) يرون نزوله (من السماء) ولا حاجة لهم الى طلب ذلك بعد رؤية اعجازه المؤكد بالتفرق لكن عادتهم انهم لا يرون آية الا سألوا أكبر منها (فقد سألوا موسى) حين سمعوا الله يكلمه فنزل منزلة رؤيتهم نزوله من السماء (أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله) المتكلم (جهرة) أي رؤية ظاهرة فانا لا نؤمن بسماع كلامه ولا بنزول الكتاب المشتمل عليه (فاخذتهم الصاعقة) أي النار النازلة من السماء (بظلمهم) بانهم لا يرون آية الا يطلبون أكبر منها حتى يروا آية ملجئة الى الايمان بحيث لا يفيد الايمان معها فلا يكادون يؤمنون ايمانا يفيدهم أصلا ولا يبعد منهم الكفر بعد رؤية الآيات فانهم رأوا آيات موسى (ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات) أي الدلائل القاطعة على نفي الشرك ثم تابوا عنه (فعفونا عن ذلك) ثم انهم لم ينقادوا الاوامر موسى (و) ان رأوا أنا (آتينا موسى سلطانا مبينا) أي استيلاء ظاهرا على اهلاك من خالفه (و) بالغوا في عدم الانقياد لها حتى (رفعنا فوقهم الطور) ليحملوا التكليف (بميثاقهم) أي بما كلفهم بعهد وثيق (و) مع ذلك لم يأتوا بأسهل الاوامر اذ (قلنا لهم ادخلوا الباب سجدا) فدخلوه يزحفون على استاههم فاخذتهم الصاعقة (و) لم يأتوا بأسهل منه اذ (قلنا لهم لا تعدوا في السبت و) هو مع كونه أهون الامور (أخذنا منهم) فيه (ميثاقا غليظا) فاعتدوا فيه فمسخوا قردة والذي فعلنا بهم (فبما نقضهم ميثاقهم) بالمخالفة (وكفرهم) مع ذلك (بآيات الله) الظاهرة على أيدي بعض الانبياء (وقتلهم) مع ذلك (الانبياء) مع علمهم انه (بغير حق و) لكن سترعنهم حتى بسبب (قولهم قلوبنا غلف) أي محجوبة لا يظهر لها الآيات ولم يكن ذلك لعدم ظهورها (بل طبع الله عليها بكفرهم) فمنعها التدبر فيها (فلا يؤمنون) بما يزعمون الايمان به (الا قليلا) أي ايمانا ضعيفا لاجترائهم على تحريفه وكتمانه (و) لو لم يكن كثرة عدم ايمانهم بالتوراة موجبة طبع فلا شك انه طبع على قلوبهم (بكفرهم) بالانجيل بالكلية (و) لا يقتصرون عليه بل هو مع (قولهم) الذي يجترؤن به (على مريم) بعد ظهور كراماتها وارهاصات ولدها ومعجزاته يبهتونها به (بهتانا عظيما) وهم لا ينكرون هذا الكفر بل يفتخرون بهذا الكفر (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) فيفتخرون بقتله وبالاستهزاء برسالته (و) لا يصح لهم ذلك الفخر لانهم (ما قتلوه و) لا تمسك لهم فيما اشتهر من صلبهم اياه لانهم (ما صلبوه

ولكن

التغابن يوم يغبن فيه أهل الجنة أهل النار وأصل الغبن النقص في المعاملة والمبايعة والمقاسمة (قوله عزوجل تباب) أي خسران (قوله تعالى ان كدنا عن آلهتنا) أي تصرفنا عنها (قوله تعالى تعسا لهم) أي عثارا لهم وسقوطا ويقال التعس أن يخر على وجهه والنكس أن يخر على رأسه (قوله تعالى تزيلوا) أي تميزوا

ولكن) قتلوا وصلبوا من ألقى عليه شبهه اذ (شبه لهم) وذلك لان رهطا من اليهود سبوه فدعا
عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فقال للحواريين ان الله يرفعني
فرفعه فدخل طيطانوس اليهودي بيتا هو فيه فلم يجده فألقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه
عيسى فأخذ وصلب وذلك من معجزات عيسى لاضلال أعدائه ويدل على هذا الشبه اختلافهم
اذ قال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن
صاحبنا وقال قوم من النصارى صلب الناسوت ورفع اللاهوت الى السماء لما سمعوا قوله
(و) لم يرتفع الشبه بدليل قطعي في جانب بل (ان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به) أي
بما قالوا (من علم) أي متمسك (الا اتباع الظن و) لم يكن لهم في اختلافهم قدر مشترك اتفقوا
عليه من انهم قتلوه لانهم (ما قتلوه يقينا بل) اليقين انما هو في أنه (رفعه الله اليه) لما سمع منه
(و) لا يبعد رفعه على الله اذ (كان الله عزيزا) لا يغلب على ما يريده وقد اقتضت الحكمة
رفعه فلابد أن يرفعه لكونه (حكيما) وهي حفظه لتقويه دين محمد صلى الله عليه وسلم حين
انتهائه الى غاية الضعف بظهور الدجال فيقتله ثم أشار الى أن من كان يفتخر بقتله سيتذلل له
قبل موته فقال (وان) أي وما أحد (من أهل الكتاب الا) والله (ليؤمنن به) أي بعيسى
اذ يكاشف بصدقه (قبل موته و) لا يفيدهم هذا الايمان الارفع العداوة المانعة من قبول
الشهادة لذلك (يوم القيامة يكون عليهم شهيدا فبظلم) أي فيشهد بظلم (من الذين هادوا) قبل
من كفر به فتوارثوا الظلم عنهم وهو الذي من أجله (حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) اي لمن
قبلهم ونسخ تحريمها على من آمن به منهم (و) يشهد أيضا (بصدهم عن سبيل الله كثيرا)
بكفرهم به وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبمن قتلوهم من الانبياء (و) يشهد على (أخذهم الربوا
وقد نهوا عنه و) على (أكلهم أموال الناس بالباطل) من طرق المعاملة والرشوة فيعذب
بهذه الامور اسلافهم الذين لم يدركوه (وأعتدنا للكافرين) به (منهم) وراء العذاب على هذه
الامور (عذابا أليما) سيما اذا ضموا اليه الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وان زعموا انهم
انما كفروا به لرسوخهم في العلم فليس الكفر من رسوخهم بل من عنادهم (لكن
الراسخون في العلم منهم) أي من أهل الكتاب الذين جروا على مقتضى رسوخهم (والمؤمنون)
من الاميين اللاحقين بهم في الرسوخ بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم (يؤمنون بما أنزل
اليك وما أنزل من قبلك) لاطلاعهم على كمالات المنزل عليك وانه مصدق ما أنزل من قبلك
فلابد من الايمان به أيضا (و) لاسيما (المقيمين الصلوة) فانهم يكاشفون باسرار اعجاز هذا
الكتاب وغرائب نكته كيف (و) هم (المؤتون الزكوة) أي لتزكية أنفسهم كيف (و) هم
(المؤمنون بالله واليوم الآخر) عن مشاهدة قلبية (أولئك) وان زعم هؤلاء انهم انما
آمنوا بالكل من عدم رسوخهم فلا يجدون أجر المجتهدين (سنؤتيهم أجرا عظيما) فوق
ما يتوهم هؤلاء لانفسهم وقد تحقق لهم العذاب فوق ما يتوهمون لا ولئك اذ أجرهم يدفعه
وعلمهم لم يرفعه عنهم ثم أشار الى أن الراسخين انما آمنوا بما أنزل اليك لانهم أحاطوا علما بالمنزل

(قوله تعالى تقى) ترجع
(قوله تبارك اسمه تنازوا)
(قوله تعالى ولا تنازوا
تعيبوا وقوله تعالى ولا تلمزوا
أنفسكم لا تعيبوا اخوانكم
المسلمين ولا تنابزوا بالالقاب
لا تداعوا بها والانباز
الالقاب واحدها نبز قال
أبو عمر نزب أيضا (قوله عز
وجل تجسسوا) أي تحسسوا
وتبحثوا عن الاخبار ومنه
سمي الجاسوس (قوله
تبارك اسمه تمور السماء

على الانبياء السابقين فوجدوه مثله فقال (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) فى تنزيه الحق وتوحيده (و) كما (أوحينا الى ابراهيم) فى التخلق بالصفات الالهية (واسمعيل) فى التحقق بما يناسبها (واسحق) فى لحوق الاشياء به فى الظهور فى كل شئ بصورته (ويعقوب) فى التدبير بمقتضى الشرع والتصوف لتحصيل الكمالات (والاسباط) كيوسف فى تنوير القوة الخيالية للكشوفات الصورية (وعيسى) فى التأثير بالله فى الاشياء (وأيوب) فى استخراج أسرار الاشياء (ويونس) فى استنارة النفس بنور الحق (وهرون) فى الامامة (وسليمان) فى الظهور بالرحمتين (و) لا يبعد ذلك اذ (آتينا داود زبورا) جمعنا فيه هذه الامور من الحكمة وفصل الخطاب فيكفيهم مطالعته (و) قد طالعوا كتبا آتيناها (رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك و) ربما يحصل لهم بالالهام بلا مطالعة ولا يبعد ذلك اذ (كلم الله موسى تكليما) وقد طالعوا كتابه أيضا على أنه لا حاجة الى هذه الاحاطة فى الايمان بل يكفيهم كونه صالحا للتبشير والانذار فيكون كما آتينا (رسلا مبشرين ومنذرين) ويتم بالزام الحجة لانه انما أرسل (لئلا يكون للناس) الذين نسوا مقتضى الربوبية والعبودية عند معاقبتهم وتفويت الثواب عليهم (على الله) الذى لا الزام لاحد عليه لكن الجهال يحتجون عليه بالغفلة فأراد أن لا يكون لهم (حجة بعد) ارسال (الرسل) المزيلين للغفلة (وكان الله عزيزا) أى غالبا على دفعهم بوجوه كثيرة ولكن لكونه (حكيما) دفعهم بأوضح الطرق فى الالزام وان قالوا نحن الراسخون ولا نرى ما أوحى اليك كالذى أوحى الى من قبلك أجيبوا بانهم يرون ذلك ولا يشهدون للعناد (لكن الله يشهد) باعجازه (بما أنزل اليك) فان اعجازه يدل على انه (أنزله بعلمه) المحيط الذى لا يصل اليه علوم الخلائق (والملائكة يشهدون) عند من يكاشفون له (و) لو لم تسمعوا شهادتهم لانكم محجوبون (كفى بالله شهيدا) باعجازه لهم حتى لم يأتوا بمثله على ألسنة غيرك (ان الذين كفروا) مع اطلاعهم على اعجازه من رسوخهم (و) لم يقتصروا على الكفر بأنفسهم بل (صدوا) الخلائق عن الايمان به وهو صد لانفسهم وغيرهم (عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا) أعظم من ضلال الجهال الذين لا خبر لهم بتلك الكتب لانه يمكن لهم حصول هداية يعقبها مغفرة وهؤلاء لا يرجى لهم (ان الذين كفروا) والكفر لا يغفر (وظلموا) الخلائق باضلالهم وظلم الغير لا يغفر (لم يكن الله ليغفر لهم) كيف والمغفرة فرع الهداية (ولا) كان الله (ليهديهم طريقا) من طرق الآخرة (الا طريق جهنم) لا طريق الخروج عنها فيبقون (خالدين فيها أبدا وكان ذلك) فى حق الراسخين المعاندين مع الله (على الله يسيرا) أيسر من أن يفعل بالمعتذرين بجهلهم اذ لا عذر لهم (يا أيها الناس) الذين نسوا أن الواجب النظر الى الدلائل لا تقليد الراسخين اذا عاندوا (قد جاءكم الرسول) بمعجزات آمن بما دونها الراسخون بأنبيائهم وعاندوه ولا وجه لعنادهم لانه جاء (بالحق) أى بالدين الصواب الذى يجب قبوله بدون المعجزات وقد علم بها أنه (من ربكم فآمنوا) واقصدوا (خيرا لكم) من تقليد المعاندين (و) ان كانوا راسخين لا تخافوا التلبيس

موورا) أى تدور بما فيها
وقيل تمور تكفأ أى تذهب
وتجئ (قوله تعالى وتسير
الجبال سيرا) أى تسير
كما يسير السحاب (قوله
تعالى تأثيم) أى اثم (قوله
تعالى تماروا بالنذر) أى
شكوا فى الانذار (قوله عز
وجل تطغوا فى الميزان)
أى تجاوزوا القدر والعدل
(قوله تعالى تحرثون)
الحرث اصلاح الارض
والقاء البذر فيها (قوله
تعالى تفكهون) أى

منه

منبه في اظهار المعجزات على يدي الكاذب لانه اما لتحصيل خير من جر نفع أو دفع ضرر
لاستحالة ذلك في حقه فانكم (ان تكفروا) فهو غني عن الكل فلو فرضت له حاجة الى شئ
فلا يحتاج اليكم (فان لله ما في السموات والارض و) اما للجهل بقبحه واما للعبث لكنهما
لا يتصوران في حق الله تعالى اذ (كان الله عليما حكيما) فتعين ان اظهارها لتحصيل الخير
لكم لا غير ان آمنتم وتحصيل الضرر لكم ان كفرتم اذ لا يتصور العكس من الحكيم وكيف
تقلدون هؤلاء لرسوخهم وقد أدى بهم رسوخهم الى الغلو الذي حقكم ان تنهوهم عنه لا أن
تقلدوهم فيه فقولوا لهم (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) بتعظيم عيسى فوق حده (و) لو
بالغتم في تعظيمه (لا تقولوا على الله الا الحق) فلا تثبتوا له شريكا أو ولدا (انما المسيح) اسمه
(عيسى) لا الله (ابن مريم) لا ابن الله وبالنظر الى معجزاته هو (رسول الله و) الى ولادته من
غير أب (كلمة) لا جزؤه (ألقاها) أي وصل صورتها (الى مريم) هذا من جهة تكوين جسده
(و) من جهة تكوين روحه غايته انه (روح) وصل منه لا من سائر العقول والسموات فلو
قلتم انه الله أو ابنه كنتم كافرين بالله (فآمنوا بالله و) ليس هذا مانعا من الايمان به فآمنوا
بكونه من (رسله و) لكن (لا تقولوا) الاقانيم أي الجواهر (ثلاثة) أقنوم الاب وهو الذات
وأقنوم الكلمة وهو العلم وأقنوم الحياة وهو الروح القدس ولو قلتم بها (انتهوا) عن القول
بحلول بعضها في عيسى أو اتحاده به واقصدوا (خيرا لكم) وهو أنه المتصف بالكمالات ظهر
ظهور الصورة بالمرآة في عيسى ولا تقولوا بالحلول المخل بالالهية لجعل الاله تابعا للغير وهو
ينافي وجوب الوجود ولا بالاتحاد لانه اذا اتحد بالمخلوق لا تبقى الالهية ويتكثر بتكثير
المتحد به (انما الله اله واحد) ولا بالابنية المستلزمة للتشبه بالحيوانات (سبحانه أن
يكون له ولد) ولو فرض لم يكن من جملة ما في السموات وما في الارض اذ (له ما في السموات
وما في الارض) ملكا ولا يتصور كون الولد ملكا للوالد ثم هو مشعر بالحاجة (و) لا
حاجة لله اذ (كفى بالله وكيلا) في القيام بجميع الشؤن ولو قالوا نحن لا نغلو في ديننا
ولكنكم تنقصون حق عيسى اذ تجعلونه عبد الله مع انه كان يفعل أفعال الله من الاحياء
والابراء أجيبوا بان هذا لو كان نقصا لكان عيسى مستنكفا منه لكن (لن يستنكف)
أي لن يأنف ولن يتعظم (المسيح) من (أن يكون عبد الله ولا) من هو أقوى منه في
فعل الخوارق وهم (الملائكة المقربون) من أن يكونوا مع غاية علو رتبتهم عبيد الله
كيف (و) قد علموا انه (من يستنكف) من ملك أو جن أو انس (عن عبادته) أي امتثال
أوامره ونواهيه (ويستكبر) عن عبوديته (فسيحشرهم) أي المستنكفين وغيرهم
(اليه جميعا) ليرى كل ما يفعل به ويخالفه من الاعزاز والاذلال فيزداد المعزز سرورا بعزته
وذلة مخالفه ويزداد المذل حزنا بذلته وعزة مخالفه (فأما الذين آمنوا) فلم يستكبروا عن
عبوديته (وعملوا الصالحات) فلم يستنكفوا عن عبادته (فيوفيهم أجورهم) على ما تحملوا
الذلة فيه لينقلب عزة (ويزيدهم) على أجورهم شيأ عظيما (من فضله) المضاف الى عظمته

تجحدون ويقال تفكهون
وتفكنون أيضا بالنون
لغة عكل أي تندمون (قوله
تعالى تجعلون رزقكم
أنكم تكذبون) أي
تجعلون شكركم التكذيب
ويقال المعنى تجعلون شكر
رزقكم التكذيب فحذف
الشكر وأقيم الرزق مقامه
كقوله واسئل القرية أي
أهل القرية (قوله تعالى
تشتكي) أي تشكو (قوله
تعالى تحاوركما) محاورتكما
أي مراجعة القول (قوله

مبالغة فى اعزازهم (وأما الذين استنكفوا) عن عبادته (واستكبروا) عن عبوديته (فيعذبهم عذابا أليما) يذلهم به أشد من التذلل بالعبادة والعبودية (ولا يجدون لهم من دون الله وليا) يعزهم (ولا نصيرا) يدفع عنهم ذلتهم فهؤلاء علوا ان فى الاستنكاف كمال الذلة التى يهربون عنها وفى الانقياد كمال العزة التى يطلبونها وأنتم ترون كمال العزة فى الاستنكاف وكمال الذلة فى الانقياد مع انكم تدعون انكم راسخون وأدى بكم رسوخكم الى القول بأن التعزز عزة والتذلل ذلة مع انهما انما يكونان من اعزاز الله واذلاله ثم أشار الى انه انما يأخذ العوام بقول الراسخين فيما لم يظهر لهم برهان قطعى على خلاف قولهم (يا أيها الناس) أى الذين نسوا البرهان القطعى من عقولكم (قد جاءكم برهان من ربكم) الذى ربى بالدلائل النقلية مقتضى عقولكم فأيدها (و) ليس من المقدمات الخفية لكن لما خفيت عليكم لعدم التفاتكم اليها (أنزلنا اليكم) من مقام عظمتنا (نورا مبينا) من المقدمات البديهية لا مما يشبهها من الكواذب حتى ظهر لكم بذلك كفر الراسخين من غلوهم حتى صار وامحل غضبه لمكابرتهم مع القطعيات فى حق الله (فأما الذين آمنوا بالله) فلم ينقصوا شيأ من حقه باثبات الشريك أو الولد (واعتصموا به) أى ببرهانه ونوره (فسيدخلهم فى رحمة منه) مع ترك الراسخين من هؤلاء فى غضبه (و) لو نجاهم لان غلطهم من اجتهادهم فيدخل هؤلاء فى (فضل) منه يتفضلون به على الراسخين منهم فى زعمهم كيف وقد ضلوا اضلالا (و) هؤلاء (يهديهم) هداية توصلهم (اليه) أى الى مقام قربه اذ يسلكهم بتمسكهم بالبرهان والنور المبين (صراطا مستقيما) مع اضلاله الراسخين فى زعمهم من غلوهم ومن هداية الله لمن تبع برهانه ونوره الاطلاع على أحكام المواريث التى حارفيها عقول الخلائق فهم (يستفتونك) فى المواريث سيما ميراث الكلالة (قل الله) لا من تزعمون رسوخهم (يفتيكم) أيها الحيارى فى الميراث سيما (فى الكلالة) وهو من لا ولد له ولا والد له وله اخوة أو اخوات أو كلاهما فيقول (ان) مات (امرؤ هلك) أى تحقق موته (ليس له ولد) ولا والد ولكن لم يذكره لظهور حجبيته للاخوة لانه أقرب حائز والولد قد لا يكون حائزا كالبنت ولا حجب له ظاهرا لان الاخوة ليست مدلية بهم والام لا حيازة لها (وله أخت) من الابوين ثم من الاب (فلها نصف ما ترك) تنزيلا للفرع أصله منزلة فرعه عند عدمه (وهو) أى المرء (يرثها) أى الاخت حائزا (ان) هلكت ولم (يكن لها ولد) لانه فرع أصلها فنزل منزلة فرعها الحائز عند عدمه لانه ذكر والاصل فيه الحيازة وان كانت لها بنات أخذ الباقى وان كان لها ابن حجب بالكلية (فان كانتا) أى الوارثتان من أولاد الابوين أو الاب أختين (اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) اذ لا حيازة لهما وكذا ما فوق الاثنتين اذ لا مزيد لهن على بنات الصلب (وان كانوا) أى الوارثون من أولاد الابوين أو الاب (اخوة) ذكر ليعلم ان الوراثة للاخوة لا للذكوريه ولم يقل واخوات ليعلم ان التفضيل ليس من جهة الاخوة بل من جهة اجتماعهم (رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين) كاجتماعهم فى أولاد الصلب (يبين الله

لكم)

تعالى تفسحوا) توسعوا (قوله تعالى تحرير رقبة) أى عتق رقبة يقال حررت المملوك فحر أى أعتقته فعتق والرقبة ترجمة عن الانسان (قوله تعالى تبوؤا الدار) أى لزموها واتخذوها مسكنا أى تمكنوا فى الايمان واستقر فى قلوبهم (قوله تعالى تناصرتم) أى تضايقتم (تفاوت) أى اضطراب واختلاف وأصله من الفوت وهو أن يفوت شئ شيأ

لكم) هذه الامور وان كانت دنيوية كراهة (أن تضلوا) فيها فكيف يترك بيان الامور الاخروية التى الضلال فيها أشد (والله بكل شئ عليم) فلا يبين الا بمقتضى ما أحاط به علمه الكامل فلا يؤخذ فى مقابلة بيانه بيان غيره وان زعم انه راسخ تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة المائدة)

سميت بها لان قصتها أعجب ماذكر فيها لاشتمالها على آيات كثيرة ولطف عظيم على من آمن وعنف شديد على من كفر فهو أعظم دواعى قبول التكاليف المفيدة عقدة المحبة من الاتصال الايمانى بين الله وبين عبده (بسم الله) الجامع بين اللطف والعنف فى أحكامه التى كلف عباده بها بمقتضى أسمائه وصفاته (الرحمن) بجعلها مناط مصالح العباد فى معاشهم ومعادهم (الرحيم) بجعلها عاقدة محبة من اتصال ايمانى بينه وبينهم (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم الذى هو الاتصال المعنوى لكم بالله تقويته باحكامه التى تقويه تقوية العقود الحسية للاتصال الحسى (أوفوا بالعقود) أى كملوا القيام بالاحكام التى تقوى الاتصال الايمانى بالانقياد لها سيما لما لا يعقل الجمهور معناها كتحليل الانعام بذبحها (أحلت لكم بهيمة الانعام) أى ما لا يعقل من الحيوان فأشار الى سر تحليلها بأن نفوسها لما أبهم عليها عواقب الامور فتبديلها بالنفوس الانسانية انعام عليها (الا ما يتلى عليكم) تحريمه أو اعتبار قول من يحرمه أى الرسول عليه السلام وانما أحل لكم غير المستثنى مطلقا حال كونكم (غير محلى الصيد) أى غير صائدين أو ذابحين للصيد أو دالين عليه أو من يصادله فكل ذلك تحليل للصيد (و) انما استثنى هذا من غير المستثنى للكل اذ (أنتم حرم) وانما يتم انقياد كم اذا انقدتم لها من غير تعقل المعنى فقلنا (ان الله يحكم ما يريد) وان كان لا يريد شيأ الا وفيه الحكمة البالغة كما يأتى فى مواضع الاستثناء (يا أيها الذين آمنوا) لما اقتضى ايمانكم تحريم الصيد عليكم لقصدكم شعائر الله فاقتضاؤه تحريم قتل الناس فيها بطريق الاولى (لا تحلوا شعائر الله) أى الاماكن التى هى أعلام النسك فلا تقتلوا فيها (ولا الشهر الحرام) لانه من الازمنة كالشعائر من الامكنة (و) كيف تستحلون هتك حرمة الشعائر مع انه حرم هتك حرمة الهدى اليها بل حرمة ما ظن كونه هديا اليها (لا) تحلوا (الهدى ولا القلائد) أى التى قلدت بها النعل أو لحاء الشجر ليعلم كونها هديا (و) كيف تستحلون القتل فيها وقد حرم قتل من قصدها ولم يصل اليها (لا) تحلوا قتل (آمين) أى قاصدين (البيت الحرام) للزيارة وان لم يكن فيها هتك حرمته ولكن لكونهم (يبتغون فضلا) أى ثوابا (من ربهم ورضوانا) فحقكم ان تعينوهم لا ان تقتلوهم (و) انما قلنا ان تحريم الصيد لحرمة البيت لانه أبيح لكم بعد الاحرام (اذا حللتم فاصطادوا) لا يرتفع تحريم قتلهم لكونهم أهل الحرب لكم (لا يجرمنكم شنآن) أى لا يحملنكم على الجريمة شدة عداوة (قوم) وان كانت ناشئة من (أن صدوكم عن المسجد الحرام) على (أن تعتدوا)

فيقع الخلل (قوله تعالى
تميز من الغيظ) أى تنشق
غيظا على الكفار (قوله
عز وجل تعيها أذن
واعية) أى تحفظها أذن
حافظة من قولك وعيت
العلم اذا حفظته (قوله
تعالى ترجون لله وقارا)
أى تخافون لله عظمة
(قوله تعالى تبارا) أى
هلاكا (قوله عز اسمه
تحروا رشدا) أى توخوا
وتعمدوا والتوخى التعمد
للشئ (قوله تعالى تبتل

عليهم بمثل ما اعتدوا عليكم بالصيد (و) لكن (تعاونوا على البر والتقوى) اذا قصدوهما (ولا تعاونوا) لقتالهم (على الاثم) بصدهم (و) ان كان بطريق (العدوان) المماثل لعداوتهم (واتقوا الله) في ايذاء قاصدى فضله ورضوانه وان آذوكم على ذلك (ان الله شديد العقاب) لو اعتديتم عليهم بمثل ما اعتدوا عليكم حين قصدوا طلب فضله ورضوانه والجمهور على انه انسخت بقوله عز وجل انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وبالاجماع على حل قتال الكفار في الاشهر الحرم والسر فيه انه فعل بهم ذلك أولا لعلهم يتركون العناد فلما لم يتركوه بالكلية أمر المسلمين بمكافأتهم ولما وصف الله سبحانه وتعالى ذاته بأنه شديد العقاب عقبه بذكر ما استثنى من المحرمات اشارة الى انها تستحق عليها تلك الشدة فقال (حرمت عليكم الميتة) أى ما فارقه الروح بغير سبب خارجى لانها تنجست بمفارقته من غير مطهر من ذكر اسم الله تحقيقا أو تقديرا كاسلام الذابح (والدم) لانه متعلق الروح بلا واسطة فأشبه النجس بالذات لا يؤثر فيه المطهر (ولحم الخنزير) لانه نجس في حياته بصفاته الذميمة وهي وان زالت بالموت فهو منجس ولم يقبل التطهير لانه لما كان نجسا حال الحياة والموت أشبه النجس بالذات فكأنه زيد تنجيسه بالموت وانما ذكر اللحم اشارة الى انه وان لم يكن موصوفا في الحياة بالصفات النجسة لروحه كان متنجسا بنجاسة روحه ثم بزوال الروح (وما أهل لغير الله به) فانه وان ذكر معه اسم الله فقد عارض المطهر فيه المنجس مع نجاسته بالموت وان لم يذكر فقد زيد في تنجيسه (والمنخنقة) أى التى ماتت بالخنق فانها وان ذكر اسم الله في خنقها عارضه سريان خباثة الخانق اليها مع تنجسها بالموت (والموقوذة) أى المضروبة بخشب فانه وان ذكر الضارب فيها اسم الله فهو أشد خباثة من الخانق وكيف لا تؤثر خباثتها (و) قد حرمت (المتردية) أى التى ألقت بنفسها من علو ولو باغراء انسان ذكر اسم الله عليها لخباثة اغرائه سارية فيها كيف (و) قد حرمت (النطيحة) وان أرسل انسان الناطح بذكر اسم الله لانه لما لم يكن بطريق الصيد المشروع لم تخل من خباثة (وما أكل السبع) فانه وان أشبه الصيد لكنه لما أكله قصد بذلك نفسه فسرت خباثته فيها (الا ما ذكيتم) من هذه المذكورات بحيث ينسب موتها الى الذبح دون غيره فانه يتحقق فيه المطهر ولا يؤثر فيه السابق لان اللاحق ينسخه بل هو واقع قبل تأثير السابق اذ لا يتم التأثير الا بالموت (و) حرم بلا استثناء (ما ذبح على النصب) وان لم يسمع فيه اهلال لغير الله وزعم صاحبه انه ذبح لله فلا يسمع منه (و) حرم (أن تستقسموا) أى تأخذوا القسمة من الجزور ونحوه (بالازلام) أى الاقداح فانه وان خلا عن الخباثة المذكورة لكن (ذلكم فسق) خروج عن الاخذ بالطريق المشروع لما فيه من جهل الثمن والمثمن (اليوم) لظهور الاسرار الالهية في دينكم (يئس الذين كفروا من) تغيير (دينكم) والطعن عليه الا بطريق العناد (فلا تخشوهم) ان يعاندوكم (واخشون) في خشيتكم اياهم مع نهيي عن خشيتهم وكيف تخشونهم مع انى (اليوم أكملت لكم دينكم) باظهار هذه الاسرار

(واتممت

(قوله اليه) أى انقطع اليه (قوله عز وجل تصدى) أى تعرض يقال تصدى له أى تعرض له (قوله تعالى تلهى) اى تشاغل يقال تلهيت عن الشئ ولهيت عنه اذا شغلت عنه وتركته (قوله عز وجل ترهقها قترة) أى تغشاها غبرة (قوله تعالى والصبح اذا تنفس) اى انتشر وتتابع ضوءه (قوله تعالى تسنيم) يقال هو أرفع شراب أهل الجنة ويقال تسنيم عين تجرى من

(وأتممت عليكم نعمتي) بتطييب المأكولات لتطييب الاعمال (ورضيت لكم الاسلام دينا) بتكميل اعماله بتطييب ما يستعان به عليها لكن تحريم المذكورات انما هو حال السعة (فمن اضطر) أي تناول محرما لوقوعه (في مخمصة) أي مجاعة (غير متجانف) أي معترض (لاثم) بالاكل فوق الضرورة أو بعصيان بالسفر فانه لا يؤاخذ به (فان الله غفور) لتناوله الحرام (رحيم) باعطاء الرخصة فيه (يسئلونك) اذا حرمت هذه الاشياء (ماذا أحل لهم) من بهيمة الانعام فانه لم يبق لنا منها شئ (قل أحل لكم الطيبات) التي طهرت بالذبح الشرعي (و) أحل لكم مقتول (ما علمتم من الجوارح) أي جوارح السباع والطير (مكلبين) أي مغرين لها لا اذا اقتلت بأنفسها (تعلمونهن) ان تستشلي اذا أشليت وتنزجر اذا زجرت وتجتنب عند الدعوة ولا تنفر عند الارادة فتصير كانها وكلاؤكم لتعلمهن (مما علمكم الله) ويدل على توكيلهن امساكهن عليكم (فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه) تحقيقا أو تقديرا فانه ينزل منزلة ذكرهن له (واتقوا الله) ان تأكلوا ما فقد فيه شرط من هذه الشرائط استعجالا اليها (ان الله سريع الحساب) أي المجازاة على كل ما جل ودق وكيف تسارعون الى محرماته وقد وسع لكم في المباحات لانه (اليوم أحل لكم الطيبات) من الذبائح والصيد (و) ما أشبه الطيبات اذ (طعام الذين أوتوا الكتاب) أي ذبائحهم وصيدهم (حل لكم) وان لم يعتقدوا بذكرهم اسم الله لكنهم لما ذكروه أشبه ما يعتد بذكره (و) انما أبيح لكم بمجرد هذا الشبه اذ (طعامكم حل لهم) فلو استخبثتم طعامهم ربما عاندوا فاستخبثوا طعامكم ولا عبرة باستخباث المشركين طعامنا اذ ليس لهم ما يوجب الشبه بالطيب ولا بد منه فانه أقل ما يفيد الحل (و) لما اعتبر هذا الشبه في باب الطعام اعتبر في باب النكاح فأحل لكم (المحصنات) أي الحرائر (من المؤمنات) بلا شرط بخلاف الاماء (والمحصنات) أي الحرائر فلا يصح نكاح الامة الكتابية بحال اذ لا يحتمل عار الكفر مع عار الرق على انه يؤدي الى استرقاق الكافر ولد المسلم (من الذين أوتوا الكتاب) ممن آمن أول آبائهم بذلك الكتاب (من قبلكم) ويحتمل كفرهن لانه انما يحتمل كفر غيرهم لانهم يدعون الى النار وهؤلاء لما اعترفوا بأصل النبوة ولا شبهة لهم في نفي أمر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فضلا عن جهة ضعفت دعوتهم اليها فلم يعتد بها على ان الرجل مستول على المرأة فلا تؤثر فيه تأثير الرجل فلذلك لم يصح تزويج المسلمة بالكتابي على أن فيه اذلالا للمسلمة فلا تحتمل وتذليل الكتابية لا ينفي مهرها بل انما تفرغ الذمة (اذا آتيتموهن أجورهن) أي مهورهن بل شغل الذمة بحق الآدمي أشد من شغلها بحق الله ولو بالزنا وليس هذا بطريق الاجارة فلا تحل الا اذا كنتم (محصنين) أي عاقدين النكاح (غير مسافحين) أي زانين من غير تخصيص فان اعطاء الاجر لا يفيد الحل (و) ليس هذا لعدم التخصيص لقطعه النسب بل (لا متخذي أخدان) أيضا لتوقف النسب على العقد ولا تحصل بمجرد التخصيص (و) هؤلاء وان أشبهوا المؤمنين في حل الطعام والنكاح لا يشبهونهم في قبول الاعمال لان (من يكفر بالايمان) أي

فوقهم تسنمهم في منازلهم
تنزل عليهم من عال يقال
تسنم الفحل الناقة اذا
علاها (قوله تعالى تحلت)
تفعلت من الحلاوة (قوله
ترائب) جمع تريبة وهو
معلق الحلى على الصدر
(قوله عز وجل تزكى) أي
تطهر من الذنوب بالعمل
الصالح (قوله تعالى تردى)
تفعل من الردى وهو
الهلاك ويقال تردى سقط
على رأسه في النار من
قولهم تردى فلان من

بكفر وجوب الايمان بشيء مما يجب الايمان به (فقد حبط عمله) لا يفيد اعتباره عند أهل ملتهم اذ (هو في الآخرة من الخاسرين) ولما فرغ عن تطييب الطعام والنكاح أشار الى تطييب البدن عن آثارهما من الاحداث فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ان تناسبوا ربكم في الطهارة فكما تنزه عن الحدوث فلا بد لكم من التنزه عن الحدث لكنه مما يعسر التحفظ عليه في جميع الاوقات فلا بد منه (اذا قمتم) متوجهين (الى الصلوة) التي هي العبادة البدنية يتيسر فيها التحفظ عليها بخلاف الزكاة والحج والصوم فان كنتم محدثين محدثين مقيمين بدليل وان كنتم جنبا الى آخره (فاغسلوا) والغسل امرار الماء (وجوهكم) والوجه ما بين منابت شعر الرأس غالبا الى منتهى الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا فيجب غسل جميعه وظاهر اللحية النازلة لدخوله في المواجهة المفهومة منه ويجب غسل منبت الخفيف من لحية الرجل ومنبت لحية غيره مطلقا ويفهم منه النية عرفا أي لاستباحة الصلاة كما اذا قيل اذا رأيت الامير فقم أي لتعظيمه على انه عبادة لا تحصل بدون النية ولا يصلح مفتاحا للصلاة بدونها لان الحدث أمر معنوي لا يحصل التطهير عنه بدون قصده وانما وجب غسله لان فيه أكثر الحواس الظاهرة التي ينتفع بالمحسوسات بواسطتها فلا بد من تطهيره عند ظهور آثار حدثت عنها ولسبق الاحساس على العمل قدم ما فيه أكثر الحواس الظاهرة أي غير السمع ثم أمر بتطهير الآلة الفاعلية للافعال التي منها تلك الآثار فقال (وأيديكم) وهي من رؤس الاصابع الى الكتف أسقط ما وراء المرافق اذ جعلها غاية بقوله (الى المرافق) فبقيت داخلة وذلك لان العمل بالاصابع يحتاج الى تحريك الكف التي لا تتحرك غالبا الا بتحريك المرافق ثم أمر بمسح الرأس فقال (وامسحوا برؤسكم) والمسح الاصابة والباء للالصاق أي ألصقوا المسح بالرأس فيكفي فيه أقل ما ينطلق عليه اسم الالصاق وايجاب مسح جميع الوجه في التيمم لكونه بدلا من غسل جميعه وانما أمر بمسحه لانه جامع للحواس الباطنة فأشبه جامع الحواس الظاهرة وأخره عن غسل اليدين لانه مخزن الصور المدركة بالحواس الظاهرة من أعماله وغيرها ولم يأمر بغسله لانه يضر بصاحب الشعر ولا بد منه في الزينة سيما للمرأة فخفف بالمسح ثم أوجب غسل آلة السعي لمشابهة آلة العمل فقال (وأرجلكم) أي اغسلوها وهو على قراءة النصب وهي قراءة نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب ظاهر وحمل قراءة الجر على الجوار للسنة الشائعة وعمل الصحابة والتحديد بقوله (الى الكعبين) اذ المسح غير محدود وفائدته التنبيه على منع الاسراف فيغسلها غسلا يشبه المسح ولما كانت حركتها توجب حركة جميع البدن اقتصر على أدنى الغايات لئلا تبطل فائدة تخصيص الاعضاء وفي الفصل بين المغسولات بالممسوح ايماء الى وجوب الترتيب والسر فيه ما أشرنا اليه (وان كنتم جنبا) بخروج مني أو التقاء ختانين محدثين مقيمين (فاطهروا) أي بالغوا في تطهير البدن لانه يتلذذ به الجميع تلذذا أغرقه في غير الله فأثر فيه بالحدث (وان كنتم) جنبا (مرضى) تخافون من استعمال الماء بطء البرء أو شينا

رأس الجبل اذا سقط (قوله تعالى تلظى) تلهب وأصله تتلظى فاسقط احدى التاءين استثقالا لاجتماعهما في صدر الكلمة ومثله فانت عنه تلهى وتنزل الملائكة وما أشبهه (تنهر) أي تزجر (قوله تعالى تبت يدا أبي لهب وتب) أي خسرت يدا أبي لهب وقد خسر هو

• (باب التاء المضمومة) •

(قوله تعالى تغمضوا فيه) أي تغمضوا عن عيب فيه أي استم بأخذي الخبيث

فاحشا

فاحشا على عضو طاهر (أو) جنبا راكبين (على) ظهر (سفر أو) محدثين مرضى أو مسافرين بأن (جاء أحد منكم من الغائط) أى رجع من مكان البراز وفى معناه كل خارج من أحد السبيلين أو ثقبة تحت المعدة مع سد المعتاد (أو لامستم النساء) أى لمستموهن أو لمسنكم فانه أقيم مقام خروج الخارج لانه سببه (فلم تجدوا ماء) فى السفر وفى معناه تعذر استعماله بعذر فى السفر أو مرض أو برد فى الحضر (فتيمموا) أى اقصدوا (صعيدا طيبا) أى ترابا طاهرا (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) بايصال شئ (منه) اليهما تذليلا للعضوين الشريفين وتذليل الرأس افراط وتذليل الرجل تفريط وانما رخص الله لكم فى التيمم لانه (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) أى ضيق فى تحصيل الماء ولا ان يترككم فى الحدث مانعا عن الصلاة (ولكن يريد ليطهركم) ليجعلكم فى حكم الطاهرين بالتذلل بالتراب فانه لما رفع التكبر فكأنما رفع الحدث الذى ينشأ عن امثاله (وليتم نعمته عليكم) بتمكينكم من عبادته بكل حال حتى حال الحدث (لعلكم تشكرون) هذه النعمة فتستتز بدون النعم الاخروية (واذكروا) مع هذه النعمة (نعمة الله عليكم) بتطييب المأكول والمنكوح والبدن عن الحدث لتزدادوا شكرا فتزدادوا نعما (و) هو انما يتم بالاعمال الظاهرة والباطنة التى ضمنها (ميثاقه) أى عهده الوثيق (الذى واثقكم به) أى أكد عليكم بقبوله (اذ قلتم) لرسوله صلى الله عليه وسلم النازل منزلته (سمعنا وأطعنا) حين بايعتموه على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره (واتقوا الله) ان تنقضوا شيأ من عهوده ولو بالقلب (ان الله عليم بذات الصدور) أى بالضمائر المخصوصة به ثم أشار الى أن الوفاء بالميثاق انما يكون بالاستقامة فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم الاستقامة (كونوا قوامين) أى مبالغين فى الاستقامة باذلين جهدكم فيها (لله) وهى انما تتم بالنظر فى حقوق الله وحقوق خلقه فكونوا (شهداء بالقسط) أى العدل لا تتركوه لمحبة أحد ولا لعداوة أحد واشار الى ان رعايته فى حق الاعداء أشد فقال (ولا يجرمنكم شنآن) أى لا يحملنكم شدة عداوة (قوم على ألا تعدلوا) فى حقهم فانا لا نأمركم به من حيث ما فيه من توفية حقوق الاعداء بل من حيث ما فيه توفية حقوق أنفسكم فى الاستقامة (اعدلوا هو أقرب للتقوى) أى لحفظ الانفس ان تجاوز حد استقامتها (و) ان لم تتقوا الاعداء فى حقوقهم (اتقوا الله) ان تبطلوا حقوقه أو حقوق عباده ولو بطريق توهمون فيه العدل (ان الله خبير بما تعملون) ثم انه ان لم يحصل لكم فائدة فى الاستقامة ولا فى العدل سيما فى حق الاعداء كفاكم ما وعده الله من المغفرة والاجر العظيم عليهما اذ قد وعده على ما دونهما فانه (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وان لم يبلغوا حد الاستقامة وكمال العدل المغفرة والاجر العظيم ووعده صدق فلا شك انه يحصل (لهم مغفرة وأجر عظيم) ولو لم تعتقدوا وجوب الاستقامة والعدل ولو فى حق الاعداء اذ تقيسونهم على أهل الحرب كنتم فى حكم أهل الحرب

من الاموال ممن لكم قبله حق الا على اغماض ومسامحة فلا تؤدوا فى حق الله عز وجل ما لا ترضون مثله من غرمائكم ويقال تغمضوا فيه أى تترخصوا فيه ومنه قول الناس للبائع اغمض وغمض أى لا تستقص وكن كأنك لم تبصر (قوله تعالى تولج الليل فى النهار) أى تدخل هذا فى هذا فما زاد فى واحد نقص من الآخر مثله (قوله عز وجل

لكفركم بآيات الله وتكذيبكم بها (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) وهي أشد من مقاساة شدائد الاستقامة والعدل ومما حصل من ايذائكم للاعداء ثم أشار الى ان الله تعالى لو لم يعدكم المغفرة والاجر العظيم على الاستقامة والعدل والمراقبة على تركهما لزمكم القيام بهما شكراً له على حفظه اياكم عن اعدائكم فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ملازمة شكره على ذكر نعمه (اذكروا نعمت الله عليكم) في حفظه اياكم عن اعدائكم (اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم) ليقتلوكم عند اشتغالكم بصلاة العصر بعدما رأوكم تصلون الظهر فندموا على ان لا كبوا عليكم (فكف أيديهم عنكم) اذ أنزل عليكم صلاة الخوف (واتقوا الله) عند رؤية رخصه أن تتركوا شيأ من الاستقامة المأمورة ترخصاً من عند أنفسكم فأقل ما فيه خوف تسليط الاعداء (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) اذا خافوا في الاستقامة أو العدل أحداً فانه الكافي لمن توكل عليه وهو مستقيم على مقتضى الايمان (ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل) أشد مما أخذ عليكم اذ امرهم ان يسيروا الى أريحا من أرض الشام لقتال الكنعانيين واخراجهم (و) لغاية شدته (بعثنا منهم اثني عشر نقيباً) يتوكلون عنهم بالوفاء اذ كان لا يمكن الوفاء به الا بالتوكل الكامل على الله (و) لذلك (قال الله) لهم (اني معكم) فلا يغلبونكم وان بلغوا من العظمة والقوة ما بلغوا لو كانتم على وأنتم مؤمنون مستقيمون فانه يحصل لكم النصر عليهم مع ما أعدكم على الايمان والطاعات (لئن أقمتم الصلوة) الجامعة عبادة الظاهر والباطن من جميع اجزاء الانسان (وآتيتم الزكوة) المطهرة من حب ما سوى الله (و) أقمتم جميع الاوامر والنواهي في كل عصر بمقتضاه اذ (آمنتم برسلي و) دللتم على كمال الايمان بهم اذ (عزرتموهم) بالسمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره (و) أكملتم سمعكم وطاعتكم في الاموال والانفس اذ (أقرضتم الله) أموالكم وأنفسكم (قرضاً حسناً) لا تطلبون فيه ربحاً دنيوياً من رياء وسمعة (لا كفرن) أي لامحون (عنكم سيآتكم) أي معاصيكم وهذا دون وعد المغفرة الكلية على مجرد الايمان والاعمال الصالحة (ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار) وهذا دون وعد الاجر العظيم على مجردهما (فمن كفر) بوعد الله النصر المستلزم للكفر به وبرسله (بعد ذلك) أي بعد قول الله اني معكم (منكم) أيها الذين لم يزالوا يرون آيات الله المتوالية فقانه الموعود فليس بعجب (فقد ضل سواء السبيل) الموصل اليه والى كل مطلب عال ضلالاً يوجب ملازمة الجحيم فسار موسى بهم فلما دنا من أرضهم بعث النقباء يتجسسون ونهاهم ان يحدثوا قومهم فرأوا اجساماً عظاماً فهابوهم وحدثوا قومهم الا يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فنقضوا الميثاق (فبما) أي فبشيء عظيم صدر منهم من (نقضهم ميثاقهم) المؤكد الموعود عليه النصر والمغفرة والاجر العظيم (لعناهم) أي أبعدناهم عن رحمتنا فضلاً عن وصول الموعود من أثرها ابقاءهم في التيه (و) يدل على لعننا اياهم انا (جعلنا قلوبهم قاسية) لا تلين للجهاد برؤية الآيات والآفات الدالة على غضب الله عليهم وبقيت تلك القساوة واللعنة في ذريتهم

لذلك

يخرج الحي من الميت أي ويخرج الميت من الحي يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقيل النطفة من الحيوان بعض الحيوان من البيضة وهما ميتان من الحي وترزق من تشاء بغير حساب أي بغير تقدير وتضييق (قوله تعالى تقاة) وتقية بمعنى واحد (قوله عز وجل تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال) أي تتخذ لهم مصاف ومعسكرا

لذلك (يحرفون الكلم) أى كلام الله فى التوراة بصرف الفاظه أو معانيه (عن مواضعه) بمقتضى كمال الحكمة بحيث يعرف الماهر التغيير بمجرد النظر (و) انما اجترؤا على ذلك لانهم (نسوا) وان حفظوا الفاظها وفهموا معانيها (حظا) كاملا (مما ذكروا به) من زواجر التوراة (ولا تزال تطلع على خائنة) أى خصلة منسوبة الى الخيانة وراء التحريف تجدد (منهم) يتفق عليها جميعهم (الا قليلا منهم) وهم المؤمنون واذا كثر الخائنون منهم وقل امناؤهم فلو نسبت الخيانة اليهم ونفيتها عن القليلين لا يبعد منهم ان يعكسوا (فاعف عنهم) ما غيروا من نعتك (واصفح) عما غيروا من أحكام الله تكن محسنا الى من أساء اليك والى الله (ان الله يحب المحسنين) سيما الى المسيئين ولو الى الله ورسوله ونسخ بآية السيف بعد ما علم انهم لا يتركون اساءتهم بالاحسان وخيف ضررهم ثم أشار الى ان نقض الميثاق قد أثر فى النصارى أكثر مما أثر فى اليهود فيخاف مزيد تأثيره فيكم فقال (ومن الذين قالوا انا نصارى) وان لم ينصروا عيسى بعد أخذ الميثاق به عنهم (أخذنا ميثاقهم) ان يحفظوا دينه مع كثرة متشابهات كتابه وزجرناهم بأنواع المواعظ (فنسوا حظا مما ذكروا به) فاختلفوا نسطورية ويعقوبية وملكانية فكفر بعضهم بعضا (فأغرينا بينهم العداوة) فى الظاهر (والبغضاء) فى الباطن فحصل لهم مع لعنة الله لعن بعضهم بعضا وقست قلوبهم فلا تلين للاتفاق (الى يوم القيامة) يتعذبون بالقتل والاسر ونهب الاموال فهذا أثر بغضهم فى الدنيا (و) لا يقتصر عليه بل (سوف ينبئهم الله) فى الآخرة وكفى به لو لم يعذبهم (بما كانوا يصنعون) من القاء الشبهات والقتال على الباطل فلو نقضتم الميثاق يخاف عليكم أن يصيبكم فى الدنيا مثل ما أصاب أحد الفريقين وفى الآخرة ملازمة النار ولو زعموا ان أحدا من الفرق لا يقدر على ازالة شبهة الفرقة الاخرى يقال لهم (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا) لاقامة الحجج وازالة الشبه مما خفى عليكم أو ظهر لكم ولكنكم تخفونه لئلا تلزموا به فأتاكم (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) مما يقيم حجة أو يرفع شبهة (و) مقصوده بذلك اظهار الحق لا كشف فضائحكم لذلك (يعفوا عن كثير) ولو لم يكن ما يبينه من مخفياتكم لوجب قبوله لانه (قد جاءكم من الله نور) من الادلة القطعية والعقلية (وكتاب مبين) لتلك الادلة تأييدا لها باعجازه وليس من اضلال الشيطان اذ (يهدى به الله من اتبع رضوانه) أى طلب الاعتقادات والاعمال والاخلاق والاحوال التى فيها رضاه لكمالها فى أنفسها (سبل السلام) أى سلامتها عن شوائب الكفر والبدعة (ويخرجهم من الظلمات) اى ظلمات الشبه (الى النور) اى نور الدلائل القطعية (باذنه) اى بتوفيقه (ويهديهم الى صراط مستقيم) فلا تميل فى تلك الابواب الى افراط ولا تفريط ثم أشار الى افراط بعض النصارى فى حق عيسى وتفريطهم فى حق الله فقال (لقد كفر الذين قالوا) ان ناسوت عيسى اتحد بلاهوت الله فكأنهم قالوا (ان الله هو المسيح) مع ان المسيح هو (ابن مريم) والله ليس بابن مريم (قل) لو كان عيسى متحدا بالله لكان واجب الوجود لذاته لكنه ممكن وكل

(قوله عز وجل تصعدون) الاصعاد الابتداء فى السفر والانحدار الرجوع (قوله عز وجل تبسل نفس) أى ترتهن وتسلم للهلكة (قوله تعالى تشمت بى الاعداء) أى تسرهم والشماتة السرور بمكاره الاعداء (قوله تعالى ترهبون) أى تخيفون (قوله تعالى تفيضون فيه) أى تدفعون فيه بكثرة (قوله تعالى تخرصون) أى تحرزون

ممكن داخل تحت قدرة الله تعالى (فمن يملك) أي يقدر ان يدفع (من) مرادات (الله شيأ ان أراد أن يهلك المسيح) من جهة كونه (ابن مريم و) هو يساوي فيها (امه ومن في الارض) وهو يقدر على اهلاكهم (جميعا) فضلا عن آحادهم وكذلك من جهة روحه لان غايتها انها سماوية (ولله ملك السموات والارض وما بينهما) فكل ذلك محل تصرفه بالايجاد والافناء فالله تعالى قادر على افنائهما كما هو قادر على ايجادهما ولكنه (يخلق ما يشاء) مما له ضد فيفنيه به ومما لا ضد له فلا يفنيه عادة لجريان سنته انه لا يفعل شيأ بلا سبب (و) لكن ذلك لا ينافي قدرته اذ (الله على كل شئ قدير) ثم أشار الى انهم كما أفرطوا في حق عيسى افرط البعض الآخر منهم في حقه باثبات ابنيته واليهود في حق عزير باثبات ابنيته وافرطوا في حق أنفسهم والكل فرطوا في حق الله تعالى فقال (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله) لانا اتباع ابنيه عزير وعيسى بالحقيقة والتابع في حكم المتبوع (و) ان لم نكن ابناءه فلا أقل من انا (أحباؤه) لانا احباء ابنيه المحبوبين له ومحبوب المحبوب محبوب به سيما اذا كان ابنا محبوب المحب (قل) ان الابن والمحبوب لا يعذبه الوالد والمحب (فلم يعذبكم) بالاسر والقتل والمسخ والنار وان زعمتم أياما معدودة وليس من الابتلاء اذ المحبوب لا يبتلى فهو (بذنوبكم) على ان تابع الابن لا يكون في حكمه كيف وابنية الله خروج من البشرية ولستم بخارجين منها (بل انتم بشر) غاية ما يمكنكم من الانتقال عنها الانتقال الى الملكية وهي أيضا جهة المخلوقية فانتم (ممن خلق) وابنية الله خروج من المخلوقية بالكلية والمخلوق محل مشيئته فلا يتعين في حقكم الغفران الذي يتعين في حق الابن بل (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء و) كيف تخرجون عن مشيئته مع دخولكم في ملكه اذ (لله ملك السموات والارض وما بينهما و) لا يعسر عليه تنفيذ مشيئته لبعدكم كما يعسر على بعض الملوك اذ (اليه المصير) اى مصير الكل ثم أشار الى انه لا عذر لهم في عجزهم عن رد متشابهات كتابهم الى محكمه من اختلافهم في كيفية الرد فقال (يا أهل الكتاب) العاجزين عن رد متشابهاته الى محكمه (قد جاءكم رسولنا) لردها ولا تعذرون في اختلافكم في كيفية الرد لانه (يبين لكم) كيفيته وانما يرجى قبول عذركم لو بقيتم (على فترة من الرسل) لكن الله تعالى أزال عذركم بارساله كراهة (أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) في أخذ أحد الطرفين وترك الآخر فان اعتذرتم الآن لم يقبل منكم (فقد جاءكم بشير ونذير) بل لو لم يرسل اليكم كان له ازالة عذركم اذ لا يتعين لازالته ارسال الرسل (والله على كل شئ قدير) لكنه لما كان قالع العذر من أصله باوضح الطرق اختاره ثم أشار الى تفريطهم في أمر الله الوارد على لسان موسى وتفريطهم في حقه مع حثه اياهم على شكر الله ليسارعوا الى امتثال أمره فقال (واذ قال موسى لقومه يا قوم) ما لكم تفرطون في أمر الله ولم يفرط في حقكم (اذكروا نعمة الله عليكم) فوق نعمه على من سواكم (اذ جعل فيكم أنبياء) هم أكمل الخلائق ومكملوهم (وجعلكم) اى بعضكم الذين يحملون الباقين في حكم الملوك فكأنه جعل جميعكم (ملوكا) ينفذون أحكامهم (وآتاكم)

(قوله تعالى تفندون) أي تجهلون ويقال تعجزون في الرأي وأصل الفند الخرف يقال أفند الرجل اذا خرف وتغير عقله ولم يحصل كلامه ثم قيل فند الرجل اذا جهل والاصل ذلك (قوله تعالى تسيمون) أي ترعون (قوله عز وجل تبذير) أي تسرف اسرافا تبذيرا (قوله عز وجل تخافت بها) أي تخفيها (قوله عز وجل تمارونهم) تجادلونهم

من الفضائل والعلوم (مالم يؤت أحدا من العالمين) من أهل عصركم فمقتضى هذه النعم المبادرة الى امتثال أوامر المنعم شكرا له ليزيد كم نعمه (ياقوم) أدعوكم الى ماتستزيدون به النعم (ادخلوا الارض) اى ارض اريحا (المقدسة) بسكنى من مضى من الانبياء وقد تلوثت الآن بسكنى الاعداء من جبابرة الكنعانيين فاراد تطهيرها باخراجهم واسكانكم لانها (التى كتب الله) اى قدر صيرورتها (لكم) لو قاتلتم من فيها (و) قد امركم بذلك أمرا جازما (لاترتدوا) اى لاترجعوا عن أمره فترجعوا عن منزلة قربه (على أدباركم) اى ظهوركم فيلحقكم غضبه (فتنقلبوا) اى فترجعوا (خاسرين) لايبقى لكم ملك ولا علم ولا عمل (قالوا ياموسى) نادوه باسمه استهانة له (ان فيها قوما جبارين) اى متغلبين ليس لنا مقاومتهم (وانا) وان وعدنا الله النصر (لن ندخلها) وان حصل لنا فيها ماحصل من المزيد (حتى يخرجوا منها) لرعب يقع فى قلوبهم من غير قتال منا (فان يخرجوا منها) بذلك الرعب (فانا داخلون) لانبالى بتغلبهم بعد ذلك (قال رجلان) يوشع بن نون وكالب بن يوفنا (من الذين يخافون) الخسران على مخالفة أمر الله وترك الامر بالمعروف ولذلك (أنعم الله) بالنبوة المستدعية لسائر النعم (عليهما ادخلوا) متحزبين (عليهم الباب) فانه مخوف لهم (فاذا دخلتموه) بامر الله بعد وعده النصر لكم (فانكم) مع غاية ضعفكم (غالبون) عليهم مع غاية قوتهم (وعلى الله) لاعلى قوة أنفسكم (فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) بكمال قدرته ووعده النصر (قالوا ياموسى انا) وان وعدتنا النصر وأمرتنا بالتوكل على الله وجزمت تغليبنا عليهم (لن ندخلها أبدا ماداموا فيها) فان كان لربك قدرة على تضعيفهم وتقويتنا ولك اعتماد على تقويته اياك (فاذهب أنت وربك فقاتلا) فانكما تكفيان على قتالهم ولاحاجة لربك بنا فلا ندخل قريتهم ولا نقرب منها بل (انا ههنا) اى فى مكان بعيد عنهم (قاعدون قال رب انى لا أملك) أحدا ألزمه قتالهم (الا نفسى وأخى) اى ومن يؤاخينى ويوافقنى كهرون ويوشع وكالب ويجادلنى غيرهم (فافرق) اى فاحكم بما يميز بين المحق والمبطل لتفرق (بيننا وبين القوم الفاسقين) اى الخارجين عن أمرك (قال) فرقى أن أضلهم ظاهرا كما ضلوا باطنا وأخرجهم عما آتيناهم من فوائد علمهم وفضائلهم وملكهم كما خرجوا عن أمرى حتى أؤخرهم عن أرضهم الموعودة لهم (فانها محرمة عليهم أربعين سنة) أربع عشرات اكل اعداد الافراد المكررة تكرارا يبلغ عدده العشرة لاشتماله على واحد واثنين وثلاثة وأربعة ضالين خارجين عن ملككم وعن الملك الموعود لهم اذ (يتيهون) اى يترددون (فى الارض) التى اختاروا القعود فيها غير أرضهم وأرض عدوهم وهى ستة فراسخ يسيرون فيها من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا منه لالذة ولافرح لهم وان كان الغمام من الشمس يظلهم وعمود من النور يضىء بالليل لهم ومعاشهم من المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذى يحملونه واذا رأيتهم فى التيه لايلتذون بشىء مما ذكر (فلاتأس) اى تحزن (على القوم الفاسقين) الخارجين عن أمرنا وأمرك فلا تشفع لهم وكان معهم موسى وهرون ويوشع وكالب غير انهم لايتعذبون بل يتلذذون وكفى به

(قوله ترهقنى) تغشنى (قوله تصنع على عينى) اى تربى وتغذى برأى منى (قوله لااكلك الى غيرى (قوله تخبت له قلوبهم) اى تخضع وتطمئن والمخبت الخاضع المطمئن الى مادعى اليه والخبت المطمئن من الارض (قوله تسعرون) (قوله عزوجل تخدعون (قوله تلهيهم تجارة) اى تشغلهم يقال ألهانى عنه اشغلنى عنه (قوله تقسموا) اى تحلفوا (قوله تعالى تكن صدورهم) اى تخفى

فارقا ومات فيه هرون ثم موسى والنقباء غير يوشع وكالب ثم دخل يوشع اريحا بعد موته بثلاثة أشهر ولا يبعد وقوع تارك أمر الله في التيه مع انه وقع ممتثل أمره لا عن التقوى وهو القاتل من ابنى آدم فقتل أخاه ظلما ثم صار اضل من الغراب في دفنه (واتل عليهم نبأ ابنى آدم) هابيل وقابيل ملتبسا (بالحق) اى الواقع فى كتب الاولين من غير نظر فيها ولا سماع من أهلها (اذ قربا قربانا) ما يتقرب به الى الله تعالى ليدل قبوله بنزول نار تأكله على استحقاق توأمة قابيل التى أراد آدم تزويجها من هابيل اذ أوحى الله اليه أن نزوج كل واحد منهما توأمة الآخر فسخط قابيل اذ كانت توأمته اسمها اقليما أجمل فقال آدم قربا قربانا فمن أيكما تقبل تزوجها منه (فتقبل من أحدهما) وهو هابيل قرب جملا سمينا (ولم يتقبل من الآخر) وهو قابيل قرب اردأ قمح (قال لاقتلنك) على قبول قربانك الذى تتوسل به الى تزوج توأمتى (قال) عدم قبول قربانك كان من قبلك اذ لم تتق الله فلم ترض بحكمه ولم تخلص النية (انما يتقبل الله من المتقين) والله (لئن بسطت) اى مددت (الى يدك لتقتلنى) ظلما (ما أنا بباسط يدى اليك لاقتلك) دفعا (انى) وان لم أكن فى الدفع ظالما (أخاف الله) ان يكره منى هدم بنيانه الجامع ليظهر فيه من حيث كونه (رب العالمين) ولو لم أخف الله لم أكن لاقتلك دفعا (انى أريد أن تبوء) اى ان ترجع الى الله ملتبسا (باثمى) اذ يحمل عليك لظلمك لى وليس لك حسنة (واثمك) الذى لا يحمله أحد وان قتلتك دفعا (فتكون) بالاثمين (من أصحاب النار) آخذا منها مكانى ومكانك (و) ليس ذلك لارادتى شقاوتك بل لوقوعه من ظلمك اذ (ذلك جزاء الظالمين) فلم يتأثر بهذه الكلمات (فطوعت) اى زينت (له نفسه) الامارة بالسوء (قتل أخيه) الذى حقه ان يحفظه من كل من قصده بالسوء بالتحمل على نفسه (فقتله) عند عقبة حراء أو بموضع المسجد الاعظم بالبصرة (فأصبح من الخاسرين) دينا اذ صار كافرا حاملا للدماء الى يوم القيامة ودنيا اذ صار مطرودا مبغضا للخلائق فحمله فى جراب على ظهره اربعين يوما حتى أروح ولا يدرى ما يصنع به من افراط حيرته (فبعث) أى أرسل (الله غرابا) لجاء (يبحث) اى يحفر بمنقاره ورجله متعمقا (فى الارض ليريه) اى الغراب القاتل أخاه (كيف يوارى) اى يستر (سوءة) اى جسد (أخيه) الميت فانه يستقبح ان يرى (قال ياويلتى) اى ياهلكتى احضرى اذ صرت أضل من الغراب (أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب) الذى هو أخس الحيوانات فى القدرة على تحصيل معرفة المواراة مع انى أحوج اليه (فأوارى سوءة أخى) فعلم انه صار أجهل من الحيوانات العجم (فأصبح من النادمين) بكونه ادنى منها وأضل (من أجل ذلك) المصير منه الى أدنى من الحيوانات العجم وأضل منها وخسران الدارين والذهاب بالاثمين (كتبنا على بنى اسرائيل) الذين لا يبالون لزاجر ومرغب لم يبلغ الغاية (أنه من قتل نفسا بغير) قتل (نفس أو) بغير (فساد) يسرى ضرره (فى الارض) كقطع الطريق وزنا المحصن والشرك (فكأنما قتل الناس جميعا) اى أثم اثم من قتل الجميع كقابيل

(قوله عز ذكره صدورهم (قوله ... تقلبون) اى ترجعون (قوله عز وجل تصعر خدك للناس) اى تعرض بوجهك عنهم فى ناحية من الكبر والصعر ميل فى العنق والصعر داء يأخذ البعير فى رأسه فيقلب رأسه فى جانب فيشبه الرجل الذى يتكبر على الناس به (قوله جل اسمه تزجى) اى تسوق (قوله عز وجل توزى) (قوله الدن) اى تضم (قوله تشطط) اى تجور وتسرف وتشطط اى تبعد من

وان لم يسن القتل (ومن أحياها) اى عفا عنها القتل (فكأنما أحيا الناس جميعا) اى تصدق عليهم بالحياة لو أمكنه ولم يكن هذا المكتوب مما تركناه عندنا ولم نوصله اليهم بل (و) الله (لقد جاءتهم) به (رسلنا) لا بمجرد الدعوى بل (بالبينات ثم) اى بعد مجيئهم (ان كثيرا منهم بعد ذلك) الزجر المسموع من رسلنا (فى الارض) بالفساد والقتل (لمسرفون) فحصل لهم اثم قتل الناس جميعا مرارا غير متناهية ولا اثم فى قتلهم لانهم أهل الفساد الذين استثناهم الله لانه (انما جزاء الذين) يقطعون الطريق كأنهم (يحاربون الله ورسوله) لانهما يأمران باصلاح الارض (و) هؤلاء (يسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا) من غير قطع ولا صلب ان افردوا القتل (أو يصلبوا) بعد القتل وقيل أحياء ان قتلوا وأخذوا المال (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) اى من جانبين مختلفين ان أخذوا المال ولم يقتلوا (أو ينفوا من الارض) بحيث لا يستقرون بمكان ان اقتصروا على التخويف فأو للتقسيم (ذلك) الجزاء ليس بجزائهم بالحقيقة بل هو غايته انه (لهم خزى) اى هوان وفضيحة (فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) هو جزاؤهم بالحقيقة لكنه لما سقط بحدود الدنيا اذا اقيمت سمى بجزائهم وحصر فيه وجعل جزاء جميعهم (الا الذين تابوا) من قطع الطريق (من قبل ان تقدروا عليهم) فان ذلك يسقط حدودهم والعذاب الاخروى أيضا وان ترددتم فى ذلك اعظم جرمهم (فاعلموا ان الله غفور رحيم) لكن لا يسقط حق الخلق فيقتلون قصاصا ويغرمون المال هذا اذا كانوا مسلمين وأما المشركون فاذا آمنوا وتابوا عن القطع قبل القدرة عليهم سقط عنهم الجميع فاذا كان هذا جزاء قاطع طريق الدنيا فقاطع طريق الآخرة وجزاؤه اقطع لانه المحارب الحقيقى لله ورسوله من كل وجه بل من عصى الله فى خاصة نفسه ففيه نوع محاربة الله ورسوله (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم اتقاء محاربته ولو بمعاص تخصكم (اتقوا الله) أن تضيعوا حقا من حقوقه فانه قاطع لمحبته موجب لمحاربته ولا يتم الا بوسيلة محبته (و) لذلك (ابتغوا اليه الوسيلة) من الاعتقادات الصحيحة والاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة ولا تتم الا بمجاهدة النفس (و) لذلك (جاهدوا) أنفسكم مستقرة (فى سبيله) لا بطريق الرهبانية (لعلكم تفلحون) اى راجين فلاحكم ولا فلاح بالمال ولا يصلح للوسيلة الى الله تعالى حتى انه لا يفيد النجاة (ان الذين كفروا لو أن لهم ما فى الارض) من الاموال وغيرها (جميعا ومثله) مضموما (معه) جاؤا به (ليفتدوا به) فيتخلصوا (من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم و) لا يفيدهم تخفيفا بل (لهم عذاب أليم) كان لهم من قبل الفداء ولم يكن فداؤهم لنيل الفلاح بل غايتهم أنهم (يريدون ان يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها) بهذا السبب ولا بغيره (و) ليس لهم سبب من الاسباب يدفعه حينا من الاحيان بل (لهم عذاب مقيم) اى دائم (و) ليس هذا الهوان المال بحيث يهون العذاب على قاطع الطريق لاجله فانه يقطع فيه أشرف أعضاء السارق اذ (السارق) وان كان دون قاطع الطريق فى القوة (والسارقة) وان كانت أضعف منه يستحق ان قطع الكف (فاقطعوا أيديهما)

قوله (شطت الدار) اى بعدت
(قوله تمارونه) اى تجادلونه
وتمرونه تجحدونه
وتستخرجون غضبه من
مريت الناقة اذا حلبتها
واستخرجت لبنها (قوله
عزوجل تخسروا الميزان)
اى تنقصوا الوزن وقرئت
لاتخسروا الميزان بفتح
التاء ومعناه لاتخسروا
الثواب الموزون يوم
القيامة (قوله عزوجل
تمنون) من المنى وهو الماء
الغليظ الذى يكون منه
الولد وقوله يمنى اى يقدر

اى الكف من حيث ما أطلق عليها اليد اقيامها بمنافعها وجمعها لان اليمين اقوتهما قائمة
مقام اليدين وانما امر بقطعها (جزاء بما كسبا) بقطع الآلة الكاسبة (نكالا) اى عقوبة
(من الله) على فعل السرقة المنهى عنه من جهته لا فى مقابلة اتلاف المال فانه غير السرقة
فلذلك لا يسقط بعفو المالك بخلاف العفو عن المال ولا يبالى فيه لعزة السارق (والله عزيز)
لا يبالى مع عزته الموجبة لامتثال أمره عزة من دونه وكيف يخالف أمره وهو (حكيم) يختل
أمر نظام العالم بمخالفة أمره اذ فيه نفع عام للخلائق ولا يفيد فى مقابلة ضرر السارق على
ان له فيه نفعا لانه يكون سببا للتوبة (فمن تاب) اى رجع الى الله ولو (من بعد ظلمه) مثل هذا
الظلم العظيم (وأصلح) بالخروج عن التبعات (فان الله يتوب عليه) اى يرجع عليه بالتوفيق
للخيرات (ان الله غفور رحيم) ولا يستبعد من الله تعالى ذلك اذ له التصرف الكامل فى الكل
(ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) يتصرف فيهما بالاصلاح والخذلان لانه لارادة
ظهوره بالجلال والجمال على وجه الكمال (يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء) لا مانع له من
الظهور بالجمال بعد الظهور بالجلال وبالعكس اذ (الله على كل شئ قدير) ثم أشار الى ان
المذكور فى حق السعاة بالفساد فى الارض وفى معناهم الزناة وفى حق السراق حدود الله
وحق الرسول ان يقيمها من غير مبالاة بكفر من يسارع الى الكفر بها فقال (يا أيها
الرسول) الذى شأنه القيام بامر المرسل من غير مبالاة أحد (لا يحزنك الذين يسارعون) الى
الوقوع (فى الكفر) بما تقيم من الحدود (من) المنافقين (الذين قالوا آمنا بأفواههم)
وليست متعلق الايمان (ولم تؤمن قلوبهم) وهى متعلق الايمان فغايتهم انهم يكفرون
باللسان أيضا فلا تبال مع سبق كفرهم (ومن) عوام (الذين هادوا) روى ان شريفين محصنين
زنيا فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط الى قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنهما وقالوا ان أمركم بالجلد والتحميم اى تسخيم الوجه بالفحم فاقبلوا وان أمركم بالرجم فلا
فجعل عليه السلام عبد الله بن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له أنشدك الله الذى لا اله الا هو
الذى فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذى أنزل عليكم
كتابه وحلاله وحرامه فهل تجد فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان
كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر عليه السلام برجمهما فرجما عند باب المسجد وكيف
يحزنك قولهم وغايتهم انهم (سماعون للكذب) اى للحكم الكذب ممن يقرب منك فان
ترددوا فى قولهم لظهور العداوة بينك وبينهم فهم (سماعون لقوم آخرين) اى لقول
قوم آخرين لا يتوهمون فيهم عداوتك لانهم (لم يأتوك) فلا يعلمون انهم من شدة عداوتهم
لك (يحرفون الكلم) اى كلم التوراة فى الاحكام (من بعد مواضعه) كما فعلوا
فى نعوتك (يقولون) لمن أرسلوه اليك من عوامهم (ان أوتيتم هذا) الذى نقول لكم
(فخذوه) أى فاقبلوه (وان لم تؤتوه فاحذروا) من قبوله وقد ظهر كذبهم من قول عبد الله بن
صوريا فكان حقهم الرجوع عنه بعد ظهوره لكن أراد الله فتنتهم بالتعذيب الابدى (ومن

(قوله عز وجل ويخلق) ... تستخرجون
(تورون) اى تستخرجون النار بقدحكم من الزنود
(قوله عز وجل تدهن) الادهان النفاق
تنافق والادهان النفاق وترك المناصحة والصدق
(قوله عز وجل تراث) اى ميراث

• (باب التاء المكسورة) •

(قوله عز وجل تلقاء اصحاب النار) اى تجاه اهل النار وكذلك
ونحو اهل النار وكذلك تلقاء مدين تجاه مدين
وقوله من تلقاء نفسى اى من عند نفسى (قوله عز وجل
تبيان) أى تفعال من البيان

يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيأ) فى دفعها وهى انما تندفع بطهارة القلب فى الدنيا ولكن (اولئك) البعداء فى الضلال بعد ظهور كذبهم (الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) فكيف تندفع عنهم فتنة الله بالتعذيب الابدى بل (لهم فى الدنيا خزى) أى هوان بأخذ الجزية صاغرين لاستكبارهم على الله (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) وكيف لا يعظم عذابهم وهم (سماعون للكذب) بعد ظهور كذبه مع انهم قد علموا من المخبرين انهم (أكالون للسحت) على تحريف الكتاب (فان جاؤك) أى السماعون للكذب من أكلهم السحت (فاحكم بينهم) ان شئت لانهم اتخذوك حكما (أو أعرض عنهم) لانهم يسارعون الى الكفر بحكمك (وان تعرض عنهم فلن يضروك شيأ) بنسبة الجهل اليك (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) بالعدل الذى فى كتابهم وكتابك لا بما سمعوا من الكذب من أكلة السحت ولا تتق تهمتهم لك لان الله تعالى يدفعها عنك (ان الله يحب المقسطين) وهذا التخيير فى أهل الحرب وأما أهل الذمة فيجب الحكم لالتزامهم احكامنا (وكيف يحكمونك) أى كيف يجعلونك الحاكم فى حد الزانى المحصن (وعندهم) لا عندك (التوراة فيها) لا فى غيرها فى زعمهم (حكم الله) بالعدل (ثم) كيف (يتولون) عن حكمك (من بعد ذلك) الانقياد لك المشعر بتجويزهم النسخ (و) اذا لم ينقادوا لحكم التوراة ولا لحكمك علم انه (ما اولئك بالمؤمنين) بالتوراة ولا بك لان عدم انقيادهم لم يكن مع الاقرار بحكمهما بل مع الانكار لما فى التوراة أيضا ولا وجه له لانه انما ينكر الشئ اما لانه لم ينزل من الله أو لانه لا دليل فيه أو لوجود الشبهة أو لمخالفة جمهور العقلاء أو لاختصاصه بطائفة دون اخرى ولم يكن فى التوراة شئ من ذلك (انا انزلنا التوراة فيها هدى) ذكر الدلائل (ونور) رفع الشبه (يحكم بها النبيون) الذين هم أعقل الناس (الذين أسلموا) أى انقادوا لحكم التوراة لا الذين نسخوا بعض أحكامها (للذين هادوا) لا لمن يأتى بعدهم (و) لم يختص به الانبياء بل يحكم به (الربانيون) اى الاولياء (والاحبار) اى العلماء ولم يكن حكمهم بما حرفوه بل (بما استحفظوا) اى أمروا بحفظه عن التحريف لكونه (من كتاب الله) وكيف يحرفونه (وكانوا) مانعين من التحريف اذ كانوا (عليه شهداء) فان انكرتم ما اتفق عليه هؤلاء من خشية الناس (فلا تخشوا الناس واخشون) ليس خشية الناس الا من فوات الرشا (ولا تشتروا) اى لا تستبدلوا (بآياتى ثمنا قليلا) ان حكموا بالمحرف على انه حكم الله (ومن لم يحكم بما أنزل الله) وحكم بالمحرف على انه الذى أنزله الله (فاولئك هم الكافرون) وقد حكموا بخلاف ما أنزل الله اذ أخذوا بقتل واحد من بنى النضير على بنى قريظة دية اثنين وهى كقتل اثنين بواحد وفقؤا عينين من بنى قريظة لعين من بنى النضير (و) قد (كتبنا عليهم فيها) اى فى التوراة (ان النفس بالنفس) فديتهما دية الواحدة (والعين بالعين) ولا يتأتى فى الانف (و) لذلك أخذوا (الانف بالانف و) مع اتيانه فى الاذن والسن أخذوا (الاذن بالاذن والسن بالسن و) لم يوسعوا الجروح على المفضول بل قالوا (الجروح

قال ابو محمد ليس فى الكلام مصدر على وزن تفعال مكسور التاء الا حرفان وهما تبيان وتلقاء فانهما مصدران جاآ بكسر التاء واما الاسماء التى ليست بمصادر على هذا الوزن نحو تمثال وتجفاف وتبراك اسم موضع فهى مكسورة التاء وسائر المصادر مما يجئ على هذا المثال فهو مفتوح التاء نحو تمشاء وترماء وما أشبه ذلك

قوله قال ابو محمد الى قوله وما أشبه ذلك كتب عليه فى النسخة التى بايدينا ليس من الاصل اه مصحح

قصاص) على ان الفضل غير منضبط بالنسب بل فضل الفاضل معفو عنه كأنه متصدق به (فمن تصدق به) فعفا عن الجاني (فهو كفارة له) اى لذنوب المجني عليه كما يمحى ذنوب الجاني في حق نفسه فهذا اما أنزل الله (ومن لم يحكم بما أنزل الله) بل أخذ الزائد من المفضول للفاضل (فأولئك) وان راعوا الفضل (هم الظالمون) لانهم حكموا بخلاف حكم الله العدل (وقفينا) اى اتبعنا هؤلاء الظالمين غالبا (على آثارهم) لرفع تلك الآثار الظالمة (بعيسى) لا على أنه الله يحكم بخلاف حكم الله بل على انه موصوف بوصف (ابن مريم) وهو وان نسخ بعض أحكام التوراة كان (مصدقا لما بين يديه) اى الحكم السابق عليه (من التوراة) بأنه حكم الله في ذلك العصر (و) انما لم يحكم بما فيها لانا (آتيناه الانجيل) وهو مثل التوراة من حيث ما (فيه هدى ونور و) لم يكن نسخه تكذيبا لها بل كان (مصدقا لما بين يديه) اى للحكم الذي نزل قبله من حيث انه كان حكما قبله (من التوراة) حين لم تنسخ ولم يبق حكما حين نسخ (و) كان (هدى) الى مصالح أهل كل زمان علم به ان المصلحة كانت في زمن موسى الحكم بما في التوراة وفي زمن عيسى الحكم بما في الانجيل هذا باعتبار المعاش (و) كان اختلاف الحكم (موعظة) نافعة (للمتقين) بان أمر الدنيا ينعكس في الآخرة بمقتضى اختلاف الزمان كما اختلفت الاحكام في الدنيا باختلاف الازمنة (و) لم يكن الحكم بالانجيل مخصوصا بعيسى بل (ليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) لا بما في التوراة وان تساويا في الهدى ولكنه لم يبق هدى بعد النسخ حتى صار الحاكم بها كالحاكم بخلاف ما أنزل الله (ومن لم يحكم بما أنزل الله) على رسوله فانهم وان حكموا بما أنزل الله على من قبله (فأولئك هم الفاسقون) اى الخارجون عن حكم الله اذ لا عبرة بالمنسوخ ثم أشار الى ان الانجيل وان نسخ التوراة فهو منسوخ بكتابك كالتوراة في بعض الاحكام التي لم تنسخ في الانجيل فقال (وأنزلنا) من مقام عظمتنا (اليك) يا أكمل الرسل (الكتاب) الكامل الذي لا يستحق غيره ان يسمى كتابا (بالحق) اى بالحكم الثابت الذي لا ينسخ بكتاب بعده الى يوم القيامة لاشتماله على مصالح زمانك ومصالح الازمنة الآتية الى يوم القيامة ولكن لم يبطل مصالحه مصالح التوراة والانجيل فيما تقدم بل كان (مصدقا لما بين يديه من) مصالح (الكتاب) السابق عليه (و) لم يعلم صدق هذا الكتاب من موافقة تلك الكتب حتى يدل نسخه لها على كذبه بل كان هذا (مهيمنا عليه) اى شاهدا على صدقه لاعجازه دونها واذا كان حكمه ثابتا الى يوم القيامة ولم يبق مصالح الكتابين مصالح في هذا العصر (فاحكم بينهم بما أنزل الله) اليك (ولا تتبع) ما في كتبهم اذ صارت بعد النسخ أحكامها (أهواءهم) تصرفك (عما جاءك من الحق) الذي لا ينسخ وانما صارت الآن أهواءهم اذ (لكل) من أهل عصر (جعلنا منكم شرعة) اى طريقة موصلة الى الله (ومنهاجا) اى طريقا واضحا الى مصالحهم (و) ليس هذا بطريق البداء بل بطريق الابتلاء فانه (لو شاء الله لجعلكم) يا أهل الاعصار (أمة واحدة) متفقة على ملة (ولكن جعلكم أمما مختلفة (ليبلوكم فيما آتاكم) من الشرائع المختلفة هل تتركون ما ألفتم منها الى

(قوله عز وجل تسع آيات بينات) خروج يده بيضاء من غير سوء أي من غير برص والعصا والسنون ونقص من الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم (قوله عز وجل والتين والزيتون) هما جبلان بالشأم ينبتان التين والزيتون يقال لهما طور سينا وطور زيتا بالسريانية ويروى عن

أحدث بعدها أم لا ولم يفعل ذلك بطريق التحكم بل راعى فيها مصالح الازمنة (فاستبقوا) اى فابتدروا الشرائع (الخيرات) بلا تردد من جهة ترك المألوفات ولا عسر فى ترك المألوفات من حيث اختصاصها بالايصال الى الله دون المتجددة بل (الى الله مرجعكم جميعا) لايصال الشرائع كلها اليه مادامت باقية وأنتم وان جهلتم فوائد تلك الشرائع الآن فاذا رجعتم الى الله (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) اى بفوائد كل شريعة فى عصرها (و) ليجعل بعضها أكمل من بعض حتى يكون غاية الكمال لك اياك أمرك (أن احكم بينهم بما أنزل الله) اليك وان خالف ما ألفوه (و) ليقول لك (لا تتبع أهواءهم) اذ لم يبق لها كمال بعد ظهور شرعك (و) لغلبة الاهواء الفاسدة التى لا توافق ما انزل اليك ولا بما انزل اليهم (احذرهم أن يفتنوك) بالاطماع فى ايمانهم المطمع فى ايمان أتباعهم فيصرفوك (عن بعض ما أنزل الله اليك) فى كتابك وكتابهم فى الحكم لا جلهم على خصمائهم على خلاف المنزل روى ان بعض أحبارهم قالوا اذهبوا بنا الى محمد صلى الله عليه وسلم لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا احبار اليهود وان اتبعناك اتبعك اليهود وان بيننا وبين قومنا خصومة فتحاكم اليك فتقضى لنا عليهم فنصدقك فانزل الله عز وجل هذه الآية (فان تولوا) عن الايمان لتوليك عن فتنتهم (فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم) بالاهلاك الكلى (ببعض ذنوبهم) وهو أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ولاهلاكهم دينهم بتعريف كتابهم (وان كثيرا من الناس) وان لم يحرفوا كتابهم (لفاسقون) أى خارجون عن حكمه كتفضيلهم بنى النضير على بنى قريظة فى باب القتل وهؤلاء فى طلب الحكم منك مثلهم (أ) يفتنونك عن بعض ما انزل الله (فحكم الجاهلية يبغون) منك كأنهم يرونه أحسن الاحكام (ومن أحسن من الله حكما) وان خالف اهواء المحكوم عليه لكنه أحسن (لقوم يوقنون) أى ينظرون بنظر اليقين الى العواقب (يا أيها الذين آمنوا) اذا كان تودد أهل الكتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقصد افتتانه عن بعض ما انزل الله مع غاية كماله فكيف حال من يتودد اليهم من المؤمنين (لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) كيف وهى بالموافقة من كل وجه فلا تكون مع مخالفة الدين الموجبة أشد العداوة لذلك (بعضهم أولياء بعض) للموافقة من جميع الوجوه (ومن يتولهم منكم فانه) وان زعم انه مخالف لهم فى الدين فهو بدلالة الحال (منهم) لدلالتها على كمال الموافقة ولا يكون توليهم للاستعداد لايمانهم بسمع منهم لانهم ظالمون بالتحريف فلو لم يحرفوا فالموالون لهم ظالمون بموالاتهم بعد النهى عنها فليسوا بقابلين للهداية (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) واذا بطل عذر الاستعداد فى موالاتهم ظهر المقصود من موالاتهم وهو السلامة من شرهم عند غلبتهم (فترى الذين فى قلوبهم مرض) أى شك فى وعد الله لاظهار دينه (يسارعون فيهم) أى فى مودتهم دفعا لشرهم عند غلبتهم من غير نظر فيما يلحقهم من الضرر فى دين الله والفضيحة بالنفاق (يقولون) فى عذرهم (نخشى أن تصيبنا دائرة) من الفلك

مجاهد انه قال تنكم الذى تاكلون وزينتكم الذى تعصرون

(باب الثاء المثلثة)

(قوله عز وجل ثواب) أجر على العمل (قوله عز وجل ثقفتموهم) أى ظفرتم بهم (قوله عز وجل ثقلت فى السموات والارض) يعنى الساعة اى خفى علمها عن اهل السموات والارض واذا خفى الشئ ثقل (قوله عز وجل ثبطهم) أى حبسهم يقال ثبطه عن

فتكون الدولة لهم فيجن تحفظ عن شرهم ولا يتفكرون فى ان الدائرة ربما تصيب من يوالونهم من أهل الكتاب (فعسى الله) أى قرب رجاه (أن يأتى بالفتح) أى النصر للمؤمنين على أهل الكتاب (أو أمر من عنده) أو يأتيهم بآفة سماويه تهلكهم (فيصبحوا) أى المنافقون (على ما أسروا فى أنفسهم) من الشك فى ظهور الاسلام (نادمين) لافتضاحهم بالنفاق مع الفريقين (و) ذلك لانه (يقول الذين آمنوا) لليهود عند تباعد المنافقين عنهم (أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لمعكم) وقد تباعدوا عنكم فيظهر انهم لم يكونوا مع المؤمنين ولا مع اليهود فيتحقق انه (حبطت أعمالهم) من ترددهم فى دين الاسلام ودين اليهود جميعا (فأصبحوا خاسرين) فى الدنيا اذ ظهر نفاقهم عند الكل وفى الآخرة اذ لم يبق لهم ثواب لا على تقدير صحة دين الاسلام ولا على تقدير صحة دين اليهود ثم أشار الى انه عز وجل كما لا يهلك هذا الدين بدائرة لا يهلك بارتداد ظاهر فضلا عن النفاق فقال (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) لم يكن ارتداده سبب هلاك هذا الدين (فسوف يأتى الله) لاظهاره (بقوم) من أهل الكمال بحيث (يحبهم) قيل معنى محبة الله ثناؤه ورضاه وتوفيقه وانعامه (ويحبونه) اذ يرون كمالاتهم منه ومعنى محبة العبد ايثار جنابه على ما سواه والمسارعة الى طاعته وطلب مرضاته وفيه اشارة الى أن من ارتد فانما ارتد لبغض الله اياه لمحبته لما سواه (أذلة على المؤمنين) الذين يتذللون لله من افراط محبتهم له فيحبون محبيه و يتذللون لهم (أعزة على الكافرين) المستكبرين على الله كسرا لتكبرهم الذى هو سبب عداوتهم لله ويبالغون فى كسره عليهم اذ (يجاهدون فى سبيل الله) فيضربون رقابهم ويأسرون أهليهم وأولادهم وينهبون أموالهم (ولا يخافون لومة لائم) فى الجهاد بأنه القاء النفس فى التهلكة أو قطع رحم الآباء والاولاد والاقارب والمرتدون يتذللون عند الفريقين ويجبنون عن الجهاد ويخافون لوم الكفرة (ذلك) المذكور من حب الله اياهم وحبهم لله وذلتهم للمؤمنين وعزتهم على الكافرين وجهادهم فى سبيل الله وعدم مبالاتهم للوم اللوام (فضل الله) الذى فضل به أولياءه اما المحبتان فظاهر وكذا العزة على الكفار والجهاد وأما الذلة على المؤمنين فلانه تواضع موجب للرفع وأما عدم خوف الملامة فلما فيه من تحقيق المودة مع الله (يؤتيه من يشاء) ممن يريد به مزيد اكرام من سعة جوده كيف (والله واسع) جوده لكنه لا يجود بهذه الفضائل على كل أحد لانه (عليم) وقد علم ان هؤلاء أحق بالمزيد ولما نهى عن موالاة اليهود والنصارى أشار الى من يتعين للموالاة فقال (انما وليكم الله) المفيض عليكم كل خير (ورسوله) الذى هو واسطة الفيض (والذين آمنوا) المعينون فى موالاة الله ورسوله بأعمالهم لانهم (الذين يقيمون الصلوة) التى هى أجمع العبادات البدنية (ويؤتون الزكوة) القاطعة محبة المال الجالب للشهوات (وهم راكعون) أى متذللون غير معجبين فان رؤيتهم تؤثر فيمن يواليهم بالعون فى موالاة الله ورسوله (و) لا ينبغى لمن يواليهم ان يخاف شر الغير فان (من يتول الله) المفيض

الامر اذ حبسه عنه (قوله
تعالى ثمود) فعول من الثمد
وهو الماء القليل ومن
جعله اسم قبيلة أو أرض
لم يصرفه ومن جعله اسم
حى أو اب صرفه لانه مذكر
(قوله عز وجل الثرى) ى
التراب الندى وهو الذى
الذى تحت الظاهر من
وجه الارض (ثانى
عطفه) أى عادلا جانبه
والعطف الجانب يعنى
معرضا متكبرا (قوله عز
وجل ثاويا) أى مقيما
(قوله تعالى ثلاث عورات)

للقوة والنصر (ورسوله) المستفيض منه لهما (والذين آمنوا) الموعود لهم بهما كان
من حزب الله وهو وان صار مغلوبا أحيانا فعاقبة الغلبة له (فان حزب الله هم الغالبون)
فى العاقبة ثم أشار الى أن موالاة غيرهم ان كانت لجلب نفع فضررها أعظم وان كانت لدفع
ضرر فالضرر الحاصل بها أبقى بالمدفوع فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم
حفظ تعظيم دينكم ولا تحفظ فى موالاة غير من ذكر (لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم)
الذى هو رأس مال كمالاتكم الذى به انتظام معاشكم ومعادكم وهو مناط سعاداتكم الابدية
وسبب قربكم من ربكم ومواصلته (هزوا) أى شيأ مستخفا (و) بالغوا فى الاستخفاف
به حتى لعبوا به قول أهله (لعبا) وذلك مما يخاف سريانه الى من يواليهم لكونه (من الذين
أوتوا الكتاب من قبلكم) مع ان الواجب ان لا يبالى بهم لان وجوده منهم (و) من
(الكفار) بالسوية من حيث انه لا يستند الى دليل ومع ذلك يخاف سريانه الى من يواليهم
من العوام فلا تتخذوهم (أولياء و) ان اعتقدتم انكم لا تتأثرون بهم (اتقوا الله) ان
يؤثر فيكم بموالاتهم التى نهى عنها (ان كنتم مؤمنين) بأن مخالفته موجبة لتأثير ما يضر
(و) ان كان مما لا ينبغى ان يؤثر فى العقلاء كما أنكم (اذا ناديتم الى الصلوة) التى هى أكمل
القربات نداء راعيتم فيه المعانى الشريفة من تعظيم الله باعتبار ذاته وأسمائه وصفاته
وأفعاله ومن ذكر توحيده باعتبار ذاته وباعتبار عدم مغايرة أسمائه وصفاته ومن تعظيم
رسوله باعتبار قيامه بمصالح المعاش والمعاد ومن الصلاة من حيث هى وصلة ما بين العبد
وبين الله ومن حيث افادتها معالى الدرجات ومن تعظيم مقصده وهو الفلاح فى الظاهر
والباطن وما هو غاية مقصده من القرب من الله باعتبار عظمة ظاهره وباطنه ومن الوصول
الى توحيده الحقيقى (اتخذوها هزوا ولعبا) يقولون من أين لك صياح كصياح العير (ذلك)
الاستهزاء بمثل هذه الامور (بأنهم قوم لا يعقلون) فكيف يبالى له وان كان من أهل الكتاب
(قل يا أهل الكتاب) العالمين بالنقائص والكمالات التى يستحق على تحققها وفقدها الاستهزاء
(هل تنقمون) أى تعيبون بالاستهزاء (منا) لنقص فينا أو كمال فيكم قد فاتنا (الا أن آمنا
بالله) وهو رأس الكمالات (وما أنزل الينا) وهو أصل الاعتقادات والاعمال والاخلاق
والاحوال والمقامات (وما أنزل من قبل) وهو يشهد لما أنزل علينا فجعلتم هذه الامور
نقائص موجبة للاستهزاء (وأن أكثركم فاسقون) أى خارجون عن جميع ما ذكر لدعوة
الولد والاتحاد بعيسى أو كونه ثالث ثلاثة وكفركم بما أنزل الينا وتحريفكم لما أنزل اليكم
فجعلتم هذه الامور كمالات يستهزئ من اتصف بها عن فاتته وهذا الانتقام بالحقيقة مقلوب
عليكم (قل هل أنبئكم بشر من ذلك) الانتقام الذى لنا أن ننتقم به منكم ان انتقمتم به منا
(مثوبة) أى انتقاما لنا منكم ثابتا (عند الله) غير قابل للقلب علينا مثوبة (من لعنه الله)
أى أبعده من رحمته منكم (و) لم يقتصر عليه بل (غضب) مع ذلك (عليه) فأعد له العذاب
الشديد الخالد (و) لم يقتصر عليه بل عذبهم فى الدنيا أيضا بالمسخ اذ (جعل منهم القردة

أى ثلاثة أوقات من أوقات العورة (قوله عز وجل ناقب) أى مضى • (قوله تعالى ثجاجا) أى متدفقا ويقال ثجاجا سيالا ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم أحب الاعمال الى الله عز وجل العج والثج فالعج التلبية والثج اسالة الدماء من الذبح والنحر

• (باب الثاء المضمومة) •

(قوله عز وجل ثبات) أى جماعات فى تفرقة أى حلقة حلقة كل جماعة منها ثبة

والخنازير) وهم أصحاب السبت والمائدة (و) جعل منهم (عبد الطاغوت) أى عباد العجل فنص ان كان شرا عبادكم فلا شك ان (أولئك) البعداء فى مراتب الشر (شر مكانا) أى منزلة منا كيف (و) هم (أضل عن سواء السبيل) الموصل الى الخير (و) من علامات كمال شرهم وضلالهم انهم (اذا جاؤكم قالوا آمنا) اظهار الايمان أول النهار والكفر آخره للتشكيك على المسلمين (وقد دخلوا بالكفر) من قصد التشكيك على المسلمين (وهم قد خرجوا به) مستمرين عليه فان كان هذا الدين باطلا عندهم فما لهم تلبسوا به وان كان حقا فمالهم يلبسون على المسلمين وهذا الشر والضلال مما يدل عليه ظاهرهم (والله أعلم بما كانوا يكتمون) مما يوجب تجاوزهم نهاية الشر والضلال (و) من دلائل الشر والضلال فيهم أنك (ترى كثيرا منهم يسارعون) من غير مبالاة من الله ولا من الناس مستغرقين (فى الاثم) أى المعصية المخصوصة بأنفسهم (و) لا يقتصرون عليه بل يسارعون فى (العدوان) أى الظلم أيضا لا لأجل أنفسهم (و) لا لأجل غيرهم من (أكلهم السحت) أى الرشوة (لبئس ما كانوا يعملون) من الجمع بين الكفر والتلبيس على المؤمنين وبين المعاصى المخصوصة والمظالم من أجل أنفسهم ومن أجل من أكلوا منهم الرشوة ولا يختص هذا بجهالهم وحكامهم وابناء الدنيا منهم بل يشاركهم فيها زهادهم وعلماؤهم فان لم يفعلوا بأنفسهم فهلا ينهونهم مع قدرتهم عليه (لولا) أى هلا (ينهاهم الربانيون) أى الرهبان (والاحبار) أى العلماء (عن) افعالهم الظاهرة مثل (قولهم الاثم) كدعوة الولد والقول بالاتحاد أو بثالث ثلاثة واظهار الايمان بطريق المكر وتحريف الكتاب والاستهزاء بالدين (وأكلهم السحت) أى الرشوة المفسدة أمر العالم كله (لبئس ما كانوا يصنعون) من ترخيصهم وتعلمهم لغير دين الله (و) لم يقتصروا فى ذلك على السكوت بل قال فنحاص بن عازوراء بحضور جماعة رضوا بقوله فكأنه (قالت اليهود) كلاما مالا يصح فى حق الله حقيقة ولا مجازا (يد الله مغلولة) وأرادوا مقبوضة حين قبض الله عنهم الرزق قال الله عز وجل فى الرد عليهم (غلت أيديهم) حقيقة فى الآخرة ومجازا فى الدنيا لاتصافهم بغاية البخل (ولعنوا) أى ابعدوا من الرحمة فلا يوفقون للتوبة (بما قالوا) من الكلمة الشنيعة التى لا تصح فى حق الله حقيقة ولا مجازا اذ لا تغل من جنابه أصلا (بل يداه) أى اسماؤه المتقابلة فى الفيض (مبسوطتان) بأنواع العطايا المختلفة والتقابل بين أسمائه حصل التقابل بين الحوادث حتى صار عطاء قوم حرمانا لآخرين وهو لا ينافى بسطهما بل (ينفق كيف يشاء) فيصير الخير فى حق قوم شرا فى حق آخرين (و) لذلك (ليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك) من جوامع الخيرات (طغيانا) أى عدوانا على الناس (وكفرا) فى أنفسهم بلغ كفرهم وطغيانهم بالتحريف وأخذ الرشوة أولا (و) لا يختص هذا بكتابك بل (ألقينا بينهم) باختلافهم فى كتابهم (العداوة) فى الظاهر (والبغضاء) فى الباطن ولم يرتفعا بكتابك الا فى ارتفاعهما بل استمرا مع الزيادة (الى يوم القيامة) لكن لم يؤثر فيكم مع الزيادة فقد أثر فيما بينهم بحيث انهم اذ (كلما أوقدوا نارا) فى قلوب الخلق من

الغضب

(قوله عز وجل ثعبان) (قوله عز وجل ثعبان) أى حية عظيمة الجسم (قوله عز وجل ثمر) جمع ثمار ويقال الثمر بضم الثاء المال والثمر بفتح الثاء جمع ثمرة من اثمار الاكول (قوله عز وجل ثبورا) أى هلاكا وقوله عز وجل دعوا هنالك ثبورا أى صاحوا واهلاكاه (قوله تعالى ثقفوا) أخذوا وظفروا بهم (قوله عز وجل ثلة) أى جماعة (قوله عز وجل ثوب)

الغضب (للحرب أطفأها الله) بأخلاقك (و) لا ينقطعون برؤية اطفاء الله نارهم بل لا يزالون (يسعون في الارض فسادا) بالقاء الشبه (و) لكن لا يؤثر سعيهم اذ (الله لا يحب المفسدين) ولذلك ضيق عليهم فضيق الرزق عليهم ليس من بخل الله بل من كفرهم ومسارعتهم الى الكبائر (ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا) مباشرة الكبائر (لكفرنا عنهم سيآتهم) أى صغائرهم فلا يبقى لهم معصية تكون سببا القبض للرزق عليهم (ولأدخلناهم) فى غاية السعة كأنهم الآن فى (جنات النعيم) وسندخلهم فيها بلا عذاب وهذا بمجرد الايمان وترك الكبائر (ولو أنهم) مع ذلك (أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم) فعملوا بجميع ما فيها مما لم ينسخ (لأكلوا) من ثمار بساتينهم ما ينتثر عليهم (من فوقهم و) ما يلتقطون (من تحت أرجلهم) من غاية كثرتها ومن الرزق المعنوى الهبات السماوية من فوقهم وأجور الاعمال الصالحة من تحت أرجلهم هذا لو اتفقوا على اقامتها لكنهم لا يتفقون بل غايتهم أنه وجد (منهم أمة) أى طائفة (مقتصدة) غير غالية ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد (و) لو كثرت هذه الطائفة أيضا لحصل ذلك أيضا لكن (كثير منهم ساء ما يعملون) فضلا عن مجرد الايمان واجتناب الكبائر فضلا عن اقامة الكتب الالهية ولكثرة مساوى الاكثرين مع عجز الامة المقتصدة عن ارشادهم احتيج الى ارسال الرسول اليهم (يا أيها الرسول) الذى أرسل لبيان المساوى لتجتنب (بلغ ما أنزل اليك من ربك) مما يفصل مساويهم (وان لم تفعل) ما تؤمر به من تبليغ الجميع ستر البعض مساويهم (فما بلغت رسالته) أى شيأ مما أرسلت به (و) لا تخفهم فى تبليغ مساويهم اذ (الله يعصمك من) اساءة (الناس) اليك بل لا يهديهم طريق الاساءة اليك (ان الله لا يهدى القوم الكافرين) طريق الاساءة اليك ثم أمره بتبليغ ما هو أشد عليهم من بين مساويهم فقال (قل يا أهل الكتاب) الزاعمين انهم الكاملون فى أمر الدين المكملون فيه الناس (لستم على شئ) فضلا عن الكمال والتكميل ولا يحصلان لكم (حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) من سائر الكتب السماوية فتعملوا بكل ما فيها وتكملوا الناس بها ولكنكم كافرون بأكثر ما أنزل اليكم فلستم على شئ مما أقمتم فضلا عما لم تقيموه (و) ستتركون اقامة ما كانوا يقيمونه من التوراة بسبب هذا القول فانه والله (ليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك) فضلا عن مثل هذا القول (طغيانا) على كتابهم بالتحريف (وكفرا) بما فيه من نعوتك واذا بالغت فى تبليغ ما أنزل اليك فرأيت مزيد طغيانهم وكفرهم (فلا تأس) أى فلا تحزن (على القوم الكافرين) لغاية خبثهم فى ذواتهم وانما تحزن على ما كان قابلا لازالة الخبث عنه وليس ارسالك لازالة ما لا يمكن ازالته بل انما امتنع لسوء اختيارهم مع انه ممكن فى ذاته كما قال (ان الذين آمنوا) باللسان (والذين هادوا) وان كان لهم مآثر من الفضائح (والصابئون) كذلك وان كانوا أضل منهم (والنصارى) وان قيل فيهم ان الله هو المسيح أو انه ثالث ثلاثة (من آمن بالله) منهم بقلبه (واليوم الآخر) الداعى للايمان بالله (و) دل عليه بان (عمل صالحا) يقتضى

أى جورى الكفار

* (باب السورة المكية) *

(قوله تعالى وثيابك فطهر) فيه خمسة أقوال قال الفراء معناه وعملك فاصلح وقال غيره معناه قلبك فطهر فكنى بالثياب عن القلب وقال ابن عباس معناه لا تكن غادرا فان الغادر دنس الثياب وقال ابن سيرين معناه اغسل ثيابك بالماء وقال غيره وثيابك فقصر فان تقصير الثياب طهر لها

الكتب الالهية (فلا خوف عليهم) من كفرهم ومساويهم السابقة (ولاهم يحزنون) على
مافاتهم من الاعمال الصالحة حال الكفر فانه يبدل الله سيآتهم حسنات ويدل على قابليتهم
لازالة الخبث عنهم اعطاؤهم الميثاق بذلك (لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل) بازالته (و) يدل
على امتناعهم من سوء اختيارهم أنا (أرسلنا اليهم رسلا) كثيرين كل واحد منهم أعقل أهل
زمانه وأولى باتباع قوله فمن غلبة خبثهم لم يقبلوا قول أحد منهم لانهم كانوا يدعون الى ترجيح
أمر العقل والشرع على الهوى الغالب عليهم بل (كلما جاءهم رسول بما لاتهوى أنفسهم)
مع ان وضع الرسالة الدعوة الى مخالفته الترجيح العقل والشرع عليه (فريقا كذبوا) مع
ظهور دلائل صدقهم (وفريقا يقتلون) بعد التكذيب سد الدعوتهم الى مايخالف
أهويتهم (و) انما اجترؤا على ذلك لانهم (حسبوا ألا تكون) فى تكذيبهم وقتلهم
(فتنة) أى ابتلاء بتعذيب مع أنهم قد رأوا آثار المكذبين قبلهم وسمعوا اخبارهم
(فعموا وصموا) من غاية خبثهم (ثم) أى بعد هذا العمى والصمم (تاب الله عليهم) بالتوفيق
للايمان بعيسى فابصرهم آياته الفعلية واسمعهم آياته القولية (ثم) أى بعد هذا الابصار
والاسماع والتوفيق للايمان بعيسى (عموا) عن رؤية المعجزات الفعلية لمحمد صلى الله
عليه وسلم (وصموا) عن المعجزات القولية لاجميعهم اذ آمن النجاشى وأصحابه بل (كثير منهم
و) هم وان لبسوا على العامة بانصافهم مع عيسى لايمكنهم التلبيس على الله اذ (الله بصير
بما يعملون) ثم أشار الى أن عماهم وصممهم كان قبل مجىء محمد صلى الله عليه وسلم بما قالوا
فى عيسى عليه السلام (لقد كفر الذين قالوا ان الله) اتحد لاهوته بناسوت عيسى فكأنهم
قالوا (هو المسيح) وان قالوا انه من حيث ناسوته (ابن مريم) فعموا عما فى عيسى من امارات
الحدث (و) صموا من مقالاته اذ (قال المسيح يابنى اسرائيل) أى ياأولاد المسمى بالعابد لله
(اعبدوا الله) ولم يقل اعبدونى ثم صرح بقوله (ربى) قطعا لمادة توهم الاتحاد ولو بقيت
الربوبية مع الاتحاد فلابد من الفرق بين الربوبيتين لكنه نفى الفرق بقوله (وربكم) ولو صح
هذا الاتحاد فى حق عيسى لصح فى حق غيره وقت اتحاده به وهو شرك وقد قال عيسى عليه
السلام (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) ولا يحرم على من قال بأمر جائز وان
حرم فلا يجعل مأواه النار فقد قال (ومأواه النار) كيف والشرك أعظم وجوه الظلم وقد
ثبت بقول عيسى الذى قالوا به فيه (وما للظالمين من أنصار) فلا ينصرهم عيسى ولا غيره
ولا حجة ولا شبهة يعتد بها ثم أشار الى من شركه أظهر فقال (لقد كفر الذين قالوا ان الله
ثالث ثلاثة) والباقيان عيسى ومريم أو أحد الاقانيم أو الجواهر الثلاثة الحياة والعلم
وروح القدس (وما من اله) فى نص الانجيل والتوراة وجميع الكتب السماوية ودلائل
العقل والكشف (الا اله واحد) لايتعدد أفرادا ولا أجزاء (وان لم ينتهوا عما يقولون)
بعد ظهور الدلائل القطعية متمسكين بمتشابهات الانجيل (ليمسن الذين كفروا منهم)
بالدلائل القطعية (عذاب أليم) وان تمسكوا بالمتشابهات مثل عذاب من لايتمسك بشىء (أ)

يكفرون

•(باب الجيم المفتوحة)•
(قوله عز وجل جهرة) أى علانية (قوله جنفا) أى ميلا وعدولا عن الحق ويقال جنف على أى مال على (قوله الجار ذى القربى) أى ذى القرابة والجار الجنب أى الغريب والصاحب بالجنب أى الرفيق فى السفر وابن السبيل الضيف (قوله عز وجل الجوارح) أى الكواسب يعنى الصوائد (قوله عز وجل جرحتم) أى كسبتم (قوله عز وجل

يكفرون بالقطعيات (فلا يتوبون) عن التمسك بالمتشابهات بردها (الى) مراد (الله) اذا عجزوا عن ردها الى المحكمات (و يستغفرونه) التمسك بالمتشابهات فى مقابلة القطعيات وهم (و) ان ألفوها حتى صارت هيئة راسخة لقلوبهم فلا يبعد من الله سترها بمحوها عن القلوب اذ (الله غفور) بل (رحيم) تبديل ظلمتها بنور الصواب ثم أشار الى بطلان التمسك بمعجزاته وكرامات أمه على الهيتهما بل غايتهما الدلالة على نبوته وولايتها فقال (ما المسيح) المعلوم حدوثه من كونه (ابن مريم) بالخوارق الظاهرة على يديه (الا رسول قد خلت) أى مضت (من قبله الرسل) أولو الخوارق القاهرة (وأمه) بخوارقها (صديقة) ولو استدل بخوارقهما على الهيتهما عورض بأنهما (كانا يأكلان الطعام) عن احتياجهما اليه (أنظر كيف تبين لهم الآيات) على توحيد الله وبطلان الاتحاد والهية عيسى وأمه وبطلان شبهاتهم (ثم انظر أنى يؤفكون) أى يصرفون الى الاصرار على التمسك بالشبهات الظاهرة البطلان (قل أتعبدون) المسيح وأمه مع انهما عندكم (من) جملة من هو من (دون الله) ولا الهية للادنى ولو جعلتموهما ممن يملك ضرا أو نفعا فهما من جملة (ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا) بل غايتهما شفاعة من عبدهما أو شكاية من لم يعبدهما (والله هو السميع) لشفاعتهما أو شكايتهما (العليم) بمن يستحق الاجابة من الشفاعة والشكاية ولو جعلتموهن مالكي النفع والضر فهو غلو (قل يا أهل الكتاب) الذى هو ميزان العدل (لا تغلوا) فى تعظيم عيسى وأمه فتدخلوا (فى دينكم) اعتقادا (غير الحق) بلا دليل عليه مع تظاهر الادلة على خلافه (ولا تتبعوا) تقليدا (أهواء قوم) تمسكوا بخوارقهما على الهيتهما فان نظروا الى سبقهم فغايتهم انهم (قد ضلوا من قبل و) الى كثرة اتباعهم فغايتهم انهم (أضلوا كثيرا و) الى تمسكهم بمتشابهات الانجيل فغايتهم انهم (ضلوا عن سواء السبيل) اذ لم يردوها الى المحكمات وكيف لا يترك الغلو وقد أوجب مادونه اللعن (لعن الذين كفروا) وان كانوا (من بنى اسرائيل على لسان) من هو دون محمد صلى الله عليه وسلم (داود) قال فى حق أهل ايلة لما اصطادوا فى السبت اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة (وعيسى ابن مريم) قال فى حق أصحاب المائدة اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا خنازير ولم يكن كفرهم مثل غلوهم ولا مبدؤه مثل مبدئهم من ترك القطعيات للمتشابهات بل كان (ذلك) الكفر (بما عصوا) بصيد السمك فى السبت والتكبر على الفقراء المشاركين فى أكل المائدة (و) انما أفضى عصيانهم الى الكفر لانهم (كانوا يعتدون) وهو أنهم (كانوا لا يتناهون) اذا نهوا (عن منكر فعلوه) فلم يؤاخذوا به فلا يزالون يفعلونه مع النهى (لبئس ما كانوا يفعلون) من تكرير المنكر مع النهى وليس كالغلو لشبهة واهية مع الدلائل القاطعة على خلافه ثم الانتهاء انما يتم بموالاة الناهى وهم انما يتولون من هو أشد غلوا (ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا) وقد غلوا فى تعظيم الاصنام فهذا التولى ادعى الى الغلو من عصيانهم الى الكفر (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم) فعصيان الاولين سبب سخط الله

جبارين) أى أقوياء عظام الاجسام والجبار القهار والجبار المسلط كقوله عز وجل وما أنت عليهم بجبار أى بمسلط والجبار المتكبر كقوله ولم يجعلنى جبارا شقيا والجبار القتال كقوله واذا بطشتم بطشتم جبارين أى قتالين والجبار الطويل من النخل (قوله تعالى جن عليه الليل) أى غطى عليه وأظلم (قوله تعالى جاعل الليل سكنا) أى يسكن فيه الناس سكون الراحة والثمس

وهذا كائن من (أن سخط الله عليهم) ومعظمهم عذاب دنيوى منقطع (وفى العذاب هم خالدون) كيف وقد والوا أعداء من زعموا الايمان بهم ليعادوا من يؤمن بهم (ولو كانوا يؤمنون بالله) الذى يشرك به اعداؤه (والنبى) أى عيسى الذى يكذبه الأعداء (وما أنزل اليه) فيرجعون مما ألفوا عليه آباءهم (ما اتخذوهم أولياء) ليعادوا بهم أولياءهم فهم وان ادعوا الايمان بهم ليسوا بمؤمنين (ولكن كثيرا منهم فاسقون) أى خارجون عما ادعوه ويشاركهم اليهود فى هذه الموالاة لعداوة المؤمنين (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا) لايمانهم بعيسى ومحمد عليهما السلام (اليهود و) لتوحيدهم واقرارهم بنبوة الانبياء (الذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا) النصارى لايمانهم بعيسى وانما يعادونهم لايمانهم بمحمد ولذلك يوالون الكفار سيما (الذين قالوا) لعولهم تقية (انا نصارى) مع تصديقهم واقرارهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيما بينهم وهم النجاشى وأصحابه رضى الله عنهم فانهم على صرف المودة معهم (ذلك) الصفاء فى المودة (بأن منهم قسيسين) يعلمون كمال أمر محمد عليه السلام من كتبهم (ورهبانا) لايريدون لانفسهم مالا ولا جاها (و) قد ارتاضوا بحيث حسنت اخلاقهم وأقلها (أنهم لايستكبرون) على آحاد الناس فكيف على أرباب المعجزات والعلم بكمال الشئ مع عدم الصارف عن الميل اليه من العناد والاستكبار موجب لكمال الميل اليه وهو المودة (و) بكمال قسيسيتهم ورهبانيتهم ومودتهم للكمالات (اذا سمعوا ما أنزل) من الحضرة الجامعة الالهية (الى الرسول) الجامع من الكلام الجامع بحار العلوم الحقيقية مع التبشير والانذار بالوجوه الكثيرة الجامعة (ترى أعينهم تفيض) أى تنصب (من الدمع) الحاصل من اجتماع حرارة الحب والخوف مع برد اليقين (مما عرفوا من الحق) من كتابهم فوجدوه أكمل منه وأفضل (يقولون) من عدم استكبارهم (ربنا آمنا) بك وبما أنزلت وبما تجلت فيه بذاتك وأسمائك وصفاتك وأفعالك على أكمل الوجوه (فاكتبنا مع الشاهدين) لتجلياتك فيه من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ومالنا لانؤمن بالله) الذى ظهر فى العالم والانسان (وما جاءنا) أى تجلياتك فيه وأسمائك (من) المجالى الكاملة كأنها عين (الحق و) لانطمع فى الرسل لهؤلاء المانعين عنه بل (نطمع) بما أوجب الايمان من (أن يدخلنا ربنا) الذى ربانا بالقسيسية والرهبانية منازل قربه (مع القوم الصالحين) التابعين للقطعيات دون الشبهات الواهية كمتشابهات الكتب السماوية (فأثابهم الله بما قالوا) فضلا عن مساعيهم الباطنية فى تدبر كتابه وأعمالهم المرتبة عليه (جنات) من كليات فوائد هذا الكتاب (تجرى من تحتها الانهار) من جزئيات تلك الفوائد (خالدين فيها) لاتعرض لهم فيها شبهة تزعجهم عنها لاختصاصها بأهل الجناب (وذلك جزاء المحسنين) الذين يقرؤن كتاب الله كأنهم يسمعون من الله ثم يجازون بالجنة الحسية بعد الموت (والذين كفروا) أى ستروا اعظمة هذا الكتاب (وكذبوا بآياتنا) منه ومن سائر المعجزات (أولئك) وان طلبوا احد القسيسية

والرهبانية

والقمر حسبانا أى جعلهما يجريان بحساب معلوم عليهم (قوله تعالى جاثمين) بعضهم على بعض وجاثمين باركين على الركب أيضا والجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للبعير (قوله عز وجل جنحوا للسلم) أى مالوا الى الصلح (قوله تعالى جهزهم بجهازهم) كمل لكل واحد مايصيبه والجهاز ما يصلح حال الانسان (جاسوا) أى عاثوا وقتلوا وكذلك حاسوا وهاسوا وداسوا (قوله تعالى جنفا)

والرهبانية (أصحاب الجحيم) لايزالون فى حرارة الشبهات الى ان يموتوا فيصيروا الى الجحيم الاخروى ثم أشار الى أن من أسباب كفرهم وتكذيبهم ان يعسر على أنفسهم تحليل شئ حرم فى كتابهم فنسخ تحريمه حتى انهم لو اسلموا الايزال تحريمه من أنفسهم فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ان لا تغيروا شيأ من أحكام دينكم وان كان مغير الما تقدم من الاديان (لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) أى الاشياء التى ليس فيها حق الغير وهى من جنس ما أحل الله لكم ولو بالنسخ فان تحريمها كفر بآيات الله وتكذيب بها (ولا تعتدوا) بمجاوزة الحلال الى الحرام فاحذروا الشبهات فانه وان لم يكن تكذيبا وكفرا فهو خروج عن محبة الله (ان الله لا يحب المعتدين و) من الاعتداء الذى يكرهه الله كراهة تناول ما نسخ تحريمه نظرا الى حرمته السابقة فلا تكرهوا ذلك بل (كلوا مما رزقكم الله) ليتم اعتقادكم بكونه (حلالا طيبا) لا يشوبه حرمة (واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون) ان تعارضوا فى أحكامه ولو بكراهة من أنفسكم ويمكن ان يقال لما مدح الترهب نهى عن الافراط فيه بتحريم اللذائذ من المباحات الشرعية وأشار الى انه اعتداء على النفس والاهل بمنع الحقوق وانه كما لا يجوز الاعتداء فى الترهب لا يجوز فى الترفه فلا يفرط فى أكل المباحات وان كان حلالا بلا شبهة وأمر بتقوى الله فى وضع قواعد تخالف قواعد الشرع بل غاية ما يجوز أخذ معان من علم الشريعة مؤكدة لمقتضاه ثم أشار الى ان تحريم الحلال باليمين ليس بكفر بل (لا يؤاخذكم الله باللغو) أى بفعل شئ وقع بلا قصد (فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان) أى بفعل شئ علقتم به الايمان تعليقا ونبقا عن قصد منكم ومع ذلك مؤاخذته ليست بجازمة بحيث لا يمكن دفعها (فكفارته) أى فالخصلة الماحية لاثمه (اطعام عشرة مساكين) تمليك كل مسكين مدا وعند أبى حنيفة نصف صاع لانه بمنزلة الاصال عن الطعام عشرة أيام العدد الكامل الكاسرة للنفس المجترئة على الله تعالى (من أوسط ما تطعمون أهليكم) لا من أجود ما تطعمونهم فضلا عما تخصونه بأنفسكم ولا من اردا ما تطعمونهم فضلا عن الذى تعطونه السائل (أو كسوتهم) يعطى كل مسكين ثوبا واحدا ازارا أو رداء أو قميصا أو سراويل أو عمامة أو كساء أو نحو ذلك اذ يجزى بستر العورة ستر المعصية (أو تحرير رقبة) اذ فيه فك رقبة عن الاثم وشرط الشافعى فيها الايمان قياسا على كفارة القتل (فمن لم يجد) شيأ منها (فصيام ثلاثة أيام) لانه لما كان ضررا بنفسه اكتفى فيه بأقل الجمع (ذلك) وان قل (كفارة أيمانكم) التى اجترأتم بها على الله تعالى (اذا حلفتم) أى نقضتم اليمين ويجوز عند ارادته (واحفظوا أيمانكم) عن الحنث اذا لم يكن ما حلفتم عليه خيرا لئلا يذهب تعظيم اسم الله عن قلوبكم (كذلك) أى مثل هذا البيان الكامل (يبين الله لكم آياته) أى اعلام شرائعه (لعلكم تشكرون) نعمه بصرفها الى ما خلقت له ومن جملتها صرف اللسان الذى خلق لذكر الله وتعظيمه الى ذلك فاذا كانت صرفته الى ما يخالفه

أى غضا ويقال جنبا أى مجنبا طريا (قوله عز وجل جان) أى جنس من الحيات وجان واحد الجن أيضا (قوله عز وجل جلابيب) واحدها جلباب ملاحف (قوله عز وجل الجواب) أى الحياض يجبى فيها الماء أى يجمع واحدها جابية (قوله عز وجل الجوارى فى البحر كالاعلام) أى السفن فى البحر كالجبال الواحدة جارية ومنه قوله عز وجل انا لما طغى الماء حملناكم فى

الى بعض ما يجبره ليقوم مقام الشكر باللسان اذ به يتم تعظيمه فاذا لم يجد كسر هوى النفس من أجله فهو أيضا من تعظيمه فافهم ثم أشار الى سائر ما يهتك حرمة الله وحرمة مظاهره الكاملة مما يكثر فيه الحلف والى ما نسخ تحليله بتصريحه أو اشتبه بالحلال فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم حفظ تعظيم الله وتعظيم أنفسكم وحفظ حرماته (انما الخمر) وان حل فى بعض الملل مقدار ما لا يسكر منها (والميسر) أى القمار وان أشبه المسابقة والمناضلة (والانصاب) أى الاصنام المنصوبة للعبادة وان أشبهت المحاريب التى جعلت علامة للقبلة (والازلام) أى القداح وان أشبهت القرعة (رجس) أى خبيث لان الخمر تضيع العقل وما دون السكر داع الى ما يستكمله فأقيم مقامه فى الشرع الكامل والميسر يضيع المال والانصاب تضيع عزة الانسان بتذلله لما هو أدنى منه والازلام تضيع العلم للجهل بالتيمن والتيمن فاستطابتها (من عمل الشيطان) أى تزيينه فان زين لكم (فاجتنبوه لعلكم تفلحون) أى رجاء أن تنالوا الطيبات الحقيقية وانما زينها الشيطان لخبثها وان كان فى بعضها منافع فهو لا يريد ذلك بل (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة) المشاتمة والمضاربة والمقاتلة فى الخمر والميسر عند السكر وضياع المال وربما يقامر الرجل بأهله وولده فاذا أخذه الخصم وقعت العداوة بينهما أبدا (و) لا أقل أن يوقع بينكم (البغضاء) القاطعة للتعاون الذى لا بد للانسان منه فى معيشته (فى الخمر والميسر ويصدكم) أى يبعدكم (عن ذكر الله) اذ يغلب السرور والطرب على النفوس والاستغراق فى الملاذ الجسمانية فيلهى عن ذكر الله والميسر ان كان صاحبه غالبا انشرحت نفسه ومنعه حب الغلبة والقهر عن ذكر الله وان كان مغلوبا بما حصل من الانقباض والاحتيال الى أن يصير غالبا لا يخطر بباله ذكر الله (وعن الصلوة) الجامعة لاذكاره بجميع الاعضاء واذا كان فيهما هذه المفاسد الدينية والدنيوية (فهل أنتم منتهون) عنهما أم مصرون على ما أنتم عليه (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) فى نهيهما وان كان غير معقول (واحذروا) مخالفتهما وان كانت جامعة للمنافع خالية عن المضار (فان توليتم) أى أعرضتم عن اطاعتهما وعن حذر المخالفة فلا يتولى الرسول عقابكم حتى لا تبالوا به (فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين) أى ما كان غير تبليغكم الذى لا يعتريه شبهة وانما يتولاه من أرسله ولما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله كيف بحال اخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر فنزل (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات) المأمور بها فى عصرهم (جناح) أى حرج (فيما طعموا) مما حرم بعد أكلهم (اذا ما اتقوا) ما حرم عليهم قبل أكلهم (وآمنوا) بأن الله أن يحرم ما يشاء ويحلل ما يشاء (وعملوا الصالحات) بعد أكله فلم يتركوا ذكر الله والصلاة ولم يقع بينهم العداوة والبغضاء (ثم اتقوا) تضييع الاعمال بالرياء والعجب (وآمنوا) أى أتوا بمقتضاه من الاخلاص وذكر المنة (ثم اتقوا) عن نسبة تلك الاعمال الى أنفسهم (وأحسنوا) بنسبتها الى الله تعالى فلم ينسأ لهم من

ما يكولهم

الجارية يعنى سفينة نوح عليه السلام (جاثية) باركة على الركب وتلك جلسة المخاصم والمجادل ومنه قول على بن أبى طالب رضوان الله عليه أنا أول من يجثو للخصومة (قوله عز وجل الجوار المنشئات) يعنى السفن اللواتى انشئن أى ابتدئ بهن فى البحر والمنشئات اللواتى ابتدئت

ما كولهم شيء من المفاسد فلا حرج لهم فيما كولهم بل صاروا محبوبين لكونهم محسنين (والله يحب المحسنين) ولما فرغ عن ذكر ما تقرر تحليله بعد التحريم أو تحريمه بعد التحليل ذكر ما يحرم تارة لعارض ويحل أخرى لزواله فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم تحريم ما حرم ولو لعارض سيما اذا اشتد فيه الابتلاء (ليبلونكم الله بشيء من الصيد) وأنتم محرمون وذلك عام الحديبية كانت الوحوش تغشاهم في رحالهم (تناله ايديكم) لتأخذوه (ورماحكم) لتطعنوه وانما ابتلاكم بهذه البلية (ليعلم الله من يخافه بالغيب) أي ليتميز عندكم من علم الله أنه يخافه مع غيبته لقوة ايمانه ممن لا يخافه واذا جعل الله هذا مميزا بين الخائف وغيره (فمن اعتدى) بالصيد (بعد ذلك) التمييز (فله عذاب أليم) يصيب مثله من لا يخافه ثم أشار الى مبدا الابتلاء ومنتهاه فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم التذلل سيما حال الاحرام (لا تقتلوا الصيد) لانه تجبر (وأنتم حرم) في غاية التذلل (ومن قتله منكم) أيها المحرمون (متعمدا) أي ذاكرا لاحرامه (فجزاء مثل ما قتل من النعم) أي فعليه بطريق الجزاء اعطاء مثل ما قتله من الصيد حال كون المثل من النعم باعتبار الهيئة عند الشافعي والقيمة عند أبي حنيفة (يحكم به) أي بمماثلته مجتهدان (ذوا عدل منكم) أيها المسلمون حال كونه (هديا بالغ الكعبة) أي واصلا الى الحرم (أو) عليه (كفارة طعام مساكين) يشترى بقيمة مثل النعم يعطى كل مسكين مدا (أو) عليه (عدل) أي مثل عدد أمداد (ذلك) الطعام (صياما ليذوق) هاتك حرمة الله (وبال) أي سوء عاقبة (أمره) من هتك حرمة الله بعد اعلامه (عفا الله عما سلف) من قتل الصيد قبل الاعلام (ومن عاد) الى القتل بعد الجزاء (فينتقم الله منه) بطلب الجزاء في الدنيا والمعاقبة في الآخرة وكيف يترك ذلك (والله عزيز) ومقتضى عزته الانتقام من هاتك حرمته فهو لا محالة (ذو انتقام) وكيف يترك الانتقام ممن اعتدى من غير ضرورة اذ وسع في المأكولات اذ (أحل لكم صيد البحر) اذ ليس فيه التجبر المنافي للتذلل الاحرامي (و) أحل لكم (طعامه) وهو ما قذفه البحر أو نضب عنه وانما لم يكن فيه تجبر اذ جعل (متاعا لكم) أيها المحرمون (وللسيارة) اي ولمن يسير من مكان الى مكان (وحرم عليكم صيد البر) وان لم تصطادوه اذا صيد لكم لان فيه مزيد التجبر (ما دمتم حرما) فلو تركه الصائد عنده الى تحللكم يحل لكم (واتقوا الله) في تحليل ما حرم وتحريم ما أحل بالتلبيس اذ هو (الذي اليه تحشرون) ولا يمكن التلبيس عليه وانما حرم الصيد على المحرم لانه قصد الكعبة التي حرم صيد حرمها فجعل كالواصل اليه وانما حرم صيد حرمها لانه (جعل الله الكعبة) مثال بيت الملك لا يتعرض لما فيه او في حرمه والله تعالى لما تنزه عن المكان والزائرون لا بد لهم من مكان يختص بالزيارة فجعل لهم الكعبة (البيت الحرام) فهو اذ جعله (قياما) أي مقام زيارة الله والتوجه اليه في عبادته (للناس) المتفرقين في العالم ليحصل لهم الاجتماع الموجب للتآلف الذي يحتاجون اليه في تمدنهم الذي به كمال معاشهم ومعادهم لاحتياجهم الى المعاونة فيهما فسرت الحرمة

(قوله عز وجل وجنى الجنتين) أي ما يجتنى منهما (قوله جد ربنا) أي عظمة ربنا يقال جد فلان في الناس اذا عظم في عيونهم وجل في صدورهم ومنه قول أنس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا أي عظم (قوله جابوا الصخر) أي خرقوا الصخر واتخذوا فيه بيوتا ويقال جابوا قطعوا الصخر فابتنوا بيوتا (جما) مجتمعا كثيرا

الى مكان القاصد كيف (و) قد سرت الى زمان القصد اذ جعل (الشهر الحرام) قياما للناس أى زمان قصدهم للزيارة تحرم فيه القتال ليحصل فيه التالف (و) جعل (الهدى) أيضا قياما أى سبب قصد الزيارة اذ يأمنون بسوقه الى البيت على أنفسهم (والقلائد) فانهم اذا قلدوا أنفسهم لحاشجر عند الاحرام أمنوا (ذلك) لتجتمعوا كل سنة عنده ديته وتتوجهوا اليه كل يوم مرات فتجتمعوا فى التوجه اليه (لتعلموا أن الله) يريد ربط الكل بعضه ببعض كاربط أمر العالم الكبير وهو لا يتأتى الا بالعلم بكل جزئى منه فهو يدل على أنه (يعلم ما فى السموات وما فى الارض و) قد راعى فى ذلك مصالح معاشكم ومعادكم ولا يتأتى الا بعلم ما غاب لتعلموا (أن الله بكل شئ عليم) وقد كثر الحرمات بحرمة بيت واحد وشدد فى أمر الجزاء لتعلموا اشدة عقابه لكنكم ذاهلون عن ذلك (اعلموا أن الله شديد العقاب) سيما اذا قصد تم ابطال حكمته فى الربط والتمدن لانه يشبه تفريق المملكة على الملك (و) لا تغتروا بعدم معاقبته لبعض المفرقين فى الحال بل اعلموا (أن الله غفور رحيم) فأخر العقاب ليتوبوا فيغفر لهم ويرحمهم ولا تغتروا بمغفرته ورحمته بعد ارسال الرسل بالانذار ولم يكذبوا بعدم حصول المنذر به فى الحال اذ ليس بيدهم ولم يجعل عليهم تحصيله بل (ما على الرسول الا البلاغ) بل هى بيد الله أخره ليكثر معاصيهم (و) لا يخفى عليه اذ (الله يعلم ما تبدون وما تكتمون) وكيف يترك مقتضى علمه وفيه تسوية بين الخبيث والطيب (قل) انه وان كان غفورا رحيما فانه (لا يستوى) عنده (الخبيث والطيب) بل لابد أن يترجح الطيب (ولو أعجبك كثرة الخبيث) بحيث يوهمك ترجيحه عند الله فلا يترجح عنده ما ليس براجح فى نفس الامر (فاتقوا الله) أن تغتروا بكثرة الخبيث أو بمغفرته ورحمته (يا أولى الالباب) أى المطلعين على الحقائق فانها تأبى التسوية فان حصلت المغفرة والرحمة لاربابها فلا فلاح لهم فاتركوا هذه الجهة (لعلكم تفلحون) بمنازل القرب الذى للطيبين عند الله ولما سمعوا ذلك وقد خفى خبث بعض الاشياء وطيبه فأكثروا السؤال عن الاشياء قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم اعتبار ما اعتبره الله لظهوره لا ما لم يعتبره لخفائه لكنه اذا ظهر صار معتبرا (لا تسئلوا عن أشياء) خفى وجه خبثها وطيبها (ان تبد) أى تظهر (لكم) فتؤمروا باجتنابها (تسؤكم) للحرج فيه (و) السؤال وقت الوحى موجب لاظهاره (ان تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) ولم يمنعكم عن السؤال عنها ليؤاخذكم على غفلة بل لانه (عفا الله عنها و) لا يستبعد من الله اذ (الله غفور) للخبث الظاهر (حليم) لمن أراد مؤاخذته به لا يعاجله بها وقد وجدت الحكمة فى عفوه اذ الحرج فيه ربما يفضى الى أعظم وجوه الخبث (قد سألها قوم من قبلكم ثم) لما أوقعهم فى الحرج (أصبحوا بها كافرين) لذلك قال عليه السلام ان أعظم المسلمين جرما من سأل عن شئ لم يحرم فحرم من أجل مسئلته وذلك لانه صار سببا لكفر البعض

ومنه بجة الماء اجتماعه

●(باب الجيم المضمومة)●

(قوله جل وعز جناح) اثم (قوله تعالى جنب) غريب وجنب بعيد وجنب الذى أصابته جنابة يقال جنب الرجل وأجنب واجتنب وتجنب من الجنابة (جرف) أى ما يجرفه السيول من الاودية (قوله جل وعز جهد) وسع وطاقة وجهد مشقة ومبالغة (قوله الجودى) اسم جبل (قوله جب) اسم ركية لم تطو فاذا طويت فهى بئر (جفاء)

ولما كان التحريم بالسوائب بهذه المثابة فكيف حال التحريم بالاستقلال (ما جعل الله من شئ محرما بتحريم أهل الجاهلية (من بحيرة) وهى الناقة التى تجت خمسة أبطن آخرها ذكر و بحروا أى شقوا أذنها فيخلى سبيلها لا تركب ولا تحلب وقاسوه على عتق الانسان مع ظهور الفرق لما فى عتق الانسان من تملك التصرفات ولا تصرف للحيوانات العجم (ولا سائبة) وهى الناقة المخلاة بنذر اذ لا ينعقد نذر ما ليس بعبادة (ولا وصيلة) وهى الشاة التى قالوا فيها انها اذا ولدت أنثى فهى لهم وان ولدت ذكرا فلأصنامهم وان ولدتهما وصلت الانثى أخاها فلا يذبح لاجلها (ولا حام) وهى التى اذا تجت من صلب الفحل عشرة أبطن لم يمنع من ماء ولا مرعى و يحرم ظهره لانه حماه والاول كالعتق بلا نذر والثانى كالعتق بالنذر والثالث مشبه بما يشبه العتق والرابع ملك النفس بلا تمليك ولا معنى للتمليك فى الحيوانات العجم فهذه الامور غير معقولة ظاهرا و باطنا فلا يفعلها الحكيم (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) بتحريمها (وأكثرهم لا يعقلون) معنى التحليل والتحريم فضلا عما لاجله التحريم والتحليل وانما يقلدون قدماءهم (واذا قيل لهم) اتركوا تقليد القدماء المفترين على الله الكذب (تعالوا الى ما أنزل الله) من كتابه (و) لو لم تجدوا فيه تعالوا (الى الرسول قالوا) لافراط جهلهم وانهماكهم فى التقليد لا حاجة بنا الى كتاب الله ولا الى رسوله بل (حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) يقلدون آباءهم (ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيأ) من التحريم والتحليل وما لاجله بأنفسهم (ولا يهتدون) لبيان من يبين لهم من الانبياء والعلماء (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم اصلاح أنفسكم واخوانكم ما أمكن (عليكم) أى الزموا أن تصلحوا (أنفسكم) باتباع الدلائل من كتاب الله وسنة رسوله والعقليات المؤيدة بهما ودعوة الاخوان الى ذلك باقامة الحجج ودفع الشبه وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بما أمكن من القول والفعل لا تقتصروا فى ذلك اذ (لا يضركم من ضل) فقال حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو أخذ بشبهة أو عاند فى قول أو فعل (اذا اهتديتم) بدعوتهم الى ما أنزل الله والى الرسول واقامة الحجج لهم ودفع الشبه عنهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بما أمكن من القول والفعل ولا تقصروا فى ذلك اذ (الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون) من التقصير أو الايفاء قولا وفعلا فى حق أنفسكم أو غيركم وكيف يقصر فى اقامة حجج الدين ودفع الشبه عنه ولا يقصر فى اقامة الحجج على الاموال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم حفظ أموال اخوانكم عند أوصيائهم بالشهود وحفظ الشهود من موافقتهم للاوصياء بشهود أخر (شهادة بينكم) أى شهادة ما يجرى بينكم و بين الاوصياء و يقطع النزاع بينكم (اذا حضر) أى قرب (أحدكم الموت) فأوصى الى أحد أن يشهد (حين الوصية) فيه اشارة الى أن الشهادة على قول الموصى وحده أو الوصى وحده غير تامة (اثنان ذوا) أى صاحبا (عدل) لا عدول الكفار فى اعتقادهم بل (منكم) أيها المسلمون (أو آخران من غيركم) من أهل الذمة

قوله فى تفسير الحام وهى التى الخ كذا فى الاصلين بأيدينا والصواب وهو الفحل ينتج من صلبه عشرة الخ اه مصحح

ما رى به الوادى الخ ما يقال جنبا نه من الغثاء و يقال أجفأت القدر بزبدها اذا ألقت زبدها عنها (قوله جرز) وجرز أرض غليظة يابسة لا نبت فيها و يقال الارض الجرز التى تحرق ما فيها من النبات وتبطله يقال جرزت الارض اذا ذهب نباتها فكأنها قد أكلته كما يقال الرجل جروز اذا كان يأتى على كل ما كول لا يبقى شيأ وسيف جراز يقطع كل شئ وقع

وكان هذا فى أول الاسلام لقلة المسلمين ثم نسخ كتحريم الشهر الحرام وقتال آمين البيت الحرام والصفح عن أهل التحريف ولايم الاحوال كالاول بل يختص بالسفر كما قال (ان أنتم ضربتم) أى سافرتم وامتد سفركم (فى الارض) بحيث بعدتم عن بلاد المسلمين (فأصابتكم مصيبة) أى مرض (الموت) فخفتم على الاموال والودائع والديون فاذا كان الشاهدان من أهل الذمة (تحبسونهما) أى توقفونهما عند المنبر (من بعد الصلوة) التى تعظمونها وهى العصر (فيقسمان بالله) لابشئ آخر يعظمونه (ان ارتبتم) أى شككتم فى شهادتهما لعدم اسلامهما فيقولان فى القسم (لانشترى به) أى بقسمنا (ثمنا) للمشهود عليه (ولو كان ذا قربى) كالاثم بالزور (لانكتم شهادة الله) التى أعلمناها وأمرنا باقامتها (انا اذا) أى اذا شهدنا بالزور أو كتمنا شهادة الله (لمن الآثمين) أى المعدودين من المستقرين فى الاثم (فان عثر) أى اطلع (على أنهما) أى الشاهدين (استحقا) أى استوجبا (اثما) بتزوير أو كتمان (فآخران) أى فيشهد آخران على الاثم (يقومان مقامهما) لكونهما من أهل الذمة وفيه اشارة الى اعتبار شاهد مع يمين المدعى لانه يقوم مقام الشاهد معه وسيصرح به فى آخر الآية يشهدان (من) جهة الورثة (الذين استحق) أى جنى (عليهم) وان قرئ على بناء الفاعل فناعله القسم فتقبل شهادتهما لانهما (الاوليان) اذ لم يظهر استحقاقهما الاثم لكن لكونهما من أهل الذمة (فيقسمان بالله لشهادتنا) من جهة الورثة (أحق من شهادتهما) من جهة الموصى (وما اعتدينا) أى وما تجاوزنا الحق أدنى تجاوز تصير به شهادتنا أحق من شهادة من أفرط فى التجاوز (انا اذا لمن الظالمين) أى من المبطلين حق الموصى بالكلية (ذلك) الاقسام بعد الصلاة المعظمة عندهم وان لم يرفع الريبة الكلية عنهم لعدم اسلامهم لكنه (أدنى) أى أقرب (أن يأتوا بالشهادة على وجهها) الواجب اما لانهم يخافوا من الله أو يخافوا الفضيحة من شهادة الآخرين مع يمينهما (أو يخافوا) الفضيحة من (أن ترد أيمان) على المدعى مع شاهد (بعد أيمانهم) منهم (واتقوا الله) أن يفضحكم أو يعذبكم ان شهدتم لا على وجهها أو تكتموا شهادة الله (واسمعوا) أمره بالتقوى وأداء الشهادة على وجهها ونهيه عن كتمانها والا كنتم فاسقين (والله لايهدى القوم الفاسقين) الى حجة تدفع عنهم الفضيحة أو العقوبة * روى أن تميم بن أوس الدارى وعدى بن بداء وكانا نصرانيين خرجا للتجارة الى الشام ومعهما بديل بن أبى مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب مامعه فى صحيفة وطرحها فى متاعه ولم يخبرهما بها ثم أوصى اليهما أن يدفعا متاعه الى أهله ومات ففتشاه وأخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال فضة منقوشا بالذهب فغيباه فأصاب أهله الصحيفة وطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر عند المنبر وخلا سبيلهما قال تميم فلما أسلمت تأثمت من ذلك فأتيت أهله فأخبرتهم الخبر وأديت اليهم خمسمائة درهم وأخبرتهم أن عند

عليه ويهلكه وكذلك السنة الجرز (قوله عز وجل جثيا) أى على الركب لايستطيعون القيام عاهم فيه واحدهم جاث (قوله عز وجل جذاذا) أى فتاتا ومنه جذاذا قيل للسويق الجذيذ يعنى مستأصلين مهلكين وهو جمع لا واحد له مثل المصادر مصدر ويقال جذ الله دابرهم أى استأصلهم (قوله جدد) أى خطوط وطرائق واحدها جدة

صاحبي مثلها فأتوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم البينة فلم يجدوا فأمرهم أن يستحلفوه بما يعظم به على أهل دينه فحلف فنزلت فقام عمرو بن العاص والمطلب بن أبي رفاعة السهميان فحلفا فنزعت خمسمائة درهم من عدى بشهادة واحد ويمين المدعى ولو هدى الفاسقين اليوم الى ما يدفع تهمتهم فلا يهديهم (يوم يجمع الله الرسل) لالزام الكفرة (فيقول ماذا أجبتم) أى ماذا أجابكم من أرسلتم اليهم (قالوا) لتحيرهم من هيبته (لا علم لنا) وان علمنا ظاهر ما قالوا الا نعلم ما فى قلوبهم لانه غيب وأنت مخصوص باحاطة المغيبات (انك أنت علام الغيوب) ولم يكن تحير الرسل لغضب الله عليهم بل مع تلطفه بهم (اذ قال الله) يوم جمعه للرسل (يا عيسى ابن مريم) ناداه باسم أمه لان النسبة اليها تشعر بالرحمة (اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك) أى قويتك (بروح القدس) أى بجعل روحك طاهرة عن العلائق الظلمانية بحيث يعلم أنه ليس بواسطة البشر فيشهد ببراءتك وبراءة أمك ومن ذلك التأييد تقويت نفسك الناطقة لذلك (تكلم الناس فى المهد وكهلا) أى فى أضعف الاحوال وأقواها بكلام واحد لا تفاوت فيه وقد تكلمت ببراءة أمك (و) اذكر نعمتى من ذلك التأييد أيضا (اذ علمتك الكتاب) أى ظاهر العلم الذى يكتب (والحكمة) أى باطنه الذى لا يكتب بل يختص به أهله (و) كلاهما فيك اذ علمتك (التوراة) الشاملة على الظواهر (والانجيل) المطلع على البواطن (و) اذكر ما أثرت بذلك التأييد (اذ تخلق) أى تقدر (من الطين) صورة (كهيئة) أى كصورة (الطير) لا مع النهى عن التصوير بل (باذنى فتنفخ فيها) أى فى تلك الهيئة (فتكون) فتصير (طيرا) لحصول الروح من نفختك فيها (باذنى و) كما أثرت بافاضة الروح أثرت بافاضة الصحة اذ (تبرئ الاكمه والابرص) وهو مع كونه دون الاحياء كان (باذنى) فكون الاحياء باذنى بطريق الاولى ثم أشار الى تأثيره فى اعادة المعدوم فقال (واذ تخرج الموتى) من القبور احياء (باذنى) فهذا مما فعل به من جر المنافع ثم أشار الى ما دفع عنه من المضار فقال (واذ كففت) أى منعت (بنى اسرائيل عنك) أى اليهود حين هموا بقتلك لا لذنبك بل (اذ جئتهم بالبينات) التى توجب انقيادهم لك لتعاليها عن قوى البشر فلا يتوهم فيها السحر (فقال الذين كفروا منهم) أى مضوا على كفرهم من بنى اسرائيل (ان هذا الا سحر مبين) أى ظاهر لا يلتبس بالمعجزات فهذه كلها نعم لازمة ثم أشار الى المتعدية فقال (و) اذكر نعمتى التى عليك بالتكميل (اذ أوحيت) بطريق الالهام (الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى) عن دعوته ليحصل لك رتبة التكميل وثواب رشدهم (قالوا آمنا) وأكدوا ايمانهم بقولهم (واشهد) لتؤديها عند ربك (بأننا مسلمون) أى منقادون لكل ما تدعونا اليه ثم اذكر ما قررنا به ايمانهم واسلامهم من الانعام بالمائدة اليهم مع ما فيها من النعمة الدنيوية (اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم) ذكروه باسمه ونسبوه الى أمه لئلا يتوهم انهم اعتقدوا الهيته أو ولديته ليستقل بانزال المائدة (هل يستطيع) أى يجيب دعوتك (ربك) اذا

(قوله جبلا وجبلا وجبلا وجبلا وجبلا وجبلة) أى خلقا (جزأ) أى نصيبا وقيل اناثا وقيل بنات ويقال أجزأت المرأة اذا ولدت أنثى قال الشاعر

ان أجزأت حرة يوما فلا عجب
قد تجزئ الحرة المذكار أحيانا

وجاء فى التفسير أن مشركى العرب قالوا ان الملائكة بنات الله عز وعلا عما يقول المبطلون علوا كبيرا

دعوته (أن ينزل علينا مائدة من السماء) التى يتوهم فيها أنها ليست محل السكون والفساد (قال اتقوا الله) أن توقفوا ايمانكم على رؤيتها (ان كنتم مؤمنين) به وبرسالتى (قالوا) آمنا لكنا (نريد أن نأكل منها) من غير كلفة تشغلنا عن عبادة الله (وتطمئن قلوبنا) فلا تعتريها شبهة لايؤمن من ورودها ولا مثل هذه الآية (ونعلم أن قد صدقتنا) فيما تعدنا من نعيم الجنة مع أنها سماوية (ونكون عليها) أى على مثلها من موائد الجنة (من الشاهدين) أى فى حكم من شهدها بالبصر لامن سمعها بالخبر (قال عيسى ابن مريم) نسبه الى أمه ليدل على مزيد تذلله (اللهم ربنا) أى يا الله المطلوب لكل مهم الجامع للكمالات الذى ربانا بها (أنزل علينا) بمقتضى تلك الجمعية والتربية (مائدة من السماء) التى فيها ماتعدنا من نعيم الجنة (تكون لنا عيدا) سرورا (لأولنا) الذين يدركونها (وآخرنا) الذين يسمعونها فيتقوون فى دينهم (وآية منك) على كمال قدرتك وصدق وعدك وتصديقك اياى (وارزقنا) النعم الاخروية الموعودة (وأنت خير الرازقين) اذ تعطى المزيد من يشكرك بنعمتك (قال الله انى منزلها عليكم) اجابة لدعوتكم فهى مستدعية لمزيد شكر وايمان (فمن يكفر) بى أو برسولى (بعد) أى بعد انزالها المفيد للعلم الضرورى بى وبرسولى (منكم) أيها المنعمون بها (فانى أعذبه عذابا) أى نوعا منه (لاأعذبه) أى بذلك النوع (أحدا من العالمين) وهو مسخهم خنازير روى أنها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين أيديهم فقام عيسى عليه السلام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية تسيل دسما لافلس فيها ولاشوك وعلى رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ماعدا الكراث واذا خمسة أرغفة على أحدها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون ياروح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكن اخترعه الله بقدرته كلوا ماسألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فلم يأكل منها زمن ولا مريض الاعوفى ولا فقير الا استغنى فلبثت أربعين صباحا تنزل ضحى فاذا نزلت اجتمع الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء ولاتزال منصوبة يؤكل منها حتى اذا فاء الفئ طارت صعدا وكانت تنزل غبا ثم أوحى الله الى عيسى عليه السلام اجعل مائدتى للفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثة وثلاثون رجلا باتوا على فرشهم مع نسائهم فأصبحوا خنازير فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ثم أشار الى أنهم كما هلكوا بالتفريط فى شكر تلك النعمة هلكوا فى أشد منها فى الافراط فى حقه حتى استحق اللوم من جهتهم فقال (واذ قال الله ياعيسى ابن مريم) أشار بتسميته الى نفى الهيته وباضافته الى أمه الى نفى ولديته له (ءأنت) أيها المرسل لدعوة الناس الى التوحيد (قلت للناس) بلغ ذلك (اتخذونى وأمى الهين) لاتابعين لكن (من دون الله) أى غير مشركيهما اليه (قال سبحانك) أى نزهتك تنزيهك الكامل

(ما)

(جنة) ترس وما أشبهه مما يستتر (بجمع الشمس والقمر) جمع بينهما فى ذهاب الضوء

(باب الجيم المكسورة) (قوله عز وجل جبت) كل معبود سوى الله قال أبو عمر وسمعت المبرد يقول الجبت التاء فيه مبدلة من السين وهو الكافر المعاند ويقال الجبت السحر (الجزية) الخراج المجعول على رأس الذمى

(مايكون لى) أى ما يتصور منى بعد اذ بعثتنى لهداية الخلق (أن أقول) فى حق نفسى (ماليس لى بحق) أى ما استقر فى قلوب العقلاء عدم استحقاقى له مما يضلهم (ان كنت قلته فقد علمته) أى قبل أن أقول فكيف أرسلت للهداية من علمته مضلا لانك (تعلم ما فى نفسى) أى حقيقتى (ولا أعلم ما فى نفسك) حتى ما يتعلق بنفسى من علمك بقضاياها (انك أنت علام الغيوب) فتعلم ما غاب عنى من صفات نفسى وضمائرها لكن لو كانت فىّ ما كنت مرسلى فدل ارسالك على أنى (ماقلت لهم الا ما أمرتنى به أن) أقول لهم (اعبدوا الله) لا متقيدا باعتبار ظهوره فى مظهرى بل باعتبار كونه (ربى وربكم و) لا يتوجه على ما أحدثوا بعدى لانى انما (كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم) بينافى لهم عما أشاهد فيهم مما لا ينبغى (فلما رفعتنى فصرت كأنك (توفيتنى كنت أنت الرقيب) أى الناظر (عليهم و) كذا قبل ذلك اذ (أنت على كل شئ شهيد ان تعذبهم) بما شهدت فيهم من اتخاذهم اياى وأمى الهين (فانهم) وان خرجوا عن خالص عبوديتك بالشرك (عبادك) فلك ان تتصرف فيهم بما شئت ولو لم يفعلوا ذلك أيضا ولا يمنعك من اتخذوه شريكا من ذلك (وان تغفر لهم) فليس من عجزك ولا من سفهك بل من عزتك أن لا تبالى بمعاصيهم ومن حكمتك أن لا تعاقب من توسل اليك بعبادة الغير أو عبدك بمظهرك (ف) فى كل حال (انك أنت العزيز الحكيم) فالعزة والحكمة كما يقتضيان العذاب باعتبار كذلك رفعه باعتبار آخر فلذا لم يعتبر فى التعذيب بل انما اعتبرت العبودية (قال الله) الغفران وان لم يبطل عزتى ولا حكمتى لكن سبق وعدى بأنه (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) فلو عملت بالكاذبين مثله لم يظهر نفع صدقهم وذلك النفع أنه يكون (لهم جنات) من غرس صدقهم (تجرى من تحتها الانهار) كما يجرى لهم من صدقهم أنهار المعارف والاعمال الصالحة ولا يختص لهم ذلك بيوم دون يوم بل يكونون (خالدين فيها أبدا) لانهم (رضى الله عنهم) لصدقهم (ورضوا عنه) تحقيقا لصدقهم فلم يسخطوا لقضائه فى الدنيا وكيف يسقط التعذيب عن غيرهم وهو موجب لدخول تلك الجنات مع ان (ذلك الفوز العظيم) الذى لا يناله أهل التكذيب سيما اذا كانوا سعاة بالفساد بل مقتضى قواعد الملك الانتقام منهم والانعام على أهل الصدق (لله ملك السموات والارض وما فيهن و) لا يبعد منه ادامتهما على أهل الرضا الكلى والسخط الكلى اذ (هو على كل شئ قدير) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الانعام)

سميت بها لان أكثر أحكامها وجهالات المشركين فيها وفى التقرب بها الى اصنامهم مذكورة فيها وقد اشتملت على أكثر جهالاتهم ويتم ظهورها بها (بسم الله) الجامع للكمالات المستوجبة للمحامد من الذاتية والوصفية والفعلية (الرحمن) بايجاد السموات والارض

وسميت جزية لانها قضية منهم لما عليهم ومنه قوله جل وعز لا تجزى نفس عن نفس شيأ أى لا تقضى (قوله عز وجل ولا تغنى) أى حائط وجه جدار) (قوله عز وجل جبلة) أى خلق (جبلة الاولين) (قوله تعالى جذوة) وجذوة وجذوة من النار قطعة غليظة من الحطب فيها نار لا لهب لها (قوله عز وجل جنان)

انها ليست دار الجزاء ليكون عبرة لمن بعدهم اذ (أنشأنا من بعدهم قرنا) خلقنا فيه اناسا (آخرين) فلا تناسخ فيه يمنع من المبالاة بالاهلاك للعود عن قرب (و) لكن أساء هؤلاء المنشؤن من بعدهم الاعتبار بحيث (لو نزلنا) من مقام عظمتنا على سبيل التفخيم الذى هو أتم فى الاعجاز (عليك) أيها الخير فى نفسه الداعى الى الخيرات فى العموم (كتابا) عظيم الشأن فى الالفاظ والمعانى (فى قرطاس) رأوا نزوله من السماء (فلمسوه بأيديهم) التى هى أعدل الاعضاء اللامسة مع انه لا دخل للسحر فى هذه القوة (لقال الذين كفروا) أى مضوا على كفرهم بانكار امكان الارسال والمعجزات (ان) أى ليس (هذا) المعظم بهذه الوجوه الدالة على انه لا يكون الا من الله (الا سحر مبين) لنفسه لا يحتاج الى بيان (وقالوا) لما كانت المعجزة من المحالات الصريحة فلا دليل على النبوة سوى شهادة الملك (لولا أنزل عليه ملك) يشهد بصدقه (ولو أنزلنا ملكا) فلو أنزلناه بصورته الملكوتية (لقضى الامر) أى انقطع أمر التكليف اذ لا ينفع الايمان بعد انكشاف عالم الملكوت (ثم) ان لم يقصر (لا ينظرون) اى لا يمهلون اذ الامهال للنظر فان المعجزة وان أفادت علما ضروريا لا تخلو عن خفاء يحتاج الى أدنى نظر ولا خفاء مع انكشاف عالم الملكوت فلا وجه للامهال للنظر ولم يقبل الايمان معه فلا بد من المؤاخذة عقيبه (ولو جعلناه ملكا) بحيث يراه أهل عالم الشهادة (لجعلناه رجلا) أى على صورته ليدركه أهل عالم الشهادة (و) لو جعلناه رجلا (للبسنا عليهم) من استحالة ارساله شاهدا مثل (ما يلبسون) على أنفسهم ومقلديهم من استحالة ارسال البشر ولم يمكن شئ من الامرين فلا وجه لانزاله أيضا لانهم لما رأوا المعجزات من المحالات وانزال الملك غايته انه من المعجزات كان طلبهم ذلك استهزاء فهم يستحقون بذلك الاستهزاء من الله (و) قد فعل الله ذلك بمن قبلهم لانه (لقد استهزئ برسل من قبلك فحاق) أى أحاط من الجوانب (بالذين سخروا منهم) لا بالرسل (ما) أى الاستهزاء الذى (كانوا به يستهزؤن) اذ اهلكوا فى الدنيا على أقبح الوجوه ثم ردوا الى أفظع العذاب أبد الآبدين وجعل لرسل فى أعلى منازل القرب من رب العالمين فان أنكروا انه حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن (قل) ان لم تصدقوه بما تواتر ولم تكتفوا باعتباراتهم فى مكان لعدم دلالته على استمرار هذه السنة ولو أحضرتم الكل فى مكانكم لنسبتموه الى السحر فالآن (سيروا) سيرا ممتدا (فى) أطراف (الارض ثم) بعد تحملكم مشاق السير المذهبة رعونة النفس (انظروا) فى آثارهم الدالة على انه حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن لتعلموا (كيف كان عاقبة المكذبين) الذين تضمن تكذيبهم الاستهزاء وكان عاقبتهم استهزاء الله بهم فان زعموا انه لا دلالة فيها على انها كانت لتكذيبهم اذ ليست معصية يعاقب بها صاحبها بمثل تلك العقوبة (قل) أى معصية أعظم من التكذيب والقول بانكار الرسالة والمعجزة وفيه تعجيز لله عن اقامة الدليل على صدق من أرسلهم وانكار رحمته وعدله وحكمته فان أنكروا قدرته على المعجزة سلهم (لمن ما فى السموات والارض) فان قالوا هو لله لكن المعجزة ليست من فعله حتى تدل

على

(أجهدها اذا قصدته ثم سمى السفر الى البيت حاجا دون ما سواه والحج والحج لغتان ويقال الحج المصدر والحج الاسم وقوله عز وجل يوم الحج الاكبر أى يوم النحر ويقال يوم عرفة وكانوا يسمون العمرة الحج الاصغر (قوله تعالى حصورا) على ثلاثة أوجه الذى لا يأتى النساء والذى لا يولد له والذى لا يخرج مع الندماء شيئا (قوله عز وجل الحواريون) هم صفوة الانبياء عليهم السلام الذين خلصوا

على تصديقه (قل لله) هى أيضا لانها ماعين فعله أوفعل من أعطاه القدرة عليه لكنه لايعطى أحدا قدرة تفضى الى عجزه عن شئ سيما تصديق الرسل الذين تقتضى الحكمة ارسالهم لانه من الرحمة وقد (كتب) ربكم (على نفسه الرحمة) وكمالها فى الجزاء اذبدونه تضيع مشاق المعارف الالهية والاعمال الصالحة وتضيع المظالم ولاجزاء فى دار الدنيا لانه فرع التكليف ودار التكليف لاتكون دار الجزاء لان مشاهدته مانعة من التكليف فلذلك حلف (ليجمعنكم) فى القبور (الى يوم القيامة) واذا حلف فهو (لاريب فيه) ولايعرف الابارسال الرسول فلا يكون تكذيبه الابسبب خسران ماوعد على معارفه وأعماله الصالحة على ألسنتهم (الذين خسروا أنفسهم) ففوتوا عليها ماوعده الله وألزموها قهره وغضبه الذين ظهرت آثار ذلك على بعضهم فى الدنيا (فهم لايؤمنون) وكيف يرتاب فى يوم الجزاء والدنيا ان صلحت له فانما تصلح جزاء لمن يتلذذ بغيرالله (و) أما من كان تلذذه بالله لالذاته بل (له) وهو (ماسكن) اليه (فى الليل والنهار) أى حال السكر والصحو فلابد له من جزاء غير لذات الدنيا ولايكفى تلذذه بالله فى الدنيا لانه ممزوج بألم شوقه (وهو السميع) لانينه (العليم) بحنينه فلا يتمحض تلذذه الابرؤيته ومكالمته ولايتم الايوم القيامة ولايبعد اعطاؤه الجزاء على الاعمال الغير المنحصرة لغير المنحصرين لانحصار الكل له لانه من جملة ماسكن أى دخل فى الليل والنهار الحاصرين وهو السميع لنيات العاملين العليم بأعمالهم ومقاديرها ولايبعد احياؤه للجمادات من ابدان الاموات لانها وان كانت دون الحيوان والنبات الساكنين بالليل المتحركين بالنهار لكن الكل من مظاهره حتى ان له ماسكن فى الليل والنهار من الجمادات فكما قبل ظهوره فله قبول ظهور حياته وظهور سمعه لسماع خطابه وظهور علمه لادراك اعماله وجزائها فلا ينبغى ان يرتاب فى يوم الجزاء لهذين الامرين ثم انه كما لايكفى نعم الدنيا الجزاء من سكن الى الله فلا يلتذ بغيره لايكفى آفاتها الجزاء من أشرك به وان كان مرغوبا للجمهور حتى لاموا بتركه الانبياء لما فيه من ترك متابعة الآباء (قل) بطريق الانكار على نفسك امحاضا للنصح (أغير الله) الذى له الكمالات بالذات (أتخذ وليا) مع انه لاكمال له فى ذاته أغير (فاطر) أى مخترع (السموات والارض) من غير مثال سابق فكمالاتهما منه وقد اشتمل على آيات ومنافع كثيرة أنعم بها على الخلائق على ان الولى انما يتخذ لانعامه أو الحاجة اليه (وهو) كاف فيهما لانه (يطعم) ويحصل مقدماته وما يترتب عليه (و) لاحاجة له ولا انعام عليه ولايطلب العوض لانه (لايطعم) فيجب اتخاذه وليا بل معبودا شكرا على انعامه وكفايته الحوائج بلاعوض وكيف لايعاقب على ذلك وفيه مخالفة أمره (قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم) لاصير متبوعا للباقين فهم مأمورون بالاسلام ومخالفة نهيه اذ قد نهيت عن الشرك صريحا بعد النهى فى ضمن الامر وأكد ذلك تأكيدا فقيل (ولاتكونن من المشركين) ونهى المتبوع نهى التابعين والامر والنهى من الحكيم القدير سيما للمتبوع لايكون للعبث فأقل مافيه الخوف حتى للمتبوع (قل انى أخاف ان

وأخلصوا فى التصديق بهم ونصرتهم وقيل انهم كانوا قصارين فسموا الحواريين لتبييضهم الثياب ثم صار هذا الاسم مستعملا فيمن أشبههم من المصدقين وقيل كانوا ملوكا وقيل كانوا صيادين والله أعلم (قال أبوعمرو فيه ثلاث لغات صفوة وصفوة وصفوة والكسر أجودهن) (قوله تعالى حسرة) عهد (حسرة) ندامة واغتمام على مافات ولا يمكن ارتجاعه (قوله تعالى كافينا الله حسبنا الله)

عصيت) بمخالفة أمر أو نهي ولو فيما دون الشرك (ربي) الذي رباني فبلغني رتبة المتبوعية
فان عصيانه أخوف (عذاب يوم عظيم) تظهر فيه عظمة القهر الالهي وان كفي فيما دون الشرك
الآفات الدنيوية لكنه لا اختصاصه بالتعذيب يخاف عذابه لانه موضوع له بل صار
لعمومه بحيث (من يصرف) العذاب (عنه يومئذ فقد رحمه) بعظم عنايته كيف (وذلك
الفوز المبين) الذي يفوق الفوز بدخول الجنة اذ فوتها أهون من مقاساته فاذا اعظم فوز
النجاة يومئذ من عذاب بما دون الشرك فما حال عذاب الشرك كيف ولا يرفعه عمل ولا شفاعة
بل الآفات الدنيوية لا ترتفع بمعالجة ولا قوة ولي الا باذن الله (و) ذلك لانه (ان يمسسك الله
بضر) ولو دنيويا (فلا كاشف له) من دواء ولا موالاة ذي قوة بل لا يكشفه اذا كشفه
عقيب الدواء والرقى والبخورات (الا هو) اذ ليس لغيره قدرة بمعارضه ولذلك كثيرا ما لا
يفعله ويفعل عقيب دعوائه أكثر مما يفعل عقيبها (وان يمسسك بخير فهو على كل شئ
قدير) فيقدر على اتمامه وان أراد الغير قطعه وأكثر ما يتمه بالشكر فان أبى فلتعويضه
بأجل منه وأكثر ما يقطعه بالكفر فان أتم فلاستدراج (و) لو فرض لغيره قدرة مستقلة
فليس له معارضة الله تعالى اذ (هو القاهر فوق عباده) فان شاء أمضى تأثيرهم وان شاء
قطع (و) ليس على سبيل التحكم بل (هو الحكيم) فلا يمضي الا حيث لا يضر بالآخرة الا في
حق المستدرج (الخبير) بمن يحتاج الى الواسطة ومن لا يحتاج اليها فمن استغنى بالله أغناه
ومن توسل بوسايط الخير انتفع بها والا أضر بآخرته وكانهم اذا سمعوا بذلك قالوا لا نعرف
هذا العذاب الا عن قولك ولا نثبت الا بشاهد عظيم (قل أي شئ أكبر شهادة) بحيث
لا يمكن معارضته بما يساويه فان سووا بين شهادة الله وغيره (قل الله) أكبر شهادة اذ لا احتمال
للكذب في قوله أصلا وهو (شهيد) أي مبالغ في الشهادة على نبوتي بحيث يقطع النزاع
(بيني وبينكم) اذ شهد بالقول في الكتب التي أنزلها على الاولين وبالفعل فيما ظهر على
يدي من المعجزات (و) أعظم المعجزة القولية التي لا مجال لتوهم السحر فيها اذ (أوحي الي
هذا القرآن) الجامع للعلوم التي يحتاج اليها في المعارف والشرائع في الفاظ يسيرة في أقصى
مراتب الحسن والبلاغة (لانذركم به) يا من بلغوا الغاية القصوى في باب البلاغة (ومن
بلغ) من عقلاء العالمين وفضلائهم اذ يعرفون اعجازه فيقع في قلوبهم صدقه ولما أقام
الشهادة على نبوته طلب منهم الشهادة على شركهم وأشار الى انه لا شاهد له من الدلائل
العقلية والنقلية والكشفية للرسل والاولياء وانما هو أقوالهم فقال (أئنكم) من
غير أصل (لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل) انه وان كثرت الشهداء منكم عليه
حتى تواتر (لا أشهد) لان التواتر انما يفيد العلم حيث كان عن مشاهدة ولا مشاهدة ههنا
ولا دليل بل أشهد على توحيده (قل انما هو اله واحد) لا يشارك في الهيته ولا في صفات
كماله (وانني بريء مما تشركون) من عبادتكم لها واعتقادكم استحقاقها لها وكأنهم
اعترضوا على شهادة الله في كتب الاولين بانكار جمهور أهل الكتاب اياه فأجيبوا بأنه انكار

(قوله تعالى حبطت أعمالهم) أي بطلت (حظ) نصيب (حريق) نار تلهب (قوله عز وجل حلائل) جمع حليلة الرجل أي امرأته وانما قيل لامرأة الرجل حليلته وللرجل حليلها لانه يحل معها وتحل معه ويقال حليلة بمعنى محلة لانه تحل له ويحل لها (قال أبو عمر ومنه قول عنترة وحليل غانية تركت مجدلا) (قوله عز وجل حسيبا) فيه أربعة أقوال كافيا وعالما ومقتدرا ومحاسبا (قوله عز وجل حاق بهم) أي

لما عرفوه كما اعترف به من آمن منهم لاغراض كانت لهم وقد ظهرت ولا يبعد منهم لذلك ستر ما لم يظهر فى العموم ولا تصريفه فقيل (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) لانه ذكر فيه نعته وهو وان لم يفد تعينه باللون والشكل والزمان والمكان تعين بقرائن المعجزات فبقاء الاحتمال البعيد فيه كبقائه فى الولد بأنه يمكن ان يكون غير ما ولدته امرأته أو يكون من الفجور ومع دلالة القرائن على براءتها من التزوير والفجور فهو (كما يعرفون أبناءهم) فى ارتفاع الاحتمال البعيد بالقرائن على براءتها فانكاره خسران لما عرفوه ولما أمروا بالتدين به (الذين خسروا أنفسهم) بتفويت ما أوتوا من الكتاب وما أمروا به (فهم لا يؤمنون) وكيف لا يخسرون وهم ظالمون وكل ظالم خاسر وانما قلنا انهم ظالمون لانهم يحرفون كتاب الله لفظا أو معنى فيفترون على الله الكذب ويكذبون آيات الله من كتابهم ومعجزات محمد صلى الله عليه وسلم وكتابه وقد يسترون بعض ما فى كتابهم وهو أيضا تكذيب فعلوا جميع ذلك لانه لا يتأتى لهم ترك الايمان لمحمد صلى الله عليه وسلم بدون أحد هذه الامور (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته) لانهم بالتحريف يدعون الهية أنفسهم وبالتكذيب يريدون تعجيز الله عن تصديقه الرسل وينسبون ايجادها الى غير الله مع افتقارها الى القدرة الكاملة وانما قلنا كل ظالم خاسر لان كل ظالم لا يفلح (انه لا يفلح الظالمون) أى لا يفلحون فى الدنيا بانقطاع الحجة عنهم وظهور المسلمين عليهم وفيه اشارة الى أن مدعى الرسالة لو كان كاذبا كان مفتريا على الله فلا يكون مفلحا فلا يكون سببا لصلاح العالم ولا محلا لظهور المعجزات ولما ذكر جواب الاعتراض على شهادة الله بنسبة ظلم الافتراء على الله وتكذيب آياته اليه أشار الى جواب اعتراض الله على شهادة المشركين ان مع الله آلهة أخرى بالكذب على أنفسهم بانكار شهادتهم وهو أيضا ظلم على ظلم بالافتراء على الله بالشرك وقد شاركهم الاولون فى الشرك أيضا فقال (ويوم نحشرهم) أى فكما لا يفلحون فى الدنيا بانقطاع الحجة عنهم وظهور المسلمين عليهم لا يفلحون يوم نحشرهم أى الانس والجن والشياطين والملائكة (جميعا) ليفتضح جميعا من لا يفلح من الظالمين مزيد افتضاح ويظهر المفلحون بكمال العزة (ثم نقول للذين أشركوا) أى مضوا على الشرك بأن ماتوا عليه وهم الشاهدون أن مع الله آلهة أخرى وكذا المفترون على الله بالتحريف والمكذبون بآياته بجعلها للغير (أين شركاؤكم) الذين جعلتموهم شركاءنا وهم شركاؤكم فى العبودية (الذين كنتم تزعمون) من عند أنفسكم بلا دليل عقلى ولا نقلى ولا كشفى قصدتم بذلك فعل الفاتنين فى المملكة بجعلها للغير من هى له فيحيرون (ثم لم تكن فتنتهم) أى جواب ما اعترض به على فتنتهم التى هى شهادتهم أن مع الله آلهة أخرى (الا أن قالوا) معتذرين عنها بنفيها مؤكدا بالقسم بالاسم الجامع مع نسبة الربوبية اليه لا لى ما سواه (والله ربنا ما كنا مشركين) فكان هذا العذر ذنبا آخر مؤكد الافترائهم بالشرك الذى نفوه (انظر كيف كذبوا) مع علام الغيوب بعد كشف

أحاط بهم (قال أبو عمر حاق بهم) أى حق عليهم (قوله عز وجل حميم) أى ما حاد والحميم القريب فى النسبة كقوله عز وجل ولا يسئل حميم حميما أى قريب قريبا والحميم أيضا الخاص يقال دعينا فى الحامة لا فى العامة والحميم أيضا العرق (قال أبو عمر الحميم أيضا الماء البارد وخاصة الابل الجياد يقال له الحميم يقال جاء المصدق فاخذ حميمها أى خيارها وجاء آخر فأخذ شانها أى شرارها وأنشد
وساغ لى الشراب وكنت قبلا

الغطاء عنهم بحضرة من لا ينحصر من المشهود فنادوا به ضرارا (على أنفسهم و) لم يجدوا عنه تفصيالانه (ضل عنهم ما كانوا يفترون) من كونهم شركاء يشفعون لهم عند الله ويقربونهم اليه زلفى وهذا من عدم فلاحهم بافتضاحهم بافترائهم بالشرك الذى اعتذروا عنه بكذب آخر مؤكد له (و) منشأ ذلك عدم فلاحهم فى الدنيا بتدبر ما يسمعون منك من كلام الله المرشد لهم اذ (منهم من يستمع) أى يقصد سماع القرآن ناظرا (اليك) أى الى وجهك الذى يعرف من له أدنى بصيرة انه ليس بوجه كذاب (و) لكن لا يتدبر فيه حتى يطلع على اعجازه ويؤثر فيه الارشاد لانا (جعلنا على) بواطن (قلوبهم أكنة) أى حجبا من التعصب لدين الآباء أو حب الرياسة والمال تمنعهم من (أن يفقهوه) أى يفهموا ببواطن قلوبهم بواطنه التى بها اعجازه وارشاده باقامة الدلائل ورفع الشبه بل التأثير فرع الوصول وطريق وصول المسموعات الآذان (و) قد جعلنا (فى آذانهم) التى هى طريق الوصول الى بواطن القلوب (وقرا) أى ثقلا مانعا من الوصول اليها لمعارضة مطالبهم المذكورة له (و) لا يختص هذا منهم بالقرآن لرؤيتهم قصورا فيه بل (ان يروا) بالأعين (كل آية) بحيث لا يخرج عنها شئ مما يمكن ظهوره على يدى البشر مما يدل على صدق الرسول كانه مشاهد (لا يؤمنوا بها) وحملوها على السحر وقد بالغوا فى انكار المعجزة القولية التى لا يتوهم فيها السحر (حتى اذا جاؤك) يا من سرى نوره الى بواطن من يأتيك فلا يسرى منك نور اليهم لانهم (يجادلونك) فيبطلون استعدادهم لقبول نور منك ولما لم يمكنهم القول بأنه سحر (يقول الذين كفروا) أى ستروا اعجازه من كل وجه حتى من وجه اشتماله على أخبار الغيب (ان هذا الا أساطير الاولين) أى أكاذيبهم التى سطروها (وهم) لرؤيتهم حلاوة نظمه فوق نثرهم وشعرهم مع متانة معانيه يعرفون ان التدبر فيه يفيد التطلع على اعجازه فيخافون تأثيره فى قلوب الخلائق لذلك (ينهون عنه) أى عن قراءته واستماعه لئلا يدعوهم الى التدبر فيه فيفسد عليهم أغراضهم الفاسدة (و) يخافون على أنفسهم ذهاب تلك الاغراض بقوة تأثيره لذلك (ينأون) أى يبعدون (عنه) يريدون اهلاكه (و) لكن لا يحصل لهم هذا المطلوب لان الله متم نوره ومظهر دينه ينعكس عليهم مرادهم فهم (ان) أى ما (يهلكون الا أنفسهم) بابطال نظريتهم وعمليتهم فى الدنيا واستحقاق العذاب الشديد الخالد فى الآخرة بل هم هالكون الآن لتحقق أسبابه فيهم (و) لكنهم (ما يشعرون) لاحتجابهم به لا تتق بدنهم ولو شعروا لكانوا كالواقفين على النار (ولو ترى) أيها الناظر من بعد ما بتلوا به (اذ وقفوا على النار) قبل دخولها لعظم عليك الامر فكيف حالهم بعد دخولها (فقالوا ياليتنا) طلبا لتمنى المحال (نرد) من دار الآخرة مع ما فيها من سعة الرحمة لتضييعهم استعداد تحصيلها الى الدنيا لتحصيل استعدادها بتكميل النظرية والعملية (و) مع ذلك (لا نكذب بآيات ربنا) لئلا يبطل ما حصل من الاستعداد (و) مع ذلك (نكون من المؤمنين) بكل ما يجب

أكاد أغص بالماء الحميم أى البارد) (قوله عز وجل حرث) هو اصلاح الارض والقاء البذر فيها يسمى الزرع الحرث أيضا (قوله عز وجل حشرنا) جمعنا والحشر الجمع بكثرة (قوله عز وجل حيران) أى حائر ويقال حار يحار وتحير يتحير أيضا اذا لم يكن له مخرج من أمر يمضى وعاد الى حاله (قوله عز وجل حمولة وفرشا) الحمولة الابل التى تطيق أن تحمل والفرش الصغار التى لا تطيق الحمل

الايمان به من الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر وان لم يظهر لنا لكل واحد منها آية تظهر على يديه لئلا نصير مكذبين للآيات الظاهرة على يدى من أمر بالايمان بهم وانما يفهمهم الرد الذى يتمنونه لو كان تعذيبهم من خارج وليس كذلك (بل بدا لهم) بالصور القبيحة (ما كانوا يخفون من قبل) من الصفات الذميمة فيتعذبون بتلك الصور أيضا عند الرد فاذا لا يظهر عليهم معه خفة بل أسقط عنهم بالرد من العذاب الخارجى (ولو ردوا) مع اخفاء تلك الصفات فيهم ولا بد منها اذ لا تكليف بدونها (لعادوا) فاعلين (لما نهوا عنه) لغلبة تلك الصفات على عقولهم المانعة عنه (و) لا يمنعهم عن العود وعدهم (انهم لكاذبون) لان تلك الصفات تدعوهم الى الخلف فى الوعد ولا مانع منه (و) كيف لا يعودون وهم يرون مارأوه من البعث والوقوف على النار من أضغاث أحلام النائم وقعت فى أثناء الحياة الواحدة لذلك (قالوا ان هى) أى ليست الحياة التى يتوهم فيها البعث والتى يتوهم فيها الرد (الا حياتنا الدنيا) الاولى (و) ان متنا ورددنا بطريق التناسخ (ما نحن بمبعوثين) حتى يكون ذلك الوقوف على النار أمرا حقيقيا وانما رؤى حال تجرد الروح بطريق الرؤيا ثم تعلق بطريق التناسخ (ولو ترى) الذين لو ردوا بعدما وقفوا على النار لقالوا انه رؤيا باطلة (اذ وقفوا على ربهم) فاطلعوا بالاطلاع عليه أنها نار حقيقية بعد البعث الحقيقى (قال) اهم تم كذابهم ورد ما يتوهمون عند الرد (أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا) الكاشف لنا عن حقيقته (قال) لو رددتم عن هذا المقام احتجبتم فكفرتم لما جرب منكم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) ولم يرفع عنهم لقاء الله العذاب وان اختص بأهل الحجاب لانه (قد خسر) النور الذى يمكن به رؤية الله (الذين كذبوا بلقاء الله) فحصلت لهم ظلمة التكذيب ولم يزالوا فى ظلمته (حتى اذا جاءتهم الساعة) الكاشفة عن نور الله (بغتة) قبل ان يألفوا نوره ليمكنهم رؤيته (قالوا) عند عماهم بفجأة النور بعد طول مدة الظلمة (يا حسرتنا على ما فرطنا فيها) أى فى الدنيا اذ لم نكتسب من الاعتقادات والاخلاق والاعمال ما ينير الارواح ويؤنسها بنور الحق ولو أطاقوا النظر لمنعهم حجب المعاصى ولو لم تحجب فانما يراه من يكون قائما (وهم) يكونون راكعين اذ (يحملون أوزارهم) أى أثقال معاصيهم (على ظهورهم) بل ينكسون لها (ألا ساء ما يزرون و) كيف لا يسوء الاوزار وقد ساء جميع ما يعمل لحياة الدنيا مما ليس بوزر ولا عبادة فانه (ما الحيوة الدنيا) أى اعمالها (الا لعب) أى اشتغال بالامور الخسيسة (ولهو) أى هزل (وللدار الآخرة) أى أعمالها (خير) أى أتم لذة فى الدنيا (للذين يتقون) وان شقت على المشتغلين بلعب الدنيا ولهوها واللذات الاخروية المناسبة للذات الدنيا خير لهم أيضا فضلا عن الروحانية (أ) تؤثرون الادنى الفانى على الاعلى الباقى الحاصل فى الحال لاهل الكمال (فلا تعقلون) وانما يؤثرون الدنيا لانهم لا يتلذذون لذة المتقين لانهم لا يستعملون العقول استعمالهم اياها فى أمور الدنيا حتى لا يصدقون الرسول

وقال بعض العلماء الحمولة الابل والخيل والبغال والحمير وكل ما حمل عليه والفرش الغنم كذا قال المفسرون (قوله تعالى الحوايا) أى المباعر ويقال الحوايا ما تحوى من البطن أى ما استدار ويقال الحوايا بنات اللبن وهى مصوبة أى مستديرة واحدتها حاوية وحوية وحاوياء (قوله عز وجل حنيفا) أى [illegible] (حقيق على) أى حق على وواجب على ومن قرأ حقيق

الذى لا يعرف وقوعها بدونه وان حسنها العقل ودل على صدق الرسول وانعدم استعمالهم اياه فى حقه عليه السلام الموجب لتحقق الآخر مع وجوده عندهم كان يحزنه عليه السلام ذلك فقال عز وجل (قد نعلم انه) أى الشأن (ليحزنك الذى يقولون) فيك من أنك كاذب أو ساحر أو شاعر أو مجنون وكان ينبغى ان لا يحزنك تكذيبهم (فانهم لا يكذبونك) فيما تخبر عن أمور الدنيا لعلمهم بصدقك مع انك لم تعط المعجزات الا ليصدقوك فيها (ولكن الظالمين) بتكذيبك فيما أعطيت المعجزات ليصدقوك فيه (بآيات الله يجحدون) فلا بد ان تزيل حزنك باهلاكهم لهذا الظلم العظيم فى حق آياته وليس امهالهم لاهمالهم بل لجريان سنته عز وجل بتحقيق صبر الرسل وشكرهم (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا) بأنواع اخر لم يزل صبرهم (حتى أتاهم نصرنا) فشكروا فاعطوا مع اجر الرسالة أجر الصبر والشكر وكلما طال الصبر كثر الاجر وعظم الشكر وعظم وزر العدو واشتد عقابه (ولا مبدل لكلمات الله) من نصر الرسل واعطائهم أجر تبليغ الرسالة والصبر والشكر وقهر الظلمة والمستهزئين (ولقد جاءك) جميع ذلك (من نبإ المرسلين) لتعلم انه من سنة الله التى لا تتبدل فحزنك كالمنافى له (وان كان) الشأن (كبر) أى ثقل (عليك) لمزيد شفقتك (اعراضهم) فلا ينبغى ان يكبر عليك مع مبالغتك فى تبليغ الرسالة واظهار المعجزات واقامة الحجج ورفع الشبه وان لم يبلغ الى حد الالجاء المانع من التكليف اذ لا يفيد معه الايمان وهم انما يعرضون لعدم ما يلجئهم الى الايمان (فان استطعت أن تبتغى نفقا) أى سربا (فى الارض أو سلما فى السماء فتأتيهم) من تحت الارض أو من فوق السماء (بآية) ليست مما بين السماء والارض فأت بها لكن لم يجعل الله لك هذه الاستطاعة اذ يصير الايمان ضروريا غير نافع وان نفع كان موجبا لاجتماع الناس على الهدى (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) لكنه شاء بمقتضى جلاله وجماله اظهار غاية قهره وغاية لطفه (فلا تكونن من الجاهلين) بما تقتضيه الصفات الالهية بل بما يقتضيه عموم المملكة ثم انه لا وجه لان يكبر عليك اعراضهم لان غايتك الدعاء والداعى (انما يستجيب الذين يسمعون) وانما يسمع الاحياء وهؤلاء وان كانوا أحياء بالحياة الحيوانية أموات بالنسبة الى الانسانية لموت قلوبهم بسموم الاعتقادات الفاسدة والاخلاق الرديئة (والموتى) انما يسمعون حين (يبعثهم الله) باحياء قلوبهم بموت الاعتقادات الفاسدة والاخلاق الرديئة ولا يتصور الا بالموت الطبيعى الذى لا يكون بعده عود الى التكليف الذى فيه الاجابة بل يبقون بعده مدة فى البرزخ (ثم اليه يرجعون) بعدما كانوا عنه معرضين فيه تجيبون حين لا تنفعهم الاستجابة (و) يدل على موت قلوبهم أنهم (قالوا) للآيات التى لا يمكن معارضتها انها ليست من الله اذ لا الجاء فيها (لولا نزل عليه آية) ملجئة ليعلم انها (من ربه قل ان الله) لا ينزل الآية الملجئة لان المقصود من انزالها طلب الايمان النافع ولا ينفع معها وليس ذلك من عجزه بل مع انه (قادر على أن ينزل آية) تلجئهم ولكن لا ينزل ما يبطل

بفائدة

على أن لا أقول على الله الا الحق فمعناه أنا حقيق بأن لا أقول على الله (قوله تعالى حفى عنها) معناه يسألونك عنها كأنك حفى بهم ويقال تحفيت بفلان فى المسألة اذا أتيته سؤالا أظهرت فيه العناية والمحبة والبر ومنه انه كان بى حفيا أى بارا معنيا (وقال أبو عمرو) فى صفات المخلوقين يقال فلان معى أى تعب ولا يقال معى من صفات الله عز وجل فقلت ما يكون هذا مثل المكر والعجب فقال هو جائز)

بفائدة الايمان (ولكن أكثرهم لا يعلمون) انها مخلة بفائدة الايمان فيطلبونها ويوقفون عليها الايمان (و) لا ينافى القول بموت فلو بكم ما يرى فيكم من الحياة فانه (ما من دابة) مستقرة (فى الارض) لا ترتفع عنها (ولا طائر) يرتفع عنها اذ (يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم) فى الحيوانية بلا انسانية فمن خلا منكم عن علم وعمل فكالدابة ومن تحلى بهما فكالطائر وانما صورناه بصورة البشرية لانه (ما فرطنا فى الكتاب) أى لوح القضاء (من شئ) ناقص أو كامل من كل نوع وفعلنا تابع له لكنهم مع نقصهم أعطيناهم من العقل ما لو استعملوه لكملوا فلذلك كلفوا (ثم الى ربهم يحشرون) ليسئلوا هل استكملوا بما كلفوا أم لا (والذين كذبوا بآياتنا) فانهم وان شاركوا الحيوانات فى السمع والانسان فى النطق والعقل فهم فى سماع آياتنا (صم و) فى الاعتراف بحقيتها (بكم) ومع وجود نور العقل فيهم (فى الظلمات) لعدم استنارة نظريتهم وعمليتهم بنور الشرع وهذه الامور وان كانت أسباب الهداية فلا تؤثر بل المؤثر المشيئة الالهية (من يشأ الله يضلله) فلا يعارضه أسباب الهداية (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) عند وجود الاسباب لا بها (قل) لبيان الصراط المستقيم ان أصله التوحيد اذ الشرك افراط بلا حاجة والتعطيل تفريط مخل بالحوائج (أرأيتكم) أى أخبرونى ما فائدة الشرك هل هى فى الرخاء الذى لا تبالون فيه بشئ أو فى حال الشدة فبينوا (ان أتاكم) أعظم وجوهها الذى هو (عذاب الله أو) مقدمته اذ (أتتكم الساعة) وانما اعتبر أعظم وجوه الشدة اذ لا حاجة فى الادنى الى الشرك بلا نزاع (أغير الله تدعون ان كنتم صادقين) أى تخصون الغير بالدعوة الى رفع تلك الشدة لمزيد قوته بل لا تدعونه مع الله أيضا (بل اياه تدعون) أى تخصونه بالدعوة وليست دعوتكم تلزمه الاجابة حتى يتوهم فيها الشرك بل هو على اختياره (فيكشف ما تدعون اليه ان شاء و) اذا لم يكشف لا تدعون غيره بل (تنسون ما تشركون و) لما كانت الفائدة العامة فى اتخاذ الاله الالتجاء اليه فى الشدائد (لقد أرسلنا) بهذه الفائدة (الى أمم) مختلفة لاتفاقهم على الاعتراف بها (من قبلك) لتتبعهم أمتك لو أخذوا بها وتعتبر بهم لو لم يأخذوا بها فاخذوا عليها فلم يبالوا الها لكونهم فى الرخاء (فأخذناهم بالبأساء) أى الشدائد الخارجة (والضراء) أى الشدائد الداخلة (لعلهم يتضرعون) الى الله فيجيبون الدعوة بلا كلفة لكنهم لم يبالوا بها لم يستأصلهم وكان حقهم ان يبالوا بالشدائد الخارجة فضلا عن الداخلة (فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا) أى فهل لا تضرعوا حين مجئ بأسنا مؤكد الدلالة المعجزات (ولكن قست قلوبهم) فلم يكن فيها لين يوجب التضرع (و) لولا أنه لم يعودوا الى التوحيد أيضا لانه (زين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) من الشرك فلا يصح عندهم حتى يحملوا مجئ البأس عليه فلما لم يفدهم البأساء التضرع الداعى الى التوحيد رفعه الله عنهم حتى نسوه (فلما نسوا ما ذكروا به) العذاب الاخروى من البأساء التى لم تستأصلهم (فتحنا عليهم أبواب كل شئ) من مطالبهم ورغائبهم استدراجا لهم بأن ذلك البأس

وقيل كأنك حفى عنها كأنك أكثرت سؤالك حتى علمتها يقال أحفى فلان فى المسئلة اذا ألح فيها وتابع والحفى المسؤل باستقصاء (قوله حملت حملا خفيفا) الماء خفيف على المرأة اذا حملت وقوله فمرت به أى فاستمرت أى قعدت به وقامت (قوله عز وجل حرض) وحضض وحث بمعنى (قوله حنيفا) أى مشوى فى خد من الارض بالرضف وهى الحجارة

لو كان على الشرك لم يكن معه هذا الفتح ولم يزل ذلك (حتى اذا فرحوا بما أوتوا) من مطالبهم ورغائبهم مع الشرك فتأكد مزيدتأكدوتزين مزيدتزين (أخذناهم) بالعذاب المستأصل (بغتة) أى فجأة بلا تقديم مذكر اذلم يفدهم فى المرة الاولى (فاذاهم مبلسون) أى قانطون اذلوانقطع صار كالاول فاستقر عليهم وان انتقلوا من نوع منه الى آخر ولما كان عذابهم مستأصلا عم صغارهم وكبارهم (فقطع دابر) أى نسل (القوم الذين ظلموا) وان لم يكن ظالما لانهم لو كبروا لتوارثوا الظلم من آبائهم (والحمد لله) على اهلاك الظالمين واهلاك نسلهم بتبعيتهم (رب العالمين) اذربى الباقين بالعدل من غير تشويش ظالم وهم المقصودون من العالم فكأنما ربى الكل وان زعموا انا نلتجئ اليهم فى بعض الشدائد لنسترقى بأسمائهم ويخبرونا ببعض المغيبات والمعالجات (قل) لادلالة لالتجائكم على الهيتها حتى يصح الشرك وانما اعتبرناه لالزامكم اذتعترفون به والرقى انما تدفع أذيات الشياطين وهى التى تخبر ببعض المغيبات التى شهدتها والمعالجات ولا الهية بذلك بل بعموم القدرة والعلم وليس لها ذلك (أرأيتم) أى اخبرونى (ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم) فاذهبهما بالكلية بحيث لا يكون فيهما مجال للادوية (وختم على قلوبكم) فمنعها العلوم بالكلية بحيث لامجال فيه للادوية أيضا (من اله غير الله يأتيكم به) أى بذلك المأخوذ والشياطين انما تدفع أذياتها أوتعلم الادوية ولاترد ما أذهب الله منها بالكلية (انظر كيف نصرف الآيات) أى نوردها بطرق مختلفة (ثم) أى بعد رؤيتهم تصريفنا الآيات (هم يصدفون) أى يعرضون ويستمرون عليه بتجديد الامثال فلا يتأملون فيها عنادا وحسدا وكبرا وللاعتذار بجهلهم (قل) للمعرضين عنها بعد تصريفنا اياها الاخذ ماذكر (أرأيتكم ان أتاكم) على اعراضكم (عذاب الله) المستأصل لكم (بغتة) أى فجأة من غير تقديم مايشعر به اذلم يفد ماتقدم (أوجهرة) بتقديمه مبالغة فى ازاحة العذر (هل) يظلم فيه أحد أم لا بل لا (يهلك الا القوم الظالمون) بالاعراض عما صرف الله من الآيات وكيف يعم الكل مع انه منذر به على السن الرسل (وما نرسل المرسلين الا مبشرين) لاهل الايمان والاعمال الصالحة (ومنذرين) لاهل الكفر والمعاصى ونصدقهم بالمعجزات فلابد أن يصدقوا فيما بشروا وأنذروا (فمن آمن وأصلح) للاعمال والاخلاق فهم أهل البشارة (فلا خوف عليهم) من ذلك العذاب قبل نزوله (ولاهم يحزنون) عند نزوله (والذين كذبوا بآياتنا) المصرفة فلم يؤمنوا ولم يصلحوا بها الاعمال والاخلاق (يمسهم العذاب) النازل بعد الانذار به لابطريق الاتفاق بل (بما كانوا يفسقون) عن أمر الله فى ترك الايمان ومباشرة الاعمال الطالحة واكتساب الاخلاق الرديئة ولو قيل لو اختص العذاب بالمنذر به لكان المنذرون أصحاب خزائن العذاب ولو لم يكونوا أصحابها فلا أقل من أن يكون لهم اطلاع على الغيب الكلى فان لم يعلموه فلا أقل من أن يكونوا أملاكا ينزلونه على من شاؤا أو يصرفونه عمن شاؤا وأولى الناس بذلك أكملهم (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله) أخص من أشاء بفتح خزانة العذاب عليه (ولا أعلم الغيب) كله وان علمت ان كل كافر معذب أبدا (ولا أقول لكم انى ملك) أنزل العذاب

على

المصباح (قوله تعالى حاش لله) وحاش لله قال المفسرون معناه معاذ الله وقال اللغويون حاشا لله معناه التنزيه والاستثناء واشتقاقه من قولك كنت فى حشى فلان أى فى ناحية فلان ولا أدرى أى الحشى آخذ أى الناحية اخذ قال الشاعر

بقول الذى أمسى الى الحزن أهله
بأى الحشى أمسى الخليط المباين

على من أشاء وأصرفه عمن أشاء (ان أتبع) فيما أقول لكم (الا ما يوحى الى) من الغيب اذ يكشف لى عن الملائكة فيخبرونى وان أنكروا كشف الملائكة عليك (قل هل يستوى الاعمى والبصير) فى المشاهدات الظاهرة فكذا فى مشاهدة الملائكة (أ) تنكرون الفرق بينهما بالنسبة الى الامور الباطنة مع ظهوره فى الظاهرة (فلا تتفكرون) ولكنهم انما يتفكرون لو علموا انهم عماة وأما من اعتقد أنه بصير فلا يمكن ارشاده أبدا ومن علم انه أعمى لا يمكنه أن يهتدى بنفسه بل يحتاج الى الانذار لذلك قال (وأنذر به الذين) يعلمون انهم عماة فهم (يخافون أن يحشروا الى ربهم) قبل أن يسمعوا من بصراء الوحى فاذا سمعوا بذلك تيقنوا به تيقن الاعمى الظاهر بقول من يعتمد عليه من بصراء الظاهر ويخافون أيضا انهم اذا حشروا (ليس لهم من دونه ولى) من الآلهة بخلاف المشرك فانه ينكر الحشر ويزعم انه لو حشر فله ولى يدفع عنه العذاب (ولا شفيع) من الانبياء والاولياء كاهل الكتاب فهذان لا ينفعهما الانذار كما لا ينفع الجازم بعدم الحشر (لعلهم يتقون) الاعتقادات الفاسدة والاعمال الطالحة والاخلاق الرديئة فلا يستمرون على مقتضى عماهم (ولا تطرد) البصراء بقول العماة الذين يزعمون أنهم بصراء وانما البصراء هم (الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) اذ يرونه فى تصريفهما (يريدون وجهه) أى رؤيته لا الفوز بالجنة ولا الهرب من النار والعماة لكونهم أرباب شرف ومال يكرهون مجالستهم لقلة شرفهم ومالهم فقال عز وجل لأشرف الناس (ما عليك من حسابهم من شئ) أى ما يعود عليك من نقصهم فى الشرف والمال من شئ (وما من حسابك عليهم من شئ) أى وما يعود عليهم من كمالك فى الشرف والمال عليهم من شئ فاذا لم يلحقك نقصهم ولم يأخذوا كمالك بسببه عنك فلا وجه لطردهم (فتطردهم) بلا سبب (فتكون من الظالمين) بطرد البصراء بقول العماة ومن غاية عماهم كرهوا مشاركتهم فى المجلس كما كرهوا مشاركتهم فى نفس الايمان وذلك من ابتلاء الله تعالى كما قال (وكذلك) أى وكما فتناهم فى مجالستهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى هو منبع بحار الحياة الابدية المشتملة على جواهر الحكم يتوج بها على كل أحد كذلك (فتنا بعضهم) وهم الشرفاء (ببعض) وهم الاخساء بما مننا عليهم بالايمان (ليقولوا) أى الشرفاء (أهؤلاء) الاخساء (من الله عليهم) بشرف الايمان تخصيصا لهم (من بيننا) طائفة الشرفاء مع ان الشرفاء أولى بكل شرف فلو كان شرفا لانعكس الامر فقال عز وجل انما مننا عليهم بنعمة الايمان لانا علمنا انهم يعرفون قدر هذه النعمة فيشكرونها حق شكرها والشرفاء لا يعرفون قدرها فلا يشكرونها (أليس الله بأعلم بالشاكرين) فيمنعهم النعمة أو يعطيها غيرهم (و) كيف تطرد هؤلاء الخواص وليس لك طرد عوام المؤمنين وان كانوا عصاة بل (اذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا) فانه وان كان فيهم عصاة (فقل سلام عليكم) اكراما لهم على الايمان وأمانا لهم من هتك حرمتهم على المعاصى بل قل لهم (كتب) أى أوجب (ربكم) وان لم يجب عليه شئ (على نفسه الرحمة) لكل مؤمن تاب من المعاصى فقال (أنه) أى الشأن (من عمل

وقولهم حاشى فلانا أى أعزل فلانا من وصف القوم بالحشى فلا أدخله فى جملتهم ويقال حاشا فلان وحاشى فلانا وحاشا فلان ٣ فمن نصب فلانا أضمر فى حاشى مرفوعا والتقدير حاشى فعلهم فلانا ومن خفض فلانا فباضمار اللام لطول صحبتها حاشا وجواب آخر لما خلت حاشى من الصاحب أشبهت

٣ قوله بالهامش وحاشى فلانا كذب عليه بالهامش قال أبو عمرو وسمعت المبرد يقول اذا قال حاشى زيدا فهو بمعنى حاشيت زيدا

منكم) أيها المؤمنون اذ لا توبة للكافر عن المعاصي الفرعية مع بقاء كفره (سوأ بجهالة) أي
غفلة عن الله لا بطريق الجراءة عليه فانه يخاف معه مقته المانع من التوبة أو من قبولها
لكونها غير مستجمعة للشرائط (ثم) أي بعد الغفلة الداعية الى السوء (تاب من بعده) ولو
بمدة مديدة (وأصلح) ما أفسده من حقوق الناس ومن حقوق الله التي لا تسقط بمجرد
الاستغفار (فانه غفور) لذلك السوء (رحيم) بابداله حسنة (و) كما فصلنا هذه الآية بذكر
القيود (كذلك نفصل الآيات) لتستبين سبيل المؤمنين فتجبر منافعه (ولتستبين سبيل
المجرمين) فتجتنب مضاره فان زعموا أنه لا ضرر في سبيلهم (قل) كفى بغاية التذلل لمن لا يخلو
عن ذلة ضررا فان العقل والشرع تطابقا على كونه ضررا أما العقل فظاهر وأما الشرع
فلورود النهي عنه (اني نهيت أن أعبد الذين تدعون) أي تدعونهم آلهة مع اعترافكم بأنهم
(من دون الله) والدون لا يكون الها ولا مستحقا للعبادة لانها لما كانت غاية التذلل اختصت
بمن له غاية العلو فان زعموا أنه لا يخالف العقل لاطباق من مضى من العقلاء عليه والواجب
اتباعهم (قل) انما الواجب اتباع الامر الالهي فان لم يوجد فاتباع العقل وهم قد خالفوا
الامرين لاتباع أهوائهم (لا أتبع أهواءكم) وهو وان اتفقوا على كونه هداية عن
الضلال (قد ضللت اذا) لمخالفة الامر الالهي والعقل جميعا (وما أنا من المهتدين) باعتبار
الدليل الكشفي أيضا لان ظهور الحق ليس باعتبار الهيئة وما سوى ذلك الاعتبار لا يوجب
استحقاق العبادة والعبادة فيها وان رجعت الى الحق فقد تضمنت اعتقاد نقص في الحق لانه
لا يعبده في المظهر ما لم يعتقد كمال ظهوره فيه وجعل ذلك كمال الحق عين اعتقاد النقص فيه
وفيه اشارة الى اني كيف أطرد الذين يدعون ربهم وهم بذلك في غاية الشرف اذ يتقربون به
الى من له غاية العلو للذين يدعون من دون الله وهم في غاية الذلة ومن ذلتهم انهم مع كونهم
عقلاء يتذللون لاهويتهم التي هي دون العقل على أن الشرف انما هو للحسن والضعة للقبح
ولا أقبح من الضلال الذي هو ترجيح الاهواء على العقول وليس من ترجيح الكشوف على
العقول ولا يقابل هذا الشرف والدناءة ما هو من سعة المال والجاه وعدمهما الا انهما عارضيان
خارجيان والاولان ذاتيان وان زعموا ان آباءهم كشفوا بما تبعناهم فيه فرجحوه على
ما عقلوه (قل) ان صح قولكم فالكشف الصحيح ما لا يكذبه العقل وقد كذب كشفهم وكشفي
مصدق به أو بالمعجزات (اني على بينة) لا يمكن التشكيك فيها لكونها (من ربي وكذبتم به)
تقليدا للآباء بلا بينة من العقل ولا من المعجزات ولا يرجعون عنه الى التصديق ما لم يلجؤا
اليه بالعذاب لكنه مؤخر فكأنكم تستعجلونه (ما عندي ما تستعجلون به) اذ لو كان عندي
لكنت أنا الحاكم لكنه (ان الحكم الا لله) وقد حكم بتأخيره لكنه محقق الوقوع لانه
(يقص الحق) فلا بد من تعذيب العاصي واثابة المطيع كيف وفعلهما يقتضي الفصل بينهما
(وهو خير الفاصلين) فان قالوا يجوز أن يفوض اليك الحكم ليصدق قولك وقد قصد تصديقك
(قل) يكفي في تصديقي اظهار المعجزات على يدي والتفويض الى يبطل فائدة التكليف الذي

بعثت

فاضيفت الى
الاسم
ما بعدها (وقوله عز وجل
حصحص الحق) وضح وتبين
(قوله عز وجل حرضا)
الحرض الذي قد أذابه
الحزن والعشق قال الشاعر
اني امرؤ لج بي حزن فأحرضني
حتى بليت وحتى شفني السقم
(قوله عز وجل من حما)
جمع حماة وهو الطين الاسود
المتغير (قوله عز وجل
حفدة) أي خدما وقيل
أختانا وقيل أصهارا وقيل
أعوانا وقيل بني الرجل

بعثت لاجله فانه (لوان عندى ما تستعجلون به) مع حرصى على تصديقكم اياى وقد وقفتموه على ذلك (لقضى الامر) أى لتم أمره قاطعا للنزاع (بينى وبينكم) من غير أن يفيدكم تصديقكم شيأ لوقوعه بعد زمان التكليف واذا أخر فقدير جع البعض الى التصديق قبل معاينته أو يحدث من نسل البعض من يصدق قبلها (و) الظالمون لا يفوتونه بل يزداد عليهم شدته اذ (الله أعلم بالظالمين) وان قالوا لو كوشفت لاطلعت على الغيوب كلها وأخبرت عن وقت العذاب بعينه فقل انما كوشفت بما فتح الله على ولا يطلع على كله الا من عنده مفاتح الغيب (و) لكنه مخصوص بالله اذ سبحانه وتعالى (عنده مفاتح الغيب) أى فى علمه استعدادات حقائق الاشياء التى يفتح الله بها خزائن أسمائه وصفاته فيخرج ما فيها بالقوة من الظهور بصورها أو آثارها الى الفعل وقد اختصت به بحيث (لا يعلمها) على التفصيل التام (الا هو و) لا ينحصر علمه فى ذلك بل (يعلم ما) أخرج من خزائنه فأفاضه على ما (فى البر والبحر) من الاجناس والانواع (و) لا ينحصر علمه فى الكليات والجزئيات التى لا تتغير بل (ما تسقط من ورقة الا يعلمها و) كيف (لا) وقد أوجدها بعد ما قدرها فما من (حبة) يحدث منها النبات والثمار ولو (فى ظلمات) الطبقة السابعة من (الارض ولا رطب) يقبل صورا مختلفة (ولا يابس) يلتزم صورة واحدة (الا فى كتاب) وهو لوح القدر (مبين) لما فى القلم الاعلى الآخذ من العلم الالهى فهو سابق عليها وعلم فى الازل حدوث وما يحدث من أصول زالها وتغيرما يتغير من القوابل فلا يتغير علمه وانما يتغير اضافة المعلوم بالماضى والحال والاستقبال خص منه البعض لذاته وبالبعض الآخر خواصه وبالبعض الآخر العوام لكن لم يطلعهم على تفاصيل الجزئيات بأسرها وان بلغوا من القرب ما بلغوا ولما كان علمه تابعا للمعلومات من الحقائق واستعداداتها كان حكم التابع له تابعا فتأخر العذاب الى يوم القيامة لاقتضاء استعدادهم ذلك (و) ان تحقق من أسبابه الوفاة والبعث بعد اكتساب المعاصى من غير عجز فيه ولا جهل اذ (هو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم) أى كسبتم (بالنهار) قبله (ثم يبعثكم فيه) أى فى النهار بعده لا للجزاء اذ لم يجئ وقته الذى اقتضى استعدادكم وقوعه فيه بل (ليقضى أجل مسمى) أى يتم مقدار حياة كل أحد لاقتضاء استعدادهم تأخيره عنه (ثم اليه مرجعكم) بالموت (ثم) يأتى وقته بمقتضى استعدادكم فحينئذ (ينبئكم بما كنتم تعملون) مبالغة فى عدله (و) فعله وان كان تابعا للاستعداد فليس للاستعداد أو للحقائق التى لها الاستعداد قهر على الله سبحانه وتعالى بل (هو القاهر) لانه (فوق عباده) ولا قهر للدون سيما اذا كان عبدا أو من أحواله فتبعية فعله للاستعداد كتبعية المسبب للسبب (و) لذلك (يرسل عليكم حفظة) وان أمكنه الحفظ بدونهم فلا يزالون يحفظونه (حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا و) ليس توفيتهم بتقصير من الحفظة بل (هم لا يفرطون) كما لا يفرط الرسل (ثم) التوفى ليس ابطالا للحفظ بل رفع درجة اذ (ردوا الى الله) وهو أولى بالحفظ لانه (مولاهم) لكن هذا الحفظ مقيد بعدم ابطال حكمة العدل الذى هو مقتضى صفته (الحق ألا له الحكم)

من نفعه منهم وقيل بنو المرأة من زوجها الاول (قوله عز وجل حاصب) أى ريح عاصف ترمى بالحصباء وهى الحصى الصغار (قوله تعالى حففناهما بنخل) أطفناهما من جوانبهما والحفاف الجانب وجمعه أحفة (قوله تعالى حمئة) مهموز ذات حمأة وحمية وحامية بلا همز أى حارة (قوله تعالى حنانا من لدنا) أى رحمة من عندنا (قال أبو عمر

ولذلك لم يؤخر عذابهم عن وقت اقتضائه استعدادهم بل أسرع حسابهم (وهو أسرع الحاسبين) يحاسب الخلائق فى مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب ولا يحتاج الى فكرة وروية وعقد يد ورقم ولو أنكروا كونه أولى بالحفظ (قل) فلم تخصونه بالالتجاء اليه عند الشدائد (من ينجيكم من ظلمات) أى من شدائد (البر) كخوف العدو والحريق وضلال الطريق (والبحر) كخوف الغرق والعدو والضلال وبسكون الريح فلولا انه المنجى فلم (تدعونه تضرعا) أى تذللا اليه تحقيقا للعبودية (وخفية) تحقيقا للاخلاص وتعدونه الشكر مؤكدا بالقسم اذ تقولون (لئن أنجانا من هذه) الشدة (لنكونن من الشاكرين) باعتقاد انك المخصوص بكل انعام والثناء عليك وصرف الاعضاء الى ما أمرتنا به فان زعموا أنهم وان خصوا الله بالدعوة لكن نفعتهم عبادة من عبدوه من قبل فانهم شفعوا عنده حين دعوه (قل الله) من غير شفاعة أحد ولا عون (ينجيكم منها) أى من تلك الشدة (ومن كل كرب) تتوجهون فيه اليه أو الى غيره اذ لا تتوجهون فيه الى أحد (ثم أنتم) بعد النجاة عنها الموعود فيها بالشكر وعدا وثيقا بالقسم (تشركون) حتى انكم تنسبون النجاة الحاصلة بعد تخصيصه بالدعوة الى شفاعة الشريك فقد جعلتم الشرك مكان الشكر (قل) للمشركين بعد النجاة الموعود فيها بالشكر انما أشركتم لامنكم من الشدائد لكن لا وجه للامان منها لاستمرار منشا الخوف وهو القدرة الالهية على أنواع الشدائد من الجهات كلها اذ (هو القادر على أن يبعث عليكم) سيما اذا أبدلتم وعد الشكر بعد النجاة بالشرك (عذابا) أعظم من تلك الشدة (من فوقكم) كامطار النار أو الحجارة أو اسقاط الكسف (أو من تحت أرجلكم) كالخسف والطوفان (أو) مما بين السماء والارض مثل أن يقوى أعداءكم حتى (يلبسكم) أى يخلطكم (شيعا) أى فرقا مختلفة فى القتال (ويذيق بعضكم بأس) أى شدة (بعض) من قبيلة أو من قبيلة العدو لعدم الشعار (انظر) أيها العاقل (كيف نصرف الآيات) نوردها على وجوه شتى (لعلهم يفقهون) أى فعل من يرجو فهمهم لبعضها الداعى الى رجوعهم للحق (و) لكن لم يفقهوه بل (كذب به قومك) الذين عرفوا صدقك فيما بينهم فلا يتصور منك الكذب على الله مع تصديقه اياك بالمعجزات (و) ليس تكذيبهم لظهور امارات الكذب عليه بل هو ولو لم يكن معه المعجزات لعلم أولوا البصائر انه (هو الحق) لا يتعداه الى غيره فان قالوا لم تظهر حقيته لنا (قل) لهم بعد ظهور حقيته فى نفسه وتأكدها بتصريف الآيات المعجزة وسائر المعجزات لم يبق الا أن يلجئكم الى التصديق به لكنى (لست عليكم بوكيل) ألجئكم الى التصديق به وانما يلجئكم اليه العذاب الموعود عليه لكنه لم يستقر بقلوبكم قبل وقوعه مع كثرة الدلائل عليه ووضوحه فى نفسه لكن (لكل نبأ) أى لكل خبر (مستقر) أى وقت استقرار لصدقه أو كذبه (وسوف تعلمون) أنه لم يستقر بقلوبكم مع كثرة دلائل استقراره بتصريف الآيات الظاهر حقيتها مع اعجازها وتصديق سائر المعجزات لها ومن أسباب عدم استقرار أنباء القرآن بالقلوب مجالسة الخائضين فيه بالطعن (و) لذلك (اذا

رأيت)

من ثعلب عن ابن الاعرابى عن المفضل وحنانا من لدنا أى قال هيبة قال كل من رآها به ووقره (قوله تعالى حصيدا خامدين) معناه والله أعلم انهم حصدوا بالسيف والموت كما يحصد الزرع فلم يبق منهم بقية وقوله تعالى منها قائم وحصيد يعنى القرى التى أهلكت منها قائم أى قد بقيت حيطانه ومنها حصيد قد انمحى أثره

رأيت) أيها المؤمن (الذين يخوضون) بالطعن والاستهزاء (فى آياتنا) المنسوبة الى مقام عظمتنا الحقيقة أن تعظم بما يناسب عظمتنا (فاعرض عنهم) بترك مصاحبتهم ومجالستهم لئلا يقع شئ من مطاعنهم بقلبك ولا يحضره الرد لاحتجابه ببعض الاهوية أو لقصوره على أن حضور المنكر اذا لم يقدر على دفعه مشاركة لصاحبه (حتى يخوضوا فى حديث غيره) أى غير الخوض فى آياتنا (واما ينسينك الشيطان) أى وان ينسينك الشيطان الآمر بالاعراض بأن ينتهز وقت الفترة التى لابد من وقوعها الجالست معهم فلا تؤاخذ به لكن اذا ذكرت (فلا تقعد) أى فلا تدم قعودك (بعد الذكرى) المخرجة لقعودك عن حكم النسيان معهم لظلمهم بالطعن فى الكلام المعجز بما يتوهمون فيه من التناقض أو اللحن أو عدم الارتباط أو الحشو والتكرار مع ان الواجب عليهم عند رؤية عجزهم عن مثله لفظا ومعنى فمن قدر على مثل لفظه كان باعتبار المعنى ركيكا ومن قدر على مثل معانيه الظاهرة كان باعتبار اللفظ ركيكا الرجوع الى علمائه فالقعود معهم قعود (مع القوم الظالمين) الذين من ركن اليهم مستهم النار (وما على الذين يتقون) أى يقدرون على التحفظ من شبهاتهم (من حسابهم) أى من خسرانهم بالخوض (من شئ ولكن) أمروا بالاعراض عنهم ليكون (ذكرى) لضعفاء المسلمين (لعلهم يتقون) يبلغون مبلغ المتوقى من شبهاتهم بالجلوس مع علمائه بدلهم وكيف يصح صحبة الطاعنين ولا تصح صحبة من لا يطعن ولكن اتخذ أعمال الدنيا دينه ولذلك ورد (وذر الذين اتخذوا) أعمال الدنيا (دينهم) فاعتقدوا أنها نهاية السعادة فكان (لعبا ولهوا) لان أعمال الدنيا لا تخرج عنهما فمن صحبهم مال الى طبعهم فلا يتأمل فى آيات الله ولا يلتفت الى أعمالها (و) ذلك لانهم (غرتهم الحيوة الدنيا) فظنوا ان السعادة كلها فى لذاتها فبين غرورها (وذكر به) أى ببيانها من أراد الميل اليها أو الى أهلها بانه سبب (أن تبسل) أى تسلم الى الهلاك (نفس بما كسبت) بهذا الغرور من انكار الآخرة فصارت (ليس لها من دون الله ولى) يقربها منه (ولا شفيع) يدفع عنها العذاب (وان تعدل) أى تفد بما يقابله (كل عدل) أى كل نوع من أنواع الفداء (لا يؤخذ) أى لا يقبل (منها) لبعدهم عن مقام الفداء اذ (أولئك) البعداء عن السعادة الحقيقية لاغترارهم بسعادة الدنيا التى غايتها اللعب واللهو هم (الذين أبسلوا) أى سلموا للهلاك بحيث لا يعارضه شئ (بما كسبوا) بهذا الاغترار من انكار الآخرة معها والانهماك فى الشهوات المحرمة (لهم شراب من حميم) جزاء على الاشربة المحرمة (وعذاب أليم) بما تلذذوا بالشهوات المحرمة لا وحدها بل (بما كانوا يكفرون) بالآخرة معها وان زعموا ان لذات الدنيا والاغترار بها ولو أفضى الى انكار الآخرة انما يضر من لم يتخذ من دون الله وليا ولا شفيعا (قل أندعوا من دون الله) ليكون وليا أو شفيعا ولا يضر معه لذات الدنيا ولا انكار الآخرة (ما لا ينفعنا ولا يضرنا) فى أمر الدنيا (ونرد) فى أمر الآخرة (على أعقابنا بعد اذ هدانا الله) للاقبال اليه فنصير كالمستمر على الضلال بل (كالذى استهوته) أى استمالته عن الطريق الواضح (الشياطين) أى الغيلان يتبعهم ويسير معهم

(قوله عز وجل حدب) أى نشز ونشز من الارض أى ارتفاع (قوله عز وجل حصب جهنم) حطب جهنم كل شئ ألقيته فى النار فقد حصبتها به ويقال حصب جهنم حطب جهنم بالحبشية قوله بالحبشية ان كان أراد أن هذه الكلمة حبشية وعربية بلفظ واحد فهو وجه وان أراد أنها حبشية الاصل

سيرا متندا (فى الارض) حتى يخرج من العمران لايدرى مقصده لكونه (حيران) فكذا من
اتخذ من دونه وليا أو شفيعا يذهب به وليه وشفيعه الى مهالك ضلاله لايدرى مقصده الذى هو
سائر اليه من أمر الآخرة وأشد من ذلك الضلال ما كان مع وجود من يهديه سيما اذا كفر
كالمستهوى المذكور واذا كان (له أصحاب يدعونه الى الهدى) أى الطريق الواضح بقولهم
(ائتنا) وهو لا يسمع لهم فكذلك يدعونا الله وآياته فان زعموا أن ما هم عليه هدى جمهور
العقلاء (قل ان هدى الله) الذى أرسل به رسله (هو الهدى) فان زعموا ان مشايخهم أتوا
بهداهم من الله كالانبياء فقل لهم مشايخكم أمروكم بالشرك (وأمرنا لنسلم لرب العالمين)
فأى الامرين أحق بالنسبة اليه بل غاية أمر مشايخكم انهم أمروكم بالاسلام لله باعتبار بعض
مظاهره والرسل انهم لو اعتبروا المظاهر فلا يخصون مظهرا من مظهر فأى الامرين اتم
(و) أيضا أمرنا (أن أقيموا الصلاة) وهى العبادة الشاملة لانواع التذلل لله بجميع أجزاء
الانسان وليست عندكم فكفى بها فضلا (و) أمرنا ان (اتقوه) ومشايخكم تأمركم بتقوى
الاصنام والشياطين (و) لا وجه لذلك اذ لا حشر اليها بل (هو الذى اليه تحشرون و) كيف
لا يكون اليه الحشر وهو النهاية وقد كان منه البداية اذ (هو الذى خلق السموات والارض)
كيف وفيه ظهور الحق ومن سنة الله ترجيح جانبه فى كل شئ لذلك كان خلقه السموات
والارض (بالحق) وكيف لا يتبقى للحشر اليه (ويوم يقول) للمحشور (كن فيكون قوله
الحق) اذ لا يعتنه للعبث فلابد أن يقول الحق فى شان المحق والمبطل (و) لا يقتصر على القول اذ
(له الملك) فلابد أن يفعل بالمطيع والعاصى فعل الملوك لمن يطيعهم أو يعصيهم وهو وان كان له
دائما فانما يظهر اختصاصه به (يوم ينفخ فى الصور) لان جمع الارواح فيه لا يكون الا للمتفرد
بالملك ولا يفعل بمقتضى الملك على سبيل التحكم بل يراعى العلم اذ هو (عالم الغيب والشهادة
و) ليس ذلك أن يعذب أو يرحم من علم انه يعذبه أو يرحمه على سبيل التحكم اذ (هو الحكيم)
وليس المراد احكام الفعل بل رعاية الخبرة الباطنة اذ هو (الخبير و) اذكر لمن اتخذ دينه لعبا
ولهوا وأنكر الضلال فيه وأنكر كون من كان عليه كالذى استهوته الشياطين وزعم ان
هدى الله ما كان عليه القدماء (اذ قال ابراهيم) الذى يزعمون انهم على دينه ويفتخرون به
(لابيه) منكرا عليه وهم ينكرون انكارك على آبائك ولا ينكرون عليه اللقب (آزر)
ومعناه المعوج أو المخطئ واسمه تارخ (أتتخذ أصناما) أى صورا مصنوعة كصور لعب
الصبيان المسماة بأسماء الملوك والمشايخ فعلتم مثله فى حق الله ثم جعلتموه جدا فاتخذتموها
(آلهة) وليس هذا القول منى بطريق الهزل بل (انى أراك وقومك) وان كان فيهم حذاق
بأمر الدنيا غرقى مستقرين (فى) بحر (ضلال مبين) باعتقاد الهيتها أو اتصافها بصفاته
أو استحقاقها للعبادة لحلول الحق أو ظهوره بالالهية فيها أو لكونها مظاهر كاملة له أو
مخصوصة بمظهريته لان الالهية بوجوب الوجود بالذات وهى ممكنة مصنوعة وانى لها
الاتصاف بصفاته وهى عاجزة عن النفع والضر خالية عن الحياة والسمع والبصر والعبادة غاية

معها العرب فتكلمت
بها فصارت عربية حينئذ
والا فليس فى القرآن غير
العربية ويقرأ حضب
بالضاد معجمة وهو ما هيجت
به النار وأوقدت (قوله
تعالى حسبانا) أى صونها
(قوله تعالى حمل) ما تحمل
الاناث فى بطونها والحمل
ما كان على ظهر أو رأس
(قوله تعالى حدائق
ذات بهجة) بساتين ذات

التذلل فلا يستحقهامن لايخلو عن هذه الوجوه من الذلة وانما يستحقهامن كان في غاية العلو وحلول الحق فيها ان كان حلول المظروف في الظرف فهو من خواص الاجسام وان كان حلول العرض في الجوهر أو حلول الصورة في المادة فهو حلول افتقار ينافي وجوب الوجود ولا ظهور للحق بالالهية التي هي بوجوب الوجود وأين كمال المظهرية مع النقائص المذكورة وأين الاختصاص ولا وجود لشيء بدون ظهوره فيه (و) كما أرينا ابراهيم وجوه الضلال في اتخاذ الاصنام آلهة باعتبار صورها أو أجسامها (كذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض) ليعلم ان شيأ من روحانيات الافلاك والكواكب والمشايخ والشياطين لايصلح للالهية (وليكون من الموقنين) بالتوحيد بالاستدلال بالادلة الكثيرة وبالسماع من تلك الارواح ولما رأى الملكوت وأيقن ان شيأ منها لايصلح للالهية أراد الرد على قومه في اعتقاد الهيتها الحسنتها باعتبار افتقارها في أفعالها الى أجسامها ذات الافول وان كانت علوية وكذا في اعتقاد الهية تلك الاجسام كما رد عليهم في اعتقاد الهية الاصنام فانتظر ظهور الكواكب التي كانوا يعبدونها (فلما جن) أي أظلم (عليه الليل رأى كوكبا) الزهرة أو المشتري (قال) لقومه ارخاء للعنان معهم باظهار موافقته لهم أولا ثم ابطال قولهم بالاستدلال لانه أقرب لرجوع الخصم (هذا ربي فلما أفل) وهو دناءة تنافي الالهية بل تمنع من الميل الى صاحبها فضلا عن اتخاذه الها أو معبودا فضلا عما يفتقر اليه (قال لا أحب الآفلين) ثم انتظر نورا أعلى منه (فلما رأى القمر بازغا) مبتدئا في الطلوع (قال هذا ربي فلما أفل قال) محو دناءته بعظمته عين الضلال اذ لا تكون عظمته مطلقة ولا له لابد وان تكون عظمته مطلقة فلا يصلح للالهية فضلا عن المفتقر اليه (لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين) بجعل العظمة القاصرة مطلقة كاملة فانتظر نورا في غاية العظمة (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي) لم يؤنثه لئلا يعارض عظمته نقص الانوثة ولو غير حقيقية وهي وان كانت في الواقع لم يأت بهم لفظا لانه قصد به المساعدة للخصم أولا (هذا أكبر) والالهية لاتجاوز الاكبر (فلما أفلت قال يا قوم) ليس بأكبر على الاطلاق بل لايمكن جعله شريكا لما هو أكبر بالاطلاق (اني بريء مما تشركون اني) أي بعد ما برئت (وجهت وجهي) أي وجه قلبي وروحي في المحبة والعبادة بل جعلته مسلما (للذي فطر السموات والارض) وأرواحهما ليست فاطرة لهما فانهما لاتفعلان الا بهما (حنيفا) مائلا عن الالتفات اليهما والى أرواحهما وان كان فيهما ما هو من اسباب الحوادث اذ لا أثر للاسباب وانما هو تعالى يفعل عندها لا بها ولا يفتقر اليها بل جرت بذلك سنته (وما أنا من المشركين) بأن الاثر لما ظهر منه فيهما أو في أسبابهما (وحاجه) أي أراد وامغالبته بالحجة (قومه) أي الباقون على العناد فزعموا أن الآثار الارضية منتسبة الى حركات الكواكب وأوضاعها لاختلافها باختلافها فهي المؤثرة فيها وان كانت لامكانها مفتقرة الى الله تعالى (قال أتحاجوني في) توحيد (الله وقد هدان) لاقامة الحجج ورفع الشبه على نفي الهية ما سواه

حسن واحدتها حديقة والحديقة كل بستان عليه حائط وما لم يكن عليه حائط لم يقل حديقة (قوله عز وجل حق عليهم القول) أي وجبت عليهم الحجة فوجب العذاب ومثله حقت كلمة ربك أي وجبت (قوله تعالى الحيوان) الحياة كقوله وان الدار الآخرة لهي الحيوان أي الحياة والحيوان أيضا كل ذي روح (قوله عز وجل

وقد ثبت انها ناقصة فى ذواتها فكمالاتها من غيرها ولا الهية للناقص بالذات لان كماله لا يكون مطلقا (ولا أخاف) الضرر على نفسى من تأثير (ما تشركون به) لان تأثيرهم من كمالاتهم وهى لهم من ربى فلا يؤثرون (الا أن يشاء ربى) أن يجعل لهم (شيأ) من التأثير لكنه لا يشاء فى شأنى لانه (وسع ربى كل شئ علما) فعلم انه لو أوجد التأثير فيهم بما يضرون به من بعثه لتوحيده صار محجوبا (أ) تنكرون هذه الامور مع وضوحها (فلا تتذكرون) فى هذه الامور التى لا يحتاج فيها الى تعمق (وكيف أخاف) عند التوحيد ضرر تأثير (ما أشركتم) أى ما جعلتموه أيها الملحدون من عند أنفسكم شريكا فى غاية الضعف للمالك الذى فى غاية القوة من افراط جهلكم (ولا تخافون) ضرر تأثير الله فيكم من جهة (أنكم أشركتم بالله) المالك القوى (ما) أى مملوكا ضعيفا باستقلال منكم اذ (لم ينزل به عليكم سلطانا) أى حجة مع أنه انما يتصور جعل المملوك شريك المالك بجعله اياه شريكه فان كان لهذا المملوك الضعيف تأثير بالضرر لمن أنكر شركه وللمالك القوى تأثير بالضرر لمن أنكر توحيده (فأى الفريقين) المشرك الآمن من تأثير الله أو الموحد الآمن من تأثير الشركاء (أحق بالأمن) لكن انما تسمعون هذا (ان كنتم تعلمون) مقدار تأثير الله وتأثير الشركاء وانهم لا يؤثرون الا بتأثير الله وانه لا يمكنهم من التأثير فيمن يغار عليهم له ثم أشار الى أن الاحقية انما تعتبر حيث كان للجانب الآخر احتمال مرجوح ولا احتمال ههنا اذ (الذين آمنوا) بالله فعرفوا انه المالك القوى (ولم يلبسوا) أى ولم يخلطوا (ايمانهم بظلم) أى بشرك من اعتقاد تأثير الغير وان كان سببا (أولئك) الكاملون فى رتبة الايمان (لهم الأمن) من جانب الله لاعتنائه بهم ومن جانب الشركاء لحفظه اياهم من تأثيرهم وكيف لا يعتنى بهم (وهم مهتدون) لاعمال واعتقادات توجب الاعتناء بهم وأما المشرك فلا يقدر شريكه على دفع غضب الله عنهم ولا على شفاعته عنده لمن لا يرتضيه (وتلك) أى الدلائل المشار اليها فى قوله أتتخذ أصناما آلهة الى ههنا (حجتنا) التى لا يمكن الاعتراض عليها (آتيناها) بلا واسطة معلم من البشر (ابراهيم) ليغلب وحده (على قومه) الكثيرين ولا يبعد ذلك اذ (نرفع درجات من نشاء) بالحجج فوق رفعها بالسيف لانه انما يؤثر فى ظواهر البعض والحجج فى بواطن الكل وليست مشيئته على سبيل التحكم بل على نهج الحكمة (ان ربك حكيم) يرفع درجة من استعد لرفعها لانه (عليم) بالاستعدادات (ووهبنا له) أى لابراهيم مبالغة فى رفع درجاته (اسحق) من صلبه (ويعقوب) من صلب ابنه ليكمل درجة والده فازداد كمال درجة جده لاختصاصهما بالهداية اذ (كلا هدينا و) لم يلحقه نقص من جهة أبيه اذ (نوحا هدينا من قبل) من اجداده فلم يزل فضله مانعا من لحوق نقص سائر آبائه به (و) لم نزل نرفع درجاته بعد ذلك اذ هدينا (من ذريته داود) الجامع بين النبوة والحكمة والخلافة الكاملة بالتنصيص عليها (وسليمان) وارث كماله المكمل له فهذان من أرباب الشكر (و) هدينا من أرباب الصبر (أيوب) من أربابهما (يوسف وموسى وهرون و) كما جزينا ابراهيم بالمبالغة فى رفع درجاته لاحسانه وهو ترجيحه

جانب

حناجر) جمع حنجرة وحنجور وهما رأس الغلصمة حيث تراه حديدا من خارج الحلق (حرور) ريح حارة تهب بالليل وقد تكون بالنهار والسموم تكون بالنهار وقد تكون بالليل (قوله عز وجل حافين من حول العرش) أى مطيفين بحفافيه أى بجانبيه ومنه حف به الناس أى صاروا فى جوانبه (قوله عز وجل

جانب الحق على ماسواه (كذلك نجزي المحسنين) بالمبالغة في رفع درجاتهم (وزكريا) صاحب العبادات الكثيرة (ويحيى) صاحب العصمة (وعيسى والياس) اللاحقين بأفق الملائكة (كل من الصالحين) من أهل الولاية النبوية (واسمعيل) وعاء الكمال المحمدي ولذلك لم يذكره مع اسحق لانه من وجه في معنى الاب (واليسع) اللاحق به في كونه من الاخيار (ويونس) الذي قال فيه عليه السلام من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب (ولوطا) ذكر في ذريته لكونه ابن أخيه فهو بمنزلة ابنه وهو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي لوطا الحديث الدال على شدة أمره بالهمة بالتأثير على المخالفين (وكلا فضلنا على العالمين) فلحق فضلهم بجدهم ابراهيم بواسطتهم (و) هدينا (من آبائهم) فلحقهم فضلهم فلحق ابراهيم من جهتين (وذرياتهم) فلحقهم فضلهم فلحق ابراهيم بواسطتهم (واخوانهم) فلحقهم لفضل من جهة الحاشية وابراهيم من جهة الذرية بالذات وجهة الحاشية بالواسطة (و) مع ماهديناهم بالحجج (اجتبيناهم) بالنبوة (وهديناهم) بالولاية النبوية (الى صراط مستقيم) في الاعتقادات والاخلاق والاعمال لجعلت لهم هذه الفضائل أيضا ولحقت ابراهيم فازداد ارتفاع درجاته (ذلك) الهدى الذي كان عليه هؤلاء لاهدى رهبان الكفرة (هدى الله) ولا يختص بهم بل (يهدي به من يشاء من عباده) من اتباعهم وكيف يكون هدى الرهبان هدى الله (و) هؤلاء مع عظمتهم (لو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) حال هداهم فكيف يبقى لهم الهدى معه وكيف يحصل اصحابه نعم يحصل له بعض الخوارق استدراجا ولم يكن المذكورون من أهل الاستدراج لظهور كونهم من أهل الهداية اذ (أولئك الذين آتيناهم الكتاب) المؤسس على قواعد الهداية التي يعرف كونها هداية بالنظر الى ذاتها (والحكم) على وفقه اذ لو خالفوه اظهر ضلالهم (و) مع ذلك آتيناهم (النبوة) ليصدق معجزاتها كتابهم وحكمهم ليقتدي بهم الناس (فان يكفر بها) أي بكتابهم وحكمهم ونبوتهم (هؤلاء) فلا يدل ذلك على بطلانها (فقد وكلنا بها قوما) يبينون حقيتها ويرفعون شبهاتهم عن يقين حصل لهم اذ (ليسوا بها بكافرين) فلم يبق عليهم حجاب الكفر الساتر عن حقائقها والمظلم بايقاع الشبهات بل أدى بهم نور الايمان الى الكشف عنها وكيف لا يمكن بيان حقيتها ورفع الشبهات عنها مع ان (أولئك) هم (الذين هدى الله) لاقامة الحجج ورفع الشبه وهم وان نسبوا هدى مشايخهم الى الكشف (فبهداهم اقتده) باعتبار سبق زمانهم لا بهدى قدمائهم اذ لا حجة عليه وهؤلاء لهم مع كشفهم حجج فان زعموا أنهم انما لا يقتدون بهم لانهم يلزمهم الاقتداء بك (قل لا أسألكم عليه أجرا) من مال أو جاه أو مدح ولا يلزمكم فيه دناءة (ان هو الا ذكرى) أي شرف وموعظة (للعالمين و) ان قالوا اذا أمرت باقتداء الانبياء السابقين فليس علينا الاقتداء بك بل عليك الاقتداء بنا قل انما أمرت بالاقتداء بالانبياء في الاعتقادات لا بكل من ينتسب اليهم من الجهال الكفار بهم في الحقيقة بل بالله اذ (ما قدروا الله حق قدره) أي ما عرفوه المقدار الذي يليق به من المعرفة على قدر الطاقة البشرية اذ لا يمكن معرفته الا بما عرف به نفسه

حرث الآخرة) عمل الآخرة والحرث الزرع أيضا (قوله عز وجل حب الحصيد) أراد الحب المحصود وهو مما أضيف الى نفسه لاختلاف اللفظين (قوله عز وجل حبة) أنفة وغضب (قوله عز وجل حبل الوريد) هو الوريد فاضيف الى نفسه لاختلاف لفظيه والوريد عرقان بين الاوداج وبين

وتعريفه انما هو بانزال الكتاب وهم ينكرون انزاله (اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ) اذلا يطيق البشر حمل كلامه قاله مالك بن الصيف حين أغضبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك بالذى أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين وأنت الحبر السمين (قل من أنزل الكتاب) أى التوراة (الذى) تعترفون بحقيته وتدعون الايمان به لكونه (جاء به موسى) صاحب المعجزات القاهرة أطاق تحمله عند ظهوره بصور الحروف والكلمات مع أنه لولم يأت به موسى لم يمكن تكذيبه لكونه (نورا) يكشف الحقائق بالدلائل (وهدى) برفع اللبس والشبهات (للناس) الذين غرز فى فطرتهم التميز ورفع الشبهات لكنهم نسوا ذلك فلنذكرهم (تجعلونه قراطيس) أى دفاتر وكيف تنكرونها وأنتم (تبدونها و) لا يبعد منكم الانكار مع ذلك اذ (تخفون كثيرا) مما دل على نعت محمد صلى الله عليه وسلم (و) لكن لم يتم لكم اخفاؤها اذ (علمتم) من أسرار التوراة على لسان محمد صلى الله عليه وسلم (مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) فكيف تخفون عليه ما هو ظاهر التوراة فان سكتوا خوف التناقض (قل) منزل التوراة على البشر (الله) لتلزمهم التناقض (ثم) ان زعموا انا أردنا ما أنزل الله بعد موسى على بشر من شئ (ذرهم) لانهم (فى خوضهم) أى أباطيلهم (يلعبون) بلا دليل وكيف ينكرون انزال هذا الكتاب بعد موسى (وهذا كتاب) لغاية عظمته أولى أن يقال فيه (أنزلناه) من مقام عظمتنا لانه (مبارك) يشتمل على مالا يتناهى من الفوائد فى ألفاظ يسيرة ولا يمكن لمخلوق أن يأتى بمثله ولا مانع فيه من تكذيبه ما ثبت نزوله اذ هو (مصدق الذى بين يديه) أنزل تكميلا لما فيه (ولتنذر أم القرى) أى أهل مكة الذى يقصدها الناس لان الارض التى خلقوا منها دحيت من تحتها فهم يميلون اليها بالطبع وقد تأكد بالامر الالهى بالحج (و) لذلك كان انذارها انذار (من حولها) من أطراف الارض ولا يضر انكار بعضهم له لانهم لا ينكرونه لنقص فيه بل لعدم ايمانهم بالآخرة اذ يزعمون أنه لن تمسنا النار الا أياما معدودة (والذين يؤمنون) منهم (بالآخرة يؤمنون به و) لايمانهم بها (هم على صلوتهم يحافظون) وغيرهم وان صلوا احيانا فلا يحافظون عليها وهو يدل على أنهم لا يؤمنون بالآخرة وانما يدعون الايمان بكتابهم تحصيلا للجاه والرشا وهو وان كان ظلما فلا يبعد ممن لا يؤمن بالقرآن فانه أظلم لانه اما يهودى يحرف التوراة لفظا أو معنى فيفترى على الله (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) لانه يجعل قوله قول الله (أو) غيره فان ادعى النبوة كذبا كمسيلمة من بنى حنيفة اذ (قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ) فهذا يزيد على الافتراء فى دعوى النبوة (ومن) ينكر اعجاز القرآن حتى (قال سأنزل مثل ما أنزل الله) مع انه قد عرف اعجازه فكأنه ادعى لنفسه قدرة الله فكأنه ادعى الالهية لنفسه ولا يجترئ على هذه الوجوه من الظلم من يؤمن بالآخرة فيعلم ما للظالمين فيها (ولو ترى) أيها الرائى (اذ الظالمون) وان لم يكونوا أظلم (فى غمرات) أى سكرات (الموت) قبل البرزخ والقيامة وما فيهما من النار وسائر وجوه العذاب لتقل عليك الامر فى كيف يكون على صاحبه (والملائكة باسطوا أيديهم)

الوتين تزعم العرب أنهما من الوتين والوتين عرق مستبطن الصلب أبيض غليظ كأنه قصبة متعلق بالقلب يسقى كل عرق فى الانسان ويقال لعلاق القلب من الوتين النياط ويسمى نياطا لتعلقه بالقلب وهى الوريد ووريدا لان الروح ترده (قوله عز وجل حق اليقين) كقولك عين اليقين ومحض اليقين (قوله تعالى حلاقه) وشاق

كالملائكة

كالمتقاضى الملظ وهو شدة مع شدة السكرات وقولهم (أخرجوا أنفسكم) تغليظا وتعنيفا شدة أخرى وغاية شدائده عنده قولهم (اليوم) قبل البرزخ والقيامة (تجزون عذاب الهون) أى المتضمن للمهانة (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) كالتحريف ودعوى النبوة الكاذبة وهو جراءة على الله متضمنة للاستهانة به (وكنتم) فى اعراضكم (عن) رؤية اعجاز (آياته تستكبرون) حتى قال بعضكم سأنزل مثل ما أنزل الله وأقل ذلك أنه يسلب منكم الاستكبار وأسبابه اذ يقال (و) الله (لقد جئتمونا) فلا يبقى لكم استكبار عند وصولكم الى من له الكبرياء المطلقة وحاف على ذلك تنزيلا لهم منزلة المتكبرين لسبق انكارهم كأنهم مستمرون عليه ولم يبق لكم ما يكون لمقربى الملوك عند الوصول اليهم من كثرة الاتباع لكونكم (فرادى) ليس معكم من يتبعكم اذهو مقتضى الاعادة اذ تعودوا (كما خلقناكم أول مرة) فلا يبقى لكم الجاه الذى هو من أسباب الاستكبار (و) لا ما هو منشؤه وهو المال أو الحرفة اذ (تركتم ما خولناكم) أى فضلنا كم به فلم تجعلوه معكم ولا قدمتموه لتجدوه عندنا بل جعلتموه (وراء ظهوركم و) كما لم يبق لكم الجاه ومبدؤه من جهة أنفسكم لم يبق لكم من جهة متبوعكم اذ (ما نرى معكم شفعاءكم الذين) اعتقدتم شفاعتهم على تقدير البعث وطول مدة العذاب وهم الانبياء أو الملائكة أو الاصنام وكيف يكونون شفعاء عندنا وقد (زعمتم انهم) مع دخولهم (فيكم) أيها الحوادث (شركاء) والشرك من أسباب العداوة وهم وان لم يعادونا عادوكم والله (لقد تقطع) الوصل (بينكم و) لو لم يتقطع ما كانوا يشفعون لكم لانه (ضل) أى ضاع فبعد (عنكم ما كنتم تزعمون) من انهم شفعاؤكم على كل ما يصدر منكم من شرك أو انكار لليوم الآخر أو نبوة نبى وكيف أنكرتم اليوم الآخر وقد ظهر من دلائله ما أشار اليه قوله عز وجل (ان الله فالق) أى شاق (الحب) بالنبات (والنوى) بالشجر والنبات والشجر حيان والحب والنوى ميتان فهو (يخرج الحى من الميت) اما من كله كالحب أو جزئه كعجب الذنب الذى هو كنوى التمر (و) بالعكس (مخرج الميت) كالبيض (من الحى) كالطير لم يعطفه على يخرج لانه بيان لفالق ولا يصلح هذا للبيانية فعطفه عليه (ذلكم) الفالق هو (الله) لا الطبيعة ولا الماء والهواء (فأنى) أى فكيف (تؤفكون) أى تصرفون عنه الى الطبيعة وغيرها نفيا للبعث اذ ليس للانسان هذه الطبيعة والا لم يزل ينبت ولا حاجة فى الاحياء الى الشق بل هو اثارة الروح كفلق الاصباح والله تعالى (فالق الاصباح) وتركه مدة معلومة كالسكون بالليل (و) الله تعالى (جعل الليل سكنا و) لا يستبعد ذلك بطول مدة السكون لانه تعالى جعل (الشمس والقمر) سائرين سيرا يحسب (حسبانا) فكذا جعل القيامة حسبانا يعلمه هو ولا يطلع عليه المنجمون وكيف لا يكون كذلك مع ان (ذلك تقدير العزيز) أى الغالب على أمره فلا يفعل ما يفعل بطريق الايجاب وان راعى فيه الحكمة لانه تقدير (العليم) وقد علم الحكمة فى البعث (و) كيف ينكر النبوة التى هى أصل الهداية المخيلة اذ (هو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى) حال (ظلمات) أى ضلالات طرق

الله أى عادى الله وخالفه ويقال المحادة الممانعة (حاجة) فقر ومحنة أيضا (قوله عز وجل حسير) كليل معى (قوله عز وجل حرد) غضب وحقد وحرد قصد وحرد منع من قولك حاردت الناقة اذا لم يكن بها لبن وحاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر (قوله عز وجل الحاقة) يعنى القيامة سميت بذلك لان فيها حواق الامور أى صحائح

(البر والبحر) فكيف لايجعل الانبياء هداة طرق المعاش والمعاد التى الضلال فيها أعظم (قد
فصلنا) أى بينا فصلا (الآيات) على قدرة الله وحكمته واليوم الآخر والنبوة (لقوم
يعلمون) وجه الاستدلال بها وانما خلقت للاستدلال وكيف تكذبون الانبياء اذا أخبروكم
ان الله يعيد كل واحد منكم من بدنه أو جزئه (و) ليس بأبعد من ابتداء خلقكم اذ (هو الذى
أنشأكم من نفس واحدة) ولا يستبعد اختلاف مدة اللبث فى القبر فانه كاختلاف مدة
الحياة الدنيوية (فمستقر ومستودع) أى فمنكم من يستقر مدة مديدة ومنكم من يستقر
فى أقرب مدة كأنه مستودع (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) ذكره لان انشاءهم من نفس
واحدة أمر دقيق يحتاج الى استعمال فطنة ثم قربه بمثال وهو اخراج الانواع المختلفة من
أصل واحد فلا يبعد اخراج اشخاص كثيرة من نوع من نفس واحدة فقال (وهو الذى أنزل
من السماء) التى يكون الفيض بواسطتها دون الفيض بدون واسطة فى الجمعية (ماء) واحدا
بالنوع (فأخرجنا به) لم يقل فأخرج به لئلا يتوهم انه أخرج السماء بواسطة الماء (نبات
كل شئ) أى كل نوع من أنواع النامى فان قيل اختلفت الانواع لاختلاف الاصول قلنا
تلك أصول بعيدة والقريب متحد لانا أنزلنا الماء (فأخرجنا منه) أى من كل شئ (خضرا)
ثم نخرج منه ما يعود الى الاصل أو يتضمنه فان كان حبا (نخرج منه) أى من ذلك الخضر
(حبا) واذا اعتبرنا الاصل البعيد يحصل من الواحد الكثير اذ يصير (متراكبا) أى متراكما
بعضه على بعض مثل سنابل البر والشعير والارز وان كان نوى نجعل خضرة النخل مثلا
(و) يحصل (من النخل) طلع يتضمن النوى واذا اعتبرنا الاصل البعيد يحصل من
الواحد الكثير مما يتضمنه اذ يكون (من طلعها) أى من ثمرها (قنوان) أى عروق (دانية)
أى ملتفة يقرب بعضها من بعض (و) لا يختص هذا بفروع تخالف الاصول بل قد أخرجنا
(جنات من) لحاء (أعناب و) أخرجنا من أغصان الزيتون والرمان (الزيتون والرمان)
شجرهما (مشتبها) لاصولهما (و) ليس ذلك الاصل بعينه لكونه (غير متشابه) أى ملتبس
كيف ولا يتشابه أحوال الشئ الواحد (انظروا الى ثمره) كيف يكون طعمه ولونه (اذا أثمر
و) الى (ينعه) أى نضجه كيف يكون طعمه ولونه حينئذ (ان فى ذلكم) أيها البصراء
(لآيات) على امكان انشائكم من نفوسكم وأبدانكم وعلى البعث بانزال المطر من العرش
ثم انبات الاجساد كالنبات ثم جعلها خضرة بالحياة ثم تصوير الاعمال بصور كثيرة وافادة
أمور زائدة وتقريبها واعطاء أطعمة مشتبهة فى الصورة غير متشابهة فى اللذة جزاء عليها
(لقوم يؤمنون) باختصاص الله بالتأثير دون الاسباب وبانه فاعل مختار قادر على كل شئ
وباليوم الآخر بهذه الدلائل المقنعة المؤيدة بالدلائل القطعية من النقل المتواتر عن الانبياء
عليهم السلام (و) هؤلاء نفوا عموم القدرة لينفوا قدرته على الاعادة وزادوا على اعتبار تأثير
الاسباب والقول بالايجاد اذ (جعلوا لله شركاء الجن) أى جعلوا الجن الذين هم دون
الملائكة والانس شركاء الله حتى عبدوا الاصنام لتعلقها بها (و) قد علموا أنها حادثة اذ

(خلقهم

الامور (قوله عز وجل
الحافرة) الرجوع الى أول
الامر يقال رجع فلان
فى حافرته وعلى حافرته اذا
رجع من حيث جاء وقوله
عز وجل ءانا لمردودون فى
الحافرة أى نعود بعد الموت
احياء (قوله عز وجل
حدائق غلبا) بساتين نخل
غلاظ الاعناق (قوله عز
وجل حمالة الحطب) هى
امرأة أبى لهب كانت
تمشى بالنمائم وحمل الحطب

(خلقهم و) قد جعلوا الله كسائر الخلق بل دون المبدعات اذ جعلوه كالحيوانات والنباتات حتى (خرقوا) أى شقوا اذ انه لم يخرجوا (له بنين و) لم يقتصروا عليهم بل زادوا انقصا حتى أثبتوا له (بنات) ولا شبهة لهم فى ذلك السمع أنه لا يجوز أن يعتقد فيه (بغير علم سبحانه) أى تنزه تنزيهه الذى لا يكون لغيره كيف (و) قد (تعالى) عن الكل فبعد (عما يصفون) من أوصاف الحوادث الخسيسة من المشاركة والتوليد وكيف يكون له ولد وهو من خواص الاجسام القابلة للكون والفساد التى دون الاجسام المبدعة وهو فوق المبدعات اذ هو (بديع) أى مبدع (السموات والارض) ثم ان سلم أنه لا يختص بها (أنى يكون له ولد) ولا يحصل الابن متجانسين (و) لا مجانس له اذ (لم تكن له صاحبة) مع انها لا يصح كونها قديمة لنقصها بالانوثة ولا حادثة اذ لا يجانسه الحوادث (و) ان سلم أنه له صاحبة قديمة مجانسة فكيف يجانسه الولد وهو حادث فهو مخلوق له لامتناع حدوث شئ بدونه فثبت انه (خلق كل شئ) فلو جاز أن يكون أحد المخلوقات ولده لجاز فى الكل (و) ان سلم تخصيصه البعض بالولدية فلا بد أن يتصف بصفاته ومنها عموم العلم لكن (هو بكل شئ عليم) لا غيره فلو اتصف به الولد لكان محيطا بالوالد علما لكن جلاله يأبى أن يصير محاطا لمن دونه ثم أشار الى ان الشرك ونسبة الولد الى الله ينافى الايمان به اذ (ذلكم) البعيد رتبته عن مراتب من يشارك أو ينسب اليه الولادة اذ هو (الله) يجب الايمان به لانه (ربكم) لا رب لكم سواه لانه (لا اله الا هو) فهو الذى خلقكم وخلق النعم التى رباكم بها اذ هو (خالق كل شئ) وانما رباكم بها لتعبدوه (فاعبدوه و) لا عبادة الا بالايمان به وحده اذ لا يستحقها غيره بانعامه عليكم ولو وكالة عنه اذ (هو على كل شئ وكيل) أى متول بحفظه وتدبيره غالب عليه لا أثر لغيره وان كان سببا ولكنه ينسب اليه لانه مدرك بالابصار والله تعالى (لا تدركه) قبل كشف الحجب (الابصار) فلا ينسب اليه الامور ولكن يجب أن ينسب اليه لان الغير لا يدرك دقائق الاشياء والفعل الاختيارى فرع الادراك (وهو يدرك) الدقائق حتى (الابصار و) لا يدل عدم ادراك الابصار اياه على عدمه بل خفائه اذ (هو اللطيف) وللطفه هو المدرك فهو (الخبير) فهو كالروح الذى لا يدركه الابصار وهو يدرك الكل فينسب اليه أفعال الانسان لا الى شئ آخر منه ثم أشار الى أن عدم ادراك الابصار اياه ليس بعذر فى نسبة الافعال الى الغير المدرك بالابصار حتى يجعله مستحقا للعبادة لانه (قد جاءكم) بدل الابصار الظاهرة (بصائر) باطنة هى أقوى من الابصار الظاهرة لكونها (من ربكم) بدليل اعجازها وليست لجر نفع لنفسه أو دفع ضر عنها حتى يتهم فيها بل ذلك فى حق أنفسكم (فمن أبصر فلنفسه) يصل به الى ربه والى ما يشتهيه عنه (ومن عمى فعليها) اذ يحجب عن ربه ويحال بينه وبين ما يشتهيه (و) أى وان بعثت لجر منافعكم ودفع مضاركم (ما أنا عليكم بحفيظ) لهما عليكم بل هو مفوض الى اختياركم (و) كما صرفنا الآيات فى هذا الموضع (كذلك نصرف الآيات) أى نوردها على وجوه كثيرة فى سائر المواضع لتكمل الحجة على المخالفين (وليقولوا) فى ردها ما يشوبها وهو قولهم (درست) اليهود

كناية عن النمائم لانها توقع بين الناس الشر وتشعل نيران العداوة كالحطب الذى تذكى به النار ويقال انها كانت موسرة وكانت لفرط بخلها تحمل الحطب على ظهرها فنعى الله هذا القبيح من فعلها ويقال انها كانت تقطع الشوك فتطرحه فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لتؤذيهم بذلك والحطب معنى به الشوك

فتعلت منهم فهذا وان كان طعنا في رسالته دليل صدقها في نفسها وقد دفع اعجازها طعنهم (و) كيف يكون من دارستهم وقد فصلنا فيه ما أجمل في كتبهم (لنبينه) أى مادرسوه (لقوم يعلمون) مافي كتبهم من الاجمال وما فيه من التفصيل وأنت وان لم تكن حفيظا عليهم وهم وان دام عماهم لاتترك تبليغ الرسالة اليهم بل (اتبع ماأوحي اليك) من تبليغ الرسالة التى هي الآيات المصرفة مبالغة فى الزام الحجة مع افادة البصائر والبيان التام لما أجمل فى كتب الاولين مما يدل على أنها (من ربك) الذى رباك تربية لاتتأتى من غيره لاختصاصها بمن له رتبة الالهية التى لامشارك له فيها اذ (لااله الا هو و) اذا أصروا مع ذلك على الشرك من عماهم فلا تحزن عليهم بل (أعرض عن المشركين) اذ أراد الله بقاءهم على الشرك والعمى مع هذه البصائر لاقتضاء استعدادهم ذلك (و) ان لم يكن موجبا اذ (لو شاء الله) مع هذا الاستعداد (ماأشركوا) ولكن جرت سنته برعاية الاستعدادات (و) هم وان كان لهم الاستعداد للايمان فى فطرتهم وقد أبطلوه فأنت وان كنت داعيا الى اصلاح الاستعداد الفطرى (ماجعلناك) متوليا (عليهم) لتكون (حفيظا) لمصالحهم حتى تكون مصلحا الاستعدادهم الفطرى (وماأنت عليهم) بنفسك (بوكيل) تدبر عليهم امورهم أو تغيرهم من استعدادهم الى آخر بل هو مفوض الى الله تعالى يفعل بهم بمقتضى استعدادهم الطبيعى لهم من غير تغيير له بل هو مفوض الى اختيارهم (و) كيف يكون لك تغيير استعدادهم وغاية مانقدر عليه تقويح اعمالهم لكنهم يزدادون بذلك قبحا لذلك (لاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله) وان علوا ان سبهم لايقابل بسب الله لكنهم لعداوتهم يعدون على الله فيسبونه (عدوا بغير علم) منهم بقبح هذه المقابلة اذ زينت لهم ولا يبعد لانه كما زينا لهم هذا القبيح بمقتضى استعدادهم (كذلك زينا لكل امة) من السراق وقطاع الطريق والزناة وغيرهم (عملهم) وان رأوا مافيها من قطع الاطراف والرجم وليس فى سبهم الله مع انعامه عليهم اهمال لهم بل امهال ليزدادوا اثما مع توالى النعم عليهم (ثم الى ربهم) الذى رباهم بانعامه مع سبهم اياه (مرجعهم) وليس للعبث (فينبئهم بما كانوا يعملون) قولا وفعلا بصرف نعمه الى معاصيه وسب المنعم من أجل من لايتصور منه انعام أصلا (و) كأنهم زعموا ان كفرهم الذى بلغوا منه الى سب الله تعالى ليس من سوء استعدادهم بل لعدم مجىء آية اقترحوها حتى (اقسموا بالله جهد أيمانهم) اى اوثقها الذى بذلوا فى توثيقه طاقتهم (لئن جاءتهم آية) من الآيات المقترحة لهم (ليؤمنن بها قل) انما يصح اقتراح الآيات على لو كانت مفوضة الى آتى بها عن اختيارى لكن لادلالة فيها اذ على تصديق الله لى (انما الآيات عند الله) وانما ينزلها بسؤالى لو علم انكم تؤمنون بها أو اراد تعجيل أخذكم لكن لايعجل أخذ امتى وقد علم انكم لاتؤمنون (ومايشعركم) أيها السامعون (انها اذا جاءت) يؤمنون بها ابرارا لقسمهم وانما يبر من يؤمن وهؤلاء (لايؤمنون) وكيف يؤمنون لرؤية الآية المقترحة (ونقلب افئدتهم) العازمة على

الايمان

في هذا الجواب *(باب الحاء المضمومة)* (قوله عزوجل حدود الله) أى ماحده الله لكم والحد النهاية التى اذا بلغها المحدود له امتنع (قوله عز وجل حوبا كبيرا) أى اثما كبيرا ومعناه اثما عظيما الحوب بالضم الاسم وبالفتح المصدر (حكم) وحكمة مثل ذل وذلة وخبر وخبرة وقل وقلة وعذر وعذرة وبغض

الايمان بتأكيدهم القسم بانه انما تخاف من الجزاء عليه لو ثبت الجزاء (وابصارهم) بان هذه الآية لا تعظم بل هي كالاولى التي لم يؤمنوا بها فلا يؤمنون بها (كما لم يؤمنوا به) أي بمثلها مع وقوعه (اول مرة) لما يتوهم فيها تقرر عادة جديدة خارقة للسابقة (و) لا بد لهم من هذا التوهم لانا (نذرهم في طغيانهم) على الآيات بايراد الشبهات عليها (يعمهون) اى يترددون لها مع جزم عقولهم بعدم وقوعها لتركنا اياهم في طغيانهم يعمهون (و) لو جمعنا عليهم الآيات القاهرة المقترحة المصرحة بالتصديق عليها حتى (لو اننا نزلنا اليهم الملائكة) شهودا على صدقك (وكلمهم الموتى) بذلك وباحوال الآخرة التي لا ينكر اطلاعهم عليها (وحشرنا عليهم كل شيء) من الحيوانات والنباتات والجمادات (قبلا) أي كفلاء بصدقك (ما كانوا ليؤمنوا) بمجموع هذه الآيات القاهرة في حال من الاحوال (الا) في حال (ان يشاء الله) منهم الايمان على خلاف مقتضى استعدادهم وقد جرت سنته بعدم مخالفته (ولكن أكثرهم يجهلون) يتوهمون انها تتعلق بالاشياء بلا اعتبار استعداداتها فيجعلون العبد مجبورا في افعاله فلا وجه لتعذيبه عليها فيجترؤن على الكفر والمعاصي مع انه يجوز ان يكون تعلقها بالتعذيب كذلك والافعال علامته لا سببه وان سمى جزاء تشبيها للعلامة بالسبب وكيف يتوهمون الجبر في كفرهم مع ظهور استعداده من عداوتهم المانعة من الانقياد للآيات القاهرة الداعية الى القاء الشبهات فيها وفي الآيات المقترحة لو أتى بها بالاحالة بابواب السحر أو بتقرر عادة جديدة مع جزم العقل بعدم الاحتمالين في الواقع وان جاز وجودهما بمعنى انه لا يلزم فيه محال وهو أيضا من فعلنا بمقتضى استعداد النبوة فجرت بذلك سنتنا (و) لذلك كما جعلنا هؤلاء من شياطين الانس بالقاء الشبهات ظاهرا وشياطينهم من الجن الملقين اياها باطنا أعداء للشر يدون دفع أمرك بها (كذلك جعلنا لكل نبي عدوا) ليظهر بمجادلتهم حججه وترتفع شبهاتهم ولئلا يقال انه شخص ساعده الكل ليأكلوا أموال الناس أو يتولوا عليهم أو انه ينزل عليه الشياطين فجعلنا (شياطين الانس والجن) اعداءه ولا يمنع ذلك من ظهوره اذ غايتهم انه (يوحي بعضهم الى بعض زخرف) أي مموه (القول غرورا) للضعفاء لان الله تعالى جعلهم أهل الحجاب وكذا القاهرين ليقهرهم بمقتضى استعدادهم (ولو شاء ربك) ان لا يقهرهم مع اقتضاء استعدادهم اياه (ما فعلوه) وان كان مقتضى استعدادهم لانه من علامات القهر فلو لم يرد قهرهم لم يظهر عليهم علامته (فذرهم وما يفترون) على الله تعالى من انه جبر عليهم بالكفر من غير استعداد منهم ليغتروا بذلك ولا يهتموا التفصي عن وجه الغرور (ولتصغى اليه) أي الى مزخرفهم (أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) لما عدته لهم على اهوائهم (وليرضوه) رضا المؤمنين بالآخرة بالدلائل القطعيات اذ تسقط عنهم التكاليف الشاقة (وليقترفوا) أي وليكتسبوا (ما هم مقترفون) من شبهات اخر من ذلك المزخرف ومن الجراءة على الكفر والمعاصي وان انكروا كونه مزخرفا أو طلبوا فيه التحكم

(حوم) وبغضة وقروقرة واحدهم حرام (قوله تعالى حسبان) أي حسابه ويقال هو جمع حساب مثل شهاب وشهبان (وقوله تعالى ويرسل عليها حسبانا من السماء) يعني مرامي واحدها حسبانة (وقوله عزوجل حقبا) أي دهرا ويقال الحقب ثمانون سنة (قوله الحبك) الطرائق التي تكون في السماء من آثار الغيم

الى نقادهم قل (أ) أتحكم الى نقاد كم فيما بين الله لى انه من خرف (فغير الله ابتغى حكما) ايحكم نقياد كم عليه (و) لم يترك لى ولا لكم ريبة فى كلامه اذ (هو الذى انزل اليكم الكتاب مفصلا) فيه الحقائق والاحكام مع دلائلها ورفع الشبه عنها (و) ان شككت فى انزاله مع اعجازه فانظر الى ما شهد الله عز وجل فى كتب الاولين وراجع اهلها اذ (الذين آتيناهم الكتاب يعلمون) من وعد الله فيه بانزاله (انه منزل من ربك) وليس فيه ما يريبهم لكونه ملتبسا (بالحق) فى نفسه فاذا اجتمعت فيه هذه الامور (فلا تكونن من الممترين) حتى تحتاج فيه الى التحكم (و) كيف يكون منزلا من غيره وقد (تمت) فيه (كلمت ربك) التى انزلها فى كتب الاولين بمزيد التفصيل والاستدلال ورفع الشبه (صدقا) فى الاعتقادات والاخبار (وعدلا) فى الاحكام وان نسخ بعض ما فى كتب الاولين لقدر اعى فيه من الاعتدال بحيث (لا مبدل لكلماته) من تلك الجهة ولا من جهة الصدق والاعجاز (و) لو فرض مبدل فى طريق الوصول اليك فلا يترك بحاله اذ (هو السميع) لما يلقيه المبدل (العليم) بما يدفعه من اول الامر فلا يمكنه ثم أشار الى انه لا وجه للتحكم فى كلمات الله التى تمت صدقا وعدلا بحيث لا مبدل لها الا من اغرق فكره فى الامور الارضية وان كثر فقال (وان تطع اكثر من) اغرق فكره (فى الارض) فانهم وان ضلوا لانفسهم واتباعهم الاموال والجاه (يضلوك عن سبيل الله) الذى هو اتباع البراهين القاطعة من العقل المؤيد بالنقل اذ لا يدركونها (ان يتبعون) فى الامور الالهية (الا الظن) فيتخذون الشياطين اذا ظهر شئ من آثارهم آلهة (وان هم) فى باب الاحكام (الا يخرصون) اى يقولون بالتخمين الوهمى بجعلهم علة حل الحيوانات قتل الله اياها ومقتضاها عدم حل ما قتلوه وهو خلاف ما هم عليه ولكن لا شعورهم بذلك ولا يبالى مع قول الله لقولهم كيف يترك قول الجمهور للواحد (ان ربك هو أعلم) من الجمهور فيعلم (من) لا يزال (يضل عن سبيله) وان كثر واقنع اتباعهم (وهو أعلم بالمهتدين) اى المستقرين على الهداية وان قلوا فامر باتباعهم واذا منعتم اقتداء الضالين فلا تعتبروا بتعليلهم الحل بقتل الله حتى تحرموا بمقتضاها ما ذبحتموه واذا امرتم باقتداء المهتدين فاعتبروا بتعليلهم الحل بذكر اسم الله عند الذبح (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) عند ذبحه لرفعه تخبيس الموت اياه المانع من الاكل ولا تحتاجون الى معرفة هذا السر بل يكفيكم اقتداء من عرفتم هدايته بظهور الآيات (ان كنتم بآياته مؤمنين وما لكم) أى أى شئ عرض لكم من قطع أو ظن من تعليلهم الحل بقتل الله فصار دليل (ان لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد) علمتم الغاء الشارع هذه العلة بالنص اذ (فصل لكم) جميع (ما حرم عليكم) فى جميع الاوقات (الا) وقت (ما اضطررتم) أى اضطراركم (اليه) فصار حصرا تاما يوجب الغاء ما لم يدخل فيه وكيف تأخذون باعتبار العامة (وان كثيرا ليضلون) فى التعليل اذ يأخذونه (باهوائهم) من غير ان ينظروا الى وجه كونه علة لانهم يأخذونه (بغير علم) يوجب اعتبار ذلك التعليل اذ لم يبلغوا احده (ان ربك هو

اعلم

قوله طرائق (قوله عز وجل طعاما) فتأتا والطعام ما يطعم من ... هذا هامش: قوله اذا حبكة وحبائك والحبك أيضا الطرائق التى تراها فى الماء القائم اذا ضربته الريح وكذلك حبك الرمل الطرائق التى تراها فيه اذا هبت عليه الريح ويقال شعره حبك اذا كان متكسرا جعودته طرائق (قوله عز وجل طعاما) فتأتا والطعام ما يطعم من

أعلم بالمعتدين) الاعتداء كما يحصل بالقبح الظاهر الذى يستقبحه العامة يحصل بالقبح الباطن الذى لا يعرفه العامة بدون تعريف الشرع (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) كأكل ما مات حتف انفه أو ذبح على النصب (ان الذين يكسبون الاثم) فانه وان لم يظهر لهم قبحه (سيجزون بما كانوا يقترفون) أى يكتسبون من الهيئة الذميمة الموجبة للعذاب ظاهرا او باطنا عند انكشاف الحجاب عنها (ولا تأكلوا) شيئا (مما لم يذكر اسم الله عليه) عند ذبحه تحقيقا ولا تقديرا كالمؤمن المتعمد تركه لقيام ايمانه مقام ذكره على انه ذاكر بقلبه فهو أولى من الناسى الذى لو يذكر لذكر مع غفلة قلبه عن اسم الله بالكلية (وانه) وان لم يظهر اثمه عندكم (لفسق) أى خروج عن الحسن الى القبح بتناول ما تنجس بالموت بلا مانع عن تأثيره (وان الشياطين ليوحون) أى يوسوسون بما يلقون (الى أوليائهم) بان ذكر اسم الله لو كان مبيحا لكفى ذكره عند الاكل (ليجادلوكم) على الغاء تعليل الحل بذكر اسم الله عند الذبح وهى مجادلة باطلة لان المقارن مانع للتأثير بخلاف المتأخر عن التأثير فانه لا يرفعه بعد استقراره (وان اطعتموهم) فى تحليل ما حرم الله أو تحريم ما احل (انكم لمشركون) لهم مع الله فيما يختص به من التحليل والتحريم وليس اطاعة الرسول فى ذلك كاطاعتهم (أ) تزون اطاعة من كوشف عن حكم الله كاطاعة المحجوب (و) تزون (من كان ميتا) بالجهل (فاحييناه) بالعلم من غير تعلم من البشر (وجعلنا له نورا) من الكشف النبوى يكشف عن الاعتقادات الصائبة والاخلاق الفاضلة والاحكام الحكمية بحيث (يمشى به فى) كل (الناس) لا يمكنهم ان يعترضوا عليه (كمن مثله) اى صفته الغرق (فى) بحر (الظلمات) ظلمة الجهل والحجاب والعناد (ليس بخارج منها) بالارشاد وابصار الصراط المستقيم اذ زين له ذلك وزين لأهل الحجاب اتباع مثله ولا عجب اذ (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) من القبائح التى زينها لهم كبراؤهم بالتلبيس عليهم (و) كما جعلنا بمكة كبراء قريش ليمكروا على اتباعهم فى تزيين الباطل وستر الحق (كذلك جعلنا فى كل قرية) ارسلنا اليها الرسل (اكابر مجرميها ليمكروا فيها) على اتباعهم بالتلبيس ليتركوا متابعة الرسل وقصدوا بذلك اضرارهم (وما) يضرون بمكرهم الا أنفسهم وكأنهم ما (يمكرون الا بانفسهم و) هم وان كانوا حذاقا بمكرهم (ما يشعرون) بما يعود الى انفسهم التى هى أقرب اليهم من كل شئ وهو دليل كونهم فى الظلمات غير خارجين منها (و) من مكرهم العائد الى انفسهم مع عدم شعورهم به وان قرب من الاوليات انهم (اذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى) من الوحى والمعجزات المصدقة له (مثل ما أوتى رسل الله) بل نحن أولى منهم لشرفنا فقال عز وجل (الله اعلم حيث) اى بالمكان الذى (يجعل) فيه (رسالته) وهو الشرفاء بالفضائل النفسية بحيث لا يدرك غاية فضائلهم سواه دون شرفاء المال والجاه سيما اذا اتصفوا برذيلة الكبر والمكر بتلبيس احد الشرفين بالآخر (سيصيب الذين أجرموا صغار) بكبرهم (عند الله) الذى نازعوه فى كبره لرد آياته ورسالته واعترضوا عليه فى تخصيصه بالرسالة غيرهم (وعذاب شديد بما

عيدان الزرع اذا يبس (حور عين) جمع حوراء وهى الشديدة بياض العين فى شدة سوادها (قوله تعالى حسوما) تباعا متوالية واشتقاقه من حسم الداء وهو أن يتابع عليه بالمكواة حتى يبرأ ثم جعل مثلا فيما يتابع ويقال حسوما نحوسا أى شؤما (قوله تعالى حنفاء) جمع

كانوا يمكرون) اضرارا بالانبياء فلم يضر سواهم بهذا العذاب الشديد وأما غيرهم (فمن يرد الله أن يهديه يشرح) أي يوسع (صدره) بتصقيله بنور الهداية فيتسع اتساع المرآة لظهور السموات وما دونها (للاسلام) أي لانطباع عقائده فيظهر له أن هذا المكر الذي هو أوهن من بيت العنكبوت (ومن يرد أن يضله) فلا يؤثر فيه مثل هذا المكر مع بقاء قلبه بحاله بل لا بد من تغليب الرين عليه ومن يغلب على صدره (يجعل صدره ضيقا) لا يتسع للاعتقادات الصائبة في الله والامور الاخروية وهو وان اتسع للامور الدنيوية فلا يتسع للاعتقادات الالاهية والامور الاخروية لكونه (حرجا) شديد الضيق بالنظر اليها وذلك لكونها مانعة من الشهوات التي اتسع لها فيثقل عليه تركها (كأنما يصعد) أي يتكلف الصعود (في) جهة (السماء) وطبعه يهبط الى الارض فذلك لوقوع رجس الشهوات عليهم (كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) في الاعتقادات والاخلاق وكيف لا يضيق صدورهم عن هذا الدين (وهذا) الدين (صراط ربك) فلا يكون سهلا مع كونه (مستقيما) لا ميل فيه الى افراط وتفريط في الاعتقادات والاخلاق والاعمال فلا عرض له فتضيق القلوب بسلوكه الا ان ينشرح بنور الله (قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون) ثم أشار الى فائدة سلوك هذا الصراط مع ما فيه من هذا الضيق فقال (لهم) أي لاهل هذا الصراط لا لغيرهم (دار السلام) أي السلامة عن كل دناءة لكونهم في مقام القرب (عند ربهم) بسلوك صراطه الذي سلوا به عن رذيلتي الافراط والتفريط (وهو وليهم) في امرارهم على صراط الآخرة للوصول الى دار السلام (بما كانوا يعملون) اسلوك صراطه في الدنيا ثم أشار الى ضرر رجس الشهوات التي هي أصل المكر فقال (و) نقول (يوم نحشرهم) اي الماكرين والممكورين (جميعا) ليسمع بعضهم كلام البعض وما يخاطب به (يا معشر الجن) خصهم بالنداء لانهم الاصل في المكر (قد استكثرتم) اى استبعتم بالمكر كثيرا (من الانس) الذين أنتم اعداؤهم عداوة ظاهرة (وقال أولياؤهم) أي مطيعوهم (من الانس ربنا) أي يا من ربانا بالشهوات الحاضرة انها أصل المكر انها (استمتع بعضنا ببعض) نصحونا بايثار الشهوات الحاضرة على اللذات الغائبة ويسروا لنا فيها امورا شاقة اعتقدنا بذلك الهيتهم فاستمتع كل واحد بالآخر (و) لم يكن المانع من الاستمتاع حاضرا اذ لم يعاقبنا في الحال بل اجلت لنا أجلا لنتدبر فيه ونتوب فلم نتدبر ولم نتب فلم نزل مكبين حتى (بلغنا اجلنا الذي اجلت لنا) للمعاقبة (قال) اذ ابلغتم أجل المعاقبة بلا توبة (النار) الحائلة بينكم وبين ما تشتهون (مثواكم) أي منزلكم الجامع بينكم ليزداد تألمكم بالاجتماع كما ازداد تنعمكم به (خالدين فيها) كما قدر لكم امانيكم الخلود في الشهوات فلم تنظروا في عواقبها (الا) وقت (ما شاء الله) ان ينقلكم منها الى الزمهرير انتقالكم من شهوة الى اخرى (ان ربك حكيم) يعاقب على كل شهوة بما يناسبها (عليم) بتلك المناسبات (و) لا يختص هذا بالجن والانس بل (كذلك نولي) أي نقرن (بعض الظالمين بعضا)

سواء

حنيف وقد من تفسيره (قوله تعالى حطمة) هي النار سميت بذلك لانها تحطم كل شيء تكسره وتاتى عليه ويقال للرجل الاكول انه لحطمة والحطمة السنة الشديدة أيضا

* (باب الحاء المكسورة) *
(قوله عز وجل حين) أى غاية ووقت وزمان غير

سواء كانا من جنس أو جنسين في النار ليزدادوا عذابا بالمقارنة (بما كانوا يكسبون) من مزيد المعاصي بالمقارنة (يا معشر الجن والانس) كيف اغتررتم بمكر الاستمتاع بعد ما بينه الرسل (ألم يأتكم رسل منكم) تعرفون صدقهم ونصحهم (يقصون عليكم آياتي) الموجبة لموالاتي المانعة من استمتاعكم (وينذرونكم) على ترك موالاتي وعلى استمتاعكم (لقاء يومكم هذا قالوا) قصروا وانذروا (شهدنا) بذلك (على أنفسنا) ولكن صعب علينا تركها لتنجزها وتأخر عاقبتها (وغرتهم الحيوة الدنيا) الحاجبة عن عواقبها حتى أنكروا الآخرة (وشهدوا على انفسهم) بعد شهادة جوارحهم (انهم كانوا كافرين) بها (ذلك) التخاطب لاجل (ان لم يكن ربك مهلك) أهل (القرى) بالتخليد في النار (بظلم) ولو في زعمهم ولذلك لم يعذب قرية (وأهلها غافلون) عن سبب التعذيب لئلا ينسبوا اليه الظلم عند ذلك (و) للاحتراز عن الظلم يكون (لكل) من عامل خير او شر (درجات) من الثواب والعقاب مأخوذة (مما عملوا) لئلا يظلم بنقص الثواب أو زيادة العقاب لاعدا (و) لاسهوا لانه (ما ربك بغافل عما يعملون) ما مقداره ومقدار ما يترتب عليه (وربك) وان كان يعطى الدرجات بحسب الاعمال (الغنى) عن التعذيب فيجوز ان ينقص منه أو يعفو عنه (ذو الرحمة) فيجوز ان يزيد في الثواب ولا ينافى عفوه اقتضاء جلاله التعذيب لانه (ان يشأ يذهبكم) في الآخرة أيضا (ويستخلف من بعدكم ما يشاء) ليعصوا فيعذبهم (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) ذهب بهم ثم بذريتهم لكنه لم يفعل لئلا يخالف وعده (انما توعدون) من العذاب (لآت) مع غنى ربك ورحمته (وما أنتم بمعجزين) لهذه الكلمات لانه يعمل بمقتضى اسمائه كلها فيخص البعض بالتعذيب والبعض بالعفو (قل) للمعتدين على غناه ورحمته حتى تركوا العبادة وعبدوا الاصنام (يا قوم اعملوا) الاعمال الحسيئة من عبادة من هو دونه (على مكانتكم) أى مرتبتكم الشريفة على خلاف مقتضاها (اني عامل) عبادة الله مع غناه لاحتياجي اليها في استكمال مرتبتي من القرب اليه في الدار التي تعقب هذه الدار بنيت لعبدة الله دون غيرهم وأنتم ان لم تعلموها الآن (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) هل يكون للعدل الذي يضع العبادة في موضعها أو للظالم بوضعها في غير موضعها (انه لا يفلح الظالمون و) من ظلمهم المانع من الفلاح ترجيحهم جانب الاصنام على جانب الله بعد تشريكهم اياه فيما اختص بخالقه اذ (جعلوا لله مما ذرأ) أى خلق (من الحرث والانعام نصيبا) يصرفونه الى المساكين والضيفان ولاصنامهم نصيبا يصرفونه الى التنسك والسدنة (فقالوا هذا) مستقر (لله بزعمهم) الآن من غير استقرار له في المستقبل لعارض (وهذا لشركائنا) وهو مستقر لهم بل يستقر لهم ما ليس لهم أيضا (فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله) عند نمائه أو سقوطه فيما هو لله أو هلاك ما هو لله (وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) عند نمائه أو سقوطه فيما هو للاصنام أو هلاك مالها وعللوا ذلك بان الله غنى وهي محتاجة (ساء ما يحكمون) من ترجيح جانب الاصنام على جانب الله بعد

محدود وقد يجيء محدودا (قوله عز وجل حطة) مصدر حط عنا ذنوبنا حطة والرفع على تقدير ارادتنا حطة ومسئلتنا حطة ويقال الرفع على انهم أمروا بذلك بعينه وقال المفسرون تفسير حطة لا اله الا الله (قوله عز وجل حل) أى حلال وحرم حرام وقد قرئت وحرم على قرية وحرام على قرية والمعنى

تقتضي ترجيح جانب الله لالهيته وعدم صلاحيتهم للالهية مع الحاجة (و) لكن زين لهم ذلك القبيح (كذلك زين لكثير من المشركين) مع وفور عقلهم في الامور الدنيوية ماهو أشد قبحا منه في باب القربان (قتل أولادهم) للاصنام (شركاؤهم) من الشياطين مكرا بهم (ليردوهم) أي يهلكوهم بالشرك وقتل الولد (وليلبسوا عليهم دينهم) بدين ابراهيم في ذبح اسمعيل عليهما السلام (و) لا ينبغي ان تحزن على هلاكهم لانه بمشيئة الله (لو شاء الله) عدم اهلاكهم (مافعلوه) مع ظهور قبحه وكونه افتراء على الله في جعله من دين ابراهيم (فذرهم وما يفترون) بعد بيان ذلك لهم (و) مما ظهر فيه افتراؤهم ما ناقضوا فيه اذ (قالوا هذه انعام وحرث حجر) أي وقف والوقف مما يترك أصله ويؤخذ نفعه وهم يقولون (لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم) فيجيزون اكل الموقوف ويدخلونه تحت تصرفهم بعد اخراجهم اياه عنه بالوقف (و) قالوا ماهو اقبح منه اذ لا معنى له والتناقض انما يقبح بالنظر الى اجتماع النقيضين لا بالنظر الى ذات كل واحد منهما وهو هذه (انعام) اى البحيرة والوصيلة والسائبة والحامي محررة (حرمت ظهورها) أي ركوبها مع ان التحرير هو رفع الحجر عن التصرف وذلك مختص بالانسان فلا وجه لاخراج غيره عن الملك (و) قالوا ماهو أشد من ذلك وهو هذه (انعام) تتقرب بها الى الاصنام ليقربونا الى الله ومع ارادة هذا التقرب اليه (لا يذكرون اسم الله عليها) عند ذبحها لئلا يشاركها الله فيها و يزعمون انه أمرهم بذلك (افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون) على الله باسوأ الوجوه ثم أشار الى افتراء آخر فيه صريح التحكم فقال (وقالوا ما في بطون هذه الانعام) الثلاثة من الاجنة ان خرجت حية فهي (خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا) أي اناثنا وان اعطاهن ذكورنا (وان يكن) ما في بطونها (ميتة فهم) اى الذكور والازواج (فيه) أي في حلها (شركاء سيجزيهم وصفهم) بالتحليل والتحريم على سبيل التحكم ونسبته الى الله تعالى (انه حكيم) لا يتحكم (عليم) بما في التحليل والتحريم استقلالا من دعوى الالهية وافتراء على الله من الظلم العظيم وكيف لا تكون هذه الافتراآت تزيينا من الشركاء بطريق المكر مع ظهور قبحها اذ (قد خسر) الدارين (الذين قتلوا أولادهم) أما الدنيا فلانهم قتلوهم (سفها) اذ أتلفوهم بلا نفع حاضر وأما الآخرة فلانهم قتلوهم (بغير علم) بنفع اخروي بل مع ظهور ضرر الافتراء على الله (و) كذا الذين (حرموا ما رزقهم الله) أما الدنيا فلانهم ضيعوا على انفسهم المنافع التي خلقها الله لاجلها وأما الآخرة فلعدم علمهم بنفع فيها بل مع ظهور ضرر الافتراء اذ كان التحريم (افتراء على الله) فهم وان كانوا عقلاء مهتدين في امور الدنيا (قد ضلوا) في هذين الامرين اذ لم يراعوا فيهما الدنيا والآخرة (وما كانوا مهتدين) فيما اهتدوا من امور الدنيا أيضا لانها لم تقصد لذاتها بل لتكون مزرعة الآخرة وقد ضيعوا على انفسهم كونها مزرعة وان عملوا ما هو مزرعة أحرقوها بكفرهم فلم يكن هداهم هدى أصلا ثم أشار الى انهم كيف يهتدون مع افترائهم على المنعم بانواع النعم بالتحريم الذي يبطل انعامه وحكمته فيه وهو اعتبار الامور الاخروية بها

فقال

واحد (قوله عز وجل وأنت حل بهذا البلد) أي حلال و يقال حل حال ساكن أي لا اقسم به بعد خروجك منه (قوله تعالى حكمة) اسم للعقل وانما سمي حكمة لانه يمنع صاحبه من الجهل ومنه حكمة الدابة لانها ترد من غربها وافسادها (قوله عز وجل حولا) تحويلا (قوله عز وجل حجرا) على ستة أوجه حجر حرام قال

فقال (وهو الذى) انعم عليكم بانواع النعم لتعتبروا بها نعم الآخرة فتجتهدوا لها اذ (انشأ) من الكروم وغيرها (جنات) تدل على الجنات الاخروية (معروشات) أى مسموكات بما علمتم انها من الاعمدة وغيرها ليعلم ان فيها درجات رفيعة للعاملين لها (وغير معروشات) حصلت بغير تعب ليعلم ان فيها درجات تحصل بفضل الله بلا تعب لكنها لا تخلو عن دنو (والنخل) المثمر لما هو فاكهة وقوت ليعلم انه لا بد من أصل هو الايمان المثمر لما كهة القرب ونجاة القوت (والزرع) المحصل لانواع القوت ليعلم ان النجاة انما تحصل بالاعمال (مختلفا اكله) أى كل واحد من النخل بلحا وبسرا وتمرا ورطبا ومن الزرع بحسب طبائعه ليعلم ان تفاوت مراتب القرب والنجاة بحسب كمال الاعتقادات والاعمال ونقصها (والزيتون والرمان متشابها) فى اللون والشكل (وغير متشابه) فى الطعم ليعلم تفاوت درجات المؤمنين العاملين بحسب تفاوت اذواقهم فى الدنيا والذوق الظاهر لما كان سبب الذوق الباطن لم يتم الاعتبار الا بأكل تلك الثمار لذلك قال (كلوا من ثمره اذا أثمر) وان لم يبلغ حد الحصاد ولم يعط منه حقه (و) لا تبطلوا معنى المزرعة فيها بجعلها لمحض الشهوات بل (آتوا حقه) وهو العشر أو نصفه (يوم حصاده) لانه نماء فلا ينتظر له حول يحصل نماءه (ولا تسرفوا) فى اكلها لئلا يبطل باستيفاء الشهوات معنى المزرعة كيف والمقصود منها اكتساب محبة الله تعالى لكنها لا تحصل مع الاسراف (انه لا يحب المسرفين) وكيف يحب المسرفين فى الشهوات وهم لا يحملون التكاليف التى يتوسل بها الى بساط القرب (و) قد انشأ (من الانعام حمولة) تحمل اثقالكم لتعلموا ان حيوانيتكم لحمل اثقال التكاليف (وفرشا) أى بساطا لتعلموا ان حيوانيتكم صالحة لجعل بساط الاعمال الصالحة الموصلة الى بساط القرب عند الله اذا شكرتم هذه النعمة بعد استكمال منافعها بالاكل الذى يدل على اباحته اتفاقكم على هاتين الفائدتين المؤديتين لهادمة حياتها وايذاء الذبح لا يعتد مع ان فائدتها أجل وهى حفظ الروح واستزادة القوة فى الطاعة والجهاد (كلوا مما رزقكم الله) لحفظ الروح واستزادة القوة (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) من تجويز أعظم وجوه الايذاء لادنى المنافع ومنع أدناها لاعظم المنافع (انه لكم عدو مبين) يمنعكم مما يحفظ روحكم ويزيد قوتكم ويدعوكم الى الافتراء على الله ان تسبقوه الى أمره أو الى دعوى الالهية لكم ان استقللتم به وقد ظهرت عداوته فى تخبيطهم فى القول بتحريمها واتفقوا على اباحة زوجى الضأن والمعز واختلفوا فى تحريم زوجى الابل والبقر فبعضهم حرم الذكور على الاناث وبعضهم على الذكور وبعضهم الاناث على الذكور وبعضهم على الاناث وبعضهم ما فى البطون على الاناث ان خرج حيا ولا دليل لواحد منهم بل لا شبهة فرد الله تعالى عليهم وأمرهم ان يأكلوا (ثمانية ازواج) أى اصناف كل صنف زوج ما يحاذيه من نوعه واعتبار الزوجية يدل على ان ذبح أحد الزوجين بمنزلة ذبح الآخر ونص على تحليل المتفق عليه بقوله (من الضأن اثنين) الذكر والانثى (ومن المعز اثنين) ليعلم ان المختلف فيه كذلك بل اذا اكل المتفق عليه مع قلة المشقة عليه لعدم

الله عز وجل وحرث حجر وقال تعالى ويقولون حجرا محجورا أى حراما محرما عليكم الجنة والحجر ديار ثمود كقوله عز وجل ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين والحجر العقل كقوله عز وجل هل فى ذلك قسم لذى حجر والحجر حجر الكعبة والحجر الفرس الانثى وحجر القميص وحجره لغتان والفتح افصح

(باب الحاء المفتوحة)

كونه حمولة فالحمولة أولى وفى تقديم الضأن على المعز اشارة الى أولوية أكله لعدم الانتفاع
بوبره ليدل على أولوية أكل البقر (قل) لوجوههما (آلذكرين حرم) على الذكور
والاناث (أم الانثيين) مع ان تحريم أحد الصنفين على أحد الصنفين يستلزم تحريم
الآخر على الآخر (أما اشتملت عليه ارحام الانثيين) من المعز والضأن مع انه لا تصلح
علة للتحريم وفاقا هاهنا فكذا فى الابل والبقر (نبئونى بعلم) أى دليل نقلى من كتب أوأثر
الرسل أو عقلى فى الفرق بين هذين النوعين والنوعين الآخرين (ان كنتم صادقين) فى ذلك
ثم صرح بالمختلف فيه فقال (ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين) فان قالوا بتحريم
البعض (قل آلذكرين حرم أم الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين) اعلمتم ذلك
بدليل (أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله) أى أمركم أمرا موكدا (بهذا) التحكم
الذى لا يليق بالحكيم واذا لم يكن عندكم دليل ولا مشاهدة كنتم مفترين على الله وزدتم
عليه باضلال عباده بغير شبهة (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم)
وأقل مافيها الضلال (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) فكيف من زاد على الاظلم بوجهين كل
واحد يوجب الاظلمية استقلالا فان زعموا أنك حرمت علينا أشياء خلقها الله تعالى رزقا لنا
(قل) ان التحريم ليس منى بل بالوحى الى مع أنه لا تحكم فيه اذ (لا أجد) الآن (فيما
أوحى الى محرما) مما تأكلونه (على طاعم) من ذكر أو أنثى لا على مستدل اذ (يطعمه)
استقلالا لا بعشيتنا (الا أن يكون ميتة) والموت سبب الفساد فهو منجس الا ان يمنع من
تأثيره مانع من ذكر اسم الله أو كونه من الماء أو غيرهما (أو دما مسفوحا) أى سائلا لا كبدا
أو طحالا لانه أول ما يتعلق به الروح فتنجسه بالموت يشبه النجاسة الذاتية التى لا تقبل التطهير
(أو لحم خنزير فانه رجس) فى حياته لكونه مقتصرا على أكل النجاسات (أو فسقا) أى
خروجا عن الدين الذى هو كالحياة المطهرة (أهل) أى صوت فيه باسم (لغير الله به) أى
بسبب ذبحه له فانه وان قرن به اسم الله لا يؤثر مع فى التطهير وهذا الا ينافى كونه رزقا لانه
رزق للمضطر (فمن اضطر غير باغ) بقتال الامام (ولا عاد) بسفر المعصية فأكل (فان
ربك غفور) لاثمه (رحيم) باباحته مع قيام دليل التحريم فان اعترض على الحصر المذكور
بأن الله تعالى حرم فى التوراة أشياء غيرها أجيب بأنه مخصوص باليهود كما قال (وعلى الذين
هادوا حرمنا كل ذى ظفر) أى اصبع من دابة أو طير (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم
شحومهما الا ما حملت ظهورهما) من الشرائح (أو الحوايا) أى الامعاء والمصارين
(أو ما اختلط بعظم) من المخ (ذلك) أى تحريم تلك الاطايب عليهم (جزيناهم ببغيهم)
ولم يكن لغيرهم ذلك البغى فلا وجه لتحريمها عليهم مع كونها أطايب فى أنفسها (وانا
لصادقون) فى تخصيص التحريم بهم لبغيهم (فان كذبوك) فى التخصيص وزعموا أن
تحريم الله لا ينسخ (فقل ربكم ذو رحمة واسعة) فيجوز أن يرحم هذه الامة بتحليل ما حرم
على من قبلهم (و) لا ينافى سعة رحمته تحريمها على أهل البغى كما لا ينافى رحمته بأسه اذ

(قوله عزوجل ختم الله على قلوبهم) طبع الله على قلوبهم (قوله عزوجل خالدون) باقون بقاء لا آخر له وبه سميت الجنة دار الخلد وكذلك النار (قوله خاشعين) أى متواضعين (قوله عزوجل وخشعت الاصوات للرحمن) اى خفتت (وقوله عزوجل وترى الارض خاشعة) أى ساكنة مطمئنة (قوله عزوجل

(لايردّ بأسه) يوم القيامة مع تضاعف رحمته فيه (عن القوم المجرمين سيقول الذين أشركوا) فى رد البأس عنهم ما يبطل شركهم من وحدة الفاعل (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ) اذ لو كان بمشيئة الغير فهو الغالب لكثرة المذكورين ولو كان بمشيئته فلا تعذيب عليه فقال تعالى هذا منقوض لانهم كما كذبوا بالعذاب بهذه الشبهة (كذلك كذب الذين من قبلهم) بالعذاب فأصروا عليه (حتى ذاقوا بأسنا) فلو صح هذا الدليل لم يكونوا ليذوقوه فان لم يكتفوا بالنقض وطلبوا الحل (قل) المشيئة انما تمنع من العذاب لو كانت قاهرة لكنها تابعة لاختيارنا (هل عندكم من علم) بأن مشيئته قاهرة (فتخرجوه لنا) لنخرج عن القول بأنها ليست تابعة لاختيارنا فان زعمتم أن اختيارنا بمشيئته ولابد أن تكون قاهرة قلنا (ان تتبعون) فى جعل هذه المشيئة قاهرة (الا الظن) بل هى تابعة لاستعدادات حقائقنا (و) ان زعمتم أنها أيضا بجعله لها قلنا (ان أنتم الا تخرصون) بأن الاستعدادات مجعولة مع أنها صفات الامور العدمية وان زعمتم أن مشيئة الله أينما كانت فهى قاهرة وان الاستعدادات لو اعتبرت فهى أمور وجودية (قل فلله الحجة البالغة) وهى أن العذاب والثواب مقدران ابتداء كأعمالهما ولا علة لتقدير الله لكن أعمالهما علامات كالمرض للموت (فلو شاء) أن لا يعذب أحدا (لهداكم أجمعين) اذ لا حكمة فى خلق الضلال سوى اظهار الجلال بالتعذيب (قل) لليهود المكذبين للتخصيص (هلم) أى أحضروا (شهداءكم) أى علماء التوراة (الذين يشهدون أن الله حرم هذا) على جميع الامم من غير تخصيص ولا سبب بغى (فان شهدوا) أنه فى التوراة (فلا تشهد معهم) لما عادت من افترائهم على الله وتحريفهم لكتبه على وفق اهويتهم (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) الظاهرة على يدى عيسى ويديك (و) أهواء (الذين لا يؤمنون بالآخرة) اذ يقولون لن تمسنا النار الا أياما معدودة (و) لا يؤمنون بالله أيضا اذ (هم بربهم يعدلون) عزيرا اذ يجعلونه ابنه والابن يعدل الاب (قل) للذين يشهدون أن الله حرم المذكورات على الكل (تعالوا) أى ائتوا المقام العالى من الانصاف (أتل ما حرم) على الكل بحيث لا يقبل النسخ (ربكم عليكم) فى مفتتح التوراة الشرك اذ نهاكم عنه فعزم (ألا تشركوا به شيأ و) عقوق الوالدين اذ أمركم أن تحسنوا (بالوالدين احسانا) كاملا لكونهما المبدأ القريب الذى لا يشارك فيهما فالاحسان اليهما كالاحسان الى أنفسكم بترك الشرك فى المبدا الاعلى (و) قتل الاولاد اذ عزم أن (لا تقتلوا أولادكم) الذين يتوقع الاحسان منهم اليكم اذا كبروا ولو (من) وجود (املاق) أى فقر فان قتلهم من أجله ليس بعذر اذ (نحن نرزقكم) مع فقركم (واياهم و) الزنا لانه فاحشة اذ قد عزم اليكم أن (لا تقربوا الفواحش) أى القبائح سواء كان لها صورة ظاهرة أم لا كما قال (ما ظهر منها وما بطن) فانه فى معنى قتل الولد لتفويت النسب اليه وان نسب الى الزوج فى الظاهر فى صورة الزنا الباطن وهو قتل بغير حق اذ لا جرم للصبى (و) قد حرم اذ عزم أن (لا تقتلوا النفس التى حرم الله) قتلها الا بايمانها أو أمانها

خاسئين) باعدين ومبعدين أيضا وهو ابعاد بمكروه يقول أخسأت الكلب وخسأ الكلب (قوله عز وجل خلاق) نصيب (قوله عز وجل الخيط الابيض) هو بياض النهار والخيط الاسود هو سواد الليل (قوله خاوية) أى خالية (قوله عز وجل خبالا) فسادا (قوله عز وجل خائبين) أى فائتهم الظفر (قوله خليل) أى صديق وهو فعيل من الخلة وهى الصداقة

(الا بالحق) كالقصاص والرجم وأفرده اشعارا باستقلاله بالحرمة فكيف اذا انضم اليه قطع الرحم وعدم الثقة بضمان الله (ذلكم وصاكم به) تلطفا ورأفة (لعلكم تعقلون) فالشرك وعقوق الوالدين وقتل الاولاد للفقر منشؤه الجهل بما في الشرك من استهانة المنعم بالايجاد وبما في الاساءة الى الابوين من مقابلة الاحسان بالاساءة وقربان الفواحش من متابعة الهوى والقتل من متابعة الغضب وكلها أضداد العقل (و) حرم أكل مال اليتيم لانه بمنزلة قتله لعجزه عن تحصيل معاشه فعزم أن (لا تقربوا مال اليتيم) اذهو جاه ومقدمته (الا بالتي هي أحسن) أي بطريق الحفظ والانماء فأحسنوا اليه بذلك (حتى يبلغ أشده) أي قوته التي يقدر بها على حفظه واستنمائه كيف (و) قد حرم في حق الجميع التطفيف اذ عزم ان (أوفوا الكيل والميزان بالقسط) أي العدل لا على سبيل التحقيق الذي يصعب رعايته اذ (لا نكلف نفسا الا وسعها و) كما حرم عليكم ترك العدل فيه حرم تركه في القول اذ عزم أنه (اذا قلتم فاعدلوا ولو كان) المقول فيه (ذا قربى و) اذا وجبت رعاية حق خصم ذي القربى فرعاية حق الله أولى ولذلك حرم نقض عهد الله وعزم أن (بعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) بأنكم كنتم أيتاما فلو لم يؤمر الحكام بحفظ أموالكم واستنمائها لهلكتم ولو لم يوف لكم الكيل والميزان لخسرتم ولو لم يقل الحق فيكم لظلمتم ولو نقض عهدكم لغضبتم فما ترضون في حق أنفسكم فافعلوا في حق الغير وأكمل عهوده الايفاء بقواعد هذا الدين وقد حرم على أهل كل عصر مخالفة قواعد دين ذلك العصر اذا تحقق كونه دينا بالاستقامة وأشار الى ذلك بقوله (وأن) أي ولأن (هذا) الدين المحمدي (صراطي) المنسوب الي لكونه (مستقيما فاتبعوه) اذ لم تختلف الاديان في وجوب متابعة المستقيم من دين كل عصر (ولا تتبعوا السبل) وان كان فيها ما هو مستقيم في عصره لكنه قد زالت استقامته (فتفرق بكم) عن الله لابعادها (عن سبيله) في الحال (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الكفر والضلال بمتابعة السبل المنسوخة جعلنا هذه الوصايا مفتتح التوراة (ثم آتينا موسى الكتاب) أي التوراة (تماما) بسائر الاحكام (على) النهج (الذي أحسن) رعاية مصالح زمانه (وتفصيلا لكل شيء) من الحقائق الالهية والملكوتية والامور الاخروية (وهدى) باقامة الدلائل ورفع الشبه (ورحمة) بافاضة الفوائد الكشفية (لعلهم) أي أهل الكتاب (بلقاء ربهم يؤمنون) اذ يعلمون من الدلائل العقلية استحسان ذلك ومن رفع شبه الاستقباح رفع الموانع ومن الدلائل النقلية وجوب ذلك ويتأكد بالقواعد الكشفية ان ذلك مقتضى جلاله وجماله ثم أشار الى أن التوراة وان كانت تماما على النهج الاحسن فالقرآن أتم منه وأزيد حسنا فهو أولى بالمتابعة فقال (وهذا) أي القرآن (كتاب) عظيم الشأن (أنزلناه) من مقام عظمتنا لانه (مبارك) أكثر خيرا من التوراة (فاتبعوه واتقوا) متابعة غيره لكونه منسوخا به (لعلكم ترحمون) فيه اشارة الى أنه لا رحمة بمتابعة المنسوخ وان آمن صاحبها بلقاء ربه على أنه لو لم يكن أتم من التوراة لاقتضت الحكمة انزاله كراهة (أن

والمودة (قوله عز وجل خصيم) أي شديد الخصومة (قوله عز وجل خائنة منهم) بمعنى خائن منهم والهاء للمبالغة كما قالوا رجل علامة ونسابة ويقال خائنة مصدر بمعنى خيانة (قوله عز وجل غبنوها خسروا أنفسهم) (قوله عز وجل خولناكم) ملكناكم (قوله عز وجل خلفتموني من بعدي) أي أقمتم مقامي خالفين متخلفين عن القوم الشاخصين وقوله تعالى رضوا بأن

تقولوا) يوم القيامة (انما أنزل الكتاب) الجامع للاحكام والدلائل والحقائق ورفع الشبه
والفوائد الكشفية (على طائفتين) اليهود والنصارى (من قبلنا) وقد غيروا فيه بطول
المدة (وان) أى وان الشأن (كنا عن دراستهم لغافلين) لبعدهم عنا وكونه بغير لغتنا وقد
صعب على أهل لغتنا الفصيحة الانتقال الى لغتهم الثقيلة فهذا وان لم يكن عذرا أنزلناه بجعله
بلسانكم مبالغة فى الزام الحجة عليكم وعلى سائر الامم اذ يسهل عليهم الانتقال الى لغتكم
الفصيحة (أو) كراهة أن (تقولوا لو أنا انزل علينا الكتاب لكنا) لمزيد ذكاوتنا وجدنا فى
العمل (أهدى منهم) وان لم يكن كتابنا أهدى من كتابهم فأزيل هذا العذر بانزال كتاب أهدى
من كتابهم (فقد جاءكم) كتاب معجز فهو (بينة) على نفسه بانه (من ربكم و) لا يتوهم فيه
السحر لانه (هدى) باقامة الدلائل ورفع الشبه (ورحمة) بافاضة الفوائد الكشفية واذا
كان معجزا مفيدا للهدى والرحمة فالكفر به أعظم ظلما من الكفر بما هو مجرد هدى ورحمة
(فمن أظلم ممن كذب بآيات الله و) ان لم يكن تكذيبه عن معرفة اعجازه لانه (صدف) أى
أعرض (عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا) التى لو لم يصدفوا عنها لعرفوا اعجازها
(سوء العذاب) الذى يكون للمكذبين بعد معرفة الاعجاز (بما كانوا يصدفون) اذ قصدوا
بذلك أن لا يعرفوا اعجازه ليلزمهم الايمان به فكانوا فى حكم من عرف الاعجاز ثم كذب به واذا
لم يؤمنوا بهذا الكتاب المعجز الذى لا احتمال للسحر فيه مع اشتماله على الادلة ورفع الشبه
وافاضته للفوائد الكشفية أتم مما فى سائر الكتب (هل ينظرون) أى ينتظرون للايمان
(الا أن تأتيهم الملائكة) بالوحى أو بالشهادة على صدق الكتاب (أو يأتى ربك) أى ظهوره
للابصار مصدقا لكتابه (أو يأتى بعض آيات ربك) أى دلائل القيامة الدالة على الله وصفاته
وأفعاله فى الآخرة ولما سبق ما فى انزال الملائكة من قضاء الامر وعدم الانظار وظهور الرب
أشد لم يتعرض للكلام فيه وانما تعرض لظهور بعض الآيات فقال (يوم يأتى بعض آيات
ربك) فضلا عن كلها (لا ينفع نفسا ايمانها) وخيرها الذى أوقفتها عليه اذ (لم تكن آمنت
من قبل) وقت التكليف قبل كشف الحجب (أو) لم تكن (كسبت فى) حال (ايمانها خيرا)
وان كسبت فى حال الكفر فان زعموا انا ننتظر ذلك وان كان فيها ما قلت (قل انتظروا)
استهزاء (انا منتظرون) تحقيقا ثم أشار الى أنهم لا يتركون الانتظار ما لم يجتمعوا على كتابك
لكنهم كيف يجتمعون على كتابك مع تفرقهم فى دينهم فقال (ان الذين فرقوا دينهم) مع
وحدته فى نفسه (وكانوا شيعا) مختلفة كأرباب الاديان المختلفة يكفر بعضهم بعضا (لست
منهم) أى من امكان جمعهم على كتابك (فى شئ) وان بالغت فى اقامة الدلائل ورفع الشبه
(انما أمرهم) فى الجمع المفوض (الى الله) لكنه يتركهم فى التفرقة التى استعدوا لها
باختلاف أهوائهم التى اتبعوها منتظرين عواقبها على سبيل الاستهزاء (ثم ينبئهم بما كانوا
يفعلون) من التفرقة لمتابعة الاهواء والانتظار على سبيل الاستهزاء ويجازيهم على ذلك
بما يماثل أفعالهم ويفوتهم تضاعف الحسنات فيخسر على الامرين اذ (من جاء بالحسنة

يكونوا مع الخوالف أى مع النساء ويقال وجدت القوم خلوفا أى قد خرج القوم وبقى النساء (قال أبو عمرو عن ثعلب عن ابن الاعرابى قال الخلوف اذا كان الرجال والنساء مقيمين والخلوف اذا خرج الرجال وبقيت النساء وأنشد والحى حى خلوف) (قوله عز وجل خرقوا له بنين وبنات) افتعلوا ذلك واختلقوه كذبا ومعنى

فله عشر أمثالها) فى الحسن كمن هو أهدى الى سلطان عنقود عنب يعطيه بما يليق بسلطنته لا قيمة العنقود (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها) فى القبح فمن كفر خلد فى النار فانه ليس أقبح من كفره كمن أساء الى سلطان بقصد قتله ومن فعل معصية عذب بقدرها كمن أساء الى آحاد الرعية (وهم) وان رأوا أقبح العذاب أشد من قبح أفعالهم (لا يظلمون) بالزيادة على قدر الاستحقاق فان زعموا أن الحسنة دين أهل الكتاب لاعترافك بأن كتابهم منزل والسيئة دينك لانكارهم على ان دين الله لا يتعدد لان الحق واحد (قل) لا ينظر فيه الى انكار أحد أو اقراره بل الى الاستقامة والاعوجاج (انى هدانى ربى) كما هداهم (الى صراط مستقيم) كصراطهم بل أكمل منه لكونه (دينا قيما) أى قائما بكل اعتقاد صحيح وأحكام أتم فائدة وأكثر غرة من أحكامهم والحق انما لا يتعدد فى الاعتقادات دون الاحكام التابعة لمصالح الازمنة والامم فهو وان خالف دينهم فى بعض الفروع واعتقادهم فى عزير والمسيح فقد وافق (ملة ابراهيم) المتفق على صحتها لكونه (حنيفا) أى مائلا عن الاديان الباطلة (وما كان من المشركين) باعتقاد ابنية عزير والمسيح فان زعموا أنك تصلى الى الكعبة وتطوف بها وتذبح لها الهدايا فعل المشركين باصنامهم على أنك لا تخلو عن شرك اذ ترغب الى اصلاح معاشك ومعادك (قل ان صلاتى) الى الكعبة (ونسكى) أى طوافى وذبحى للهدايا لله لا للكعبة اذ لا أدعو غيره وعابد الصنم يدعوه وتخصيص الكعبة لانه لما تنزه عن المكان ولم يكن للظاهر بد من التوجه الى مكان جعل أول بيت وضع لعبادته بمنزلة مكانه فجعل كدار السلطان يتوجه اليها المحتاجون ويطوفون حولها فيأتون بالهدايا اليها (ومحياى ومماتى) أى ما أفعله للحياة فلا أفعله لذاتها بل للاستعانة على عبادته وما أفعله للممات فلا أفعله لطلب الجنة أو للهرب من النار بل لرضا الله والتقرب اليه فجميع ما توهمتم فيه الشرك كان (لله) ولا ينافى ذلك حصول أسبابها لكونها من (رب العالمين) ولكن (لا شريك له) فى الطلب فلا أطلب معه سواه (و) ليس ذلك من رأيى حتى أكون عابده بل (بذلك أمرت) وكيف أكون مشركا (وأنا أول المسلمين) الذى يقتدى به الموحدون فان زعموا أنك تعبد الكعبة بالصلاة والطواف والذبح ولكن تستتر بهذه العبادات (قل أغير الله أبغى ربا) حتى أصير فى غاية الدناءة لان العبودية دناءة (و) هى للعباد غاية الدناءة اذ (هو رب كل شئ) فيلزم أن أكون عبد العبده (و) لا تحمل الكعبة منى هذه الدناءة اذ (لا تكسب كل نفس الا عليها) وان تحمل شئ دناءة الآخر فلا يتحمل وزره وعبادة الغير وزر (ولا تزر) أى لا تحمل نفس (وازرة) أى ثقيلة بالاثم كالرضا بكونها معبودة من دون الله (وزر) أى اثم نفس (أخرى ثم) انه ليس مجرد حمل بل (الى ربكم مرجعكم) فلو عبدتم هذه المظاهر على زعم ظهور الالهية فيها مع اختلافها كنتم قائلين بالاختلاف فى ذاته (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون و) ان اعتبرتم كمال المظهرية فهو لكم اذ (هو الذى جعلكم خلائف الارض) تتصرفون فى الارض التى هى المحل الكامل للتصرف بوجوه مختلفة

ونحرقوا له ذلوا مرة بعد أخرى وحرقوا افتعلوا مالا أصل له وهى قراءة ابن عباس (قوله عز وجل خلائف الارض) أى سكان الارض يخلف بعضهم بعضا واحدهم خليفة (قوله خاطئين) قال أبو عبيدة خطئ وأخطأ بمعنى واحد وقال غيره خطئ فى الدين وأخطأ فى كل شئ اذا سلك سبيل خطأ عامدا أو غير عامد (قوله جل اسمه

نيابة عن ذاته وجميع صفاته وأسمائه (و) مع ذلك ليس هو كال المظهرية على الاطلاق اذ (رفع بعضكم فوق بعض درجات) يرتفع بعضهم على بعض بدرجة والمرفوع عليه يرتفع على المرتفع بأخرى فان فرض جامع للدرجات فلا يكون أيضا الها لان رفع درجاته ليس بذاتى بل عارض (ليبلوكم فيما آتاكم) هل تشكرونه فيه أم لا فان لم تشكروه سلبت منكم درجاتكم بالمعاقبة (ان ربك سريع العقاب) فلا يبقى درجاتكم مدة يتوهم فيها كونها ذاتية لكم (و) ان شكرتم سترت نقائصكم ورفعت درجاتكم (انه لغفور رحيم) فليست درجاتكم ذاتية حتى تدل على الالهية لحدوثها بعد العدم *تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الاعراف)

سميت بها لانها من المنازل الرفيعة لاهل الكمال المفضين على سائر الطوائف فشأنها أولى بالاعتبار من سائر الشؤن المذكورة فى هذه السورة (بسم الله) الجامع للكمالات التى تجلى بها فى هذا الكتاب لتوسيع صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه (الرحمن) بانذار الكل المنجى عن المكاره وتذكيرهم الموصل الى المحبوبات (الرحيم) بتخصيص فائدتهما بالمؤمنين (المص) أى أحسن لآلئ المكارم الصافية أو أعلى لطف معد للصعود أو أكمل لامع مفيد للصيانة أو أعزاب معجز صادق (كتاب أنزل اليك) لتحليتهم بتلك اللآلئ أو للتلطف عليهم بما يعدهم للصعود أو لانارتهم بما يكشف لهم عن المنافع والمضار الحقيقية أو لاعزازهم بلباب الصدق بما يرون من الاعجاز (فلا يكن فى صدرك حرج منه) من حزن من لا يتحلى أو لا يتلطف أو لا يستنير أو لا يتعزز اذ لم ينزل لالزامهم ذلك بل (لتنذر به) من لا يتصف بما ذكر (و) تذكر به فوائد هذه الامور (ذكرى) نافعة (للمؤمنين) المصدقين بهذه الاوصاف وفوائدها وأى حرج لك فيه وليس عليك الا أن تقول لهم (اتبعوا) للوصول الى هذه الامور العالية (ما أنزل) لتحصيلها (اليكم) أيها القاصرون بأنفسكم (من ربكم) الاعلى الذى رباكم بتنزيل هذه الامور العالية (و) لا تبطلوا هذه التربية بمتابعة من دونه (لا تتبعوا من دونه) فان أقل ما فيها ترك الاعلى للادنى (أولياء) مع انهم أعداء لو تذكرتم بتنزيلهم اياكم من الاعلى الى الاسفل لكن (قليلا) من التذكر (ما تذكرون) كيف (و) ليس اقتصارا على التنزل بل اهلاك كل بمجرى السنة المستمرة اذ (كم) أى كثيرا (من قرية أهلكناها) باتباعهم أولياء من دونه مع ترك متابعة ما أنزل الله ولم يكن من قبيل الابتلاء الذى تظهر علاماته قبله غالبا بل كان فجأة (فجاءها بأسنا) أى عذابنا (بياتا) أى بائتين يعنى نائمين ليلا (أو هم قائلون) أى نائمون نهارا جزاء على غفلتهم مع خفاء البرهان تارة وظهوره أخرى ويدل على أنه ليس للابتلاء الذى يعم المؤمن والكافر انهم أرادوا دفعه بحجة لكن لم يجدوها (فما كان دعواهم) أى حجتهم التى يدعون التمسك بها لدفعه (اذ

خطبكن) أى أمركن والخطب الامر العظيم (قوله تعالى خلصوا نجيا) أى تفردوا من الناس يتناجون أى يسر بعضهم الى بعض (قوله عز وجل خروا له سجدا) أى كذلك كانت تحيتهم فى ذلك الوقت وانما سجدوا لله عز وجل (قوله عز وجل زدناهم سعيرا) يقال خبت النار تخبو اذا سكنت (خاوية على عروشها) خالية قد سقط.

جاءهم بأسنا) الذى لا يقبل معه عذر (الا أن قالوا) ما يلزمهم (انا كنا ظالمين) بترك متابعة ما أنزل الله لمتابعة من دونه واتخاذهم أولياء مع كونهم أعداء ومع اعترافهم بالظلم لما كانت المؤاخذة فجأة من غير سؤال يظهر به تفاصيل ما يستحقونه فيظهر به كمال العدل قال (فلنسئلن الذين أرسل اليهم ولنسئلن) لعدم وفائهم ببيان جزئيات ما جرى (المرسلين ف) لقصورهم عن الاحاطة (فلنقصن عليهم بعلم) لم يحصل لهم لغيبتهم عن أمور (وما كنا غائبين) عن شئ من الاشياء (و) لم نقتصر على علمنا بل بينا لهم بالوزن أعمالهم ومقاديرها على ما هى عليه اذ (الوزن) وان كان اليوم لا يخلو عن تفاوت (يومئذ الحق) المطابق له الواقع بلا تفاوت فكان مقدار الجزاء مرتبا عليه (فمن ثقلت موازينه) كلها اذ كانت لجميع أعماله مقدار عند الله من القبول (فأولئك هم المفلحون) بكل ما ذكر من التحلى والصعود والاستنارة والتعزز (ومن خفت موازينه) اذ لم يكن لشئ من أعماله مقدار من القبول عند الله (فأولئك الذين خسروا) تلك الاعمال وان كان لها مقدار فى أنفسها عنده وكان بها كمال أنفسهم فكأنهم خسروا (أنفسهم) اذ حبطت (بما كانوا بآياتنا يظلمون) كأنها أخذت بالمظالم (و) كيف لا تتبعون ما أنزل اليكم مما يثقل موازينكم فانا (لقد مكناكم) من التصرفات (فى الارض) نيابة عنا لتلحقوا بنا بمتابعة ما أنزلنا اليكم (وجعلنا لكم فيها معايش) لتشكروها بصرفها الى ما خلقت له لتحصلوا معايش السعادات الابدية بمتابعة ما أنزلنا اليكم وبترك متابعة من دوننا لكنكم (قليلا) من الشكر (ما تشكرون و) كيف تتبعون من دونه وهو بالتابعية أولى وكيف تتخذون من دونه وليا تسجدون له وهو بل من هو أعلى منه بالساجدية أولى من المسجودية لانه (لقد خلقناكم) مثل ما خلقناهم (ثم صورناكم) بالصور الجامعة لاسرار الحق والخلق دونهم (ثم) خصصناكم بروح كامل من أجله (قلنا للملائكة) الذين هم أعلى من معبوديكم (اسجدوا لآدم) فعرفوا رتبته (فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين) اذ رأى لنفسه رتبة المسجودية (قال) يا ابليس ليست لك تلك الرتبة (ما منعك) من السجود لآدم فاخترت (ألا تسجد) ترجيحا لمنعه على أمرى (اذ أمرتك قال) منعنى علو رتبتى اذ (أنا خير منه) لان عنصرى أعلى من عنصره اذ (خلقتنى من نار) مركزها يلى فلك القمر فوق الهواء والماء والتراب (وخلقته من طين) ممزوج من تراب وماء ومركزهما دون مركز النار (قال) اعتبرت العنصر دون الروح (فاهبط منها) أى من رتبة الملكية الى رتبة العناصر (فما يكون لك أن تتكبر) بفضل العنصر الادنى (فيها) أى فى رتبة الملكية التى دون رتبة الانسانية (فاخرج) منها أى من تلك الملكية التى كنت لحقتها (انك من الصاغرين) من أهل العناصر الذين لا كمال روحانى لهم (قال أنظرنى الى يوم يبعثون) فلا تمتنى لاغرهم بأن يتخذونى وذريتى أولياء من دونك (قال انك من المنظرين) لتزداد اثما فتزداد بعدا (قال) اذ أنظرتنى

(قوله عز وجل بعضها على بعض (قوله عز وجل خرجا) وخراجا اتاوة وغلة والخرج أخص من الخراج يقال أد خرج رأسك وخراج مدينتك وقوله عز وجل أم تسألهم خرجا فخراج ربك معناه أم تسألهم أجرا على ما جئت به فأجر ربك وثوابه خير (وقوله عز وجل فهل نجعل لك خرجا) أى جعلا (قوله الخبيثات للخبيثين) أى الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس وكذلك

لذلك

لذلك (فبما أغويتني) أى لتحقق اغوائك اياى من أجلهم (لاقعدن) مترصدا (لهم صراطك
المستقيم) الذى شرعت لهم ليسلكوه فيصلوا الى المراتب العالية من التحلى والصعود
والاستنارة والتعزز وغير ذلك مما خلقتهم من أجله فأفسد عليهم الاعتقادات والاخلاق
(ثم لآتينهم) لافساد أعمالهم (من بين أيديهم) لانكار الجزاء (ومن خلفهم) للتشويق
الى الدنيا (وعن أيمانهم) بمنع الاعمال الصالحة التى يحتاج فيها الى قوة الروح على النفس
(وعن شمائلهم) للحث على الاعمال الطالحة بتضعيف الروح (و) بالجملة (لاتجد أكثرهم
شاكرين) صارفين نعمتك الى ما خلقتها من أجله (قال اخرج منها) أى من الرتبة التى
أخرجتك منها (مذؤما) بذم اضلال الخلائق مع ذم ضلالك (مدحورا) مطرودا من الجهتين
(لمن تبعك منهم) لجعله من اتباعك فى الذم والطرد (لأملأن جهنم منكم أجمعين)
يلعن بعضكم بعضا ثم أشار الى أن أقل ما فى متابعة ابليس من غير اتخاذه وليا الخروج من
الجنة وان دخلها بالعمل (و) ذلك أن الله تعالى قال (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة)
المشتملة على المراتب العالية من التحلى والصعود والاستنارة والتعزز جامعا بينها وبين
المراتب الحيوانية (فكلا) بلا تراخ (من حيث) أى من كل مكان (شئتما ولا تقربا هذه
الشجرة) الدنيئة من بين الاشجار الفائتة للحصر فضلا عن أن ينتفعا بشئ منها فضلا عن
الاكل (فتكونا) بمجرد قربانها (من الظالمين) المضيعين لما حصل من تلك المراتب
المستحقين للهتك والعذاب (فوسوس) مخيلا للنفع (لهما الشيطان) ليهتكا حرمة الله
فيهتك حرمتهما (ليبدى) أى يظهر (لهما ما ورى) أى ستر (عنهما) فلم ير أحدهما من
الآخر (من سوآتهما) أى عوراتهما (وقال) فى تخييله النفع لهما كما يخيل لكم الآن فى
عبادته من التقرب الى الله والشفاعة عنده (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة) البعيدة مراتب
كمالاتها عن الاحاطة (الا) كراهة (أن تكونا ملكين) لاتشتغلان عنه بطعام وقد أراد
شغلكما به ابعادا لكما منه (أو) كراهة أن (تكونا من الخالدين) فى الجنة وقد أراد
اخراجكما عنها (وقاسمهما) وراء ما يعدهما (انى لكما لمن الناصحين) فى هذا الامر وان كنت
عدوكما فى سائر الامور (فدلاهما) أى نزلهما عن عقلهما (بغرور) أى بما غرهما من
القسم اذ ظنا أن أحدا لا يقسم بالله كاذبا (فلما ذاقا الشجرة) أى وجدا طعمها (بدت) أى
ظهرت قبل الفراغ من الاكل (لهما سوآتهما وطفقا) أى أخذا (يخصفان) أى يلزقان
(عليهما من ورق الجنة) ورقا فوق ورق (وناداهما ربهما) توبيخا (ألم أنهكما عن) قربان
(تلكما الشجرة) البعيدة عن توهم النفع (و) ألم (أقل لكما ان الشيطان لكما) فى كل شئ
(عدو مبين) وان اظهر لكما النصح وقاسمكما عليه فلم تتبعا قولى واتبعتماه (قالا ربنا ظلمنا)
أى أضررنا (أنفسنا) بمتابعته وترك متابعتك (وان لم تغفر لنا) بمحو هذه المعصية (وترحمنا)
بالعود الى اللطف (لنكونن من الخاسرين) بخسر جميع ما حصل لنا من الكمالات (قال) انكم

الطيبات من الكلام
للطيبين من الناس (قوله
عزوجل خلق الاولين)
أى اختلاقهم وكذبهم
وقرئت خلق الاولين أى
عادتهم (قوله الخبء) المستتر
ويقال خبء السموات
المطر وخبء الارض
النبات (قوله عزوجل
ختار) غدار والختر أقبح
الغدر (قوله خاتم النبيين)
آخر النبيين (قوله عز
وجل خر) أى سقط على
وجهه (قوله عزوجل

وان غفر لكم ورحمكم فلابد من أثر لمعصيتكم وأقله الهبوط (اهبطوا) منها أى من المراتب العالية والعداوة لاتباعكم قول العدو (بعضكم لبعض عدو) بعد ذلك الاثر مدة مديدة اذ (لكم فى الارض مستقر) ينسيكم تلك المراتب العالية لشغلكم بالامور الحيوانية اذ لكم (متاع الى حين) وكأنهم حينئذ قالوا اهل نصل بعد تلك المدة الى الجنة (قال فيها تحيون) مدة (وفيها تموتون) فتلبثون فى القبر مدة أطول من الاولى (ومنها تخرجون) فتبقون فى مقامات القيامة مدة ثم منكم من يصل الى الجنة ومنكم من يهبط الى أسفل سافلين ثم أشار الى أنه كما كان للمعصية ذلك الاثر فللتوبة أيضا أثر واقله ستر العورة بعد ابدائها فقال (يا بنى آدم) أى يا أولاد من هتكت حرمته بابداء عورته (قد) رحمناكم بتوبة اذ (أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم) أى يستر عوراتكم (و) زدنا عليه (ريشا) أى لباسا يكون زينة فهذا ساتر الظاهر وزينته (ولباس التقوى) ساتر عيوب الباطن وزينته (ذلك خير) لان الظاهر محل نظر الخلق والباطن محل نظر الحق والعيوب الباطنة أفحش من العورات الظاهرة (ذلك) أى لباس التقوى (من آيات الله) أى دلائل مشاهدة القلب لله (لعلهم يذكرون) بهذه المشاهدة مشاهدة الآخرة (يا بنى آدم) الذى فتنه الشيطان بهتك لباس التقوى (لا يفتننكم الشيطان) بهتك لباس التقوى فيخرجكم من نظر الله بالرحمة اليكم (كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما) بنزع لباس التقوى (لباسهما) الظاهر (ليريهما سوآتهما) الظاهرة الدالة على السوأة الباطنة وقد سهل عليه الفتنة وعسر عليكم التحفظ (انه يراكم هو وقبيله من حيث) أى من مكان (لا ترونهم) فيه وانما يتحفظ عنه بقوة الايمان المانع من اتباع ولى من دون الله (انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) يوهمونهم أنهم يحصلون لهم التجلى والصعود والاستنارة والتعزز (و) يسترون عنهم القبائح باعذار كاذبة مثل انهم (اذا فعلوا) فعلة (فاحشة) أى متناهية فى القبح ككشف العورة فى الطواف وعبادة الاصنام (قالوا) فى الاعتذار (وجدنا عليها آباءنا و) هم لغاية كمالهم لا يصدر عنهم فعل شنيع الا بأمر الله اذ (الله أمرنا بها قل) تحسنون الظن بآبائكم وتسيئون بالله (ان الله لا يأمر بالفحشاء) وان كان قد يأمر بما لا يدرك العقلاء حسنه (أتقولون) من حسن ظنكم بآبائكم (على الله ما لا تعلمون) من نسبة القبائح اليه (قل) كيف يأمر بالفحشاء مع انه لا يأمر بما فيه افراط أو تفريط انما (أمر ربى بالقسط) أى العدل الاوسط (و) منه الامر بالتوجه الى القبلة فان ترك التوجه اليها تفريط فى العبادة ولا يتم معه توجه الباطن الى الحق وعبادة القبلة افراط كعبادة الاصنام فقال (أقيموا وجوهكم) الى القبلة (عند كل مسجد) أى سجود (و) لا تدعوا القبلة دعاءهم للاصنام بل (ادعوه مخلصين له الدين) عن مشاركة القبلة وغيرها لانه استحق عبادتكم بابدائه اياكم ولا يسعكم تركها اذ اليه عودكم فانه (كما بدأكم تعودون) وليس العود اليه كالابك حال بل (فريقا هدى) فيكون عودهم عود الطالب الى المطلوب (وفريقا حق عليهم الضلالة) فيكون عودهم عود الهارب الى

المهروب

خمط) قال أبو عبيدة الخمط كل شجر ذى شوك وقال غيره الخمط شجر الاراك وأكله ثمره (قوله خامدون) أى ميتون (قوله تعالى خطف الخطفة) الخطف أخذ الشئ بسرعة واستلاب (قوله عزوجل خوله) أى أعطاه (قوله عز وجل الخراصون) أى الكذابون والخرص الكذب والخرص أيضا الظن والحزر (قوله تعالى خيرات حسان)

المهروب عنه وقد تحقق هرب هؤلاء (انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله و) ان كانوا (يحسبون أنهم) بذلك (مهتدون) يتوصلون بهم الى الله و يستشفعون اليه ولا يعلمون ان ذلك لا يتأتى من أعداء الله أصلا ومما حسبوا فيه انهم مهتدون بمتابعة الشيطان تركهم التزين والتلذذ مع العبادة فطافوا عراة وتركهم اللحم والدسم مع الاحرام فقال عز وجل (يا بنى آدم) الذين خلق لهم الزينة واللذائذ (خذوا زينتكم) من اللباس (عند كل مسجد) أى صلاة وطواف فان من أفحش الفواحش ترك هذا التزين سيما فى العبادة وهى أولى أوقات التزين (وكلوا واشربوا) أيام الحج تقويا على العبادة (ولا تسرفوا) اسرافا يوجب الانهماك فى الشهوات ويشغل عن العبادة (انه لا يحب المسرفين) لذلك فان زعموا ان التزين والتلذذ ينافيان التذلل الذى هو العبادة فيحرمان معها (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده) الذين خلقهم لعبادته فقد أخرجها لهم ليتزينوا بها حال العبادة فهل عبيد الملوك اذا حضروا خدمته ولا ينافى ذلك تذللهم له (والطيبات من الرزق) التى خلقها لتطييب قلوب عباده ليشكروه والشكر عبادة فلا ينافى التلذذ العبادة بل يكون داعية اليها فان زعموا ان التزين والتلذذ من طيب الحياة الدنيا ولا يتطيب بها المؤمنون (قل هى) مخلوقة (للذين آمنوا فى الحيوة الدنيا) ليعلموا بها لذات الآخرة فيرغبوا فيها من يد رغبة لكن شاركهم الكفرة فيها لئلا يكون هذا الفرق ملجئا لهم الى الايمان فاذا ذهب هذا المعنى تصير (خالصة) لهم (يوم القيامة) فلو حرمت على المؤمنين لكانت مخلوقة للكافرين وهو خلاف مقتضى الحكمة وان خلقت للمؤمنين فأولى أوقات الانتفاع بها وقت جريانهم على مقتضى الايمان وهو العبادة والتقوى لكن من غير انهماك فى الشهوات (كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) الحكمة فى خلق الاشياء واستعمال الاشياء على نهج ينفع ولا يضر فان زعموا أنه يخاف من التزين والتلذذ الوقوع فى الكبر والانهماك فى الشهوات فيحرمان على أهل العبادة (قل) انهما من المنافع الخالصة فى أنفسهما والافضاء احتمال غير محقق فاذا أفضى فالحرام هو المفضى اليه بالذات لانه (انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها) كالكبر والانهماك فى الشهوات (وما بطن) كالاسراف المفضى اليهما غالبا الا ما لا يفضى غالبا (و) لكن اذا أفضى حرم لانه حرم (الاثم) كالانهماك فى الشهوات (والبغى) كالكبر الضار للخلق فان كل ما يضرهم حرام اذا كان (بغير الحق) وأما اذا كان بالحق فانه وان كان ضارا فى الظاهر فهو نافع فى الحقيقة فلا يحرم وتحريم ما لم يحرم الله اشراك (و) قد حرم (أن تشركوا بالله ما لم ينزل به) عليكم (سلطانا) مع ان الامور الاعتقادية لا يصح الاعتقاد بها الا ببرهان قاطع والخوارق لا تدل على الوهيتها فضلا عن أن تكون براهين هذا اذا كان باستقلال والا فهو افتراء على الله (و) قد حرم عليكم (أن تقولوا على الله ما لا تعلمون و) لا يدل وقوع هذه الامور من بعض الامم مع تأخير اهلاكهم على جوازها اذ الاهلاك انما يكون بعد تحقق الجرم وهو بالامهال مدة يمكن فيها التأمل والاعتذار لذلك كان (لكل أمة أجل

(قوله يريد خيرات تخفض الله (قوله تعالى خافضة رافعة) تخفض قوما الى النار وترفع آخرين الى الجنة (قوله عز وجل خصاصة) أى حاجة وفقر وأصل الخصاص الخلل والفرج ومنه خصاص الاصابع وهو الفرج التى بينها (قوله عز وجل خاسئا وهو حسير) مبعدا وهو كليل (قوله تعالى خسف القمر) وكسف

فاذا جاء أجلهم) ولم يتأملوا فيها ولم يعتذروا (لا يستأخرون ساعة) للتأمل والاعتذار (ولا يستقدمون) باستعجال العذاب استهزاء فان زعموا أن العقلاء يحترزون المخوفات وان بعد احتمالها قيل لهم بين بل ذلك الاحتمال بالرسل (يا بنى آدم) الذى جعله الله رسولا فلا يبعد أن يجعل فى أولاده الرسل (اما يأتينكم رسل) أى ان تحقق اتيان رسل (منكم) تعرفون صدقهم وديانتهم (يقصون عليكم آياتى) أى يتبعون بعضها بعضا بما يقرر ما يخاف منه وما لا يخاف وما يصلح فيزيل المخوف وما لا يصلح (فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم) من الاحتمالات (ولا هم يحزنون) من مخالفة من يعتقد فيه كمال العقل (و) كيف يدعون الاحتراز عن المحتملات البعيدة ولا يبالون بأشد المخوفات من الكفر والتكذيب والاستكبار اذ (الذين) كفروا مع دلالة الآيات على أشد المخوفات لكنهم (كذبوا بآياتنا) لم يكن ذلك لرؤية النقص فيها بل لانهم (استكبروا عنها) فزعموا أن الآيات شبهات وما هم عليه صريح العقل (أولئك) البعداء عن مقتضى صريح العقل (أصحاب النار) ولا يخرجهم عقلهم منها بل (هم فيها خالدون) كيف وهم أظلم الناس فى التحليل والتحريم لانهم ان نسبوهما الى الله من غير سماع منه ولا من واحد من رسله أو ممن سمع منهم كانوا مفترين على الله وان نسبوهما الى عقولهم كانوا مرجحين لها على آيات الله مكذبين بالآيات من أجلها (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك) المبالغون بزعمهم فى الاحتراز عن الاحتمالات البعيدة (ينالهم نصيبهم من الكتاب) أى مما كتب عليهم من القبائح التى لا احتمال لزوال الخوف عنها كعبادة غير الله على ظن انهم شفعاء مما توهموا من المخوفات البعيدة الاحتمالات ويستمرون عليها (حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) أى الملائكة لقبض أرواحهم (قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله) ليكونوا لكم شفعاء مما احتمل عقولكم فلا نراهم يخلصونكم مما تحقق عليكم من هذه الشدائد (قالوا ضلوا عنا) فلم يخلصونا من شئ من الموهوم ولا من المحقق (و) اعترفوا أن ذلك كان عين المخوف حتى اذ (شهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) فلم يفدهم الاعتراف بالكفر بل (قال) أى الله لهم (ادخلوا فى) جملة (أمم قد خلت) أى مضت قائلة بهذه الاقوال (من قبلكم) فتبعتموهم (من الجن والانس) فاتبعوهم (فى النار) من غير أن يفيدوكم شيأ بل (كلما دخلت أمة لعنت أختها) التى كانت على ملتها (حتى اذا اداركوا) أى تلاحقوا (فيها جميعا) أى مجتمعين على العداوة بعد الصداقة (قالت أخراهم) أى الاتباع زعما (لأولاهم ربنا هؤلاء) الذين (أضلونا) بتكلمهم بهذه الكلمات قبلنا (فآتهم عذابا) لاضلالهم ايانا (ضعفا) بضم عذاب ضلالهم اليه فاجعل لهم نصيبا (من النار) حتى نتخلص (قال) تعالى بل (لكل ضعف) للاولى بالضلال والاضلال وللاخرى بالضلال وتقليد أهل الضلال مع وجود الهادين بالبراهين القاطعة (ولكن لا تعلمون) ما يستحقه كل فرقة (وقالت أولاهم) ردا (لأخراهم) التخلص انما يكون بالفضل فاذ ضللتم وقلدتم الضالين (فما

سواء أى ذهب ضوءه (قوله عز وجل خاب من دساها) أى فاته الظفر ودساها أخملها بالكفر والمعاصى

* (باب الخاء المضمومة) *

(قوله عز وجل خطوات الشيطان) أى آثاره (قوله عز وجل خلة) أى مودة وصداقة متناهية فى الاخلاص (خوار) صوت البقر (قوله عز وجل خمرهن) جمع خمار وهى

كان لكم علينا من فضل) ولم نلجئكم الى اتباعنا (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) من القبائح الظاهرة للجهالات البعيدة المرفوعة على ألسنة الرسل وكيف تتخلصون من النار وهي محيطة بعالم العناصر فلا يتخلص منها الا بفتح أبواب السماء بل بدخول الجنة التى فوق الكرسي الذى فوق السموات اذ بهم أثرها السموات وليس شيء منها لهؤلاء (ان الذين كذبوا بآياتنا) التى هي طرق الجنة (واستكبروا عنها) وهو موجب للرد الى أسفل سافلين (لا تفتح لهم أبواب السماء و) ان فتحت (لا يدخلون الجنة) لان تكذيبهم ان لم يسد عليهم طرقها فلا أقل من التضييق فلا يدخلونها (حتى يلج) أي يدخل (الجمل) الذى هو مثل فى عظم الجرم فيما هو مثل فى الضيق (فى سم) أى ثقبة ابرة هي مدخل (الخياط) ما يخاط به (و) لا يختص هذا أى عدم الفتح والدخول بالمكذبين المستكبرين بل (كذلك نجزى المجرمين) بالكفر كالمشرك والجاحد وان لم يبلغهم الرسالة فلم يكذبوا ولم يستكبروا ولا يقتصر فى حقهم على ذلك بل تحيط بهم النار حتى يكون (لهم من جهنم مهاد) أى فراش من تحتهم (ومن فوقهم غواش) أى أغطية اذ احاطت بهم الخطيئة (و) لا يختص بالاظلمين بل (كذلك نجزى الظالمين) بالكفر بعد بلوغ الرسالة اليهم ثم أشار الى أن فتح أبواب السماء وتوسيع أبواب الجنة لا يتوقف على أعمال شاقة حتى يكون لتاركها نوع من العذر فقال (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) وليس المراد الاحاطة التى تعجز عنها الطاقة غالبا اذ (لا نكلف نفسا الا وسعها أولئك) وان بعدوا الآن عن الجنة وحالت بينهما السموات (أصحاب الجنة) وإيمانهم وأعمالهم وان كانت مدة يسيرة لكن (هم فيها خالدون) فلا يكون بقدر مدة الاكتساب ولا بقدر الاعمال (و) لا يكون بينهم ما يكون بين أهل النار من العداوة بل قد (نزعنا ما فى صدورهم من غل) وان كان بعضهم أدنى من بعض اذ لا يرون دنوهم حيث (تجرى من تحتهم الانهار و) يشكرون كالهم حتى (قالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا) أى لاسباب هذا العلو بارسال الرسل والتوفيق للعمل (و) كيف يعلون على الغير لو رأوا دنو أنفسهم لانهم يرون قصورها حيث يقولون (ما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) ويرون من غاية قصورها انهم لم يقدروا على استفاضة كمالاتهم من الله بلا واسطة الرسل فقالوا (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) فاستفاضوا منه الكمالات فأفاضوها علينا (و) لما رأوا دنو أنفسهم وأعمالهم (نودوا) من جهة الله (أن) أى ان الشأن (تلكم الجنة) العظيمة (أورثتموها) من الذين علوا لها الاعمال الشاقة فاستكبروا بها حتى أنكروا على الرسل الذين جاؤا بالحنيفية السمحة (بما كنتم تعملون) من الاعمال التى استحقرتموها فمكان تذللكم أكثر من تذللهم مع انقياد كم لآياته ورسله فرفعكم الله اليها ثم أشار الى أن أهل الجنة وان نزع عنهم الغل يفعلون مع أهل النار فعل أهل الغل من زيادة التحسير فقال (ونادى أصحاب الجنة) الوارثون لها من أهل النار (أصحاب النار) الذين ورثوها من أهل الجنة (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا) من المراتب العالية على الايمان وان قصرت أعمالنا مما استكثرتم (حقا فهل وجدتم ما وعد

المقنعة سميت بذلك لان الرأس يخمر بها أى يغطى وكل شيء غطيته فقد خمرته والخمر ما واراك من شجر (قوله عز وجل خلطاء) أي شركاء (قوله عز وجل الخلود) بقاء دائم لا آخر له (قوله عز وجل خشب) جمع خشب (الخنس الجوار الكنس) خمسة أنجم زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد سميت بذلك لانها تخنس فى مجراها.

ربكم) من تنزيلكم الى أسفل سافلين لاستكباركم على الآيات والرسل وان كانت أعمالكم
شاقة ومن اعلاء من لم يستكبر الدرجات التى توقعتم لانفسكم على أعمالكم الشاقة (حقا قالوا
نعم) وان كان فيهم شماتة لكنهم خافوا من الانكار زيادة النكال (فأذن) أى نادى (مؤذن)
هو اسرافيل (بينهم) ليسمعهم زيادة فى شماتة احد الفريقين وندامة الآخر (أن) عذاب
الله يزداد لاستمرار ابعاده اياكم عن رحمته اذ (لعنة الله) أى أبعاده عن رحمته مستقرة (على
الظالمين) بابطال حكمته فى خلق العقلاء لمعرفته وعمارة الدارين بحيث لا يحجبهم شئ عن شئ
وهم أبعدوا أنفسهم وغيرهم عن ذلك اذ هم (الذين يصدون) أنفسهم وغيرهم (عن سبيل الله)
الذى بينه على ألسنة رسله لمعرفته وعمارة الدارين فاستكبروا عليهم وزعموا أن عمارة
الدارين حجاب عن الله (ويبغونها عوجا) بتغيير الاعتقادات والاحكام الحكمية لهم وهو
ابعاد أيضا (و) قد ازدادوا ابعادا بانكار المنتهى اذ (هم بالآخرة كافرون) وانما يترهبون
بالتلذذ فى التجرد لله وتحصيل الخوارق والانتفاع به عند التناسخ الذى يتوهمونه ثم أشار
الى أنه (و) ان سمع كل فريق كلام الآخر من مكانه فلا يصل شئ من آثار أحد المكانين
الى الآخر اذ (بينهما حجاب) هو السور المضروب بينهما (و) لم يصل أثر النار الى أهل الجنة
قبل دخولها وان كانوا خلف الحجاب اذ (على الاعراف) وهو المكان المرتفع (رجال) كمل
يقيضون على كل واحد ما يستحقه اذ (يعرفون كلا بسيماهم) أى بعلاماتهم الدالة على قدر
ما يستحقونه (و) تأثيرهم بالقول لذلك (نادوا) من يصير (أصحاب الجنة أن سلام عليكم)
ليسلموا عن الخوف قبل دخولها اذ (لم يدخلوها وهم يطمعون) فى دخولها اذ لم يسلبوا الانوار
(و) لكن لا يخلون عن خوف سيما (اذا صرفت أبصارهم تلقاء) أى جهة (أصحاب النار
قالوا) من شدة خوفهم (ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) هذا ما يقولون لاهل الجنة (و) أما
قولهم لاهل النار فهو انه (نادى أصحاب الاعراف رجالا) من كبار أهل النار (يعرفونهم
بسيماهم) التى تدل على أعيانهم وان تغيرت صورهم (قالوا ما أغنى عنكم جمعكم) للاموال
التى تدفع بها الآفات (وما كنتم تستكبرون) من الاتباع الذين يستعان بهم فى دفعها
(أهؤلاء) الضعفاء من المؤمنين (الذين اقسمتم) انهم كما لم ينالهم الله برحمة منه فى الدنيا بتكثير
الاموال والاتباع (لا ينالهم الله برحمة) برفع درجاتهم فى الآخرة فقد قيل لهم (ادخلوا
الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) خوف من أعطى الاموال والاتباع وحزنه فى الدنيا
(ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) بعدما أقسموا أنهم لا ينالهم الله برحمة متذللين لهم بعد
التكبر عليهم (أن أفيضوا علينا) شيأ (من الماء) الذى رحمكم الله به ليسكن حرارة النار
والعطش (أو) شيأ (مما رزقكم الله) من الاطعمة والفواكه (قالوا) ان افاضتهما لا تنفعكم
(ان الله حرمهما على الكافرين) لانه أنعم عليهم فى الدنيا فلم يشكروه فمنعهم نعمه فى الآخرة
وذلك لانه انما أنعم عليهم ليتدينوا بدينه فى الاعتقادات والاعمال وهم (الذين اتخذوا دينهم)
فى الاعتقادات (لهوا) أى اشتغالا بغير الله (ولعبا) بتصوير الاصنام بصور أسمائه أو

أى ترجع نكس أى نستتر كما تكنس الظباء فى كنسها

* (باب الخاء المكسورة) *

(خطبة) أى تزويج (قوله عز وجل خلاف) مخالفة قال الله عز وجل أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أى يده اليمنى ورجله اليسرى يخالف بين قطعهما (قوله عز وجل فرح المخلفون

ملائكته أو أوليائه (و) مع ذلك لم يعملوا للآخرة اذ (غرتهم الحيوة الدنيا) فاذا لم يعملوا للآخرة (فاليوم ننساهم) أى نتركهم ترك المنسى فلا نرحمهم بما نرحم به من عمل للآخرة الكاشفة عن الاعتقادات والاعمال والامور الاخروية (كما نسوا لقاء يومهم هذا و) لا نقتصر عليه بل نجزيهم (ما كانوا بآياتنا) الدالة بالتحقيق على التنعيم والتعذيب الابديين (يجحدون و) لم يكن جحودهم لاشكال بقى عليهم بل والله (لقد جئناهم) من مقام عظمتنا (بكتاب) عظيم (فصلناه) بينا فيه الاعتقادات والاحكام والامور الاخروية تفصيلا مبينا (على علم) يقينى لكونه (هدى) باقامة الدلائل ورفع الشبه (ورحمة) تشير الى الامور الكشفية وهو نافع (لقوم يؤمنون) يفيدهم مالا يتناهى من الفوائد (هل ينظرون) بعد هذا الكتاب (الا تأويله) أى ما يؤل اليه أمره اظهور ما نطق به لكن لا يفيدهم ذلك الانتظار اليه لانه (يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه) أى تركوه ترك المنسى (من قبل) حين كان ينفعهم الذكر علما الآن انه (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أى بما هو واقع من الاعتقادات والوعد والوعيد (فهل لنا من شفعاء) أن يكونوا (فيشفعوا لنا أو) هل (نرد) الى مكان العمل (فنعمل غير الذى كنا نعمل) من الجحود واللهو واللعب وأعمال الدنيا قال عز وجل كيف يردون اليها وقد خسروها بحيث لا ترجع اليهم فكأنهم (قد خسروا أنفسهم و) من أين يكون لهم وقد (ضل عنهم ما كانوا يفترون) من أن معبوديهم شفعاؤهم عند الله فان زعموا انا لا ننتظر تأويله بل نراه محالا واقامة الادلة عليه كاقامتها على خلاف الضروريات اذ كثرت الادوار السماوية ولم نسمع تحقق تأويل الكتاب فيما مضى من الادوار فان صح فيما يستقبل فيبعد قلب الشقى سعيدا وبالعكس فان حصل فكيف تدوم السعادة والشقاوة مع تبدل الادوار قيل لهم (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض) فلا يبعد عليه ابطال هذه الادوار وخلق دور يخالفها اذ ليست قديمة ولا مخلوقة فى يوم واحد بل (فى ستة أيام) لترتب ما فيها بخلق الافلاك ثم الكواكب ثم العناصر ثم المعادن ثم النباتات ثم الحيوانات (ثم استوى على العرش) ليفيض عليها بواسطة الحركة اليومية وبهذه الحركة (يغشى الليل النهار) أى يجعل الليل ساتر النهار فلا يبعد منه جعل السعيد شقيا وبهذه الحركة (يطلبه) أى النهار بعد الليل (حثيثا) أى سريعا اذ الحركة الخاصة بطيئة فلا يبعد منه جعل الشقى سعيدا (و) لا يبعد عليه ادامة السعادة والشقاوة لانه خلق (الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) لا تأثير لها بأنفسها فلا أن يبطل ما أعطاها (ألا له الخلق والامر) فهو الذى خلقها وأمرها بالتأثير ولا يمتنع عليه شئ بواسطة تعويق من خلقه وأمره لانه (تبارك الله) أى تعاظم لانه (رب العالمين) وامتناع شئ عليه ينافى تلك العظمة والربوبية وكيف يترك الاسعاد والاشقاء الابديين وقد خلق ما خلق ليستدل به عليه فيعبد لكنه انما يعبد اذا علم انه يسعد العابد أبدا ويشقى التارك أبدا (ادعوا ربكم) اذ العبودية تقتضى التذلل فليكن دعاؤكم (تضرعا) أى تذللا (و) التذلل انما يتم بالاخلاص فليكن (خفية) لانه أقرب الى

جمعهم خلاف رسول الله) أى بعد رسول الله وكذلك قوله واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا أى بعدك (قوله تعالى خزى) أى هوان وخزى هلاك أيضا (قوله عز وجل خيفة) أى خوف (قوله عز وجل خلال الديار) أى بين الديار وخلال مخالة أيضا أى مصادقة كقوله لا بيع فيه ولا خلال وخلال السحاب وخلله واحد

الاخلاص وكيف تتركون دعاءه وهو تجاوز عن العبودية (انه لا يحب المعتدين) ثم ترك دعائه من قلة مبالاته به (و) هو يستلزم الافساد في الارض (لا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) على ألسنة الرسل (و) اذا عبدتم فلا تعجبوا فانه ينافي التذلل المطلوب منها بل خافوا التقصير (ادعوه خوفا و) لا تتركوا امن الخوف عبادته بل ادعوه (طمعا) في تكميلها بفضله ولا يبعد منه ان كنتم محسنين تعبدونه كأنكم ترونه (ان رحمت الله قريب من المحسنين و) كيف لا تقرب رحمته منهم والاحسان منشأ رياح المحبة التي اذا انتشرت فعمت أجزاء المحب حملت أوصاف المحبوب كأنها السحب الثقال بمياه الفيوض فساقتها الى من فني بالمحبة كأنه البلد الميت فأنزلت به الفيوض فاخرجت بها ثمرات العلوم والاحوال والمقامات فتقرب رحمته من المحسن كخطره واخراج الثمرات من البلد الميت مع انه لا فعل له أصلا من الاحسان وانشاء الرياح اذ (هو الذي يرسل الرياح بشرا) يعم الجوانب (بين يدي رحمته) أي المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه (حتى اذا أقلت) أي حملت (سحابا) ماقلا بالماء (ثقالا سقناه) مع أن طبعه الهبوط (لبلد ميت) قابل للحياة (فأنزلنا به الماء) لنحييه بالنبات (فاخرجنا به من كل) أنواع (الثمرات) وكما أعدنا الثمرة الى حالها بعد تلفها بالكلية (كذلك نخرج الموتى) فلا يبعد منا احياء من مات بالفناء فينا أن نحييه بالبقاء بنا (لعلكم تذكرون) من أحوال الثمرات أحوال الآخرة ومنها أحوال الحياة بالله من العبادة على نهج الاحسان (و) لا يلزم اطراد ذلك في حق كل عابد لانهم مختلفون اختلاف الاراضي المنبتة اذ (البلد الطيب) تربته (يخرج نباته) عزيز النفع لا بذاته بل (باذن ربه) أي بتيسيره (والذي خبث) كالحرة والسبخة (لا يخرج) نباته (الا نكدا) عديم النفع (كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون) المواهب بعد مكاسبهم فلا ينسبونها اليها بل الى فضل الله عليهم (لقد أرسلنا) ارسال الرياح لامطار الشرائع لاحياء موتى القلوب واخراج النبات الطيب حسنا والخبيث نكدا (نوحا) هو ابن لمك بن متوشلخ ابن اخنوخ هو ادريس عليهما السلام (الى قومه) الذين له عليهم شفقة (فقال يا قوم) الذين حقهم أن يشاركوني في كمالاتي (اعبدوا الله) لتكملوا بكمالاته التي يفيضها عليكم هو لا غيره فانه (ما لكم من اله غيره اني أخاف عليكم) ان تركتم عبادته أو عبدتم غيره (عذاب يوم عظيم) وصف بالعظمة لعظمة عذابه السالب للكمالات (قال الملأ) أي الاشراف (من قومه) من خبثهم الذي أمده شرفهم (انا لنراك) بأمرك بعبادة الله وترك عبادة غيره وتخويف العذاب على ترك عبادة الله وعلى عبادة غيره (في ضلال مبين) اذ تأمرنا بعبادة ما لا ندركه وترك عبادة ما ندركه وتعدنا الكمال في عبادة من لا ندركه والنقص في عبادة من ندركه وتعدنا العذاب العظيم الذي لم يحصل لاحد من آبائنا مع اصرارهم على مثل أفعالنا (قال يا قوم ليس بي ضلالة) أي شيء من الضلال فان المعبود يجب أن لا يدركه العابد اذ المدرك محاط به وهو قاصر والمعبود يجب أن يكون له الكمال المطلق والارواح التي لا ترى أكمل من الاجسام

الذي يخرج منه المطر (قوله عز وجل خطأ كبيرا) انما خطئا يقال خطئ وأخطأ واحد اذا أثم وأخطأ اذا فاته الصواب (قوله عز وجل خلفة) أي يخلف هذا هذا كقوله عز وجل جعل الليل والنهار خلفة أي اذا ذهب هذا جاء هذا كأنه يخلفه ويقال جعل الليل والنهار خلفة أي يخالف أحدهما صاحبه وقتا ولونا (قوله

والاعراض

والاعراض المرتبية والمعبود يجب أن يكون أكمل من الارواح ولست بوعد العذاب ضالا
(ولكنى رسول) والرسول لابد وأن يكون منذرا وقوعه ممكن لانه (من رب العالمين) ذى
العلم التام والقدرة التامة وانى فيه صادق لانى (أبلغكم رسالات ربى) فلا يكون خوارق
الاتصديقا لها (و) لو لم يدل خوارق على تصديقى لوجب عليكم قبول قولى لما علمتم انى (أنصح
لكم و) لو لم تعلموا نصحى لوجب عليكم قبوله لما علمتم أنى (أعلم) من الامور الغيبية التى يعلم
أنها لا تعلم الا بطريق الوحى (من الله مالا تعلمون أ) أنكرتم رسالتى (وعجبتم أن جاءكم ذكر)
أى موعظة (من ربكم) أى الذى رباكم بوجوه التربية وهذا أكملها لكن لم ينزله عليكم
لئلا يلجئكم الى الايمان أو لقصوركم بل (على رجل) كامل وان كان (منكم) لا لالجائه
الى الايمان اسبق ايمانه بل (لينذركم) عن العذاب (و) لو لم يكن عذاب لوجب أن ينذركم
النقائص (ولتتقوا) أى تحفظوا عن النقائص (و) لا ينحصر فى حقكم على التحفظ من
النقائص بل (لعلكم ترحمون) بافاضة الكمالات عليكم (فكذبوه) من خبثهم ونكادتهم
مع ظهور صدق هذه الكمالات لجئنا بالعذاب العام من الطوفان الذى هو مثال ما أنزل الله
عليهم من ماء الشرائع لما لم يشكروه جعل عذابا لهم (فأنجيناه والذين معه) ليدل على حقيتهم
وان كانوا (فى الفلك) اذ لا يبقى فى مثل ذلك الطوفان الا بطريق خرق العادة (وأغرقنا الذين
كذبوا بآياتنا) مع ظهورها لعماهم (انهم كانوا قوما عمين) فلم يستنيروا بنور الوحى الذى
هو كالشمس ولا بظهور الآيات ولا بآية الطوفان المغرق لهم بعد انذاره به على تكذيبهم
(و) أرسلنا ارسال الرياح للامطار (الى) بنى (عاد) هو ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح
(أخاهم) لانه أنصح لهم (هودا) هو ابن عبد الله بن رباح بن الجلود بن عاد وقيل هو ابن شالخ
ابن أرفخشذ بن سام بن نوح (قال ياقوم) الذين حقهم أن يكونوا مثلى (اعبدوا الله) ليفيض
عليكم الكمالات التى بها حياة قلوبكم اذ ليس لغيره ذلك فانه (مالكم من اله غيره) يفيض
عليكم شيأ (أ) تتركون عبادته وتعبدون غيره (فلا تتقون) أن يسلبكم الكمالات ويمنعكم
فيضان ما يحيى قلوبكم (قال الملأ الذين) غلب خبثهم حتى (كفروا) مع كونهم (من
قومه) لا كمرثد بن سعد (انا لنراك) متمكنا (فى سفاهة) أى خفة عقل حيث فارقت دين كمل
العقلاء (وانا) لو رأينا كمال عقلك ما اتبعناك أيضا فانا (لنظنك من الكاذبين) اذ يبعد أن
يرسل الله أحدا من أهل الارض اليهم (قال ياقوم ليس بى سفاهة) أى شئ منها اذ لم أفارق
العقلاء فى أمر الآخرة وان كانوا أعقل بأمور الدنيا ولست بسفيه بأمور الدنيا أيضا
(ولكنى) كامل العقل بأمور الدارين لانى (رسول من رب العالمين) لاصلاح أمر الدارين
لذلك (أبلغكم رسالات ربى) فى اصلاحهما (و) قد علمتم اصلاحى اذ (أنا لكم ناصح) أى مستمر
على النصح ولا مكر فى نصحى اذ علمتم أنى (أمين) أى مشهور بالامانة (أ) تظنون كذبى (وعجبتم
أن جاءكم ذكر) ما يذكركم الكمالات التى أودعها الله فى فطرتكم فأمكن اخراجها اخراج
الثمرات والنبات ولا يبعد لكونه (من ربكم) الذى رباكم بالكمالات الدنيوية فلا يبعد منه

عز وجل الخبء) أى الاختباء
(قوله عز وجل ختامه مسك) أى آخر طعمه وعاقبته اذا شرب أى يوجد فى آخره طعم المسك ورائحته يقال للعطار اذا اشترى منه الطيب اجعل خاتمه مسكا

(باب الدال المفتوحة)

(قوله عز وجل دابة) كل مايدب (قوله عز وجل دأب آل فرعون) أى عادة

أن يربيكم بالكمالات الاخروية ولم يفوض اخراجها الى رأيكم لاحتجابه بالامور الدنيوية فانزله (على رجل) كامل كشف له عنها وان كان (منكم لينذركم) بطلان مافى فطرتكم وهو يفسد عليكم أمر الدارين (واذكروا) عند انذارى بفساد أمر الدارين عذاب قوم نوح (اذ جعلكم خلفاء) أى بدلاء عنهم لكونكم (من بعد قوم نوح و) أنعم عليكم أكثر مما أنعم عليهم اذ (زادكم فى الخلق بسطة) أى قامة وقوة فلو عذبكم لكان أشد مما عذبهم فان لم تخافوا العذاب (فاذكروا آلاء الله) لتخصصوه بالعبادة (لعلكم تفلحون) باستدامتها واستزادتها (قالوا أجئتنا) رسولا من الله (لنعبد الله وحده) على ان الهيته كافية للمهمات كلها (ونذر ما كان يعبد آباؤنا) لتوقعهم حصول بعض المهمات منهم فان كنت رسولا بتخويف العذاب على ترك تخصيصه بالعبادة (فأتنا) الآن (بما تعدنا) يوم القيامة (ان كنت من الصادقين) فى أن الله يعذب يوم القيامة من لا يخصصه بالعبادة (قال قد وقع) أى نزل قبل القيامة (عليكم من ربكم) الذى رباكم بكفاية المهمات كلها فنسبتم بعضها الى غيره وكذبتم من أرسل اليكم مخوفا فاستعجلتم العذاب (رجس) أى عذاب يرتجس أى يضطرب بكم فلا يقركم على ما أنتم عليه من الكمال كيف (و) قد وقع عليكم منه (غضب) لرؤيتكم نقصه فى كفاية المهمات واشراككم معه من هو فى غاية النقص فى أعلى كمالاته التى هى الالهية (أتجادلوننى) من غاية خبثكم ونكادتكم (فى) مسميات (أسماء) ليس فيها معانيها التى وضعت لها لغة لكن (سميتموها أنتم وآباؤكم) بها على توهم معانيها فيها من غير دليل اذ (ما نزل الله بها من سلطان) أى دليل حسى ولا عقلى ولا نقلى ولا يتأخر ذلك الى مدة (فانتظروا) وقوعها عن قريب وليس ذلك بمجرد تخويف بل (انى معكم من المنتظرين) لجاء منتظرهم بحيث لا ينجو منه بمجرى العادة أحد وجعل من قبيل الريح التى تتقدم الامطار لكفرهم برياح الارسال (فأنجيناه والذين معه) على خرق العادة (برحمة منا) ليدل على رحمتنا عليهم فى الآخرة (و) قد دللنا على ان عذابهم للغضب عليهم الموجب لعذابهم فى الآخرة أنا (قطعنا دابر القوم الذين كذبوا بآياتنا) أى استأصلناهم وعذاب الابتلاء لا يكون بطريق الاستئصال (و) قطعنا أيضا دابر المترددين الذين (ما كانوا مؤمنين) لان التردد مع الظهور تكذيب (و) أرسلنا ارسال الرياح الممطرة للاحياء (الى) بنى (ثمود) هو ابن عابر بن ارم بن سام (أخاهم) لاهتمامه باحياء أمورهم واصلاحها (صالحا) هو ابن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حادر بن ثمود (قال ياقوم) الذين أحب حياتهم (اعبدوا الله) الذى يفيض عليكم الحياة لاستفاضة الحياة الابدية التى لا تحصل من غيره فانه (ما لكم من اله غيره) يفيض عليكم حياة فضلا عن الابدية (قد جاءتكم بينة) أى دلالة (من ربكم) على افاضة الحياة اذ أفاضها على الجمادات (هذه ناقة الله لكم آية) التى خلقها لكم آية بافاضة الحياة على صخرة فى الجبل

فصارت

آل فرعون (قوله عز وجل الجنة درجات عند الله) درجات أى منازل بعضها فوق بعض (قوله عز وجل الدرك الاسفل من النار) الدركات أى طبقات النار دركات بعضها دون بعض وقال ابن مسعود الدرك الاسفل توابيت من حديد مبهمة عليهم يعنى انها لا أبواب لها (قوله عز وجل دابر القوم) آخر القوم (قوله

فصارت حيوانا تأكل وتشرب (فذروها تأكل) عشبا (فى أرض الله) التى لا يملكها غيره فيكون له منعها من الاكل فيها (ولا تمسوها بسوء) فضلا عن قتلها اذا تأذت منها دوابكم (فيأخذكم) بدل أذية دوابكم (عذاب أليم) فى الدارين لجراءتكم على آيات الله بابطالها (واذكروا) افاضة الحياة الدنيوية عليكم لترجوا الحياة الاخروية منه (اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد و) لو لم ترجوها لوجب عليكم شكره اذ (بوأكم) أى قرركم (فى الارض) أى الحجر (تتخذون من سهولها) أى مما تأخذون من سهولها من اللبن والآجر (قصورا) تبنونها فى السهول لتسكنوها أيام الصيف (وتنحتون) أى تشقون الارض من كونها (الجبال) لتصير (بيوتا) لتسكنوها أيام الشتاء (فاذكروا آلاء الله) لتصرفوها الى ما خلقها الاجله (و) أقل ما يجب فيها ان (لا تعثوا) أى لا تفسدوا فسادا عمدا (فى الارض) بالاضلال حال كونكم (مفسدين) على أنفسكم أموركم بالضلال (قال الملأ) أى الاشراف لانهم (الذين استكبروا) عن الايمان بعد ظهور آية الناقة والكلمات الناصحة مع كونهم (من قومه) الذين عرفوا صدقه وأمانته من غاية خبثهم ونكادتهم (للذين استضعفوا) فلم يكن لهم استكبار يمنعهم من الانقياد (لمن آمن منهم) لا لمن كان من اتباعهم (أتعلمون) من آية الناقة ومن الكلمات الناصحة (أن صالحا مرسل) كأنه جاء (من) عند (ربه) أم آمنتم به نقا فالمطامع تحصل منه (قالوا) علمنا ذلك فصدقناه فى جميع ما أوفى به (انا بما أرسل به) وان كان فيه ما لا يصل اليه عقولنا (مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به) أى بجميع ما آمنتم به من رسالته ورسالة غيره وان كان فيها ما هو أوضح من الشمس (كافرون) فأنكروا آية الناقة وكذبوه فى اصابة العذاب عن مسها بالسوء (فعقروا الناقة) أى عقر بعضهم برضا الباقين (وعتوا) أى استكبروا (عن أمر ربهم) بعبادته وحده ايتم لهم بذلك كفرهم (و) زادوا الاستهزاء بصالح حتى (قالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا) على عقر الناقة (ان كنت من المرسلين) فان الله ينصر رسله على أعدائه (فأخذتهم الرجفة) أى الصيحة التى يحصل منها الزلزلة الشديدة بدل صوت الناقة عند عقرها وبدل حركتها عند نزع الروح (فأصبحوا فى دارهم) اى مكانهم (جاثمين) أى ساقطين على وجوههم ميتين بدل موت الناقة وسقوطها والصيحة والزلزلة من آثار الريح المرسلة التى كانت رحمة فانقلبت عذابا (فتولى) أى فاعرض (عنهم) صالح فلم يشفع لهم (وقال) فى الاعتذار (يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى) المتضمنة لعفو يف العذاب عنه (و) لم تنفعن الضر ولكم اذ (نصحت لكم) فأمرتكم بكل خير ونهيتكم عن كل شر (ولكن) كرهتموه لانكم (لا تحبون الناصحين) من الرسل والانبياء والعلماء لظنكم أهويتكم (و) أرسلنا ارسال الرياح للامطار (لوطا) هو ابن هاران أخى ابراهيم عليه السلام هاجر معه من بابل فنزل ابراهيم بفلسطين ولوط بالاردن فبعثه الله تعالى الى أهل سدوم لاحيائهم بابقاء نسلهم (اذ قال لقومه) الذين بعث اليهم فأحب

عز وجل دلا همايغرور) يقال اكل من ألقى انسانا فى بلية قد دلاه بغرور (قوله عز وجل دكا) أى مدكوكا يعنى مستويا مع وجه الارض ويقال ناقة دكاء وهى المفترشة السنام فى ظهرها والجبوبة السنام * وأرض دكاء أى ملساء (قوله عز وجل ودرسوا ما فيه) أى قرؤا ما فيه (وقوله عز وجل وليقولوا درست) أى قرأت ودارست

حياتهم كانه أخوهم (أتأتون الفاحشة) أى الفعلة المتناهية غاية القبح سابقين لها لانه (ما سبقكم بها من أحد من) الحيوانات فى (العالمين) فيكون لكم وزرها ووزر من عملها بعدكم (انكم) مع كونكم عقلاء (لتأتون الرجال) الذين خلقهم الله ليأتوا النساء لا ليأتيهم الرجال (شهوة) مجردة عن الحرث (من دون النساء) أى مجاوزين عن مؤاتاة النساء وليس مقصود كم قضاء الشهوة لانقضائها بالنساء مع افادته النسل وان لم يقصد (بل أنتم قوم مسرفون) أى مجاوزون الحد فى كل باب (وما كان جواب قومه) فى مقابلة نصحه (الا أن قالوا اخرجوهم) أى لوطا والمؤمنين (من قريتكم) معللين بما يوجب تقريرهم مع توقيرهم وهو قولهم (انهم أناس يتطهرون) أى يبالغون فى الطهارة فيحترزون من مواضع النجاسة فأخذوا الخبثهم ونكادتهم (فأنجيناه وأهله) لطيبهم (الا امرأته) لم ننجها لخبثها لذلك أمرناهم بالخروج دونها حتى (كانت من الغابرين) أى الباقين فى دورهم فأصابها ما أصابهم (و) هو أنا (أمطرنا عليهم مطرا) أى نوعا من المطر غير متعارف ولكفرهم بمطر الشرائع المحيى بابقاء النسل وغيره فانقلب عليهم فى صورة العقاب (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) كيف ينقلب عليهم نعم الله عند كفرهم بها نقما (و) أرسلنا ارسال الرياح للامطار للاحياء (الى) بنى (مدين) هو ابن ابراهيم (أخاهم) المحب كمالهم دينا ودنيا (شعيبا) هو ابن نوبة بن مدين أو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين أو ابن شيرون بن نويب بن مدين لتقويم حياتهم الاخروية والدنيوية اذ (قال يا قوم) الذين أحب كمال حياة دينهم ودنياهم (اعبدوا الله) ليحييكم بحياته الابدية التى لا تحصل من غيره لانه (مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة) على تلك الحياة (من ربكم) الذى رباكم لتعبدوه فيربيكم بها وهى تختل باختلال الحياة الدنيوية التى هى مزرعتها (فأوفوا) للناس (الكيل والميزان) لتوفى لكم فوائد تلك الحياة (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) بأخذ المكس والسرقة ونقص القيمة فانها كالنقص فى حياتهم المستلزم للنقص فى ذواتهم فيستلزم النقص فى حياتكم الاخروية المستلزمة للنقص فى ذواتكم (و) كيف لا وهو افساد فى المزرعة (لا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها) بوضع الكيل والوزن والحدود والاحكام (ذلكم) وان رأيتموه ضررا (خير لكم) فى الحال لتوجه الناس اليكم والمآل (ان كنتم مؤمنين) بان الله يكمل لمن كمل حكمته ما نقص من جهة بجهات أخر ولا أقل من تكميل الجهة الاخروية (و) لكنه مختص بمن يسلك سبيله وانتم لا تسلكونه بل تقعدون عنه (لا تقعدوا بكل صراط توعدون) أى تخوفون الناس من سلوكه (وتصدون) أى تمنعون السالكين (عن سبيل الله) ان يبلغوا المنتهى لانكم تمنعون (من آمن به) ان يستمر على ايمانه كيف (و) لا تتركونها بحالها بل (تبغونها) أى تطلبون تغييرها لتوقعوا فيها بالقاء الشبهات (عوجا) فهذا عناد منكم مع الله (و) تعتمدون فى معاندته على كثرتكم

أى قارأت أى قرأت وقرئ عليك ودرست قرئت وتعلمت ودرست أى درست هذه الاخبار التى تأتينا بها أى امحت وذهبت وقد كان يحدث بها (قوله دار السلام) عز وجل دار السلام الله * يعنى الجنة والسلام الله عز وجل وقيل دار السلام دار السلامة (دوائر) الزمان صروفه التى تأتى مرة بخير ومرة بشر يعنى ما أحاط بالانسان منه

مع انه موجب للشكر (اذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم) بالعدد والعدد (و) لاتنظروا الى قوتكم وكثرتكم فى الحال بل (انظروا كيف كان عاقبة المفسدين) مع كثرتهم وقوتهم (و) لاتعتقدوا انكم مصلحون بكل حال بل (ان) اى انه (كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به) ليكونوا مصلحين به (وطائفة لم يؤمنوا) زاعمين انهم الباقون على الاصلاح (فاصبروا) عن الجزم باصلاح من لا يؤمن (حتى يحكم الله) فيفرق (بيننا) بنصر المحقين واهلاك المبطلين (وهو خير الحاكمين) فلا يعكس الامر (قال الملأ الذين استكبروا من قومه) لا حاجة الى الصبر بل قد حكم الله اذ جعل لنا الغلبة عليكم وأعطانا القدرة على اخراجكم وتحويلكم الى الكفر (لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن) الى ترك دعوى الرسالة والاقرار بها داخلين (فى ملتنا) ملة المشركين (قال أ) تجعلوننا فى ملتكم (ولو كنا كارهين) لها مع انه لا فائدة فى الاكراه لان دينكم ان كان حقا لم نكن بالاكراه منقادين له وان كان باطلا لم نكن بالاكراه متصفين به لانه بالحقيقة صفة القلب ولا يسرى اكراهكم اليه وكيف لا نكرهه وهو يستلزم غاية القبح والظلم (قد افترينا على الله كذبا) بأن له شريكا (ان عدنا) الى ترك دعوى الرسالة والاقرار بها لندخل (فى ملتكم) القائلة بأن له شريكا (بعد اذ نجانا الله منها) فأرانا انه كالانجاء من النار (وما يكون لنا أن نعود) عن دعوى الرسالة والاقرار بها فنصير (فيها الا أن يشاء الله ربنا) الذى يربينا بما علم من استعدادنا لانه (وسع ربنا كل شىء علما) فعلم كل استعداد كل واحد فى كل وقت لكن (على الله توكلنا) ليحفظنا عن المصير اليها (ربنا) ان قصدوا اكراهنا عليها أو اخراجنا من قريتهم (افتح بيننا وبين قومنا بالحق) فغلبنا عليهم (وأنت خير الفاتحين) فلا تغلب الظالمين وان كثروا على المظلومين اذا استفتحوك (وقال الملأ الذين كفروا من قومه) عند يأسهم عن مغالبة شعيب وقومه حتى خافوا على من بقى على الكفران يلحقوا به (لئن اتبعتم شعيبا) فاقل ما فيه من الضرر والخسران (انكم اذا لخاسرون) بفوات زوائد الكيل والميزان فهذا القدر كاف فى الفتح لتمييزه بين الخاسر وغيره فأتاهم الله بالفتح الحقيقى (فأخذتهم الرجفة) أى الصيحة مع الزلزلة (فأصبحوا فى دارهم جاثمين) أى ساقطين ميتين لا ينتفعون برؤس أموالهم ولا بزوائدها بل (الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها) استأصلناهم كأنهم لم يقيموا بها بل (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) حياتهم التى بها الانتفاع بكل نافع (فتولى عنهم) أى فاعرض عن شفاعتهم والحزن عليهم (وقال) فى الاعتذار (يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت) بما يفيد (لكم) ربح الدارين ويمنعكم خسرانهما لكنكم كفرتم (فكيف آسى) أى أحزن (على قوم كافرين) فضلا عن ان أشتغل بشفاعتهم ثم أشار الى ان خسران الامم الهالكة لم يكن عن عدم التفاتهم لمجرد الاعلام القولى بل كان مع الاعلام الفعلى أيضا

(قوله عز وجل عليهم دائرة السوء) أى عليهم يدور من الدهر ما يسوءهم (قوله تعالى دعواهم فيها) أى دعاؤهم أى قولهم وكلامهم والدعوى الادعاء (قوله عز وجل دأبا) جدا فى الزراعة ومتابعة أى تدأبون دأبا والدأب الملازمة للشئ والعادة (قوله عز وجل داخرون) صاغرون أذلاء (قوله عز وجل دخلا بينكم) أى دغلا وخيانة (قوله عز

فقال (وما أرسلنا فى قرية) من القرى (من نبى الا أخذنا) قبل الاهلاك الكلى (أهلها بالبأساء والضراء) أى الشدة والمرض بحيث يرجى تضرعهم (لعلهم يضرعون) أى يتذللون فيتركون التكبر (ثم) لما أصروا على التكبر أنعمنا عليهم مكرا بهم حتى (بدلنا مكان السيئة) أى الشدة والمرض (الحسنة) أى السعة والسلامة (حتى عفوا) أى كثروا عددا وعددا (وقالوا) لم يكن مس البأساء والضراء تصديقا لوعد الرسل بل هو مثل ما (قد مس آباءنا) الذين لم يأتهم الرسل (الضراء والسراء) احيانا ثم زال عنهم فازدادوا كفرا بعد الاعلام القولى والفعلى (فأخذناهم بغتة) اذ لم يفدهم الاعلام القولى والفعلى وليس المراد عدم ما يفيدهم اليقين بل أخذوا (وهم لا يشعرون) به بوجه من الوجوه (و) لم تكن هذه المؤاخذة الا لخبثهم فانه (لو أن أهل القرى) طابوا اعتقادا وعملا بأن (آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم) بدل الفتح بالعذاب (بركات) نازلة (من السماء و) نابتة من (الارض) ليخرج نباتهم طيبا باذن ربهم (ولكن) خبثوا اذ (كذبوا) فلم يخرج الا نكدا ففتحنا عليهم العذاب (فأخذناهم بما كانوا يكسبون أ) جهل أهل القرى هذه السنة الالهية فى القرى الهالكة (فأمن أهل القرى) مكة وما حولها (أن يأتيهم بأسنا بياتا) أى ليلا (وهم نائمون) أى حال كمال الغفلة التى لا يرتفع حجابها بالانتباه (أ) أمنوا من ذلك (وأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى) وقت غاية الظهور والانكشاف (وهم) غافلون عنه مع غاية ظهوره اذ (يلعبون أ) أمنوا ذلك كله (فأمنوا مكر الله) وهو أخذه العبد من حيث لا يحتسب (فلا يأمن مكر الله) مع كثرة ما رأى من أخذه العباد من حيث لا يحتسبون (الا القوم الخاسرون) عقولهم فصار والخاسرين انسانيتهم بل أخس من البهائم (أ) أمنوا المكر (ولم يهد) أخذنا للامم الماضية بذنوبهم (للذين يرثون الارض من بعد أهلها) المأخوذين (أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) كما أصبنا الموروث منهم نعم نهديهم بالبيان (ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون) البيان مع انه واجب السماع اذ (تلك القرى نقص) مع ظهور صدقنا (عليك) أى أيها الصادق بعضا (من أنبائها) مما يدل على مؤاخذتهم بذنوبهم لاصرارهم عليها بعد التنبيه (و) ذلك لانهم (لقد جاءتهم رسلهم بالبينات) يدعونهم الى ما يزيلونها (فما) أزالوا أعظمها الا نهم ما (كانوا ليؤمنوا) بعد مجيئهم بالدلائل القاطعة (بما كذبوا) به (من قبل) أى من قبل مجيئهم بها بل استوت عليهم الحالتان لم يؤثر فيهم دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة لما طبع الله على قلوبهم (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر لنكادة أرضهم وخبثها (و) لذلك لو عاهدوا أن يؤمنوا عند آية مقترحة أو بلية منزلة لم يؤمنوا عندها بل (ما وجدنا لأكثرهم من عهد) فى باب الايمان ولا غيره (وان) أى وانه (وجدنا أكثرهم لفاسقين) أى خارجين عن قواعد العقل والعدل فلذلك أخذناهم وقد وجد مثل فعلهم فى هؤلاء فيخاف عليهم مثل ما جرى على أولئك (ثم) لم ينقطع منا ارسال الرسل كالرياح

وجل دركا) لحاقا كقوله لا تخاف دركا ولا تخشى (قوله عز وجل داحضة) أى باطلة زائلة وكذلك قوله عز وجل ليدحضوا به الحق أى ليزيلوا به الحق ويذهبوا به ودحض هو أى زال ويقال مكان دحض أى مزل مزلق لا تثبت فيه قدم ولا حافر (الدهر) مرور السنين والايام (قوله عز وجل ديارا) أى أحدا ولا يستعمل

المطرة

المطرة للاحياء فان طابوا فضنا عليهم البركات والا الهلاك لذلك (بعثنا من بعدهم) أى بعد اهلاك أقوام الانبياء المذكورين الذين لم يكونوا ليؤمنوا وان عهدوا به لضرورة (موسى بآياتنا) المنسوبة الى عظمتنا مما يدل على عظم فيضنا عليه (الى فرعون وملائه) الذين هم كالبلد الخبيث لايخرج عنهم نبات الايمان وان عهدوا به مرارا (فظلموا بها) اذ جعلوا ماهو سبب الاصلاح سبب الافساد وهو السحر افساد العقائد الخلق من غاية خبثهم (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) أفسد الله عليهم ملكهم وآتاه أعداءهم (وقال موسى) دفعا لافسادهم فيها ببيان كونها دلائل الصدق لظهورها على يدى الصادق (يافرعون) أى يا ملك مصر الذى لا يقدر أحد أن يكذب عنده سيما بما يبطل دعواه (انى رسول من رب العالمين) على انى لو لم أخف أحدا (حقيق) أى جدير بمراعات من حالى الاستقرار (على أن لا أقول على الله الا الحق) وقد دلت الآيات على حقيقى لانه (قد جئتكم ببينة) أى آية شهد على حقيقى بحيث يعلم بالضرورة انها (من ربكم) الذى رباكم بالبينة وكيف لا يرسل عليك وقد تملكت عليه خواص عباده (فأرسل معى بنى اسرائيل قال) لا نعلم استقرارك على صدقك بعدما غبت عنا هذه المدة المديدة لكن (ان كنت جئت بآية) تدل على صدقك (فأت بها ان كنت من الصادقين) باقيا على ماعرفت منك (فألقى عصاه) التى هى جماد (فاذا هى) من غير سترة ومعالجة سبب (ثعبان) أى حية كبيرة فاضت عليه الحياة لتدل على فيضان الحياة العظيمة على يديه (مبين) اى ظاهر لا متخيل وكانت فى الصورة عظيمة الجثة بين لحييها ثمانون ذراعا وضع لحيها الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه الى فرعون فهرب وصاح ياموسى أنشدك بالذى أرسلك خذه وأنا أومن بك وأرسل معك بنى اسرائيل فأخذها موسى فعادت عصا ثم قال فرعون هل لك آية أخرى قال نعم (و) ادخل يده فى جيبه ثم (نزع يده) من جيبه (فاذا هى بيضاء) يغلب شعاعها الشمس (للناظرين) من غير برص فيها ليدل على انه يظهر على يديه شرائع تغلب أنوارها المعنوية الانوار الحسية ويتقوى بها الحياة بالله (قال الملأ) أى الاشراف الذين يكرهون شرف الغير عليهم سيما من جهة كونهم (من قوم فرعون) الذين على دين ملكهم فى التكبر لدفع آياته الظاهرة عن خواطر الخلق (ان هذا الساحر عليم) ماهر ببابه ولا يقتصر على دعوى الرسالة بل (يريد أن يخرجكم من أرضكم) بسحره ليتملك عليها فقال لهم فرعون (فماذا تأمرون) أى تشيرون اشارة لا أخالفكم فيها كما لا يخالف المأمور الآمر المطاع (قالوا أرجه وأخاه) أى أخر أمرهما لئلا تنسب الى الظلم الصريح المنافى لدعوى الالهية (وارسل فى المدائن) أى مدائن الصعيد من نواحى مصر شرطا (حاشرين) من فيها من السحرة اليك (يأتوك بكل ساحر عليم) ماهر فى باب السحر ليجتمعوا على مغالبتهما فحشروهم (وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا) على دفع العدو من ملكك (لأجرا) مثل أجر العسكر الكبير اذا غلبوا فتحصل لهم الغنائم وتعطيهم وراء ما من عندك (ان كنا نحن الغالبين قال نعم) لكم ذلك الاجر

به الا فى الجسد يقال ما فى
الدار أحد ولا ديار (دبر)
أى دبر الليل النهار اذا جاء
خلفه وادبر أى ولى (قوله
عز وجل دحاها) أى بسطها
(قوله عز وجل دساها)
أى دسى نفسه أى أخفاها
بالفجور والمعاصى الاصل
دسسها فقلبت احدى
السينين ياء كما قيل تظنيت
والاصل تظننت (قال أبو
عمر سئل عن هذا ثعلب
وأنا أسمع فقال دس نفسه

(و) تزيدون عليهم بزيادة عظيمة (انكم لمن المقربين) الذين يحصل لهم ما لا يحصل للعسكر
اذا غنموا (قالوا ياموسى اما أن تلقى) أولا (واما أن نكون) بالقائنا أولا (نحن الملقين) دونك
فاما اذا ألقينا تحيرت فلا يتأتى لك الالقاء (قال) بل (ألقوا) فانى لا أبالى لكم (فلما ألقوا
سحروا أعين الناس) خيلوا لها ما ليس فى الواقع (واسترهبوهم) أى وخوفوهم انه لا يمكن
لموسى معارضتهم (و) ذلك لانهم (جاؤا بسحر عظيم) فوق ما يتعارف من السحرة اذ القوا
حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملأت الوادى وركب بعضها بعضا (وأوحينا)
لدفع ذلك السحر الذى لا يمكن معارضته بسحر آخر (الى موسى) الذى قصدوا مغالبته
آمرين له (أن ألق عصاك) التى أعطيت الحياة الحقيقية لابطال وجود ما خيلوا فيه الحياة
بالقاء (فاذا هى تلقف) أى تبتلع (ما يأفكون) أى يصرفونه من الجمادية الحقيقية الى
الحيوانية التخييلية (فوقع الحق) أى ثبت الاعجاز (وبطل ما كانوا يعملون) لابطال
الاعجاز (فغلبوا) أى فرعون وقومه (هنالك) أى فى مكان الموعد الذى اجتمع فيه أهل
مملكته بدعوته لظنه غلبة السحرة (وانقلبوا) أى رجعوا الى أهلهم ليأسهم عن الغلبة
مرة أخرى (صاغرين) أى ذليلين بعد ما خرجوا متكبرين بوهم الغلبة (و) قد ذل أكثر
منهم من اراد التكبر بهم اذ (ألقى السحرة) على نهج الاضطرار (ساجدين) اذ قالوا حين
لم يجدوا حبالهم وعصيهم لو كان سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فحصلت لهم الحياة الابدية اذ
(قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) لا فرعون الزاعم أنا ربكم الاعلى فظهر كونهم
كالبلد الطيب (قال فرعون) من غلبة الخبث عليه (آمنتم به) أى برب موسى وهرون
(قبل أن آذن لكم) مع انى الهكم وأنتم عبيدى فليس لكم ان تؤمنوا باله آخر بغير اذنى
وليس هذا غلبة موسى بالحقيقة بل (ان هذا) الصنع (لمكر) أى حيلة (مكرتموه) أى
دبرتموه أنتم وموسى (فى المدينة) فى مصر قبل الخروج للميعاد (لتخرجوا منها أهلها)
ليحصل لكم ملكها (فسوف تعلمون) عاقبة فعلكم الغدر على المملكة (لأقطعن أيديكم
وأرجلكم من خلاف) أى جانبين مختلفين (ثم لأصلبنكم أجمعين) كما يفعل بمن قصد
الملك (قالوا) ان الذى تهددنا به هو الذى يقربنا الى من آمنا به (انا الى ربنا منقلبون)
فيحيينا بحياة خير من الحياة الدنيوية (و) ما قصدنا الملك بل (ما تنقم) أى تنكر (منا
الا أن آمنا بآيات ربنا) لا بطريق السماع من الغير بل بطريق المشاهدة (لما جاءتنا ربنا)
اجعل لكون ايماننا حقيقيا ليتبعنا الناس فيه آية (أفرغ) أى افض (علينا صبرا) يغمرنا
(و) لا تغيرنا بالانتقام أو بشبهة أخرى عن الاسلام بل (توفنا مسلمين وقال الملأ من قوم
فرعون) خوفا من انقلاب الخلائق عليهم حين رؤا السحرة يتحملون الشدائد من أجله
(أتذر) أتترك (موسى وقومه) احياء (ليفسدوا فى الارض) أى فى أرض مملكتك بتغيير
الناس عنك (ويذرك وآلهتك) أى ويترك كل أحد عبادتك وعبادة آلهتك التى أمرت

فى الصالحين وليس منهم

(قوله عز وجل دمدم عليهم
ربهم) أى أرجف بهم
الارض أى حركها فسواها
عليهم وقيل فسواها
فسوى الامة بانزال العذاب
بصغيرها وكبيرها بمعنى
سوى بينهم

(باب الدال المضمومة)

(قوله عز وجل دلوك
الشمس) ميلها وهو من عند

ان تعبد على انك ربها وربهم فأنت ربهم الاعلى (قال) انا وان تركناهم لئلا يقال عجزنا عن
محاجتهم لا نمكن أحدا من موافقتهم (سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم) فيخاف من
يوافقهم من ذلك وان لم يبال لنفسه (و) ان تحملوا ذلك فلا نبالى لهم (انا فوقهم قاهرون)
نقهر كل من وافقهم (قال موسى لقومه) الذين قيل لهم هذا الكلام (استعينوا بالله) على
دفع ما أرادوا (و) ان لم تعانوا (اصبروا) على الاسلام فلا تضيعوه للامور الدنيئة مع انها
أيضا لله فله ان يعطيكم كما أعطاهم اياها (ان الارض لله يورثها) أى يعطيها واحدا بعد آخر
(من يشاء) من صالح وطالح لكونهم (من عباده) فله ان يجعلها مزرعة للبعض وجنة على
البعض (و) هو وان أعطاها بعض الطالحين فغلبوا على المتقين حينا لكن (العاقبة للمتقين)
(قالوا) لم يبق فينا الصبر اذ طالت الاذية علينا اذ (أوذينا) بقتل الابناء واستحياء النساء (من
قبل أن تأتينا) لئلا نخالف (ومن بعد ما جئتنا) لئلا نتبع (قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم)
أى قرب رجاء ان يهلك ربكم عدوكم البالغين فى اهلاك أوليائه (و) رجاء ان يفعل
ما هو أشد عليهم وأنفع لكم وهو ان (يستخلفكم فى الارض) اقامة لاوليائه مكان
اعدائه والولاية والعداوة بحسب الاعمال (فينظر كيف تعملون) امثال اعمال الاولياء
او الاعداء ثم أشار الى انه وان قرب اهلاك الاعداء فلم يهلكهم بغتة بل قدم لهم ما ينذرهم
عنه فقال (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) أى بقطع المزارع سنين (ونقص من الثمرات
لعلهم يذكرون) انه بكفرهم الذى يوعدون عليه ما هو أشد من ذلك وأقل ما فيه التشاؤم
بالكفر لكنهم لغاية خبثهم عكسوا الامر (فاذا جاءتهم الحسنة) أى السعة والخصب أورد
معها اذا والماضى لكثرتها فلا شك فى وقوعها (قالوا لنا هذه) أى نحن مختصون باستحقاقها
(وان تصبهم سيئة) أى جدب وبلاء أورد فيها ان والمضارع لندورها فهى كالمشكوك فى
وقوعها (يطيروا) أى يتشاءموا (بموسى ومن معه ألا انما طائرهم) أى شؤمهم كفرهم
ومعاصيهم فانها أسباب الآفات (عند الله) لجريان سنته بافاضتها عندها (ولكن أكثرهم
لا يعلمون) فرأوا الشؤم الاتيان بالآيات أو متابعتها لكونها سحرا اتفق على شؤميته
(و) لذلك (قالوا مهما) أى أى شئ (تأتنا به من آية) فى زعمك وهى سحر فى الواقع (لتسحرنا)
أى لتصرع عقولنا (بها) فيشتبه الامر علينا (فما نحن لك بمؤمنين) فلم نأتهم بعض الآيات
بل بآيات تتضمن البليات التى تكاد تلجئ الى الايمان (فأرسلنا عليهم الطوفان) أى ما طاف
بأماكنهم ودخل بيوتهم فقاموا فيه الى تراقيهم ولم يدخل بيوت بنى اسرائيل المشتبكة
ببيوتهم قطرة ماء فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا فنؤمن بك فكشف عنهم ونبت لهم
من الكلاء والزرع ما لم يعهد فنكثوا (و) أرسلنا عليهم (الجراد) فأكلت الزرع والثمار
ثم أخذت تأكل السقوف والابواب والثياب ففزعوا اليه فخرجوا الى الصحراء فأشار
بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحى فنكثوا (و) أرسلنا عليهم (القمل)
أكلت البقية ووقعت فى الاطعمة ودخلت بين أثوابهم وجلودهم فقصها ففزعوا اليه

زوالها الى ان تغيب يقال
دلكت الشمس اذا مالت
(قوله تعالى درى) مضىء
منسوب الى الدر فى ضيائه
وان كان الكوكب أكبر
ضوأ من الدر ولكنه
يفضل الكواكب بضيائه
كما يفضل الدر سائر الحب
ودرى بالهمزة بمعنى درى
وكسر أوله حملا على وسطه
وآخره ولانه يثقل عليهم

فكشف فقالوا لقد تحققنا الآن انك ساحر (و) أرسلنا عليهم (الضفادع) بحيث لا يكشف طعام الا وجدت فيه وكانت تملأ مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي وأفواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فأخذ عليهم العهود فدعا فكشف عنهم فنكثوا (و) أرسلنا عليهم (الدم) فصارت مياههم دما حتى كان القبطي والاسرائيلي يجتمعان على اناء فيصير مايلي القبطي دما ومايلي الاسرائيلي ماء ويمص القبطي من فم الاسرائيلي فيصير في فمه دما أرسل الله عليهم هذه البليات حال كونها (آيات مفصلات) فصل في الابتلاء بها بين طائفتين عظيمتين من المحقين والمبطلين ولا يتأتى مثل ذلك في السحر وكانت من حيث لا يشك عاقل في انها من الله لكن لم ينقادوا لها (فاستكبروا) لا وجه لاستكبارهم سوى أنهم (كانوا قوما مجرمين) ومن مبالغتهم في الجرم اخلافهم وعد الايمان الذي وعدوه عند الاضطرار (و) ذلك انهم (لما وقع عليهم الرجز) أي العذاب في ضمن هذه الآيات (قالوا ياموسى ادع لنا ربك) الذي رباك فأعطاك هذه الآيات (بما عهد عندك) من قبول دعوتك (لئن كشفت عنا الرجز) بدعائك (لنؤمنن) منقادين (لك ولنرسلن معك بني اسرائيل) الذين أرسلت لطلبهم (فلما كشفنا عنهم الرجز) لادائما بل (الى أجل هم بالغوه) ليتأملوا فيه اذ لا يتأتى مع الاضطرار (اذاهم ينكثون) أي يفاجؤن النكث من غير تأمل (فانتقمنا منهم) أي قصدنا تعذيبهم على الابد (فأغرقناهم في اليم) أي البحر العميق اذ غرقوا في بحر الكفر (بأنهم كذبوا بآياتنا) التي هي بحار أنوار الهداية فتكذيبها غرق في بحار الضلالة (و) يكفي في غرق بحارها انهم (كانوا عنها غافلين و) أغرقنا معهم جاههم الذي آثروه على حياتهم اذ (أورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) بالاستعباد وقتل الابناء واستحياء النساء (مشارق الارض) أي أرض مصر (ومغاربها) وهي الشام (التي باركنا فيها) بالخصب وسعة العيش فحصل لهم الجاه والمال من غير تعب زيادة في التقوية بدل التضعيف (وتمت كلمت ربك الحسنى) وهي قوله ونريد ان نمن الى قوله يحذرون (على بني اسرائيل بما صبروا) على الايمان في تلك الشدائد فظهر واظهورا كليا (و) لم يبق لاعدائهم شيء من الظهور اذ (دمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه) من الصنائع اللطيفة التي يبقى بها اسمهم (وما كانوا يعرشون) أي يرفعون بناءه كصرح هامان مما كانوا يذكرون به عن بعد ثم أشار الى أنهم مع تمام المحاسن لهم ظهرت قبائحهم في ابتداء زوال ضعفهم وهو بمجاوزة البحر اذ تغيرت قلوبهم بمجرد رؤية الاصنام فقال (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر) الذي أغرق فيه أعداؤهم أرادوا الغرق في بحر كفرهم (فأتوا على قوم يعكفون) أي يقيمون (على) عبادة (أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا الها) أي مثالا واحدا كائنا لله تعالى نعبده فنتقرب به اليه (كما لهم آلهة) أي أمثلة مختلفة لاسمائه أشركوا الكثرتها ونحن نبقى على التوحيد لوحدته (قال انكم قوم تجهلون) يتجدد جهلكم كل حين (ان هؤلاء) وان اتخذوا أمثال اسمائه فلا يتم فيها التمثيل لانه (متبر) أي مكسر (ماهم فيه) أي في عبادته لكونه حادثا وأسماؤه تعالى قديمة (و) لا لظهور

لاالهيته

ضمة بعدها كسرة وياء وكما قالوا كرسي للكرسي ودري منهم وزنه فعيل من الصوم الدراري التي تدرأ أي تحط وتسير متدافعة يقال درأ الكوكب اذا تدافع منقضا فتضاعف نوره ويقال تدارأ الرجلان اذا تدافعا ولا يجوز ان تضم الدال وتهمز لانه ليس في الكلام فعيل ومثال دري فعلي منسوب الى الدر ويجوز دري بغير

لالهيته فيها لانه (باطل ما كانوا يعملون) لانه صدر من باطل فأنى يكون الها واجب الوجود الحق من كل وجه فكأنهم قالوا المثال لايجب أن يكون كالممثل من جميع الوجوه (قال) الظاهر فى المظاهر ليس مثالا للوجوب كونه قريبا من الممثل والظاهر فى المظاهر فى غاية البعد منه فهو أولى باسم الغير (أغير الله أبغيكم الها و) لم يجعله مظهرا كاملا وانما المظاهر الكاملة أنتم اذ (هو فضلكم على العالمين) فلو صحت عبادة المظاهر فحق الغير أن يكون عابدا لكم لامعبودا ثم انهم انما تعبد لتشفع (و) لكن لاتحتاجون الى شفاعتها اذكروا (اذ أنجيناكم) بدون شفاعتها (من آل فرعون يسومونكم) يقصدونكم (سوء العذاب) الذى غايته أنهم كانوا (يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم) ليكون نسلكم منهن كفارا مثلهم (وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) نجاكم عنه من غير شفاعة أحد ثم أشار الى أن ذلك انما كان لافراط خبث أنفسهم اذ لم يزكوها والنفس تحتاج اليها حتى ان موسى عليه السلام مع جلالة شأنه احتاج اليها فى استنزال الكتاب الذى وعد بنى اسرائيل بمصر أن يأتيهم به بعد مهلك فرعون فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك سأل ربه فأمره أن يصوم ثلاثين من ذى القعدة فلما أتم نكر خلوف فمه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله أن يزيد عليها عشرا من ذى الحجة فقال (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) يقوم فيها بالصلاة ويصوم نهارها (و) لما أبطل خلوف فمه الذى يكره اليه نفسه ويحبب اليه ربه فيكون له طيب رائحة حب ربه (أتممناها بعشر فتم ميقات) مكالمة (ربه أربعين ليلة) ليرفع أربعين حجابا خمرت فى طينة آدم فسرت الى أبدان بنيه (وقال موسى) عند رؤية عجزه عن حفظ القوم بالغيبة قبل تمام التزكية الموجبة كون النفس متصرفة بربها فى كل مكان لكونها معه (لاخيه) القائم مقامه (هرون) الذى يشاركه فى النبوة (اخلفنى فى) حفظ (قومى) عن التغيير فى الدين (وأصلح) ما يغيرونه (و) ان لم يمكنك اصلاح مفسدتهم (لاتتبع سبيل المفسدين) بترك الانكار عليهم فانه بمنزلة اتباعك لهم ثم أشار الى أن تمام التزكية لايفيد رفع حجاب النفس بالكلية فقال (ولما جاء موسى لميقاتنا) فهو (و) ان كملت تزكيته بحيث (كلمه ربه) فسمع كلامه من جميع الجهات بجميع أجزائه (قال) قبل كمال استعداده لرؤيته بالخروج عن المكان والزمان (رب أرنى) ذاتك التى ليست من الاجسام والاعراض كما أسمعتنى كلامك الذى ليس من جنس الحروف والاصوات حتى (أنظر اليك قال لن ترانى) فى الحالة التى أنت عليها (ولكن انظر الى الجبل) حين أتجلى له بعد ما أعطيه الحياة والرؤية (فان استقر مكانه) عند التجلى أمكنك الاستقرار مع التجلى لك (فسوف ترانى) بعد استقرارك (فلما تجلى ربه للجبل جعله) التجلى (دكا) أى مفتتا لم يستقر مكانه (و) لا موسى بل (خر) أى وقع (موسى صعقا) أى مغشيا عليه من هول ما رأى (فلما أفاق قال سبحانك) من أن يستقر لرؤيتك من لم يخرج عن المكان والزمان (تبت اليك) من

همز يكون مخففا من المهموز (قوله عز وجل دحورا) أى ابعادا (قوله عز وجل دخان مبين) أى جدب ويقال انه الجدب والسنون التى دعا النبى صلى الله عليه وسلم فيها على مضر فكان الجائع يرى بينه وبين السماء دخانا من شدة الجوع ويقال بل قيل للجوع دخان ليبس الارض وارتفاع الغبار فشبه ذلك بالدخان وربما

الاقدام على سؤال الرؤية قبل وقتها (وأنا أول المؤمنين) بانه لايستقر لرؤيتك من بقي فيه مناسبة الحدثان بل لابد أن يتصف بما يناسب الصفات القديمة وذلك عند غلبة الروحانية في الآخرة (قال ياموسى) انك وان لم ترني فلست بقاصر (اني اصطفيتك) ففضلتك (على الناس) الذين لم يبعثوا برسل (برسالاتي) التي هي نهاية مراتب كمالاتهم (و) فضلتك على كثير من الرسل (بكلامي فخذ ما آتيتك) فلا ترده بهذه الاسئلة السالبة لما أفضت عليك (وكن من الشاكرين) لتستوجب المزيد لعلك تستحق الرؤية التي هي زيادة على الحسنى (و) مما زيد لموسى على الشكر انا (كتبنا له في الالواح) أي ألواح التوراة (من كل شئ موعظة) أي عبرة من رؤية كل شئ الى ماوراءها (و) هلم جرا الى ان ترى (تفصيلا لكل شئ) أي تعريفا يطلع على الحقائق لكن ذلك محتاج الى قوة الاستدلال في باب العلم والاجتهاد في باب العمل (فخذها بقوة) استدلالية واجتهادية (وأمر قومك) الذين ليس لهم القوة (يأخذوا بأحسنها) أي عزائمها دون رخصها تحصيلا للقوة فاذا حصلت لكم القوة كشفت لكم عن الحقائق الاخروية وأولاها مايحفظ عن شدائدها لكن (سأريكم دار الفاسقين) أي جهنم وهي وان كانت ظاهرة لمن نظر في الآيات لكن (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون) عليها مع كونهم (في الارض) التي هي أسفل السافلين (بغير) التقرب الى (الحق و) لكن بما يبعدهم عن الحق لانهم (ان يروا كل آية لايؤمنوا بها) تكبرا عليها فهو سبب البعد عنه (و) كيف لايبعدون عنه وهم (ان يروا سبيل الرشد) المقرب اليه (لايتخذوه سبيلا) لمنافاته أهويتهم (وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا) لتوسلهم به الى أهويتهم وليس ذلك لكون أهويتهم ألذ مما تضمنته الآيات بل (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا و) لتكذيبهم اياها (كانوا عنها غافلين) فلم يدركوا تلك اللذات التي يترك لها الاهوية كيف وانما يدرك لذاتها بالتصفية والتزكية الحاصلة من العمل بها خوفا من آلام الآخرة وطمعا في لذاتها (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم) فلا يكون لها أثر في التصفية والتزكية وليس الاحباط عليهم ظلما بل هو أيضا مقتضى عملهم التكذيب في كل حال (هل يجزون الا ما كانوا يعملون و) من المحبط للاعمال اتخاذهم العجل فانه (اتخذ قوم موسى) الذين لم يأخذوا بأحسنها فصرفوا عن آيات الله (من بعده) أي من بعد ذهابه للميقات المستنزل الكتاب المكمل لهم (من حليهم) أي من حلي كانت بأيديهم مستعارة من القبط (عجلا) أي صورة عجل فعبدوها مع كونها (جسدا) بلا روح وان كان (له خوار) أي صوت البقر فمع ظهور نقصه باعتبار حدوثه وعدم حياته الحقيقية اتخذوه الها اذ صرفوا عن آيات الله الموجبة وعلى تقدير كمال حياته الحيوانية كان عاجزا عن الكلام (ألم يروا أنه لايكلمهم و) على تقدير مكالمته لايكون كلامه مفيدا اذ (لايهديهم سبيلا) وعلى تقدير مكالمته وهدايته يكون قد (اتخذوه) الها من غير استحقاق لحدوثه فكان ظلما (و) لكن لم يقتصر ظلمهم على هذا الوجه بل (كانوا ظالمين)

وضعت العرب الدخان في موضع الشر اذا علا فيقولون كان بيننا أمر ارتفع له دخان (قوله تعالى دسر) مسامير واحدها دسار والدسار الشرط التي تشد بها السفينة (قوله عز وجل دولة بين الاغنياء منكم) يقال دولة ودولة لغتان ويقال الدولة بالضم في المال والدولة في الحرب بالفتح ويقال الدولة بالضم اسم الشئ الذي يتداول

بوجوه كثيرة (و) لكن هذه الوجوه مع كثرتها صارت مغفرة في حقهم اذ رجعوا الى
الاخذ بأحسنها لانهم (لما سقط) أي ألقى الندم (في أيديهم) لم يصرفوا به في رد هذه الوجوه
(و) ذلك حين (رأوا أنهم قد ضلوا) من هذه الوجوه الكثيرة (قالوا) في ردها (لئن لم يرحمنا
ربنا) فيرينا بالتوبة (ويغفر لنا) ما لا تدركه التوبة القاصرة منا (لنكونن من الخاسرين)
أعمارهم وأعمالهم الصالحة (و) استزادهم موسى ندما فانه (لما رجع موسى الى قومه) الذين عبد
بعضهم العجل ولم يشدد غيرهم عليهم الانكار (غضبان) لا يقصد اهلاكهم اذ كان (أسفا)
أي حزينا عليهم (قال بئسما خلفتموني) أي بئس الحال التي صرتم عليها اذ خلفتموني لا مع طول المدة
بل (من بعدي) أي متصلا بذهابي (أعجلتم) أي أسبقتم الى عبادة العجل (أمر ربكم) بعبادته
فقدمتم رأيكم على أمره (وألقى) من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين (الالواح) أي
ألواح التوراة فانكسر منها ما كان فيها تفصيل لكل شيء وبقي ما فيه من المواعظ والاحكام
(و) أفرط غضبه على أخيه حتى (أخذ برأس أخيه) أي بشعر رأسه (يجره اليه) تعزيرا له
على تركه تشديد الانكار عليهم (قال) أخوه يا (ابن أم) أضافه اليها استعطافا (ان القوم)
أي عبدة العجل (استضعفوني) فلم يبالوا بتشديد انكاري (وكادوا يقتلونني) أي قاربوا قتلي
لو زدت على ما فعلت من تشديد الانكار عليهم فقد صاروا أعدائي بالمقدار الذي فعلته من
الانكار عليهم (فلا تشمت بي) أي لا تفرح بأخذ رأسي وجري (الاعداء) فانهم يشمتون بي
وان كان الغضب من ترك تشديد الانكار عليهم لان عداوتهم ذاتية لهم (ولا تجعلني مع
القوم الظالمين) في الغضب عليهم فضلا عن زيادة الغضب علي فلما علم عذر أخيه وسهوه في
الاخذ برأسه وفي القاء الالواح (قال رب اغفر لي) ما سهوت (ولأخي) تقصيره في بذل وسعه على
تشديد الانكار (وأدخلنا في رحمتك) بحيث لا نسهو ولا نقصر ولا يلحقنا بما سهونا غضب
ولا ذلة (و) لا يبعد منك اذ (أنت أرحم الراحمين) ومع ذلك لا يغتر برحمته (ان الذين اتخذوا
العجل) فانهم وان سقطت عقوبتهم في الآخرة من افراط رحمته (سينالهم غضب) لاجله
يؤمر بعضهم بقتل بعض لكنه من جملة تربيتهم لكونه (من ربهم و) هذا يدل على أنه ليس
بغضب حقيقي وانما هو (ذلة) اذ لم يبال بقتلهم كالبرغوث والقمل ولكن لا يبالي بتلك الذلة
لكونها (في الحيوة الدنيا) كيف (و) لا بد من الاذلال في حق المفتري على الله ورسله اذ (كذلك
نجزي المفترين) وقد افتروا على الله بأنه العجل وعلى موسى بانه قصد ذلك العجل فنسي
(و) ليس ذلك في الآخرة اذ غايته انه سيئة (الذين عملوا السيئات ثم تابوا) وان تراخت توبتهم
فوقعت (من بعدها) بمدة مديدة (و) لا يكفي التوبة عن الافتراء على الله ورسله بل لا بد من
تجديد الايمان كما لا يكفي الايمان بلا توبة فاذا (آمنوا) وتابوا (ان ربك من بعدها) أي بعد
التوبة عن الافتراء مع الايمان (لغفور) في الآخرة ولا يقتصر على ذلك الغفران بل (رحيم)
وان أنالهم غضبه واذلاله في الدنيا (و) كيف لا يؤثر فيهم هذه المعصية الكثيرة التي تعمدوا بها

بعينه والدولة بالفتح الفعل
وقوله عز وجل كيلا يكون
دولة بين الاغنياء منكم
كيلا يتداوله الاغنياء
منكم (قوله تعالى دكت
الارض دكا) أي دقت
جبالها وأنشازها حتى
استوت مع وجه الارض

* (باب الدال المكسورة) *

(قوله عز وجل دين يكون)
على وجوه منها الدين
ما يتدين به الرجل من
الاسلام أو غيره والدين

بتبديل الغضب والذلة وقد أثر في موسى ما فعله سهوا فانه (لما سكت عن موسى الغضب أخذ الالواح و) لم يبق فيها تفصيل لكل شئ بل انما بقي (في نسختها هدى) أي الاعتقادات والاعمال (ورحمة) من المواعظ النافعة (للذين هم لربهم يرهبون) أي يخافون حجابه أو عذابه فاثر سهوه في نقص التوراة وان غفر له ثم أشار الى أن لحوق الغضب في الدنيا لا يمنع الرحمة الاخروية كما لا يمنع الدنيوية سيما في حق الخيار فقال (واختار موسى) الذي اختاره الله لرسالته وكلامه (قومه) الذين يرجى لهم الرحمة الاخروية بعد تبديل الغضب (سبعين رجلا) من اثنى عشر سبطا عدد البروج من كل سبط ستة عدد ما ظهر منها الا اثنين اسقاطا للنظر الشرك لكون الاختيار (لميقاتنا) في المكالمة فأمرهم أن يتطهروا ويصوموا فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى أحاط به فدخل فيه موسى وأدخلهم معه فخروا سجدا فسمعوا الله يكلم موسى يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا ان نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة (فلما أخذتهم الرجفة) أى الصاعقة التي يحصل منها الاضطراب الشديد (قال) موسى وهو يبكي ويقول ماذا أقول لبني اسرائيل اذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم (رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي) من غير أن ينسب اهلاكهم الى شؤمي (أتهلكنا) بنسبة الشؤم الينا (بما فعل السفهاء) بترك الايمان بما سمعوا اذا منعوا الرؤية مع ان غايتهم انهم (منا) وقد منعنا الرؤية (ان هي) أي ليست هذه الفعلة منهم (الا فتنتك) أى ابتلاؤك حين أسمعتهم كلامك فطمعوا في رؤيتك ثم اجترؤا على ترك الايمان بما سمعوا منك بدون رؤيتك (تضل بها من تشاء) حتى لا يؤمنوا بما سمعوا بأنفسهم منك (وتهدى من تشاء) بمزيد الفهم لما سمعوا منك حتى يعبروا عن المنطوق الى ما وراءه والاصل هو الاهداء وانما الاضلال لمن تخذله لكن (أنت ولينا) فان أضللت مع ذلك أتباعنا (فاغفر) ذنوبهم بتبعيتهم (لنا وارحمنا) باحيائهم الدافع نسبة الشؤم الينا وكيف لا ترحمنا (وأنت خير الغافرين) بضم الرحمة الى المغفرة (واكتب) أي أثبت (لنا في هذه الدنيا حسنة) هي الثناء الحسن بدل نسبة الشؤم (وفي الآخرة) حسنة بثنائك وثناء خلائقك وليس طلبنا الثناء منهم لاجلهم بل (انا هدنا) أي رجعنا من كل ما سواك (اليك) فطلبنا الثناء منهم انما هو ليدل على القبول منك (قال) عز وجل لموسى صدقت في أني خير الغافرين اذ (عذابي أصيب به من أشاء) وهم بعض العصاة من عبادي (ورحمتي وسعت كل شئ) من العصاة والمطيعين فلا بد ان أضم الرحمة الى المغفرة في حق من أغفر له واذا كان من رحمتي نصيب للعصاة (فسأكتبها) أي أثبتها (للذين يتقون) المعاصي (ويؤتون) أنفسهم وغيرهم (الزكوة) أي الطهارة عن الاخلاق الذميمة (والذين هم بآياتنا يؤمنون) فيصححون الاعتقادات وكملوا في ذلك اذهم (الذين يتبعون الرسول) أي الذي أرسل الى الخلائق لتكميلهم لكونه (النبي) الذي نبئ بأكمل الاعتقادات والاعمال والاخلاق والاحوال والمقامات من جهة الوحي لكونه (الامي) لم يحصل علما من بشر فكان من المعجزات المؤيدة بتصديق الكتب السابقة

الطاعة والدين العادة والدين للجزاء والدين الحساب والدين السلطان (قوله عز وجل دفء) ما استدفئ به من الاكسية والاخبية وغير ذلك (قوله تعالى الدهان) جمع دهن (قوله عز وجل دهاقا) مترعة أي ملأى

(باب الذال المفتوحة)

(قوله عز وجل ذلول تثير الارض) يعني أنها قد ذللت (قوله عز وجل العرث

عليه

عليه اذهو (الذى يجدونه) باسمه وصفاته (مكتوبا) كتابة لاريب لهم فيها لكونه (عندهم) لاعند خصومهم لافى كتاب واحد بل (فى التوراة والانجيل) وقد تأيد بعموم ارشاده اذ (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) فيفيدهم كل خير ويدفع عنهم كل شر (و) لايخل بذلك نسخه بعض الاحكام الفرعية اذ (يحل لهم الطيبات) التى حرمت عليهم لمعاصيهم (ويحرم عليهم الخبائث) وان كان فيها مالم يحرم عليهم اذلم يعتنبهم فى رفع أنواع الخبث عنهم هذا فى باب المأكولات (و) فى العبادات (يضع عنهم اصرهم) أى التكاليف الشاقة عليهم كقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة (والاغلال التى كانت عليهم) أى الشرائط التى كانت تمنعهم من النشاط فى العبادة فاذا وجبت الرحمة لمؤمنى الامم السابقة دون اتباعه (فالذين آمنوا به و) لم يستهينوه بالنسخ بل (عزروه) أى عظموه بتخصيصه بالكمالات فى كل باب وان كان فيها الرخص (ونصروه) برفع الشبه عن دينه وبيان كمالات نواسخه وان كان فيها رخص (و) لم يأخذوا فيها بالشبه بل (اتبعوا النور الذى أنزل معه) فاخذوا منه مايدل على كمالات نواسخه مماهو من الدلائل العقلية المؤيدة بالاعجاز (أولئك هم المفلحون) أى الفائزون بكمال تلك الرحمة بل لارحمة على من خالفه وان اتبع تلك الكتب فان زعموا أن النبى الامى صلى الله عليه وسلم انماهو مبعوث الى الاميين لمافى بعض الكتب السابقة انى باعث أميا فى الاميين (قل) لاينافى ذلك عموم البعث (يا أيها الناس) أى يامن نسى عموم مبعثى المذكور فى نصوص أخر يكفيكم فيه بعد اعترافكم بنبوتى أن أقول (انى رسول الله اليكم جميعا) ولايبعد عموم البعث على الله اذهو (الذى له ملك السموات والارض) اذ (لا اله الاهو) ولايبعد عليه نسخ أحكامه وان كانت قديمة لوروده على تعلقها فله أن يحدث تعلقا بحكم وينفى تعلق الآخر كما أنه (يحيى ويميت) واذا كان له الاحياء والاماتة كانت له الاثابة والمعاقبة (فآمنوا بالله و) هو انما يتم بمعرفته وأتمها باجابة أكمل رسله فلابد من تصديق (رسوله النبى الامى) أى الذى نبئ مايرشد الخلائق كلهم مع كونه أميا ويدل على عموم انبائه انه (الذى يؤمن بالله وكلماته) المنزلة فى كتبه على نهج التفصيل (و) اذا كان له عموم الانباء فأقل مافى متابعته أنه يرجى منها الاهتداء (اتبعوه لعلكم تهتدون) فان قيل لو رجى فى متابعته الاهتداء لتسارع اليه أهل الكتاب يقال (ومن قوم موسى) المتسوبين اليه بالحقيقة (أمة) يهتدون به بل (يهدون بالحق) أى بالدين الثابت الذى لاينسخ مع كونه ناسخا لمافى كتابهم (و) انما كان ناسخا لكونه أعدل نهم (به يعدلون و) لايضر اختلافهم فيه لانه عادتهم القديمة اذ (قطعناهم) فى عهد موسى (اثنتى عشرة اسباطا) عددا أولاد يعقوب اذ مع رجوعهم الى أصل واحد صاروا (أمما) مختلفة (و) من افراطهم فيه لم يجتمعوا على ماء واحد لذلك (أوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر) لاخراج الماء منه اخراج الشئ من ضده على خرق العادة ليكون آية داعية الى الاتفاق لكنه لما امتنع بالذات جعل آية على الاختلاف (فانبجست منه اثنتا عشرة عينا) ليختص كل سبط بعينه ولو لغى فى

ذكيتم) أى قطعتم أوداجه وأنهرتم دمه وذكرتم اسم الله عليه اذا ذبحتموه وأصل الذكاة فى اللغة تمام الشئ من ذلك الذكاء السن أى تمام السن أى النهاية فى الشباب والذكاء فى الفهم أن يكون فهما تاما سريع القبول وذكيت النار اذا أتممت اشعالها وقوله عز وجل الا ماذكيتم أى ما أدركتم ذبحه على التمام (قال أبو عمرو وسألت المبرد عن قوله الا ماذكيتم

قطع النزاع لوخيروا (قدعلم كل أناس) من سبط (مشربهم) على التعيين من أول الامر بل لا يبعد منهم الاجتماع على الكفر كما اجتمعوا على كفران النعم (و) ذلك انا (ظللنا عليهم الغمام) لئلا يضيق صبرهم فى التيه من افراط مايصيبهم من حرارة الشمس (وأنزلنا عليهم المن) وهو الترنجبين (والسلوى) وهو السمانى لئلا يضيق عليهم الصبر بعدم الترفه فى الطعام ولم يكن انزالهما بطريق الابتلاء بمنع الاكل بل قلنا لهم (كلوا من طيبات) أى لذيذات (ما رزقناكم) فقالوا لن نصبر على طعام واحد وكذلك أنعمنا عليهم بهذا الرسول فجعلناه عليهم ظلا وأفعاله وأقواله الطيبة بمنزلة المن والسلوى (وما ظلمونا) بمنع انعامنا وظهور ديننا (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بمنع الانعام والدين المستقيم عليها (و) مما يدل على افراط ظلمهم انهم (اذ قيل لهم) لما لم يصبروا على طعام واحد (اسكنوا هذه القرية) أى أريحا أو بيت المقدس (وكلوا منها) أجناس الاطعمة (حيث) أى من أى مكان (شئتم وقولوا) سؤالنا (حطة) أى اسقاط الخطيات الناشئة من أكل أطعمة متفرقة تدعو الى أهوية مختلفة (وادخلوا الباب سجدا) أى متذللين ليكون مانعا من استكباركم (نغفر لكم خطيئاتكم) مما ذكر وغيرها وان شكرتم ونظرتم الى المنعم (سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم) أى اعتادوا الظلم (قولا) هو حطا سمقاثا أى حنطة حمراء وهو وان قارب المأمور لفظا كان (غير الذى قيل لهم) فى المعنى وهو مع المشابهة اللفظية يصير عين الاستهزاء (فأرسلنا عليهم رجزا) أى عذابا (من السماء) لا بهذا الامر وحده بل (بما كانوا يظلمون) وتفارق هذه الآية آية البقرة بنون التعظيم ثمت لعظم التكليف بدخول قرية العدو بخلاف السكون بعده وبالفاء لان الاكل يكون عقب الدخول لا السكون وبرغدا لان الاكل عقب الدخول لا يتسع اتساعه حال السكون وبتقديم الدخول ثمت لان الدعاء يقتضى سبق التذلل وتأخيره هنا لانه يقتضى استدامته الى الاستجابة والواو ثمت تشير الى الجمع بين المغفرة والزيادة وحذفها هنا يجعل الزيادة دليل المغفرة والانزال ثمت يدل على الشدة والارسال هنا يدل على الكثرة ويفسقون ثمت يشير الى أن ظلمهم كان ناشئا من فسقهم السابق (واسئلهم) اعتراضا عليهم اذ نفوا ظلمهم (عن القرية التى كانت حاضرة البحر) أى قريبة منه ايلة أو طبرية الشام أو مدين (اذ يعدون) حدا الله فى أدنى الاشياء وهى الحيتان حتى انتهوا الى الكفر (فى السبت) الذى أمروا بتعظيمه فابتلوا بتحريم الصيد فيه (اذ تأتيهم حيتانهم) التى آثروها على أمر الله (يوم سبتهم) الذى اختاروه على الجمعة (شرعا) أى متتابعة (و) ضاق عليهم الصبر على تركها لانه (يوم لا يسبتون لا تأتيهم) أصلا الى السبت المقبل فقال لهم الشيطان انما نهيتم عن الاخذ فاتخذوا حياضا وشبكات وساقوا اليها الحيتان يوم السبت ثم صادوها يوم الاحد ففعلوا ذلك مدة ثم اجترؤا على السبت وقالوا ما نراه الا وقد أحل لنا ولم يعلموا أنه (كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) فان الله يبتلى الفاسق بما يزيده فسقا ليزيده عذابا فصار أهل القرية فرقا فرقة عملت وفرقة سكتت وفرقة نهت (و) ألحقت الساكتة بالفاعلة فى الكفر (اذ قالت أمة منهم) هى الساكتة

فقال أى ما خلصتم بفعلكم
من الموت الى الحياة فسأله
الهدهد وأنا أسمع عن
قولهم فلان ذكى القلب
فقال مخلص من الآفات
والبلاء وكذلك ذكيت
النار اذا أخرجتها من باب
الخمود الى باب الاشتعال
بالوقود قال ابن خالويه
سألت أبا عمر عن معنى أنهرت
فقال أسلت ومنه قول
ابن عباس أنهر الدم بما
شئت فالية أو ظرار أو
بمروة قال الفالية القصبة

منكرين على الناهين نهيهم (لم تعظون قوما الله مهلكهم) بالكلية فى الآخرة (أو معذبهم)
فى الدنيا (عذابا شديدا قالوا) نهينا (معذرة الى ربكم) الذى أمر بالنهى عن المنكر (و) لولم
يأمر بذلك لكان أولى أيضا اذ (لعلهم يتقون) فيتوبون فينجون عن الاهلاك الكلى أو
التعذيب الشديد فلم يبال لقولهم الساكتون كالم يبال لهم الفاعلون (فلما نسوا) أى الفاعلون
والساكتون (ماذكروا به) أى ما وعظهم الناهون (أنجينا الذين ينهون عن السوء) لخلوهم
عن معصية الفعل وترك النهى (وأخذنا الذين ظلموا) بالفعل أو بترك النهى (بعذاب بئيس)
أى مذموم (بما كانوا يفسقون) بفعل المنهى أو ترك الواجب ولم تكن مؤاخذتهم بمجرد
التعدى المذكور بل باستباحة ذلك لاستلزامها الكفر (فلما عتوا) أى تكبروا فتباعدوا
(عن مانهوا عنه) حتى كفروا (قلنا لهم) أى للفاعلين والساكتين على لسان داود (كونوا
قردة خاسئين) أى صاغرين لاستصغار ما أمره الله واستقباح حكم ما استحسنه الله قيل كره
الناهون مساكنة الفريقين فقسموا القرية بجدار فيه باب فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم
أحد من الفريقين فقالوا ان لهم شأنا فدخلوا عليهم فاذاهم قردة فلم يعرفوا انسابهم لكن
القردة تعرفهم فجعلت تأتى انسابها وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث فلو
قالوا انه مختص بطائفة لم يكن منها أحد ولسنا على حالهم رد عليهم بأنهم لولم يكونوا امثالهم
لم يذلوا اذلالهم (و) لكنهم أذلوا اذلالهم (اذ تأذن ربك) أى عزم لان العازم على الشئ يؤذن
نفسه بفعله وأجرى مجرى فعل القسم لذلك أجيب بجوابه (ليبعثن) أى ليسلطن (عليهم)
لا بطريق الابتلاء لامتداده (الى يوم القيامة من يسومهم) أى يزيدهم (سوء العذاب)
فبعث عليهم بعد سليمان بختنصر فخرب ديارهم وسبى ذراريهم ونساءهم وضرب الجزية على
من بقى منهم فكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فقاتلهم
وأجلاهم ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة عليهم الى يوم القيامة جازاهم الله بذلك قبل
يوم القيامة مسارعة الى عقابهم (ان ربك لسريع العقاب و) لكن لم يعاقبهم معاقبة أخروية
لئلا تكون ملجئة لهم الى الايمان فستر عليهم (انه لغفور) كيف وقد استوجبوا باعترافهم
نصيبا من رحمته وهو (رحيم و) لكن لا يغفر بجميعهم ولا يرحمهم يوم القيامة اذ (قطعناهم)
أى فرقناهم (فى الارض) التى هى مزرعة الغفران والرحمة فى الآخرة فصاروا (أمما) مختلفة
تستوجب اختلاف الجزاء اذ (منهم الصالحون ومنهم دون ذلك) أى من يحط عن درجة
الصلاح لكفر أو فسق (و) دللناهم على اختلاف الجزاء اذ (بلوناهم بالحسنات والسيئات)
التى هى أمثلة جزاء الصلاح والفسق (لعلهم يرجعون) عن أسباب السيئات الى الحسنات
والاختلاف انما كان فيهم فى قرن يلى قرن موسى عليه السلام مع طراءة الوحى اما
الآن (فخلف من بعدهم خلف) أى جاء من بعد قرنهم قرن (ورثوا الكتاب) من المختلفين
لكنهم اتفقوا على استبدال الكتاب بأدنى الاعراض اذ (يأخذون عرض هذا الادنى) أى
الامر الذى لا يستقر مع كونه من هذا الادنى بدل الكتاب فيحرفون كلم حكمه من أجله

الفادة والظار حجر والمروة
حجر أبيض مفلطح خشن
فكذلك ثعلب عن
ابن الاعرابى) (قوله عز
وجل ذات الصدور)
(قوله جل
حاجة الصدور (قوله جل
اسمه ذا الكفل) لم يكن نبيا
ولكن كان عبدا صالحا
تكفل بعمل رجل صالح
عند موته وقيل تكفل النبى
بقومه أن يقضى بينهم
بالحق ففعل فسمى
ذا الكفل (قوله عز وجل
ذا النون) هو يونس عليه
السلام لابتلاع النون

ويزعمون أنه حكم الله في كتابه (ويقولون) بطريق التحكم على الله (سيغفر لنا و) لا يستغفرون بل (ان يأتهم عرض مثله) فضلا عن الاعلى (يأخذوه) بدلا عن الكتاب وكيف يتأتى لهم هذا التحكم على الله مع نقضهم ميثاقه (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) أى ميثاق الله في كتابه (أن لا يقولوا على الله الا الحق) فلو صح ما تحكموا به على الله لم يكن لاخذ هذا الميثاق معنى (و) ليس أخذهم عن جهلهم بذلك الميثاق اذ (درسوا ما فيه و) لا يكون العرض خيرا من ثواب الآخرة عندهم اذ (الدار الآخرة خير) في نصوص كتابهم (للذين يتقون) أخذ هذا الادنى بدل الكتاب وغير ذلك (أ) يأخذون هذا الادنى العارض بدل الخير الباقي (فلا تعقلون) كيف (و) لا يمنع ذلك الخير من هذا الادنى اذ (الذين يمسكون بالكتاب) يقومون بمصالح الخلق فلا بد وأن يقوم الله بمصالحهم كيف وقد قام بمصالح من أقام الصلاة (و) المتمسكون بالكتاب (أقاموا الصلوة) التي قال الله تعالى فيها وأمر أهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك كيف والرزق الدنيوي من جملة الاجور على الاصلاح العام فلا يضيعه الله (انا لا نضيع أجر المصلحين و) لا يبعد نقضهم ميثاق الكتاب لكراهتهم اياه أولا فاذكر (اذ نتقنا) أى قلعنا (الجبل) فجعلناه (فوقهم كأنه ظلة) أى سحابة (و) هم وان رأوا فيه قوة الصعود (ظنوا) لثقله الموجب للنزول (أنه واقع) أى ساقط لاحق (بهم) لو لم يأخذوا بأحكام التوراة اذ قلنا لهم (خذوا ما آتيناكم) من أحكام التوراة (بقوة) أى عزيمة على تحمل مشاقها (و) ان أبت نفوسكم تحملها (اذكروا ما فيه) من المعاقبة على تركه ومع ذلك لا يجزم بتقواكم بل غايتكم انكم (لعلكم تتقون و) لا يبعد منهم نقض الميثاق الذي وقع بعد الحجاب وقد نقضوا ما وقع قبل الحجاب فاذكر (اذ أخذ ربك من) آدم من ظهره ذريته ثم من (بني آدم) على ترتيب وجودهم (من ظهورهم ذريتهم) فجعلهم احياء عقلاء (وأشهدهم على أنفسهم) باقرار ربوبيته وتوحيده اذ قال لهم (ألست بربكم) الذي لا شارك فيه (قالوا بلى) أنت ربنا لا رب لنا غيرك ولا نقتصر فيه على الالسن بل (شهدنا) به عن مواطاة القلوب فاخذ بذلك ميثاقهم كراهة (ان تقولوا يوم القيامة) الذي يسئل فيه عن الربوبية والتوحيد (انا كنا عن هذا) أى عن ربوبيته وتوحيده (غافلين) في أصل الفطرة فلم يؤثر فينا العقول ولا اقوال الرسل (أو تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل) فكان لهم السبق المانع من تأثير اللاحق من أدلة العقل والنقل (و) هذا السبق وان لم يكن فينا (كنا ذرية) لهم حاملة لاسرارهم مع كوننا (من بعدهم) نتعلم منهم ما هم عليه فابطلوا علينا تأثير العقول وأقوال الرسل (أ) تأخذنا بفعل الغير (فتهلكنا بما فعل المبطلون) تأثير العقول وأقوال الرسل فازلنا الشبهتين بان الاقرار بالربوبية والتوحيد كان في أصل فطرتكم فلم ترجعوا اليه عند دعوة العقول والرسل (و) كما فصلنا هذا الامر (كذلك نفصل الآيات و) لم تنته الى حد الالجاء بل نجعلها

اياه في البحر والنون السمكة وجمعه نينان (قوله عز وجل ذرأكم) أى خلقكم وكذلك ذرأنا لجهنم أى خلقنا لجهنم (قوله عز وجل ذنوبا) أى نصيبا وأصل الذنوب الدلو العظيمة ولا يقال لها ذنوب الا وفيها ماء وكانوا يستقون فيكون لكل واحد ذنوب فجعل الله الذنوب في موضع النصيب (قوله عز وجل ذرعها سبعون ذراعا) أى طولها اذا ذرعت

بحيث (لعلهم يرجعون) الى الفطرة السابقة (و) ان زعموا انهم آخذون بمواثيقه لكونهم تالين لآياته (اتل عليهم نبأ) بلعم بن باعوراء (الذى آتيناه آياتنا) علم الكتاب واسم الله الاعظم فكان مجاب الدعوة (فانسلخ منها) أى خرج منها خروج الحية من جلدها (فأتبعه الشيطان) أى جعله تابعا فى تعليم الحيل المفسدة (فكان) بعد ايتائه تلك الآيات (من الغاوين) الذين لا يرجى هدايتهم (و) كانت الآيات بحيث (لو شئنا لرفعناه بها) بحيث لا يناله الشيطان (ولكنه) نزلناه اذ لم يمل الى جانبنا وهو جانب موسى والمؤمنين بل (أخلد) أى مال ميلا مؤبدا (الى الارض) أى عالم السفل (و) منعناه فى المنام اذ وامرنا فلم يتبع منعنا بل (اتبع هواه) لما أهدوا اليه فاحبهم وذلك انه كان يسكن ببلاد العمالقة فقصدهم موسى فأتوه ليدعوا عليه فأبى فالحوا عليه فقال حتى أوامر ربى فوامره فنهى فى المنام فقال وامرت فنهيت فاهدوا اليه هدية فقبلها ثم راجعوه فقال حتى اوامر فوامر فلم يجئ له نهى فقالوا لو كره ربك لنهاك كما نهاك فى المرة الاولى فجعل لا يدعو عليه بشئ الا صرف الله لسانه الى قومه ولا يدعو لهم الا صرف الى موسى فقالوا أتدرى ما تصنع فقال هذا ما أملكه فاندلع لسانه على صدره فقال قد ذهبت منا الدنيا والآخرة فلم يبق الا الحيلة فزينوا النساء واعطوهن السلع وارسلوهن الى عسكر موسى ومروهن ان لا تمتنع امرأة ممن أرادها فاذا زنى أحدهم كفيتموهم فادخل رجل منهم امرأة فى قبة فوقع عليها فارسل عليهم الطاعون مات منه فى ساعة سبعون ألفا فدعا موسى فاخبر فأمر بقتلهما فارتفع واذا اندلع لسانه بعدما مال الى الهوى ميل الاحمق الذى قربه السلطان الى عظم عند كلب (فمثله كمثل الكلب) لانه استوى فى حقه ايتاء الآيات والتكليف بها والتعظيم من أجلها وعدم ذلك كالكلب يدلع لسانه بكل حال لانه (ان تحمل عليه) حملا ثقيلا (يلهث) أى يدلع لسانه عن النفس الشديد (أو تتركه) خاليا عن الاعمال (يلهث) وليس ذلك مثالهم لاخذهم بآيات التوراة بل (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) من التوراة أوغيرها اذهم كلاب باهويتهم الفاسدة لم يتطهروا بالآيات المطهرة فان أنكروا انسلاخهم منها (فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) فيعلمون ان قصتهم مثل قصته فيخافون مثل حاله لانفسهم كيف وهى حالة شنيعة اذ (ساء مثلا) ما مثل به (القوم الذين كذبوا بآياتنا) فانهم يصورون يوم القيامة بصور الكلاب (و) لم يظلمهم الله بسلب انسانيتهم بل (أنفسهم كانوا يظلمون) بابطال الانسانية عليها وانما سلبت انسانيتهم مع ان الآيات لتكميلها لانها ليست هادية بانفسها بل (من يهد الله) لتحصيل الكمالات (فهو المهتدى) لها بتلك الآيات (ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون) لما عندهم من الكمالات فضلا عن تحصيل ما ليس عندهم وراء كمالاتهم ثم أشار الى ان خسرانهم الكمالات لخسرانهم أسباب تحصيلها وعدم كون الآيات هادية لهم مع انها انما انزلت للهداية لفقدانهم أسباب الاهتداء بها فقال (ولقد ذرأنا) أى خلقنا (لجهنم كثيرا من الجن

(باب الذال المضمومة)
(قوله عزوجل ذلل) جمع
ذلول وهو السهل اللين
الذى ليس بصعب (قوله
عزوجل فاسلكى سبل
ربك ذللا) أى منقادة
بالتسخير (قوله عزوجل
ذرية) أى أولاد وأولاد
أولاد قال بعض النحويين
ذرية تقديرها فعلية من

والانس) الذين شأنهم تحصيل الكمالات وحفظها والاهتداء اليها لما فيهم من الفهم والسمع والبصر (لهم قلوب لا يفقهون بها) آيات الله الهادية الى الكمالات وحفظها (ولهم أعين لا يبصرون بها) المعجزات الفعلية (ولهم آذان لا يسمعون بها) المعجزات القولية (أولئك) في تحقق القلوب والاعين والآذان لهم (كالانعام) التي لا تحصل بها الكمالات الحقيقية ولا تدفع النقائص الحقيقية وانما تجر بها المنافع الدنيوية وتدفع بها المضار الدنيوية (بل هم أضل) اذ ليس للانعام قوة تحصيل تلك الكمالات ودفع تلك النقائص وهم قد خلوا عنها وعن دفع اضدادها مع مالهم من تلك القوة (أولئك) وان كانوا باعتبار تلك القوة فيهم أكمل من الانعام (هم الغافلون) عن تلك الكمالات والنقائص ليهتموا لتحصيلها ودفعها اهتمامهم لجر المنافع الدنيوية ودفع المضار الدنيوية فهم أردأ حالا من الانعام لنقصهم مع وجود قوة الكمال فيهم ثم أشار الى ان الكمالات الانسانية انما هي في دعوة الله باسمائه وقد صاروا فيها أضل من الحيوانات اذ هي تسبح بحمده ببعض تلك الاسماء وهؤلاء يلحدون فيها فقال (ولله الاسماء الحسنى) لا تتعداه الى مظاهره ظهر بجمالها اجمال اليه فيدعى بها (فادعوه بها) ليفيض عليكم كمالاتها المقربة لكم اليه وتابعوا في ذلك أمره (وذروا) متابعة (الذين يلحدون) أي يميلون (في اسمائه) فيجعلها لمظاهره حتى اذا لم تصلح بحالها اخذ منها مشتقاتها كاللات من الله والعزى من العزيز فان متابعتهم أقبح من متابعة الانعام في افعالها التي لا تليق بكم لانها لا تجزى عليها وهؤلاء (سيجزون ما كانوا يعملون) فيسلب انسانيتهم ويحال بينهم وبين ما يشتهون بحيوانيتهم (و) كيف لا يذرون متابعة الملحدين مع ان في متابعة المحققين غنى عنها اذ (ممن خلقنا امة يهدون بالحق) أي بالطريق الثابت من الاستدلال بظهور اسمائه في المظاهر عليه (وبه يعدلون) عن المظاهر وصور الظهور الى ذاته واسمائه فيجب متابعتهم وان خلوا عن الخوارق ولا يغتر بخوارق الملحدين لانهم بالحادهم مكذبون بآيات الله الدالة على ربوبيته للمظاهر المانعة من اتخاذها اربابا من دونه (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم) أي نستنزلهم قليلا قليلا (من حيث) أي من طريق (لا يعلمون) انهم يستنزلون اذ نعطيهم الخوارق (و) من استدراجي اياهم اني (املي) أي امهلهم ليزدادوا اثما فيعتقدون انه نافع (لهم) ولا يبعد مني ذلك (ان كيدي متين) وان لم يزدادوا اثما فهو الزام للحجة لانه وسع لهم وقت التفكر لكنهم لا يتفكرون فينسبون رسول الله الى الجنون (ا) ينسبون اليه الجنون (ولم يتفكروا) ليعلموا انه (ما بصاحبهم من جنة) بل كوشف ماوراء طور العقل لانذار العقلاء عما حجبوا عنه (ان هو الا نذير مبين) لما حجبوا عنه (أ) يزعمون انهم ادركوا الاشياء بعقولهم (ولم ينظروا) بها (في ملكوت السموات والارض و) لا في حقائق (ما خلق الله من شئ) فانها لا تنكشف في طور العقل لقصوره عن التمييز بين الذاتيات والعوارض اللازمة للاشياء (و) لا في آجالهم ولا في مقتضى عدم اطلاعهم عليها وهو (ان عسى ان يكون قد اقترب

اجلهم)

الذر لان الله أخرج الخلق من صلب آدم كالذر وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى وقال غيره أصل ذرية ذرورة على وزن فعلولة فلما كثر ذلك التضعيف أبدلت الراء الاخيرة ياء فصارت ذروية ثم ادغمت الواو في الياء فصارت ذرية وقيل ذرية

أجلهم) ولا في مقتضى ذلك وهو المبادرة الى الايمان ولو وقفوه على اكمل الاحاديث (فبأى حديث بعده يؤمنون) مع انه لا اكمل من المعجز الجامع لكل ما يفيد الهداية لكن (من يضلل الله فلا هادى له) كيف والهداية منوطة بالنظر ولا يتأتى من أهل الطغيان (و) الله تعالى لا يخرجهم عنه بل (يذرهم فى طغيانهم يعمهون) أى يتحيرون من عمههم فى الطغيان انهم اذا امروا بالايمان بالساعة (يسئلونك عن الساعة أيان) أى فى أى وقت (مرساها) أى استقرارها فانا نؤمن قبيل ذلك الوقت (قل) لما كان الاعلام بوقتها مانعا من الايمان فى الحال استأثر الله بعلمها (انما علمها عند ربى) وهو وان جعل لها اشراطا لم يجعل لها دلالة على وقتها فهى (لا يجليها لوقتها الا هو) لا شئ من اشراطها وكيف لا يخفيها والمقصود منها التخويف وهو فى اخفاء وقتها أتم (ثقلت) أى عظمت (فى) أهل (السموات والارض) فلا يسوغ لهم ترك الاستعداد لها بحال وهى وان كانت لها اشراط سابقة (لا تأتيكم الا بغتة) أى فجأة على غفلة وهم مع هذا البيان فى اخفائها (يسئلونك كأنك حفى) أى شفيق عليهم (عنها) أى عن وقوعها بغتة عليهم ليؤمنوا قبيل ذلك (قل) انما يتأتى منى الشفقة فى البيان لو تبين لى لكن (انما علمها عند الله) ليقهر من يأبى ان يؤمن بها الا قبيل اتيانها (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) انه أراد ذلك فلم يعلم الرسل المشفقين على الخلق بيانها أيضا فان زعموا انك بعثت لرفع ذلك وان الرسول لا بد أن يعلم الغيب (قل) كيف يتأتى منى الرفع مع انى (لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله) تمليكه لى (ولو كنت اعلم الغيب) كله (لاستكثرت) أى حصلت كثيرا (من الخير) الذى فاتنى (وما مسنى السوء) الذى مسنى (ان انا الا نذير وبشير) فلا يلزمنى ان اعلم من الغيب الا ما ابشر به أو انذر فان لم يخف ولم يستبشر به من يشترط اطلاع الرسل على الغيب كله فلم يستفد بهما فانا مفيد بهما (لقوم يؤمنون) بان الله تعالى يستأثر ببعض الغيوب وان الرسل انما يطلعون على غيب ما يبشرون به او ينذرون عنه أو ما تعين فيهما وان الله تعالى أراد معاقبة البعض واثابة البعض وكيف لا يستأثر الله ببعض الغيوب مع انه لم يطلع آدم على ما فيه من اسرار أولاده وان علمه الاسماء كلها اذ (هو الذى خلقكم من نفس واحدة) هى آدم ففيه سر أولاده (و) سر زوجته أيضا اذ (جعل منها زوجها) وكيف لا يكون فيه سرها وقد خلقها (ليسكن) أى يميل (اليها) ميل الكل الى جزئه وهو كثيرا ما يفيد المائل الاطلاع على اسرار من مال اليه ومع ذلك لم يعلم هو ولا زوجته ما فى بطنها ويخرجه منها وذلك ان الميل اليها أوجب غشيانها (فلما تغشاها حملت حملا خفيفا) لم تلق فيه ما تلقى الحوامل من الاذى فلم يستدلا بخفة البداية على خفة النهاية (فمرت به) أى فاستمرت على الخفة فلم يستدلا بدوامها على انها الغاية وان كان فى الوسط ما كان لكنهما نظرا الى الوسط (فلما أثقلت) أى صارت ذات ثقل بكبر الولد اتاها ابليس فى صورة رجل فقال لها ما يدريك لعل فى بطنك كلبا أو بهيمة وما يدريك من اين يخرج ايشق له بطنك فخافت من ذلك وخاف زوجها

فعولة من ذرأ الله الخلق فابدلت الهمزة ياء كما ابدلت فى نبئ

(باب الذال المكسورة)

(قوله عز وجل ذلة) أى صغار (قوله تعالى ذكره ذكرى) أى ذكر (قوله عز وجل ذمة) أى عهد وقيل الذمة ما يجب ان يحفظ ويحمى وقال ابو عبيدة الذمة التذمم ممن

حتى (دعوا الله ربهما لئن آتيتنا) ولدا (صالحا) أى مستويا (لنكونن من الشاكرين) فقال لهما ابليس انى من الله بمنزلة ان دعوته يجعله مثلك وسهل عليك خروجه فتسميه عبد الحرث وكان اسمه بين الملائكة الحارث فقبلا على ظن ان الحارث بالحقيقة هو الله فأراد ان يوهم أولادهما كونهما مشركين ليتبعوهما وان لم يشعرا بذلك (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) أى فى اسم ولد آتاهما من حيث لا يشعران به اذ سمياه عبد الحرث فتوهم أولادهما ذلك (فتعالى الله عما يشركون) أى أولادهما (أيشركون) بخالق الاشياء (ما لا يخلق شيأ و) ليسوا بقدماء بل حوادث اذ (هم يخلقون و) ليس لهم ما للانسان من نصر نفسه أو غيره اذ (لا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون و) ليس فيهم فائدة الهدى بل (ان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم) بل لا يسمعون دعاءكم حتى انه (سواء عليكم) دعاؤكم وسكوتكم بحيث تشكون عند دعائكم فى انهم (أدعوتموهم) فى وقت من الاوقات (أم أنتم صامتون) أى مستمرون على السكوت (ان الذين تدعون) مع انهم لا يستحقون الدعوة لكونهم (من دون الله) لو كان فيهم قوة النصر وفائدة الهداية فغايتهم انهم (عباد أمثالكم) واحد المثلين لا يستحق عبادة الآخر له فان كانوا أكمل منكم (فادعوهم) أى ليؤثر وافى فان عجزوا عن التأثير (فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) فى ان لهم كمالا مثل كمالكم أو أكبر منه وكيف تدعون لهم كمال التأثير مع انهم اجسام لا تؤثر بدون الآلة (ألهم أرجل يمشون بها) ليصلوا الى الشئ فيؤثروا فيه (أم لهم أيد يبطشون بها) أى يتصرفون فى الشئ عند الوصول اليه (أم لهم أعين يبصرون بها) ويؤثرون فى المرئى بمجرد الرؤية (أم لهم آذان يسمعون بها) فيؤثرون فى المسموع بمجرد القصد فان زعموا ان لها تأثيرا بأحد هذه الوجوه أو غيرها (قل ادعوا شركاءكم) ليؤثروا فى (ثم) ان عجزوا عنه لشعورى به (كيدون) بضر لا أشعر به حتى يمكننى دفعه ولو خفتم اطلاعى على كيدكم (فلا تنظرون) مدة أطلع فيها على كيدكم فان كان لها ذلك التأثير فلا أبالى له وان لم أشعر به (ان وليي الله) الذى لا يغالبه تأثير شئ ويدل على انه تولانى انه (الذى نزل على) (الكتاب) الجامع لانواع التأثيرات وجمعه لانواع الحجج ورفع الشبه وغير ذلك وكيف لا يتولانى (وهو) بحسب سنته (يتولى الصالحين) فلا يمكن أحدا من اضرارهم (والذين تدعون من دونه) لا يتولون أحدا اذ (لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) اذا قصد اضرارهم (و) لو تولوا فليس عندهم أجل فوائد التولى وهو الهداية بل (ان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا) اذ ليس لهم سمع وان صورت لهم الآذان كما انه لا بصر لهم (و) ان كنت (تراهم ينظرون اليك) اذ صورت لهم الاعين (وهم لا يبصرون) واذا جادلوك فى شركائهم بعد هذا البيان (خذ العفو) مكان الغضب ليكونوا أقبل للنصيحة (وأمر) من توهمت فيه قبولها (بالعرف) أى التوحيد بدلائل مقبولة المقدمات (وأعرض عن الجاهلين) أى المصرين على جهلهم (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) أى وان تحقق

لا يعهد له وهو أن يلزم الانسان نفسه ذماما أى حقا يوجبه عليه يجرى مجرى المعاهدة من غير معاهدة ولا تخالف (قوله بذبح عظيم) يعنى تعالى ذبح كبش ابراهيم صلى الله عليه وسلم والذبح ما ذبح والذبح المصدر (قوله ذكر لك ولقومك) أى شرف

نخس

نخس من الشيطان اياك مثيراللغضب منك على جهلهم واساءتهم فيما امرت فيه من العفو والامر بالمعروف (فاستعذ) أى استجر (بالله) وادعه فى دفعه (انه سميع) لدعائك ولو حال الغضب بل لاتحتاج الى الدعاء لانه (عليم) باستعاذتك بل لاحاجة لك الى الاستعاذة الكمال تقواك (ان الذين اتقوا اذا مسهم) خاطر (طائف) أى دائر حول القلب (من الشيطان تذكروا) مافيه من المكر (فاذاهم مبصرون) لما عليه الامر فى نفسه (واخوانهم) وهم الذين لم يتقوا المهينات اهم التذكر ولاينفع فيهم الاستعاذة اذ الشياطين (يمدونهم) بتكثير الشبه والتزيين والتسهيل (فى الغى) أى الضلال (ثم) ان بولغ عليهم فى الوعظ بآيات الله واقامة الدلائل ورفع الشبه وغيرذلك (لايقصرون) عن الغواية (و) يدل عليه انك (اذالم تأتهم بآية) اقترحوها (قالوا لولا) أى هلا (اجتبيتها) أى انشأتها من اختيارك طريقة تشبه الاعجاز (قل) انها معجزة بالحقيقة ولادخل لاختيارى فى انشائها بل (انما اتبع مايوحى الى) بطريق الاعجاز ليعلم انها تصديق لى (من ربى) وكيف لايكون تصديقا وليس فيه شئ من الاغواء اذ (هذا) الوحى (بصائر) أى امور كشفية يعلم المكاشفون انها (من ربكم وهدى) أى دلائل قطعية (ورحمة) ترفع شبه الكن جميع ذلك انما يظهر (لقوم يؤمنون) فيتفكرون فى حقائقه ومن أراد ذلك استمع له وانصت لذلك قال (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا) معا سواء فلاحجة فيه لمن منع القراءة مع الامام فى الجهرية للاجماع على جواز اجتماع قارئين يسمع كل واحد منهما قراءة الآخر فى غير الصلاة مع ان الامام مأمور بالسكوت وقت قراءة المأموم (لعلكم ترحمون) بالاطلاع على اعجازه وفوائده الغير المتناهية فى الدنيا والآخرة ثم أشار الى ان تلك البصائر والهدى والرحمة لمستمع القرآن مع الانصات انما تتم بذكر الله فقال (واذكر ربك فى نفسك) أى باطنك (تضرعا) أى متضرعا يعنى متذللا (و) يتم التذلل بكونه (خيفة و) باللسان فوق السر (دون الجهر من القول) ليسرى أثر كل واحد منهما الى الآخر ويجتمعا على الذكر ليكون ذاكرا بالكلية ويسرى منهما النور الى سائر الاعضاء (بالغدو) وقت ابتداء النور ليكمل (والآصال) وقت انتقاصه لئلا ينتقص (ولاتكن) فيما بين ذلك (من الغافلين) بالكلية بل لابد وان تكون ذاكرا بالقلب وان اشتغل لسانك بالغير ولاتستغن بذكره عن عبادته فانه نوع من التكبر يحترزه أهل القرب (ان الذين) تقربوا الى الله حتى صاروا (عند ربك) فى أعلى مقامات القرب (لايستكبرون عن عبادته و) لايستغنون بعبادته عن ذكره بل (يسبحونه و) لايدعون الكمال لانفسهم عند ذلك بل (له يسجدون)* تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الانفال)

سميت بها لانها مبدأ هذه السورة ومنتهى ماذكر فيها من أثر أمر الحروب (بسم الله) الجامع

(باب الراء المفتوحة)

(قوله عزوجل الرحمن) ذوالرحمة لايوصف به الاالله عزوجل (قوله عزوجل رحيم) عظيم الرحمة (قوله تعالى ريب) شك (قوله عزوجل رغدا) كثيرا واسعا بلاعناء (قوله عزوجل رفث) (قوله عزوجل رفث) نكاح والرفث أيضا

اللطف والقهر باعطاء القوم نصرا ومالا وسلبهما من آخرين (الرحمن) بجعل الانفال له تعميما للرحمة بتهيئة المباشرين للحرب وغيرهم (الرحيم) بامرهم بالتقوى واصلاح ذات البين فيها روى انه عليه السلام قال يوم بدر من قتل قتيلا فله كذا ومن اسر أسيرا فله كذا فتسارع اليه الشبان فقتلوا سبعين وأسروا سبعين وبقي الشيوخ تحت الرايات فلما فتح عليهم قام الشبان يطلبون نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ كنا لكم ردأ وفئة تتحيزون اليها فلا تستأثروا به علينا فاعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفريقين فنزلت (يسئلونك عن الانفال) فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم بالسوية لما رأى وعده مبطلا لحق الغانمين الذي جعله الله لهم وقال الشافعي لا يلزم الامام الوفاء بما وعد والنفل مال يشترطه الامام أو نائبه لمن يتعاطى فعلا مخطرا كتقدمه طليعة أو تهجمه على قلعة أو دلالة على طريق بلد والمعنى ان أصحابك الذين حقهم طلب الاجر الاخروي بالجهاد يتنازعون في هذا المال حتى تحاكموا اليك يسئلونك من يستحقه (قل الانفال) ليست في مقابلة الجهاد وانما مقابله الاجر الاخروي وهذه زائدة عليه خرجت عن ملك المشركين فصارت ملكا خالصا (لله و) رسوله خليفة فهي في يدي (الرسول) يعطيها باذنه من يشاء (فاتقوا الله) ان تتصرفوا في ملكه بغير اذنه (وأصلحوا ذات بينكم) أي حالة الوصلة الايمانية بينكم فلا تقطعوها بما ليس لكم (وأطيعوا الله ورسوله) لو كانت لكم (ان كنتم) لله (مؤمنين) أي جارين على مقتضى الايمان من التقوى والاصلاح والاطاعة ثم أشار الى ان الجريان على مقتضى الايمان لا يحصل بدون التقوى التي هي مرجع الباقيين فقال (انما المؤمنون) أي الجارون على مقتضى الايمان هم (الذين اذا ذكر الله) أي حقه (وجلت) أي خافت من هتكه (قلوبهم) فيتبعها سائر أعضائهم (واذا تليت عليهم آياته) الدالة على ما عنده لمن خاف هتك حرمته (زادتهم ايمانا) أي طمأنينة بما عنده فلا يؤثرون عليه شيأ (و) كيف يؤثرون عليه شيأ ولا يتوكلون عليه بل (على ربهم يتوكلون) والمتوكلون عليه هم (الذين يقيمون الصلوة) بلا وسوسة وهي أعظم أسباب التقرب الى الله تعالى (و) لدفع الوسوسة الناشئة من حب المال (مما رزقناهم ينفقون) في سبيلنا ايثارا لحبنا عليه (أولئك) المؤثرون حب الله على حب ما سواه (هم المؤمنون حقا) أي البالغون أعلى مراتبه (لهم درجات عند ربهم) بدل درجات الاموال عند الخلق على ان الاموال من أسباب المعاصي (و) هؤلاء لخروجهم عن حبه لهم (مغفرة و) لا يفوتهم الرزق المطلوب من الاموال بل لهم (رزق كريم) يخدمهم به الملوك ومن دونهم لتقربهم الى الله بالصلاة والقلع من محبة المال ثم أشار الى ان حصول تلك الدرجات والمغفرة والرزق الكريم لهم مع كراهة فريق منهم فوات النفل كحصولها للخارجين من المدينة الى بدر مع كراهة فريق منهم القتال وفوات العير فقال (كما أخرجك) أي للمؤمنين حقا ماذكر كما هو لك ولاصحابك حين أخرجك (ربك) الذي رباك بالنبوة ليربيك بالنصر على وجه الاعجاز (من بيتك) أي من المدينة التي لا قتال

فيها

الافصاح بما يجب ان يكنى عنه من ذكر النكاح (قوله عز وجل رؤف) شديد الرحمة (قوله تعالى الراسخون في العلم) الذين رسخ علمهم وايمانهم وثبتا كما يرسخ النخل في منابته (قال أبو عمر سمعت المبرد وثعلبا يقولان معنى قوله عز وجل والراسخون في العلم

فيها الى بدر للقتال (بالحق) أي بالوحي الموافق للحكمة باظهار المعجزة في نصرك من غير أهبة
(وان فريقا من المؤمنين) الذين مقتضى ايمانهم امتثال أمر الله وان لم يظهر لهم فيه فائدة
(لكارهون) لامتثال أمره بالجهاد لعدم تأهبهم حتى انهم (يجادلونك في) الجهاد (الحق
بعدما تبين) انهم ينصرون فيه على خرق العادة (كأنما) في التسيير اليه (يساقون الى
الموت) سوق الدواب الى الذبح (وهم ينظرون) الموت قبل الوصول الى مكانه وذلك ان
عير قريش فيها أربعون راكبا وفيهم أبو سفيان اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة فاخبر
جبريل رسول الله عليه السلام فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما
خرجوا بلغهم الخبر فبعثوا الى مكة ضمضم بن عمرو فصرخ ببطن الوادي يامعشر قريش
هذه أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه الغوث الغوث فمضوا الى بدر وكان
عليه السلام بوادي دقران فنزل عليه جبريل بعدتا احدى الطائفتين فاستشار رسول الله
صلى الله عليه وسلم أصحابه فقال بعضهم هلاذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انما خرجنا للعير
فقال ان العير مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يارسول الله عليك بالعير
ودع العدو فغضب عليه السلام فقال المقداد بن عمرو يارسول الله امض لما أمرك الله فانا معك
حيثما أحببت لانقول لك كما قال بنو اسرائيل اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن
اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لوسرت بنا الى برك الغماد
مدينة بالحبشة لجالدنا معك من دونه فقال عليه السلام له خيرا ودعاله ثم قال عليه السلام
اشيروا على أيها الناس يريد الانصار القائلين له حين بايعوه على العقبة انهم براء من كل ذمامه
حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لايروا نصره الا على عدو دهمه بالمدينة فقال سعد بن معاذ
فكانك تريدنا يارسول الله قال أجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ماجئت به هو الحق
وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض لما امرت فوالذي بعثك
بالحق لواستعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك ماتخلف عنك منا رجل واحد ومانكره ان
تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب وصدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ماتقر به عينك ففرح
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله
وعدني الآن احدى الطائفتين فوالله لكأني الآن أنظر الى مصارع القوم فهذه كراهتهم
للقتال (و) أما كراهتهم لفوات العير فهي (اذيعدكم الله احدى الطائفتين) العير أو النفير
(أنها) مقهورة (لكم وتودون) أي تحبون (ان) العير لكونها (غير ذات الشوكة) أي
الحدة مستعار من واحد الشوك (تكون لكم ويريد الله) بجعل النفير لكم (أن يحق
الحق) أي يثبت النبوة (بكلماته) من غير أهبة منكم (و) لم يرد عليه مالكم بل أراد ان
(يقطع دابر الكافرين) أي يستأصلهم فلا يترك لهم من يخلفهم وانما فعل ذلك (ليحق
الحق) أي ليثبت الدين الصادق باظهار المعجزات (ويبطل) الدين (الباطل) باستئصال أهله مع
ظهور شوكتهم وليس لموافقة طائفة منهم في الباطن بل (ولو كره المجرمون) كلهم نفعل ذلك

المتذاكرون بالعلم وقالا
لا يذاكر بالعلم الا حافظ)
(قوله رمزا) الرمز تحريك
الشفتين باللفظ من غير
ابانة بصوت وقد يكون
اشارة بالعين والحاجبين
(قوله تعالى ربانيون) كاملو
العلم قال محمد بن الحنفية
رضوان الله عليه حين
مات ابن عباس رضي الله

(اذ تستغيثون ربكم) وهو انه عليه السلام نظر الى المشركين وهم ألف والى أصحابه وهم ثلثمائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه ودعا اللهم أنجز ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال أبو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك (فاستجاب لكم) اصدق استغاثتكم بامر هو مراده (أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين) أي تابعين للمشركين هذا اذا كسر وان فتح فمعناه مجعولين مقدمة أو ساقة والزيادة المذكورة في غير هذه الآية لمجرد التخويف (وما جعله الله) أي الامداد (الا) لتستبشروا لكونه (بشرى) لكم بأنكم أهل الامداد السماوي (ولتطمئن به قلوبكم) لا للنصر اذ لا اثر للاسباب وان جرت سنته بالفعل عندها (و) لكن (ما النصر الا من عند الله ان الله عزيز) أي غالب على الاسباب فله ان يفعل بخلاف مقتضاها لكنه لا يخالفها الا انه (حكيم) ويدل على كونه للطمأنينة انه كان (اذ يغشيكم) أي يغلبكم (النعاس) أي النوم الذي يسلب عن الخائف فكان (أمنة منه و) من اعتنائه بكم الدال على نصره اياكم انه (ينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) من الحدث والجنابة لتناسبوه فتستفيضوا منه النصر فيفيضه عليكم هذا في الظاهر (و) في الباطن (يذهب عنكم رجز الشيطان) أي وسوسته وذلك انهم كانوا نازلين في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام وناموا فاحتلم أكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وأنتم تصلون محدثين جنبا وتزعمون انكم أولياء الله وفيكم رسوله فأشفقوا فانزل الله تعالى المطر ليلا حتى جرى الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤا (و) يدل على اذهابه رجز الشيطان انه كان (ليربط على قلوبكم) الوثوق على لطف الله وهذا تثبيت للباطن (ويثبت به الاقدام) على الرمل المتلبد في الظاهر وقد ثبتها في المعركة بامداده عز وجل اياها بالملائكة (اذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم) انصركم على الشياطين الموسوسة (فثبتوا الذين آمنوا) بدفع الوسواس ولا امكن الشيطان من تقوية قلوب المشركين بل (سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب) اي الخوف من رؤية الملائكة ولا تقتصروا على تخويفهم بل قاتلوهم (فاضربوا) اي فاقطعوا اعناقهم بوضع السيوف (فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان) أي طرف قال ابن عباس اشتد رجل من المسلمين اثر رجل من المشركين فاذا هو قد خر مستلقيا امامه قد خطم انفه وشق في وجهه كضربة السوط فأخبر به جبريل عليه السلام فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة (ذلك) وان بعد عادة لا يبعد حكمة لكونه (بأنهم شاقوا) أي عادوا (الله) فلا يبعد أن ينزل عسكر من جانب سمائه كيف (و) قد عادوا (رسوله) وعداوة الرسول عداوة المرسل (و) لا يبعد أمرهم بالضرب فوق الاعناق وضرب كل بنان لانه نوع من الشدة التي يستحقها أعداء الله ورسوله فان (من يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) وشدة عقابه وان كان مختصة بالآخرة فلا بد في الدنيا من مثال لها يدل عليها فيكون (ذلكم)

مثالها

عنه اليوم مات رباني هذه الامة وقال ابو العباس ثعلب انما قيل للفقهاء الربانيون لانهم يربون العلم أي يقومون به (وقال ابو عمر عن ثعلب العرب تقول رجل رباني وربي اذا كان عالما عاملا) * (قوله عز وجل رابطوا) أي اثبتوا ودوموا واصل المرابطة

مثالها ودليلها ولا تتم دلالته الا بالذوق (فذوقوه و) هو وان كان مثالا لها فليس قائما مقامها لذلك (أن للكافرين عذاب النار يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم اعتقاد أن النصر من عند الله وانه ناصر لاوليائه وأن له شدة على أعدائه لذلك (اذا لقيتم الذين كفروا) فرأيتموهم من كثرتهم كأنهم يمشون مشي الصبيان فيزحفون على مقاعدهم (زحفا فلا تولوهم الادبار) أي الظهور بالانهزام (ومن يولهم يومئذ) فيه اشارة الى أنه يجوز توليتهم الظهور فيما لا يقيدهم قهرا على الاسلام (دبره الا متحرفا) أي قاصد الرجوع اليهم (لقتال) بعد ايهامهم الانهزام (أو متحيزا) أي صائرا (الى) مكان (فئة) أي جماعة قريبة ليتبعه العدو فيستعين بهم (فقد باء) أي رجع (بغضب من الله) مناسب لعظمته لانه ضيع نصر الله له وأفاد العدو القاهرية بعد ما استحقوا المقهورية (ومأواه جهنم) لكونه سبب قتل المسلمين فصار كقاتلهم أجمعين (و) هو وان لم يوجب الخلود فهو (بئس المصير) كيف وهو كالتكذيب لكون النصر من عند الله بعد رؤيته على خرق العادة (فلم تقتلوهم) اذلم يصلهم ضربكم (ولكن الله قتلهم) على أيدي الملائكة (وما رميت) رميا موصلا للتراب الى أعينهم (اذ رميت) التراب الى جهتهم (ولكن الله رمى) رميا موصلا له اليها بعد رميك فعل ذلك ليقهرهم (و) لكن أمر به المؤمنين (ليبلي المؤمنين منه) لا بلاء قهر عليهم بل (بلاء حسنا) بالنصر والغنيمة وانما ابتلاهم ليدعوه فيتذللوا له ويشكروا صنعه عند رؤية حسنه (ان الله سميع) لمن دعاه (عليم) من شكره (ذلكم) كيف لا يكون بلاء حسنا (و) لا يكون هذا الابتلاء ابتلاء قهر بمكر الكافرين بل يزداد بمكرهم حسنا (أن الله موهن) أي مضعف (كيد الكافرين) كيف ولا يفيدهم كيدهم شيأ فانه (ان تستفتحوا) أيها المشركون بكيدكم (فقد جاءكم الفتح) بقتلكم وأسركم فالله تهكما بهم (و) كيف يفيدكم كيدكم مع انكم (ان تنتهوا) عن كيدكم (فهو خير لكم) اذ لا يستأصلكم الله حينئذ (و) لا تتوهموا أنه ان لم يفدكم مرة يفدكم أخرى بل (ان تعودوا) الى الكيد (نعد) الى الاستئصال (ولن تغني) أي لن تدفع (عنكم) الاستئصال (فئتكم) أي جماعتكم (شيأ) من الغنى (ولو كثرت) كيف (وأن الله مع المؤمنين) بالنصر والمعونة ولا يكون الا بقهركم وانما يكون مع المؤمنين اذا أطاعوه ولذلك قال (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله) وانما تتأتى اطاعته باطاعة رسوله لذلك قال (و) أطيعوا (رسوله) واطاعتهما بترك التولي عما يسمع من كلامهما فقال (ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) ثم أشار الى أنه ليس مقتضى الايمان وحده بل مقتضى الانسانية أيضا فقال (ان شر الدواب) كما يكون عندكم فاقد الحواس يكون (عند الله الصم) عن سماع كلماته فان سمعوا فهم (البكم) عن النطق بها فان نطقوا فهم (الذين لا يعقلون) ليعملوا بمقتضاها (و) تلك الشرية من لوازم ذواتهم اذ (لو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم) سماع قبول فانه أدنى وجوه

والرباط أن يربط هؤلاء خيولهم ويربط هؤلاء خيولهم في الثغر كل يعد لصاحبه فسمي المقام بالثغور رباطا (قوله تعالى نساؤكم) ربائبكم نسائكم الواحدة ربيبة من غيركم (قوله عز وجل راعنا) حافظنا من راعيت الرجل

الخيرية المخرجة من الحيوانية الى الانسانية (و) لكن ليس فيهم هذا الادنى حتى انه (لو أسمعهم) مع علمه بعدم الخيرية فيهم (لتولوا) أى أعرضوا عنه ليجعلوه كغير المسموع كيف (وهم معرضون) أى معتادون للاعراض لانه مقتضى ذواتهم ثم أشار الى أن السماع وان كان أدنى وجوه الخيرية فهو المستلزم لسائر وجوهها الاقتضائه الاعمال التى تفيد حياة القلب التى بها الانتفاع لسائر وجوه الخيرية فقال (يا أيها الذين آمنوا) انما يتم ايمانكم بحياة القلوب الحاصلة من استجابة الله ورسوله التى هى مقتضى ايمانكم (استجيبوا لله وللرسول) بالعمل بمقتضى ما سمعتم من الكتاب والسنة (اذا دعاكم) بأحدهما (لما يحييكم) أى للاعمال التى تحيى قلوبكم بنوره (واعلموا أن الله) اذا لم تستجيبوا له لم يفض الحياة على قلوبكم بل (يحول) أى يوقع حائل الحجاب (بين) روح (المرء وقلبه) فلا تصل الحياة من روحه الى قلبه فضلا عن أن تصل من الله اليه (وأنه) لا يتركهم فى الحجاب بحيث تغفلون عنه بل (اليه تحشرون) ليظهر لكم كونكم محجوبين عن كمالاتكم التى من جملتها الحياة الانسانية بالله (واتقوا) فى ترك الاستجابة وراء ما يحول بين المرء وقلبه (فتنة) أى عذابا دنيويا قال الله لها (لا تصيبن الذين ظلموا) بترك الاستجابة (منكم خاصة) بل عمهم ومن لم ينههم (واعلموا أن الله) مع ذلك (شديد العقاب) لتارك الاستجابة فى الآخرة (واذكروا) ان منعكم ضعفكم عن استجابة الله والنهى عن تركها (اذ أنتم قليل) ومع قلتكم استجبتم لله ولم تتركوا على ضعف القلة بل زادوكم اضعافا اذ أنتم (مستضعفون) أى مستمرون على اضعاف الناس اياكم لعدم تمكنكم (فى الارض) وان كنتم أقوياء فى الامور السماوية لاستجابتكم لله ومع تلك القوة كنتم (تخافون أن يتخطفكم الناس) أى يلتقطوكم التقاط الطائر للحبات فأزالت استجابتكم لله الخوف ممن هو دونه (فآواكم) أى جعل لكم مكانا تحصنون به (و) لم يقتصر عليه بل جعل لكم الغلبة عليهم اذ (أيدكم بنصره و) لم يحوجكم اليهم ليغلبوكم بمنع حوائجكم اذ (رزقكم من الطيبات) أى من الغنائم (لعلكم تشكرون) باستزادة الاجابة والاستدامة عليها وعلى النهى عن تركها فهو سبب مزيد التحصن ومزيد التأييد بالنصر ورزق الطيبات ثم الشكر سبب آخر للمزيد ثم أشار الى أن الاستضعاف انما يزول بالاستجابة لا بالخيانة وأنها ليست سبب رزق الطيبات والنصر والايواء بمكان من خان من أجله فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم النصح لله ولرسوله وللمؤمنين (لا تخونوا الله والرسول) بتضييع شئ من الاوامر والنواهى وافشاء شئ من الاسرار (و) لا (تخونوا أماناتكم) أى ما ائتمنكم فيه أحد من الخلائق من مال أو أهل أو سر (وأنتم تعلمون) غاية قبحها بحيث يمتنع اجتماعها مع غاية الحسن الذى هو مقتضى الايمان نزلت فى أبى لبابة حين حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة فسألوه أن يصالحهم كما صالح اخوانهم بنى النضير على أن يسيروا الى أريحا وأذرعات فأبى الا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فقالوا أرسل الينا أبا لبابة وكان عندهم ماله وأولاده فقالوا

هل

اذا تأملته وتعرفت أحواله فكان المسلمون يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم راعنا وكان اليهود يقولونها وهى بلغتهم سب فأمر الله عز وجل المسلمين أن لا يقولوها حتى لا يقولها اليهود وراعنا اسم منون مأخوذ

هل تنزل على حكم سعد فأشار الى حلقه بأنه الذبح قال فما زالت قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه فتاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال والله لا أحلها حتى يحلني رسول الله فحله (واعلموا) اذا أردتم الخيانة لحفظ الاموال والاولاد أو ترك الاستجابة أو ترك النهي عن تركها (أنما أموالكم وأولادكم فتنة) أي ابتلاء من الله هل تقعون بهما في الخيانة أو تتركون لهما الاستجابة أو النهي عن تركها (وأن الله عنده أجر عظيم) أجل مما فات منهما بالاستجابة والنهي عن تركها أو بترك الخيانة ثم أشار الى أن من ترك الخيانة واستجاب الله ونهى عن تركها فلا يخاف على أهله وماله وعرضه فقال (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله) بمقتضى ايمانكم فتركتم الخيانة واستجبتم لله ونهيتم عن تركها (يجعل لكم فرقانا) ما تفارقون به سائر الناس من المهابة والاعزاز فلا يجترئ أحد على أهلكم وأموالكم واعراضكم (ويكفر عنكم سيئاتكم) أي قبائحكم التي تحتاجون في دفع العار بها الى الخيانة وعدم الاستجابة أو ترك النهي عن تركها (ويغفر لكم) اساءتكم الى الناس اذا قاتلوكم في الاستجابة أو قاتلتموهم في النهي عن تركها والديون التي عليكم مما تحتاجون الى الخيانة في أدائها (و) لا تخافوا الوفاة كم شيء من ذلك اذ (الله ذو الفضل العظيم) يتفضل عليكم بما يسد عليكم الحوائج ويبدل ذلكم عزا ثم أشار الى أن المتقي كما يجعل الله فرقانا يمنع من الاجتراء على أهله وماله وعرضه ظاهرا يحفظه من مكر من مكر به بل يمكر له على ما كره فقال (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك) أي يحبسوك في بيت يسدون منافذه الا كوة يلقون منها طعامك وشرابك حتى تموت وهذا رأي أبي البختري بن هشام اعترض عليه ابليس دخل عليهم حين اجتمعوا بدار الندوة يتشاورون في أمره حين سمعوا بايمان الانصار فأتاهم في صورة شيخ من نجد فقال بئس الرأي لئن حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الى أصحابه فيوشك أن يثبوا عليكم ويأخذوه من أيديكم (أو يقتلوك) وهذا رأي أبي جهل قال أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فتضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في قبائل فلا يقوى بنو هاشم على قتال جميعهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فاستحسنه ابليس (أو يخرجوك) قاله هشام بن عمرو فاعترض عليه ابليس بأنكم تعمدون الى رجل قد أفسد سفهاءكم فتخرجونه الى غيركم فيفسدهم ألم تروا الى حلاوة منطقه وطلاقة لسانه وأخذ القلوب ما يسمع من حديثه لئن فعلتم ذلك يستقبل قوما آخرين ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم من بلادكم فأتى به جبريل وأخبره الخبر وأمره أن لا يبيت في مضجعه فقال لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه ان يلزم مضجعه متسجيا ببرده فلا يصل اليه منهم ما يكره ثم خرج عليه السلام وأخذ قبضة من تراب فأخذ الله بأبصارهم عنه وجعل ينثر التراب على رؤسهم وهو يقرأ انا جعلنا في أعناقهم أغلالا الى قوله فهم لا يبصرون ومضى مع أبي بكر الى الغار وبات

من الرعونة أي لا يقولوا حمقا وجهلا (قوله عز وجل الرجفة) أي حركة الارض يعني الزلزلة الشديدة (قوله عز وجل رجت الارض) أي انبعث (قوله عز وجل روع) أي فزع (قوله عز وجل رعد) روي عن

المشركون يحرسون عليا يحسبون أنه النبي فلما أصبحوا ساروا اليه ليقتلوه فرأوا عليا فقالوا أين صاحبك فقال لا أدري فاتبعوا أثره فلما بلغوا الغار رأوا نسج العنكبوت على بابه فقالوا لو دخله لم يبق لنسج العنكبوت أثر فمكث فيه ثلاثا وخرج (ويمكرون) في حق سائر المتقين (ويمكر الله) أي يدبر بخفية ما يبطل مكرهم في حقهم (والله خير الماكرين) أي أعظمهم تأثيرا (و) كيف لا يمكر الله عليهم وهم يمكرون على آياته فانه (اذا تتلى عليهم آياتنا) المنسوبة الى عظمتنا المعجز غير ناعنها (قالوا قد سمعنا) مثل هذا من بلغائنا (لو نشاء لقلنا مثل هذا) وان لم يبلغ حد أولئك البلغاء ولا اعجاز فيها باعتبار اخباره عن الغيب (ان هذا الا أساطير الاولين) أي أخبار كاذبة سطرها الاولون وهذا منهم مع ايثارهم المقاتلة بالسيوف على مقابلة الحروف وعلمهم بأن أخباره موافقة لكتب الانبياء المتقدمين وما تواترعنهم (واذ قالوا) عندما ألزموا الاعجاز الدال على حقيته (اللهم ان كان هذا) الكلام الادنى من حد الاعجاز (هو الحق) المعجز بحيث نعلم كونه (من عندك فأمطر علينا) لعاندتنا معك (حجارة) ترجمنا بها على أشد الوجوه لازدياد ثقلها بكونها من أبعد الاماكن العالية (من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) أبلغ في الايلام من الاحجار فقال تعالى دفعا لمكرهم بأنه لو كان حقا لعجل لهم العذاب (وما كان الله ليعذبهم) وان تحقق سبب وقوعه على الفور من استعجالهم اياه على أشد وجوه المعاندة مع الله والمكر بعباده (وأنت فيهم) أي في مكانهم لانه لو نزل فيه لاصاب كل من كان فيه (وما كان الله معذبهم) وان أمكنه تخليصك من العذاب النازل في مكانهم (وهم يستغفرون) أي يتوقع منهم الاستغفار ثم أشار بأن المانعين المذكورين انما منعا من العذاب الدنيوي دون الاخروي فقال (وما لهم ألا يعذبهم الله) على ذلك (و) قد استحقوه على ما هو أدنى منه اذ (هم يصدون عن المسجد الحرام) مع انهم لا يستحقون صد أحد عنه لانه انما يستحقه من كان وليه فان له أن يصد عنه عدوه (وما كانوا أولياءه) ولا المؤمنون أعداءه بل الامر بالعكس لانه (ان أولياؤه الا المتقون) فلهم أن يصدوا المفسدين عنه (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أنهم المفسدون (و) ليسوا بصلاتهم أولياءه لانه (ما كان صلاتهم عند البيت) الذي يتوجه اليه المصلون لغاية حرمته (الا) مبطلة لحرمته لكونها (مكاء) تصفيقا (وتصدية) أي تصفيرا وتسميتهم ذلك صلاة كفر (فذوقوا العذاب) على الصلاة التي ادعيتم بها ولاية البيت (بما كنتم تكفرون) ثم أشار الى أن صدقاتهم أيضا كفر فقال (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم) على نهج الصدقة (ليصدوا عن سبيل الله) الذي يطلب بالصدقة قطعه للوصول الى غاية المطالب كالمطعمين يوم بدر وهم أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأبو البختري بن هشام والنضر بن الحرث وحكيم بن حزام وأبي بن خلف وربيعة بن الاسود والحرث بن عامر والعباس بن عبد المطلب كان يطعم كل واحد منهم الجيش يوما بعشر جزور (فسينفقونها) بلا فائدة دنيوية ولا دينية (ثم) اذا اطلعوا على كونها

النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل ينشئ السحاب فينطق أحسن النطق ويضحك أحسن الضحك فنطقه الرعد وضحكه البرق وقال ابن عباس الرعد ملك اسمه الرعد وهو الذي تسمعون صوته والبرق

بلا

بلا فائدة (تكون عليهم حسرة ثم) لا يقتصر فى حقهم على حسرة عدم الفائدة بل يزاد فيها حيث يعكس عليهم مطلوبهم اذ (يغلبون و) لا يقتصر على مغلوبيتهم بل (الذين كفروا) أى ماتوا على الكفر منهم وهم غير العباس وحكيم بن حزام (الى جهنم) لا الى غيرها كشهداء المسلمين (يحشرون) أى يساقون وانما حشروا الى جهنم وشهداء المؤمنين الى الجنة (ليميز الله) القتيل (الخبيث من) القتيل (الطيب ويجعل) العمل (الخبيث) للقتيل الخبيث من الانفاق وغيره (بعضه على بعض) بلا فرجة بين العالى والسافل (فيركمه) أى فيكثفه (جميعا) ليزدادوا ثقلا (فيجعله فى جهنم) على رأسه لتضعيف العذاب عليه دائما بلا تخفيف اذ (أولئك) البعداء فى رتبة جمع الخبائث (هم الخاسرون) وجوه الخيرات التى بها التخفيف فان زعموا أن هذه الخبائث المتراكمة لا ترتفع بالاسلام وحده فلا فائدة فيه (قل للذين كفروا) أى ثبتوا على الكفر لرؤيتهم عجزهم عن دفع خبائثهم المتراكمة (ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) من الخبائث المتراكمة وغيرها فان نور الاسلام اذا قوى على اذهاب ظلمة الكفر فهو أقوى على اذهاب سائر الظلمات (وان يعودوا) الى الكفر والخبائث بعدما سهل عليهم ازالتها فكأنما أزيلتا عنهم لم يؤخر أمنهم الى الآخرة (فقد مضت سنت الاولين) بصب العذاب الدنيوى على المعاندين (و) لولم يعجل عذابهم (قاتلوهم حتى لا تكون) أى لا توجد (فتنة) اى اضلال لمن بعدهم (ويكون الدين كله لله) فلا يسقط الجهاد ما دام أحد على دين باطل (فان انتهوا) بالقتال عن الكفر والخبائث ظاهرا (فان الله بما يعملون) بيواطنهم (بصير وان تولوا) أى أخذوا على مقاتلتكم أولياء من الكفار (فاعلموا أن الله مولاكم) أى حافظكم عنهم وناصركم عليهم (نعم المولى) أى الحافظ فلا يضيع من تولاه (ونعم النصير) لا يغلب من نصره (و) من توليه لكم قسمة الغنائم بجعل بعض أقسامها لمن هو سبب نصركم فهى من نصره اياكم وتوليه لكم (اعلموا أنما غنمتم من شئ) قل أو كثر وهى ما أخذ المسلمون عنوة من الكفار (فان لله) الذى منه النصر المتفرع عليه الغنيمة (خمسه) كخمس الركاز شكرا له على نصره واعطائه الغنيمة باخراج جزء منها (و) ذلك الخمس يعطى خواص عباده فيعطى خمس منه (للرسول) الذى هو الاصل فى أسباب النصر وللامام بعده يصرفه فى المصالح كرزق نفسه وأهله والولاة والعلماء والائمة والمؤذنين وسد الثغور والاسلحة وغير ذلك (و) آخر (لذى القربى) بنى هاشم والمطلب لا عبد شمس ونوفل لانهم قاربوه فى سببية النصر وعدم مخالفتهم اياه فى الجاهلية والاسلام (و) آخر حق (اليتامى) من مات آباؤهم ولم يبلغوا لانهم ضعفاء فلهم أثر فى النصر ويشترط فيهم الفقر (و) آخر حق (المساكين) لانهم أيضا ضعفاء كاليتامى (و) آخر حق (ابن السبيل) وهو المسافر لان دعاءه أقرب الى الاجابة لكونه بظهر الغيب فله دخل فى النصر وانما قدرنا كذلك لئلا يلزم تسديس الغنيمة مع حرمان الغانمين أو جعل الخمس لله والاربعة للخمسة مع حرمان الغانمين أيضا ولا قائل به والاربعة الباقية من أصل الغنيمة لاهل الوقعة للفارس

سوط من نور يزجر به السحاب وقال أهل اللغة الرعد صوت السحاب والبرق نور وضياء يصحبان السحاب (قوله عز وجل رابيا) عاليا على الماء (قوله تعالى ردوا أيديهم فى أفواههم) أى عضوا أناملهم حنقا

ثلاثة أسهم ولغيره واحد (ان كنتم آمنتم بالله) فمقتضى الايمان بالله الشكر على نصره واعطائه الغنيمة (وما أنزلنا) من النصر (على عبدنا) المناسب افيضنا عليه فهو الاصل في النصر و يقاربه أقاربه ثم الضعفاء (يوم الفرقان) أي يوم بدر الفارق بين أهل الحق والباطل مع ضعف الاولين وقوة الآخرين في الظاهر فأثر أثر الضعف في النصر (يوم التقى الجمعان) فلابد من اعطاء الضعفاء (و) لا يبعد من الله أن يجعل النصر أثر الضعف والقهر أثر القوة اذ (الله على كل شئ قدير) وقد زاد ضعفكم (اذ أنتم بالعدوة الدنيا) أي بشفير الوادي الاقرب من المدينة (وهم بالعدوة القصوى) أي شفير الابعد (و) زادكم ضعفا آخر انقطاع رجائكم من الركب اذ (الركب) أبو سفيان وأصحابه (أسفل منكم) أي ساحل البحر بقدر ثلاثة أميال من بدر (و) قد بلغ ضعفكم الى حيث (لو تواعدتم) القتال (لاختلفتم في الميعاد) هيبة منه و بأسا من الظفر (ولكن) جمع الله بينكم (ليقضي الله أمرا) من نصر أوليائه وقهر أعدائه (كان مفعولا) أي كالواجب فعله لان في نصركم مع ضعفكم وقهرهم مع قوتهم دليلا على قوة دينكم وضعف دينهم كما قال (ليهلك) أي يظهر هلاك دين (من هلك) بهلاك دينه (عن بينة) أي دليل ظاهر (ويحيى) أي وليظهر حياة دين (من حي) بحياة دينه (عن بينة و) لا يضر في التبيين عناد المعاندين (ان الله لسميع) لعنادهم (عليم) بما يقطعه لكنه لم يقطعه عنهم ابقاء للتلبيس عليهم لاقتضاء الحكمة اياه كما لبس عليكم (اذ يريكهم الله في منامك قليلا) لتخبر أصحابك بقلتهم فتقوى قلوبهم على محاربتهم ولما كانوا اذليلين بالقهر كانوا قليلين في المعنى (و) الحكمة في التلبيس أنه (لو أراكهم كثيرا لفشلتم) أي جبنتم (و) لو لم تتفقوا على الجبن (لتنازعتم) أي اختلفتم (في الامر) أي أمر الاقدام والاحجام ومثل هذا التلبيس لا يمتنع على الحكيم وانما هو التلبيس الذي يضر بالملبس عليه ولم يضركم به (ولكن الله سلم) الملبس عليه عن الفشل والتنازع الذي علمه من أخلاق الملبس عليه (انه عليم بذات الصدور) أي بالاخلاق التي هي صواحبات الصدور (و) لم يقتصر على التلبيس المنامي بل لبس في اليقظة أيضا لتبقى جراءة أصحابك (اذ يريكموهم) لا عن بعد بل (اذ التقيتم في أعينكم) لا في خيالكم أو الحس المشترك منكم على ما في المنام (قليلا و) قد لبس عليهم أيضا في اليقظة لئلا يهربوا اذا رأوا كثرتكم اذ (يقللكم في أعينهم) في اليقظة لا لغرض التلبيس المضر بالملبس عليه بل (ليقضي الله أمرا) من اظهار الخوارق الدالة على صدق دين الاسلام وكذب دين الكفرة وهو نافع على الاطلاق لذلك (كان مفعولا) أي كالواجب فعله على الحكيم لما فيه من الخير الكثير (و) لا يبعد ايجاد الخوارق اذ لا تأثير للاسباب بل (الى الله ترجع الامور) لا الى الاسباب فلا يبعد ايجاد شئ على خلاف مقتضاها (يا أيها الذين آمنوا) بأن الله قادر على النصر مع الضعف وقد فعل لاظهار صحة دين الاسلام لا تضعفوا عند المحاربة بل (اذا لقيتم فئة) أي جماعة من العدو (فاثبتوا) للقائهم بالقوة (و) لا تعتمدوا على ثباتكم بل (اذكروا الله) الثابت من الازل الى الابد ليفيض عليكم

الثبات

وغيظا بما أتاهم به الرسل كقوله عز وجل واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وقيل ردوا أيديهم في أفواههم أو مئوا الى الرسل أن اسكتوا (قوله رواسي) أي ثوابت يعني جبالا (قوله عز وجل رجالك) أي رجالتك

الثبات المستمر ولا يكفى فيه القليل فاذكروه (كثيرا) بحيث يحضركم روحانية الذكر (لعلكم
تفلحون) بتحصيل الثبات المستمر (و) هذا الفلاح منوط بإطاعة الله ورسوله لذلك (أطيعوا
الله ورسوله و) يبطل إطاعتهما التنازع لذلك (لا تنازعوا) باختلاف الآراء (فتفشلوا) أى
فتجبنوا إذ لا يتقوى بعضكم ببعض (وتذهب ريحكم) أى القوة التى تنفذ من البعض فى
البعض نفوذ الريح (واصبروا) على مخالفة أهويتكم الداعية الى التنازع فالصبر مستلزم
للنصر (ان الله مع الصابرين) بالنصر ثم أشار الى أن طالب النصر من الله يجب أن يكون خروجه
من بيته لله ويستمر عليه الى حين القتال فقال (ولا تكونوا كالذين) أى مشابهين لهم بوجه
فضلا عن أن تتصفوا بصفتهم (خرجوا من ديارهم) وان غيروا نيتهم حين القتال لكن يكون
للاولى أثر (بطرا) أى فخرا بالشجاعة (ورئاء الناس) طلب الثناء بها (و) كيف لا يكون
لهذه النية أثر وهم (يصدون) أنفسهم بها (عن سبيل الله) والنية فى أول الامر تؤثر فى
جميعه وكيف تطلبون بهذه النية النصر من الله (والله بما تعملون محيط) فيحيط بكم جزاؤه
فلا يبقى للنصر الذى هو جزاء ضده سبيل اليه (و) اعتقاد كون البطر والرئاء من أسباب
النصر انما هو من تزيين الشيطان فاذكر (اذ زين لهم الشيطان أعمالهم) التى هى أسباب
القهر فأراها اياهم أسباب النصر (و) بالغ فى وعد النصر اذ (قال) متصورا بصورة سراقة
ابن مالك حين ذكرت قريش ما بينهم وبين بنى بكر من الحروب (لا غالب) أحد دافعا (لكم)
عن مرادكم (اليوم من الناس وانى جار) أى مجير (لكم) قاله قبل اجتماع العسكرين
(فلما تراءت الفئتان) أى ترائت كل واحدة صاحبتها من بعد فرأى الملائكة نازلة من السماء
(نكص على عقبيه) أى ولى هاربا على قفاه وكانت يده فى يد الحرث بن هشام فدفع فى صدره
(وقال انى برىء منكم) أى من عهد جواركم (انى أرى) من الملائكة النازلة لامداد
المؤمنين (ما لا ترون انى أخاف الله) أن يعذبنى قبل القيامة (و) لا يبعد مع امهاله اليها اذ
(الله شديد العقاب) فالامهال انما يكون باعتبار العذاب الاخروى الذى هو أشد من الدنيوى
الموعود لاهل عداوة المؤمنين اليوم فانهزم الناس فلما رجعوا الى مكة قالوا هزم الناس
سراقة بن مالك فبلغه فقال قد بلغنى أنكم تقولون هزمت الناس فوالله ما شعرت بمسيركم
حتى بلغنى هزيمتكم فلما أسلموا علموا انه كان الشيطان وانما قال الشيطان لا غالب لكم
اليوم من الناس وانى جار لكم حين رأى الضعف فى المؤمنين (اذ يقول المنافقون والذين
فى قلوبهم مرض) أى ضعف ايمان (غر هؤلاء) المقاتلين مع اضعافهم (دينهم) فظنوا أنه
ينصرهم (و) يكفيهم من دينهم فى نصرهم توكلهم فان (من يتوكل على الله) ينصره على
اضعافه بالغين ما بلغوا (فان الله عزيز) أى غالب على ما أراد ولا بد أن يريد نصر أوليائه
لانه (حكيم) والحكمة تقتضى نصرهم ثم أشار الى أنه لا غرور فى أن يموت شهيدا بل فى أن
يحيى كافرا فقال (ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا) ولو بعد ما فازوا بمقدار من الحياة الدنيوية
(الملائكة يضربون) بسياط من النار قبل وصولهم الى القبور والقيامة (وجوههم) ما أقبل

(قوله عز وجل الرقيم) لوح كتب فيه خبر أصحاب الكهف ونصب على باب الكهف والرقيم الكتاب وهو فعيل بمعنى مفعول ومنه كتاب مرقوم أى مكتوب ويقال الرقيم اسم الوادى الذى فيه الكهف

منهم (وأدبارهم) يقولون لهم ضما للعذاب العقلى الى الحسى (ذوقوا) من ضربنا ايا كم (عذاب الحريق) أى النار الملتهبة فى جراحاتكم وليس ذلك منا ابتداء بل (ذلك) الضرب الشديد (بما قدمت) الى الله تعالى (أيديكم) من الكفر والمعاصى الموجبة لغضب الله (و) هو وان اشتد غضبه لا يظلمكم (ان الله ليس بظلام للعبيد) وان بالغ هذه المبالغة فى تشديد العذاب ولا يبعد هذا الضرب من الملائكة قبل القيامة فان غايته أنه تعذيب دنيوى فهو (كدأب آل فرعون) دأب الكفرة (الذين من قبلهم) ممن سار مسير هؤلاء فى أنهم (كفروا بآيات الله) فلم يبالوا بمعاصيه (فأخذهم الله) قبل يوم القيامة (بذنوبهم) وان أخر التعذيب بها فى حق البعض لانهم اجترؤا على معاصيه بما رأوا لانفسهم من القوة فضعفهم اظهارا لقوته (ان الله قوى) على أن تأخير العذاب انما يكون للرحمة لكنه لما اشتد عنادهم اشتد غضبه لانه (شديد العقاب) لمن اشتد عناده معه فلا يكون فى حقه رحمة (ذلك) التعذيب الذى علم كونه مؤاخذة بالذنوب (بأن الله) جرت سنته على أنه (لم يك مغيرا نعمة) وان كان مغيرا للشدة كثيرا بغير تغيير أهلها ما هم عليه (أنعمها على قوم) وان كان يغير ما أنعم على واحد أو اثنين من غير تغييره لما هو عليه (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من موجبات تلك النعم من اعتقاد أو قول أو عمل (و) يغير اذا غيروه غضبا عليهم بما يسمع منهم أو يعلم (أن الله سميع عليم) وقد جرت به سنته (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم) كان مبدأ تغييرهم أنهم (كذبوا بآيات ربهم) أى الذى رباهم بالنعم فصرفوها الى غير ما خلقت له بمقتضى تلك الآيات فكانت ذنوبا (فأهلكناهم) زيادة على سلبه النعم (بذنوبهم) بما صرفوا بها النعم الى غير ما خلقت له (وأغرقنا آل فرعون) لاغراقهم النعم فى بحر الانكار بنسبتها الى فرعون حيث أقروا بالهيته (و) غيرهم وان لم يغرقوا فى الدنيا فى بحر يغرقون فى الآخرة فى بحر النار اذ (كل كانوا ظالمين) بصرف النعم الى غير ما خلقت له وهو نوع من الاغراق لها فى بحر الانكار لانه مرجع التغيير لها ثم أشار الى أنه عز وجل كيف يترك نعمه على من غير أحواله التى كانت أسباب النعم وقد كان بها انسانيته فبتغييرها لحق بالدواب وبانكار المنعم صار شرا منها فقال (ان شر الدواب عند الله) وان كانوا عند الناس أعقل الناس (الذين كفروا) والنعم تسلب ممن لا يعرف قدرها فكيف لا تسلب ممن ينكر المنعم وهو وان أدام عليهم النعم (فهم) يديمون انكار المنعم اذ (لا يؤمنون) ويدل على عدم ايمانهم بالله نقضهم عهوده لكونهم (الذين عاهدت منهم) وعهدك بمنزلة عهد الله (ثم ينقضون عهدهم) لا مرة واحدة أو مرتين حتى يقال بعودهم الى الايمان بل (فى كل مرة) كيف والمؤمن لا بد وان يتقى الله فى نقض عهوده فى بعض المرات (وهم) بتكرار النقض عاصون فعلم أنهم (لا يتقون) أصلا فهم فى معنى الآمنين من مكر الله وهم الكافرون واذا اعتادوا نقض العهد فى كل مرة (فاما تثقفنهم) أى فان تحقق مصادفتك ناقضى العهد (فى الحرب فشرد بهم) أى فافعل بهم ما يفرق اجتماعهم على النقض على خفية بحيث يشبه فعل من ينعل

(قوله ربطنا على قلوبهم) أى ثبتنا قلوبهم وألهمناهم الصبر (قوله رتقا ففتقناهما) قيل كانت السموات سماء واحدة والارضون أرضا واحدة

(من

(من خلفهم) أى وراء ظهورهم (لعلهم يذكرون) أى يتعظون (وإما تخافن من قوم خيانة) أى وان تحقق لك من قوم خوف الغدر بظهور آثاره فيهم (فانبذ اليهم) أى فألق اليهم عهدهم (على سواء) أى على طريق ظاهر يستوى فى معرفته الكل ائلا يكون فيه شئ من الغدر اذ هو خيانة وان كانت فى مقابلة خيانتهم (ان الله لا يحب الخائنين) وحبه الغدر فى الحرب انما هو بعد نبذ العهد (ولا تحسبن الذين كفروا) عند نبذ العهد الموقظ لهم انهم (سبقوا) أى غلبوا لان السبق منهم اعجاز منهم لله فى وعده النصر للمؤمنين (انهم لا يعجزون) ان كسر فالجملة تعليلية وان فتح قدر لام التعليل (وأعدوا لهم) لدفع توهم سبقهم (ما استطعتم من) تحصيل (قوة) ما يتقوى به فى الحرب من الآلات سيما الرمى (ومن رباط) أى شد (الخيل) ولا يكون اعداد كم للغيلاء بل (ترهبون) أى تخوفون (به) أى بذلك الاعداد (عدو الله) باثبات الشرك وابطال كلمته (وعدوكم) أى الذى يظهر عداوتكم فتخوفونهم لئلا يحاربوكم باعتقاد القوة فى أنفسهم دونكم (و) ترهبون قوما (آخرين من دونهم) أى من دون من يظهر عداوتكم وهم المنافقون وان كنتم (لا تعلمونهم) انهم يعادونكم لكن (الله يعلمهم) انهم اعداؤكم يظهرون عداوتهم اذا رأوا اضعفكم (و) لا تخافوا من انفاق المال فى اعداد القوة ورباط الخيل فانه (ما تنفقوا من شئ فى سبيل الله) فيه اشارة الى أن المنفق فى سبيل الغير لا يجب تعويضه (يوف اليكم) عوضه فى الدنيا من الفئ والغنيمة والجزية والخراج (و) لوفاتكم ذلك (انتم لا تظلمون) بمنع جزائه فى الآخرة (و) عندر ؤيته اعداد القوة ورباط الخيل (ان جنحوا) أى مالوا وانقادوا (للسلم) أى للصلح (فاجنح لها) أى فمل الى موافقتهم منقادا لها وان قدرت على محاربتهم لان الموافقة ادعى لهم الى الايمان (و) لا تخف فى الصلح مكرهم بل (توكل على الله) فانه يعصمك من مكرهم اذا دعوته واستعذت به مع التوكل (انه هو السميع) لدعوتك واستعاذتك (العليم) بتوكلك وبكيفية العصمة (وان يريدوا أن يخدعوك) بالصلح لتترك اعداد القوة ورباط الخيل (فان حسبك) أى كافيك (الله) وان لم يكن لك اعداد قوة ولا رباط اذ (هو الذى أيدك بنصره) ببدر من غير اعداد قوة ورباط (و) الآن قد أيدك (بالمؤمنين و) أقامهم مقام اعداد القوة والرباط اذ (ألف بين قلوبهم) بعد ما كان فيها العصبية والضغينة فتقوى بعضهم ببعض وليس هذا التقوى دون التقوى بالاعداد فان ذلك مقدور للبشر وهذا ليس بمقدور له اذ لا يحصل بالمباشرة ولا بانفاق المال حتى انك (لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) اذ لا تدخل تحت قدرة البشر لكونها من عالم الغيب (ولكن الله) لاستيلائه على الغيوب (ألف بينهم انه عزيز) أى غالب على كل ظاهر وباطن وقد اقتضت الحكمة ذلك لما فيه من تأييد دينه واعلاء كلمته وهو (حكيم) والغلبة مع الحكمة كالموجبة ثم قال (يا أيها النبى) أى الذى نبئ بالحقائق الالهية (حسبك الله) وان لم يكن معك أحد (و) ان نظرت الى السببية حسبك (من اتبعك من المؤمنين)

فشقهما الله عز وجل وجعلهما سبع سموات وسبع أرضين وقيل كانت السماء مع الارض جميعا واحدة ففتقهما الله بالهواء الذى جعل بينهما وقيل فتقت السماء بالمطر والارض بالنبات (قوله تعالى ربت) انتفخت

وان لم يألفهم من لم يتم اتباعهم لك فان لمتابعتك أثرا عظيما فى سببية النصر (يا أيها النبى) اذا كان لمتابعتك هذا الاثر فامرك أكثر تأثيرا (حرض المؤمنين) أى حثهم (على القتال) وان كان العدو عشرة اضعافهم فانهم يغلبونهم اذا اصبروا (ان يكن منكم عشرون) اشترط فى المؤمنين كثرة تصلح للمقاومة (صابرون يغلبوا مائتين) عشرة امثال عشرين (و) لا يضر تضاعف عدد الكفار الى الغاية اذا كان المؤمنون عشرة حق (ان يكن منكم) من المؤمنين (مائة) صابرة (يغلبوا ألفا من الذين كفروا) ذلك الغلبة للمؤمنين (بأنهم) يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة لانهم (قوم لا يفقهون) بالامور الاخر و يه فيرجون ثوابها ويؤثرون حياتها على الحياة الدنيا والمؤمنون يرجون من الثواب والقرب من الله ما يتشوقون به الى الموت شوق العطشان الى الماء وكان هذا عند ظهور قوة المؤمنين فلما ضعفوا نسخه الله تعالى فقال (الآن خفف الله عنكم) لانكم (و) ان زدتم وزادت قوة الاسلام (علم أن فيكم) الآن (ضعفا) فى الصبر من رؤيتكم الاستعانة بالجماعة الكثيرة من المؤمنين (فان يكن منكم مائة صابرة) أخذهنا فى الاقل من الكثرة ما يزيد على كثرة الاقل هناك (يغلبوا مائتين) ضعفا واحدا (وان يكن منكم ألف) فهم مع غاية الكثرة لا يقاومون أكثر من الضعف الواحد بل غايتهم ان (يغلبوا ألفين) وليست الغلبة مقتضى العدد بل (باذن الله و) لكن لو صبروا مع الضعف فليس لهم حكم الضعفاء اذ (الله) يقويهم لكونه (مع الصابرين ما كان لنبى) أمر بالتحريض على القتال (أن يكون له أسرى) يفديهم لان الطمع فى الفداء مانع من قتل المفدى (حتى يثخن) أى يثقل الكفر على المنتشرين (فى الارض) بتكثيرة لهم حتى يقل حربهم ويذلوا ويعز الاسلام ويستولى أهله (تريدون) مع ما نبئتم على لسان النبى صلى الله عليه وسلم من مذام الدنيا ومناقب الآخرة (عرض الدنيا) الزائل الحقير (و) تخالفون مراد الله اذ (الله يريد الآخرة) ان تحصل لاكثركم باهدائكم اياهم هداية خالصة عن شبه الكفرة (و) لا يحتاج الى اهدائكم اذ (الله عزيز) أى غالب على ما أراد من الاهداء وغيره لكنه فى جعلكم سبب الهداية (حكيم) اذ يريد بذلك اثابتكم ثوابا عظيما ولكنكم خالفتم هذه الحكمة التى هى من العظمة بحيث (لولا كتاب) أى عهد (من الله سبق) انه لا يعذب المخطئ فى اجتهاده (لمسكم) أى أصابكم (فيما أخذتم) أى فى أخذكم الفداء من أسارى بدر (عذاب عظيم) بقدر ابطالكم الحكمة العظيمة وذلك انه عليه السلام أتى يوم بدر بسبعين أسيرا فيهم العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبى طالب فاستشار أصحابه فيهم فقال أبو بكر قومك وأهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية يقوى بها أصحابك وقال عمر اضرب أعناقهم فانهم أئمة الكفر وان الله أغناك عن الفداء مكنى من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من أخويهما فلنضرب اعناقهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم حيث

قال

(قوله عز وجل ربوة ذات قرار ومعين) قيل انها دمشق والربوة والربوة والربوة الارتفاع من الارض ذات قرار أى يستقر بها للعمارة ومعين أى ماء ظاهر جار (قوله تعالى رأفة) أى ارق الرحمة (قوله تعالى الرس) أى

قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح اذ قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير أصحابه فأخذوا الفداء فنزلت الآية فدخل عمر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان أجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض على العذاب أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة وقال صلى الله عليه وسلم لو نزل العذاب لما برئ منه غير عمر وسعد بن معاذ واذ أخذتموه بالاجتهاد (فكلوا مما غنمتم) أي بعضه بعد اخراج الخمس (حلالا طيبا) أي خاليا عن الشبهة لان الاجتهاد رفع عنه الاثم فصار المحرم في معنى الحلال (و) لكن (اتقوا الله) فلا تتسامحوا في الاجتهاد (ان الله غفور) لخطا المجتهدين (رحيم) باعطاء الاجر الواحد على الاجتهاد اذا لم يتسامح ولما انكسر قلوب الاسارى بأخذ الفدية بحيث يخاف عليها ضعف الايمان جبرها بقوله (يا أيها النبي) أي الذي شأنه انباء القلوب تقوية لها (قل) أنت وأصحابك (لمن في أيديكم من الاسرى) تخليصا لهم عن أسر الضلال بضعف الايمان (ان يعلم الله) من نظره (في قلوبكم خيرا) أي قوة ايمان واخلاص فيه (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) من الغنائم والتجارات وغيرهما في الدنيا (ويغفر لكم) في الآخرة (و) ان صدر منكم ما يوجب الاسر أولا اذ (الله غفور) ولا يبعد عليه التعويض بعد تعويضكم الخير في قلوبكم بدل الشر فانه (رحيم وان) يعلم في قلوبهم شرا بأن (يريدوا خيانتك) أي نقض العهد ليأخذوا مثل ما أعطوا من الفداء أو أكثر منه فعل بهم ثانيا مثل ما فعل بهم أولا (فقد خانوا الله من قبل) بنقض عهده في الميثاق الاول (فأمكن منهم) بالقتل والاسر كيف (والله عليم حكيم) وهو مقتضى علمه بما يستحقونه وحكمته المفيدة كل مستحق حقه ولما وعد الله الاسارى بتعويض الخير وعد المهاجرين بتعويض أهلهم بالانصار والمجاهدين بتعويض أموالهم وأنفسهم بالانصار أيضا فقال (ان الذين آمنوا) وهو يوجب قرابة المؤمنين (وهاجروا) وهو يوجب قرابة المهاجر اليهم (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) وهو يوجب قرابة من ينصرهم (والذين آووا) وهو من خواص الاقارب في الاصل فيصير الانصار لهم أهلا (ونصروا) فانهم بذلك صاروا أموالا وأنفسا يحصل فيهما النصر فيصح ان (أولئك بعضهم أولياء بعض) يقومون مقام أهلهم وأموالهم وانفسهم (والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا) لانهم ما تركوا شيأ يجعل الانصار عوضه نعم لهم نوع من القرابة لا يبلغ حد الولاية (و) هو انهم (ان استنصروكم) أي طلبوا منكم النصر على اعدائهم (في الدين فعليكم) يجب (النصر) لهم على كل عدو (الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) أي عهد فانهم اذا عادوا من لم يهاجر لا ينصر عليهم بل يؤمر بالهجرة منهم (والله بما تعملون) من الهجرة وتركها مع امكانها أو بدونها (بصير) و) كيف تتركون نصر من لم يهاجر وان لم تكن بينكم موالاة مع ان (الذين كفروا

المعدن وكل ركبة لم تطو فهي رس (قوله تعالى ردفاكم) ورد فكم بمعنى تبعكم وجاء بعدكم (قوله راسيات) ثابتات (قوله عز وجل ركوبهم) ما يركبون وركوبهم فعلهم مصدر وركبت (قوله عز وجل رميم)

بعضهم أولياء بعض) وان لم يهاجر اليهم مع انكم (الا تفعلوه) أى نصر المؤمن غير المهاجر
(تكن فتنة) أى الزام الكفر منتشرا (فى الارض و) يتقوى الكفار بحيث يحصل فى الارض
(فساد كبير) فى باب الاعتقادات أو الاعمال (و) كيف لا يكون بين المؤمنين المهاجرين
المجاهدين وبين الذين آووا ونصروا موالاة ظاهرة وقد حصلت الموالاة الباطنة اذ
(الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون
حقا) فيقومون بجميع حقوق الايمان التى منها الموالاة الباطنة المستلزمة للظاهرة
وكيف لا يكون بينهم موالاة وقد أفاد بعضهم بعضا ما هو أعظم الفوائد اذ (لهم مغفرة)
عما هدى بعضهم بعضا (ورزق كريم) مما هدى فى الآخرة ومما نصر فى الدنيا ثم أشار
الى أن من تأخر ايمانه فى حكم من تقدم اذا قام بحقوق الولاية من الهجرة والجهاد فقال
(والذين آمنوا من بعد) فانه (و) ان تأخر ايمانهم لا تنقطع موالاتهم بل (هاجروا
وجاهدوا معكم فأولئك منكم) كمن تقدمكم كيف (و) هذا التأخر لا يزيد على تأخر
وجود بعض ذوى الارحام عن بعض وهو لا يقطع القرابة بل (أولوا الارحام بعضهم أولى
ببعض) من الاجانب وان كان مساويا أو متقدما كيف وايمانه وان تأخر فهو مساو
لايمان من تقدم (فى كتاب الله) والله تعالى حكم بالمساواة فى أمر الموالاة بين ما تقدم
وما تأخر بمقتضى ذلك وان تفاوت فى الفضيلة (ان الله بكل شئ عليم) فيعلم ما يقتضى
المساواة والتفاوت فيكتب كل شئ بحسب مقتضاه * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب
العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وأصحابه أجمعين

أى بال يقال رم العظم اذا
بلى كقوله قال من يحيى
العظام وهى رميم أى بالية
(قوله عز وجل فراغ الى
آلهتهم) اى مال اليهم فى
خفاء ولا يكون الروغ
الا خفاء (قوله عز وجل
رواكد) أى سواكن

(سورة براءة)

سميت بها لافتتاحها بها ومرجع أكثر ما ذكر فيها اليها وبالتوبة لتكررها فيها فان تبتم
فهو خير لكم فان تابوا وأقاموا الصلوة ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء فان يتوبوا
يك خيرا لهم عسى الله ان يتوب عليهم لقد تاب الله على النبى ألم يعلموا أن الله هو يقبل
التوبة التائبون العابدون وهما أشهر اسمائها وتسمى المقشقشة أى المبرئة عن النفاق
والمبعثرة أى الباحثة عن اخبارهم والمثيرة أى الكاشفة عن احوالهم والمدمدمة أى
المهلكة لهم والمشردة أى المفرقة جمعهم والفاضحة والمخزية والحافرة والمنفرة والمنكلة
وسورة العذاب لتكرر ذلك كله فيها وتركت التسمية فيها لما فيها من الرحمة المستلزمة للامان
المنافى للقتال ونبذ العهود وذلك لانه عليه السلام لما خرج الى تبوك وأرجف المنافقون
نقض المشركون عهودهم فأمر الله رسوله ان يأمر قومه بنقض عهودهم فقال (براءة)
أى هذه قطع علاقة كانت لكم مع المشركين وقطع عصمة كانت لهم منكم وصلت اليكم (من
الله ورسوله) لتنبذوا عهودكم (الى الذين عاهدتم من المشركين) ليس لكم معهم ابتداء
قتال حتى يبلغوا المأمن ولا نكلفهم بالخروج اليه على الفور (فسيحوا فى الارض) أى
فقولوا لهم سيروا فى أرضنا بعد نبذنا العهد آمنين (أربعة أشهر) عشرين من ذى الحجة

وجميع المحرم وصفر وربيع الاول وعشرا من ربيع الآخر وكانه عبر من الهدنة عشر سنين الى الامان أربعة أشهر (واعلموا انكم) لو قصدتم محاربتنا فى هذه المدة أو بعد خروجكم من أرضنا باستعانة أناس آخرين (غير معجزى الله) بأخذكم من أيدينا (و) اعلموا انكم وان تعززتم بأناس فى غاية الكثرة فلا محالة (أن الله مخزى الكافرين) مع كثرتهم بنصر المؤمنين مع قلتهم ثم أشار الى ان هذا الامان ليس أمانا عن العذاب الاخروى ولا عن الدنيوى بعد تمام المدة فقال (وأذان) أى اعلام (من الله ورسوله الى الناس) المجتمعين بعرفة وقد بلغت كثرتهم يومئذ غايتها لكونه (يوم الحج الاكبر) يوم الجمعة وكان عيد الملل (أن الله برىء من المشركين) فلا يؤمنهم من قهره الاخروى ولا الدنيوى بعد تمام المدة (ورسوله) من شفاعته لهم وترك قتاله بعد المدة لكن هذه البراءة انما هى الى التوبة من الشرك (فان تبتم فهو) أى التوبة (خير لكم) يفيدكم دوام الامان فى الدارين مع قوة تدأخر لا تنحصر (وان توليتم) أى اعرضتم عن التوبة اعتمادا على قوتكم فى التخلص عن قهر الله (فاعلموا أنكم غير معجزى الله و) ان أنكروا ذلك (بشر الذين كفروا) بقهره (بعذاب أليم) من قهره ثم استثنى من المشركين البراءة عنهم فقال (الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ) مما شرطوا معكم (ولم يظاهروا) أى ولم يقووا (عليكم أحدا) من اعدائكم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة (فأتموا) مائلين (اليهم عهدهم) باقيا (الى تمام (مدتهم) فاتقوا الله فى نقضها (ان الله يحب المتقين) هذا قبل تمام المدة (فاذا انسلخ) أى خرج (الاشهر الحرم) أى التى حرم فيها الابتداء بقتالهم بعد النبذ (فاقتلوا المشركين) أى الباقين على الشرك منهم ولو بعد الاسر (حيث وجدتموهم) من حل وحرم ولو فى موضع الامن أو فى طريق المأمن (وخذوهم) أى اسروهم ولو فى موضع الامن أو فى طريق المأمن لتسترقوهم أو تفدوهم وان أمنوا بعد الاسر هذا اذا تمكنتم منهم (و) ان لم تتمكنوا (احصروهم) أى احبسوهم فى المكان الذى هم فيه لئلا يتبسطوا فى سائر البلاد (و) ان تبسطوا (اقعدوا لهم) أى لقتالهم (كل مرصد) أى طريق لكن هذا كله قبل التوبة (فان تابوا) عن الكفر (و) دلوا على صدقها بأن (أقاموا الصلوة) التى هى انقياد الظاهر الدال على انقياد الباطن (وآتوا الزكوة) الدال على ايثار جانب الله على ما سواه (فخلوا سبيلهم) أى فاتركوا التعرض لهم وفيه دليل على ان تارك الصلاة والزكاة لا يخلى سبيلهما وكيف لا يخلى سبيلهم وقد غفر الله لهم (ان الله غفور) بل رحمهم أيضا لانه (رحيم) ثم أشار الى انه وان لم تجب التخلية لغير التائبين المذكورين لكن جاز أمان المستجير لسماع كلام الله بعد الاخراج فقال (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) ثم أشار الى انه وان جاز أمان المستجير لسماع كلام الله بعد الاخراج فلا يجوز تقديره بعقد الذمة فقال (كيف يكون للمشركين) بعد اخراجهم (عهد عند الله وعند رسوله) مع ان الشرك يستلزم

(رهوا) أى ساكنا كهيئته بعد أن ضرب به موسى وذلك ان موسى لما سأل ربه ان يرسل البحر خوفا من فرعون ان يعبر فى أثره قال الله عز وجل واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون ويقال رهوا

اذلالهما وعقد الذمة اذلال للذمى (الا الذين عاهدتم) قبل النسخ (عند المسجد الحرام) فانه يعتبر عهده لوقوعه قبل النسخ فى مكان الامن المعظم عندهم بحيث لا يخالف فيه بواطنهم ظواهرهم فلا يؤثر معه المانع لكنه مشروط بدوام الاستقامة على العهد (فما استقاموا) أى فما داموا مستقيمين على عهدهم مراعين (لكم) أى لحقوقكم (فاستقيموا لهم) فانتم أولى بالاستقامة فاتقوا الله فى نقض عهد المستقيمين على عهدهم قبل النسخ عند المسجد الحرام (ان الله يحب المتقين كيف) يكون لغيرهم عهد عند الله وهو ناظر الى بواطنهم (و) لا عهد فيها لكونهم بحيث (ان يظهروا عليكم لا يرقبوا) أى لا يراعوا (فيكم إلا) أى يمينا (ولا ذمة) أى عهدا ولا يغتر بظواهرهم اذ (يرضونكم بأفواههم و) هى مخالفة لبواطنهم اذ (تأبى قلوبهم و) لا يبعد منهم اذ (أكثرهم فاسقون) بمقتضى دينهم أيضا ويكفى فى فسقهم انهم (اشتروا) أى استبدلوا الحق المدلول عليه (بآيات الله) اهوية فاسدة فكانت (ثمنا قليلا) وكيف لا يفسقون وقد عادوا الله باتباع تلك الاهوية (فصدوا) أنفسهم وأتباعهم (عن سبيله) فسلكوا سبيل المساوى (انهم ساء ما كانوا يعملون) ومن سوء اعمالهم انهم (لا يرقبون فى مؤمن) وان راقبوه فى كافر (إلا ولا ذمة و) لا يقتصرون على أدنى المساوى بل (أولئك هم المعتدون) أى المجاوزون للغاية فى المساوى كلها ومع ذلك تعتبر توبتهم مع قرائن صحتها (فان تابوا وأقاموا الصلوة) بدل أسواء اعمال الجوارح (وآتوا الزكوة) بدل اسواء تصرفات الاموال (فاخوانكم فى الدين) لا ينظر الى بواطنهم مع هذا الظاهر المؤيد بهذه الدلائل (و) كيف لا يكونون اخوانكم ونحن (نفصل الآيات) الدالة على اخوتهم لكنها انما تكون مفيدة (لقوم يعلمون) ثم أشار الى انه لا يؤمن ناقضو الايمان والطاعنون فى الدين فضلا عن ان يقروا بالجزية فقال (وان نكثوا) أى نقضوا (أيمانهم من بعد عهدهم) الذى لا ينقضه من يبالى بالله لولا الايمان (و) كذا ان (طعنوا فى دينكم فقاتلوا) كلا الفريقين لكونهما (أئمة الكفر) أى رؤساءهم اما الطاعنون فلانهم جمعوا بين الاخذ بالباطل و بين الطعن على الحق واما الناكثون فلانهم لا يبالون بالله (انهم لا أيمان لهم) كيف ولا ينتهون عن النكث والطعن بدون القتال فيقاتلون (لعلهم ينتهون) عنهما سيما اذا لم يشعروا أصلا ثم أشار الى انه كيف يترك قتالهم وقد توفرت أسبابه فقال (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) عن قلة مبالاتهم بالله (و) لم يكن عن غفلة بل بعد بلوغ الرسالة بل (هموا باخراج الرسول) وهو أشد من الطعن فى الدين كيف (و) هو مجازاة اذ (هم بدؤكم) به و يكفى فيه ابتداؤهم (أول مرة) وان كان منكم الابتداء فى بعض المرات المتأخرة فهذا أسبابه ولا مانع فيه سوى خوفكم منهم (أتخشونهم) مع ترك خشية الله فى مخالفة أمره (فالله أحق أن تخشوه) لانه لا نسبة لقوة الخلق الى قوته ولا لشدتهم الى شدته (ان كنتم مؤمنين) بكمال

قوله وعقد الذمة اذلال
للذمى هكذا بالاصلين
بايدينا ولعله اعزاز للذمى
فتأمل مصحح

متفرجا (قوله عز وجل رق
منشور) الصحائف التي
تخرج يوم القيامة الى بني
آدم صلى الله عليه وسلم
(ريب المنون) حوادث
الدهور (رب المشرقين
ورب المغربين) الرب السيد
والرب المالك والرب زوج

قوته وشدته على ان شدة القتال انما تقع عليهم ولا يحصل لكم منه سوى الفائدة العظيمة (قاتلوهم يعذبهم الله) بآلام الجراحات والموت (بأيديكم) تغليبا لكم عليهم (ويخزهم) بالاسر والاسترقاق فيجتمع فى حقهم العذاب العقلى مع الحسى (وينصركم عليهم) زيادة فى عذابهم العقلى (ويشف صدور قوم مؤمنين) من أذية شبهاتهم هذا هو الشفاء المعنوى (ويذهب غيظ قلوبهم) وهو شفاء حسى (و) من الفوائد أنهم اذا رأوا نصركم مع ضعفكم (يتوب الله على من يشاء) فيحصل لكم أجرهم ولا يفوتكم شئ من هذه الفوائد لانها مقتضيات استعدادكم واستعدادهم (والله عليم حكيم) أحسبتم ان تنقلب الامور المذكورة مع علم الله وحكمته (أم حسبتم أن تتركوا) فلا تؤمروا بالقتال (ولما يعلم الله) وقوع ما علم فى الازل انه سيقع من التمييز بين المتخلفين عن الجهاد وبين المتخذين من دونه ودون رسوله والمؤمنين وليجة وبين (الذين جاهدوا منكم و) اخلصوا بأن (لم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين) أى المجاوزين لهم (وليجة) أى بطانة يفشون اليها اسرارهم والمقصود من هذا اظهار ذلك الزاما للحجة (والله خبير بما تعملون) أى ببواطن اعمالكم وفيه اشارة الى أن القيام بالجهاد لا يصير لهم حجة مالم يخلصوا بواطنهم ثم أشار الى انهم كيف لا يؤمرون بقتالهم مع انه لا يندفع بدونه اذيتهم عن المؤمنين فى عبادتهم التى خلق الناس لاجلها ولا يتأتى منهم لانه (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله) بالصلاة التى هى أجل العبادات اذ لا يصح منهم حال كونهم (شاهدين على أنفسهم بالكفر) بجعل معبودهم مساويا لمن لا يستحق العبادة وكيف يصح منهم حال الكفر مع أن (اولئك) لو عملوا الصالحات قبل الكفر ثم كفروا (حبطت أعمالهم و) لو لم تحبط لم يستفيدوا بها اذ (فى النار هم خالدون) ثم قال (انما يعمر مساجد الله) أى يستحق عمارتها بعبادته (من آمن بالله) فلم يسو بينه وبين غيره (واليوم الآخر) فدعاه اعتقاد جزائه الى تكميل عباداته (وأقام الصلوة) المستتبعة لسائر العبادات الناهية عن الفحشاء والمنكر (و) انما يتأتى ذلك اذا (آتى الزكوة) المانعة من حب المال الجالب الى الشهوات (ولم يخش) فوات مال ولا شهوة ولم يبال بشريك بل لم يخش (الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) للاطلاع على اسرار الصلاة التى بها عمارة مساجد الله فان زعموا ان لهم عبادة كسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وهما كالصلاة والزكاة قلنا لو سلم فليستا من العبادات المطلوبة بالذات ولا مما يوصل اليها ولا مما يماثل ذلك (اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن) أى كايمان من (آمن بالله) وهى العبادة المطلوبة بالذات (واليوم الآخر) الداعى الى الايمان بالله (وجاهد فى سبيل الله) المفيد نشره وتكميله فان سويتم بينهم (لا يستوون عند الله) كيف (و) ليس ذلك بعبادة مع الكفر اذ (الله لا يهدى القوم الظالمين) بالكفر الى عبادته وان أتوا بصورة العبادة ولئن سلم ان ذلك عبادة فلا تساوى الايمان ولا سبب بقائه ورفع الاذية عنه اذ (الذين آمنوا وهاجروا)

المرأة والمشرفان مشرق الصيف والشتاء والمغربان مغرباهما (قوله عز وجل رفرف خضر) يقال رياض الجنة ويقال العرش ويقال هى المجالس ويقال للبسط أيضا رفارف

لابقائه عليهم (وجاهدوا في سبيل الله) لدفع الاذية عنهم (بأموالهم) بانفاقها على المجاهدين
وفي الكراع والسلاح والدروع (وأنفسهم) بمباشرة القتال (أعظم درجة عند الله)
الذي لا يعظم عنده الا ما جاوز حد ادراك البشر كيف (و) لا درجة لغيرهم بالنظر اليهم
اذ (أولئك هم الفائزون) بجميع درجات الكمال لكونهم بحيث (يبشرهم ربهم) في الدنيا
(برحمة) في الآخرة عظيمة لكونها (منه ورضوان) فوقها (و) ان كانت الرحمة الاخروية
بدونه في غاية الكمال لكونها في (جنات لهم فيها) لولا ذلك الرضوان (نعيم مقيم) اذ وعدوه
على الأبد لا في مكان الآخر بل (خالدين فيها أبدا) والنعمة تفضل بفضل المكان كيف
وهذه الرحمة أعظم من الاجر مع انه بقدر المعطي (ان الله عنده أجر عظيم) والرضوان
فوقها فتلك درجات هؤلاء المؤمنين المهاجرين المجاهدين متى تكون لاهل السقاية والعمارة
وكيف لهم أجر مع الكفر وهو فرع مواصلة الله والكفر قاطع لها ولذلك وجب على
المؤمنين قطع مواصلة الكافرين ولو كانت مواصلتهم واجبة لو أسلموا (يا أيها الذين آمنوا)
مقتضى ايمانكم مواصلة الله وقطع مواصلة من قطع مواصلته (لا تتخذوا آباءكم
واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر) القاطع لمواصلة الله فرجحوه (على الايمان)
الموجب مواصلة الله (ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون) بايثار مواصلة من قطع
مواصلته على مواصلته فان زعموا انا نميل اليهم بالطبع (قل) مقتضى الايمان ترك الميل
الطبيعي اذا كان مانعا من محبة الله ومحبة واسطة الوصول اليه ومحبة ما يعلي دينه (ان كان
آباؤكم) وان مال طبعكم اليهم ميل الجزء الى الكل (وأبناؤكم) وان مال طبعكم اليهم ميل
الكل الى الجزء (واخوانكم) وان مال اليهم طبعكم ميل أحد الجزءين الى الآخر (وأزواجكم)
وان أشبه ميلكم اليهن ميل الكل الى الجزء لمشابهتهن الجزء (وعشيرتكم) وان ملتم
اليهم بوجه من الوجوه ووحده للاشارة الى ان الواحد منهم قد يكون أكثر ميلا من
الباقين فاذا نهى عن الميل اليه فغيره أولى (وأموال) وان ملتم اليها لما فيها من مصالح
أنفسكم ميلكم الى نفوسكم سيما اذا (اقترفتموها) أي اكتسبتموها (وتجارة) تفيد نماءها
فتميلون اليها أكثر من ميلكم الى أموالكم سيما اذا كنتم (تخشون كسادها ومساكن)
تميلون اليها لمحافظة أموالكم وتجارتكم بل أنفسكم سيما اذا كنتم (ترضونها أحب اليكم
من الله) المنعم بالكل (ورسوله) واسطة نعمه (وجهاد في سبيله) مما يعلي دينه (فتربصوا)
قهر الله بدعوى محبته بالايمان وتكذيبها بترجيح محبة غيره ولا ينقطع عنكم هذا التربص
(حتى يأتي الله بأمره) القاهر لكم اما في الدنيا واما في الآخرة وكيف لا تتربصون ذلك وقد
خرجتم من محبة الله الهادية لانعامه الى عداوته (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي
الخارجين عن محبته الى ما توجبه من انعاماته ثم أشار الى ان أعظم فوائد هذه الاشياء
النصر على الاعداء وهو لا يتوقف عليها فقال (لقد نصركم الله) بدون هذه الاشياء لا في

(قوله عز وجل روح وريحان) روح طيب نسيم وريحان رزق ومن قرأ فروح يقول حياة لا موت فيها (رتل القرآن ترتيلا) الترتيل في القراءة التبيين

موطن

موطن واحد بل (فى مواطن كثيرة) بحيث صارت سنته المستمرة التى لا تتبدل (و) لا يرد يوم حنين فانه نصركم أيضا (يوم حنين) حين تركتم التقوى وهو واد بين مكة والطائف وقيل بجنب ذى المجاز خرج اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة فى عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وألفين من الطلقاء لقتال هوازن وثقيف وكانوا أربعة آلاف فقال بعض الصحابة انا لن نغلب اليوم عن قلة فكره الله ذلك فعند تقويكم بها (اذ أعجبتكم كثرتكم) فاعتمدتم عليها وكلكم اليها (فلم تغن) كثرتكم (عنكم شيأ) من أمر العدو مع قلتهم (و) لكن انعكس عليكم اذ (ضاقت عليكم الارض) لا تجدون فيها مقرا كمن ضاق عليه مكانه (بما رحبت) أى مع سعتها (ثم) زدتم ضعفا حتى (وليتم) ظهوركم للكفار (مدبرين) أى قاصدين ادبارا لا رجوع بعده اذ كانت هوازن رماة لا يسقط لهم سهم وقد بقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مركزه ليس معه الا العباس وسفيان بن الحرث (ثم) لما ذهب اعجابكم بكثرتكم (أنزل الله سكينته) ما تسكنون به وتثبتون (على رسوله وعلى المؤمنين) اذ قال العباس صح بالناس فنادى الى عباد الله يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك فنزل عليه السلام ودعا وقال أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب اللهم أنزل نصرك ثم صفهم وقال هذا حين حمى الوطيس أى اشتد الحرب والوطيس التنور ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بها وجوه الكفار وقال انهزموا ورب الكعبة وقيل قبض التراب ثم استقبل به وجوههم وقال شاهت الوجوه فما ترك الله منهم انسانا الا ملأ عينيه ترابا (وأنزل) لتقويتكم بدل تقوية كثرتكم (جنودا لم تروها) وهم خمسة آلاف وستة عشر او ثمانية عشر ملكا وقد رآهم المشركون اذ كانوا لتخويفهم (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر والسلب بعد النصر (وذلك) التعذيب (جزاء الكافرين) أى المصرين على الكفر بعد النصر (ثم) اذا علموا أنه جزاء كفرهم (يتوب الله من بعد ذلك) القهر الدنيوى وان كان لا يتوب بعد القهر الاخروى (على من يشاء) بالتوفيق للاسلام ليغفر لهم ويرحمهم فى الآخرة كيف (و) لو آمنوا قبل القهر الدنيوى اغفر لهم ورحمهم اذ (الله غفور رحيم) روى أن ناسا منهم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلموا وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبرهم وقد سبى أهلونا وأولادنا وقد أخذت أموالنا فقال اختاروا اما نساءكم واما أموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيأ فقال عليه السلام من كان بيده سبى وطابت نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال لا أدرى لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا أنهم قد رضوا ثم أشار الى أن موالاتهم مع عدم افادتها التقوية المحصلة للنصر تضر بسريان نجاسة بواطنهم الى البواطن الطاهرة للمؤمنين فقال (يا أيها الذين آمنوا) فطهروا بواطنهم (انما المشركون نجس) باعتبار بواطنهم بحيث لم تجعل ظواهرهم نجسة لان نجاسة الاعتقاد غير حالة فيها

لها كأنه بين الحرف والحرف ومنه قيل ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا لا يركب بعضه بعضا (قوله تعالى راق) أى صاحب رقية اى هل من طبيب يرقى ويقال معنى من راق أى من يرقى بروحه ملائكة

والنجاسة لا تنجس غير محلها يخاف بسرايتها الى من يوالهم (فلا يقربوا المسجد الحرام) الذى تجتمع فيه المتفرقون فى الارض ليسرى صفاء القلوب من بعض الى بعض وههنا يخاف سريان الظلمات فى العموم (بعد عامهم هذا) أى عام حجة الوداع الذى كمل فيه الدين المطهر (وان خفتم) بمنعهم من الحرم (عيلة) أى فقرا من انقطاع أرزاق كانت من قدومهم (فسوف يغنيكم الله) عنه بما يعطيكم (من فضله) من فتح البلاد وحصول الغنائم وتوجه الناس من اقطار الارض (ان شاء) فى عام دون عام وشخص دون شخص لا بطريق التحكم بل بحسب الاستعدادات (ان الله عليم) بالاستعددات (حكيم) فى رعايتها من غير ايجاب عليه واذا كان خوف العيلة يندفع بفتح البلاد وحصول الغنائم وتوجه الناس من اقطار الأرض من غير تعويق (قاتلوا) من تخافون العيلة بسببهم وقد استحقوه لانهم (الذين لا يؤمنون بالله) لقولهم بالتجسيم أو الحلول والاتحاد (و) لو آمنوا به على التنزيه (لا) يتم لهم لانهم لا يؤمنون (باليوم الآخر) لانكارهم حشر الاجساد أو للاكل والشرب والنكاح فى الجنة أو للخلود فى النار (و) لو آمنوا به لا يتم لهم أيضا لانهم (لا يحرمون ما حرم الله) فى كتابه (ورسوله) فى سنته (و) لو حرموا ما حرمه التوراة والانجيل لم يعتد به اذ (لا يدينون دين الحق) أى الثابت الذى لا ينسخ وقد نسخ سائر الاديان مع كونهم (من الذين أوتوا الكتاب) ليؤمنوا بكل ما ذكر (حتى يعطوا الجزية) أى ما يجزيهم عن حقن دمائهم وهى الخراج المضروب على الرقاب يعطونها (عن يد) أى انعام للمسلمين عليهم فى حقن دمائهم (وهم صاغرون) اذلاء يؤخذ بالجاهم ويضرب فى لهازمهم اذ ذلك قاطع لخوف العيلة من جهتهم بالكلية (و) لعدم تدينهم بدين الحق (قالت اليهود عزير ابن الله) لكونه حاملا أسرار الله وهو تحققه بصفة كلامه اذ أملى عليهم التوراة حفظا بعد ما أماته الله مائة عام ثم بعثه ولم يبق لهم بعد وقعة بختنصر من يحفظها وهذا قول بعضهم ولذلك لم ينكر أهل عصره صلى الله عليه وسلم مع تهالكهم على التكذيب ولو كذبوا الاشتهر (وقالت النصارى المسيح ابن الله) لظهوره بصفة القدرة اذ أبرأ الاكمه والابرص وأحيا الموتى ثم قال (ذلك) القول ليس بلازم لاعتقادهم الظهور بصفته عز وجل بل (قولهم بافواههم) من غير شبهة سوى أن التحقق بصفة الله تعالى دليل مشاركته فى الالهية فهم (يضاهؤن) بهذا القول المشركين اذ شابه قولهم (قول الذين كفروا من قبل) الجاعلين التحقق بصفة الله دليل مشاركة فى الالهية (قاتلهم الله) أى فعل بهم فعل الاعداء من الاهلاك (أنى) كيف (يؤفكون) من القول بالظهور الى المشاركة فى الالهية وقد شابهوا الكفار من وجه آخر وهو انهم (اتخذوا أحبارهم) أربابا يحرمون لهم ويحلون من عند أنفسهم فعل الكفار السابقين باحبارهم (ورهبانهم) اذ أظهروا بعض أسماء الله وصفاته (أربابا) يعبدونهم (من دون الله و) ليس هذا من خواص المشركين بل النصارى اتخذوا (المسيح) مع علمهم بانه كان (ابن مريم) ربا قاله بعضهم وما مر قول البعض الآخر (و) لم يأمرهم بذلك المسيح ولا عزير بل (ما أمروا) على لسانهما ولسان سائر الانبياء

الرحمة أم ملائكة العذاب (قوله تعالى راجفة) هى النفخة الاولى (رادفة) هى النفخة الثانية (قوله ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) أى غلب على قلوبهم كسب الذنوب كما ترين الخمر على عقل

(الا) بالتوحيد الفعلى كالاعتقادى (ليعبدوا الها) يعتقدون كونه (واحدا) لايتعدد بتعدد المظاهر ولاتصير مظاهره آلهة بل (لا اله الا هو) مع كثرة مظاهره لتنزهه عن الحدوث فانزهه عن مشاركة المظاهر (سبحانه) أى تنزيهه باعتبار استقراره فى مقرعزه (عما يشركون) ثم أشار الى أن ظهوره فى المظاهر انما هو اشراق نوره ليعرف بذلك توحيد الوجود وهؤلاء (يريدون) باتخاذ الاحبار والرهبان أربابا (أن يطفؤا نور الله) الذى هو توحيد الوجود لاعن شبهة فضلا عن حجة أومكاشفة بل (بأفواههم و) كيف يكون ثمة حجة أو مكاشفة مع أنه (يأبى الله الا أن يتم نوره) بدلائل التوحيد والمكاشفة فيه لاهله (ولو كره الكافرون) أى الساترون توحيده بنسبة الالهية الى المظاهر وكيف يمكنهم اطفاء نوره وهو خلاف مراد الله اذ (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) أى طريق الاستدلال والكشف (ودين الحق) أى التوحيد الثابت الذى لايزول بالنظر الى ظهوره فى المظاهر (ليظهره) بتغليبه (على الدين كله) حتى يبطلها (ولو كره المشركون) تقرير هذا الدين بجعل مظاهره آلهة تستحق العبادة ور بما يريدون تقرير الاديان كلها الا انها بارادة الله وقد حصلت من ظهوره بمظاهره الكاملة فى زعمهم (يا أيها الذين آمنوا) بكونه دين الحق الراجح على الاديان كلها الا تغتر كم عن هذا الايمان مخالفة كثير من الاحبار والرهبان (ان كثيرا) قيد به لان القليل منهم وافقوا فآمنوا بذلك (من الاحبار والرهبان) وان اتخذهم بعض العوام أربابا من دون الله فليس ذلك الكمال فيهم وانما ادعوه لانفسهم ليتقاد لهم الناس انهم (ليأكلون أموال الناس بالباطل) أى بالطريق المنكر من الرشا وغيره (و) ان زعموا انهم هداة لابد لهم من رزق فهم بالحقيقة (يصدون عن سبيل الله) الذى هو اتباع الدلائل الى مايهوون ولايبعد منهم ذلك لانهم يؤثرون حب المال على أمر الله فيمنعون حقه منه (والذين يكنزون) أى يحفظون حفظ المدفون فى الارض (الذهب والفضة و) يرجحون حبهما على أمر الله بحيث (لاينفقونها) أى الفضة فضلا عن الذهب (فى سبيل الله) الذى هو الزكاة الموصلة الى حبه بقطع حب المال باخراج جزء منه (فبشرهم بعذاب أليم) بدل التلذذ بها فان حصل اليوم لهم يجزون عذابها (يوم يحمى) أى يوقد النار (عليها) مجعولة (فى نار جهنم) فتحيط النار بجهاتها (فتكوى بها جباههم) لتعبدها فى ابتداء السؤال (وجنوبهم) لميلهم اليها عند تكريره (وظهورهم) لتوليهم اليها عند الالحاح ويقال لهم ضما للعذاب العقلى الى الحسى (هذا ما كنزتم) أى حفظتم (لانفسكم) لتتلذذوا بها (فذوقوا) لذة (ما كنتم تكنزون) فمن تبع هؤلاء كانوا اتباعا لهم فى هذا العذاب لامحالة ثم انه لاوجه لجعلهم فى اداء حقه عز وجل لانه لايطلبه الا بعد أن يفيض عليهم اضعافه (ان عدة الشهور) الواجب فى آخرها الحق (عند الله) الطالب لحقه بعد افاضة اضعافه (اثنا عشر شهرا) وان كان يوجد عند الخلق أيام مسترقة ٣ لكن اعتبر الله عز وجل عدد البروج التى تقطع الشمس كل واحد منها فى شهر تقريبا ولاعبرة للزيادة (فى كتاب الله) اذ لم تكن (يوم خلق السموات والارض) اذ كانت

السكران ويقال ران
به أى
عليه النعاس وران
غلب عليه (قوله عز وجل
رحيق مختوم) الرحيق
الخالص من الشراب
ويقال العتيق من الشراب
ومختوم له ختام أى عاقبة
ريح كما قال ختامه مسك

البروج وصورها محاذية فلما خرجت عن محاذاتها حصل هذا التفاوت فلم يعتبر لانه لايزال يختلف باختلاف الدورات فجعل ذلك الاصل مناط الاحكام الشرعية لذلك كان (منها أربعة حرم) ذو القعدة وذو الحجة والمحرم والرجب ليكون ثلث السنة تغليبا للتحليل الذى هو مقتضى سعة الرحمة على التحريم الذى هو مقتضى الغضب فجعل أول السنة وآخرها وهو المحرم وذو الحجة ولما لم يكن له وسط صحيح أخذ أول النصف الآخر وهو رجب فبقى من الثلث شهر فاخذ قبل الآخر وهو ذو القعدة ليكون مع آخر السنة المتصلة بأولها وترا وبقى وترية رجب فتتم السنة على التحريم باعتبار أولها وآخرها وأوسطها مع تذكر وترية الحق المؤكد للتحريم (ذلك الدين القيم) أى المستقيم عقلا ونقلا عن ابراهيم واسمعيل عليهما السلام (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) بالمعاصى فانها تعظم فيهن عظمها فى الحرم لذلك يتغلظ فيها دية القتل المحرم (و) لكن (قاتلوا المشركين) فى السنة (كافة كما يقاتلونكم كافة) فعفى عن تحريمه مكافأة لهم ويدل على عفوه نصره اياكم (واعلموا) اذا شككتم فى بقاء تحريمها مع نصركم (أن الله مع المتقين) بالنصر ومع ذلك يجب اتقاء تغيير الشهور والحرمة (انما النسىء) أى تأخير التحريم من شهر الى آخر (زيادة فى الكفر) مضمومة الى الكفر السابق لانه (يضل به الذين كفروا) بالله عن أحكامه اذ يجمعون بين الحل والحرمة فى شهر واحد وغاية ما يرفع التناقض انهم (يحلونه عاما ويحرمونه عاما) وهذا وان رفع التناقض فهو تغيير لاحكام الله وغاية اعتذارهم عن التغيير أنهم فعلوا ذلك (ليواطؤا) أى ليوافقوا عدتهم (عدة ما حرم الله) لكنه يكفى فى التغيير نقلهم الحرمة من شهر آخر (فيحلوا ما حرم الله) من غير أن يكون لهم نسخ أحكام الله فكأنهم يدعون الالهية لانفسهم لكنهم لا ينظرون الى هذه اللوازم القبيحة لانه (زين لهم سوء أعمالهم و) لو لم يزين لهم فلا أقل من أنهم لا يرون قبحها اذ (الله لا يهدى القوم الكافرين) به وبأحكامه للقبائح ليجتنبوها ومما زين لهم من سوء الاعمال استحلالهم القتال على الباطل فى الاشهر الحرم مع انه خلاف مقتضى بخلهم لان منشأه ايثار الحياة الدنيا فلا ينبغى أن يزين ترك القتال على الحق للمؤمنين ايثارا لها على الآخرة (يا أيها الذين آمنوا) بفوائد الآخرة سيما للمجاهدين على الحق ودناءة الدنيا (ما) ذا عرض (لكم اذا قيل) من جهة الله ورسوله نفعا (لكم انفروا) أى اخرجوا للقتال لتسلكوا بالناس (فى سبيل الله اثاقلتم) أى أبطأتم ابطاء الثقيل لميلكم (الى الارض) ميل الثقيل اليها (أرضيتم) أيها المؤمنون بفوائد الآخرة سيما للمجاهدين (بالحيوة الدنيا) أى الحقيرة بدلا (من الآخرة) أى من فوائدها سيما للشهداء فان زعمتم ان الفوائد الدنيوية محققة دون الاخروية ففيه تضييع الايمان الذى به النجاة والدرجات بأدنى الاشياء (فما متاع) أى فائدة (الحيوة الدنيا) اذا وضعت (فى) جنب فوائد (الآخرة الا قليل) فكيف يحصل لاجل هذا القليل هذا الخطر العظيم على أنه لا يحصل لكم هذا القليل حينئذ أيضا فانه (الا تنفروا يعذبكم) بتسليط أعدائكم عليكم (عذابا أليما) بالقتل والاسر وراء العذاب

الاخروى

(باب الراء المضمومة)
(قوله عز وجل ركبان) جمع راكب (قوله عز وجل روح منه) يعنى عيسى عليه السلام روح من الله أحياه الله فجعله روحا والروح الامين جبريل عليه السلام وقوله تعالى

الاخروي (و) لايخل ذلك باظهار دينه بل ان تتركوا النفير (يستبدل قوما غيركم) كأهل
فارس واليمن فيضركم بالعذاب الاليم (و) باستبدال قوم آخرين (لاتضروه شيأ) بابطال
دينه (والله على كل شئ قدير) فيقدر أن يظهر دينه بقوم آخرين بلا حاجة اليهم فانكم
(الا تنصروه) أى ان قعدتم على ترك نصره ينصره الله بغير سبب ولا يبعد (فقد نصره الله اذ
أخرجه الذين كفروا) اى حين مكر به الكفار فصاروا سبب خروجه فخرج مع أبى بكر
(ثانى اثنين اذ هما فى الغار) ليس معه جماعة تنصره فنصره (اذ يقول لصاحبه) أبى بكر حين
قال لو نظر المشركون الى أقدامهم لرأونا ماظنك باثنين الله ثالثهما (لاتحزن ان الله معنا)
بالمعونة (فأنزل الله) بهذا القول (سكينته) أى أمنته التى تسكن عندها القلوب (عليه) أى
على صاحبه وقد كان نصره بلا سبب (و) قد جعله بسبب خفى اذ (أيده) لنصره يوم بدر
وحنين والاحزاب (بجنود) من الملائكة (لم تروها) وان رآها الكفار (و) ليس هذا مخصوصا
بوقت دون آخر بل لم يزل يفعل ذلك حتى (جعل كلمة) أى دعوة (الذين كفروا) مع
كثرتهم (السفلى) أى الدنيئة التى لايبالى بها (وكلمة الله) أى دعوته الى التوحيد والاحكام
(هى العليا) لاتزال عالية الى يوم القيامة (و) لايبعد مع ضعف المؤمنين اذ (الله عزيز) أى
غالب على ماأراد لايحتاج الى سبب ولكنه رتب الاسباب لانه (حكيم) ومن الحكمة فى
جعلكم سبب النصر بعد فعله بلا سبب تارة وبسبب سماوى أخرى اثابتكم (انفروا خفافا)
ليكون لكم أجر النشاط والمحبة (وثقالا) ليكون لكم أجر المشقة (وجاهدوا بأموالكم)
لتتعوضوا منها الثواب الابدى (وأنفسكم) لتتعوضوا بها الحياة الابدية تفعلون ذلك وان لم
تكلفوا به (فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) مقدار العوضين لكنهم لايعلمون
لذلك (لو كان) ماتدعوهم اليه (عرضا قريبا) أى نفعا دنيويا (و) السعى اليه (سفرا قاصدا)
أى وسطا (لاتبعوك) لا لاجلك بل لموافقة أهوائهم ولو علموا لتحملوا له عظم المشاق فرأوا أبعد
الاسفار أقرب (ولكن) لجهلهم (بعدت عليهم الشقة) أى بعد عليهم السفر ذو الشقة وهم
يدعون العلم به (و) يزعمون أنهم عاجزون عنه (سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم)
ولا تفيدهم هذه الدعوى والحلف بل (يهلكون أنفسهم) بهذا الحلف والمخالفة ودعوى
العلم والعجز (و) لايصدق الحلف ودعوى العجز اذ (الله يعلم) باقامة الدلائل العقلية والنقلية
(انهم لكاذبون) والحلف وان كان مصدقا فى الجملة فليس بمصدق لهم لذلك (عفا الله عنك)
أى عفو عن المجتهد المخطئ (لم أذنت لهم) بحلفهم (حتى يتبين لك) بيانا واضحا (الذين
صدقوا) بطريق غير حلفهم فتأذن لهم (وتعلم الكاذبين) بوجه فتزجرهم عن الاستئذان
على أنه لايلتبس فيه الصادق بالكاذب لانك انما تأمر القادرين بالخروج فحينئذ
(لايستأذنك الذين يؤمنون بالله) لمنع ايمانهم به من مخالفته مع القدرة (واليوم الآخر) لمنع
ايمانهم به من ترك تعويض الثواب والحياة الابديين اذا أمروا (أن يجاهدوا بأموالهم

ويسئلونك عن الروح
قل الروح من أمر ربى وأنتم
أى من علم ربى وأنتم
لاتعلمونه والروح فيما قال
المفسرون ملك عظيم من
ملائكة الله عز وجل
يقوم وحده فيكون صفا
وتقوم الملائكة صفا

وأنفسهم) بل يخافون أن يقصروا في بذلهما بعد أمر الله (والله عليم بالمتقين) فيعطيهم من الاجر ما يناسب تقويهم (انما يستأذنك) في ترك الجهاد بهما (الذين لا يؤمنون بالله) فلا يبذلون أموالهم وأنفسهم لامره (واليوم الآخر) اذ لا يرجون ثوابه ولا حياته (و) هم وان وجدوا دلائل ذلك (ارتابت قلوبهم) ورسخ فيها الريب (فهم في ريبهم يترددون) لا يخرجون عنه أبدا (ولو) كان المستأذنون مؤمنين لكان استئذانهم لعجز عرض لهم بعد القدرة فلو (أرادوا الخروج) قبل العجز (لأعدوا له عدة) من أسباب السفر والحرب (ولكن) لم يعدوا فلم يريدوا الخروج لان الله تعالى وان أمرهم به ابتلاء (كره الله انبعاثهم) أى قصدهم للخروج (فثبطهم) أى حبسهم عنه بالقاء الجبن والكسل عليهم (وقيل) لهم مع تحريكهم بالامر (اقعدوا مع القاعدين) من النساء والصبيان وانما كره انبعاثهم فثبطهم لانه علم أنهم (لو خرجوا) فصاروا (فيكم ما زادوكم الا خبالا) أى فسادا بالنميمة (ولأوضعوا خلالكم) أى أوقعوا التخذيل والهزيمة بينكم لانهم (يبغونكم) أى يطلبون لكم (الفتنة) أى ما تفتنون به (و) انما تيسر لهم ذلك اذ (فيكم) أيها المؤمنون المخلصون (سماعون لهم) أى منقادون لقولهم لضعف عقلهم فيتوهمون منهم النصح والاعانة وقد وضعوا مكانهما التخذيل والفتنة ظلما (والله عليم بالظالمين) فكره انبعاثهم وثبطهم ويدل على ابتغائهم الفتنة في كل مرة انهم والله (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) يوم أحد (و) يدل على زيادتهم الخبال انهم (قلبوا لك الامور) فغيروها عن حقائقها سعيا في ابطال أمرك فلم يزالوا على ذلك (حتى جاء) النصر والتأييد (الحق وظهر أمر الله) أى علا دينه (وهم كارهون) مجيء الحق وظهور أمر الله فكره انبعاثهم (ومنهم) أى ومن المستأذنين الطالبين فتنة المؤمنين (من يقول) وهو جد بن قيس اذ قال له صلى الله عليه وسلم هل لك في جلاد بني الاصفر يعني الروم فتتخذ منهم سرارى ووصائف (ائذن لي) في القعود (ولا تفتني) بالنساء وأعينك بمالي فرد عليه عز وجل بان اتخاذ السرارى ليس من الفتنة المحذورة وانما هي فتنة الكفر والنفاق (ألا في الفتنة) المحذورة (سقطوا) وهم وان لم يروا الكفر والنفاق فتنة فلا شك ان جهنم فتنة (وان جهنم) عند احاطة أسبابها (لمحيطة بالكافرين) ويكفي من أسبابها حسدهم على دينك بحيث (ان تصبك حسنة) ظفر وغنيمة (تسؤهم وان تصبك مصيبة) أى شدة كهلاك أحد (يقولوا قد أخذنا أمرنا) بالحزم في القعود (من قبل) أى من قبل أن تصيبهم كأنهم اطلعوا على الغيب (ويتولوا) عن مجمعهم الذى أظهروا فيه الفرح برأيهم (وهم فرحون) أى مستمرون على الفرح برأيهم وبما أصابكم وبما سلموا (قل) لا وجه لهذا الفرح لرضانا بها فانه (لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) ونحن راضون بقضائه فلم يسؤنا بالحقيقة كيف ولم يكتبها علينا ليضرنا بها اذ (هو مولانا) يتولى أمورنا فانما كتبها علينا ليوفقنا للصبر عليها والرضا بها فيعطينا من الاجر ما هو خير منها (و) لا يجرم في التخلف عن الجهاد لاجلها لانهم لما كتبت

فذلك قوله عز وجل يوم يقوم الروح والملائكة صفا (قوله عز وجل رفاتا) وفتاتا واحد ويقال الرفات ما تناثر من كل شئ بلى (قوله عز وجل رحما) أى رحمة وعطفا (قوله تعالى ركاما) أى بعضه

فلا

فلابد من اصابتها اجاهدنا أم لا على أنه لا تصيب من صح توكله على الله لذلك (على الله فليتوكل
المؤمنون) اذا أمرتهم بشئ مخطر (قل) يا أيها الحاسدون علينا في ديننا الذى نجاهد لاجله
(هل تربصون بنا) أى تنتظرون بنا في الحسد على الجهاد الذى نريد به اعلاء ديننا (الا احدى
العاقبتين (الحسنيين) النصر أو الشهادة (ونحن نتربص بكم) في حسدكم أحد السوءيين (أن
يصيبكم الله بعذاب) نازل (من عنده) بلا واسطتنا (أو) بعذاب واقع (بأيدينا فتربصوا) في
حسدكم بنا احدى الحسنيين (انا معكم متربصون) تمنيا لانفسنا ماتربصتم في حسدكم فهذا
رد تحرزهم من الفتنة وأما رد اعانتهم بالمال فهو المشار اليه بقوله (قل) لجد بن قيس وأصحابه
(أنفقوا) في سبيل الله (طوعا أو كرها لن يتقبل منكم) لانه انما يتقبل عمل من وافق أمر الله
ولستم كذلك (انكم كنتم قوما فاسقين) اى خارجين اما في صورة الطوع فلانكم
مأمورون بالاخلاص وأنتم مراؤن وأما في صورة الكره فلان فعل المكره لاينسب اليه
(وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم) لو لم يراؤا ولم يكرهوا (الا أنهم كفروا بالله) فان الكفر
بالامر أشد من مخالفة أمره (و) يكفى في الكفر به تكذيب (برسوله) لانهم بمنزلة أن يقولوا
ان من أرسله ليس باله (و) من علامات كفرهم بالله انهم (لا يأتون الصلوة) التى بها وصلهم الى
الله (الا وهم كسالى) اذ مقتضى الايمان ترك التكاسل فيما هو سبب الوصلة الى من
يؤمنون به (و) أيضا (لا ينفقون) النفقة التى بها ايثار حبه على حب المال (الا وهم
كارهون) وهو يدل على ايثارهم حب المال على حب الله واذا ظهرت لك علامات كفرهم
(فلا تعجبك اموالهم ولا أولادهم) فانها وان كانت نعما حقها أن تعطى للشاكرين لكن
الله تعالى لم يعطهم ليشكروها فيجزيهم بشكره بل (انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا)
بما يرون فيها من الشدائد والمصائب (و) لايثارهم حبها على حب الله (تزهق أنفسهم وهم
كافرون) اذ يبغضون من سلب عنهم محبوبهم من الاموال والاولاد بازهاق أنفسهم (و) اذا
ظهر نفاقهم بحزنهم بحسنة المؤمنين وفرحهم بمصيبتهم (يحلفون بالله انهم لمنكم) يدفعوا بدلالة
اليمين دلالة النفاق (وما هم) بدلالة اليمين (منكم) لان دلالة النفاق أقوى كيف ولو لم يخافوا
لم يحلفوا (ولكنهم) اذا هم حلفوا علم أنهم (قوم يفرقون) أى يخافون أن يفعل بهم مثل
ما يفعل بالمشركين وسبب الخوف اضطرارهم الى مساكنتهم مع ضعفهم ولذلك (لو يجدون
ملجأ) أى قوما أو حصنا يلتجئون اليهم أو اليه (أو مغارات) يسكن كل واحد منهم غارا (أو
مدخلا) أى نفقا ينجحرون فيه كالضب والفار (لولوا) اى أقبلوا (اليه) لاظهار كفرهم
(وهم يجمحون) لكراهتهم صحبتكم الملجئة لهم الى اظهار الايمان (ومنهم) أى ومن الحالفين
انهم لمنكم (من) يظهر كفره صريحا فوق ظهوره بالعلامات اذ (يلمزك) أى يعيبك (في) قسم
(الصدقات) وهو ذو الخويصرة حرقوص بن زهير التميمى رأس الخوارج أتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يقسم مالا فقال يارسول الله اعدل فقال عليه السلام ويلك من يعدل
اذا لم أعدل وأبو الجواظ قال ألا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم

فوق بعض (قوله عزوجل
رخاء حيث أصاب) أى
رخوة لينة وحيث أصاب
اى حيث أراد يقال أصاب
الله بك خيرا أى أراد الله
بك خيرا (قوله تعالى رجت
الارض رجا) أى زلزلت
واضطربت وتحركت

أنه يعدل ولم يكن لمزهم لمنعه المستحقين واعطائه غيرهم بل لمنعه اياهم (فان أعطوا منها) ولو بلا استحقاق (رضوا) وجعلوه عدلا (وان لم يعطوا منها) لعدم استحقاقهم (اذاهم يسخطون) فيجعلونه غير عدل (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) لدل ذلك على اخلاصهم (و) لا يمنعهم من ذلك عدم كفايته بل (قالوا حسبنا الله) فان لم يكفنا الآن (سيؤتينا الله من فضله ورسوله) فان لم يؤتنا في المستقبل أيضا فلا نبالي لـ (انا الى الله راغبون) ثم بين المستحقين الذين اعطاؤهم عدل ومنعهم ظلم فقال (انما الصدقات) حق (للفقراء) من لا مال له ولا كسب لائق يقع موقعا من حاجته كأنه أصيب فقاره قدمهم لانهم أحق (والمساكين) من له مال أو كسب لا يكفيه كان العجز أسكنه ثم ذكر من يحتاج اليهم المحتاجون الى الصدقات فقال (والعاملين عليها) أي الساعين في تحصيلها القابض والوازن والكيال والكاتب يعطون أجورهم منها ثم ذكر من يحتاج اليهم الامام فقال (والمؤلفة قلوبهم) وهم قوم ضعفت نيتهم في الاسلام فيحتاج الامام الى تأليف قلوبهم بالعطاء تقوية لاسلامهم لئلا يسرى ضعفهم الى غيرهم أو أشراف يترقب باعطائهم اسلام نظرائهم ثم ذكر من يعان بها في دفع العوارض (و) أجلها الاعانة (في) فك (الرقاب) فيعطى المكاتب ما يستعين به على أداء النجوم وان كان كاسبا ثم ذكر من يفك ذمته عن الديون فقال (والغارمين) من استدان لنفسه في غير معصية ولم يجد وفاء أو لاصلاح ذات البين ولو غنيا ثم ذكر الاعانة على الجهاد الذي يفك به الاسلام عما يتوهم من غلبة الكفار فقال (وفي سبيل الله) فيصرف على المتطوعة في الجهاد ويشترى لهم الكراع والسلاح ثم ذكر الاعانة في قطع الطريق فقال (وابن السبيل) وهو المسافر المنقطع عن ماله حال كونها (فريضة) مقدرة لكل صنف من هؤلاء لا بالرأى بل (من الله) وكيف يفوض الى رأى الغير وليس له علم كامل ولو علم لربما ذهب الى هواه (والله عليم حكيم) لا يميل في شئ الى خلاف مقتضى العلم به (ومنهم) أي ومن الذين يحلفون بالله انهم لمنكم من هو أشد من اللامز في الصدقات اذهم (الذين يؤذون النبي) فوق ايذاء اللامز (و يقولون) اذا قيل لهم لا تفعلوا ان بلغه ما تقولون يقع بكم (هو أذن) أي يسمع كل ما يقال له فنقول ما شئنا ثم ننكر ونحلف فيصدقنا قاله جلاس بن سويد وأصحابه يعنون أنه ليس بعيد الغور بل سريع الاغترار بكل ما يسمع (قل أذن خير لكم) أي يسمع من كل أحد ما هو خير لكم لانه (يؤمن بالله) ومن خواصه التصديق في الخيرات (ويؤمن للمؤمنين) اى انما يصدق في الشر من عرف كمال ايمانه لان تكذيب المؤمنين لتصديق المنافقين قبيح جدا وكيف يكذب المؤمنين لتصديق المنافقين (و) هو (رحمة للذين آمنوا منكم) لا للمنافقين المؤذين له عليه السلام كيف (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) فليكن من عذابهم تصديق المؤمنين عليهم وكيف يصدق المنافقون ولا يقع صدقهم في القلوب وان حلفوا الا انه بفعل الله وانما يوقعه الله اذا أرضوه وهم انما (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) دفعا لضرركم (والله ورسوله أحق أن يرضوه) لان ضرر عدم ارضائهما أشد يعلمونه (ان كانوا مؤمنين) وهو العذاب الاخروى فلا يبعد

(قوله تعالى الرجعى) المرجع والرجوع

* (باب الراء المكسورة) *

(قوله تعالى رجالا أو ركبانا) أى جمع راجل وراكب (قوله عز وجل ربا) وأصله الزيادة لان صاحبه يزيده على ماله ومنه

تعذيبهم بعدم ايقاع صدقهم عند حلفهم فى قلوب الناس فان أوقع صدقهم فانما دفع عنهم أدنى الضرر (ألم يعلموا أنه من يحادد الله و رسوله) اى يعادهما فلا يرضهما (فان له نار جهنم خالدا فيها) فلا يبلغ ضرر الخلق الذين يرضونهم ذلك المبلغ فان فعلوا ذلك لدفع الخزى الدنيوى من جهتهم فالاولى دفع الخزى الاخروى اذ (ذلك الخزى العظيم) لكن المنافقون لا يبالون بذلك الخزى وانما يبالون للخزى الدنيوى فانه (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم) اى على المؤمنين (سورة) اى طائفة من القرآن محيطة باسرارهم احاطة السور بالمدينة (تنبئهم) بجميع قبائحهم حتى (بما فى قلوبهم) فيفتضحون بها و يفعل بهم مثل ما يفعل بالمشركين (قل) مقتضى هذا الحذر ترك النفاق وأنتم لا تتركونه بل تستهزؤن معه (استهزؤا) بالله وآياته ورسوله (ان الله مخرج) بالوحى أو بطريق آخر من قلوبكم ومن سائر أماكنكم الى الرسول والمؤمنين (ما تحذرون) خروجه (و) هم يعتمدون فى دفع هذا المحذور اذا خرج على عذرهم الفاسد فانك والله (لئن سألتهم) عن اتيانهم بتلك القبائح المتضمنة للاستهزاء بالله وآياته ورسوله (ليقولن) فى الاعتذار انه لم يكن عن القلب حتى يكون نفاقا أو كفرا بل (انما كنا نخوض) أى ندخل هذا الكلام لترويح النفس عن مشاق السفر (و) ليس فيه مواطأة القلب بل غايته انا كنا (نلعب) أى نمزح (قل أبالله وآياته و رسوله كنتم تستهزؤن) فى ترويحكم ومزاحكم ولم تجدوا لهما كلاما آخر (لا تعتذروا) بعذر يكون كفرا وان لم يكن عن جد وقصد قلب وهو أفحش من الكفر المستمر اذ (قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم) بجعلها مؤمنة مخلصة لكون ضحكها من غير رضا منها والاستهزاء موجب للتعذيب (نعذب) أى نعين للعذاب (طائفة بأنهم كانوا مجرمين) بالنطق به أو الرضا وكيف لا نعذب هذه الطائفة وأثر الكامل فيها يسرى الى الناقص اذ هم كأجزاء الشئ الواحد اذ (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) فيتقوى الناقص منهم حتى يلحق بالكامل وكيف لا مع انهم (يأمرون بالمنكر) الكفر والمعاصى (وينهون عن المعروف) الاخلاص والطاعات (و يقبضون أيديهم) عن الخيرات (نسوا الله) الذى يجزيهم على الخيرات والشرور (فنسيهم) عن لطفه واخراجهم عنه مع عمومه لكمال خروجهم عن طاعته (ان المنافقين هم الفاسقون) ولم ينسهم باعتبار قهره وانتقامه اذ (وعد الله المنافقين والمنافقات) أى الكاملين والناقصين ما وعد الكفار وان أظهروا الايمان وأجرى عليهم فى الدنيا أحكام المؤمنين لكن وعدهم (والكفار) الذين أظهروا كفرهم (نار جهنم) وهى وان أخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم يؤثر ما ظهر من ايمانهم فى ذلك بل جعلوا (خالدين فيها) وهم وان شاركوا الكفار فى عذابهم بنار (هى حسبهم و) لكن زيد فى حقهم ان (لعنهم الله) لعنة خاصة بهم (ولهم) من تلك اللعنة (عذاب مقيم) وراء اقامة العذاب المشترك ولا ينافى هذا اللعن التنعيم الدنيوى اذ أنتم أيها المنافقون فى ذلك (كالذين من قبلكم) ممن أنعم عليهم ثم عذبوا اذ (كانوا أشد منكم قوة) فى أنفسهم (وأكثر أموالا) تفيدهم مزيد قوة

قولهم فلان أربى على فلان اذا زاد عليه فى القول (قوله عز وجل ربيون) أى جماعات كثيرة الواحد ربى (قوله تعالى ريشا) ورياشا واحد ما ظهر من اللباس والشارة والرياش أيضا الخصب والمعاش

ومنافع أخر (وأولادا) تفيدهم مزيد قوة لا تفوت بفوات المال ومنافع أخر (فاستمتعوا) أى فانتفعوا (بخلاقهم) أى نصيبهم ثم أعطاكم أيها المنافقون أقل مما أعطاهم (فاستمتعتم بخلاقكم) القليل تمتعا كاملا (كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) الكامل (و) لم تشكروا المنعم بل (خضتم) أى دخلتم فى الكلام الردى فى حقه (كالذى خاضوا) أى كالكلام الذى خاضوا فيه من غير نقص ولا ينفعكم أيها المنافقون اظهار الايمان والطاعات فان الاولين مع كفرهم لم يكونوا خالين عن عمل صالح لكن (أولئك) لبعدهم عن استحقاق الثواب (حبطت أعمالهم) فلم تفدهم (فى الدنيا والآخرة) كيف (و) لو وجد فيهم الايمان حال الاتيان بها ثم زال عنهم (أولئك هم الخاسرون) بتلفها بعد حصولها كمن احترق زرعه حين حصاده فان أنكروا ما جرى من ذلك على الماضين فلا وجه له (ألم يأتهم) بطريق التواتر (نبأ) أى قصة اهلاك الله بعد تنعيمه (الذين من قبلهم قوم نوح) أنعم عليهم بنعم منها تطويل أعمارهم ثم أهلكهم بالطوفان (وعاد) أنعم عليهم بنعم منها مزيد قوتهم ثم أهلكهم بالريح (وثمود) أنعم عليهم بنعم منها القصور ثم أهلكهم بالرجفة (وقوم ابراهيم) أنعم عليهم بنعم منها اعظم الملك ثم أهلك ملكهم نمرود بالبعوض الداخل فى أنفه (وأصحاب مدين) أنعم عليهم بنعم منها التجارة ثم أهلكهم بافاضة النار عليهم (والمؤتفكات) أنعم عليهم بنعم منها لذات الوقاع الحرم ثم أهلكهم بجعل قراهم عاليها سافلها وامطار الحجارة عليها وكان تعذيبهم بعد رعد الرسل اذ (أتتهم رسلهم بالبينات) يعدونهم ذلك العذاب كما نعدكم فان أنكروا اتيان الرسل اياهم (فما كان الله ليظلمهم ولكن) أنعم عليهم و (كانوا) بترك شكره وصرفهم نعمه الى غير ما أعطاهم اياه لاجله (أنفسهم يظلمون) فيستحقون ذلك العذاب (و) لا يبعد أن يعفو عن طائفة منهم وان كان فيهم ضعف ايمان لانه يتقوى المؤمنون بعضهم ببعض أكثر مما يتقوى المنافقون بعضهم ببعض اذ (المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) وتقوية الولاية أعظم من تقوية الجزئية اذ لهم استيلاء فى الظاهر بالقول اذ (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) ولا استيلاء للمنافقين فى العكس لميل طباعهم اليه (و) لهم استيلاء فى الظاهر بالفعل اذ (يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة) فتؤثر رؤيتهما أكثر من تأثير القول (و) لهم استيلاء فى الباطن اذ (يطيعون الله ورسوله أولئك) وان كان فى بعضهم ضعف ايمان حينا (سيرحمهم الله) بتقويته فيهم لان نوره غالب على ما ظهر (ان الله عزيز) لكنه انما يظهر فى كل شئ بحسبه لانه (حكيم) وكيف لا يتقوى بعضهم ببعض ويرحمهم بعد التقوية وقد (وعد الله المؤمنين والمؤمنات) أى الكاملين والقاصرين (جنات) ولجريان أنهار الانوار من بعضهم الى بعض (تجرى من تحتها الانهار) ولا يعود ضعفهم بعد التقوية لذلك جعلوا (خالدين فيها و) الضعف وان كان لخبث فى قلوبهم لكن بعد التقوية ثم طيبها لذلك وعدهم (مساكن طيبة) ولعدم كون قلوبهم بعد التقوية بحيث تطيب مرة دون أخرى جعلت (فى جنات عدن ورضوان من الله

أكبر

(قوله عز وجل رجز) أى عذاب كقوله عز وجل فلما كشفنا عنهم الرجز أى العذاب ورجز الشيطان لطخه وما يدعو اليه من الكفر والرجز والرجس واحد فى معنى العذاب والرجس أيضا

أكبر) وهذه التقوية وان كانت بعد ضعف فلم يقصر الفوز بها بل (ذلك هو الفوز العظيم) كفوز من قوى من أول الامر (يا أيها النبي) أى الذى نبئ بأسرار التأثير فكان أكثر تأثيرا من سائر المؤمنين ليس لك أن تؤثر فى الكفار والمنافقين بالرحمة بل (جاهد الكفار والمنافقين) التؤثر فيهم بالقهر (و) لا تلين معهم ليكون لهم نصيب من رحمتك العامة بل (اغلظ عليهم و) كيف تؤثر فيهم الرحمة وقد أحاطت بهم أسباب الشقاوة كأنهم الآن (مأواهم جهنم و) ليس مصيرهم اليها يوم القيامة لكونهم اليوم فيها بل (بئس المصير) ولاحاطة أسباب الشقاوة بهم (يحلفون بالله ما قالوا) فيك شيأ يسوءك (و) الله (لقد قالوا كلمة الكفر) وذلك انه عليه السلام نزل عليه القرآن فى غزوة تبوك بعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزل (و) لم يقتصروا على كلمة الكفر بل (كفروا) بافعال (بعد اسلامهم و) من جملتها انهم (هموا) أى قصدوا (بما لم ينالوا) من اهلاكه عليه السلام بدفعه عن راحلته الى الوادى اذا تسنم العقبة بالليل عند رجوعه من تبوك اتفق عليه خمسة عشر منهم وكان عمار بن ياسر آخذا بخطام راحلته يقودها وحذيفة يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا أعداء الله (وما نقموا) أى وما قصدوا نقمة رسول الله بشئ (الا أن أغناهم الله ورسوله) بالغنائم وقد كان أكثرهم محاويج فكان حقهم أن يشكروه لكونه (من فضله) لكنهم قصدوا انتقامه ومع ذلك لم ينزع عنهم فضله بالكلية بل مكنهم من التوبة (فان يتوبوا يك) توبتهم (خيرا لهم) مبقيا لفضله فى الدارين (وان يتولوا) عما عرض عليهم من التوبة (يعذبهم الله) بنزع فضله بالكلية ولا يقتصر على النزع بل يجعله (عذابا أليما فى الدنيا) بالقتل والاسر (والآخرة) بالنار وغيرها (وما لهم فى الارض) قبل ظهور الله (من ولى) يشفع لهم فى دفع العذاب (ولا نصير) يدفعه بقوته فتاب الجلاس وحسنت توبته (ومنهم) أى ومن المنتقمين لاغناء الله ورسوله اياهم بما آتاهم من فضله الناكثين لايمانهم المتولين عن التوبة (من عاهد الله) وهو ثعلبة بن حاطب أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله أن يرزقنى مالا فقال عليه السلام قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه فقال والذى بعثك بالحق (لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين) باعطاء كل ذى حق حقه فدعا له صلى الله عليه وسلم فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عليه السلام عنه فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة (فلما آتاهم من فضله بخلوا به) أى بفضل من ذلك الفضل (وتولوا) عن العهد واليمين (وهم معرضون) أى قاصدون الاعراض من أول الامر مستمرون عليه (فأعقبهم) أى جعل عاقبة أمرهم (نفاقا) راسخا (فى قلوبهم) دائما (الى يوم يلقونه) لا بمجرد البخل بل (بما أخلفوا الله ما وعدوه) من التصدق والصلاح (وبما كانوا يكذبون) فى اليمين اذ قصدوا به الحنث وذلك انه عليه السلام بعث مصدقين فاستقبلهما

قوله الغدر والنقض فزادتهم رجسا الى رجسهم أى نقضا الى نقضهم والنقض كناية عن الكفر أى كفرا الى كفرهم وعلى المعنى الآخر فزادتهم رجسا الى رجسهم أى فزادتهم عذابا الى

الناس بصدقاتهم ومن ابن ثعلبة فسأله الصدقة فقال ماهذه الاجزية ماهذه الا أخت الجزية فارجعا حتى أرى رأيي فنزلت فجاء بالصدقة فلم يقبلها عليه السلام وليس اعطاء الله اياهم أولا من جهله بقصدهم الحنث بل قد جرى معهم أولا بمقتضى ظاهرهم ثم أظهر نفاقهم وألزمهم اياه لاجل اجترائهم على الله بنسبة الجهل اليه بما هم عليه (ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم) وهو قصدهم الحنث في اليمين في ابتدائه (ونجواهم) أي ما تناجوا به من تسمية الزكاة جزية أو أخت الجزية (و) كيف اعتقدوا ذلك فيما وجد فيهم وله نوع من الظهور وقد علموا (أن الله علام الغيوب) التي لم تخرج الى الوجود ولا يبعد استهزاء الله بهم بجريه معهم على ظواهرهم أولا ثم اظهار قبائحهم وقد استهزأ بمن استهزأ ببعض عباده اذ (الذين يلمزون) أي يعيبون (المطوعين) أي المتبرعين (من المؤمنين) وان لم يبلغوا الى حد الولاية (في الصدقات) فيزعمون انهم تصدقوا رياء (و) يلمزون (الذين لا يجدون) ما يتصدقون به (الا) قليلا فيعطون (جهدهم) أي مقدار طاقتهم ولا يقتصرون على أدنى اللمز بل يبالغون فيه (فيسخرون منهم) فيقولون ان الله ورسوله غنيان عن صدقتهم (سخر الله منهم) أي جازاهم على سخرهم (ولهم) من سخرهم لو لم يجازهم الله من خارج (عذاب أليم) من الهيئة القبيحة التي تحصل لهم منه روى أنه عليه السلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال لي ثمانية آلاف درهم فاقرضت ربي أربعة آلاف درهم وأمسكت لعيالي أربعة آلاف درهم فقال عليه السلام بارك الله لك فيما أعطيت وما أمسكت فصولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن بثمانين ألف درهم وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق تمر وجاء أبو عقيل الانصاري بصاع تمر وقال بت ليلتي أجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره عليه السلام أن ينثره على الصدقات فقال المنافقون ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الارياء وكان الله ورسوله غنيين عن صاع أبي عقيل ولكنه أحب أن يذكر نفسه ليعطى من الصدقات فنزلت (استغفر لهم) أي للذين سخر الله منهم لسخرهم بالله أو بأحد من المؤمنين في العمل الصالح (أو لا تستغفر لهم) فانهما في حقهما سواء وان بالغت في الاستغفار بحيث (ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) كما لا يغفر لهم لو لم تستغفر لهم أصلا (ذلك) أي عدم الغفران لهم (بأنهم كفروا بالله ورسوله) اذ سخروا منهما أو من العمل الصالح الذي هو مقبول عندهما ولا يفيد الاستغفار للكافرين لخروجهم عن أمر الله بالكلية (والله لا يهدي القوم الفاسقين) الخارجين عن طريق التقرب اليه برفع حجب المعاصي وسترها بالاستغفار ولعدم هدايتهم جعلوا الفرح مكان الحزن والكراهة مكان الرضا فانه (فرح المخلفون) أي الذين خلفهم الشيطان عن غزوة تبوك اذ رضوا (بمقعدهم) أي بملازمة مكان قعودهم لكون قعودهم (خلاف) أمر (رسول الله) مع ما فيه من حزن العاقبة (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) مع ما فاتهم من الثواب الابدي والحياة الطيبة الابدية الموجب للرضا (و) من ضلالهم ترجيح حر الشمس على حر نار جهنم اذ (قالوا لا تنفروا) الى الجهاد (في) أيام

عذابهم بما يجدد من كفرهم والله أعلم (قوله عز وجل والرجز فاهجر) والرجز أيضا بكسر الراء وضمها ومعناهما واحد وفسر بالاوثان وسميت الاوثان رجزا لانها سبب

افراط (الحر) أى حر الشمس (قل نار جهنم) على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وبدل ثواب الجهاد والحياة الطيبة الابدية (أشد حرا) يدركون غاية شدتها (لو كانوا يفقهون) ان أثر غضب الله يجب أن يكون كذلك واذا كان فرحهم بمخالفة الله ورسوله موجبا لهذا الاثر من غضبه (فليضحكوا) بفرحهم (قليلا) غايته مدة حياتهم (وليبكوا كثيرا) بعد الموت أبد الآباد (جزاء بما كانوا يكسبون) بهذا الفرح من الكفر والمعاصى العظام واذا تحقق فرحهم بالقعود خلافك وكراهتهم للجهاد (فان رجعك الله الى) الجهاد مع حضور (طائفة منهم فاستأذنوك للخروج) دفعا للعار السابق (فقل) هذا الاستئذان يجدد العار لانكم تفرحون بخلافى وتكرهون الجهاد (لن تخرجوا معى أبدا) وان أمرتكم بعد استئذانكم (و) لئن خرجتم (لن تقاتلوا معى عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة) فخذلكم الله وسقطتم عن نظره بل غضب عليكم وألزمكم العار (فاقعدوا مع الخالفين) من النساء والصبيان دائما (و) لا ينقطع غضب الله عنهم بموتهم بل هو مؤبد لذلك (لا تصل على أحد منهم) اذا (مات) ولا ينسخ هذا النهى بل يبقى (أبدا) لانها شفاعة ولا شفاعة فى حقهم (ولا تقم على قبره) للاستغفار اذ لا استغفار فى حقهم (انهم كفروا بالله ورسوله) فى الحياة بالباطن (وماتوا وهم فاسقون) أى خارجون عن الايمان الظاهر الذى كانوا به فى حكم المؤمنين قيل بعث عبد الله ابن أبى ابنه فى مرضه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاه عمر فاتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أهلكك حب اليهود فقال يا نبى الله لم أبعث اليك لتلومنى ولكن بعثت اليك لتستغفر لى وسأله قميصه ليكفن فيه فأعطاه اياه واستغفر له ونفث فى جلده وصلى عليه ودلاه فى قبره فنزلت ولا ينافى دوام غضب الله عليهم اعطاؤهم الاموال والاولاد (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم) اذ لم يرد الله انعامهم بها ليدل على رحمته بهم بل (انما يريد الله) بها انتقامهم لانه أعطاهم (أن يعذبهم بها فى الدنيا) بالمشقة فى تحصيلها وحفظها والحزن عليها (وتزهق أنفسهم وهم كافرون) بالله لبغضهم اياه عند سلبهم عن محبوبهم فهو كسلب المحبوب ومما يدل على ان أموالهم لتعذيبهم فى الدنيا انها تسلبهم الجاه الذى هو ألذ من المال اذ تلحقهم بالنساء والصبيان وعلى أنها تزهق أنفسهم حال الكفر انهم يخالفون لاجلها مقتضى الايمان (و) ذلك أنه (اذا أنزلت سورة) أى طائفة من القرآن محيطة بالعلوم احاطة السور آمرة (أن آمنوا بالله و) استدعوه من الخلق بان (جاهدوا مع رسوله) الداعى اليه (استأذنك أولوا الطول) أى الفضل والسعة (منهم) لخوفهم على أموالهم (وقالوا ذرنا) أى اتركنا عند أموالنا (نكن مع القاعدين) لحفظها فهو لا مع مخالفتهم مقتضى الايمان وهو أن لا يرضى بكفر أحد فيستدعى ايمان الكل تركوا الجاه اذ (رضوا) بالعار العظيم (بأن يكونوا مع) النساء (الخوالف) لحفظ البيوت لايثارهم حب المال على حب الجاه وعلى حب الله (وطبع على قلوبهم) التى تعرف ما فى حب الله والتقرب اليه من الفوائد الجليلة وما فى الجاه من الفوائد الدنيوية (فهم لا يفقهون) ما فوتوا على أنفسهم من تلك الفوائد التى أدناها النصر والغنيمة وأعلاها

الرجز أى سبب العذاب (قوله تعالى الرفد) أى العطاء والعون أيضا وقوله بئس الرفد المرفود أى بئس العطاء المعطى ويقال بئس العون المعان (قوله تعالى ربنا) بهمزة ساكنة قبل الياء ما رأيت عليه من

التقرب الى الله تعالى وهم يزعمون أنه من كمال فقههم وهو غلط اذ لو كان كذلك لكان الرسول والمؤمنون الذين هم أفقه خلق الله أولى بذلك (لكن الرسول والذين آمنوا) فبلغوا فيه درجة الكمال فى الفقه حتى صاروا (معه) آثروا حب الله على كل شئ حتى (جاهدوا بأموالهم وأنفسهم) فى سبيل الله لغلبة حب الله عليهم على حب الاموال والانفس فحفظ الله أموالهم وأنفسهم (وأولئك لهم الخيرات) النصر والغنيمة وحفظ الجاه فى الدنيا (وأولئك هم المفلحون) بأجر الايمان الكامل والجهاد وايمان من آمن بسببهم وأعمالهم وغير ذلك وبالقرب من الله فى الآخرة ولا يضرهم ضياع أموالهم وأنفسهم ولو تلفت فى الجهاد اذ (أعد الله لهم) بدل أموالهم (جنات) وبدل نمائها كونها (تجرى من تحتها الانهار) وبدل حياتهم كونهم (خالدين فيها ذلك) أى استبدال هذه الامور الخسيسة بتلك الامور الشريفة هو (الفوز العظيم) الذى لا نسبة فيه للمبدل الى البدل الا نسبة لاشئ الى ما لا يتناهى لكن هذا الفوز انما يحصل لمن فقه (و) ليس من الفقه الاتيان بالاعذار الكاذبة ولا عدم المبالاة بالله ورسوله مع دعوى الايمان فانه اذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله (جاء المعذرون) أى الموهمون ان لهم عذرا (من الاعراب) الذين لا فقه لهم (ليؤذن لهم) فى ترك الجهاد الذى له ما ذكر من الفوائد (وقعد) من غير اعتذار من الاعراب من قلة المبالاة بالله ورسوله (الذين كذبوا الله ورسوله) فى دعوى الايمان مع ظهور علامات الكفر من قلة المبالاة فانى يكون هذا من الفقه على أنه استبدال العذاب بالثواب فانه (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم) بظهور كفرهم وافتضاحهم فى الدنيا والنار فى الآخرة هذا فى القعود عن عدم المبالاة وفى الاعذار الكاذبة لا فى كل قعود ولا فى الاعذار الصادقة لذلك (ليس على الضعفاء) هم العاجزون مع الصحة عن العدو وتحمل المشاق كالشيخ والصبى والمرأة والنحيف (ولا على المرضى) العاجزين بأمر عرض لهم كالعمى والعرج والزمانة (ولا على) الاقوياء والاصحاء (الذين لا يجدون ما ينفقون) فى السفر والسلاح (حرج) فى القعود بلا عذر او معه (اذا نصحوا لله ورسوله) أى أخلصوا الايمان والعمل الصالح فلم يرجفوا ولم يثيروا الفتن وأوصلوا الخيرات الى المجاهدين وقاموا بمصالح بيوتهم كيف وهم بالنظر الى الله ورسوله محسنون و (ما على المحسنين من سبيل) الى عتابهم فضلا عن عقابهم (و) اثم عموم الخطاب ساقط عنهم اذ (الله غفور) للمكلف المعذور لانه (رحيم ولا) سبيل (على الذين اذا ما أتوك لتحملهم) على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة كمعقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد ليبلغوا مكان العدو (قلت) لهم (لا أجد ما أحملكم عليه) فحينئذ (تولوا وأعينهم) كأنها (تفيض) بأنفسها اذ صارت كأنها (من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون) فى الجهاد فهؤلاء وان كانت لهم قدرة على تحمل المشاق فما عليهم من سبيل أيضا فضلا عن المعاقبة (انما السبيل) بالعتاب والعقاب (على الذين يستأذنونك) وان كانوا دون القاعدين من عدم مبالاتهم بالله

ورسوله

شارة وهيئة ورئيا بغير همز يجوز أن يكون على المعنى الاول ويجوز أن يكون على الرى أى بكون منظرهم مرتوين من النعمة وزيا بالزاى يعنى هيئة ومنظرا وقد قرئت بهذه الثلاثة الاوجه (قوله تعالى ركزا)

و رسوله (وهم أغنياء) قادرون على تحصيل الاهبة فاقل مايعاتبون به انهم (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) من النساء والصبيان وسائر أصناف العاجزين وهذا الرضا كما هو سبب العتاب فهو أيضا سبب العقاب لانه لما كان عن قلة مبالاتهم بالله غضب الله عليهم (وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون) ما يترتب عليهم من المصائب الدينية والدنيوية ولغاية جهلهم (يعتذرون) سدا السبيل عليهم وهو لا ينسد الا بسد الله تعالى وليس اعتذارهم اليه بل (اليكم) اذ لو كان الى الله لكان قبل رجوعكم اليهم لكنه (اذا رجعتم اليهم) اذ قبله كانوا يتوقعون عدم رجوعكم فاذا رجعتم اليهم خافوا أن تفضحوهم بالنفاق (قل لا تعتذروا) لظهور كذبكم اذ لم يمنعكم فقر ولا مرض ولا يفيدكم الاعتذار لانا (لن نؤمن) أى لن نصدق قولكم حتى يكون مفيدا (لكم) وكيف نصدقكم مع انه (قد نبأنا الله) بما يفضحكم (من أخباركم و) لولم ينبئنا لظهر كذب عذركم بافعالكم فانه (سيرى الله عملكم و) هو لعدم اعتذاركم اليه غضبان عليكم فلا يبعد أن يظهره سيما عند رسوله فيراه (رسوله) ولا يبعد أن يأمره بتبليغه لتفتضحوا عند الكل (ثم) ان لم يفضحكم ههنا فلا يبعد أن يفضحكم عند جميع خلائقه يوم القيامة اذ (تردون الى عالم الغيب والشهادة) فلا يقتصر فى فضيحتكم بظواهركم بل يعم الظاهر والباطن (فينبئكم بما كنتم تعملون) أى بجميع أعمالكم بحضرة جميع الخلائق واذا لم يقبل عذرهم يرون أنه انما لم يقبل عذرهم لكونه غير مقرون بالحلف فحينئذ (سيحلفون بالله) تعزيرا (لكم) ويدل على هذا التعزير كونه (اذا انقلبتم اليهم) ولا يقصدون بذلك تصديقكم اياهم اياهم عنه بل (لتعرضوا عنهم) فلا تقعوا فيهم وان كان داعيا لهم الى الاخلاص (فاعرضوا عنهم) اذ لا يكون وقوعكم فيهم داعيا لهم الى الاخلاص (انهم رجس و) لا ينسد بذلك السبيل الذى جعل عليهم اذ (مأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون) من الاصرار على النفاق بالاعراض عنهم ثم اذا علموا ان اعراضكم عنهم انما هو لكونهم رجسا (يحلفون لكم لترضوا عنهم) باعتقاد الطهارة والاخلاص فيهم (فان ترضوا عنهم) فلا يفيدهم رضاكم (فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) أى الخارجين عن الطهارة والاخلاص وان أدخلوهم فيهما فغايته الاعراض السابق عليه لا غير ثم أشار الى أن منافقى الاعراب أشد رجسا فلا يغتر بحلفهم وان لم يكذبهم الوحى فقال (الاعراب) اذا نافقوا (أشد كفرا) فلا يبالون بالكذب فى حلفهم بالله (و) لا يغتر بعدم ظهور امارات الكذب عليهم لان منشأ ذلك كونهم اشد (نفاقا) وكيف يغتر بحلفهم (و) هم (أجدر) أى أحق (ألا يعلموا حدود) أى نهايات أحكام (ما أنزل الله) من مقام جمعه (على رسوله) الجامع فلا يعلمون ما يلزم الحالف بالله على الكذب لعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة (والله) تعالى وان جعل الحلف سبب التصديق بحيث لا تعارضه امارة الكذب وهى وان كانت خفية فى بعض المواضع لا تخفى عليه لانه (عليم) وكيف يجعله مع امارات الكذب سبب التصديق

أى صوتا خفيا (قوله عز وجل ربيع) أى ارتفاع من الارض والطريق وجمعه أرياع وريعة (رعاء) جمع راع (قوله عز وجل ردأ يصدقنى) أى معينا يقال ردأته على عدوه أى أعنته (قال أبو عمر هذا خطأ

مع انه (حكيم و) من عدم علمهم بحدود ما أنزل الله جعلوا ما هو سبب محبة الله والاخلاص معه سبب النفاق اذ (من الاعراب من يتخذ ما ينفق) فى سبيل الله وهو سبب الاخلاص (مغرما) أى خسرانا وهو سبب العداوة (و) لذلك (يتربص) أى ينتظر (بكم الدوائر) أى دوائر الفلك ليتخلص من ذلك الانفاق فيسبونكم بذلك (عليهم دائرة السوء) من تلك الدوائر التى سبوكم بها ظلما كيف (والله سميع) سبهم مستجيب لها الا فى حقكم اذ لا تستحقونها بل فى حقهم لانه (عليم) بمن يستحقها نزلت فى غطفان وأسد وتميم وبنى عامر بن صعصعة (و) انما جعلوه سبب العداوة لعدم الايمان بالله فيتقربوا اليه ولا باليوم الآخر فيرجوا ثوابه وأما المؤمنون فيرون فيه أنواع القربات ولو من الاعراب فان (من الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) وان لم يخالطوا أهل العلم وقل سماعهم للكتاب والسنة (و) لايمانه بالله المتقرب اليه واليوم الآخر المنتفع فيه بالتقرب اليه (يتخذ ما ينفق) فى سبيله (قربات) امتثالا لامره وترجيحا لحبه وقطعا لحب ما سواه لينتفع بها (عند الله و) اذا نظر الى قصوره رأى كماله من (صلوات) أى دعوات (الرسول) بالرحمة المكملة لقصوره (الا انها قربة) كاملة (لهم) جامعة لانواع القربات بكملها الله بدعوة الرسول ويزيد على مقتضاها فانه (سيدخلهم الله فى رحمته) بحيث تحيط بجوانبهم وان كان قصورهم من معاصيهم غفرها لهم (ان الله غفور رحيم) قيل نزلت فى جهينة ومزينة وأسلم وغفار وعبد الله ذى البجادين وقومه ولما كان لمؤمنى الاعراب مع بعدهم عن العلم القربة والرحمة كان للسابقين الرضوان كما قال (والسابقون) وليس المراد بهم المقربين بل (الاولون) ولو من العوام اذ كانوا (من المهاجرين والانصار) أى من تقدم بالهجرة والنصرة (والذين اتبعوهم) أى سلك سبيلهم بشرط اقترانهم (باحسان) وهى عبادة ربهم كأنهم يرونه (رضى الله عنهم) لان الهجرة أمر شاق على النفس لمفارقة الاهل والعشيرة والنصرة منقبة شريفة لانها اعلاء كلمة الله ونصر رسوله وأصحابه والاحسان من أحوال المقربين أو مقاماتهم (و) دليل رضوانه عنهم انهم (رضوا عنه و) استلزم رضاه عنهم كل خير قبل أن يخلقوا اذ (أعد لهم) قبل أن يخلقهم (جنات) بدل ما تركوا من دورهم وأهاليهم وبدل ما أعطوه للمهاجرين من أموالهم ولغرسهم جنات القرب فى قلوبهم (تجرى تحتها الانهار) لاجرائهم انهار المعارف فى قلوبهم وقلوب من اتبعوهم بهذه الهجرة والنصرة والاحسان (خالدين فيها أبدا) لتخليدهم هذا الدين باقامة دلائله وتأسيس قواعده الى يوم القيامة والعمل بمقتضاه واختيار الباقى على الفانى (ذلك) الحاصل لهم من الهجرة والنصرة واقامة الدلائل وتأسيس القواعد (الفوز العظيم) بدل ما تركوا من الامور الخسيسة ثم أشار الى أن هذا الرضوان وان عم المهاجرين والانصار يستثنى من الانصار المنافقون سواء كان نفاقهم لبعدهم عن مخالطة أهل العلم أو لعناد الباطن فقال (وممن حولكم من) الانصار (الاعراب) مزينة وجهينة وأسلم وأشجع وغفار بعضهم (منافقون) لا يستحقون الرضوان ولا الرحمة وان بعدوا عنكم وكانوا قليلى الفقه (ومن أهل المدينة)

انما يقال أردأنى فلان أى أعاننى ولا يقال ردأه) (قوله عز وجل رزقكم أنكم تكذبون) اى جعلتم شكر الرزق التكذيب (قوله عز وجل ركاب) ابل خاصة ومنه قوله

الاوس والخزرج بعضهم أيضا منافقون وهم أولى بعدم الرضوان والرحمة لانهم مع مخالطتهم لاهل العلم ومعاينتهم المعجزات (مردوا) أى مرنوا وثبتوا (على النفاق) ونفاقهم وان كان بحيث (لا تعلمهم) مع صدق فراستك لا يفيدهم اذ (نحن نعلمهم سنعذبهم) بدل الرضا الذى فوق الرحمة (مرتين) مرة باظهار نفاقهم باخراجهم يوم الجمعة فى خطبتها من المسجد باسامیهم ومرة باحراق مسجد الضرار وقيل الاولى ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند قبض أرواحهم والثانية عذاب القبر وهذا البدل فى الدنيا أو القبر (ثم يردون الى عذاب عظيم) فوق البدل يوم القيامة (و) من أهل المدينة قوم (آخرون) ليسوا من أهل الرضا وان لم يكونوا منافقين لانهم (اعترفوا بذنوبهم) فلم يعتذروا بالاعذار الكاذبة وانما لم يكونوا من أهل الرضوان لاختصاصه بأهل الصلاح وهؤلاء (خلطوا عملا صالحا) كالندم وربط أنفسهم بالسوارى (و) عملا (آخر سيئا) كالتخلف عن الغزوة (عسى الله أن يتوب عليهم) أى قرب أن يقبل توبتهم (ان الله غفور) لسيئاتهم (رحيم) بصالحهم نزلت فى أبى لبابة بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة بن حرام تخلفوا عن غزوة تبوك ثم ندموا وربطوا أنفسهم بالسوارى وعزموا أن لا يطلقوها حتى يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم صلى الله عليه وسلم فقال لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أومر باطلاقهم فأنزل الله تعالى هذه الآية فأرسل اليهم فأطلقهم فقالوا يا رسول الله هذه أموالنا التى خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال عليه السلام ما أمرت ان آخذ من أموالكم شيأ فنزل (خذ من أموالهم) أى بعضها (صدقة) لتصدق توبتهم اذ (تطهرهم) بها عن حب المال بعد تطهير التوبة عن المعاصى (وتزكيهم بها) عن سائر الاخلاق الذميمة التى حصلت عن المال (و) لو لم تكمل تزكيتهم بها (صل عليهم) أى ادع بالرحمة عليهم لتوصلهم الى الله تعالى فان حصلت التزكية قبلها احتيج اليها أيضا للتسكين (ان صلاتك سكن لهم) أى تسكنهم فى مقام التزكية والقرب (و) لا تتردد فى تأثير صلاتك فيهم اذ (الله سميع) أى مجيب لصلاتك عليهم لكنه يتفاوت تأثيرها بحسب استعداداتهم اذ هو (عليم) باستعداداتهم وكيف يشكون فى تأثير صلاتك مع انه لا ينبغى لهم ان يشكوا فى قبول توبتهم وأخذ الله الصدقة منهم (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة) من غير شفاعة شافع لصدورها (عن عباده) الراجعين اليه بعد الاباق عنه (ويأخذ الصدقات) قبل ان يأخذها الفقير اذ يخرج عن ملك المتصدق أولا فيدخل فى ملك الله فكأنها تقع فى يده أولا قبل يد الفقير وكيف يشكون فى هذين (و) قد علموا (ان الله هو التواب الرحيم) بذاته فلا حاجة الى الشفاعة ولا الى قبول الفقير (وقل) لاهل التوبة والتزكية والصلاة لا تكتفوا بها بل (اعملوا) جميع ما تؤمرون به (فسيرى الله عملكم) فيزيدكم قربا على قرب (ورسوله) فيزيدكم صلوات (والمؤمنون) فيتبعونكم فيحصل لكم أجرهم من غير ان ينقص من أجورهم شئ (و) ان قصرتم فى شئ مما أمرتم به (ستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) من الاعمال الخبيثة بعد ما أعطاكم

تعالى فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب

•(باب الزاى المفتوحة)•

(قوله عز وجل زكاة) (وزكاة) أى طهارة ونماء أيضا وانما قيل لما يجب فى الاموال من الصدقة زكاة لان تأديتها تطهر الاموال مما يكون فيها من الاثم

هذه الفضائل ولا تغتروا بظهور تلك الفضائل فان الاعمال الخبيثة انما حصلت من اضدادها الخفية (و) من أهل المدينة قوم (آخرون) ليسوا من أهل الرضوان ولا من أهل العذاب الجازم ولا من أهل الرحمة الجازمة لانهم نافقوا وتابوا توبة قاصرة قيل هم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع فهم (مرجون) أى مؤخرون انتظارا (لامر الله) أى لحكمه فيهم لتردد حالهم بين أمرين (اما يعذبهم) لبقاء أثر النفاق فيهم (واما يتوب عليهم) وان قصرت توبتهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم خمسين ليلة ونهى الناس عن مكالمتهم فاخلصوا توبتهم فرحمهم (والله عليم) بما ينبغى ترجيحه من أثر النفاق والتوبة (حكيم) لا يرجح من غير مرجح فرجح أمر التوبة عند اخلاصهم فانقسم المخلفين ثلاثة أقسام ماردين على النفاق وتائبين ومرجئين (و) من أهل المدينة (الذين) قصدوا بأكمل أعمال المسلمين أشد وجوه الكفر وهم بنو غنم بن عوف حيث (اتخذوا مسجدا) يقصد به نفع المسلمين بأجل اعمالهم وهى الصلاة بالجماعة تقوية للاسلام بجمع قلوب أهله على الخيرات ورفع الاختلاف من بينهم (ضرارا) للمسلمين اذ قصدوا اقتلهم فيه بعد سد أبوابه (وكفرا) اذ قصدوا به قتل الرسول عليه السلام فيه (و) لو لم يحصل ذلك فلا أقل من ان يوقع (تفريقا بين المؤمنين) الذين كانوا يجتمعون بمسجد قبا (وارصادا) اعدادا مكان ترقبا (لمن حارب الله ورسوله) أى لابى عامر الراهب الذى حارب المؤمنين (من قبل) يوم حنين فانهزم فهرب الى الشام ليذهب الى قيصر فيأتى بجنود منه فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية وانا نحب ان تأتينا وتصلى لنا فيه وتدعو بالبركة فقال انى على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله أتيناكم فلما انصرف من تبوك نزل بذى أوان موضع بينه وبين المدينة مسيرة ساعة أتوه فسألوه ان يأتى مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه و يأتى مسجدهم فأنزل الله تعالى هذه الآية فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن ووحشيا فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا وتفرق عنه أهله (و) بعد ظهور هذه المقاصد منهم (ليحلفن ان أردنا الا) الارادة (الحسنى) ليس معها هذه المقاصد (والله يشهد انهم لكاذبون) فى دعوى هذه الارادة بل لم يكن لهم الا تلك المقاصد الفاسدة ولو غيروا الآن قصدهم (لا تقم فيه) للصلاة لكونه موضع غضب الله (أبدا) أى فى وقت من الاوقات وان تيقنت فى بعضها انه لا يتأتى لهم شئ من تلك المقاصد الباطلة (لمسجد) بناه اخوتهم بنو عمرو بن عوف وهو مسجد قبا لكونه محل رضا الله اذ (أسس) أى بنى (على التقوى) أى قصد التحفظ من معاصى الله بفعل الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر ولو قصدوا بمسجدهم التقوى اليوم فلا يكون كالذى أسس عليها (من أول يوم) ابتدئ بناؤه فيه (أحق أن تقوم فيه) وترك الاحق فى حقك كالحرام ثم المقصود من

والحرام اذا لم يؤد حق الله منها وتنميها وتزيد فيها البركة وتقيها من الآفات (قوله عزوجل زيغ) ميل وقوله عزوجل فى قلوبهم زيغ أى ميل عن الحق وزاغت عنهم الابصار أى مالت (وقوله تعالى ذكره فلما زاغوا أزاغ

المسجد

المسجد الاجتماع لمن يصلي فيه والمصلون (فيه رجال) كاملون اذ (يحبون أن يتطهروا) أي يبالغوا في الطهارة الظاهرة باتباع الغائط الاحجار الثلاثة ثم الماء وترك النوم على الجنابة وفي الباطنة بترك المعاصي والاخلاق الرديئة فيفيدهم صفاء باطنهم ويسري منها الى بواطن من يجتمع معهم (و) أقل ما فيهم الاجتماع باحباب الله اذ (الله يحب المطهرين) فهو موجب لمحبته (أ) ينكرون فضل مسجد التقوى على مسجد الضرار (فمن) أي فهل بنيان من (أسس بنيانه على) قاعدة محكمة هي (تقوى) أي تحفظ (من الله) أي من غضبه (و) طلب (رضوان) منه (خير أم) بنيان (من أسس بنيانه على) أضعف القواعد كأنه على (شفا) أي شفير (جرف) أي هوة جهنم (هار) أي ساقط وكان عليه (فانهار به) أي فسقط معه (في نار جهنم و) لا مخلص لهم من هذا السقوط لظلمهم اذ (الله لا يهدي القوم الظالمين) لما يحفظون به عن السقوط وكيف لا يكون بنيانهم سبب سقوطهم وهو سبب ريبهم اذ (لا يزال بنيانهم الذي بنوا) على هذه المقاصد الرديئة يوقع (ريبة) راسخة (في قلوبهم) في جميع الاوقات (الا) وقت (أن تقطع قلوبهم) قطعا بحيث لا يبقى لها قوة ادراك (و) هذا وان كان عيبا علينا والهدم افسادا لكن (الله عليم) وهو وان كان ستارا لكنه في اظهاره (حكيم) اذ حفظ به المسلمين عن مقاصدهم الرديئة وان كانت لا تضرهم بالحقيقة اذ يعوض لهم خيرا مما أخذ منهم (ان الله اشترى) أي استبدل (من المؤمنين) قيدهم اذ لا عوض لنفوس الكافرين ولا لاموالهم (أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) أي حياتها ونعيمها بدل الحياة الدنيا ونعيمها الحاصل بالاموال (يقاتلون في سبيل الله) بأنفسهم وأموالهم فيحصل لهم أجر مباشرة القتل وانفاق الاموال (فيقتلون) أعداءه فيحصل لهم اجر دفع افسادهم (ويقتلون) فينالون درجة الشهداء والله تعالى وان لم يجب عليه شئ ولو بالشراء لكنه لما وعد بذلك (وعدا) صار كالواجب (عليه حقا) سيما وقد كرره (في) أجل كتبه (التوراة والانجيل والقرآن) فصار في غاية الوثاقة (و) لو لم يكن وثيقا الوجب تحققه فانه (من أوفى بعهده من الله) ولو غير وثيق وغاية هذا البيع ان يقتلوا في سبيل الله فاذا قتل اخوانكم في سبيله (فاستبشروا) مكان الحزن عليهم (ببيعكم) أي بتحقق غاية مقاصد نفع اخوانكم (الذي) كأنكم (بايعتم به) فافرحوا فرحهم بنيل الشهادة كيف (و) قد حصل لهم بدل الفاني الذاهب الشريف الباقي (ذلك هو الفوز العظيم) على ان الجنة لو لم تجعل عوض أنفسهم وأموالهم فقتالهم أيضا موجب للفرح اذ يصلون الى الجنة بسائر أعمالهم اذ هم (التائبون) عن الكفر والمعاصي ولا بد لهم من عبادة الله فهم (العابدون) بانواع العبادات ولا بد لهم من الصلاة التي لا تجزئ الا بفاتحة الكتاب فهم (الحامدون) لله بجميع المحامد فلا بد لهم من النظر في كمالاته المنتشرة في العالمين فهم أمروا بهذا النظر هم (السائحون) أي السائرون في العالمين واذا رأوا كمالات الاشياء له انكسروا لعظمته وتذللوا لكمالاته فهم (الراكعون)

اللّه قلوبهم أي ولما مالوا عن الحق أمال الله قلوبهم عن الايمان والخير (قوله تعالى زبور) بمعنى مفعول من زبرت الكتاب أي كتبته (قوله عز وجل زحفا) تقارب القوم في الحرب الى القوم (قوله تعالى زيادا بينهم) أي

الساجدون) وبحبهم كمالاته يرفعون النقائص من العالمين فهم (الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر و) انما يحصل بذلك الكمالات اذ يحصل لهم بذلك الاعتدال فهم (الحافظون لحدود الله) المانعة من الافراط والتفريط (و) لولم يكن فيهم شئ من ذلك (بشر المؤمنين) بالجنة على مجرد ايمانهم فلا ضرر على المؤمن بقتله أصلا وانما منع من افسادهم لانه يمنع انتشار الدين على من بعدهم و يكفي المؤمنين من انتشاره انهم قابلون للاستغفار من بعد موتهم وان بلغوا في المعاصي ما بلغوا بخلاف المشركين فانه (ما كان للنبي) وان بلغ من القرب ما بلغ (والذين آمنوا) وان بلغوا في الكثرة مع علو المراتب ما بلغوا (أن يستغفروا) ولو على سبيل الاجتماع (للمشركين) لانهم لا يقبلون نور الاستغفار منهم (ولو كانوا أولي قربى) فان قرابتهم وان افادتهم المناسبة بهم وافراط رحمتهم بهم فلا تفيدهم قبول نور الاستغفار فلا يجوز لهم استغفارهم (من بعد ما تبين لهم) بموتهم على الكفر (انهم أصحاب الجحيم) بخلاف ما لو دعوا لهم بالتوفيق للايمان أو استغفروا لهم بشرط الايمان (و) لا يرد عليه استغفار ابراهيم لابيه فانه (ما كان استغفار ابراهيم لابيه) ناشئا عن شئ من قرابة أو غيرها (الا عن موعدة وعدها اياه) بقوله سأستغفر لك ربي وقوله لاستغفرن لك وكان قبل ان يظهر موته على الكفر (فلما تبين له) بموته على الكفر (انه عدو لله) باعتقاد الشرك فيه (تبرأ منه) أي من أبيه بالكلية فضلا عن الاستغفار وانما وعده بذلك لافراط رحمه عليه وتحمله غاية ما يترضه من الغيرة على المعاصي (ان ابراهيم لاواه) أي كثير التأوه من افراط الرحمة (حليم) أي صبور على ما يعترضه من الغيرة من افراط الرحمة فتغلبه الرحمة على الغضب لرؤيته سبق رحمة ربه على غضبه (و) لو كان استغفار ابراهيم بعد موت أبيه على الكفر قبل الوحي بمنعه لم يكن معصية حتى يسمى به ابراهيم عاصيا فضلا عن انه (ما كان الله ليضل قوما) أي يسميهم ضلالا عصاة (بعد اذ هداهم) بالنبوة والايمان وغيرهما (حتى يبين لهم ما يتقون) أي ما يحترزون عنه لامتناع تكليف الغافل وكيف يسميه ضالا وقد علم ان الضلالة والهداية أمران شرعيان فهما فرع التكليف ولا يجوز تكليف الغافل (ان الله بكل شئ عليم) واذا بين لهم تحريم الاستغفار أوجب الاستغفار الضلال لدخولهم تحت قهر الله الذي حرم ذلك الاستغفار (ان الله له ملك السموات والارض) ولا ينبغي ان يغتر باهدائه فان له ان يضله بعده لانه (يحيي) بالاهداء (ويميت) بالاضلال (و) لا يبقى المستغفر له الهداية ولا يدفع الضلال فانه (ما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) من أوليائه اذا عزم بقهره كم فضلا عن أعدائه وكيف لا يعفو عن الغافل عن التكليف وقد عفا عن غفلة من علم التكليف وغفل عن وجود المكلف به مع ظهوره فانه (لقد تاب الله على النبي) فعفا عن اذنه للمنافقين في التخلف عن الغزو لغفلته عن كذب اعذارهم مع ظهور كذبها وكيف لا يعفو عن ميل

فرقنا بينهم (قوله عز وجل زفيرا) أول نهيق الحمار وشبهه والشهيق من آخره فالزفير من الصدر والشهيق من الحلق (قوله عز وجل زعيم) وضمين وحميل وقبيل وكفيل بمعنى واحد (قوله عز وجل زهق الباطل) أي بطل

القلوب الى الاستغفار للاقارب مع الجهل بحرمته (و) قد تاب على (المهاجرين والانصار) فعفا عن ميلهم الى التخلف لانهم (الذين اتبعوه) فى الخروج الى تبوك (فى ساعة العسرة) حيث تعاقب عشرة على بعير واقتسم رجلان تمرة ونحر بعضهم البعير من شدة العطش فعصر فرثه فشربه وجعل ما بقى منه على كبده فكان اتباعهم (من بعد ما كاد) أى قرب (تزيغ) أى تميل (قلوب فريق منهم ثم) مع علمهم بحرمة ذلك الميل (تاب عليهم) حتى وفقهم للمتابعة مع ان مثل هذا الزيغ من أهل العلم موجب للمقت الالهى لكنه لم يمقتهم لهجرتهم ونصرهم (انه بهم رؤف) يرحمهم بلا كره لانه (رحيم) بادنى أسباب الرحمة فكيف مع الهجرة والنصرة (و) كيف لا يتوب على هؤلاء مع مجرد ميلهم وقد تاب (على الثلاثة الذين خلفوا) عن الغزوة وكمال التوبة وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وهم المرجون لامر الله الذين منع الناس من مكالمتهم خمسين ليلة (حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) أى مع سعتها اذ لا يمكنهم الذهاب الى أحد (وضاقت عليهم أنفسهم) اذ لازموا مكانهم (و) اذ ارادوا الفرار من المدينة (ظنوا أن لا ملجأ) أى لا مفر (من) غضب (الله الا اليه) أى الى استغفاره (ثم) لما علم صدقهم (تاب عليهم) أى وفقهم للتوبة الكاملة (ليتوبوا) توبة توجب الرحمة (ان الله هو التواب الرحيم) لمثل هؤلاء الذين الجؤا الى التوبة فضلا عمن يتوب باختيار منه (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ان تخافوا مقته فى معاصيه حتى لا يوفقكم للتوبة وان كان توابا رحيما (اتقوا الله) فلا تعصوه اعتمادا على توبتكم أو رحمته (وكونوا) للاستعانة على استدامة التقوى (مع الصادقين) ولوجوب التقوى وملازمة الصادقين (ما كان لاهل المدينة) المتيسر لهم ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته (ومن حولهم) سيما اذا كانوا (من الاعراب) لبعدهم عن أهل العلم الداعى الى الصدق (أن يتخلفوا) فى الجهاد (عن رسول الله) لان ترك الجهاد مخل بالتقوى والتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مخل بملازمة الصادقين لان المتخلفين من غير ذوى الاعذار منافقون (و) كيف (لا) يحرم التخلف عنه صلى الله عليه وسلم وما كان لهم ان (يرغبوا) أى يميلوا (بأنفسهم) أى بترك أنفسهم فى أهويتها مجاوزين (عن) مشاق (نفسه) بل كلما تحمل من المشاق يجب عليهم ان يحملوها (ذلك) أى لزوم تحمل المشاق عليهم (بأنهم لا يصيبهم ظمأ) أى عطش (ولا نصب) أى تعب من السير سيما مع العطش (ولا مخمصة) أى مجاعة تضعفهم عن السير لكنها سيرهم (فى سبيل الله ولا يطؤن موطئا) أى لا يدوسون مكانا (يغيظ الكفار) الذين هم أعداء الله واغضاب العدو يفيد رضا عدوه (ولا ينالون من عدو نيلا) أى قتلا أو هزيمة أو أسرا وهو فوق الغيظ فهو أتم فى افادة الرضا (الا كتب لهم به عمل صالح) فاذا مالوا بأنفسهم فاتهم ذلك وأهل القرب يؤاخذون بالتقصير مع تفويتهم واجب الجهاد وملازمة الرسول وكيف لا يكتب لهم بذلك عمل صالح مع انهم بتحمل المشاق محسنون لانهم انما تحملوها بالنظر الى الله (ان الله لا يضيع أجر المحسنين

هذا زهوق الباطل ومن هذا (قوله النفس وهو بطلانها) الزلق الذى (قوله عز وجل زلقا) لا تثبت عليه القدم (قوله تعالى زاكية) وزكية قرئ بهما جميعا وقيل نفس زاكية لم تذنب قط وزكية أذنبت ثم غفر لها (قال أبو عمرو الصواب زكية فى الحال

(و) كيف يضيع أجر أعمالهم الشاقة مع انه لا يضيع أجر الانفاق شق أو لم يشق فانهم (لا ينفقون نفقة صغيرة) لا يشق مثلها (ولا كبيرة و) لا أجر ما هو أدنى من الانفاق فانهم (لا يقطعون واديا الا كتب لهم) به عمل صالح وهو وان كان أدنى يلحقه لاحسانهم بالاعمال الكاملة (ليجزيهم الله) على كل عمل لهم كامل أو قاصر (أحسن ما كانوا يعملون) أي جزاء احسنها فاذا تركوه مع قربهم من رسول الله كانت المؤاخذة عليهم أشد ثم أشار الى أن ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم انما كانت واجبة على من قرب منه في جميع الاحوال سيما الجهاد وأما سائر المسلمين فلا يلزم جميعهم فقال (وما كان المؤمنون لينفروا) عن بلدانهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (كافة) بحيث تخلو بلدانهم عن الناس لكن لابد لهم من معرفة الدين (فلولا نفر من كل فرقة) أي من كل جماعة كثيرة كأهل بلدة (منهم طائفة) أي جماعة قليلة تقع بتعلمهم الكفاية في تصحيح الاعتقادات ومعرفة الاعمال الشرعية (ليتفقهوا) أي ليتعلموا ما يكونون به ماهرين (في الدين ولينذروا قومهم) من الاعتقادات الفاسدة والاخلال بالاعمال الشرعية لا في كل وقت بل (اذا رجعوا اليهم) لا بقصد صرف وجوههم اليهم بل ارادة ان يحذروا (لعلهم يحذرون) ربهم فيصلحون اعتقاداتهم وأعمالهم ثم أشار الى انه انما يكتفي بالانذار في حق المؤمنين واما الكافرون بعد الانذار باقامة الحجج ودفع الشبه فلا بد من مقاتلتهم فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم نشر دين الله ولو بالقتال (قاتلوا الذين كفروا سيما الذين (يلونكم من الكفار) اذ يخاف منهم على المسلمين أكثر (و) لا تلينوا لهم لينكم عند اقامة الحجج ورفع الشبه بل (ليجدوا فيكم غلظة) ليتركوا عنادهم ولا تخافوا كثرتهم اذ خوف تغيير الدين منهم أشد فاذا خفتم ذلك فأنتم متقون وهم منصورون (واعلموا أن الله مع المتقين و) كيف لا تقاتلونهم وهم يستهزؤن بآيات الله المتضمنة للحجج القاطعة ورفع الشبه المدلهمة فانه (اذا ما أنزلت سورة) أي طائفة من القرآن المعجز المحيط بجملة من الحجج ورفع الشبه (فمنهم) أي فما يليكم من الكفار (من يقول) لاصحابه (أيكم زادته هذه ايمانا) وليس ذلك لعدم قطعيتها بل انما افترق الفريقان بالانصاف والعناد (فأما الذين آمنوا) من انصافهم (فزادتهم ايمانا) بكثرة الدلائل ورفع الشبه (وهم يستبشرون) بحصولها أو بسائر فوائدها (وأما الذين في قلوبهم مرض) أي كفر (فزادتهم رجسا) أي خباثة من العناد مضمومة (الى رجسهم) فأولوها بالاطائل تحتها ولا يأتى لهم الحامل الصحيحة (و) لا يعودون الى الانصاف الى حين الموت بل (ماتوا وهم كافرون) أي مصرون على كفرهم (أ) يصرون على كفرهم (ولا يرون أنهم) من أجله (يفتنون) أي يبتلون ببليات لا يعقبها عاقبة حميدة (في كل عام مرة أو مرتين ثم) أي بعد رؤية الآيات والبليات على مخالفتهما (لا يتوبون) عن مخالفتها (ولا هم يذكرون)

قوله فأنتم متقون وهم منصورون كذا بالاصلين وليتأمل اهـ مصحح

وزاكية في غدفالاختيار زكية مثل ميت ومائت ومريض ومارض عن قليل (قوله عز وجل ما زكا منكم من أحد أبدا) أي لم يكن زاكيا يقال زكا فلان اذا كان زاكيا وزكاه الله عز وجل

يذكرون) تذكرا يعلمون بها كونها آيات قاطعة وكون البليات على مخالفتها وانها ليس كبليات المؤمنين كيف (و) من جملتها بلية الفضيحة كالزانى والسارق فانه (اذا ما أنزلت سورة) محيطة بفضائحهم وهم فى حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم (نظر بعضهم الى بعض) يسأله بطريق الغمز (هل يراكم من أحد) اذا قمتم من هذه الحضرة فاذا قيل لهم لا يراكم أحد قاموا (ثم انصرفوا) عن حضرته خوف الفضيحة مع انهم يعلمون انها لا تندفع عنهم وانما تندفع بالاخلاص لكن (صرف الله قلوبهم) عن الاخلاص مع ظهور موجبه (ذلك) أى ترك الاخلاص مع ظهور موجبه (بأنهم قوم لا يفقهون) فلا يطلعون على كيفية ايجابها الاخلاص ولو فقهوا منعهم عداوته عن التدبر لكن لا وجه لعداوته فانه والله (لقد جاءكم رسول) بالمعجزات وعداوة الرسول عداوة للمرسل مع انه (من أنفسكم) أى أقاربكم فأنتم أعلم بأحواله من كونه بريئا عن الكذب والسحر وحق الاقارب المواصلة والتأمل فيما يقول كيف وهو لا يعاديكم بل (عزيز) أى ثقيل (عليه ما عنتم) أى لقاؤكم المكروه بل لا يرضى بقلة الخير فيكم لانه (حريص) بتكثير افاضة الخير (عليكم) ولا يختص ذلك منه بطائفة دون أخرى بل (بالمؤمنين) كلهم (رؤف) أى مبالغ فى الرحمة بل (رحيم) بكل احد يريد هدايته واصلاحه (فان تولوا) أى اعرضوا عن التدبر فى القرآن مع انه لا وجه للاعراض عنه من جهة عداوتك ولا من غيرها (فقل حسبى الله) كفانى فى دفع ضرر عداوتكم اذا كانت ظلما محضا وكيف لا يكفى وهو الذى لا يشاركه فى غاية كماله اذ (لا اله الا هو) وهو وان لم يدفع الضرر عن كل أحد لابد وان يدفعه عنى لانه (عليه توكلت) لا على شئ آخر كيف (و) جميع الاشياء تحت حفظه وقدرته اذ (هو رب العرش العظيم) المحيط بالكل فيحيط بكل من يعادينى وباسباب اضراره اياى واذا كان رب جميع ذلك فلا يؤثر بدون اذنه ولا يأذن بتأثير الضرر فيمن صح توكله عليه تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين الى يوم الدين

(سورة يونس)

سميت به لتضمنها قوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس ففيه غاية ما يفيد فيه الايمان وضرر تركه وتأخيره وهو المقصد الاعلى من انزال الكتاب (بسم الله) المتجلى بذاته وأسمائه وأفعاله فى آيات كتابه الحكيم ليتضمن لوازم الرغبة فى تحصيل الاعتقادات الصائبة والاخلاق الفاضلة الداعية الى الاعمال الصالحة ولوازم الرهبة عن اضدادها أو ليتضمن اسرار لباب الرسالة ليزول الالتباس والانغلاق عن الاعتقادات والاعمال أو أنوار لوامع الربوبية أو أكمل لا ئى الرشد (الرحمن) باظهارها لخلقه ليهديهم اليه لا على أيديهم ليلجئهم بل على أيدى من كمل قبل ظهور رهاله (الرحيم) بوعد قدم الصدق للمؤمنين (الر تلك آيات الكتاب الحكيم) أى آيات لوازم الرغبة والرهبة أو اسرار لباب

قوله عز (اذا جعله زاكيا) (قوله عز وجل زهرة الحياة الدنيا) يعنى زينتها والزهرة بفتح الهاء والزاى نور النبات والزهرة بضم الزاى وفتح الهاء النجم وبنو زهرة باسكان الهاء (قوله عز وجل زجرة

الرسالة أو أنوار لوامع الربوبية أو أكمل لآلى الرشد تلك آيات الكتاب الجامع لاصناف الحكمة النظرية والعملية اذ يرغب فى تحصيل الاعتقادات الصائبة والاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة ويرهب عن اضدادها وبلباب الرسالة يزول الالتباس منها والانغلاق عنها ولا يحصل الا باشراق أنوار الربوبية اذ بدونها يكثر الضلال فيها والرشد وان حصل بطريق الخطابة أو الجدل فلا يخلو عن قصور وانما يكمل بالحكمة ثم الترغيب والترهيب انما يتم بالوحى اذ لا يستقل العقل بالامور الاخروية واسرار لباب الرسالة انما هى بالوحى أيضا لقصور الاوهام والمقدمات العقلية وأنوار الربوبية انما تشرق على العامة بواسطة الرسل اذ لا تناسب بين نور الانوار وبين المنغمس فى العلائق الظلمانية والرشد لا يتم الا بالوحى اذ يتأيد فيه العقل بالنقل فلا عجب فى الوحى (أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم) لمزيد مناسبة لربه (أن أنذر الناس) عن ردىء الاعتقادات والاخلاق والاعمال (وبشر الذين آمنوا) وان لم يتم لهم تحسين اخلاقهم وأعمالهم (أن لهم قدم صدق) أى مرتبة قرب من الله ثابتة (عند ربهم) يرجى بها تربيته باتمام تحسين الاخلاق والاعمال فلما تمت حجة الارسال بهذا الطريق (قال الكافرون) فى الطعن عليه (ان هذا لساحر مبين) اى تلبيس ظاهر اذ يبعد من الله انزال الملك من فوق السموات السبع الى الارض فى لحظة ولكنه ليس ببعيد من الله كما قال (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام) مع ان السير فى البناء الذى لا يتم الا فى سنين يكون بلحظة واحدة وبناؤهما لو كان من انسان لا يكاد يتم فى آلاف آلاف سنين ولا اضعاف اضعاف اضعافه (ثم) لتنزيل أمره فى العالم كله (استوى على العرش) لا لافتقاره الى ذلك بل لكونه (يدبر الامر) أى يرتب بعضه على بعض ومنه ترتيب النجاة على تحسين الاعتقادات والاخلاق والاعمال وترتيب الثواب والعقاب على تحسينها أو تقبيحها ولا يتم الا بالارسال فانه (ما من شفيع الا من بعد اذنه) وهو انما يأذن فى حق من أقر بربوبيته وقام بعبوديته لكن بقى فيه تقصير وهما انما يحصلان فى حق العامة بالرسل اذ يقولون (ذلكم) البعيد عن ادراك الحواس والعقول هو (الله) وغاية ما يعرف منه انه (ربكم) أى الذى رباكم لتعبدوه (فاعبدوه أ) تنكرون شيأ عما ذكر مع ظهوره لكنه يفتقر الى التذكر وأنتم تريدون انكاره (فلا تذكرون) لكن لا بد من التذكر اذ (اليه مرجعكم جميعا) لا يختص به البعض حتى انه ربما لا يرجع اليه بعض من لا يتذكر وهو وان لم يجب عقلا وجب لكونه (وعد الله) لوجوب كونه (حقا) على انه وافق الحكمة (انه يبدؤا الخلق) ليتعرف اليهم ويستعملهم اعمالا ظاهرة وباطنة (ثم يعيده) لئلا يقع الابداء عبثا فلا بد وان يكون (ليجزى) كلا بمقتضى معرفته وعمله مثل ان يجزى (الذين آمنوا) فصححوا الاعتقادات (وعملوا الصالحات) فحسنوا الاخلاق والاعمال (بالقسط) فلا ينقص من أجورهم شيأ وان كان ينقص من جزاء السيئات بالعفو (والذين كفروا) اذا جازاهم بالقسط (لهم شراب من حميم) يحرق بواطنهم لفساد

الاعتقادات

واحدة) أى فى نفخة الصور والزجرة الصيحة بشدة وانتهار (قوله عز وجل زوجناهم بحور عين) أى قرناهم بهن وليس فى الجنة تزويج كتزويج الدنيا وقوله عز وجل

الاعتقادات والاخلاق (وعذاب أليم) على ظواهرهم لفساد الاعمال فانها تفسد (بما كانوا يكفرون) ولو استبعد انزال الملك فلا يبعد الوحى بافاضة ضياء العقول أو أنوار النفوس السماوية اذ (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا) فى الارض (و) لا يلزم منه دوام الوحى لاختلاف منازل الرسول كاختلاف منازل القمر اذ (قدره منازل) يتلئ فى بعضها نورا وينقص فى البعض وكذا الرسول ومنازل القمر هى الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرفة والجبهة والزبرة والصرفة والعوّاء والسماك والغفر والزبانى والاكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر وبطن الحوت وانما قدر ذلك (لتعلموا عدد السنين) بمعرفة الايام المقدرة بالمنازل والشهور المقدرة بالايام والسنين المقدرة بالشهور (والحساب) أى حساب سير الكواكب المتوقف على الحساب المطلق المفيد فى جملة أمور الدنيا التى هى مزرعة الآخرة ففيها دلالة على سنى الآخرة وحساب أعمالها والدليل على ذلك أنه (ما خلق الله ذلك الا بالحق) أى بالحكمة فهى لازمة لافعاله فلابد من الجزاء ولا يعرف الا بالرسل أولى الآيات لذلك (يفصل الآيات) تفصيل البروج بالمنازل وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت وكما ان تفصيل البروج بالمنازل انما يفيد المنجمين فهذا التفصيل مفيد (لقوم يعلمون) بل انما يفيد المتقين وقد اقتضت تلك الآيات التقوى كما قال (ان فى اختلاف الليل والنهار) فى زيادة الظلمة والنور ونقصانهما (وما خلق الله فى السموات والارض) من طلوع وأفول وكائن وفاسد (لآيات) أى دلالات على ان الانسان يستزيد النور تارة وينقص أخرى ويطلع فيه تجل ويأفل أخرى ويتكون فيه اعتقاد وخلق وعمل ويفسد أخرى وهى انما هى تكون مفيدة (لقوم يتقون) نقص النور وأفول التجليات وفساد الاعتقادات والاخلاق والاعمال الفاضلة والتقوى هى الواقية من العذاب الابدى للذى لا يتقى (ان الذين لا يرجون لقاءنا) فلا يتوقعون الجزاء فلا يتقون (و) لو توقعوا الجزاء لم يبالوا له لانهم (رضوا بالحيوة الدنيا) فاحتملوا لها كل شئ (و) مع علمهم بفنائها (اطمأنوا بها) حتى لم يبالوا لها بالعذاب الابدى (و) انما يأتى لهم ذلك مع انهم لا يبالون فى أجل الاشياء بما هو أدنى منه لانهم (الذين هم عن آياتنا) الدالة عليه (غافلون أولئك) البعداء عن طريق النجاة لا يمكنهم اتقاء النار بدعوى الغفلة عنها بل (مأواهم النار) لا يخلو منهم جانب للعذر (بما كانوا يكسبون) من هذه الغفلة من القبائح الفائتة للحصر وكما ان التقوى واقية من النار هادية الى المعارف الالهية والاعمال الصالحة (ان الذين آمنوا) لاتقائهم الشرك (وعملوا الصالحات) لاتقائهم المعاصى (يهديهم ربهم) الذى ربى ايمانهم بأعمالهم (بايمانهم) بعد تربيته الى معارفه وأسرار أعماله بحيث (تجرى من تحتهم الانهار) أى أنهار المعارف والاسرار من أرواحهم الى قلوبهم ثم الى نفوسهم ثم الى سائر أعضائهم ثم الى من يناسبهم ثم الى

احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) أى وقرناءهم والزوج الصنف أيضا كقوله سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض أى الاصناف (قوله عزوجل زنيم) أى ملحق بالقوم وليس منهم

العالم فيصيرون في الدنيا كأنهم (في جنات النعيم دعواهم) أي قولهم المشير الى دعواهم الكمال لانفسهم (فيها) عند مكاشفة بعض المعارف (سبحانك اللهم) عن أن تكون هذه المعرفة غاية كمالك الذي هو مقتضى الهيتك (و) ليس ذلك منهم انكارا لما كوشفوا به بل (تحيتهم) لما كوشفوا به (فيها سلام) أي تسليم آخر ثم طلب مزيد (وآخر دعواهم) بعد حصول المزيد (أن الحمد لله) ولا يبعد الاختلاف في تجليه اذ هو جهة تربيته للكل فلا يبعد ذلك من (رب العالمين) ويحصل لهم مما يناسب هذه الحالة في الجنة كلما رأوا شيئا يعجبهم قالوا سبحانك اللهم واذا رأى بعضهم شيئا سأله من غير حقد عليه فيحصل له مثله فيحمد الله عليه (و) لا يقال لو تنعم المؤمنون باعتقاداتهم وأخلاقهم وأعمالهم في الدنيا كأنهم الآن في الجنة لتعذب الكافرون باضدادها في الدنيا كأنهم الآن في النار لانا نقول (لو يعجل الله للناس الشر) وهو التعذيب على سوء الاعتقاد والخلق والعمل سيما المستعجلين به (استعجالهم بالخير لقضي اليهم أجلهم) اذ لا يعيش الحيوان مع تلك الآلام في الدنيا فلو عذبناهم لما كان ملجأ الى الايمان ولا فائدة له حينئذ (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا) حتى استعجلوا عذابنا قبل وقته (في طغيانهم) بدل فكرهم الهادي (يعمهون) يترددون فيه فلا يجدون دليلا على عدمه البتة (و) لو جعلنا عذابهم دون ذلك لم يفدهم سيما اذا كان منقطعا فانه (اذا مس الانسان الضر دعانا) ملقيا (لجنبه أو قاعدا أو قائما) ومع هذه المبالغة في الدعاء المستلزم للاخلاص لا يدوم اخلاصه بل غاية البقاء مادام الضر باقيا (فلما كشفنا) أي أزلنا (عنه ضره) الذي كان حجابا بين وبين مايشتهيه (مر) الى الشرك فصار بعد تلك المبالغة في الدعاء (كأن لم يدعنا) في حال من الاحوال (الى) كشف (ضر) حقيرا وعظيم (مسه) بل كأنه مس غيره وذلك لما زين له الشرك لاسراف ميله اليه بعد رؤيته فائدة الاخلاص من كشف ذلك الضر (كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) فيعودون اليه بعد رؤيته ضره مرة بعد أخرى والكافر لو أعيد الى الدنيا بعد التعذيب بالنار لعاد الى كفره ولما لم يفدهم العذاب المنقطع فاما أن يؤخر أمرهم الى الآخرة ليستوفوا العذاب هناك أو يعذبوا في الدنيا عذابا يتصل بعذاب الآخرة (و) لا بعد فيه فانا والله (لقد أهلكنا القرون من قبلكم) فصار سنة لنا بطريق الابتلاء الذي يعم العادل والظالم بل (لما ظلموا و) لم يؤاخذا بمجرد الظلم بل بعد أن (جاءتهم رسلهم بالبينات) فتقرر عليهم الحجة بالوجوه الكثيرة (وما كانوا ليؤمنوا) بتلك البينات ولا بغيرها وكيف لا نجازيهم مع افراط ظلمهم انا (كذلك نجزي القوم المجرمين) الذين لم يفرطوا مثل افراطهم (ثم) أي بعد اهلاكهم على افراطهم في الظلم (جعلناكم خلائف) عنهم متمكنين (في الارض) القابلة للاصلاح والفساد (من بعدهم لننظر كيف تعملون) من اصلاحها وافسادها بعد ما أريناكم اهلاك المفسدين وجعلناه سنة مستمرة (و) لكن رأينا من عملهم ارادتهم تبديل كتاب الله فانه (اذا تتلى عليهم آياتنا) المنسوبة الى عظمتنا الاعجازها الا لاشكال فيها بل مع كونها (بينات) أي واضحة الدلالة على مقاصدها بالمقدمات القطعية (قال الذين لا يرجون

لقاءنا)

وقيل الزنيم الذي له زنمة من الشر يعرف بها كما تعرف الشاة بزنمتها وقال تدس زنيم اذا كانت له زنمتان وهما الحلمتان المعلقتان في حلقه (وقوله عز وجل زنجبيلا) معروف والعرب تأكل الزنجبيل وتستطيبه

لقاءنا) فلا يبالون لعظمتنا فضلا عن عظمة الآيات ولا لوضوح دلالاتها (ائت بقرآن غير هذا)
الدال على ما يكون عند اللقاء (أو بدله) فاجعل ثوابه عقابا وعقابه ثوابا (قل) ان كان لله تبديله
لكمال قدرته (ما يكون لى) لاعجازه (أن أبدله) فان كان فلا يكون (من تلقاء نفسى) بل
من الله بطريق النسخ وليس النسخ منى بل (ان أتبع الا ما يوحى الى) ولو أمكننى تبديله من
غير وحى فى نسخه منعنى منه الخوف (انى أخاف ان عصيت ربى) أى معصية فضلا عن تبديل
وحيه وكتابه (عذاب يوم عظيم) وان لم تعظم المعصية وهنا قد عظمت فان زعموا ان تبديلك
مسقط للعذاب عنهم ومن أسقط عن شخص عذابا أسقط الله عنه (قل لو شاء الله) أن لا يعذبكم
على معاصيكم (ما تلوته عليكم) الزاما للحجة عليكم (ولا أدراكم به) أى ولا أعلمكم الله
بلسانى بأنكم معذبون على معاصيه من غير ان أتلوه عليكم تقصيرا للحجة اذ ليس ذلك مقتضى
طبيعتى (فقد لبثت فيكم) مدة مديدة تشبه أن تكون (عمرا) كاملا مقدار أربعين سنة
(من قبله) والانتهاء الى الكمال البالغ حد الاعجاز لو كان من عند نفسى لكان بطريق التدريج
(أ) تقولون بلغته من غير تدريج (فلا تعقلون) ثم ان أعطانى الله هذا من غير تدريج وافتريت
عليه (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أدنى فضلا عن الكذب الذى كأنه كل الكذب مع
أن الكذب والظلم لا يتصور ممن يؤتى المعجزات فى السنة الالهية ولا ينحصر الظلم فىّ بكل حال
بل اما أنا (أو) من (كذب بآياته) ولو لاحتجابه عنها بترك النظر فيها ثم ان طلبت بذلك
الرياسة عليكم أو طلبتم بقاء عرض آبائكم لا أنال مقصودى ولا تنالون مقاصدكم
(انه لا يفلح المجرمون) بأدنى المعاصى فكيف بالافراط فى الظلم (و) من افراط ظلمهم ارادتهم
تبديل كتاب الله ليسوغ لهم عبادة غيره التى فيها تذليل أنفسهم بلا شئ اذ (يعبدون من دون
الله) مع ان الدون ليس له رتبة المعبودية سيما (ما لا يضرهم) لو تركوا عبادته (ولا ينفعهم)
لو عبدوه (و يقولون) اذا قيل لهم لا تنفعكم عبادتهم ولا يضركم تركها ولا ينفعكم تبديل
كلام الله اذا عذبكم على عبادته (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) على كل شئ حتى فى تعذيبه على
عبادتها أو تبديل كلامه (قل) ما أعلمكم الله على لسان رسول أنهم شفعاؤكم عنده اذ
لا تؤمنون بهم (أتنبؤن) أى تخبرون (الله بما لا يعلم) من شفاعتها وما لا يعلم لا يوجد
(فى السموات ولا فى الارض) على أن الشفيع لا يكون عدو المشفوع عنده والشريك عدو
وهو اذا لم يتحقق شركه أنتم تصيرون أعداءه باثبات شركه (سبحانه وتعالى عما يشركون)
والشفيع لا يشفع فى حق العدو الذى يثبت للملك ما ينزه عنه وكيف لا يتنزه عن الشريك وقد
تعالى عن رتبة الشركاء (و) لو قالوا انما نريد تبديل هذا الكتاب لانه بدل دين آبائهم يقال
لهم اذا بدل آباؤكم دين الله يجب تبديله وقد بدلته آباؤكم اذ (ما كان الناس) فى عهد آدم
عليه السلام (الا أمة واحدة) اذ يبعد أن يكون له هذه الاديان المتناقضة (فاختلفوا) فلا بد
أن يكون أحد المتخالفين مبدلا لذلك الدين الواحد واذا التبس من عليه عن خالفه لا بد من
التمييز بينهما واعلاء قضاء الفصل بمقتضى كل واحد منهما (ولولا كلمة سبقت من ربك)

(قوله وتستطيب رائحته) (قوله عز وجل زرابى مبثوثة) الزرابى الطنافس المخملة واحدتها زربية والزرابى البسط ومبثوثة مفرقة كثيرة فى كل مجالسهم (قوله عز وجل زبانية) واحدهم زبنى مأخوذ من الزبن

باسعاد البعض واشقاء البعض ولا يتأتى مع القضاء على الفور (لقضى بينهم) لانه الاولى (فيما فيه يختلفون) من شأن ذاته وصفاته وتوحيده وأحكامه وأفعاله فى الدارين فاقتصر على تمييز الكتاب بينهما (ويقولون) لو كان هذا الكتاب للتمييز النازل منزلة ذلك القضاء (لولا) أى هلا (أنزل عليه) أى على كمال تمييزه (آية) قاهرة يعلم بالضرورة كونها (من ربه فقل) هذه الآية لا تكون فى عالم الشهادة لانها لا تكون ملجئة الى الايمان وانما تكون يوم القيامة وهو غيب لا يفتحه على من سواه الا وقت مجيئه (انما الغيب لله) لكن له وقت ظهور وهو الموت (فانتظروا) الموت الكاشف عنه فى الجملة (انى معكم من المنتظرين) ليكمل ظهور صدقى فيما نصحت لكم فلم تقبلوه وجزاؤكم على تكذيبى ورد نصيحتى (و) انما شرط الموت أو القيامة للآية الملجئة اذ لا يلجئهم سوى العذاب والعذاب الدنيوى منقطع غالبا والمنقطع لا يبقى الجاؤه فى حقهم لما جرب عليهم انه (اذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم) فضلا عما مست أقاربهم على التكذيب (اذا) أى فاجأ (لهم مكر) أى احتيال (فى آياتنا) أى فى دفع كون تلك الضراء على التكذيب (قل الله أسرع مكرا) اذ يرعقابكم قبل أن تدبروا كيدكم ولا تسبقونه بالأمكار (ان رسلنا) يشهدون مكركم ولا يمكنكم التلبيس عليهم لانهم (يكتبون ما تمكرون) ومن مكره الرحمة مع المعاصى وكذا مع الاخلاص اذا زال عقيبه اذ (هو الذى يسيركم) مع معاصيكم (فى) مواضع الخطر من (البر والبحر) ويبالغ فى اظهار الرحمة عليكم (حتى اذا كنتم فى الفلك) أى السفن لطلب الارباح (و) من مكره فى رحمته بهم انها (جرين بهم) أى بأصحابها التفت من الخطاب الى الغيبة ليشير الى المكر بانه أراهم أولا انهم من أهل القرب والخطاب ثم جعلهم من أهل البعد والغيبة آخرا (بريح طيبة) أى موافقة لينة فأراها اياهم رحمة فى الظاهر (و) الباطن اذ (فرحوا بها) كأنهم وصلوا الى المقصد وأمنوا الآفات ثم يظهر مكره فيها اذ (جاءتها ريح عاصف) أى ذات شدة فصار الدقل بحيث يكاد يغرق السفينة (و) لم يسمرع بها سير السفينة اذ (جاءهم الموج من كل مكان) أى من كل جانب فمنع حركة السفينة مع شدة الريح (وظنوا) من شدة الموج والريح (أنهم أحيط بهم) أى أحاط بهم أسباب الهلاك (دعوا الله) للتخلص عنها (مخلصين له الدين) أى دينهم عن الشرك قائلين والله (لئن أنجيتنا من هذه) الآفات (لنكونن من الشاكرين) أى العابدين لك شكرا فيستجيب دعاءهم مكرا بهم وايهاما لهم انهم من أهل القرب (فلما أنجاهم اذا هم يبغون) أى فاجأهم الاستمرار على تجديد طلب الفساد (فى الارض) باظهار الشرك فيها (بغير الحق يا أيها الناس) أى يا من نسى نعمة الخلاص بالاخلاص واستجابة الدعاء (انما بغيكم على أنفسكم) لا على الله باثبات الشرك له ولا على نعمة الله اذ غايتها انها (متاع الحيوة الدنيا) الذى لا يبالى الله فيمن يعطيه من موحد ومشرك فغايتكم انكم تنتفعون بها مدة حياتكم (ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون) فيها فنقلبها نقمة عليكم ونريكم ان الانعام بها كان مكرا معكم ثم أشار الى أن المكر انما يرى رحمة بطريق التزيين مع خستة فى نفسه وبايهام

وهو الدفع كأنهم يدفعون

أهل النار اليها

(باب الزاى المضمومة)

(قوله عز وجل زلزلوا) أى خوفوا وحركوا (قوله عز وجل زحزح عن النار) أى نحى عنها وبعد

(قوله عز وجل زخرف

البقاء مع خفاء الفناء كتزيين الدنيا وايهام بقائها لمن آثرها على الآخرة مكرا به فقال (انما مثل الحيوة الدنيا) أى صفتها العجيبة التى يمكر بها أهلها فيؤثرونها على الآخرة ثم يسلب عنهم مع الآخرة (كماء أنزلناه من السماء) اذ يرونها وأموالها وجاهها فائضة من الله (فاختلط به نبات الارض) كما يختلط بحبها القلب الخسيس خسة النبات من حيث كونها (مما يأكل الناس والانعام) لكن يغتر القلب بزينة مالها وجاهها اغترار الارض (حتى اذا أخذت الارض زخرفها) أى زينتها من نباتها (وازينت) بأنوارها وثمارها (و) اغتر أهلها ببقائها اذ (ظن أهلها أنهم قادرون عليها) أى تستمر قدرتهم على تحصيل حبوبها وثمارها (أتاها أمرنا) بالاهلاك (ليلا) مبالغة فى المكر (أو نهارا فجعلناها حصيدا) أى كالمحصود بل (كأن لم تغن) أى لم تنبت (بالامس) أى قبيل ذلك الوقت فالمثل الحياة اذا تزينت بالمال والجاه ثم هلكت وفاتها المال والجاه مع ذهاب الآخرة فكما فصلنا هذه الآية بهذا المثال (كذلك نفصل الآيات) بالامثلة تقريبا (لقوم يتفكرون) فان الامور الحسية أقرب الى الفهم من العقلية اذ يعارض فيها الوهم والخيال (و) لا يقبح مكر الله قبح مكر غيره لانه مع البيان اذ (الله) مع هذا المكر (يدعوا الى دار السلام) ببيان طريقه ليسلم من مكره فى تزيين الدنيا والشهوات (و) لا ينافى بيانه مكره لانه انما يرتفع بالهداية لما بين ولا تتم بل (يهدى من يشاء) بمتابعة بيانه ليوصلهم (الى صراط مستقيم) يجعلهم فى دار السلام والمكر لا يضر فى حقهم بل ينفعهم أكثر مما لو اهتدوا بدونه اذ (للذين أحسنوا) النظر فعرفوا مكر الدنيا والشهوات فأعرضوا عنها وتوجهوا الى الله فعبدوه كأنهم يرونه المثوبة (الحسنى) فوق المثوبة التى تحصل بالهداية بلا مكر على عبادة الله (وزيادة) هى رؤية الله بالبصر كما رأوه على رؤيتهم اياه فى العبادة بالقلب (و) صفاء قلوبهم يبيض وجوههم قبل دخول الجنة فى أهوال القيامة بحيث (لا يرهق) اى لا يغشى (وجوههم قتر) أى غبرة سوداء من أثر حب الدنيا والشهوات (ولا ذلة) من آثار الالتفات الى ما دون الله فيصيرون فى أهوال القيامة بحيث يشار اليهم بأن (أولئك أصحاب الجنة) بل كأنهم من ذلك الوقت (هم فيها خالدون) فلم يضرهم المكر بل أفادهم هذه الفائدة لمبالغتهم فى الاحتراز عنه (والذين كسبوا السيآت) اغترارا بالمكر فلا يقبح المكر فى حقهم أيضا اذ غاية ضرره لهم انه يكون (جزاء سيئة بمثلها) فيعذبون بقدر ما تلذذوا بمعاصيهم (و) يكفيهم ما آثروه من المال والجاه فى دفع الجزاء من العذاب انهم (ترهقهم ذلة) لميلهم الى الدنيا والشهوات الخسيسة ولا ينفعهم ما آثروه من المال والجاه فى دفع الجزاء اذ (ما لهم من الله من عاصم) بل يزيدهم عذابا اذ تصير حبا مظلمة على القلوب فتسرى ظلمتها الى الوجوه (كأنما أغشيت) أى ألبست (وجوههم قطعا) أى أجزاء (من الليل) حال كونه (مظلما) لا قمر فيه فيصيرون بحيث يشار اليهم بأن (أولئك أصحاب النار) بل كأنهم من ذلك الوقت (هم فيها خالدون) فيبدل تنعمهم بالعذاب وتزينهم بالذلة وخضرتهم بالسواد (و) من مكر الله بهم ايهامهم شفاعة الاصنام فى عبادتهم ثم انكارها عبادتهم يوم يتوقعون

الباطل القول) بمعنى المزين الحسن وقوله عز وجل اذا أخذت الارض زخرفها أى زينتها بالنبات والزخرف الذهب ثم جعلوا كل شئ مزين مزخرفا ومنه قوله جل اسمه لبيوتهم سقفا من فضة الى قوله عز

منها الشفاعة فاذكر (يوم نحشرهم) أي العابدين والمعبودين (جميعا) للمقاولة بينهم (ثم
نقول للذين أشركوا) معبوديهم بالله مع توقعهم الشفاعة منهم والشريك عدو ولا يتصور
الشفاعة من العدو سيما في حق من وقعت العداوة بسببه الزموا (مكانكم أنتم وشركاؤكم)
ليتأتى فيه التخاطب ولا يتأتى مع المواصلة (فزيلنا) أي قطعنا المواصلة التي (بينهم) فلا
يبقى من العابدين توقع شفاعة ولا من المعبودين افادتها لو أمكنتهم (وقال شركاؤهم) انما يكون
منا الشفاعة لو كانت منكم العبادة لنا لكن (ما كنتم ايانا تعبدون) اذ لم تكن عبادتكم عن
أمرنا بل عن أمر الشياطين فكنتم عابديها بالحقيقة ولو كانت عن أمرنا لكنا عالمين بها ولكن
(فكفى بالله شهيدا) بل حاكما قاطعا للنزاع (بيننا وبينكم ان) أي انا (كنا عن عبادتكم
لغافلين هنالك) أي حين قطع المواصلة وانكار الشركاء العبادة (تبلوا) أي تحقق عن
اختبار (كل نفس) أثر (ما أسلفت) من الاعمال بالعذاب العقلي قبل دخول النار كيف
(و) قد (ردوا الى الله) فكشف لهم عن هيئات الاعمال وآثارها الحقيقية بلا لبس عليهم كما
كان في الدنيا لكونه من (مولاهم الحق) أي الكاشف للامور على ما هي عليه (و) لم يفدهم
اعتقادهم في الشركاء تغيير شيء من ذلك اذ (ضل عنهم ما كانوا يفترون) فلم يبق من ذلك أثر في
بواطنهم يزيل عنهم العذاب العقلي ولا في ظواهرهم يزيل عنهم العذاب الحسي فان زعموا
انهم لا يتوقعون شفاعتها في ذلك اليوم لرفع عذابه أو تكثير ثوابه اذ لا يؤمنون به بل اليوم
لتكثير الرزق أو تكميل القوى البدنية أو تطويل الحياة الدنيوية أو تحصيل الولد أو تدبير
الامور على نهج التيسير (قل من يرزقكم) مع ان الرزق (من السماء والارض) بالامطار
والانبات فلا يمكن الا ممن له التصرف العام فيهما (أمن يملك السمع والابصار) اللذين أصل
خلقهما السماع آيات الله المتلوة وابصار آياته المبصرة (ومن يخرج الحي من الميت) وأصله الدلالة
على احياء الآخرة (ويخرج الميت من الحي) وأصله التخويف من قهره (ومن يدبر الامر) من
السماء الى الارض وأصله الدلالة على ترتيب الثواب والعقاب على الاعمال وليس للشركاء
غالبا في الظاهر سمع ولا أبصار ولا حياة ولا تدبير في حق أنفسها (فسيقولون) اذا تأملوا تأملا
كاملا (الله فقل أ) تجعلونه مشاركا لما لا دخل له في شيء من ذلك (فلا تتقون) أن يسلبكم الرزق
والسمع والابصار والحياة ويقلب عليكم التدبير فان زعموا أنها مظاهره (فذلكم الله) بعد
ظهوره باعتبار وجوب وجوده الذي به ربوبيته في المظاهر الممكنة وانما يظهر فيها باعتبار
وجوده أو سائر أسمائه (ربكم الحق) أي الثابت ربوبيته في ذاته لم ينتقل الى المظاهر فان
زعمتم ان للمظاهر دخلا في الربوبية (فماذا بعد الحق) أي بعد ربوبية الرب الحق الذي لا انتقال
لربوبيته أصلا (الا الضلال) بمن له الربوبية الى من لا ربوبية له (فأنى) أي فكيف (تصرفون)
الى الغير على أن له دخلا في الربوبية وليس هذا بمجرد نسبة لهم الا الضلال بل كما حق عليهم
الضلال لخروجهم عن مقتضى هذا البيان (كذلك حقت كلمت ربك) لاملأن جهنم (على
الذين فسقوا) أي خرجوا عن ربوبيته الى ربوبية مظاهره لتحقق (أنهم لا يؤمنون) بالله بل

وجل وزخرفا أي نجعل لهم
ذهبا ومنه أو يكون لك
بيت من زخرف أي من
ذهب (قوله جل وعز زلفا
من الليل) أي ساعة بعد
ساعة واحدتها زلفة (قوله
عز وجل زبرا) أي كتبا
جمع زبور (قوله عز وجل

يفسقون

يقفون على مظاهره على انها قاصرة فاعتقاد كمالها اعتقاد نقص فى ربوبيته وهو مانع من الايمان به (قل) ان كان للشركاء دخل فى تكثير الرزق وتقوية القوى وتطويل الحياة وتحصيل الولد وتدبير الامور على وجه التيسير فلا يعبأ بشئ من ذلك مع توقع الضرر الاخروى فى عبادتها الا أن يكون لها قدرة على دفعه لكن انما يقدر عليه من يقدر على مقاومة الاله القادر على الابداء والاعادة (هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده) فان زعموا ان الاعادة ممتنعة فى حق الله فكيف يتصور فى حق الشركاء (قل) لاوجه لمنعهما فى حق الله بل (الله) لعموم قدرته وصدق وعده (يبدؤ الخلق) ليتعرف اليهم ويستعملهم اعمالا (ثم يعيده) ليجزيهم بمقتضى معارفهم وجزائهم (فأنى تؤفكون) أى فكيف تصرفون الى عبادة الغير مع عجزه عما أرادوا وعن كل ماذكرنا أولا فان زعموا بأنا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى (قل) لو كانوا مقربين الى الله لكانوا هادين اليه (هل من شركائكم من يهدى الى الحق) مع انه قد جرب من عابديهم الحجاب عن الامور الاخروية والرسالة فان زعموا ان الله كذلك (قل الله يهدى) على السنة الرسل بالبيان (للحق) بحيث يكشف الحجب عن تلك الامور فيعبدوا الله بمقتضاها ويتقرب اليه (أ) تتبعون من لا يهدى بل لا يهتدى (ف) هل (من يهدى الى الحق أحق أن يتبع أمن لا) يهدى بل لا (يهدى) أى لا يهتدى (الا أن يهدى) أى يهديه الغير فمن لا يستحق الاتباع كيف يستحق الشرك (فما لكم كيف تحكمون) برتبة لمن لا يستحق مادونها ولكن هذا الاتباع لمن يتبع الدلائل القطعية (و) لكن (ما يتبع أكثرهم) فى شركها (الا ظنا) حصل لهم من رؤية آثار ظنوا انها منسوبة الى شركائهم مع انها لله ولو كانت لها فلا استقلال لها ويجب استقلال الاله وربما ظنوا استقلالها (ان الظن) وان قوى (لا يغنى) أى لا يفيد بدلا (من) الدليل (الحق) القطعى (شيأ ان الله عليم بما يفعلون) من ترجيح الظن الضعيف على الادلة القوية القاطعة التى جاءبها الرسل فعادوهم واتبعوا أهواءهم من متابعة آبائهم وغيرها (و) ليس اتباع القرآن من اتباع الظن لانه (ما كان هذا القرآن) المشار اليه بالاشارة القريبة فى باب الاعجاز لظهوره فيه محتملا (أن يفترى) لامتناع صدوره (من دون الله) اذ ليس لمن دونه كمال قدرته التى بها عموم الاعجاز (ولكن) يتعين كونه من الله لكونه (تصديق الذى) أنزله الله (بين يديه) مع انه لم يمارسه ولم يجالس أهله (و) لو فرضت ممارسته ومجالسته لم يأت (تفصيل) مجمل (الكتاب) الذى عسر تفصيله على أهله ولو فرض وقوعه لم يكن خاليا عن الريب لكنه (لا ريب فيه) مع كونه جامعا لكل ما يحتاج اليه فعلم انه (من رب العالمين) ربى به الكل فى أمر دينه ودنياه أيترددون فى كونه منه (أم يقولون) جزما (افتراه قل) ان صح فيه التردد أو الافتراء (فأتوا بسورة مثله) فى كمال حسن النظم والمعنى وتضمنها العلوم الكثيرة فى الالفاظ اليسيرة مع اشتمالها على أنواع الحجج ورفع الشبه (وادعوا) لمعاونتكم (من استطعتم) من الانس والجن بل كل من كان (من دون الله) مما فى العالم (ان كنتم صادقين) فى زعمكم أنه مفترى أو محتمل فاذا عجزوا بعد ذلك علم أنهم كذبوا (بل

(زبر الحديد) أى قطع الحديد واحدتها زبرة (قوله تعالى زلفى) أى قربى الواحدة زلفة وقربة (قوله تعالى زمر) أى جماعات فى تفرقة واحدها زمرة

(باب الزاى المكسورة)

كذبوا بما) لا يسوغ لهم تكذيبه لانه انما يسوغ بعد الاحاطة بحال المكذب وهؤلاء (لم يحيطوا بعلمه) الذى لا يتناهى وكيف يحيطون بعلمه (ولما يأتهم تأويله) الذى به ارتباط نظمه وترتيب آياته ولا يستغرب منهم هذا التكذيب لكونه عادة مستقرة لامثالهم اذ (كذلك كذب الذين من قبلهم) وليس اتباعهم خيرا لهم لانه ايقاع فى ظلمهم الذى عوقبوا به فان لم ينظروا اليه (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين و) ليس عدم اعجاز القرآن ظاهرا حتى لا يكون مكذبه ظالما والا لم يختلف العقلاء فيه لكنهم اختلفوا اذ (منهم من يؤمن به) فيعترف باعجازه (ومنهم من لا يؤمن به) فينكر اعجازه والكل يزعم ظهور ما هو عليه فلابد أن يكون أحد الفريقين مفسدا بالعناد (و) هو وان لم يظهر لبعض الناس من تلبيسه عليهم فليس بمانع من عقوبته عقوبة الظلم اذ (ربك أعلم بالمفسدين وان كذبوك) بعد ظهور افسادهم بالعناد (فقل لى عملى) الذى هو الاصلاح الكلى للقوة العلمية والعملية (ولكم عملكم) الذى هو الافساد الكلى لهما وليس ذلك بطريق الجزئية بل (أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون) فليس فى عملكم شئ من الاصلاح ولا فى عملى شئ من الافساد (ومنهم من يستمعون) أى يقصد سماعه متوجها (اليك) ليعلم منه ومن حالك انه صلاح كلى أم لا (أ) يمكنك اسماعه على ما هو عليه (فأنت تسمع الصم) الذى لا يسمع الشئ على ما هو عليه (ولو كانوا لا يعقلون) الاشياء على ما هى عليها فهم يعتقدون الاصلاح فيما ألفوه من آبائهم دون ما يخالفه (ومنهم من ينظر اليك) ليعلم من حالك صحة دعواك الاصلاح الكلى (أ) يمكنك ابصاره على ما هو عليه (فأنت تهدى العمى) الذى لا يبصر الاصلاح الا فى عمل آبائه (ولو كانوا لا يبصرون) حقائق الاشياء (ان الله لا يظلم الناس شيأ) فلا يسمع ولا يبصر الصالح غير صالح وغير الصالح صالحا (ولكن الناس أنفسهم يظلمون) باعتقاد الصلاح فيما سمعوه من آبائهم أو رأوه من أفعالهم لا فيما سمعوه من الله أو رسوله أو رأوه منهما فيريهم كذلك (و) لا يختص عدم اطلاعهم على الحقائق باليوم بل يستمر الى يوم الحشر فانه (يوم يحشرهم) بعد مدة مديدة فى القبر يعتقدون قصرها (كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار) لكنهم اليوم لا يتعارفون بجهلهم يومئذ (يتعارفون بينهم) بجهلهم مع مجئ الرسل بالمعرفة الكاملة فيقولون (قد خسر) الثواب الابدى والسعادة الابدية من قرب الله (الذين كذبوا بلقاء الله) فرأوا اعتقاده الذى هو أصل كل صلاح كل فساد (وما كانوا مهتدين) للنجاة اذ لم يبالوا بفساد الاعتقادات والاعمال بل رأوا ذلك صلاحا (و) لما لم يعرفوا الصلاح والفساد من ذوات الاشياء بل من آثارها لم يكن بد من اظهارها فمنها ما ينبغى أن يظهر فى الدنيا ومنها ما ينبغى أن يظهر فى الآخرة والاول يختص بالبعض والثانى يعم الكل (اما نرينك) أى ان نحقق اراءتنا اياك (بعض الذى نعدهم) على رؤيتهم الصلاح فسادا والفساد صلاحا (أو نتوفينك) أى أو نحقق توفيتنا اياك قبل الارادة (فالينا) فى الوجهين (مرجعهم) لاراءة ما يعم الكل (ثم) لا يمكنهم انكار شئ من ذلك اذ (الله شهيد على ما يفعلون و) لا اعتذار اذ (لكل

(قوله عز وجل زينة) ما يتزين به الانسان من لبس وحلى وغير ذلك ومنه قوله عز وجل خذوا زينتكم عند كل مسجد أى لباسكم عند كل صلاة وذلك ان أهل الجاهلية كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار

أمة رسول) أزال اعذارهم فان زعموا أنهم كانوا غافلين ولا تكليف للغافل أزيل هذا العذر باحضار من أرسل اليهم (فاذا جاء رسولهم) فشهد بكيفية ازالة اعذارهم (قضى) قضاء رافعا للنزاع (بينهم) وبين ربهم بحيث يعترفون كونه (بالقسط وهم) لو لم يعترفوا بذلك يظهر بذلك انهم (لا يظلمون و) غاية طعنهم على الرجوع الى الله تعالى انهم (يقولون متى هذا الوعد) بينوا وقته (ان كنتم صادقين) فى أنكم تعلمون وقوعه فان من علم وقوع شئ علم وقت وقوعه (قل) هذا منقوض بان كل واحد يعلم انه يحصل له نفع وضر ولا يعلم وقتهما والا لامكنه جذب كل نافع ودفع كل ضار ولكنى مع غاية كمالى (لا أملك لنفسى) فضلا عن الغير (ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله) ولو قالوا ذلك فيما له وقت معين والنفع والضر مما لا وقت له معين قيل لهم (لكل) واحد من آحاد كل (أمة أجل) معين يعرفه ولا يعرف وقته والا لملكه فامكنه تقديمه وتأخيره ولكن لا يمكن (اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة) أى لا يمكنهم طلب تأخيره ساعة اذا علموا فيه ضررا ليدفعوه (ولا يستقدمون) اذا علموا ان فى تقديمه نفعا ليجذبوه (قل) ان كان سؤالكم عن وقت استعجاله فليس بمرغوب فى أى وقت كان (أرأيتم ان أتاكم عذابه بياتا) أى ليلا (أو نهارا) فلا شئ منه بمرغوب البتة (ماذا يستعجل منه المجرمون) فيسألونه سؤال رغبة وان كان للايمان به بعد وقوعه فلا ينفع (أ) تصرون على الكفر الى وقت وقوعه (ثم اذا ما وقع) أى بعد حين وقوعه (آمنتم به) فيقال لكم (آلآن) آمنتم به حين اضطررتم اليه (وقد كنتم) مبالغين فى تكذيبه اذ كنتم (به تستعجلون ثم) لا يقتصر على لومكم وعقابكم بل (قيل للذين ظلموا) بالمبالغة فى تكذيبه الى حد الاستعجال بعد مبالغة الله فى اقامة دلائل وقوعه (ذوقوا عذاب الخلد) لانكم انما استعجلتم به لاعتقادكم انه لا يقع أبدا فلا ينقطع عنكم أبد الذلك يقال (هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) من جهل الجهل المركب بنفى امر مؤيد على التأبيد (ويستنبؤنك) أى ويستخبرونك (أحق هو) أى الوعد بعذاب الخلد مع انه على جرم متناه أم مجرد تخويف (قل اى) اى نعم (وربى) الذى هو عدو من عادانى ولا نهاية لمقدار جرم العداوة معه (انه لحق) لكونه على جرم غير متناهى القدر وان تناهى وقته (وما أنتم بمعجزين) بهذه الشبهة له اذ لا يتقدر الجرم بمقدار الوقت (و) هذا الجرم من العظمة بحيث (لو ان لكل نفس ظلمت ما فى الارض لافتدت به) لو قبل منها الفداء (و) لم يضروه بهذه العداوة بل اضروا انفسهم لذلك (اسروا الندامة لما رأوا العذاب و) هو وان عظمت عداوته (قضى بينهم بالقسط وهم) وان لم يزالوا يزدادون شدة (لا يظلمون) لان هذا الجرم لا يزال يزداد عظمته بازدياد ظهور عظمة الله ولم تكن عظمته مما يخفى اصلا (الا ان لله ما فى السموات والارض) ويكفى فى عظمة الجرم تكذيبهم الله فى وعده (الا ان وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون) لاستبعادهم البعث والجزاء ولا يبعدان منه اذ (هو يحيى ويميت و) ليست اماتته اعداما ولا عبثا بل (اليه ترجعون) فان زعموا ان التعذيب مضرة محضة

والنساء بالليل الا الحمس وهم قريش ومن دان بدينهم فانهم كانوا يطوفون فى ثيابهم وكانت المرأة تتخذ نسائج من سيور فتعلقها على حقويها وفى ذلك تقول العامرية اليوم يبدو بعضه أو كله

لانفع فيه للمعذب ولا للمعذب فكيف يقع قيل لهم (يا أيها الناس) أى الذين نسوا حكمة الله فى التخويف بالعذاب (قد جاءتكم موعظة) أى تخويف داع الى تحسين الافعال فلابد من صدورها (من ربكم) ليربى افعالكم (و) هو كما يصلح الافعال يصلح الاخلاق اذ هو (شفاء لما فى الصدور) من الاخلاق الرديئة (و) التعذيب وان لم ينفع المعذب ولا المعذب ينفع من كان له (هدى و) هو انما يحصل باعتقاد وقوعه اعتقادا جازما مطابقا للواقع فهو (رحمة للمؤمنين) فان زعموا ان التخويف مضرة تذهب بمنافع الشهوات (قل بفضل الله) فى اصلاح الافعال والاخلاق (وبرحمته) فى اعطاء الاجر والتقريب عليها (فبذلك فليفرحوا) بدل الفرح بالشهوات بل ينبغى ان يكون بذلك أكثر اذ (هو خير مما يجمعون) من اسباب الشهوات اذ لا ينتفع بجميعها ولا يدوم ويفوت به اللذات الباقية بحيث يحال بينهم وبين ما يشتهون على انه لا يمنع جميع الشهوات بل ما قبح منها دون ما حسن وان حرمتم بعض ما حسن (قل أرأيتم) أى اخبرونى كيف قسمتم (ما انزل الله) من مقام فضله ورحمته (لكم من رزق فجعلتم) من عند أنفسكم (منه حراما وحلالا) لتكفروا ببعض ما انعم به عليكم بل بالتحليل والتحريم من عند أنفسكم (قل آلله اذن لكم) مع ان اذنه لا يعرف الا بالسماع منه ولا يسمع منه الا نبى او ملك وانتم تنكرون النبوة ونزول الملك عليهم (أم على الله تفترون و) هذا الافتراء موجب للتخويف (ما ظن الذين يفترون على الله الكذب) ماذا يفعل بهم (يوم القيامة) لكنهم يفترون بفضله فيجترؤن به على ابطال فضله الذى انزل منه الرزق (ان الله لذو فضل على الناس) فى انزال أنواع الرزق (ولكن أكثرهم لا يشكرون) فيحرمون بعضه ابطالا لفضله فكانهم قالوا أنت تحرم من عند نفسك وتتلو على الله ما تفترى عليه وتعمل اعمالا تفترى على الله انه امر بها فقال تعالى فى الرد عليهم (وما تكون فى شأن) من التحليل والتحريم (وما تتلوا منه من قرآن) بجميع العلوم الاعتقادية والعملية (ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا) بعين العناية تفيض بها عليكم علوما ومعجزات وكرامات (اذ تفيضون فيه) فى معرفته والاعمال المقربة اليه وانى يكون ذلك فى حق المفترى الامن الجهل بافترائه والمكر بالمفترى أو أتباعه (و) لكن لا جهل فى حق الله لانه (ما يعزب) أى ما يغيب (عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء) بل (ولا اصغر من ذلك ولا أكبر) ولو فرض له نسيان لانه ما من شئ مما ذكر (الا) هو مسطور (فى كتاب مبين) لا يلتبس ما فيه على من طالعه وهو اللوح المحفوظ وليس هذا من المكر بك ولا باصحابك اذ حصلت لك الولاية الخاصة ولهم الولاية العامة ولا مكر فى اعطائهم المعجزات والكرامات (الا ان أولياء الله لا خوف عليهم) من جهة المكر ولا من جهة أخرى فى الحال (ولا هم يحزنون) فى الاستقبال وليست الولاية مختصة بأهل الرهبانية بل تعم (الذين آمنوا وكانوا يتقون) القبائح من الافعال والاخلاق وكيف تكون الكرامات والمعجزات فى حقهم مكرا مع أن (لهم البشرى) بها (فى الحيوة الدنيا) بالقرب

(وبابدا منه فلا احله (وقال أبو عمرو يقال ان آدم عليه السلام طاف عريانا لانه مشبه بيوم القيامة فجاء محمد صلى الله عليه وسلم فنسخ ذلك)

(باب السين المفتوحة)

من الله (و) البشرى فى الدنيا بشرى (فى الآخرة) لانه (لاتبديل لكلمات الله) وقد علوا ان بشارتهم من الله ولا يبعد ان يكون لهم من الله البشرى اذ (ذلك) أى حصول الولاية (هو الفوز العظيم) من قربه (ولا يحزنك قولهم) لو كان لهم قرب من الله لكانوا اعزاء لا نرى لكثيرا كم اذلة فانهم مردود عليهم بانهم انما جعلوهم اذلة لفقدهم الاموال والاعوان والقرب من الله لا يوجب العزة بالاموال والاعوان بل بالله وهو العزة الحقيقية (ان العزة لله جميعا) لا للاموال والاعوان بالذات (هو السميع) لاقوالهم ان لا عزة لاهل الله بل لاهل الاموال والاعوان (العليم) بما يلزمهم من نفى العزة عن الله اذ لو كانت له لكانت لاهله أكثر مما لاهل الاموال والاعوان وكيف ينفون العزة عن الله مع ان كل عزيز عبد ذليل له (الا ان لله من فى السموات ومن فى الارض) حتى شركاؤهم وقد جعلوهم مشاركى الحق فى عزته فتذللوا لهم مثل التذلل له (وما يتبع) دليلا على مشاركتهم الله فى عزته (الذين يدعون من دون الله شركاء) مع ان الدون لا يكون له عزة الاعلى أصلا (ان يتبعون الا الظن) مع ان الواجب فى باب الاعتقاد اتباع الدليل القطعى (و) ليس لهم دليل قطعى ولا أمارة راجحة بل (ان هم الا يخرصون) أى ما هم الا كاذبون ولا يبعد من الله الجمع بين العزة والذلة لاهله كما جمع فى مصالح العامة بين الليل والنهار اذ (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) فجعل لاهل الذلة ليتذللوا له ولا يستكبروا عن عبادته و يسكنوا اليه لا الى الاموال والاولاد والعزة بالهداية المبصرة (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) فنها ما ذكرنا ومنها ان العزة بالاموال والاعوان ليلة مظلمة لمن سكن اليها عن أسرار الربوبية وعزة الهداية نهار مبصر لها ومنها ان العزة بالاموال والاعوان مسكنة فى اللذات العاجلة مانعة من أبصار آفاتها والعزة بالهداية مبصرة للآفات فيها ومن كون عزتهم ظلمانية طعنهم فى عزة الله بحيث لا يشعرون به اذ (قالوا اتخذ الله ولدا) فجعلوه مجانسا له ومحتاجا اليه فقال تعالى (سبحانه) من ان يجانس أحدا أو يحتاج اليه اذ (هو الغنى) والغنى المطلق لا يجانس من يحتاج الى الولد ولو فرض فلا يكون من جملة العالم اذ (له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا فهذا دليلنا على نفى الولد فمليكم به لكونه من عزة الهداية التى هى نهار مبصر (ان عندكم من سلطان بهذا) فليس لكم من هذه العزة التى هى العزة الحقيقية شئ على انكم تطعنون به فى عزة الله (أتقولون على الله ما لا تعلمون) اذ ما لا دليل عليه مجهول بل تفترون عليه ما هو محال (قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) فلا يبقى لهم عزة ولا عبرة بعزة الاموال والاعوان فى حقهم اذ غايتها انها (متاع فى) الحياة (الدنيا ثم) لا تكون آخرتهم على مثال دنياهم حتى يبقى لهم ذلك المتاع اذ (الينا) بعد افترائهم علينا بما يطعن فى عزتنا (مرجعهم) فنذلهم بمقتضى افترائهم وطعنهم فى عزتنا (ثم) لا نقتصر على ذلك الاذلال بل (نذيقهم العذاب الشديد) الذى يزدادون به ذلة (بما كانوا يكفرون) بالطعن فى عزتنا وان لم يشعروا به (واتل عليهم) أى على المغترين بعزة الاموال والاعوان المعتقدين ذلة من اتصف بها تهاوان

(السلوى) وهو طائر يشبه السمانى لا واحد له والقراء يقولون سماناه (قوله تعالى سواء السبيل) أى وسط الطريق وقصد الطريق (سفه نفسه) قال يونس سفه نفسه بمعنى سفه نفسه قال ابو عبيدة سفه نفسه أى أوبقها وأهلكها قال

كانت فيه عزة الهداية (نبأ نوح) الذى كانت له هذه الذلة فى ابتدائه مع انتهائه فى عزة الهداية (اذ قال لقومه) المغترين بعزة الاموال والاعوان (ياقوم) الذين حقهم الاعتزاز بعزة الهداية وترك الاغترار بعزة الاموال والاعوان (ان كان كبر) أى شق (عليكم مقامى) أى قيامى بالدعوة الى الله من رؤيتكم ذاتى بقلة الاموال والاعوان ومنع عزتكم بهما عن الانقياد لى (وتذكيرى بآيات) التى بها عزتى وأنتم تتكبرون على بعزة الاموال والاعوان فتريدون اهلاكى ولا تبالون بعزة الآيات المنسوبة الى الله (فعلى الله توكلت) أى اعتمدت فى دفع ما تصدعونى به (فأجمعوا) اعزموا واقصدوا (أمركم) أى شأنكم فى اهلاكى (و) اجعلوا معكم (شركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) أى غما ونداءة على فوات (ثم) بعد رفع الغمة عنكم (اقضوا) أى ادوا اداء الواجب من حق الذى هو اهلاكى فى زعمكم (الى ولا تنظرون) أى لا تمهلونى فاذا لم تقدروا فاقل ما يظهر من ذلك تكم عجزكم عنى مع كثرة أموالكم وأعوانكم ومن عزتى حفظ الله اياى مع ذاتى بقلتهما (فان توليتم) أى أعرضتم عن قصد اهلاكى اما لانه لم يثقل عليكم مقامى وتذكيرى فاى ضرر لكم فى الايمان بى (فما سألتكم من أجر) ينقص مالكم الذى هو عزتكم أو ينقص أجركم الاخروى (ان أجرى) على اهدائى اياكم (الا على الله و) اما لخوف الذلة بالعجز عن اهلاكى فلا ذلة فى الانقياد لامرى اذ هو أمر الله وأنا (أمرت أن أكون من المسلمين) فانتم بالحقيقة منقادون لامر الله وهو موجب لعزتكم (فكذبوه) فلم يجعلوا امره امر الله فعززناه (فنجيناه ومن معه) عن الغرق اذ جعلناهم (فى الفلك و) زدنا فى اعزازهم اذ (جعلناهم خلائف و) اذللنا المغترين بعزة أموالهم وأعوانهم اذ (أغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) فلم يبالوا بعزة نسبتها الينا الا بغير سبب لكونه بعد الانذار به على التكذيب (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) الذين لم يبالوا بما أنذروا به اغترارا بعزة الاموال والاعوان كيف انقلبت الى ذلة أبدية (ثم بعثنا من بعده رسلا) ظهر عليهم فى ابتدائهم ذلة قلة الاموال والاعوان مع عزة الهداية (الى قومهم) المغترين بعزة الاموال والاعوان (فجاؤهم بالبينات) المفيدة عزة الهداية (فما كانوا ليؤمنوا) لعدم مبالاتهم بعزتها مع عزة الاموال والاعوان فلم يبالوا معها (بما كذبوا به من قبل) تعززا عليه لان الله تعالى طبع على قلوبهم فرأوا العزة الحقيقية وهى عزة الهداية ذلة والعارضية وهى عزة الاموال والاعوان عزة حقيقية (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) أى المجاوزين مقتضيات حقائق الاشياء ليفعل بهم مثل ما فعل بالمعتدين من اذلالهم على الابد بعد عزتهم بالاموال والاعوان (ثم) أى بعد بعث أولئك الرسل وتبديل ذلتهم الظاهرة بالعزة مع عزة هدايتهم وتبديل عزة قومهم بالذلة الابدية (بعثنا من بعدهم موسى وهرون) مع ظهور ذلة القلة عليهما ابتداء (الى فرعون وملائه) الظاهرة عليهم عزة الاموال والاعوان لكن العزة الحقيقية كانت لموسى وهرون لاتيانهما

(بآياتنا)

القراءة فيه نفسه معناه سفهت نفسه فنقل الفعل عن النفس الى ضمير من ونصبت النفس على التشبيه بالتفسير وقال الاخفش معناه سفه فى نفسه فلما سقط حرف الخفض نصب مابعده كقوله ولا تعزموا

(بآياتنا) لكنهم لم يبالوا بعزتها (فاستكبروا) عليها بعزتهم (و) لم يكن لاستكبارهم بها وجه بل (كانوا قوما مجرمين) أي عاصين لمن اعزهم بها وكيف لا يكونون مجرمين ولم يزالوا معاندين للدلائل القاطعة (فلما جاءهم) الدليل (الحق) الذي لا شبهة معه على رسالتهما الموجبة عزة الهداية لهما (من عندنا قالوا) لرفع عزتهما بالهداية وجعلها اذلة عليهما مع ذاتهما بقلة الاموال والاعوان (ان هذا لسحر مبين) أي تلبيس ظاهر (قال موسى أتقولون للحق) انه سحر (لما جاءكم) على وجه لم يترك لكم شبهة (أسحر هذا) مع قطعيته بحيث لا يبالي معه للشبهة لو لم يرفع (و) يكفي في قطعيته انه سبب فلاح مع انه (لا يفلح الساحرون قالوا) مع كونه تلبيسا وقد (جئتنا لتلفتنا) أي لتصرفنا (عما وجدنا عليه آباءنا) وهو الحق الصريح (و) تبطل عزتنا اذ (تكون لكما الكبرياء) أي غاية العزة التي تصير بها كل عزة بالنظر اليها اذلة على ان كبرياءكم ليس باعتبار اتصافكم بعزة الهداية بل (في الارض و) لكنه انما يكون لو آمنا بكما لكن (ما نحن لكما بمؤمنين) لتبقى عزتنا (وقال فرعون) حفظا للعزة بعد ما ذهبت بالعجز لآيات موسى ودفعا للعزة موسى بها (ائتوني) لمعارضته (بكل ساحر) أي ماهر في باب السحر (عليم) أي محيط بأبوابه (فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به) لا يصلح لمعارضتي لانه (السحر) وقرئ بهمزة الاستفهام ومعناه أيصلح السحر للمعارضة وهو وان بلغ ما بلغ (ان الله سيبطله) لئلا يعارض آياته ولو لم يكن معارضا لها فلا بد من ابطاله لكونه افسادا لما يصلحه الآيات (ان الله لا يصلح عمل المفسدين و) لو لم يكن افسادا لم يكن الله ليصلحه اذ (يحق الله) أي يثبت الله الدليل (الحق بكلماته) أي أوامره (ولو كره المجرمون) الذين يؤثرون في السحر بأوامرهم التي يتوهمون انفاذها فليس لاوامرهم معارضة أوامر الله فابطله الله وأظهر ذلتهم وعزة موسى بالهداية لكن لم يبطل بذلك عزة فرعون بالاموال والاعوان ابتلاء (فما آمن لموسى) بعد ظهور عزة الهداية عليه (الا ذرية) أي شبان (من قومه) راكبين (على) تمن (خوف من فرعون وملائهم) ان يظهروه فيما بينهم فيصل الخبر الى فرعون وهو موجب (أن يفتنهم) أي يعذبهم (وان فرعون) وان عجز عن معارضة موسى فظهرت ذلته (لعال) ذو عزة لنفوذ تصرفه (في الارض وانه) وان علم انه لا عبرة لهذه العزة مع عزة الهداية (لمن المسرفين) بترجيح هذه العزة على عزة الهداية (وقال موسى يا قوم) الخائفين من فرعون ان يفتنهم (ان كنتم آمنتم بالله) فيما بينكم (فعليه توكلوا) في اظهاره ان يحفظكم عن فتنة العدو فانه يحفظكم (ان كنتم مسلمين) أي منقادين له بصدق التوكل ويجعله سبب ايمان الخلائق حتى يجتمعوا على الايمان الله حتى تظهر عزتكم وتنقلب عزة فرعون ذلة (فقالوا) عند اظهار الايمان (على الله توكلنا) ليحفظنا من فتنة العدو قبل اجتماع الخلائق على الايمان ودعوا ليجتمع تأثير الدعاء مع تأثير التوكل فقالوا (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) لتظهر عزتهم وتذهب عزة ايماننا بآياتك (ونجنا) عن ذلة فتنتهم (برحمتك) التي استحققناها على نصرة دينك

عقدة النكاح معناه على عقدة النكاح (سرا وسرور) يعني واحد (قوله عزوجل سديدا) أي قصدا (قوله سعيرا) أي ايقادا وسعيرا أيضا اسم من أسماء جهنم (سالف) مضى

(من القوم الكافرين) المستحقين لكل الاذلال (وأوحينا الى موسى وأخيه) لحفظ قومهما من فتنة العدو (ان تبوآ) أي اتخذا مباءة (لقومكما بمصر) لاخارجها لئلا يؤاخذكم بالخروج عن دينه (بيوتا) لتلازموها فلا تخرجوا عنها لتجتمعوا للحكايات فيصل خبرهم الى العدو (واجعلوا بيوتكم قبلة) أي مساجد فلا تصلوا خارجها فيصل خبر صلاتكم اليه (و) مع الخوف من ظهورها (اقيموا الصلوة) لتستعينوا بها على العدو (و بشر المؤمنين) باعانته لهم ونصره اياهم (وقال موسى) داعيا لابطال عزة فرعون بالاموال اذ كان منها خوف قومه من اظهار الاسلام والصلاة (ربنا) أي يا من ربانا بعزة الهداية (انك آتيت فرعون وملأه زينة) أي ما يتزين به من الحلي واللباس والمركب (وأموالا) يتعززبها (في الحيوة الدنيا ربنا) أي يا من ربانا بعزة الهداية التي فوق عزتهم ما كانت عزتهم بها عزة هداية بان يتخذوها مزرعة الآخرة فيكونوا سالكي سبيلك بل (ليضلوا عن سبيلك) بالتكبر عليك وعلى آياتك ورسلك (ربنا) مقتضى تربيتك ايانا ان تبطل عزتهم لاظهار عزتنا (اطمس على أموالهم) أي اجعلها حجارة لا ينتفع بها (واشدد) أي اقس (على قلوبهم) فلا تلين بذهاب عزتهم بالاموال أيضا (فلا يؤمنوا) ليحصل لهم بدل عزة الاموال عزة الهداية (حتى يروا العذاب الاليم) من المؤاخذة الدنيوية وهي لا تمنع من قبول الايمان معها ونفعه من جهة الآخرة ان لم يكاشف اصاحبها عن أحوال الآخرة ولم ييأس عن نفسه وان لم ينفع في دفع تلك المؤاخذة فلا يكون هذا من قبيل الرضا بالكفر وكان موسى يدعو وهرون يؤمن (قال) تعالى (قد أجيبت دعوتكما) أي دعاؤكما وان أخر المطلوب الى أربعين سنة ليزدادوا ظلما فيزدادوا عذابا (فاستقيما) أي فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة الى الاسلام والزام الحجة (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) في عدم الثقة بوعد الله ولما قرب وقت حصول المطلوب أمر الله عز وجل موسى ان يخرج بني اسرائيل فتوسط البحر فشققناه (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر) لتوهم فرعون انا نجاوزه به مثل مجاوزتنا بهم (فاتبعهم فرعون وجنوده) في دخول البحر على ظن المجاوزة مع انا انما جاوزناه بهم ليكون آية على كونهم مظلومين وكان اتباعهم (بغيا) أي ظلما (و) ليس كالماضي بل (عدوا) أي تجاوز حد فصاروا كالغرق في بحر الظلم وهو موجب للغرق الظاهر ولم يتنبه لهذه النكتة الموجبة للايمان (حتى اذا أدركه) أي لحق فرعون (الغرق قال) بعد الوقت الذي دعا ان لا يؤمن قبله (آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل) لينجيني من الغرق انجاءهم (وانا من المسلمين) أي المنقادين لاوامره التي أنزلها على رسله فقال له جبريل (آلآن) تؤمن وتسلم لتنجو من الغرق (وقد عصيت قبل) بترك الانقياد لامر الاسلام وغيره فصار عادة لك فلا يبعد عودك اليه لو نجوت (و) لم تقتصر على العصيان بنفسك بل (كنت من المفسدين) عقائد الخلائق وأعمالهم فلا يبعد عودك اليه لكن لا بد لايمانك من أثر (فاليوم ننجيك ببدنك) أي باخراج بدنك بلا روح من البحر (لتكون لمن خلفك آية) على انك عبد هالك لا اله صاعد الى السماء لاثمهم وان رأوا غرقك ربما يغفلون عن اهلاكك كيف (وان كثيرا من

(سلم) بفتح اللام استسلام وانقياد والسلم السلف أيضا والسلم شجر أيضا واحدتها سلمة والسلم والسلم بتسكين اللام وفتح السين وكسرها الاسلام والصلح أيضا والسلم الدلو العظيمة

الناس عن آياتنا) التى هى أعظم دلالة علينا وعلى صدق رسلنا وجزائنا يوم القيامه من دلالة غرقك على هلاكك (لغافلون) فايمانه لم يفده النجاة عن الاهلاك الدنيوى ولا من العذاب الاخروى على حقوق الخلق من اضلال مالا يحصر وذبح أولاد بنى اسرائيل واستعبادهم ولا على الكفر لو أيس من نفسه أو شاهد عالم الملكوت على من يدعى عليه الاجماع فهذا اذلال فرعون بسلب عزة الاموال والاعوان عنه (ولقد) عززنا بنى اسرائيل بتلك العزة مع تعزيزهم بالهداية ومجاوزة البحر اذ (بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق) أى أنزلناهم منزلا ثابتا لا يزعجهم عدو وهو المطلوب من عزة الاعوان (ورزقناهم من الطيبات) المطلوبة بعزة الاموال وكان هذا موجب الاتفاقهم على عزة الهداية اذ حصل لهم بعزتها عزة الاموال والاعوان وسلبناها عن اعدائهم لكنهم اختلفوا (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) بما يوجب الاتفاق من هدايتهم لكن لما انضم لهم الى عزتها عزة الاموال والاعوان أفادتهم الكبر المانع من انقياد البعض للبعض فتنازعوا نزاعا لا ينقطع بهم أبدا لكن الله يقطعه (ان ربك يقضى) بما يرفع النزاع (بينهم يوم القيامة) باثابة البعض ومعاقبة البعض لا فى الاموال التى اتفقوا على صلاحها أو فسادها فقط بل (فيما كانوا فيه يختلفون) أيضا عن عناد واذا عرفت اختلافهم فى كتابهم الذى يزعمون الاتفاق على الايمان به فلا يبعد اختلافهم فى كتابك مع شدة عنادهم معك (فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك) من اختلافهم فيه اذ آمن به بعضهم وكفر بعضهم (فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) هل كتابك موافق لكتابهم فى الاعتقادات والاخبار وكيف لا يكون موافقا لها والله (لقد جاءك الحق) المطابق فى الكتب السالفة (من ربك) الذى ربالك بموافقة الكتب السالفة فاذا وافق الكتاب الالهى باتفاق (فلا تكونن من الممترين) أى الشاكين فى انه منزل من عنده أو أتى به شيطان اليك اذ لا يأتى الشيطان بالهداية المحضة فان اخفوا عليك الموافقة أو توهمت ان الشيطان جاء بها ليستدرج الى اضلال ابطال أحكام تلك الكتب بطريق النسخ فلا تشكن فى انه عاجز عن الاتيان بالمعجزات (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله) التى يعجز الشيطان عن الاتيان بمثلها (فتكون من الخاسرين) للهداية الموجب خسرانها خسران السعادة الابدية وان توهمت خسران الهداية بتلك الكتب بتوهم كونه من الشيطان وعدم ايمان بعض أهل الكتاب بكتابك ليس بخلل فى اعجازه بل لكونهم ممن حقت عليهم كلمة ربك (ان الذين حقت عليهم كلمت ربك) لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين (لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية) يمكن ظهورها (حتى يروا العذاب الاليم) الاخروى لانه لا ينتقض قضاء الله والآيات وان كانت أسباب الايمان فلا يؤثر بدون ارادة الله وقد أراد هنا خلافها وهذا لا يفيد قطع العذاب الاخروى كما لا يفيد الايمان لرؤية العذاب الدنيوى قطعه فان ناقش فيه أحد قيل له (فلولا كانت قرية آمنت) بعد رؤية العذاب الدنيوى (فنفعها ايمانها) فى دفعه (الا قوم يونس) نفعهم ايمانهم فرفع عنهم العذاب الذى رأوا علامته فانهم (لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى) الذى يفتضحون

(سلام) على أربعة أوجه السلام الله عز وجل كقوله عز وجل السلام المؤمن المهيمن والسلام السلامة كقوله تعالى لهم دار السلام عند ربهم أى دار السلامة والسلام وهى الجنة

به فى المتأخرين فيتأملون به بعد الموت وراء التألم بعذاب الآخرة وان كانت الفضيحة (فى الحيوة الدنيا) وذلك انه بعث يونس عليه السلام الى قرية نينوى من الموصل فوعدهم العذاب بعد ثلاث وأربعين فظهر غيم أسود ذو دخان شديد غشى مدينتهم فطلبوا يونس فلم يجدوه فأيقنوا اصدقه ولبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فعلت الاصوات والضجيج وتضرعوا وأخلصوا التوبة فكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة (و) لم نقتصر على كشف العذاب بل (متعناهم) بالحياة الدنيوية ونعيمها أيضا (الى حين) وهو انتهاء اجل كل واحد فى حقه ثم أشار الى أن عدم ايمان أهل الكتاب بآياتك ليس دليل قصورها بل هى كاملة تقتضى ايمان الكل لكن المشيئة الالهية تعوق البعض (ولوشاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا) لايتأخر ايمان البعض عن البعض ولكن شاء تأخر ايمان البعض لينال السابق فضيلة السبق وشاء كفر البعض ليظهر قهره كما ظهر بايمان البعض لطفه على انه لوشاء ايمان الكل اشاء باختياره (أ) تشاء ايمان الكل وان لم يختره البعض (فأنت تكره) على الايمان (الناس) الذين لايختارون الايمان (حتى يكونوا مؤمنين) أى يتفقوا على الايمان مع انك انما تكرههم على الاقرار باللسان (و) اما التصديق القلبى فلا يدخل تحت اكراهك لذلك (ما كان لنفس أن تؤمن) أى تصدق بالقلب (الا باذن الله) وهو وان كان باختيارهم فانما يختارها نفس زكاها الله فجعلت هواها تابعة لعقلها (ويجعل الرجس) أى خبث الهوى (على الذين لايعقلون) فيجعلون عقولهم تابعة لاهويتهم (قل) لاهل الرجس ان لم تنظروا فى آياتى لعنادكم معى فاى عناد يمنعكم من النظر فى آيات الآفاق (انظروا ماذا) من الآيات الدالة على ذات الله وتوحيده وصفاته وأسمائه وأفعاله المنتشرة (فى السموات والارض) فلو لم تنظروا فهو دليل جعل الله رجس الهوى عليكم (و) انه بلغ من الغاية بحيث (ماتغنى) أى ماتكفى (الآيات) السماوية والارضية وما ظهر على أيدى الانبياء (والنذر) من الانبياء والعلماء (عن) دفع رجس (قوم لايؤمنون) واذا لم يؤمنوا بالآيات والنذر (فهل ينتظرون) للايمان (الامثل) وقائع (ايام) الكفرة (الذين خلوا) أى مضوا (من قبلهم) فصارت سنة لامثالهم فان شكوا فى حصولها لهم (قل فانتظروا) حصولها لكم لابطريق الاحتمال بل بطريق القطع (انى معكم من المنتظرين) وقد جربتم صدقى ولايمنعنى منه توهمى ان اشارككم فيه باتحاد المكان لان الله تعالى قال لى انا نعدهم العذاب أولا (ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا) بابعادهم عن ذلك المكان ولايختص ذلك بالبعض بل (كذلك) يعم الكل لانه كان (حقا علينا) تمييز المستحق عن غيره فلا محالة (ننج المؤمنين) لتمييز العذاب على الكفر عن البلاء الشامل للفاجر والبر فان زعموا ان هذا الانتظار انما يصح لو صحت رسالتك ولادليل عليها من الآفاق التى امرتنا بالنظر فى آياتها (قل يا أيها الناس) أى الذين نسوا دلالة عموم الحكمة فيها على انه لايعطى المعجزة للكاذب الا ان يعارض دلالتها بما يكذبها من دعوى الالهية أو الرسالة مع

الشك

التسليم يقال سلمت عليه سلاما أى تسليما والسلام شجر عظام واحدتها سلامة قال الاخطل الاسلام وحرمل (قوله سماعون للكذب) قائلون الكذب كما يقال لاتسمع من فلان

الشك أو الفسق (ان كنتم فى شك من دينى) مع كونه ظاهر الرشد وقد ظهرت المعجزات على يدى (فلا) موجب للشك فى دينى من عبادة الادنى فضلا عن اعتقاد الالهية اذ لا (أعبد الذين تعبدون من دون الله) مع ان الدون لا يستحق العبادة بالذات ولا باعتبار الرجوع اليه للمجازاة (ولكن اعبد الله الذى) يستحقها لذاته والرجوع اليه للمجازاة لانه (يتوفاكم) ليرجع بكم اليه فيجازيكم على اعمالكم (و) لا ادعى الالهية لنفسى وان بقيت به اذ اقول (أمرت أن أكون من المؤمنين) باعلى مراتب التوحيد (و) لا ادعى اسقاط التكليف حينئذ حتى أكون فاسقا اذ أمرت (أن أقم وجهك) أى اجعله مستقيما متوجها (للدين) الكامل (حنيفا) أى مائلا عن القصور وترك التكاليف قصور (و) مع ذلك (لا تكونن من المشركين) بدعوى الكمال لك لنقصانك بالحدوث (و) من الميل الى القصور واعتقاد تأثير الاسباب لذلك قيل لى (لا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك) وان كان من اسبابهما (فان فعلت فانك اذا من الظالمين) بتشريك الاسباب لله فى التأثير (و) لا يرتفع باعتقاد عدم استقلالها فى التأثير بل (ان يمسسك الله بضر فلا كاشف له) من الاسباب لا مستقلا ولا غير مستقل (الا هو) وان كان يفعل عند الاسباب لكن لا بها (وان يردك بخير فلا راد) من أسباب ضده (لفضله) لكنه انما يقع على خرق العادة لذلك (يصيب به من يشاء من) خواص (عباده و) لا يمنع منه سبب الضد على تقدير تأثيره اذ (هو الغفور) اى الساتر لتأثيره (الرحيم) بافاضة ضده مقتضى سبب الشر فان ردوا فضلك بالرسالة وزعموا ان خوارقك لاسباب اهملتها كتستها (قل يا أيها الناس) اى الذين نسوا الفرق بين ما يكون فيه للسبب دخل وبين ما لا يكون (قد جاءكم) الدليل (الحق) الذى لا يتغير بتغير الاسباب فعلم أنه (من ربكم) ليربيكم بالهداية على يدى (فمن اهتدى فانما يهتدى) تكميلا (لنفسه) لا لنفسى لسبقها بالكمالات (ومن ضل فانما يضل) نقصا (عليها) بمنع تربية ربه فلا يعود نقصه على (و) انى مع بلوغى غاية الكمال الممكن (ما أنا عليكم بوكيل) الجئكم الى الهداية (و) مع ذلك قيل لى (اتبع ما يوحى اليك) فى التبليغ وان لم يهتدوا به (واصبر) على أذياتهم فى التبليغ (حتى يحكم الله) بالقتال (وهو خير الحاكمين) بجعل مقتولنا شهيدا ومقتولهم طريدا تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

قوله اى لاتقبل قوله وجائز أن يكون سماعون للكذب اى يسمعون منك ليكذبوا عليك سماعون لقوم آخرين لم يأتوك اى هم عيون لأولئك الغيب (وقوله عز وجل وفيكم

(سورة هود)

سميت بها لقوله ما من دابة فى الارض الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم الدال على توحيد الافعال مع استقامته باعطاء كل مستعد ما يستعد له المقتضية للاحكام والجزاء وهى من أعظم المقاصد (بسم الله) المتجلى بجمعيته فى كتابه الجامع (الرحمن) باحكام آياته لنفع الكل (الرحيم) بتفصيلها لنفع الخواص المطلعين عليه (الر) اى أجلى لوامع الرشد أو أعلى لواء رفيع الدرجات أو أجل لطائف الربوبية أو أتم ابواب الرحمة (كتاب

أحكمت آياته) بجعلها يقينية بموادها وصورها أو باعجازها الرافع شأنها أو تقوية أصولها بالحجج القاطعة ورفع الشبه تربية لها أو بمنع نسخها الكونها الباب الرحمة (ثم فصلت) بجعل نتائجها مقدمات لأخر أو ببيان مراتب القرب من رفيع الدرجات أو بتكثير الفروع تربية للاصول ورائة تقويتها أو ابرازها أبهم فى الكتب السالفة لمزيد الرحمة بهذه الامة (من لدن حكيم) لايستعمل الا اليقينيات ويأتى بما يعجز الكل ويبنى الفروع على أقوى الاصول ويبلغ الى الخير المطلق (خبير) لايلتبس عليه الوهميات باليقينيات مطلع على أسرار الاعجاز والقرب والبناء والخيرية المطلقة (ألا تعبدوا الا الله انى لكم منه نذير وبشير) يشير الى أمثلة الاحكام باليقينيات مثل الله يثيب من يخصه بالعبادة ويعاقب من لايخصه بها ومن كان كذلك يجب تخصيصه بها والمعجز مثل أن يذكر المطلوب بجميع فوائد تحصيله ومضار تعطيله بعبارة موجزة يشير الى مراتبها مع أنواع التأكيد واللطائف الامر بتخصيصه بالعبادة مع التبشير على الموافقة والانذار على المخالفة والاب أن لاينسخ (وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) يشير الى أمثلة التفصيل لجعل نتائجها مقدمات مثل أن يقال من يجب تخصيصه بالعبادة يستغفر من معاصيه ويرجع اليه بالطاعة ثم انه ما ارتفعان درجات القرب فما يستغفر منه وجود النفس فيفنى عنه ويرجع الى البناء بربه ثم بناء الفروع على الاصول انما يتم بالاستغفار عن السهو والرجوع الى الحق ثم الرجل انما يبلغ اللب بالاستغفار عن القصور والرجوع الى الكمال (يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله) يشير الى افادة العبادة والاستغفار والتوبة ماأشير اليه من أجل لوامع الرشد وغيره فهى تفيد التصفية المفيدة لذة اليقين وتفيد القرب من رفيع الدرجات بالاحوال والمقامات والتربية بالعلوم والكرامات واللب بالتنور بنور الله فهذا فى الدنيا بطريق التمتع وفى الآخرة يزداد كل واحد منها الكل من حصل فضلا من تلك الفضائل فى الدنيا (وان تولوا فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير) اى وان تعرضوا عن تخصيصه بالعبادة وعن الاستغفار والتوبة التى هى مقتضى الدلائل اليقينية والمقربة من رفيع الدرجات والمقيمة حق الربوبية والمستفيضة لباب الرحمة فانى أخاف عليكم عذاب يوم يكبر فيه الاعراض عن اليقينيات والبعد عن رفيع الدرجات وقهر من ربى بأنواع النعم فتولى عنه وفوات عظيم الرحمة ولا يبعد هذه الفضائل للاولين والعذاب للآخرين اذ (الى الله) الظاهر فيه كبرياؤه بغاية لطفه على قوم وقهره على آخرين (مرجعكم) جميعا (و) لامانع له من غاية اللطف والقهر اذ (هو على كل شئ قدير) ولذلك لايبعد عليه تقرب من رجع الى أحب الاشياء وجعل الشهوات بعينها عذابا وايقاع الحجاب على من رجع الى نور الانوار وكيف لايعذبهم وقد بالغوا فى الاعراض عن دلائله اليقينية وعن حضرته الرفيعة وعن شكر تربيته وموجبات رحمته (ألا انهم يثنون) اى يحرفون (صدورهم) لالاخفاء ماذكر على أنفسهم لعلمهم أنه لايخفى عليهم بل (ليستخفوا) اى ليطلبوا اخفاء

أنفسهم

سماعون) اى مطيعون
ويقال سماعون لهم اى
يتجسسون لهم الاخبار
(قوله تعالى سواء أخيه)
فرج أخيه (قوله عز اسمه
سم الخياط) اى ثقب الابرة
(قوله سكينة) فعيلة من

انفسهم (منه) ويبالغون فيه بالاستغشاء (الاحين يستغشون ثيابهم) اى يطلبون التغطى بها ليخفوا ظهوره عليهم ويظهروا اخفاءه عنهم (يعلم مايسرون ومايعلنون) وكيف يخفى عليه ماتحت ثيابهم وقد اطلع على أخفى الامور (انه عليم بذات الصدور) وان زعموا انه لابد من التولى عما ذكر لطلب الرزق الشاغل عنه أجيبوا بان هذا انما يكون لو اضطروا الى طلبه لكن لا اضطرار اليه بعد تكفل الله به فى حق كل انسان بل كل حيوان فانه (ومامن دابة) اى حيوان يدب وان كانت قاصرة نظرها (فى الارض) لاتنظر الى الله (الاعلى الله) بطريق التكفل الشبيه للايجاب (رزقها) اى معاشها (و) كيف لايتكفل بذلك مع انه (يعلم مستقرها) اى زمان بقائها المتوقف على الرزق (ومستودعها) اى زمان طلب وديعة الروح عنها المتوقف على تكميل الرزق وكيف لايعلم هذه الاشياء مع انها حوادث مقدرة بمقدار خاص فلابد من ثبوتها فى لوح القدر بل (كل) مسطور (فى كتاب مبين) لمافى القلم الاعلى التابع للعلم الالهى (و) كيف تنكرون تكفله برزقكم مع أنه (هو الذى خلق السموات) بافلاكها وكواكبها وأملاكها (والارض) بمعادنها ونباتها وحيواناتها (فى ستة أيام) على عدد ماذكرنا التدبيركم فلا يخلو عن التكفل برزقكم كيف (وكان عرشه) الذى هو مستوى اسمه الرحمن الذى منه كل فيض (على الماء) المفيد للحياة المتوقفة على الرزق فدبركم بأحسن تدبير (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) أى عبادة له بحيث لا يعوقه عنها طلب رزق أو غيره ولا يتم هذا الابتلاء الا باعطاء الرزق اذ عدمه مضعف عنه (ولئن قلت) رد النفيهم الابتلاء اذلم يروا عتابا ولا عقابا بأيام الحياة (انكم مبعوثون) للعتاب والعقاب (من بعد الموت) اذ قبله يرفع الابتلاء (ليقولن الذين كفروا) بقدرة الله وحكمته وتدبيره بعدروء يتهم ماصر (ان هذا) أى ليس هذا القول (الا سحر مبين) أى تلبيس ظاهر بوعد مالم يجر به العادة وزعموا انه لاوجه للتأخير (و) لكنه لايعتد بهذا التأخير لانا (لئن أخرنا عنهم العذاب) فانما نؤخره (الى أمة) أى جماعة من الساعات (معدودة) لكنهم لانكارهم مابعد ساعات الحياة (ليقولن مايحبسه) أى يمنعه مع تحقق موجبه وعدم تحقق مابعد الحياة فيقال مابعد الحياة محقق والمانع من وقوع العذاب فى أيام الحياة استيفاؤهم نصيبهم من الرحمة (ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم و) لاينتفعون بالرحمة الماضية اذ (حاق) أى أحاط (بهم ما كانوا به يستهزؤن) من العذاب فان استخفافه خطيئة محيطة وسبب لسائر الخطايا (و) كيف يلتذون مع هذا العذاب الدائم وقد علم بالتجربة انا (لئن أذقنا الانسان منارحمة) عظيمة (ثم نزعناها) أى سلبناها (منه انه ليؤس) أى قنوط عن عودها فلا يلتذ بالنظر الى المستقبل مع امكان عودها فكيف مع امتناعه (كفور) للنعمة الماضية فلا يلتذ بالنظر الى الماضى بمجرد سلب النعمة فكيف مع هذه الشدة (و) كيف ينقطع عنهم العذاب مع انه جرب من الانسان انا (لئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) على سوء عمله (ليقولن ذهب السيآت عنى) بتلك الشدة فلا أخاف بعدها شدة

السكون يعنى السكون الذى هو الوقار لا الذى هو ضد الحركة وقيل فى قوله فيه سكينة من ربكم السكينة لها وجه مثل وجه الانسان ثم بعد هى ريح هفافة وقيل لها رأس مثل رأس الهر وجناحان وهى من أمر الله عز وجل (قوله عز

عليها (انه لفرح) بذهابها (فخور) بحصول النعماء بعدها وفرح العدو وفخره مكروه بمقتضى الحكمة (الا الذين صبروا) فانهم لا يتحصض عليهم الشدة لانهم لما علموا ان الصبر مفتاح الفرج يلتذون برجائه (وعملوا الصالحات) حال الشدة فيلتذون بها (أولئك) ينقطع عذابهم فى الدنيا والآخرة اذ (لهم مغفرة) لذنوبهم بتلك الشدة (وأجر كبير) على الصبر والاعمال الصالحة حال الشدة وان التذوا بهما فلا ينقص ذلك شيأ من أجرهم فهؤلاء وان أنعم عليهم بعد ضراء مستهم فلا يكره فرحهم وفخرهم اذ ليسوا باعداء بل أولياء واذا لم يؤمنوا بالبعث وتأخير الجزاء اليه بعد هذا البيان المعجز المشتمل على اقامة الحجج ورفع الشبه وأصروا على كونه سحرا (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك) ان تبلغهم مخافة ردهم (و) لو لم تترك فلا أقل من انه (ضائق به صدرك) مع اقتضاء اقامة الحجج ورفع الشبه توسيعه اذ انكروا اعجازه حتى طلبوا معجزات أخر مثل (أن يقولوا لولا) أى هلا (أنزل عليه كنز) اذ الرسول متبوع لابد له من الانفاق على اتباعه ولا يتأتى مع عدم سلطنته الا بالقاء الكنز عليه (أو جاء معه ملك) يكون له تابعا لا يحتاج الى الانفاق ويكون له مصدقا أتاه من عند من أرسله فقال تعالى لا تحتاج الى الانفاق (انما أنت نذير) اذ يكفى فى الرسول انذاره من القبائح (و) الانفاق موكول الى الله اذ (الله على كل شئ وكيل) وأما التصديق بالملك أو بسائر المعجزات فيكفى تصديق القرآن الذى هو المعجزة لقولية أينكرون تصديقه مع الاقرار باعجازه (أم يقولون) ليس بمعجز بل مقدور عليه للبشر اذ ابلغ غاية الفصاحة والعقل ويمكن منه الافتراء فهو شئ (افتراه قل) ان كان غير معجز بل مفترى (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) فهو أقل من عشره فمن بلغ الغاية لا يكون من دونه بحيث لا يبلغ حد عشره أو أقل منه فان لم يبلغ اليه بنفسه بلغ بالاستعانة (وادعوا) للاستعانة (من استطعتم) من الانس والجن والملائكة بل كل من يكون (من دون الله) فان كل دون وان بلغ من الكمال ما بلغ عاجز عنه بنفسه وبالاستعانة (ان كنتم صادقين) فى انه يمكن افتراؤه (فان لم يستجيبوا لكم) أى ما تحديتم به مع شدة عداوتهم وكمال فصاحتهم وعقلهم (فاعلموا انما أنزل بعلم الله) المحيط باسرار الاعجاز (وأن لا اله الا هو) يعجز كل من جعلتموه الها من دونه عن مثله (فهل أنتم مسلمون) أى منقادون لتوحيد الله وتصديقه الرسول بكلامه المعجز فلا تطلبوا معه معجزة أخرى ثم ان افتراء مثله لو أمكن ربما يكون لطلب راحة الدنيا وزينتها لكنه يحوج الى أعمال شاقة أخر ويوجب ترك لذاتها وزينتها فان قصد بتلك الاعمال راحة الدنيا وزينتها ضاعت وصارت سبب الشدائد فى الآخرة فان (من كان يريد) باعمال الآخرة (الحيوة الدنيا) أى راحتها (وزينتها) أى جاهها (نوف اليهم أعمالهم) أى أداء أجورها (فيها وهم) وان كانت أجورهم الاخروية غير متناهية (فيها لا يبخسون) اذ عدم تناهى الاجور ليس فى مقابلة الاعمال بل هو فضل الهى وهم ليسوا من أهل الفضل فيعطون فى الدنيا ما يقابل أعمالهم بلا نقص فيها (أولئك الذين) بعدوا عن العقل بتضييع تلك الاعمال لراحة الدنيا

وزينتها

(قوله ويجعل سيارة) يعنى مسافرين (قوله عز اسمه سكت عن موسى الغضب) أى سكن (قوله عز وجل سنستدرجهم) أى سنأخذهم قليلا قليلا ولا نباغتهم كما

وزينتها التي تحصل بدونها (ليس) لهم الخلاص في الآخرة رأسا برأس بل ليس (لهم في الآخرة) باتفاق الانبياء والحكماء (الا النار) المحسوسة أو المعقولة فلا يقربه من له العقل الكامل الذي يشبه البلوغ الى حد الاعجاز (و) لا يحصل لهذه الاعمال هيئة من تلك الاعمال ملذة تعارض لذتها تلك الآلام لانه (حبط ما صنعوا فيها) فلم يكن لها هيئة أصلا (و) لو أفادهم هيئة لم تكن لهم ملذة لانه (باطل ما كانوا يعملون) والباطل لا يكون ملذا بل مؤلما (أ) تجعلون طالبا الراحة الدنيا وزينتها باعمال الآخرة مع كونه على بينة (فمن كان على بينة من ربه) ترونه طالبا ما يوجب الحجاب عنه (و) ليست بينة معارضة بما ينافيها بل (يتلوه شاهد منه) وهو العقل يصدق دلائل القرآن ويرفع عنه الشبه (و) لم يقتصر فيه على الشاهد العقلي بل أيده الشاهد النقلي اذ (من قبله كتاب موسى) صدقه قبل مجيئه وكفى به شاهدا لكونه (اماما) للانبياء (ورحمة) للمؤمنين ويدل على تصديقه اياه ان (أولئك) الماهرين فيه (يؤمنون به) أي بهذا الكتاب مع ادعاء تصديق التوراة اياه (ومن يكفر به من الاحزاب) أي من طوائف أهل الكتاب لا يقدرون على انكار تصديقه اياه مع ابقائه بحاله بل يحرفون لفظا أو معنى (فالنار موعده) لكفره بالكتابين فان لم يبالوا بهذا الوعيد (فلا تك في مرية) أي شك (منه انه) الوعيد (الحق) لكونه (من ربك) الذي لا يكذب (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) فيحملونه على مجرد التخويف من غير دليل (و) كيف يعطى الله البينة للمفترين عليه فيكون ظالما باعانة الظالمين فانه (من أظلم ممن افترى على الله كذبا) كيف واعطاؤه البينة اعزاز وهم يستحقون الاذلال فان لم يعطوها اليوم فلا بد ان يعطوها يوم القيامة (أولئك يعرضون على ربهم) عرض العبيد المفترين على ملوكهم (و) لا يمكنهم الانكار امكانه للعبيد اذ (يقول الاشهاد) من الملائكة والجوارح (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) فتى يستحق هؤلاء البينة من ربهم مع كونهم من أهل اللعنة (ألا لعنة الله على الظالمين) سيما من ظلم بالكذب على ربهم ولم يقتصروا به في حقه بل عموا حقوق الخلق اذ هم (الذين يصدون عن سبيل الله) زاعمين انهم يسلكونها بهم (و) لا يتركونها بحالها بل (يبغونها عوجا) مع ذلك لا يريدون مقصدها اذ (هم بالآخرة هم كافرون) وان كانوا يدعون الايمان بها ويدعون الناس اليها بفقراهم (أولئك) المفترون لو أعطوا معجزات لكانوا معجزين لله عن تصديق الصادقين في دعوى النبوة لكنهم (لم يكونوا معجزين) وان كانوا (في الارض) التي يكثر فيها التلبيسات على ان هذه المعجزات المصدقة للمفترين لا تكون من الله بل من الشيطان (و) لكنها لما التبست بمعجزات الله التي يصدق بها الصادقين أوجبت الحكمة الالهية رفعها كأنهم (ما كان لهم من دون الله من أولياء) وليس عدم رفع الله اياها لكونها سبب الهداية التي قصدوها بفقراهم لان الافتراء وان كان سبب الهداية فهي موجبة للغضب بحيث (يضاعف لهم

يرتقي الراقي في الدرجة فيتدرج شيأ بعد شئ حتى يصل الى العلو وفي التفسير كلما جددوا خطيئة جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار (قوله عز وجل سوآت لكم) (قوله عز وجل زينت) يعني سيدها لدا الباب) يعني زوجها والسيد الرئيس

العذاب) كيف لايرفع تلبيسه على انه كيف يتصور من الشيطان الهداية مع ان الشياطين (ما كانوا يستطيعون السمع) أى سمع كلام الهداية لتلقيها عليهم (وما كانوا يبصرون) الهداية أحدا لانهم مجبولون على الاضلال (اولئك) المفترون لوحصلوا المعجزات بتصفية أنفسهم لم يبق لهم تصفية اذهم (الذين خسروا أنفسهم) بالافتراء على الله (و) لم يفدهم مفتراهم لو كان هدى فى نفسه بل (ضل عنهم ما كانوا يفترون) فان أفادهم فى الدنيا (لاجرم انهم فى الآخرة هم الاخسرون) لعظم ظلم المفترى وأهل التصفية لايفعلون مايضر بآخرتهم ولو فرض انه مفترى مع كونه هدى فى ذاته مقرونا بالبينة صادرا من أهل التصفية لم يضر من آمن به مع الجهل بافترائه (ان الذين آمنوا) بما هو هدى فى نفسه (و) لم يقصدوا بذلك اتباع المفترى بل (عملوا الصالحات) التى من جملتها اتباع ماهو هدى فى نفسه (و) لم يقصدوا بذلك التعزز عند الخلق الذى هو مقصود المفترى بل (أخبتوا) اى مالوا (الى ربهم أولئك) وان أبعدهم اقتداؤهم بالمفترى لكنهم لعدم اطلاعهم على ذلك مع كونه هدى فى نفسه مقرونا بالبينة صادرا من أهل التصفية مقصودا به التقرب الى الله (اصحاب الجنة) لايدخلونها ليخرجوا عنها فيشتد عليهم العذاب بل (هم فيها خالدون) لا يقال لو لم يضر المؤمنين ماذكر لم يضر الكافرين اتباعهم اهل التصفية اذا أتوا بالخوارق لانا نقول (مثل الفريقين) فى الاقتداء بما هو ضلال فى نفسه اوهدى (كالاعمى) لا يبصر بنفسه ماهو فى ذاته هدى اوضلال (والاصم) لايسمع ممن يبين له مع عدم استدلالهم (والبصير والسميع هل يستويان) فى حكم من الاحكام (مثلا) حتى يلزم استواؤهما فى حكم النجاة والفوز (أ) تسوون بينهما (فلاتذكرون) مابينهما من الفرق العظيم (و) مما يدل على عماهم وصممهم انهم لم يروا من الرسل الآيات الساطعة ولم يسمعوا منهم الحجج القاطعة وقلدوا من ليس له شئ من ذلك مع ظهور ضلالهم فانه (لقد أرسلنا نوحا) بالآيات الساطعة والدلائل القاطعة (الى قومه) العماة الصم فصموا عن قوله (انى لكم نذير مبين) وعموا عن قوله (ان لاتعبدوا الا الله) الذى هو فى الظهور كالمبصرات اذ لايخلو ماسواه عن نقص ينافى الالهية على انه لادليل على الهية ماسواه فأقل مافى عبادته خوف غضب الواحد فان لم يظهر اليوم ابقاء للتكليف يخاف ظهوره فى يوم (انى اخاف عليكم عذاب يوم أليم) أى محيط بكل ألم (فقال الملأ) أى الاشراف الذين هم متبوعو العوام فحقهم ان يكونوا أبصر وأسمع لكنهم أشد عمى وصمما لكونهم (الذين كفروا) مع كونهم (من قومه) فحقهم ان يكونوا امثله وقد اطلعوا على احواله (مانراك الابشرا مثلنا و) غاية فضلك بالاتباع لكنه لايعتد بهم اذ لم يكونوا اشرافه (مانراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا) ولو اعتد بفضل متابعتهم فانما يعتد به لو كانت عن روية كاملة لكنهم انما اتبعوك آخذين (بادى الرأى) أى ظاهر النظر دون التعمق فيه فرأوا منك آيات وشبهات لا حججا (و) لم يكن ذلك لرؤيتهم الفضل فيكم والا لرأيناه ولكن (مانرى لكم علينا من فضل) اذ خوارق السحر وكلمات التلبيس

أيضا والسيد الذى يفوق فى الخير قومه والسيد المالك (قوله عزوجل سارب بالنهار) أى ظاهر ويقال سارب أى سالك فى سربه أى فى طريقه ومذهبه يقال سرب يسترب (وقوله فى البحر سربا) أى فاتخذ الحوت سبيله فى البحر سربا أى

لاتعد فضلا ولاتوجب تصديقا (بل نظنكم كاذبين قال ياقوم) الذين حقهم الابصار (أرأيتم) أى اخبرونى كيف اكون مثلكم (ان كنت على بينة) أى معجزة على كونها (من ربى وآتانى رحمة) أى طهارة كاملة عن الكدورات وهداية يعرف بالبداهة كونها (من عنده) افانتم التبصروها فتأخذوها (فعميت) أى خفيت (عليكم) فجعلتموها تلبيسا مع ظهور الفرق عند البصراء وأنتم بصراء لو نظرتم لكن تكرهون النظر كراهة حصولها (انلزمكموها وأنتم لها كارهون) ولاتحصل لكاره (وياقوم) لاوجه لكراهتها مع انها تحصل لكم الآخرة والقرب من الله ولا ينقص عليكم شيأ من دنياكم اذ (لاأسألكم عليه مالا) وان كنت مستحقا له على تحمل متاعب الارشاد (ان أجرى الا على الله) فليس ثمة مانع الاخسة أتباعى ولاترتفع الابطردهم (و) لكن (ماأنا بطارد الذين آمنوا) فانه يكون مانعا لهم من الايمان اولامثالهم ولو كان طردهم سبب ايمانكم ولم يرتدوا أخاف من طردهم شكايتهم (انهم ملاقوا ربهم) فيشكون على طردهم وعدم اهتدائهم على ان خستهم ليست مانعة لكم من الايمان اذ لاتلحقكم (ولكنى اراكم قوما تجهلون) فتخافون لحوق خستهم لمشاركتكم اياهم فى الايمان من عمايكم اذ الخسيس لايترك مشاركته فى كل شئ (وياقوم) ان افادكم طردهم تعززكم لكنى يذلنى الله على طردهم (من ينصرنى من الله) بدفع اذلاله (ان طردتهم أ) تريدون اعزازكم باذلالى (فلاتذكرون و) ليس لى دفع خستها باعطائهم مثل اموالكم التى اعزتكم اذ (لااقول لكم عندى خزائن الله) أغنى منها من آمن بى (و) لاادفعها باطلاعهم على الكنوز اذ (لااعلم الغيب و) لابدفع حاجتهم عن الطعام والشراب ليكونوا اغنى منكم لبلوغهم حد الملكية اذ (لااقول انى ملك) حتى اجعلهم مثلى (و) كيف أطردهم لخستهم الظاهرة مع انى اراهم اشرف منكم فى الباطن لايمانهم اذ (لااقول للذين تزدرى) اى تستحقرهم (اعينكم) لحقارة ظاهرهم (لن يؤتيهم الله خيرا) اى ايمانا يشرف باطنهم وليس ذلك لاطلاعى على غيبهم بل (الله اعلم بما فى انفسهم) لكنى لولم احكم عليهم بالايمان بما ظهر لى من تصديق اللسان (انى اذا لمن الظالمين) بترك متابعة دليل الايمان الظاهر على الباطن بغير مانع ظهر لى فى دلالته ولكنى لو حكمت بان حقارة الظاهر توجب حقارة الباطن عند الله لكنت من الظالمين اذ لادلالة لهذه الحقارة على تلك بخلاف ايمان اللسان فانه دليل القلب وان لم يكن قاطعا (قالوا) من عماهم وصممهم الجاعل للعجيج ورفع الشبه مجادلة باطلة (يانوح قد جادلتنا) بالمغالطات والمشاغبات (فاكثرت جدالنا) بتكثير وجوهها فان كانت حججا (فأتنا بما تعدنا) من العذاب على ردها (ان كنت من الصادقين) فى وعده عليه (قال) لست الآتى به انا حتى تعجزونى بل (انما يأتيكم به الله ان شاء) فى الدنيا وان لم يعذبه بل انما وعد العذاب الاخروى (وما انتم بمعجزين) بدفعه عنكم بقوتكم او بحجتكم او تحملكم (و) أعجزكم انصح لكم لكن (لاينفعكم نصحى ان اردت ان

مسلكا ومذهبا أى يسرب فيه (قوله عز وجل سرابيلهم) أى قمصهم (قوله عز وجل سخر لكم الفلك) أى ذلل لكم (قوله تعالى سبعا من المثانى) يعنى سورة الحمد وهى سبع آيات وسميت مثانى لانها تثنى فى كل صلاة (قوله عز وجل كتابا

انصح لكم ان كان الله) في الازل (يريد ان يغويكم) ارادة مستمرة فانى وان كنت رسوله فليس لى تغيير تلك الارادة وماظنكم بذلك اذ (هو ربكم) فربا كم بمقتضى ماعلم من استعداد حقائقكم (و) لكن يلزمكم الحجة اذ (اليه ترجعون) فلا يمكنكم مجادلته بدفع حججه اتسلون كونه نصحا مع انه لا يلزم الحجة لمخالفته ارادة الله (ام يقولون افتراه) اى النصح فقال عز وجل لنوح (قل ان افتريته) مع ظهور كونه نصحا واقترانه بالمعجزات (فعلى اجرامى) لا على من قبل نصحى الظاهر المؤيد بالمعجزات (وانا برىء) من التقصير فى ابلاغ النصح وايضاحه وتأييده بالمعجزات فلا يلحقنى عتاب (مما تجرمون) من انكار ذلك (واوحى الى نوح) عند مبالغته فى بذل الوسع فى النصح مع عدم نفعه اياهم (أنه لن يؤمن من قومك) فى المستقبل وان بالغت فى اقامة الحجج ورفع الشبه (الا من قد آمن) فى الماضى فانه يستمر على ايمانه فاستحقوا العذاب المعجل لان تأخيره انما هو لتوقع ايمان البعض (فلا تبتئس) اى فلا تغتم لاهلاكهم شفقة عليهم لانهم انما يهلكون (بما كانوا يفعلون) من معاندتهم معك فليسوا محلا لشفقتك ولا لرحمتنا (واصنع الفلك) للخلاص من عذابهم (باعيننا) أى متلبسا بحفظنا لك وافلاكك كيف (و) قد كان عن (وحينا) اذلم يكن قبله سفينة (ولا تخاطبنى) اى لا تراجعنى (فى الذين ظلموا) بدعاء دفع العذاب عنهم من شفقتك عليهم حتى لا يحتاج الى صنع السفينة (انهم مغرقون) بدعائك رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فلا انقضه بدعاء آخر منك (و) من عظم المانع من المخاطبة فى حقهم انهم رأوه (يصنع الفلك) ليدل على انهم يغرقون (و) لا يبالون له مع انهم جربوا صدقه بل (كلما مر عليه ملأ) اى اشراف حقهم ان يبعدوا من السخر سيما الكونهم (من قومه) الذين عرفوا امكانه وانه ليس محلا للسخر (سخروا منه) فقالوا قد صرت نجارا بعدما كنت نبيا (قال ان تسخروا منا) فى صنع الفلك (فانا نسخر منكم) فى انكار الغرق ونسخر نا عن جد (كما تسخرون) بل عن رؤية وسخركم عن عمى (فسوف تعلمون) حين كشف الغطاء عن أعينكم (من يأتيه) من الغرق (عذاب يخزيه) فى الدنيا فيجعله محلا للسخر (ويحل عليه) فى الآخرة (عذاب مقيم) أى دائم يدوم معه الخزى فلم يزالوا على السخر (حتى اذا جاء امرنا) باغراقهم (و) كان ابتداؤه حين (فار) أى غلا (التنور) فنبع منه الماء علمت به امرأته فأخبرته (قلنا احمل فيها من كل زوجين) أى من كل حيوان مزدوج بآخر دون الحشرات (اثنين) ذكرا وانثى فحشر الله اليه الدواب والسباع والطيور فجعل يضرب بيديه فيقع الذكر بيمناه والانثى بيسراه فيجعلها فى السفينة (وأهلك) أى امرأتك المسلمة وبنيك ساما وحاما ويافث ونساءهم (الا من سبق عليه القول) باهلاكهم مثل كنعان وامه (و) احمل (من آمن و) وسعتهم السفينة لانه (ما آمن معه الا قليل) اثنان وسبعون من رجل وامرأة من الاجانب وهو مع أهله ثمانية وكان للسفينة ثلاثة أبطن الاسفل للدواب والاوسط للانس والاعلى للطير وكانت من ساج طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون وسمكها ثلاثون (وقال) نوح لاهله والمؤمنين ليأمنوا الغرق

والانكسار

متشابها مثانى يعنى القرآن وسمى القرآن مثانى لان الانباء والقصص تثنى فيه (قوله عز وجل سائغا للشاربين) أى سهلا فى الشرب لا يشجى به شاربه ولا يغص (قوله سكرا) أى طعما يقال قد جعلت لك هذا سكرا أى طعما

والانكسار فلا يلحقوا الكفار في الغرق (اركبوا) السفينة واستقروا (فيها) قائلين (بسم الله مجريها ومرساها) أي وقت اجرائها ووقت ارسائها يحفظ من الغرق والانكسار من ذنوب أهلها فاذا اسموا الله تعالى غفرها لهم ورحمهم بالسلامة والوصول الى المقصد وحصول المطالب (ان ربي لغفور رحيم و) من بركة هذا الاسم (هي) مع ثقلها في ذاتها وحملها (تجري بهم) مع ان فيهم من لا يخلو عن معصية (في موج) ما ارتفع من الماء بشدة الريح (كالجبال) في الارتفاع فلا تبقى فيه السفينة الا بحفظ الله على خرق العادة سيما في اليوم الذي لم يحفظ فيه من التجأ الى الجبل (و) لذلك (نادى نوح ابنه) كنعان (وكان) الى الآن (في معزل) عن دينه (يا بني اركب) حال كونك مؤمنا (معنا) لتنجو من الطوفان (ولا تكن) بتركهما (مع الكافرين) بعد ظهور ضلالهم بهذا القهر العام عليهم (قال) من غاية عماه (سآوي) أي سألتجئ (الى جبل يعصمني) أي يحفظني (من الماء) أي من اصابته فضلا عن الغرق (قال لا عاصم) يعصم أحدا (اليوم) الذي ظهر فيه قهر الله وغضبه (من أمر الله) أي عذابه (الا) الله فانه يعصم (من رحم) فلم يعصمه الجبل بل ارتفع اليه الماء (وحال) اي صار حائلا (بينهما الموج) فوق الجبل (فكان) مع كونه فوق الجبل (من المغرقين) تحته (و) لانجائهم من تعب السفينة بعد الانجاء من الغرق (قيل يا ارض ابلعي) بطريق الجذب الذي لا يخلو من صعوبة (ماءك) اي مقدار ما ينبع من الماء منك (ويا سماء اقلعي) اي اجذبي الى جهة الفوق ما نزل منك (و) مع ذلك لم يذهب كله بل (غيض الماء) أي نقص (و) لم يكن نقصه قبل اهلاك الكافرين بل بعد ما (قضي الامر) أي تم امر اهلاكهم (و) بعد اهلاكهم لم يذهب بالكلية أيضا بل (استوت) سفينة نوح بعده (على الجودي) جبل بقرب الموصل (و) لم يلحقهم بعد النجاة من الغرق وتعب السفينة ألم التحسر على اهاليكن بل (قيل) جعل الله (بعدا) عظيما عن الخواطر وعن رحمته (للقوم الظالمين) فتركوا التحسر عليهم لرؤية ظلمهم (و) لكن (نادى) من بينهم (نوح) تحسرا على ابنه (ربه) رجاء ان ينجيه بمقتضى تربيته اياه (فقال رب ان ابني) الذي أغرقته (من أهلي) الذي وعدتهم الانجاء (وان وعدك الحق) الذي لا احتمال فيه للخلف كيف ويقبح الخلف فيه من كل أحد سيما من الحاكم (وأنت أحكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من أهلك) الموعود انجاؤهم بل من المستثنين لكفرهم ومع ذلك (انه) لعدم كون شيء من أعماله صالحا كأنه في نفسه (عمل غير صالح) فلا يستحق تأخير العذاب لاستيفاء أجر عمل صالح في الدنيا (فلا تسألن) بطريق الاعتراض (ما ليس لك به) أي بوروده (علم) لشعورك بالاستثناء وان ذهلت عنه (اني أعظك أن تكون) بالاعتراض على ما لا تعلم وروده يقينا (من الجاهلين) باعتقاد ورود ما ليس بوارد على (قال رب اني أعوذ بك أن أسألك) بطريق الاعتراض (ما ليس لي به) أي بوروده (علم والا) أي وان لم (تغفر لي) اعتراضي عليك

قال الشاعر
جعلت عيب الاكرمين سكرا
أي طعما وقد قيل
سكرا أي خمرا ونزل هذا
قبل تحريم الخمر (قوله عز
وجل سرابيل تقيكم)

بما لم أعلم وروده (وترحمني) بتذكير وجه التفصي عنه (أكن من الخاسرين) بالاعتراض أو بالتردد في وروده ولما استعاذ نوح من ذلك أعيذ عن كل عمده وسهوه وحتى (قيل يانوح اهبط) من السفينة (بسلام) عن العمد والسهو فعل أو تردد خاطر حفظا لك (وبركات) من العلوم والاخلاق والاعمال والاحوال والمقامات فاضت منا (عليك) لطلبك الرحمة منا (وعلى أمم) أى طوائف (ممن) كان في السفينة (معك) لتكميل الرحمة عليك برحمة اتباعك (و) من أثر تلك الرحمة سيحصل لمن بعضهم (أمم سنمتعهم) في الدنيا (ثم يمسهم) في الآخرة بأعمالهم الذاتية التي لها السبق لكن لما لم يكن لعذاب الآخرة انقطاع سبق مقتضى هذه الرحمة فتأخر لهم (منا عذاب أليم) فلا ينفعهم النسب هنالك وان نفعهم ههنا كما لم ينفع ابنك كنعان ولا يبعدان يكون منهم كفار قريش وغيرهم اذ لا يؤمنون بآياتك التي منها اخبارك عن الغيب بما لا ينتهي اليه علم كاهن ولا منجم اذ (تلك) القصة مع طولها (من أنباء الغيب) التي لا يطلع عليها كاهن ولا منجم فعلم بذلك انا (نوحيها اليك) اذ لا طريق لوصولها اليك وإذ (ما كنت تعلمها أنت ولا قومك) بطريق الاخبار ولا غيره (من قبل هذا) الوحي لكنهم يكذبونك مع تصديق أهل الكتاب اياك (فاصبر) على تكذيبهم اذ لم يتقوا الله في تكذيب من صدقه وقد دل على صدقك معجزاتك مع تقواك (ان العاقبة للمتقين) كما كان لنوح والمؤمنين من قومه (و) لقد أرسلنا (الى عاد) العماة الصم (أخاهم) المشفق عليهم ليسمعهم ويبصرهم (هودا) بعد ما سمعوا من قصة قوم نوح فابصرهم عبادة الله وتوحيده اذ (قال يا قوم) الذين عرفوا بصدقي وصدقي (اعبدوا الله) لاستحقاقه العبادة اذ لابد لكم من اله تعبدونه اذ اطلق انعامه عليكم ولا يستحقها غيره لانه (ما لكم من اله غيره) اذ لا دليل عليه وأسمعهم ان القول بما لا دليل عليه افتراء (ان أنتم الا مفترون) وأسمعهم ان التوحيد لا ينقص عليهم شيأ من شهواتهم حيث قال (يا قوم لا أسألكم عليه أجرا) لانه أعظم من ان يفي به مالكم (ان أجرى الا على الذى فطرنى) فانه مع كون انعامه بالفطرة أتم يعطيني الاجر الكامل الذى يليق بعظمته (أ) تذكرون افتراءكم أو كون الاجر على الارشاد أجل من ان يفي به أموالكم أو اعطاء الذى فطرنى الاجر الكامل عليه على تحمل اعباء رسالته (فلا تعقلون) ثم أسمعهم التفصي عن الشرك والمعاصي مبصرا فوائد ذلك فقال (ويا قوم استغفروا ربكم) عن الكفر والمعاصي (ثم توبوا اليه) أى ارجعوا اليه بالايمان والطاعة (يرسل السماء عليكم مدرارا) تكثير الرزق الذى ترجونه من الشرك وهو مانع عنه بالحقيقة الا بطريق الاستدراج (ويزدكم) أشرف مطالب الرزق (قوة) مضمومة (الى قوتكم) وأشار الى مضاره بقوله (ولا تتولوا) أى لا تعرضوا عما دعوتكم اليه حال كونكم (مجرمين) أى مصرين على الاجرام فان أقل ما فى الاجرام حرمان هذه الفوائد (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة) أى دليل على النبوة والتوحيد وفوائد الاستغفار والتوبة ومضار ترك ذلك

(الحذر) بعض القصص وسرابيل تقيكم بأسكم يعني الدروع (قوله عز وجل سببا) يعني ما وصل شيأ بشيء (وقوله عز وجل وآتيناه من كل شيء سببا)

(وما)

(وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك) ان القول بالهيتها افتراء (و) لو كان ما اتفق عليه عقلاء الاعصار افتراء (ما نحن لك بمؤمنين) أي مصدقين وان جئتنا بالبينات بل (ان) أي ما (نقول) لبيناتك (الا) انك استعنت بآلهتنا في السحر الذي سميته الآيات ثم نسيتها لذلك (اعتراك) أي أصابك (بعض آلهتنا بسوء) أي جنون فتكلم بالهذيانات وتزعم انها سادلائل قطعية ومن هذياناتك الدعوة الى التوحيد وترك عبادة الآلهة والامر بالاستغفار والتوبة ووعد الرزق ومزيد القوة على ذلك (قال) كيف أكون مستعينا بآلهتكم مع اني مبالغ في البراءة عنها (اني أشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه) في تأثير شيء فان كان لها تأثير ولكم (فكيدوني) أي فاقصدوا اهلاكي (جميعا) أي مجتمعين بأنفسكم أو بدعوتها التسرع الى الاجابة (ثم لا تنظرون) لا تضرع اليها أو اليكم فاني لا أبالي لكل ما دونه ولو كان له تأثير (اني توكلت على الله ربي) الذي رباني بالرسالة (وربكم) الذي رباكم بكمال القوة فانكم لا تقدرون على اضراري بأنفسكم ولا باصنامكم لتوكلي عليه وكونكم تحت تصرفه لانه (ما من دابة) تتحرك بعمل (الا هو آخذ بناصيتها) فهي في قبضته لا يمكنها التحرك ما لم يحركها ولا يحركها في حق من توكل عليه الا على نهج العدل (ان ربي على صراط مستقيم) فمن استقام معه يستقيم له الخلائق (فان تولوا) أي تعرضوا لم يضرني اعراضكم بعد تبليغ الرسالة (فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم و) لا تضرون ربي فانه (يستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيأ) لو أهلككم بلا بدل لكنه انما يستخلف حفظا للنوع (ان ربي على كل شيء حفيظ و) لاجل حفظ النوع مع اظهار الاستغناء (لما جاء أمرنا) بالعذاب خصصناه بالعماة الصم اذ (نجينا هودا و) لم يكن ذلك من معجزاته اذ نجينا أيضا (الذين آمنوا معه) فعمت النجاة البصراء السامعين لكن لم يكن بسبب الايمان وحده اذ لا يمنع من التعذيب الدنيوي بل (برحمة منا و) لكنها أشبهت المعجزات اذ (نجيناهم من عذاب غليظ) لا ينجون عنه الا بطريق خرق العادة وكيف لا يغلظ عذابهم (وتلك) الطائفة المعذبة (عاد) المشهورة بالجرائم العظام حتى (جحدوا بآيات ربهم) اذ قالوا يا هود ما جئتنا ببينة (وعصوا رسله) اذ قالوا وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وعصيان الواحد في معنى عصيان الكل فلم يتبعوا الرسل في التوحيد والرسالة (واتبعوا) في الشرك والمعاصي (أمر كل جبار عنيد) لا يستدل بدليل ولا يقبله من غيره (و) لكون مؤاخذتهم على الجرم العظيم (أتبعوا) بعد ما عذبوا (في هذه الدنيا لعنة و) يلعنون (يوم القيامة) اذ يقال (ألا ان عادا كفروا) أي جحدوا (ربهم) اذ عبدوه بآلهتهم عن عماهم وصممهم (ألا) جعل الله (بعدا) مستقرا (لعاد قوم هود) الذي أراد ابصارهم واسماعهم مضار البعد فاختاروه (و) لقد أرسلنا (الى ثمود) العماة الصم (أخاهم) يسمعهم ويبصرهم

أي وصله اليه وأصل السبب الحبل (قوله عز وجل فليمدد بسبب الى السماء) أي بحبل الى سقف بيته ثم ليختنق نفسه

(صالحا) فابصرهم عبادة الله وتوحيده اذ (قال يا قوم اعبدوا الله) لاستحقاقه العبادة دون غيره اذ (ما لكم من اله غيره) وأسمعهم الدليل عليه بأنه المنعم بالايجاد وأسباب المعاش اذ (هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها) أى أحياكم بتهيئة أسبابها فكما استعدت مادتكم صورتكم النوعية الانسانية تعظيما لكم يتوقع منكم تعظيمه بتذللكم له بالطاعة بعد الاستغفار من معاصيه المخلة بتعظيمه (فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى) يسمع استغفاركم لانه (قريب) ويجيب دعوتكم عند اجابتكم له بطاعته لانه (مجيب قالوا يا صالح قد كنت فينا) عاقلا (مرجوا) نرجو مشاورتك فى الامور فانقطع بجنونك الذى منه دعوتك الى التوحيد على خلاف العقلاء (قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) العقلاء يقينا فكان الشرك انا يقينا (وانا) وان بالغت فى حججك (لفى شك) أى راسخون فيه لا نخرج عنه (مما تدعونا اليه) من التوحيد (مريب) أى موقع فى الريبة من تأبيد انك (قال) صالح (يا قوم أرأيتم) أى اخبرونى أكون مجنونا (ان كنت على بينة) أى دليل واضح يعرف كونه (من ربى) اذ لا تحوم الشبهات حوله (وآتانى) مع ذلك الدليل (منه رحمة) أى هداية تصدق معجزتى مزيد تصديق فان تركت تبليغ رسالته لنسبتكم اياى الى الجنون (فمن ينصرنى) أى يخلصنى (من الله) بل لا ناصر لى منه (ان عصيته) بما هو أدنى منه فان جعلتم ذلك عقلا فالعقل هو الذى يفيد الارباح وعقولكم تفيد الخسران فان اتبعتها (فما تزيدوننى غير تخسير) بتفويت السعادة الابدية والقرب من الله تعالى (ويا قوم) ان زعمتم ان ناقتكم التى جئت بها آية كانت لنا تخسيرا اذ ضيعت علينا دوابنا ومنافعها (هذه) مع انها (ناقة الله) حاصلة (لكم) بدل دوابكم تفيدكم فوائدها مع الفوائد الاخروية لكونها (آية) فان تأذت منها دوابكم وامتنعت من الرعى (فذروها تأكل فى أرض الله) فان ناقة الله أولى بان ترعى بارضه من دوابكم (و) ان كانت دوابكم عندكم أولى (لا تمسوها بسوء) لا تنسبها الى الله (فيأخذكم) لجراءتكم على ما تنسب اليه (عذاب قريب) من افراط غضبه على من اجترأ على آياته فلم يسمعوا قوله بعد رؤية هذه الآية وغيرها (فعقروها) أى ذبحوها فسمع به صالح عليه السلام (فقال تمتعوا) بدوابكم (فى داركم) لا فى الدنيا كلها تجاه ناقتكم (ثلاثة أيام) الاربعاء والخميس والجمعة لتعلموا ان متاع الدنيا أقل قليل وان التأخير لا ينافى وعد قرب العذاب بل (ذلك وعد غير مكذوب) وانما فعل ذلك ليدل على ان وعد الآخرة وان تأخر مدة الدنيا وعد غير مكذوب ولما كان ذلك تخسيرا لهم دون صالح والمؤمنين (فلما جاء أمرنا) بالعذاب خصصناه بالعصاة الصم اذ (نجينا صالحا والذين آمنوا معه) لاختصاصهم (برحمة منا) مانعة من خسران الكافرين (ومن خزى يومئذ) أى يوم عمهم فى دارهم بذواتهم من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها ليعلم انه خزى لهم لا تغير هواء المكان وكانت نجاتهم بتقوية الله

فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ (قوله عز وجل السدين) والسدين بقرآن جميعا أى جبلان ويقال ما كان مسدودا خلقة فهو

اياهم

اياهم لتحمل الصيحة وعدم الخزى لاعزاز الله اياهم لانهم لما كانوا أهله أفاض عليهم قوته وعزته (ان ربك هو القوى العزيز و) من عزته وقوته المقتضية قهر اعدائه (أخذ الذين ظلموا) بالتعزز على الله والتقوى على آياته (الصيحة) من جبريل بدل صيحة الناقة عند عقرها (فأصبحوا فى ديارهم) التى كانوا يحفظون بها عن الآفات (جاثمين) أى ميتين موت الناقة بعد صياحها فلم يبق لهم من تمتعهم شئ بل صاروا (كأن لم يغنوا) أى لم يسكنوا (فيها) فاذا ذكروا قيل (ألا ان ثمود كفروا) أى جحدوا (ربهم) فأهلكهم (ألا بعدا لثمود) عن رحمة الله لبعدهم عن صراطه من عماهم وصممهم فيقال لهم فى الدنيا ما يقال فى عاد يوم القيامة (و) لا يبعد من الاسمين القوى والعزيز انجاء قوم وقهر آخرين فانه قد صدر مثله من الملائكة الذين هم حملة الاسماء فانه (لقد جاءت رسلنا) الذين أرسلناهم لاهلاك قوم لوط (ابراهيم بالبشرى) بولد وولد ولده الذى هو والد الانبياء فقدموا على التبشير ما يفيده سرورا اذ (قالوا سلاما) ليكون التبشير سرورا فوق سرور (قال سلام) أى هو مستقر عليكم فحياهم بأحسن من تحيتهم وأحسن لهم حق الضيافة (فما لبث) ليسرع (أن جاء بعجل حنيذ) أى مشوى فوضعه بين أيديهم (فلما رأى أيديهم لا تصل اليه) فضلا عن الاكل (نكرهم) أى أنكر كونهم اضيافه (وأوجس) أى أضمر (منهم خيفة) أى خوف ان يريدوا به مكروها لان الامتناع من طعام الشخص دليل ذلك (قالوا لا تخف) انما لا نأكل لانا ملائكة ولم ننزل بالعذاب عليكم (انا أرسلنا الى قوم لوط) لاهلاكهم (وامرأته) سارة بنت عمه هاران بن ناحور (قائمة) فى خدمة الرسل (فضحكت) سرورا باصابة رأيها فانها كانت تقول ضم اليك لوطا فانى أعلم ان العذاب ينزل بهذا القوم أو بهلاك أهل الفساد (فبشرناها) اسرورها بهلاكهم (باسحق و) أنها ترى (من وراء اسحق) ولده (يعقوب) ابا الانبياء (قالت يا ويلتى) أى يا أيها الامر الفظيع (أألد وأنا عجوز) ابنة تسع وتسعين سنة (وهذا بعلى شيخا) أى ابن مائة وعشرين سنة (ان هذا) التولد بين هرمين (لشئ عجيب) أى أمر غريب لم تجر به العادة (قالوا أتعجبين) فتستبعدين (من أمر الله) أى شأنه خلق الولد من الهرمين على خرق العادة مع انها تكثر فى بيت النبوة رحمة للخلق وبركة عليهم فى تأييد ما كوشفوا به (رحمت الله) أى أنواع رحمته (وبركاته) مستقرة (عليكم أهل البيت) أى أهل بيت النبوة (انه) بتقرير العادة (حميد) أى يستحق للمحامد وبخرقها (مجيد) أى منيع لا يرام فكان هذا بشرى فى مظنة الروع (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) أى زال عنه خوف ارادتهم المكروه به وهو المانع من المجادلة (وجاءته البشرى) التى حقها أن يمنع من المجادلة أيضا (يجادلنا) أى يكلم رسلنا بكلام المجادل لا فى حق نفسه بل (فى) حق (قوم لوط) الذى سرت امرأته بهلاكهم فصرح لها بالبشرى وتبعها ابراهيم فيها اذ قال لهم أرأيتم لو كان فى مدائن قوم لوط خمسون مؤمنا أتهلكونهم قالوا لا قال فأربعون

سدا بالضم وما كان من
عمل الناس فهو سدا بالفتح
(قوله عز وجل سربا) أى
نهرا (قوله تعالى سنعيدها
سيرتها الاولى) أى سنردها

قالوا لا حتى بلغ خمسة قالوا لا فقال أرأيتم لو كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها قالوا لا فقال
فإن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته (إن إبراهيم لحليم) غير مستعجل
للانتقام ممن أساء إليه (أواه) أي كثير التأسف على الناس (منيب) أي راجع إلى الله
بالاستغفار لهم فقالوا (يا إبراهيم أعرض عن هذا) الجدال فإنه لا يفيد (إنه قد جاء أمر ربك)
أي حكمه الجازم بإهلاكهم الدنيوي (وإنهم آتيهم) في البرزخ والقيامة (عذاب غير مردود)
بجدال أو دعاء أو غيرهما فلا فائدة يعتد بها في رد العذاب الدنيوي عنهم (ولما جاءت رسلنا) في
صور غلمان مرد حسان الوجوه (لوطا) ليخبروه بإهلاك قومه لكنهم أخروا ذلك الإخبار إلى
أن يشتد غضبه عليهم ليدعو عليهم بإهلاكهم فهم وإن كانوا في الحقيقة جاؤا بما يسره (سيء
بهم) أي حصلت له المساءة بإتيانهم مخافة أن يخزيه قومه بفعل الفاحشة بهم (و) لم يمكنه دفع
تلك المساءة حتى (ضاق) صدره (بهم) فصار كمن ضاق (ذرعا) فاشتد انقباضه بحيث لا يقدر
على حركة العجز عن مدافعة المكروه عن ضيفه (و) لم يقدر على كتمان ما في قلبه بل (قال هذا
يوم عصيب) أي شديد وكيف لا يشتد عليه (و) قد (جاءه قومه) لطلب الفاحشة من ضيفه
كأنهم (يهرعون إليه) أي يدفعون إليه (و) لا حياء لهم أصلا إذ (من قبل كانوا يعملون
السيئات) أي الفواحش حتى زال حياؤهم بالكلية (قال يا قوم) الذين حقهم أن يناسبوني
في الطهارة (هؤلاء) النساء اللواتي هن لي بمنزلة (بناتي) فإنهن مع قرب مناسبة هذا الفعل بهن
واعتزازهن به اعتزاز من شرف نسبهن (هن) إذا نكحتموهن (أطهر لكم) من الزنا الذي فيه
نوع طهارة بالنسبة إلى اللواط (فاتقوا الله) أن تعصوه بما هو أشد من الزنا خبثا (ولا تخزون)
أي ولا تخجلوني مع أني لكم بمنزلة الوالد (في) ضمن إخزاء (ضيفي أليس منكم رجل رشيد)
يرعوي عن القبيح ويهدي إلى الصواب في حق الله وحق الوالد والضيف فإن (قالوا) إنما تم
ما قلت لو أردنا بناتك لكن والله (لقد علمت ما لنا في) نكاح (بناتك من حق) أي استحقاق
إذ لا نريد إتيانهن (وإنك لتعلم ما نريد) عزما فلا يمكنك دفعنا عنه (قال لو أن لي) أي لو ثبت لي
(بكم) أي معكم (قوة) على دفعكم لدفعتكم (أو) لو وجدت ركنا شديدا كنت (آوي) أي
ارجع (إلى ركن) أي قوي كركن الجبل (شديد) يشتد قهره على أهل معصية الله (قالوا
يا لوط) إنك لا تحتاج إلى قوة ولا إلى ركن غيرنا (إنا رسل ربك) لتقويتك ولنكون ركنا شديدا
لك لا تخاف منهم خزيا فإنهم (لن يصلوا إليك) مع كونك منهم فكيف إلينا وقد جئنا
لإهلاكهم بعذاب يحيط بقراهم (فأسر بأهلك) أي مع أهلك (بقطع) أي في وقت مضى
أجزاء (من الليل) يستغرقهم النوم فيها فلا يمكنهم التعرض لك ولا لأهلك (ولا يلتفت) أي
ولا ينظر إلى ما خرج عنه (منكم أحد) لئلا يلحقه أثر ما نزل عليهم ينتهي عنه أهلك
(إلا امرأتك) فإنها تلتفت إليه إذا سمعت الصيحة وتقول واقوماه (إنه مصيبها) أزيد
(ما أصابهم) من العذاب فأخذتها الحجارة قال لوط متى يكون ذلك قالوا (إن موعدهم الصبح)
قال أريد أسرع من ذلك قالوا (أليس الصبح بقريب) ولما استحقت قريتهم الهلاك لم (فلما جاء

أمرنا

عصا كما كانت (قوله عز
وجل سحيق) أي بعيد
(سبع طرائق) أي سبع
سموات واحدها طريقة
وسميت طرائق لتطارق

أمرنا) بتعذيبهم (جعلنا) أي جعل رسلنا بأمرنا تلك القرى منعكسة (عاليها سافلها) أدخل جبرائيل جناحه تحت مدائنهم فرفعها الى السماء ثم قلبها عليهم وذلك لجعلهم الرجال العالين فيها نساء سافلات (وأمطرنا عليها) أي على قراهم (حجارة من سجيل) أي طين متحجر (منضود) اتصل بعضه ببعض ليرجموا رجم الزناة بما يناسب قسوتهم ورينهم الذى اتصل بقلوبهم (مسومة) تلك الحجارة أي معلمة باسم من يعذب بها ليكون ادل على ما رجموا لاجله كانت (عند ربك) في خزائنه لا من الارض المقلوبة ولا غيرها ادخرها لمن يغضب عليهم (و) لذلك (ماهى) أي تلك الحجارة (من الظالمين) أي المشركين الذين هم أشد من أهل اللواط (ببعيد) أي بمكان بعيد لان الخزانة الالهية لما لم يكن لها مكان استوى بالنظر اليها جميع الامكنة فكأنها في كل مكان ولما فرغ عن بيان اهلاك من أخل ببدء الانسان شرع في بيان اهلاك من أخل ببقائه فقال (والى) أهل (مدين) العماة الصم (أخاهم) الذين حقهم ان يسمعوا منه ويبصروا ما يبصرهم (شعيبا قال ياقوم) الذين حقهم أن يكونوا مثلي سامعين بصراء (اعبدوا الله) الذى وفى عليكم نعمه فلا تنقصوا حقه بالشرك فانه (ما لكم من اله غيره و) كيف يسوغ لكم نقص حقه فيما توفون به حق شكره من العبادة ولا يسوغ لكم نقص ما تؤدون به حقوق الخلق (لا تنقصوا المكيال والميزان) اللذين تنتفعون بهما ولا تحتاجون الى النقص (انى أراكم بخير) أي نعمة فوقكم ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها الا ان تنقصوا حقوقهم (وانى أخاف عليكم) بالشرك والنقص وراء نقص حقوقكم في الدارين (عذاب يوم محيط) بجهاتكم فلا يبقى لكم جهة خير (وياقوم) لا يكفي تكميل الآلة مع نقص الكيل والوزن (أوفوا المكيال والميزان) لا باعطاء الزيادة بل (بالقسط) ليكون ذلك داعيا لكم الى ابقاء حقوق الله في العبادة التي تكملونها بشرائطها وأركانها بترك الرياء والعجب وغيرهما من الآفات (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) بطريق من الطرق كالمكس وان لم يعد افسادا (ولا تعثوا) أي لا تفسدوا بالسرقة وقطع الطريق والغارة (في الارض) وان كانت محل الكون والفساد في الوضع الالهى (مفسدين) ما أمر الله باصلاحه لا ما أمر الله بافساده من أموال أهل الحرب ولا حاجة لكم الى البخس والافساد وان أدى تركهما الى تقليل المال اذ (بقيت الله) أي ما أبقاه عليكم بعد التنزه من الحرام (خير لكم) في دينكم ودنياكم (ان كنتم مؤمنين) فان المؤمن يبارك له اذا تنزه عن الحرام (و) ليس اصلاحي يحفظكم عن الافساد (ما أنا عليكم بحفيظ) بل غاية أمرى النصح (قالوا ياشعيب) لم يشافهه الله أحد بشئ بل غاية ما تقول خيالات حصلت للمن رهبانيتك (أصلواتك تأمرك) ان تأمرنا (أن نترك ما يعبد آباؤنا أو) ان نترك (أن نفعل في تجارة (أموالنا ما نشاء انك لأنت الحليم) عن طلب الزيادة (الرشيد) باقامة العدل (قال ياقوم) كيف تنسبون قولي بترك عبادة الاصنام ونقص الكيل والميزان الى الخيالات الفاسدة من الرهبانية (أرأيتم) أي اخبروني هل تعتقدون جنوني (ان كنت على بينة من ربي و) لم يلحقني بترك عبادة الغير وترك نقص الكيل والميزان نقصان في رزق

(قوله بعضها فوق بعض) يعني عز وجل سامرا) سمارا أي متحدثين بالليل (سراب) ما أتيته من الماء كالماء نصف الشمس

بل (رزقني منه رزقا حسنا) أى مالا كثيرا حلالا (و) لست بمتهم اذ (ما أريد أن أخالفكم) فى وفائكم الذى آمركم به ذاهبا (الى ما أنهاكم عنه) من ترك الوفاء فان ذلك افساد وانى (ان أريد) أى ما أريد فى حقى وحقكم (الا الاصلاح ما استطعت و) لا يعجبنى ذلك لانى أعتقد انه (ما توفيقى) أى لا معونة لى فى الاصلاح (الا) فائقة (بالله) فان عارضنى فى ذلك نفس أو شيطان أو غيرهما (عليه توكلت) لدفع تلك المعارضة (و) لو لم يفدنى توكلى عليه لا أترك التوكل عليه بل (اليه أنيب) أى أرجع فى كل شئ حتى فى التوكل عليه (و يا قوم) لو فرض انتفاعكم بعبادة الاصنام ونقص الكيل والميزان فلا يفى بضرر مخالفتى (لا يجرمنكم شقاقى) لا يكسبنكم عداوتى (أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح) من الغرق والريح والصيحة أو قوم لوط من قلب الارض وامطار الحجارة فان مخالفة الرسل تقتضى أحد هذه الامور فان أمكنكم انكار عذاب هؤلاء لبعدهم لم يمكنكم انكار عذاب قوم لوط كيف (وما قوم لوط منكم ببعيد) زمانا ومكانا (و) لا يمنعكم من الاستغفار والتوبة انقطاع رجائكم من عفو معاصيكم لكونها حقوق الخلق التى لا تاتى ولا يمكن التفصى عنها بل (استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم) يرحم المستغفرين التائبين لانه (ودود) أى مبالغ فى المحبة لهم ولا يبعد من المحب أن يدفع عن محبوبه بارضاء خصومه (قالوا يا شعيب) ان كل تلك نشأت من خيالات فاسدة لذلك (ما نفقه) أى لا نفهم (كثيرا مما تقول) لانها غير معقولة كالتوحيد وحرمة البخس (و) دلائلك وان أوهمت معقوليتها فليست قوية (انا لنراك فينا ضعيفا) ليس لك قوة الرأى والرسول يجب أن يكون قوى الرأى (و) ليس لك أيضا قوة الدفع عنك فانه (لولا رهطك) أى قومك الدافعون عنك (لرجمناك) على سب آلهتنا وتسفيه ديننا وتجارتنا والرسول يجب أن يكون أقوى الناس ليمكنه تحمل أعباء الرسالة (و) لو سلم أنه لا يشترط فيه قوة الدفع فلا بد أن يكون له عزة تدفع عنه لكن (ما أنت علينا بعزيز) فلم يكن لنا مانع من رجمك سوى رهطك (قال يا قوم) ان كان المانع من رجمى شوكة قومى لا ارسال ربى (أرهطى أعز عليكم من الله) بل لا عزة له عندكم أصلا (و) لذلك (اتخذتموه وراءكم ظهريا) أى جعلتموه منبوذا وراءكم حيث جعلتموه مما ينسب الى ظهركم لا وجهكم فهذه معاص لا يحيط بكبرها الا الله (ان ربى بما تعملون محيط و يا قوم) لو لم تعتقدوا عزته ولا احاطته (اعملوا) مستولين (على مكانتكم) أى تمكنكم من القبائح فلا أبالى لها (انى عامل) ما يبعدنى عن قبائحكم فلو عكستم (سوف تعلمون من يأتيه) من قبائحه التى من جملتها عدم اعتقاد العزة لله والاحاطة له (عذاب يخزيه ومن هو كاذب) زاعم العزة والاحاطة لله أو غيره (و) ان لم تبالوا بذلك لاستبعادكم اياه (ارتقبوا) تحققه من اخبارى التى ليست محض تخويف (انى معكم رقيب ولما جاء أمرنا) المخزى لاهل القبائح المميز للكاذب من الصادق (نجينا شعيبا والذين آمنوا معه) لصدقهم واختيارهم المحاسن لكن لا يدفع ايمانهم وأعمالهم العذاب الدنيوى بل (برحمة منا) اقتضت التميز فى محل النزاع فلم تؤثر فيهم

الصيحة

النهار (والآل) ما رأيته أول النهار وآخره الذى يرفع كل شئ (قوله عز وجل سنا برقه) ضوء

الصيحة (وأخذت الذين ظلموا الصيحة) فأثرت فيهم (فأصبحوا فى ديارهم) لم يمكنهم الفرار عنها (جاثمين) أى ميتين بل (كأن لم يغنوا) أى لم يقيموا (فيها) لذلك لم يتحسر عليهم بل قيل لهم (ألا بعدا لمدين) لبعدهم عن طريق الصواب من عماهم وصممهم (كما بعدت ثمود) لذلك أصابهم مثل ما أصاب ثمود (ولقد أرسلنا موسى) لا بصار عزتنا واسماع احاطتنا (بآياتنا) المعجزات الفعلية المبصرة عزتنا (وسلطان مبين) أى حجة ظاهرة تسمع باحاطتنا (الى فرعون وملائه) العماة الصم الزاعمين لعزة فرعون واحاطته دون الله (فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد) يصدقه معجزة أو حجة بل غايته التقدم بطريق التغلب لذلك (يقدم قومه) الذين أضلهم بارادة تقدمه بالعزة والاحاطة (يوم القيامة فأوردهم النار) عقيب دخوله لكن يتقدم الواردين على الماء التبريد الا كادوهذا الاحراقها (و) لذلك كان (بئس الورد المورود) لغاية قبح موردهم (أتبعوا فى هذه) الدار (لعنة) على لسان كل من سمع بهم (ويوم القيامة) يلعنون لعنة تكون عونا لهذه (بئس الرفد المرفود) أى بئس العون المعان (ذلك) المذكور من اهلاك القرى لعماهم وصممهم مع ابصار الانبياء عليهم السلام واسماعهم ليس من الاكاذيب الموضوعة لتخويف المتأخرين بل من الامور المحققة التى جعلت مسمعة ومبصرة لهم لكونها (من أنباء القرى) الهالكة لما ذكر وصلت اليك من غير سماع ولا تعليم وكهانة بل (نقصه عليك) بالوحى ليكون معجزة مبصرة مسمعة فى نفسها مع ابصار مخبرها واسماعه اذ (منها قائم) أى باق اثره فهو مما يبصر (وحصيد) أى عاف أثره فهو مما يسمع خبره (و) يدل على هذه الفائدة انا (ما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم) باتخاذ آلهة رجاء شفاعتها (فما أغنت) اى دفعت (عنهم آلهتهم التى يدعون) أى يعبدونها عبادة مختصة بالله مع كونهم (من دون الله) فكان ظلما (من شئ) من الاغناء (لما جاء أمر ربك) باهلاكهم وان كانوا يتوهمون منها النفع والدفع قبل ذلك (و) لم يقتصروا على عدم الاغناء بل (ما زادوهم غير تتبيب) أى تخسير اذ خسروا فائدة التضرع واستجابة الدعوة عند الاضطرار (و) لا يختص ذلك بالمذكورين بل (كذلك أخذ ربك) على مجرى العادة المستمرة (اذا أخذ القرى) لا اذا أخذ آحاد الناس (وهى ظالمة) لا اذا أخذها ابتلاء يعم الظالم وغيره فانه يعظم ألمه وشدته (ان أخذه أليم شديد) وليس ذلك على سبيل العبث لعدم انتفاع أحد بل (ان فى ذلك لآية) أى عبرة (لمن خاف عذاب الآخرة) فانه اذا رأى عظم ألمه وشدته فى دار الابتلاء علم ان ذلك فى دار الجزاء أتم مع زيادة الخزى والفضيحة فيه اذ (ذلك يوم مجموع له الناس) من أول الدنيا الى آخرها (و) لا حجاب فيه بل (ذلك يوم مشهود) يشهد فيه الكل للكل (و) لا يمنع من خوفه تأخره فانا (ما نؤخره) أى ذلك العذاب (الا لأجل معدود) أى لانتهاء مدة قريبة ولو بعدت فيجب أن يخاف أيضا لانه من شدته (يوم يأت) ذلك العذاب (لا تكلم نفس) فضلا عن ان تشفع (الا باذنه) وانما يأذن بالشفاعة فى حق من اجتمع فيه أسباب السعادة والشقاوة (فمنهم) من يوصف بانه (شقى وسعيد) بمعاصيه وايمانه فهؤلاء تؤثر فيهم الشفاعة بخلاف من

برقه (سبا) اسم أرض
وقيل اسم رجل (قوله
عزوجل سرمدا) أى دائما
(قوله تعالى سلقوكم
بألسنة حداد) أى بالغوا

تمحضت شقاوته أو سعادته (فأما الذين شقوا) بلا سعادة (ففي النار) لا تؤثر فيهم شفاعة لاشتهائهم فيها اذ (لهم فيها زفير) ترديد النفس في الصدر حتى ينتفخ منه الضلوع (وشهيق) رد النفس الى الصدر والمراد شدة كربهم وغمهم من استيلاء الحرارة على القلب وانحصار الروح فيه وقيل الزفير أول صوت الحمار والشهيق آخره والمراد تشبيه صراخهم بصوت الحمار والعلم اشتهاء شقاوتهم يكونون (خالدين فيها مادامت السموات والارض) أى المظل والمقل الاخرويان (الا ماشاء ربك) أى وقت مشيئته تعذيبهم بالزمهرير (ان ربك فعال لما يريد) من التعذيب بالنار مرة و بالزمهرير أخرى (وأما الذين سعدوا) بلا شقاوة (ففي الجنة) من غير حاجة الى شفاعة لكمال سعادتهم لذلك يكونون (خالدين فيها مادامت السموات والارض) الاخرويان (الا ماشاء ربك) أى وقت مشيئة اكرامهم برؤيته الشاغلة عنها فتكون سعادة هؤلاء وشقاوة الاولين (عطاء غير مجذوذ) أى مقطوع واذا كان تعذيب الاولين في الدنيا ليكون آية لمن خاف عذاب الآخرة (فلا تك في مرية) أى شك في ذلك العذاب لهؤلاء من عدم تعذيبهم في الدنيا لانه قد ظهر انه حق هؤلاء (مما يعبد هؤلاء) لانهم كآبائهم المعذبين لذلك اذ لا تفاوت في عبادتهم فانهم (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم) المعذبون (من قبل وانا) ان لم نعذبهم في الدنيا على ذلك كما عذبنا آباءهم (لموفوهم نصيبهم) من عذاب الدنيا في الآخرة ليكون (غير منقوص) مع كمال الغضب الالهى عليهم كما كان على آبائهم (و) لا يبعد أن يعذب الله قوما في الدنيا ويؤخر عذاب آخرين الى الآخرة فانه بعد أخذ فرعون وملائه على تكذيب موسى (لقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) وليس الاختلاف فيه بأقل من تكذيب موسى مع انه أخر عذابهم الى يوم القيامة لعل بعضهم يؤمن و بعضهم يلد مؤمنا فهؤلاء وان كانوا كفرعون سبقت كلمة ربك بتأخير عذابهم (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير أمرهم الى الآخرة (لقضي بينهم) بما يميز الحق من المبطل كيف (و) قد تأكد ذلك بمقتضى الحكمة (انهم لفي شك منه) أى من هذا القضاء (مريب) أى موقع للناس في الريبة (و) لكن لا وجه للشك فيه (ان كلا لما) عمل عملا والله (ليوفينهم ربك) المبلغ للاشياء كمالاتها (أعمالهم) تربية للمعاني التي فيها (انه بما يعملون خبير) فلا يمنعه من التوفية التي يقتضيها عموم قدرته وعدم احاطته أحد هذا اذا قرئ بتشديد لما مع تشديد ان أو تخفيفها من المثقلة عاملة أو غيرها وان خففت لما مع تشديد ان واعمالها فمعناه وان كلا اشئ خلق ليعلم فوالله ليوفينهم ربك أعمالهم وان قرئ بتخفيفها بلا عمل فمعناه ليس كل الا ليوفينهم واذا كان الله سبحانه وتعالى موفيا لاعمال بما فيها من المعاني الظاهرة والباطنة (فاستقم) في الاعمال فاعلها (كما أمرت) لانه ما أمرك الا بأكمل الوجوه ولا يختص هذا الامر بك بل أنت مأمور به (ومن تاب معك و) كيف لا تؤمرون بذلك والاخلال به طغيان (لا تطغوا) أى لا تجاوزوا حد ما أمركم الله به (انه بما تعملون بصير) فيبصر ما وقع فيه التجاوز (و) كما نهيتم عن الطغيان نهيتم عن الميل الى أهله (لا تركنوا) أى لا تميلوا (الى الذين ظلموا) فانه ان لم يوجب الخلود في النار فلا أقل من

في عيبكم ولا تمتكم بالسنتهم ومنه قولهم خطيب مسلق ومسلاق وسلاق وصلاق بالسين والصاد جميعا أى ذو بلاغة

أن يخاف مسها (فتمسكم النار و) ليس لكم من يدفع عنكم فانكم اذا ملتم اليهم (مالكم من دون الله من أولياء ثم) ان وجدتموهم (لا تنصرون) اذ ليس لهم مقاومة الله (و) كيف لا يضركم الميل اليهم وهو ضد الميل الى الله فكما يفيده نورانية تدفع ظلمات المعاصى يفيد ذلك ظلمة تذهب بأنوار الطاعات لذلك قيل (أقم الصلوة) التى بها الميل الى الله (طرفى النهار) الظهر والعصر لتأخذ نصيبا من نور اسمه الظاهر (وزلفا) أى ساعات (من الليل) أى قريبة من النهار الصبح والمغرب والعشاء لتأخذ نصيبا من نور اسمه الباطن انما حسنات (ان الحسنات) لكونها ميلا الى الله مفيدة اكتساب نور من قربه (يذهبن السيآت) باذهاب ظلماتها وكيف لا يكون للحسنات نصيب من النور ومع ان (ذلك) أى اكتساب الحسنات (ذكرى) لله نور الانوار فلابد أن يفيد هذا نورا (للذاكرين) لا للعاملين رياء لكنه لا يحصل بأدنى ذكر بل بالمداومة عليه (و) لذلك (اصبر) على مداومة الذكر حتى تبلغ رتبة الاحسان (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) الذين يعبدون الله كأنهم يرونه فيفيض عليهم من نوره ما يجعلهم أهل المشاهدة الباطنة فى الدنيا والرؤية الظاهرة فى الآخرة ومما يمنع الميل الى الظالمين ويوجب الميل الى الله النهى عن الفساد فى الارض (فلولا) أى فهلا (كان من القرون) الهالكة (من قبلكم أولوا بقية) أى أصحاب استحقاق بقاء لكونهم (ينهون عن الفساد) السارى (فى الارض) فانه لو كثر الناهون لم يؤخذ الباقون لكن لم يكن الناهون (الا قليلا) فبقوا مع أتباعهم اذ كانوا (ممن أنجينا منهم) وانما نجا اتباعهم لانهم لم يتبعوا أهل الفساد وان كانوا مترفين (واتبع الذين ظلموا ما) أى ناسا كالحيوانات اذ (أترفوا فيه) أى أنعم عليهم (و) لم يصرفوا نعمهم الى ما أنعم عليهم من أجله بل (كانوا مجرمين) صارفين لها مصارف معاصى المنعم فكان تركهم النهى لاتباعهم اياهم مع قدرتهم على النهى فأتبعهم الله فى عذابهم ثم أشار الى ان النهى عن الفساد فى الارض مانع من الاهلاك الدنيوى على الكفر فقال (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم) عظيم هو الكفر (وأهلها مصلحون) لامور الدنيا لصلاحهم لعمارة الارض كيف (و) الصلاح محبوب الحق كالايمان بحيث (لو شاء ربك) أن يقتصر على ايجاد المحبوبين (لجعل الناس أمة واحدة) متفقين على الايمان والصلاح ولكن جعل بعضهم على وفق حبه وبعضهم على وفق بغضه فجعل الاولين مرجحين للعقل والشرع والآخرين للاهوية وجعل أهويتهم مختلفة (و) لذلك (لا يزالون مختلفين) فى أهويتهم (الا من رحم ربك) فانه لا يرجح الهوى (و) لا يؤثر فيه اذ (لذلك) أى لرحمتهم (خلقهم و) انما أثرت فى الباقين مع وجود المانع من العقل والشرع لانه (تمت) فى حقهم (كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) أى مجتمعين اذ يجمع كل انسان بشيطان يسد عليه طريق العقل والشرع يجرأه على متابعة الهوى (و) لترجيحهما ودفع مكايد الشيطان (كلا) مما يرجح العقل والشرع ويدفع المكايد (نقص عليك) بحيث لا دخل للتلبيس فيه لكونه (من أنباء الرسل) المبعوثين لذلك فى انبائهم (ما نثبت به فؤادك) على

ومنه قيل للمانع الدرع والزراد لمتخذه السراد والزراد كما يقال من السين الزاى كما يقال صراط وزراط والسرد انما أيضا ويقال للاشفى

متابعة العقل والشرع (و) قد رفع عنك التلبيس اذ (جاءك في هذه) الانباء (الحق) الصريح الذي لا يحتاج فيه الى دلالة المعجزات (وموعظة) زاجرة عن متابعة الهوى (وذكرى) لتلبيسات الشيطان حاصلة (للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون) بتلك الانباء لعدم مبالاتهم بالحق الصريح والموعظة والذكرى (اعملوا) بما يوافق الهوى (على مكانتكم) أى تمكنكم من معرفة الحق الصريح والاخذ بالموعظة والذكرى (انا عاملون) بما يوافق العقل والشرع (و) ان زعمتم انه لا عاقبة لعمل (انتظروا) العواقب على قول من يستعمل العقل (انا منتظرون) فاقل ما يقتضيه قول العاقل الانتظار فان زعموا انه انتظار ما لم يقع مثله أصلا يقال لهم (ولله غيب السموات والارض) فلعل في بعض الادوار ما يقتضي البعث من غير أن يكون له نظير وغاب عن نظر المنجمين والكهنة (و) كيف لا ينتظر وهو مقتضى الرجوع اليه ولا بد منه اذ (اليه يرجع الامر كله) ليميز بين من خصه بالعبادة و بين من لم يخصه (فاعبده و) ان توهمت ان عبادته لا تدفع قدره (توكل عليه و) كيف يترك المجازاة التي هي مقتضى ربوبيته ولا مانع عنها سوى الغفلة ولكن (ما ربك بغافل عما تعملون) تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

قوله (من المقسومين) قوله تعالى سامحتهم) يقال سامحة الحي ناحيتهم لرحبة التي قد يرون أخبيتهم حولها

(سورة يوسف)

سميت به لان معظم قصته مذكورة فيها ومعظم ما فيها قصته (بسم الله) المتجلي بجمعيته في آيات كتابه بالاخبار عمن ظهر فيهم بجمعيته مشعرا بها (الرحمن) بانزالها مناسبة لطباع الكل (الرحيم) بجعلها بلسان يتضمن من الاسرار ما لا يتضمنه غيره وهو العربي (الر) أى آيات لوامع الرشد أو أجل لطائف الربوبية أو أخص لباب الرحمة أو أعلى لواء الرفعة (تلك آيات الكتاب المبين) للاخبار الغيبية التي لا تبلغها صنعة التنجيم والكهانة مع تضمنها ما لا ينحصر من العلوم والعبر أو للطائف المنن في صور المحن أو للانتقال من أنواع الشدائد الى أنواع النعم أو لطريق الوصول الى أعلى مراتب الدين والدنيا وانما كانت آيات لوامع الرشد لاعجازها الدال على كونها منزلة من الله وانما كانت أجل لطائف الربوبية لانه تلطف بانزالها وانما كانت أخص لباب الرحمة لاختصاصها بالنزول من مقام العظمة الالهية وانما كانت أعلى لواء الرفعة لكونها نازلة من مقام العظمة للاصعاد اليها لذلك قال (انا أنزلناه) ومن هذا الانزال صار الكلام الواحد الذي هو صفة أزلية آيات متعددة اذ صار (قرآنا) أى مقروأ ليناسب الطباع البشرية وجعل (عربيا) ليتضمن من الاسرار ما لا يتضمنه ولا يحتمله غيره (لعلكم تعقلون) ما عندنا من الاسرار و يتضمنها اتصفت الآيات بكونها آيات لوامع الرشد وما عطف عليه ثم في الكتاب اشارة الى وجوده الخطي وفي القرآن الى اللفظي وفي تعقلون الى الذهني وفي هاء أنزلناه الى كونه من عالم الغيب في ذاته ففيه اشارة الى وجوداته الاربعة وكرر نون العظمة ليجيء دنو الانزال بالعلو مرتين مرة باعتبار كونه صفة أزلية ومرة باعتبار ظهوره بعظمته ولما كان انزاله لتعقل ما عند الله والاتصاف بما ذكر لا جرم (نحن) لا غيرنا

(نقص)

(نقص عليك) لتزداد كمالا فى الاوصاف المذكورة الرشد والتربية والرحمة والرفعة (أحسن القصص) لاشتماله على ما لا يتناهى من المحاسن كالانتقال من أنواع المحن الى اصناف المنن كنجاة يوسف من القتل ثم من غيابة الجب ثم من التهمة ثم من السجن ثم من العبودية ثم من فراق الاب ونجاة أبيه من غم فراقه ومن العمى ونجاة امرأة العزيز من الاثم ونجاة الساقى من القتل ونجاة بنيامين من تهمة السرقة واحسان الله الى يوسف بالملك والنبوة وسجود الابوين والاخوة وايتاء الحكم والعلم وذكر الملوك والممالك والعلماء والتجار والرجال والنساء وكيدهن وكيد الشياطين والاقارب والصبر والعفو عند القدرة والسياسة وحسن المعاشرة وتدبير المعاش والمعاد وحسن العاقبة فى العفة والجهاد وذكر المحب والمحبوب والرجوع الى السعادة وذكر التوحيد والفقه وتعبير الرؤيا وطريق السلوك وحال السالك وغير ذلك فتعلم انه انما يكون (بما أوحينا اليك) أيها المتصف بهذه الكمالات المستعد للبلوغ الى غايتها (هذا القرآن) المشتمل على آيات لوامع الرشد وما عطف عليه اذ لا يتيسر للماهرين بالعلوم المطلعين على الاخبار (وان) أى وانك (كنت من قبله لمن الغافلين) عن مثل هذه القصة (اذ قال يوسف لأبيه) لاعتقاده كمال علمه وشفقته عليه بحيث لو كانت رؤياه تسوءه لامكنه صرفها عنه (يا أبت) ناداه ليقبل عليه بكمال التعطف ولم يسمه رعاية لتعظيمه (انى رأيت) فى المنام (أحد عشر كوكبا) قيل هى جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين أولت باخوته نجوم اسماء النبوة المحيطة بنبوة جلة من أولادهم (والشمس) أولت بأبيه الجامع أنوار النبوة المتفرقة فى أبنائه (والقمر) أولت بخالته المستفيدة منه النور وأخرهما تأخير الاشرف من الجنس (رأيتهم) بعد رؤية علوهم (لى ساجدين) جمعها جمع العقلاء لفعلها فعلهم ولوضح كونها ناطقة فلا اشكال ولم أر من تعرض لهيئة السجود ولعله تحريك جانبها الاعلى الى الاسفل مستديرة ظهرت أو مستطيلة (قال) قبل التعبير تحذيرا عن ضرر نشر الرؤيا (يا بنى) صغره لصغر سنه اذ كان ابن اثنتى عشرة سنة (لا تقصص رؤياك) التى يعتد بها (على اخوتك) روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا وربالون ويشجر ودان ونفتالى وجاد واشر وبنيامين اذ تزيدهم حسدا عليك (فيكيدوا) أى فيمكروا بك مما يظهرون انه نافع (لك) ولكنه يكون (كيدا) عظيما متلفا لك وهو وان لم يكن من طبائع أهل بيت النبوة لكن الشيطان يلقيها عليهم (ان الشيطان للانسان) سيما القائمين بعداوته سيما الانبياء والاولياء والعلماء والصلحاء (عدو مبين) عداوته وان قصد اخفاءها ثم عبر الرؤيا بقوله (وكذلك) أى وكما جعلك مسجود الكواكب والشمس والقمر يجعلك مسجودا من أولت بهم اذ (يجتبيك ربك) للمناصب العالية (و) ليس بالفضل الدنيوى فقط بل (يعلمك) أيضا أشياء كثيرة (من تأويل الاحاديث) أى واقعات المنام واليقظة بطريق الولاية (ويتم نعمته) بالنبوة والرسالة (عليك) كيف (و) يتمها أيضا (على آل يعقوب) الذين يسجدون لك ولم يقل

مسرد ومسراد ومنه قوله عز وجل وقدر فى السرد أى لا تجعل مسمار الدرع دقيقا فيقلق ولا غليظا فيقصم الحلق (قوله تعالى

وآلى لئلا يستغرق فى العجب بنسبتهم الى نفسه بل يعماه كأنه أجنبى ولا يبعد ذلك فان الولد سرابيه فيتمها عليك (كما أتمها) على تبل (على أبويك من قبل) أى قبل أبيك فهى سنة فى هذا البيت (ابراهيم) منبع هذا الكمال (واسحق) حامل سره ثم سرى الى المستعدين له من أولادهم (ان ربك عليم) بالاستعدادات (حكيم) يعطى كل مستعد ما يستعد له ومن فوائد هذا المقام استصحاب كتمان السر وجواز التحذير عن شخص بغيبة ومدح الشخص فى وجهه اذا لم يضره واعتبار السبب وان لم يؤثر وان الكل حادث تأويلا عند الاولياء وانه يعبر الرؤيا من الصغار وان كان من عالم الخيال اذ تصور المخيلة معانى معقولة بصور محسوسة فترسلها الى الحس المشترك فيشاهدها والصادقة منها ما تكون باتصال النفس عند فراغها من تدبير البدن أدنى فراغ فيتصور بما فيها مما يناسب المعانى فان كانت شديدة المناسبة استغنت عن التعبير والا احتاجت اليه فالاخبار عن هذه الرؤيا آيه وعما ترتب عليها آيات (لقد كان فى يوسف واخوته آيات) من الاخبار الغيبية (للسائلين) عنها سيما اذا بينت بآيات القرآن المعجزة فى أنفسها وبما ترتب على هذه الرؤيا من مزيد محبة أبيه اياه الموجبة مزيد حسد الاخوة (اذ قالوا ليوسف) بذاته (وأخوه) من الابوين بنيامين بتبعيته (أحب الى أبينا منا) مع انه لا ينتفع بمحبتهما لضعفهما (ونحن عصبة) أى جماعة يتقوى بهم ويستعان بهم فى الشدائد فلو أحبنا لكان له أنفع (ان أبانا) وان كان ظاهر الرشد فى أبواب الدين (لفى ضلال مبين) أى خطأ ظاهر فى هذه المحبة ولا يقدح هذا فى عصمتهم بالحقيقة لانهم كانوا طالبين مزيد محبة الانبياء عليهم السلام الموجبة مزيد محبة الله اياهم وكذا حسدهم كان سبب وصول المحسود الى كمالاته فلم يكن حسدا بالحقيقة لكنهم لم يعصموا فى الظاهر قبل النبوة (اقتلوا يوسف) ليذهب محل مزيد محبته بالكلية فيرجع اليهم محبته بالكلية (أو اطرحوه أرضا) مجهولة لا يعرفها الاب ولا يمكن ليوسف أن يعرف طريق الوصول اليه فيذهب محل مزيد محبته عن الحب فيرجع اليهم ففى كل حال (يخل لكم وجه أبيكم) أى توجهه بالمحبة وغيرها (وتكونوا من بعده) بكمال توجه أبيكم اليكم (قوما صالحين) يكون صلاحكم فداء عن معصية قتله أو طرحه مع رضا الوارث وعفوه (قال قائل منهم) صريحا ورضى به الباقون ولذلك لم ينسبه الى معين وهو يهوذا أو روبيل (لا تقتلوا يوسف) فان القتل من الكبائر التى يخاف معها سد باب الصلاح (و) افعلوا معه ما هو أشد من الطرح (ألقوه فى غيابت الجب) أى فى ظلمة البئر العميق فان يعش (يلتقطه بعض السيارة) أى بعض من يمر به فيتملكه فلا يمكنه الرجوع الى الاب فيحصل مطلوبكم من غير ارتكاب كبيرة يخاف معها سد باب الصلاح (ان كنتم فاعلين) مع ان الاولى ان لا تفعلوا هذا القدر أيضا ولما غلب عليهم الحسد المفضى للتفريق الكلى ولا يمكن قبل نزعه عن يديه ولم يمكن مع عدم ائتمانه اياهم مكروا به اذ (قالوا يا أبانا) نادوه باسم الاب ليميل اليهم فيحبهم فيعمى عن عيوبهم (مالك) أى أى حال حصل لك مما رأيتمنا حتى صرت (لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون) أى مستمرون على محبته والقيام بمصالحه

سواء الجحيم) أى وسط الجحيم (قوله عز وجل فساهم فكان من المدحضين) أى قارع فكان من المقروعين أى

والعطف

والعطف عليه بمقتضى الاخوة بلا مانع من ذنبه لصغره ثم ان الزامك اياه أن يكون بمكانك
موجب للاله القاطع انشاطه على العبادة واكتساب الكمالات (أرسله) الى الصحراء (معنا)
لاوحده (غدا) ان لم ترسله كل يوم (يرتع) أي يتسع فى الاكل ليزداد قوة على العبادة (ويلعب)
ليزداد انشاطا عليها (و) لا خوف عليه من أحد اذا كان معنا (انا له لحافظون) أى مجتهدون
فى الحفظ (قال) انما لا أرسله لانى لا أطيق الصبر عنه (انى ليحزننى أن تذهبوا به) أى ذهابكم به
(و) انى لو أمنتكم عليه (أخاف أن يأكله الذئب) فان الارض كثيرة الذئاب (وأنتم) وان
زعمتم انكم لحافظون فحفظكم انما يكون مادمتم ناظرين اليه لكن لا يخلو الانسان عن
الغفلة فأخاف أن يأكله اذ أنتم (عنه غافلون قالوا) والله (لئن أكله الذئب) حال غفلتنا فلا بد
أن يعلم ذلك حين يصيح (ونحن عصبة) أى جماعة أقوياء يمكننا أن ننزعه من يد الذئب فان لم
نقدر على نزعه (انا اذا لخاسرون) ما اكتسبنا من القوة ولم يمكننا حفظ مواشينا عن الذئاب
فأرسله يعقوب بعد قوله فيكيدوا لك كيدا اغترارا بمكرهم (فلما ذهبوا به) الى مكان بعيد
عنه أظهروا من العداوة ما لا يمكن التصريح به كلما ضربه واحد استغاث بآخر فضربه
المستغاث به ثم انهم هموا بقتله فنعهم يهوذا وقال أليس تم أعطيتمونى موثقا من الله أن لا
تقتلوه فتركوا (وأجمعوا) أى اتفقوا على (أن يجعلوه فى غيابت الجب) فأخذوا يوسف
وجعلوا يدلونه فيه فتعلق بشفير البئر فأخذوه فربطوا يديه الى عنقه ونزعوا قميصه فقال
يا اخوتاه ردوا على قميصى أستتر به عورتى ويكون كفنى عند موتى وأطلقوا يدى أطرد بهما
هوام الجب عنى قالوا ادع الشمس والقمر والكواكب يلبسوك الثوب ويؤنسوك فلما
ألقى فى الجب أتاه ملك فحل وثاقه وأخذ تعويذا من عنقه فيه قميص جاء به جبريل لابراهيم حين
ألقى فى النار عاريا فكان عنده فورثه اسحق ثم يعقوب فجعله فى عنق يوسف فكساه الملك اياه
وصار يؤنسه (وأوحينا اليه) قبل النبوة كمريم وأم موسى تسلية له وتقوية لقلبه (لتنبئنهم
بأمرهم هذا) حال استيلائك عليهم فهذا منة منهم عليك فى صورة محنة (وهم لا يشعرون) ان
نعلمهم هذا يؤذيهم الى محذورهم ولولا لم يكن ليصل اليه (وجاؤا أباهم) ليمكروا به بطريق
الاعتذار الموهم موته القاطع عنه متمناه لتنقطع محبته عنه ولو بعد حين فيرجع اليهم بالحب
الكلى (عشاء) لكونه وقت الظلمة المانعة من احتشامه فى الاعتذار الكذب ومن تفرسه
من وجوههم الكذب (يبكون) ليوهم تفجعهم عليه افراط محبتهم له المانعة من الجراءة
عليه (قالوا يا أبانا) نادوه باسم الاب المضاف اليهم ليرحمهم فيترك غضبه عليهم الداعى الى
تكذيبهم (انا) وان كنا عصبة وقصدنا ان لا نغفل عنه وقع لنا اتفاقا اذ (ذهبنا نستبق) أى
نتسابق فى العدو فبعدنا عنه (وتركنا يوسف عند متاعنا) اذ لم نجد سواه معتمدا عليه فانتهز
الذئب الفرصة (فأكله الذئب و) أنت وان أمنتنا عليه أولا (ما أنت بمؤمن) أى مصدق (لنا)
فى هذه القصة لكراهتك اياها فلا يزال قلبك يدفعها (ولو كنا صادقين) من الماضى الى الآن
لم يظهر من أحدنا كذب فى شئ قط (وجاؤا) لطلب تصديقه الذى رأوه كالمحال جاعلين (على

ولنسن والسلق والصلق رفع الصوت (قوله عز وجل سابغات) هى دروع واسعة طوال (قوله تعالى السرد) نسج حلق الدروع

قميصه) دم جدى ذبحوه فأتوا به ملطخا (بدم كذب) أى بدم لو نطق عرف كذبه حتى قال انه نفس الكذب اذ لم يمزقوه (قال) يعقوب ما أحلم هذا الذئب أكل ولدى ولم يمزق قميصه فلم يقع ما ذكرتم (بل سولت) أى زينت (لكم أنفسكم) من خبثها (أمرا) من تغييب يوسف وتفريقه عنى والاعتذار الكاذب (فصبر) على أفعالكم (جميل والله المستعان على) دفع (ما تصفون) عن الذئب ان يقع وعن القلوب كيلا يؤذيها ويجزعها وفيه من الفوائد ان الجاه يدعو الى الحسد كالمال وهو يمنع من المحبة الاصلية من القرابة ونحوها بل يجعل عداوتهم أشد من عداوة الاجانب وان الحسد يدعو الى المكر بالمحسود وبمن يراعيه وانه انما يكون برؤية الماكر نفسه أكمل عقلا من الممكور وان الحاسد اذا ادعى النصح والحفظ والمحبة بل أظهره فعلا لم يعتمد عليه وكذا من أظهر الامانة قولا وفعلا يفعل الخيانة وان الاذلال والاعزاز بيد الله لا الخلق وان من طلب مراده بمعصية الله بعد عنه وان المحبة وان قلت تحمى المحبوب من اهلاكه واستئصاله وان من وثق بمخلوق ضاع وان الخوف من الخلق يورث البلاء وان الانسان وان كان نبيا يخلق أولا على طبع البشرية وان اتباع الشهوات كاللعب يورث الحزن الطويل وان المقدر كائن وان الحذر لا يغنى من القدر وقيل للهدهد كيف ترى الماء تحت الارض ولا ترى الشبكة فوقها قال اذا جاء القضاء عمى البصر (و) من أثر استعانة يعقوب لدفع هلاكه فى نفسه وانتهائه الى دفع حزن قلبه (جاءت) مكان الجب بعد القاء يوسف فيه بثلاثة أيام (سيارة) أى رفقة تسير من مدين الى مصر (فأرسلوا) الى البئر (واردهم) وهو الذى يرد الماء ليستقى وكان مالك بن ذعر الخزاعى (فأدلى) أى أرسل فى الجب (دلوه) فتعلق به يوسف فلما رفع الدلو ورآه متعلقا به (قال يا بشرى) نادى البشرى مضافة اليه ليقبل اليه ولا ينصرف عنه (هذا) وان كان مشارا اليه بالحس (غلام) لا يعرف كنه محاسنه (وأسروه) أى أخفوا كونه لقيطا من البئر بكونه (بضاعة) لاهل الماء الى مصر وهى ما يبضع من المال للتجارة لئلا يطالبه سائر الرفقة بالشركة (والله عليم بما يعملون) أى اخوة يوسف مما يبطل بشراهم اذ قالوا لهم انه عبد آبق لنا منذ ثلاثة أيام واختفى بالجب وبالغوا فى ذمه والامر بتقييده وحفظه مخافة انقلابه الى أبيهم وهو ساكت مخافة أن ينتزعوه من يده ويقتلوه (و) هونوه عليهم حتى (شروه بثمن بخس) ناقص العيار (دراهم) لا دنانير (معدودة) يعرف عددها بمجرد رؤيتها عشرين أو أربعين وكان مقتضى جماله أن يزيد على عدد العادين (وكانوا) أى كل من الفريقين (فيه) أى فى حق يوسف (من الزاهدين) أما المشترون فلذم البائعين وأما البائعون فلكراهتهم أن لا يشتروه لغلاء ثمنه فيحتاجوا الى قتله ومن الفوائد ان الفرج قد يحصل من حيث لا يحتسب وانه ينتظر للشدة وان من خرج لطلب شئ قد يجد ما لم يكن فى خاطره وان الشئ الخطير قد يعرض فيه ما يهونه وان البشرى قد يعقبها الحزن والعزة قد يعقبها الذلة وبالعكس ثم أشار الى أن الذلة العارضة انما تستر العزة الذاتية عند أهل الذلة وأما أهل العزة فلا يبالون للذلة العارضة فقال (وقال الذى اشتراه من مصر) وهو العزيز

(قوله عز وجل سواء السراط) أى قصد الطريق

(قوله عز وجل سالما لرجل) أى خالصا لرجل

الذى

الذى كان على خزائن ملك مصر الوليد بن الريان واسمه قطفير أو اطفير مع اقتضاء الشراء الذلة وان كان ثمنه وزنه ذهبا ووزنه فضة و وزنه مسكا و وزنه حريرا وكان وزنه أربعمائة رطل ولم يذكره فى القرآن لانه على وفق القياس (لامرأته) راعيل بنت رعابيل أو زليخا بنت يمليخا لكونها أكمل فى التربية والحضانة (اكرمى مثواه) أى منزلته مبالغة فى اكرامه واعقد عليه فى مساكنة امرأته لما تفرس من رشده وأماناته وعلل اكرامه بأنه يرجى نفعه (عسى أن ينفعنا) فى الاستشارة والقيام بالمصالح (أو) عسى أن (نتخذه ولدا) نفوض اليه جميع أمورنا القيام مقامنا فى الحياة و بعد الممات (و) ذلك لما (كذلك مكنا) اياه فى قلبه دعاه الى تمكينه فى بيته ولم نقتصر عليه بل (كذلك مكنا) التصرفات (ليوسف فى الارض) أى جميع أرض مصر ليعرف الاشياء بالممارسة وليتمكن من تركيب الصور والمعانى وتحليلها (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) بالانتقال من الصور المحسوسة أو المتخيلة الى المعانى القائمة بصور والاخر (و) هم وان بالغوا فى تضعيفه واذلاله وتجهيله بتفويضه الى المرأة لم يمكنهم ابطال عناية الله اذ (الله غالب على أمره) يغلب الاسباب (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) غلبته على الاسباب (و) لذلك لم يؤده تربية المرأة الى الجهل والميل الى الشهوات بل (لما بلغ أشده) أى منتهى قوته بالشباب الذى تغلب فيه الشهوات الحاجبة عن الله وأحكامه وعن العالم العقلى (آتيناه حكما) أى اطلاعا على الاحكام الشرعية (وعلما) بالحقائق الالهية والكونية من غير معلم بشرى لتوجهه الينا (و) لا يختص ذلك به بل (كذلك نجزى المحسنين و) لايتائنا اياه الحكم والعلم دفع مراودة امرأة العزيز حال بلوغه منتهى الشباب فانه (راودته) أى طلبت تحويله الى مرادها اذ لا صبر لها عنه لانها (التى هو) مستقر مدة سنين (فى بيتها عن) مراد (نفسه و) رفعت عنه الموانع اذ (غلقت الابواب) السبعة (و) لم تقتصر على المراودة الفعلية بل (قالت) مع ذلك (هيت) أى هلم الى فأنا نافعة (لك) أفيض عليك الاموال وأحيلك الى زوجى وأزيدك تقريبا اليه (قال) لايتائنا اياه الحكم والعلم (معاذ الله) أى أعوذ به معاذا لكونه زنا وخيانة فيما ائتمنت عليه وضررا لمن توقع النفع واساءة الى المحسن (انه ربى أحسن مثواى) وكفى بالاساءة اليه ظلما لو تجردت فكيف اذا اجتمعت مع هذه أمور (انه لا يفلح الظالمون) سيما الجامعين وجوه الظلم (و) لم تبال باستعاذته بل والله (لقد همت به) أى قصدت اكراهه للمباشرة به (وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) أى ولولا انه رأى الدلائل الكشفية والعقلية والنقلية على ضرر الزنا والخيانة فى محل الامانة والضرر فى محل النفع والاساءة الى المحسن لقصد اكراهها على الزنا لو امتنعت عليه وكما أريناه البرهان فى ذلك (كذلك) أريناه فى كل مكروه ومحرم (لنصرف عنه السوء) أى المكروه (والفحشاء) اى المحرم (انه من عبادنا المخلصين) الذين ليس للشيطان عليهم سلطان يغلبهم حتى يلقيهم فى المكاره والمحرمات (و) لما رأى يوسف همها بالاكراه بعد رؤية البرهان قام هاربا الى الباب وتبعته حتى (استبقا الباب) فسبق يوسف فادركته فتعلقت

لا يشركه فيه أحد غيره يقال سلم الشئ لفلان اذا خلص له ويقرأ سلما وسلما لرجل وهما مصدران وصف بهما أى سلم اليه فهو سلم

بقميصه لجذبته (وقدت) اى شقت (قميصه من دبر) اى من ظهره فغلبها يوسف فخرج ونحرجت خلفه (وألفيا) اى وجدا (سيدها) اى زوجها الذى يغار عليها غيرة السيد على جاريته التى هى أحب اليه من زوجته ولا يستر عليها ستره على الحرة ولم يقل سيده ولا سيدهما لانه لا يغار عليه غيرة عظيمة بفعله من حيث هو بل من حيث فعله باهله (لدى الباب) لم يقل لديه ائلا يتوهم عود الضمير الى يوسف ولما رأته سابقت يوسف بالقول (قالت ما) اى أى شئ (جزاء من أراد بأهلك سوأ) اى أن يفعل به فعلا قبيحا ثم خافت أن يقتله مع أنها تحبه فتتكره قتله فقالت (الا أن يسجن) ثم لما استشعرت أن ذلك يشير الى حبها له سترته بقولها (أو عذاب أليم) بضرب السياط (قال) يوسف لم أفعل بها ما أستحق به أحد الامرين بل (هى راودتنى) اى أرادت تحويلى الى مرادها (عن) مراد (نفسى) ففررت منها قصد بذلك دفع التهمة عن نفسه (وشهد) لدفعها (شاهد) لم يعرف مثله شاهد اذ كان رضيعا ولو كان كبير القبل ايضا لكونه (من أهلها) ابن عمها أو خالها سيما وقد شهد بطريق الاستدلال فقال (ان كان قميصه قد من قبل) دل على انه قصدها فدفعته فوقعت يدها فى قميصه (فصدقت) فى هذه القضية (وهو من الكاذبين) فى جميع القضايا لانه لما كذب على سيدته فهو فى سائر الامور أكذب (وان كان قميصه قد من دبر) دل على انه كان هاربا فادركته لجذبت (فكذبت) فى هذه القضية (وهو من الصادقين) فى جميع القضايا لانه انما دفع مثلها القوة صدقه فلا دخل للتهمة عليه أصلا (فلما رأى) سيدها (قميصه قد من دبر قال انه) اى ان هذا القول بعد الخيانة (من كيدكن) اى من مكر النساء على الرجال (ان كيدكن عظيم) لا يقدر عليه الرجال ولا الشياطين اذ قيل فيهم ان كيد الشيطان كان ضعيفا ثم قال يا (يوسف) ناداه باسمه اذ لم يكرهه (أعرض عن هذا) الحديث كى لا يشيع ولا تتهم لفقد بان عذرك (و) لم يناديها باسمها الكراهته لها بل قال لها (استغفرى لذنبك) اذ خنت زوجك و رميت البرئ ومكرت المكر العظيم (انك كنت) قبل اكتساب هذه الامور (من الخاطئين) حتى اجترأت على هذه الكبائر (و) مع مبالغة العزيز فى منع اشاعة هذه القصة شاعت حتى (قال نسوة) مع تفرقهن (فى المدينة امرأت العزيز) مع اقتضاء عزتها التنزه (تراود فتاها) اى عبدها الشاب (عن نفسه) مع اقتضاء ذلته من عبوديته التذلل لها وهو لا يتذلل وانما انعكس الامر لانه (قد شغفها) اى ملا شغاف قلبها وهو الجلدة المحيطة بالقلب (حبا) كانه ليس تحت تلك الجلدة قلب (انا لنراها فى ضلال مبين) اى حيرة ظاهرة لا تستحى من الله ولا من الناس ولا تخافهم ولا زوجها وقد قصدت بذلك أن تريهن اياه اعتذارا فكان ذلك منهن مكرا (فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن) جواريها طالبة لهن الى بيتها لتعتذر اليهن (واعتدت) اى هيأت (لهن متكأ) اى طعاما يتكأ فيه لكونه من الفواكه (وآتت كل واحدة منهن سكينا) لقطع الفواكه

وسلم لا يعترض عليه أحد وهذا امثل ضربه الله عز وجل لاهل التوحيد ومثل الذى عبد الالهة مثل صاحب الشركاء

(وقالت) فى أثناء قطعهن لها (اخرج عليهن) ليذهلن برؤيته عن أنفسهن (فلما رأينه أكبرنه) اى وجدنه كبيرا فى باب الجمال بحيث يقيد الذهول عما سواه (و) صرن أعظم ضلالا منها اذ (قطعن أيديهن) برؤيته مرة واحدة (وقلن حاش لله) اى التنزيه لله من أن يشاركه فى كمالاته أو الاستثناء له فى نفى الحسن عما سوى يوسف لكن (ماهذا بشرا ان) اى ليس (هذا الا ملك كريم) ظهر بهذا الكمال من الجمال (قالت) امرأة العزيز ان كانت رؤيته مرة واحدة موجبة لقطع الايدى (فذلكن الذى لمتننى فيه) اى فى مراودته بعد ما كنتى اياه سنين ثم صرحت بسرها هاتكة ستر الحياء فقالت (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) اى فتحفظ ثم هددته بقولها (و) الله (لئن لم يفعل ما آمره ليسجنن و) لا أقتصر عليه بل (ليكونا من الصاغرين) وهو أشد من الضرب بالسياط وان كان الامين يستحق الاطلاق من السجن والاعزاز قيل قدعته النسوة الى مطاوعة سيدته ظاهرا والى أنفسهن باطنا حتى تحير مزيد تحير ولما علم يوسف أنه لا يلحقه الصغار لما اصطفاه الله لكن لا مانع من السجن (قال رب السجن) وان كان هذا بافى الحال (أحب الى) لاستعقابه راحة فى المآل استعقاب الدواء الكريه للشفاء (مما يدعوننى اليه) من اللذة المستعقبة للعذاب كالطعام اللذيذ المسموم ولما خاف الوقوع فيه من اغوائهن دعا الله سبحانه للتحفظ عنه بقوله (والا) اى وان لم (تصرف عنى كيدهن) وقد عجزت عن دفعه وان قدرت على دفع كيد الشيطان اذ ليس له على سلطان (أصب اليهن) اى أمل بالقلب الى ما يدعوننى اليه فانه أقل ما فيه (و) هو وان كان معفوا عنه قبل الفعل (أكن من الجاهلين) بالميل الى ترجيح الهوى على العقل والشرع فيرفع ما آتينى من الحكم والعلم (فاستجاب له ربه) فيما دعا اليه من صرف الكيد عنه (فصرف عنه كيدهن) وان لم يدفع عنه السجن اذ لم يدع فى دفعه لتعلقه بظاهره (انه هو السميع) لدعائه (العليم) بما فى صرف الكيد من تكميله وبما فى ادخاله السجن من مصالحه (ثم) اى بعد أن لم يدع يوسف ربه فى صرف السجن عنه (بدا) اى ظهر رأى (لهم) للعزيز وأهله من قولها ان هذا العبد الكنعانى فضحنى عند الناس يخبرهم انى قد راودته عن نفسه فاما أن تأذن لى أن اخرج فاعتذر اليهم أو ان تحبسه فجزموا (من بعد ما رأوا الآيات) الدالة على براءة يوسف من رؤيته هاربا وقد قميصه من دبر وشهادة الصبى وقطع النساء ايديهن (ليسجننه حتى حين) اى الى وقت انقطاع التهمة وكان سجنه سبب وصوله الى الملك الريان بن الوليد كالقائه فى الجب سبب وصوله الى مصر (و) ذلك لانه (دخل معه السجن) اى فى زمان كونه فى السجن (فتيان) اى غلامان للملك صاحبا شرابه وطعامه ضمن لهما بعض أشراف مصر مالا على أن يجعلا السم فى شرابه وطعامه فاجابا الى ذلك ثم ندم الساقى وسم الخباز فلما حضر الطعام قال الساقى لا تأكل فانه مسموم فقال الخباز لا تشرب فانه مسموم فقال للساقى اشرب به فشربه فلم يضره وقال للخباز كله فأبى فأطعم دابة فهلكت فامر الملك بحبسهما وكان يوسف عليه السلام ينشر العلم لاهل

المتشاكسين أى المختلفين العسرين وقال هل يستويان مثلا (قوله تعالى سول لهم) أى زين لهم (قوله جل وعز سكرة الموت) أى

السجن و يقول أعبر الاحلام فقال أحدهما للآخر هلم فلنجرب هذا العبد العبرانى فتراآياله
الرؤيا (قال أحدهما) وهو الساقى (انى أرانى) فى المنام على حكاية الحال الماضية كأنى
(أعصر خمرا) اى عنبا سمى باسم مايؤل اليه فى كاس الملك ليشربه (وقال الآخر) وهو
الخباز (انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا) اى أخبرنا (بتأويله) اى
بمايؤل اليه مارآه كل واحد منا احسانا منك علينا (انا نراك من المحسنين) بافاضة العلوم
وحسن المعاشرة والوعظ والعبادة فذكر أولا دلائل النبوة والتوحيد لما علم ان أحدهما
سيصلب فأراد تخليصه من النار وذكر أولا دلائل نبوته ليكون قوله حجة فى التوحيد مع
مايذكر من دلائله لذلك (قال لا يأتيكما) فى المستقبل (طعام ترزقانه) فيؤثر فيكم تأثيرا
(الا نبأتكما بتأويله) اى بما يؤل اليه من نفعه وضره فضلا عن نوعه وصنفه وقدره (قبل أن
يأتيكما) بمدة لايمكن بيانه فيها للمنجم والكاهن فتعلمان (ذلكما) البعيد عن صنعهما (مما علمنى
ربى) لا بواسطة شيطان فانه انما يتعلم بواسطته من لا يؤمن بالله واليوم الآخر (انى تركت
ملة قوم لا يؤمنون بالله) فيتخذون الشيطان الها فيظهر عليهم باخبار الغيب (وهم بالآخرة
هم كافرون) فلا يميزون بين الخير والشر الاخرويين فيصغون الى الشيطان مايقول لهم
مما يجرهم الى الشر الاخروى (واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب) المشهورين
بالكشف الكامل بلا واسطة شيطان لاختصاص فيضه بالمشرك ولكن (ما كان لنا أن
نشرك بالله من شئ) وان ظهرت منه الخوارق من اخبار الغيب وغيره (ذلك) اى الاخبار
بالغيب بدون اشراك الشيطان (من فضل الله علينا) بالنبوة (وعلى الناس) بالاهتداء
لما يحبه الله ويكرهه (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) هذه النعمة فيتبعون مايلقى
الشيطان على أوليائه مما يضلهم عن الله واليوم الآخر (ياصاحبى السجن) اخرجوا عن
سجن التقليد فى الشرك مع ظهور ركون التوحيد فضلا (أأرباب متفرقون) بحيث لايتم
لواحد منهم الغلبة والقهر (خير أم الله الواحد القهار) الذى يتم له الغلبة فى كل ماأراد
ثم أشار الى غاية قصور أربابهم فقال (ماتعبدون) مع علمكم بكونهم (من دونه الا أسماء)
اى مسميات أسماء ليس فيها معانيها اللغوية وان كنتم (سميتموها أنتم وآباؤكم) بها فتلك
التسمية ليست دليل تحقق معانيها فيها اذ (ما أنزل الله بها من سلطان) اى دليل عقلى أو نقلى
او كشفى ولم يفوض أمر العبادة الى رايكم بل (ان الحكم) أى ليس الحكم باستحقاق
العبادة (الا لله) ولم يحكم بعبادة غيره بل (أمر ألا تعبدوا الا اياه) لان العبادة غاية التذلل
فلا يستحقها الا من له غاية العظمة ولو حصلت الخوارق لبعض عبدة الاصنام فليس دينهم
مستقيما يوصل الى الله بل (ذلك) التوحيد الدال على كمال عظمة الله بحيث لايشاركه فيها
غيره هو (الدين القيم) أى المستقيم الثابت (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) به فيرى كل
من ظهر بخارق مستقيما ثم رجع الى التعبير فقال (ياصاحبى السجن) فيه اشعار بأنكما لم

اختلاط العقل لشدة الموت
(قوله تعالى للسائل والمحروم)
فالسائل الذى يسأل الناس
والمحروم العارف وهما

تسلما صرتما الى السجن الاخروى وان أسلمتما خلصتما منه ومن السجن الدنيوى (أما أحدكما) وهو الساقى (فيسقى ربه خمرا) كما رآه من غير تأويل (وأما الآخر) فبعض رؤياه يحتاج الى التأويل فالخبز ما فى رأسه ولا تسلط الطيور عليه الا بعد القتل والصلب فتترك الطير بعد الهواء ويؤول الباقى (فيصلب فتأكل الطير من رأسه) ثم قالا لم نر شيأ فقال (قضى الامر الذى فيه تستفتيان) بما جرى على لسان الانبياء وافق استفتاؤكم الواقع ام لا ثم أشار الى أن هذا وان كان سبب وصوله الى الملك لكنه لما اعتبر مجرد السبب بدون النظر الى المسبب كان سبب غيرة الحق عليه وهى وان لم تبطل السببية أخرت تأثيره (و) ذلك لانه (قال للذى ظن) أى علم بطريق تعبير الرؤيا الذى أصله ايجاب الظن (أنه ناج) من القتل والبعد من الملك (منهما) أى من صاحبى السجن وهو الساقى (اذكرنى عند ربك) أى سيدك بأنى محبوس ظلما وانى أعلم تعبير الرؤيا وأخبر عن الغيب بلا كهانة وتنجيم وانى داع الى التوحيد ومقيم للدين القيم التفت اليه والى اعانته والى الملك وتخليصه من السجن (فأنساه الشيطان) وان لم يكن له عليه سلطان لكن جعل له دخل بما التفت اليه (ذكر ربه) ان يستعين به بذاته أو باعتبار ظهوره فى الاسباب فغار عليه ربه فأنسى الساقى ان يذكره عند ربه الا بعد مدة وأنسى العزيز ان يخرجه من السجن بعد مضى زمن التهمة (فلبث فى السجن بضع سنين) ما بين الثلاث الى السبع أو التسع أو العشر والاكثر ان المراد السبع مع خمس مضت ولم ينص على عدد لان الابهام أشد فى ايهام الطول (و) لما تمت المدة ظهر أثر السبب بضميمة سبب آخر وهو رؤيا الملك حيث (قال الملك) الريان بن الوليد (انى أرى) فى المنام (سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) فجمع السحرة والكهنة وقال لهم (يا أيها الملأ) أى الاشراف (أفتونى) أى أجيبونى (فى) تعبير (رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون) أى ان صدقتم فى دعوى العلم بكيفية العبور من الصور المتخيلة للمعانى المكشوفة الى الصور الحسية لها (قالوا) امثال هذه الرؤيا (أضغاث أحلام) أى منامات خلط فيها الخيال الصور فلا يدرك المعنى المكشوف منها (و) نحن وان كنا علماء التأويل (ما نحن بتأويل) جميع (الاحلام بعالمين) وانما نعلم تأويل الاحلام الصادقة وهذا التعجيز من الله الهام ليراجع يوسف فيكون سبب خلاصه وارتفاع حاله (و) ذلك انه (قال) الساقى (الذى) جرب تأويله وانتفع به لانه الذى (نجا منهما) أى من صاحبى السجن وكان حقه ان يسعى فى تخليصه يوم نجاته ولكن أنساه الله (وادكر بعد أمة) أى جماعة من السنين (أنا أنبئكم بتأويله) أى أخبركم بعالم تأويله وان لم يعلم هؤلاء تعبيره ولا من يعلمه وكذلك لا تعلمونه لو وصفته لكم لرثاثة حاله من بقائه فى السجن هذه المدة (فأرسلون) الى مكانه لاريكم اياه فجاء فقال يا (يوسف) ناداه باسمه للعلم ليزداد تمييزا ولما كانت حاله مع ذلك توجب نكارته قال (أيها الصديق) فميزه بوصف الصديقية

واحد دلان المحروم الذى قد حرم الرزق فلا يتأتى له والحارف الذى قد حارفه الكسب أى انحرف عنه

اصدق أقواله وأفعاله سواء صدق سؤال السائل أم لا ونبه ان فضله بالصديقية لا يضمحل برثاثة حاله حتى ينتكر وراعى الرسول عبارة المرسل فقال (أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى) أورد لفظ الترجى لاحتمال الموت فى الوسط (أرجع الى الناس) بالرجوع الى الملك (لعلهم يعلمون) تأويل هذه الرؤيا فيدبرون الامر بمقتضاها وان قدرك فوق قدر الكهنة والمنجمين فجعل يوسف عليه السلام البقرات السمان حيوانات سنى الخصب والعجاف حيوانات سنى الجدب والسنابل زراعاتهما لذلك (قال تزرعون سبع سنين دأبا) على عادة مستمرة فى الخصب ثم علمهم التدبير فى اثناء التعبير بقوله (فما حصدتم) مبقين له (فذروه) أى اتركوه (فى سنبله) لئلا يقع فيه السوس (الا قليلا مما تأكلون) فأخرجوه من سنبله (ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد) يشتد فيها القحط بحيث (يأكلن) أى يأكل أهلها (ما قدمتم لهن) حفظه فى السنابل (الا قليلا مما تحصنون) أى تحرزونه للبذر فهذا تأويل رؤياه مع الاشارة الى التدبير (ثم يأتى من بعد ذلك) أى بعد عام سنى القحط (عام فيه يغاث الناس) بكثرة الغيث بتحصيل الطعام (وفيه يعصرون) العنب والزيتون والسمسم تحصيلا للادام وقبل ذلك كان بحيث لو حصل الطعام لم يحصل الادام (و) لما رجع الساقى الى الملك بالتعبير (قال الملك ائتونى به) فارسلوا اليه من يطلبه (فلما جاءه الرسول قال) لا ينبغى ان يرانى الملك قبل براءتى (ارجع الى ربك) الذى حقه ان يرانى بعين الكمال ابريئى (فاسئله) هل عرف (ما بال) أى ما وقع فى قلوب (النسوة اللاتى قطعن أيديهن) فدعاهن مزيد شغفهن الى مزيد الكيد (ان ربى بكيدهن) الذى هو أشد من كيد الشيطان (عليم) فلما رجع الرسول الى الملك قرر له ذلك فدعاهن وسألهن (قال ما خطبكن) أى شأنكن فى معرفة حال يوسف (اذ راودتن يوسف عن نفسه) هل مال الى سيدته أو الى أحدا كن (قلن حاش لله) أى الاستثناء له من ان يكون لغير يوسف طهارته أو التنزيه لله عن ان يعجز عن خلق مثل هذا الكامل فى الطهارة (ما علمنا عليه من سوء) أى خيانة بعد المبالغة فى مراودته عن نفسه (قالت امرأت العزيز) على خلاف مقتضى عزتها (الآن) أى حين شهادتهن عند الملك (حصحص الحق) أى ظهر ظهورا تاما بحيث لا وجه للانكار معه (أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) أى مستقر على الصدق فى قوله هى راودتنى قال يوسف (ذلك) الهتك منى لها عند الملك (ليعلم) الملك (أنى لم أخنه) أى سيدى فى أهله (بالغيب) أى فى غيبته بل بقيت فى غيبته كما أكون فى شهادته (و) يعلم (أن الله لا يهدى كيد الخائنين) ليفيدهم النجاة عن الفضائح وان بالغوا فى دفعها بانواع الكيد فالتهمة باقية عليهم بخلاف الامناء فان تهمتهم مرفوعة لا محالة (وما أبرئ نفسى) من خواطر السوء وان لم أقصد امضاءها (ان النفس) ولو من نبى أو ولى (لأمارة بالسوء) فى كل

(قوله عز وجل السقف المرفوع) يعنى السماء (قوله تعالى ذكره سامدون) لاهون والسامد على

وقت (الا) وقت (مارحم ربى) فانها تصير حينئذ مطمئنة لان الله تعالى ينتزع عليها طبعها بما يرحمها من افاضة نور الطمأنينة عليها (ان ربى غفور رحيم وقال الملك) عند ما تحققت عنده براءته من السوء وفضله فى تعبير الرؤيا على من عنده (ائتونى به أستخلصه لنفسى) أى اجعله خالصا لنفسى ليس فيه حق الغير وان كان قبله عبد الوزير وهو فى حكم عبد الامير فأتى به وكلمه الملك (فلما كلمه) الملك علم استحقاقه لاعلى المناصب وقد علم أمانته من قبل (قال انك اليوم) وان لم أعرفك قبله (لدينا) أى فى مكان القرب منا (مكين) أى متمكن لانك (أمين) لانخاف منك الخيانة فى الاهل والمال والجهل والتقصير ولما علم اعتماد الملك عليه ورأى فى عماله الخيانة والجهل (قال اجعلنى على خزائن الارض) أى جميع خزائن أرض مصر وكانت له خزائن كثيرة (انى حفيظ) لها (عليم) بوجوه التصرف فيها فسلمها ليوسف وجعل أمره نافذ فى جميع مملكته وعزل قطفير فهلك بعد ليال وزوجه امرأته فولدت له أفرايم وميشا (وكذلك) كما مكنا ليوسف فى خزائن الملك (مكنا ليوسف فى الارض) أى فى املاك سائر الناس حتى انه (يتبوأ منها حيث يشاء) من غير كراهة لاهلها عليه لاتفاقهم على محبته وايثارهم اياه على أنفسهم وذلك من رحمة الله (نصيب برحمتنا من نشاء) وذلك لاحسانه اليهم فهذه المحبة من أجر الاحسان (ولا نضيع أجر المحسنين) وليس هذا تمام الاجر بل هو أجر دنيوى (ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا) فاحسنوا طلب الاجر (وكانوا يتقون) ان يطلبوا بعملهم أجر الدنيا والانبياء أولى بذلك (و) لغاية احسانه أحسن الى من أساء اليه فانه (جاء) فى سنى القحط لعموم قرى مصر والشام (اخوة يوسف) الذين أساؤا اليه (فدخلوا عليه) اذ احوجهم الله اليه فأمكنه منهم (فعرفهم) فى الحال وان تغيرت الهيئة لقوة الفراسة ولم يعرفهم انهم اخوته لئلا يخافوه (وهم) مع تكرر دخولهم عليه ومكالمتهم معه (له منكرون) أى مستمرون على عدم معرفته لتغير الهيئة وتزييه بزى الملوك فلم يخافوه وكيف وقد جرى معهم مجرى من أحسن اليه فأحسن نزلهم وأعطى كل واحد منهم حمل بعير من طعام (ولما جهزهم) أى سيرهم (بجهازهم) أى بعدة سفرهم من غير نقص فيهم وان قال لهم لعلكم جئتم تنظرون عورة بلادى قالوا ما نحن بجواسيس انما نحن بنو أب واحد شيخ كبير صديق يقال له يعقوب نبى من الانبياء قال كم أنتم قالوا كنا اثنى عشر فذهب أحدنا الى البرية فهلك قال فأين الآخر قالوا هو عند أبينا لانه أخو من هلك يتسلى به عن أخيه الذى كان أحب اليه منا قال فمن يعلم بذلك قالوا انا بلاد غربة (قال ائتونى بأخ لكم) بالغ فى تنكيره ايماء الى انهم كالمنكرين لاخوته لكونه (من أبيكم) فيسهل عليكم الاتيان به فان قررتم مثل ما قررتم صدقتكم وأعطيتكم مرة أخرى أكثر من هذه المرة وأحسن بذلك أكثر منها (ألا ترون أنى أوفى الكيل) وان نقص الثمن (وأنا خير المنزلين) مع احتمال كونكم جواسيس فكيف اذا

خمسة أوجه السامد
اللاهى والسامد المغنى
والسامد الهائم والسامد
الساكت والسامد

زال الاحتمال (فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى) لتحقق كونكم جواسيس فان لم أفعل بكم ما يفعل بالجواسيس فلا أقل من منع الكيل (ولا تقربون) اذ اخاف من تقريبكم الى فكيف أحسن نزلكم حينئذ (قالوا سنراود) أى سنخادع (عنه أباه و) هو وان لم يخدع بخداع (انا لفاعلون) وجوها من الخداع حتى يخدع (وقال) ترغيبا لهم ولابيهم فى ارسال الاخ (لفتيانه) أى عماله (اجعلوا بضاعتهم) وكانت نعالا وأدما (فى رحالهم) من غير ان يشعروا بذلك حتى انهم لا يشعرون بها فى الطريق ليرجعوا من اثنائها كراهة الجمع بين الثمن والمثمن بل (لعلهم يعرفونها) أى يعرفون وجه جعلها فى رحالهم (اذا انقلبوا الى أهلهم) عند فتح الرحال لا قبل ذلك وان ثقلت وانتفخت على خرق العادة لئلا يكون داعيا لهم الى الرجوع من اثناء الطريق (لعلهم يرجعون) الى لردها ولو زيتهم مزيد احسانى اليهم فيكون لهم داعيا الى الاتيان بأخيهم من أبيهم اذ لا فائدة للرجوع الى بدون ذلك (فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا) نادوه باسم الاب المضاف الى جميعهم ليترحم على الكل فيسمع ما اتفقوا عليه قدمنا على خير رجل قأ كرمنا كرامة لا يكرم مثلها من كان من أولاد يعقوب وأعطى كل نفس حمل بعير ولكن لما جهزنا أعلمنا بأنا عيون لذلك (منع منا الكيل) فى المستقبل ما لم نأته بأخينا ليقرر مثل تقريرنا فيعرف من ذلك صدقنا (فأرسل معنا أخانا نكتل) أى نأخذ الكيل له ولنا فى كل مرة (وانا له لحافظون) أى مستمرون على حفظه فى المرات كلها (قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل) أى هل يكون عاقبة أمنى اياكم على بنيامين الا مثل عاقبة أمنى اياكم على يوسف فلو كنت آمن فيه أحدا فهو الله (فالله خير حافظا) لقدرته على حفظه من جميع المكاره (و) لا مانع له من الحفظ اذ (هو أرحم الراحمين) فتغلب رحمته غضبه (و) لم يسكتوا على ذلك بل (لما فتحوا) رحالهم التى جعلوا فيها (متاعهم وجدوا بضاعتهم) التى جعلوها ثمن متاعهم (ردت اليهم) اذ ردها يوسف عليهم مع متاعهم (قالوا يا أبانا) غلبت شفقته علينا على شفقتك (ما نبغى) أى أى شئ نطلب وراء هذا الاحسان (هذه بضاعتنا) حصلت لنا مع الطعام اذ (ردت الينا ونمير) أى نحمل الطعام فى كل مرة فنعطيه (أهلنا) من غير الثمن (ونحفظ أخانا) لتحصيل الطعام فى كل مرة ان لم نحفظه لامر آخر (ونزداد) بسببه (كيل بعير) اذ جعل لكل نفس حمل بعير فلو لم ترسله فالذى يعطينا (ذلك كيل يسير) لا يكفينا الا نفسنا فكيف يكفى معه (قال) انه وان ضاق الامر علينا وعليكم (لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا) أى عهدا وثيقا صادرا (من) القلب الناظر الى (الله لتأتننى به) فى كل وقت (الا) وقت (أن يحاط بكم) أى تصيروا مغلوبين من كل وجه فوا ثقوه بذلك (فلما آتوه موثقهم) لم يعتمد عليهم بل (قال) أبوهم (الله على) اتمام (ما نقول وكيل و) مع توكله على الله لم ير تعطيل الاسباب وان لم تؤثر أصلا ولم تجر السنة الالهية بالفعل معها ولو نادرا لذلك (قال يا بنى) مقتضى توكلى ان لا اترك تعطيل الاسباب وان لم تؤثر أصلا ولم تجر

السنة

(قوله عز وجل سائحات) اى صائمات والسياحة فى هذه الامة الصوم (قوله عز المنزين الخاشع

السنة الالهية بالفعل معها غالبا (لاتدخلوا) مصر (من باب واحد) ولو على نهج التعاقب لانه حصل لكم شهرة تقتضى اجتماع الناس لرؤيتكم فتزدادون لها تجملا فأخاف عليكم العين واخاف عليكم التكبر والخيلاء فيهلك امادنياكم أودينكم (وادخلوا من ابواب متفرقة) وان كان موهما للتفرقة بينكم فانما نخاف من التفرقة الدينية لاغير (وما اغنى عنكم) اى لا ادفع بذلك (من الله من شئ) من الاهلاك الدينى أو الدنيوى مما يتعلق بهذه الاسباب أو بغيرها اذ لاحكم لى يعارض حكمه (ان الحكم الا لله) وغاية مايحتال معه التوكل عليه لذلك (عليه توكلت) فى دفع الهلاك الدينى والدنيوى عنكم (وعليه فليتوكل المتوكلون) لاعلى الحيل والاسباب فلا يلتفتوا اليها من حيث ان لها أثرا اذ ليس لها ذلك (و) الله تعالى وان جرت سنته بالفعل عندها الا بدونها باق على مشيئته فله ان يفعل بدونها اوعلى خلاف مقتضاها لذلك (لما دخلوا من حيث امرهم ابوهم) من الدخول من الابواب المتفرقة (ما كان) امتثالهم امره (يغنى عنهم من الله من شئ) وان فروا عن أسباب الاهلاك مع التوكل على الله بل لم يفدهم شيأ (الا حاجة فى نفس يعقوب) أى اعتقاده من ان الفرار من أسباب الهلاك واجب وكان تبليغ ذلك واجبا عليه فهو بأمره اياهم بها (قضاها) لان ذلك مقتضى علمه بوجوبها وعلمه بفعل الله عندها ولو نادرا سيما فى حق المتوكل عليه (وانه لذو علم) كامل لادخل للكسب فيه فانما حصل له (لما علمناه) فهو محترز عن أسباب الهلاك مع علمه بعدم تأثيرها المالم من فعل الله عندها ولو نادرا فالاحتراز عن الهلاك النادر واجب كالغالب (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فيتوهمون انه اعتبر تأثير الاسباب وناقض بذلك توكله (و) هذا الامتثال وان كان لم يغن عنهم من الله من شئ افادهم رفعة المنزلة عند أنبيائه وخلفائه المستلزمة للرفعة عند الله لذلك (لما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه) فارتفع وارتفعت اخوته بتبعيته اذ أجلسه على مائدته حين اجلس كل اثنين على مائدة فبقى وحده يبكى على أخيه ثم أنزله بيته حين انزل كل اثنين بيتا وقال له أتحب ان أكون أخاك بدل أخيك قال ومن يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل (قال انى أنا اخوك) فازداد ارتفاعهم ثم رفع مايتوهم معارضة رفعتهم من قصده السوء بهم لاساءتهم به فقال انى عامل بمقتضى الاخوة معك ومعهم (فلا تبتئس) أى فلا تحزن من خوف الخزى على مجازاتهم (بما كانوا يعملون) فان اعمالهم التى بلغتنا هذه الرفعة فلا يكون جزاؤهم سوى الرفع الى أعلى المراتب وهو وان أمنه واخوته من الخزى أوقعه واياهم فيه بمشورته اذ قال ليوسف لا افارقك قال لايتأتى ذلك الا بعد ان أشهرك بأمر فظيع لا تحتمله قال لا ابالى (فلما جهزهم بجهازهم) أى سيرهم بعدة سفرهم بحيث لم يبق منها شئ يرجعون اليه لاجله (جعل) لاسترجاعهم وامساك أخيه (السقاية) أى مشربة الملك من ذهب مرصع بالجواهر جعلت صاعا يكال به الطعام اعزازا له (فى رحل أخيه) أى جملة متاعه (ثم) بعد ماساروا منزلا (اذن مؤذن) أى نادى منادى نكره اذ لاغرض فى تعريفه وذكره لئلا

وجل سنسمه على الخرطوم أى سنجعل له سمة أهل النار أى نسود وجهه وان كان الخرطوم وهو الانف قد خص بالسمة فانه فى مذهب

يتوهم عوده الى يوسف (أيتها العير) أى يا راكبي الابل أو الحمير التى تعير أى تجيء وتذهب (انكم لسارقون) أى ان فيكم سارقا يسرى خزيه جميع من فى صحبته واقاربه كانهم سارقون وهو من المعاريض لانهم سرقوا يوسف حين القوه فى البئر وباعوه (قالوا و) لم يكن قولهم حال ادبارهم على قصد ان يفروا بل قد (أقبلوا عليهم) اى على المؤذن واصحابه وان كان هو واصحابه بحيث لا يقاومونهم سائلين لهم (ماذا تفقدون) من الشئ العظيم الذى تنسب سرقته الى أمثالنا (قالوا نفقد صواع الملك) فانه وان كان هينا بكونه صواعا عظم لنسبته الى الملك مع انه كان سقايته من ذهب مرصع بالجواهر (و) لعظمته الجعل (لمن جاء به حمل بعير) من الطعام فى ايام الغلاء (و) هو وان كان على الملك يعسر مطالبته (انا به زعيم) اى ضامن (قالوا تالله) قسم فيه معنى التعجب (لقد علمتم) مما لاح لكم من دلائل صلاحنا وامانتنا الموجبة تعظيمكم ايانا (ماجئنا لنفسد فى الارض) بوجه من الوجوه (و) على الخصوص (ما كنا سارقين) فى زمن من الازمنة (قالوا) اى المؤذن واصحابه ان كان فيكم السارق (فما جزاؤه) بل فما جزاء كذبكم (ان كنتم كاذبين) فى دعوى البراءة (قالوا جزاؤه) اى جزاء السارق وهو (من وجد فى رحله) وان زعم انه اعطاه غيره أو دسه فى رحله من غير شعور منه (فهو) أى استرقاقه سنة (جزاؤه) كانه صار جزاء نفسه وذلك لانه لا يختص هذا بالسارق الحقيقى بل (كذلك نجزى الظالمين) فاخذ المؤذن فى التفتيش (فبدأ بأوعيتهم) أى بتفتيش أوعية غيره حتى فتشها جميعا (قبل) تفتيش (وعاء أخيه) اذ لو بدأ به لقيل انه الذى أدرجها فيه (ثم استخرجها من وعاء أخيه) وان كان فيه خزيه من اضافته اليه وليس هذا كيدا مذموما لانه (كذلك) اى مثل ما كاد يوسف لامساك أخيه كاد اخوة يوسف لتغييبه وان كان نافعا له بحيث يترتب المنافع قال (كدنا ليوسف) اذ القاه اخوته فى الجب وباعوه وجعلته امرأة العزيز فى السجن وانما ترك فى حق اخيه قاعدة الملك تضمين السارق مثلى ما سرق لانه (ما كان ليأخذ اخاه) بحيث لا يفارقه اصلا لو عامله بها (فى دين الملك) كيف وفيه تسوية بينه وبين سائر الناس فلا يفعله (الا ان يشاء الله) التسوية بينهم لكن (نرفع درجات من نشاء) فنميزه من سائر الناس ولو بالتشديد على نفسه ومزيد الخزى فى حقه باسترقاقه سنة وانما أراد رفع درجة أخيه بهذا التميز لما رفع الله درجته بالعلم وقد علم ان الحر يستحق من الحد والتعزير فوق ما يستحقه العبد وهذا بحسب ظاهره مانسب اليه من السرقة وبحسب الباطن قصدا مساكه لمزيد التلطف به وهذا من مزيد علمه به (وفوق كل ذى علم عليم) مالم ينته الامر الى الله الذى لا يتنكر علمه (قالوا) لرفع الخزى عن أنفسهم (ان يسرق) بنيامين اورد لفظ الشك لاحتمال دسها فى رحله من غير شعور منه كما فعل ببضاعتهم فليست هذه السرقة مما أخذها منا حتى يلحقنا الخزى بل من أخيه الهالك (فقد سرق اخ له) نكروه تحقيرا له بكونه نكرة لا يتعرف وسرقته صباه وطعام المائدة للفقراء (من قبل) فتعلمها منه (فأسرها) اى تلك الكلمة المراد بها (يوسف فى نفسه) فانه هو

الوجه لان بعض الوجه يؤدى عن بعض (قوله سبحانه) سها طو يلا اى متصرفا فيما تريد بقول لك فى النهار ما تقضى حوائجك

(ولم يبدها) أى لم يظهرها (لهم) لا قولا ولا فعلا وان (قال) لهم (أنتم شر مكانا) أى مرتبة فى السرقة لانه قصد بها الخير وانتم قصدتم بسرقة يوسف الشر وان افضى الى الخير (والله اعلم بما تصفون) به انفسكم من البراءة هل حصلت بعد ذلك ام لا ثم لما أيسوا له الخلاص من الخزى بقوله انتم شر مكانا احتالوا القطعه ولم ينقلع من اصله حتى (قالوا يا أيها العزيز) مقتضى عزتك ان يستوى عندك امساكه واطلاقه مع ان الاولى أطلاقه لما فيه من رعاية أبيه الذى هو أولى بالرعاية من السياسة (ان له أبا) كانه يختص ابوته به لمزيد شفقته عليه وكيف لا يكون اولى بالرعاية مع كونه (شيخا كبيرا) فى العلم والديانة فان راعيت مع ذلك السياسة (فخذ أحدنا) بدله لتجعله (مكانه) وكأنه لما لم يسع المكان الواحد اثنين كان محل تبدلهما فاطاق على تبدلهما وليس اخذه ظلما عليه لانه لما كان برضاه وشفاعة الباقين لمزيد اعتناء أبيه كان به احسانا على الباقين وعلى ابيهم (أنا نراك) بهذا الفعل (من المحسنين قال) كيف اكون محسنا بترك حد الله على السارق ونقله الى البرىء بل التزمت (معاذ الله) اى موضع الاستجارة منه من (ان نأخذ) فى جزاء السرقة الذى هو حدها احدا (الا من وجدنا متاعنا عنده) فانه وان لم يكن دليلا قطعيا على سرقته يجب العمل بها لافادته الظن بحيث يكون تارك العمل به ظالما (انا اذا لظالمون) ولم يزالوا يطلبونه بحيل حتى أيسوا كانهم طلبوا اليأس منه (فلما استيأسوا منه خلصوا) من توهم تخليصهم منه حال كون كل واحد منهم (نجيا) اى مشيرا الى صاحبه فى خلاص نفسه عن لوم ابيه (قال كبيرهم) فى العقل لا خلاص من لوم الاب (ألم تعلموا ان أباكم قد أخذ عليكم موثقا) اى عهدا وثيقا صادرا (من) القلب الناظر الى (الله و) لم تعلموا ما حدث منكم عليه فاللوم مستمر (من قبل) وهو (ما فرطتم) أى قصرتم (فى) ايصال (يوسف) الى ابيكم بعدما استأمنكم (فلن أبرح الارض) اى لن أفارق أرض مصر (حتى يأذن لى أبى) بمفارقتها فيترك الميثاق (أو يحكم الله لى) بتخليص اخى (وهو خير الحاكمين) فى التخليص من الحبس ولكن ملازمة الجميع بأرض مصر أشد على أبيكم (ارجعوا الى ابيكم) تخفيفا للامر عليه مع الاكتفاء بوفاء كبيركم بميثاقه (فقولوا يا أبانا) لا تغضب علينا ان لم تنظر الينا بعين المحبة لم تنقض ميثاقك فى اتيان ابنك بل لم يمكننا اتيانه لان العزيز أخذه (ان ابنك سرق) صواع الملك فامسكه العزيز وما لنا معه قوة ولا حيلة (وما شهدنا) على ابنك بالسرقة (الا بما علمنا) من رؤية اخراج الصواع من رحله (و) نحن وان الزمنا حفظه (ما كنا للغيب) أى لما غاب عنا من سرقته (حافظين واسئل القرية) أى أهلها (التى كنا فيها) بارسال من يعتمد عليه اليها فانها مشتهرة فيها (و) ان لم يمكنك الارسال اليها اسأل (العير) أى ركبها (التى أقبلنا فيها) فانهم سمعوا أهل تلك القرية (و) لو لم تسأل ظهر لك أيضا صدقنا (انا لصادقون) لملازمة بعض الاخوة تلك الارض وفاء لميثاقك (قال) ما أصاب بتلك السرقة (بل) باظهاركم حكم الاصابة فى

وقرئت سحا بالخاء المعجمة اى سعة يقال سخى قطنك أى وسعه ونفشه والتسبيح التخفيف ايضا

ديننا اذ (سولت لكم أنفسكم أمرا) بأن لكم دينا أكمل من دين الملك فأظهرتموه لمن لم يلتزمه ليضركم فاذا وقع مثله (فصبر جميل) فكيف لا يحمل مع ان الامر اذا بلغ غاية الشدة يرجى الفرج والصبر مفتاح الفرج (عسى الله ان يأتيني بهم) أي يوسف وأخيه والابن الكبير (جميعا) فيذهب احزانهم بمرة واحدة (انه هو العليم) بحالي وحالهم (الحكيم) في تشديد الامر لينظر مقدار الصبر فيفيض بقدره الاجر ومن الاجر المعجل تعجيل الفرج فعل يوسف هذه الامور مع ما فيها في الظاهر من العقوق وقطع الرحم لكنه نظر الى العواقب الباطنة وقد قصد بايقاع الحزن على اخوته تخفيف عتاب الله عنهم بعد عفوه (و) لما اختار الصبر (تولى) أي أعرض (عنهم) لان مقاولتهم ربما اوقعه في الشكوى اليهم (و) لكن ذهب بذلك تسليته حتى (قال يا اسفى) وهو شدة الحزن والحسرة ناداه لكونه كالطالب لذهاب تسليته (على يوسف) ولم يلتفت الى اخويه لعلمه بحالهما دونه (و) قد بلغ أسفه الى حيث (ابيضت عيناه) بذهاب سوادهما من خروج الماء الذي به السواد والبصر (من الحزن) السابق على التولي واللاحق وكان لا يبصر ست سنين من الحزن السابق فاذا انضم هذا الاسف الى ذلك الحزن (فهو كظيم) اى ممتلئ من الحزن بحيث ضاق عليه النفس (قالوا تالله) تعجبا من دعواك الصبر مع انك لا (تفتؤ) اى لا تزال (تذكر يوسف) باللسان والقلب فتزداد أسفا عليه (حتى تكون حرضا) اى دنف الجسم مخبول العقل (او تكون) ميتا (من الهالكين) بالكلية (قال) هذا الحزن والذكر لا ينافي الصبر لانه ترك الشكوى الى الخلق وانا (انما أشكو بثي) ما انتشر على اللسان من صعوبة الحزن الذي لا يمكن اخفاؤه (وحزني) الذي اخفيته (الى الله) ليزيل عني الشكوى ويرحمني (واعلم من الله) لمن شكا اليه من ازالة الشكوى ومزيد الرحمة (ما لا تعلمون) مما يوجب حسن الظن به وهو مع ظن عبده به فليس ذكري ليوسف لأن أكون حرضا أو هالكا ولما علم من شدة البلاء مع الصبر قرب الفرج قوي رجاؤهم فقال لهم (يا بني اذهبوا) لطلب يوسف وأخيه (فتحسسوا من يوسف وأخيه) أي اطلبوا بحس السمع قصتهما وبحس البصر مكانهما وبحس الشم روائحهما وفي الحاق الاخ بيوسف اشارة الى تقوية رجائهم من كونهما عند الله سواء (ولا تيأسوا) ببعد امد يوسف والجهل بمكانه (من روح الله) اى رحمته المريحة من الشدة (انه لا ييأس من روح الله) لم يقل منه ليشير الى ظهوره وحصوله لمن لم ييأس ولم يقل من روحه ليدل على انه مقتضى جمعيته (الا القوم الكافرون) بقدرته على افاضة الروح بعد مضي مدة في الشدة وسنته في افاضة اليسر مع العسر سيما في حق من أحسن الظن به ثم ان أباهم وان أرسلهم للتحسس من يوسف وأخيه لم يذهبوا لذلك بل انما ذهبوا لطلب الطعام (فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز) مقتضى عزتك اعزاز الواردين عليك سيما من ذل من اعزتهم ومن ذلنا انه قد (مسنا وأهلنا الضر) أي الشدة والفقر والجوع (و) يدل عليه بضاعتنا اذ (جئنا ببضاعة مزجاة) يدفعها السوق لرداءتها قيل

يقال اللهم سبّخ عنه الحمى اى خفف (قوله عز وجل) سأرهقه صعودا اى سأغشيه مشقة من العذاب

كانت

كانت صوفا وأقطا وقيل سويق المقل وقيل الادام النعال قيل خلق الغرائر والحبال
وقيل حبة الخضراء فاذا تحقق ذلتنا بفقرنا مع عزتك وغناك (فأوف لنا الكيل) توفيتك
لاهل البضاعة المرغوبة (وتصدق علينا) باعطاء الطعام في مقابلة ما لا يعد عوضا (ان الله
يجزي المتصدقين) فيعطيهم في الآخرة ما هو خير من العوض الدنيوي (قال) يوسف
تريدون دفع الضرر العاجل بوعد الاجر الآجل ولا تدفعون عن أنفسكم الضرر الآجل
كأنكم تذكرونه (هل علمتم) ضرر (ما فعلتم بيوسف) من القائه في الجب وبيعه بثمن
بخس وغيرهما (وأخيه) من التفريق بينه وبين أخيه وايذائه كلما ذكر أخاه (اذ أنتم
جاهلون) بضرر تلك الافعال في الدارين (قالوا) هذا لا يعلمه الا يوسف أو من سمع منه
لكن رؤياه تقتضي انه هو (أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف) الذي فعلتم به ما فعلتم
مع ما تشاهدون من افعالي بكم (وهذا) الذي توهمتم اني أمسكته استرقاقا (أخي)
أمسكته محبة لفصل مقصود يعقوب من الامر بالتحسيس وان لم تقصدوه (قد من الله
علينا) على بالسلامة من غوائلكم وبالجمع بيني وبين أخي واعطاء العلم والملك وعليكم
بتبديل قصدكم الشر الى الخير لكن منته علي أعظم من منته عليكم اذ وقاني من الزنا
وصبرني على السجن بتركه حتى صرت محسنا مستحقا لهذا الاجر الدنيوي مع أجر الآخرة
(انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين قالوا) من افراط تعجبهم بحاله (تالله لقد
آثرك الله) أي اختارك (علينا) اذ أعطاك التقوى والصبر والعلم والملك حتى تذللنا لك
بعد اذلالنا اياك وكفى بذلك أجرا دنيويا والاعلى الاخروي (وان كنا) أي وانا كنا في اذلالنا
اياك (لخاطئين) اذ أوصلناك الى غاية العزة وبقي الاثم علينا وكفى به دليلا على ايثارك علينا
(قال لا تثريب) أي لا تعيير ولا توبيخ ولا تقريع (عليكم اليوم) وان كنتم ملومين قبل
ظهور منتهى فعلكم ولا اثم عليكم اذ (يغفر الله لكم) حقي لرضاي عنكم (و) حقه اذ (هو
أرحم الراحمين) فكأنه لا خطأ منكم على ان ايثار الله اياي موجب لرحمته عليكم كما انه
يرحم أبي بوصول قميصي اليه فيرد عليه بصره (اذهبوا) أمر الجميع بطريق فرض الكفاية
الساقط بفعل البعض (بقميصي) الذي يحصل رائحتي ونوري (هذا) الذي جاء به جبريل
من الجنة فيه روحها ونورها الى ابراهيم حين ألقي في النار ليقيه حرها وكان من خواصه
انه اذا ألقي على مريض شفي (فألقوه على وجه أبي) ليتروح ويستنير بما فيه من روحي
ونوري مع روح الجنة ونورها (يأت) أي يأتني (بصيرا) يحصل له من النور المعنوي النور
الحسي (و) لا تفرقوا بينه وبين سائر أهله لينقص ذلك من بصره شيئا بل (أتوني بأهلكم
أجمعين ولما فصلت العير) أي ولما قطعت الركب عريش مصر (قال أبوهم) لاشتياقه
الى لقاء أولاده سيما يوسف وانتظاره لروح الله (اني لأجد ريح يوسف) حملته ريح الصبا
من مسيرة ثمانين يوما أي يظهر لكم (لولا أن تفندون) أي تنسبوني الى الخرف وضعف
الرأي (قالوا تالله) لا ريح ههنا لكن لافراط حبك يوسف تخيل ريحه (انك لفي ضلالك

والصعود العقبة الشاقة
(قوله عز وجل سلككم
في سقر) أي أدخلكم فيها
(قوله عز وجل سلسبيلا)
أي سلسة لينة سائغة (قوله

أى تحيرك (القديم) ولم يزل يستزيد وجايته قوى به قوى رأسه الى حين وصول حامل القميص (فلما) ثم استرواحه (أن جاء البشير) أى المخبر بما يسره من أمر يوسف وهو يهوذا ليفرحه بدل ما أحزنه بمجىء قميصه بدم كذب وانه أكله الذئب (ألقاه على وجهه) المستروح به ليصل اليه نوره بعد ما وصل اليه روحه (فارتد بصيرا) بما ذكرنا (قال) للقائلين انك لفى ضلالك القديم (ألم أقل لكم انى أعلم من الله) من قدرته على ايصال الروح ورد البصر المعدوم الدال على رد الغائب بطريق الاولى ورحمته وروحه (مالا تعلمون) وقد وجدت مقدمة ذلك فكذبتمونى ونسبتمونى الى الخرف وضعف الرأى (قالوا يا أبانا) انا أخطأنا بنسبة الضلال القديم اليك وبما فعلنا فى يوسف لكنا نعلم انك تعفو عنا ولكن لا يذهب بذلك حق الله (استغفر) الله (لنا ذنوبنا) التى بيننا وبينه (انا كنا خاطئين) فيها وان أدت الى الخير (قال سوف أستغفر لكم ربى) وقت السحر وقيل ليلة الجمعة وكان يستغفر لهم كل ليلة جمعة سبعا وعشرين سنة وقيل سحر ليلة الجمعة ليلة عاشوراء (انه هو الغفور) لمثل هذه الكبائر (الرحيم) بأربابها وصرحوا بالذنوب دون الله لمزيد اهتمامهم بها كأنهم لا يرون الله جامعا لصفات الرحمة وضدها اذ غلب عليهم النظر الى قهره وصرح بذكر الرب دون الذنوب اذ لا مقدار لها بالنظر الى رحمته التى ربى بها الكل وهم وان غفر لهم ورحموا لم يحصل لهم من القرب منه الموجب للقرب من الله ما حصل لابويه (فلما دخلوا على يوسف) حين ساروا الى مصر فاستقبلهم الى بريته مع الملك الوليد بن الريان (آوى) أى ضم (اليه أبويه) يعنى أباه وخالته ليعانقهما بمقتضى مزيد شوقه اليهما لبعد عهدهما عنه ومزيد قربهما من قلبه (و) لكن من أثر الغفران والرحمة لم يبعدهم بالكلية بل (قال) لهم (ادخلوا مصر) ولما مكر معهم فى المرة الاولى مع تعظيمهم قال لهم الآن (ان شاء الله آمنين) من مكرى ومؤاخذتى اياكم على ما فعلتم بعد ما وقعتم بيدى ومن الاهانة (و) لكن مع ذلك (رفع أبويه) حين دخلوا مصر وهنأه عرشه (على العرش و) لكنهما شاركا الاخوة فى تذللهم الاختيارى اذ (خروا له سجدا) على نهج التكرمة وكان جائزا ثم نسخ حين اتخذوا من دون الله أربابا وليس المراد الانحناء لان الخرور تعفير الجباه وليس لله لقوله له (وقال يا أبت) لست فى مكان التذلل وكذا اخوتى ولكن (هذا تأويل رؤياى) سجود احد عشر كوكبا والشمس والقمر وان كانت (من قبل) باثنين وعشرين أو خمس أوست وثلاثين أو أربعين أو سبعين أو ثمانين سنة (قد جعلها ربى) من حسن تربيته اياى بعد ما كانت سبب ابتلائى فى الظاهر (حقا) مطابقا للواقع فى الحس (و) هو وان أهانني حين أخرجنى من الجب بالعبودية (قد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن) لجعل الملك مطيعا الى مؤمنا بى مفوضا الى خزائن الارض وقد كان كله بسبب تلك العبودية بعد الالقاء فى الجب حتى انتهى به الى هذه الحالة التى صدق فيها رؤياى (و) قد أحسن بهو بكم اذ (جاء بكم من البدو) اذ زال العداوة التى كانت بينى وبينكم (من بعد ان نزغ) أى افسد (الشيطان) فأوقع العداوة

تعالى ساهرة) يعنى وجه الارض وسميت ساهرة لان فيها سهرهم ونومهم واصلها مسهورة ومسهور فيها

(بينى وبين اخوتى) فقصدوا اهلاكى فجعله الله سبب وصولى الى هذه المراتب (ان ربى لطيف) أى خفى التدبير (لما يشاء) من الخير بأسباب الشر و بالعكس (انه هو العليم) بخفايا الاسباب (الحكيم) فى ترتيب الامور على الاسباب الظاهرة تارة والخفية أخرى (رب) اى يامن ربانى بلطف التربية (قد آتيتنى) به (من الملك) الذى ظاهره ان يكون من اسباب الفساد مع صلاحية كونه من أسباب الكمال الحقيقى (و) قد جعلت لى ما تجعله من أسباب الكمال الحقيقى اذ (علمتنى من تأويل الاحاديث) فيسهل عليك ان تعلى معانى المحسوسات التى تظهر صورها فى الآخرة فان لم يكن فى ذلك فلا يتعسر عليك لكونك (فاطر السموات والارض) ولا يبعد عليك الجمع بين الامرين فى حقى اذ (أنت ولي فى الدنيا والآخرة) وانما يخاف من الدنيا ان تصير حجابا و يرفعه الاسلام والصلاح (توفنى مسلما والحقنى بالصالحين) وهو وان كان نبيا فلا يأمن من مكر الله سيما وقد حصل له الملك الذى مكر به على الجمهور (ذلك) النبأ البعيد درجة كماله فى جميع ما لا يتناهى من المحاسن والاسرار حتى صار معجزا (من أنباء الغيب) الذى غاب عنك وعمن جالستهم وعن الكهنة والمنجمين فهو مما (نوحيه) من مقام عظمتنا شيأ بعد شئ باعتبار عدم تناهى ما فيه (اليك) أيها الخير فى نفسه الداعى الى الخيرات فى العموم فيدل خوارقك على صدقك وكيف لا يكون غيبا وما سمعته من احد (وما كنت لديهم) اى عند اصحاب هذا النبأ (اذ اجمعوا) اى عزموا (امرهم) اخوة يوسف على القائه فى الجب و زليخا على فعلها و يوسف على امساك اخيه (و) لو كنت لديهم ما اطلعت على امرهم اذ (هم يمكرون) اخوة يوسف على اخراجه من ابيه و فلطخ قميصه و بكائهم و زليخا فى سجنه و يوسف فى تهمة اخيه بالسرقة وانما أوحى اليك هذا المعجز ليؤمن بك الناس فيسعدوا على الابد (و) لكن (ما أكثر الناس ولو حرصت) على ايمانهم واسعادهم بتكثير الدلائل والمعجزات (بمؤمنين) وان علموا أن فيه سعادتهم الابدية (و) لا ينقص من سعادتهم الدنيوية اما المال فلانك (ما تسئلهم عليه من اجر) واما الجاه فلان الايمان مانع من الرق والجزية فى الدنيا والعذاب فى الآخرة (ان هو الا ذكر) أى ما هو الا شرف (للعالمين) ولتحصيل الشرف والسعادة لهم كثر آياته فى السموات والارض (و) لكن لا ينظرون فى ذلك اذ (كاين من آية) أى كم آية (فى السموات والارض) مما يدل على وجود الصانع وصفات كماله واسمائه وافعاله (يمرون عليها) مرورا يتيسر النظر معه (وهم عنها معرضون و) ان التفتوا الى شئ منها فآمنوا لكن (ما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) به بعض آياته باعتقادهم ان له تأثيرا او انه يستحق العبادة لظهوره بالالهية فيه (ا) لا يبالون بهذا الاشراك (فامنوا ان تأتيهم غاشية) أى نقمة تحيط بهم (من عذاب الله) بدل سعادتهم بتوحيده (أو) أمنوا اتيانهم فى الدنيا مع من آمن ان (تأتيهم الساعة) فان زعموا انها مشروطة بسبق اشراطها فهل أمنوا اتيانها (بغتة) أو أمنوا وقوعها بعد اشراطها (وهم لا يشعرون) بكونها اشراطها فان زعموا ان اخفاءها يكون

نصرف من مفعوله الى فاعله كما قيل عيشة راضية أى مرضية ويقال الساهرة أرض القيامة (قوله عزوجل سفرة) يعنى

لهم عذرا (قل) انما يكون عذرا ولو لم يكن لكم سبيل الى معرفتها لكن (هذه) الدلائل (سبيلى) الى تعريفها اذ (ادعو) الناس من دلائلها على توجيه ثوابها وتخويف عذابها (الى الله) المثيب المعاقب فيها الا بالانتقال مما خلا عنه الى ما أحاط به بل بالكون (على بصيرة) فيه بعد العمى عنه ولا يختص بى حتى لا يكون حجة اذا كون عليها (أنا ومن اتبعنى) ورؤية الكثير حجة على العمى (و) لا مانع من اتباعى فى ذلك اذ لا ادعى الالهية بنفسى بهذه البصيرة من تجليه لقلبى بل أقول (سبحان الله) من ان يظهر بالالهية فى شئ والا كان المظهر شريكه (وما أنا من المشركين و) لا يشترط فيها التجلى المفضى الى دعوى الالهية فانه (ما أرسلنا) للدعوة اليها (من قبلك الا رجالا) لم يخرجوا من الانسانية الى دعوى الالهية بل غاية كمالهم انه (نوحى اليهم) ولم يشترط فيهم الاعتزال عن الناس بل كانوا (من أهل القرى أ) ينكرون رسالتهم مع دلالة اهلاك منكرها لعدم رؤيتهم قراهم (فلم يسيروا فى الارض) التى ارسلوا فيها فانكر عليهم أهلها (فينظروا كيف كان عاقبة الذين) أنكروا عليهم (من قبلهم) فهى دليل صدقهم ولا يبطل هذه الدلالة حصول مثلها لبعض المتقين تكميلا لثوابهم وتعريضا للخير عن الادنى (ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أ) لا يميزون بين ما يترتب على التقوى عما يترتب على التكذيب (فلا تعقلون) كيف وانما أهلكوا عندما بالغوا فى الانكار (حتى اذا استيأس الرسل) أى طلبوا منهم اليأس عن ايمانهم بتكثير الدلائل عليهم (و) لا أقل من ان (ظنوا انهم قد كذبوا) أى مضى بحيث لا يرجى عودهم الى التصديق (جاءهم نصرنا) بالانتقام من اعدائهم فان كان فيهم متقون (فنجى من نشاء) منهم ليدل على التميز ولا يعم الانجاء لئلا يفضى الى الالجاء (و) لكن لا يبطل به التميز اذ (لا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) حتى انه يصيب من خرج عن مكانهم فان زعموا ان الاقتصاص ليس من الدعوة فى شئ قيل لهم (لقد كان فى قصصهم) ما يؤثر فيها اذ فيه (عبرة لاولى الالباب) اى الناظرين الى لبها وانما ينافى العبرة كذبها لكن (ما كان) المعجز (حديثا يفترى ولكن) يكون مع صدقه فى نفسه (تصديق الذى بين يديه) من الكتب التى لا اعجاز فيها (و) ان زاد عليها كان (تفصيل كل شئ) اجمل فيها (و) ان لم يكن فيها اصلا كان (هدى) يزيد قوة نظرية (ورحمة) يزيد قوة عملية (لقوم يؤمنون) فيتفكرون فيه ويعملون بمقتضاه * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

(سورة الرعد)

سميت بها لما فيها من قوله عز وجل ويسبح الرعد بحمده الدال على الصفات السلبية والثبوتية مع الاخبار عن الامور الملكوتية ومع كون الرعد جامعا للتخويف والترجية وهذه من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بجمعيته فى آيات كتابه حتى اتصفت بالكمالات التى ذكرها (الرحمن) بجعل كل كتاب بقدر استعداد المنزل عليهم (الرحيم) بانزال هذا الكتاب الجامع

الملائكة الذين يسفرون بين الله وبين أنبيائه واحدهم سافر يقال سفرت بين القوم اذا مشيت بينهم بالصلح فجعلت الملائكة

كمالات

كمالات من تقدم عليه (المر) أى آيات لباب مجامع الرحمة أو أعلى لوامع مراتب الرفعة أو أنوار لوامع المعارف الربانية أو أسرار لطائف مكامن الرشد (تلك آيات الكتاب) أى آيات كل كتاب أنزل على نبى فانه الباب بمجامع الرحمة على أمته أو أعلى لوامع مراتب رفعتهم أو أنوار لوامع معارفهم وأسرار لطائف مكامن رشدهم (و) الكتاب (الذى أنزل اليك) يا أكمل الرسل (من ربك) الذى هو أجمع الاسماء المنزلة لتلك الكتب هو الجامع لجميع ما فيها حتى انه (هو الحق) أى الثابت الذى لا ينتقل منه الى ما هو أجمع فيجب ان يؤمن به كل من آمن باحد تلك الكتب (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) ولا يبعد من الله اعطاء هذه الفضائل لبعض كتبه ثم تفضيل البعض الآخر عليه اذ (الله) هو (الذى رفع السموات) فجعلها فى أعلى مراتب الرفعة وجعل رفعتها (بغير عمد) لتشبه الرفعة الذاتية المتضمنة لوامع المعارف الربانية ويمكن تحريكها لتحصيل مجامع الرحمة وجعل المنفية هى التى (ترونها) ليدل على ان بها عمدا معنوية فتتضمن لطائف مكامن الرشد (ثم استوى على العرش) الذى هو أرفع من السموات والمعارف الالهية فيه اتم وهو مستوى اسمه الرحمن فهو أجمع لجامع الرحمة وهو استوفى فيه لطائف مكامن الرشد (و) لا يبعد من الله تنزيل هذه الكتب بعد هذه الرفعة ولا التفاوت فى مظاهر أنواره لانه (سخر الشمس والقمر) والتسخير اذلال ففيه انزال مع ان معرفة نوره فى الشمس أتم واحدهما أرفع من الآخر وقد جعل لطائف مكامن الرشد فى سيرهما الدلالته على كمال حكمته ولا يبعد ان يكون لكل كتاب أجل مسمى فانه كاجل طلوع الشمس والقمر (كل يجرى لاجل مسمى) لانه مقتضى التدبير وهو بهذه الكتب (يدبر الامر) أى أمر الدين كما يدبر بالشمس والقمر أمر الفصول والفواكه وهو كما فصل الازمنة بالشمس والقمر (يفصل الآيات) بحسب الاستعدادات (لعلكم) تنالون لباب مجامع الرحمة وأعلى مراتب الرفعة ولوامع المعارف وأسرار الرشد اذ (بلقاء ربكم توقنون) بمزيد التفصيل وهو سبب هذه الفضائل (و) كيف لا توقنون بلقائه مع انه كثر انعاماته عليكم اذ (هو الذى مد الارض) لاخراج النعم الكثيرة منها (و) جعل فيها اسبابها اذ (جعل فيها رواسى) يكثر فيها النبات وتحفظ تحتها المياه (و) بسط آثارها فى جميع الارض اذ جعل (أنهارا) منفجرة منها وذلك لتكثير النبات والاشجار لتكثير الحبوب والثمار كيف (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين) أى صنفين (اثنين) بستانى وجبلى ليفيد كل صنف فائدة غير فائدة الآخر فكان كل صنف نعمة بعد الانعام باصول الاصناف وجعل لاتمام الانعام بالاصناف المختلفة الطبائع لئلا تجتمع فتتضار متنا ولها فصولا مختلفة اذ (يغشى الليل النهار) فبطول الليل يحصل الشتاء وبطول النهار يحصل الصيف وباحد الاعتدالين يحصل الخريف وبالآخر الربيع (ان فى ذلك لآيات) على الآء الله (لقوم يتفكرون) فيعلمون ان تكثير النعم لجلب محبة المنعم بصرفها الى ما خلقت من أجله والآكات موجبة للنقم والمحبة موجبة للرجوع اليه والانتقام بعد السؤال لا يكون بدونه وقبله يشبه الظلم وان هذا التدبير للحيوانية دون التدبير بانزال الكتب الناطقة وهو أولى بالرجوع وانه

اذا نزلت بوحى الله عز وجل وتأديبه كالسفير الذى يصلح بين القوم وقال أبو عبيدة سفرة كتبة واحدهم سافر (قوله عز وجل والسماء

كما مد الارض مد العلوم وكما جعل فيها رواسي جعل في العلوم علوما راسخة هي علوم الشرعية وكما جعل فيها أنهارا جعل في القلوب أنهار الكشوف وانه كما جعل في الثمرات زوجين اثنين جعل في منازل القرآن أحوالا ومقامات وانه كما يغشى الليل النهار يغشى ظلمة البشرية نور التجلي وكل ذلك للعلم بالله فان أخل بذلك فلا بد من السؤال عنه بالرجوع اليه ثم أشار الى انه لا يحتاج فيه الى هذه المقدمات بل يكفي فيه العلم بكمال القدرة والاختيار (و) قد ظهر ذلك (في الارض) التي هي عنصر واحد (قطع) مختلفة لا بحسب اختلاف مطارح شعاعات الكواكب اذ هي (متجاورات و) في كل قطعة يختلف النبات اذ فيها (جنات من أعناب وزرع ونخيل) فان اسند ذلك الى اختلاف المواد فلا يتأتى في اختلاف النخيل لانه (صنوان) وهو ما تعدد منه من أصل واحد (وغير صنوان) ولو كان لاختلاف المادة أثر لما عارضه أثر ايجاد المادة وهو الماء لكن لا يعارضه اذ (يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل) مع ان مادة الماء أكثر من مادة الاصل (ان في ذلك لآيات) على قدرة الله واختياره وحكمته (لقوم يعقلون) فيه تعريض بالفلاسفة المدعين كمال العقل مع نفيهم الاختيار (وان تعجب) أيها المتعجب من شئ (فعجب) عظيم (قولهم) بعد ظهور القدرة والاختيار والحكمة في البعث (أئذا كنا ترابا) نبعث بعد العدم (أئنا لفي خلق جديد) مع انه لم يأت به دور من أدوار الفلك (أولئك) انما بعدوا عن الحق لانهم (الذين كفروا بربهم) القادر المختار الحكيم (و) جعلوه مضطرا الى استعمال الاسباب السماوية بحيث يكون بدونها مغلول القدرة وقد غلوا افكارهم عن النظر في هذه الامور ولذلك كان (أولئك الاغلال في أعناقهم وأولئك) لقولهم بتعجيز الله عن احداث دور يكون فيه ذلك على تقدير التوقف على الاسباب وهو موجب لغضبه (أصحاب النار) التي هي أثر غضبه ولايجابهم تأثير الاسباب بحيث يوجبون افناء النار ما فيها بحيث لا يكون لله معارضتها بذاته ولا بسبب (هم فيها خالدون) ليظهر فعله على خلاف مقتضى الاسباب (و) قد بلغوا من اعتقاد عجز الله عن تعذيبهم الى حيث (يستعجلونك بالسيئة) أي العذاب على الكفر (قبل الحسنة) أي الثواب على الايمان اذ يريدون ان يؤمنوا بعد ذلك العذاب فينالوا الحسنة مع انها ليست للمؤمن من اضطرار وانما هي للمختار فيه أينكرون العقوبة على الكفر (وقد خلت) أي مضت (من قبلهم المثلات) أي العقوبات التي يضرب بها المثل في الشدة (و) انما لم يعجل عقوبة غيرهم ليستدرج المعاصي عليهم (ان ربك لذو مغفرة للناس) أي الذين نسوا امثلات الاولين ليصروا (على ظلمهم) ليظهر عليهم مزيد قهره وسلطنته كيف (وان ربك لشديد العقاب ويقول الذين كفروا) انما يستعجل العذاب ليكون آية ملجئة فان لم ينزل (لولا أنزل عليه آية) أخرى ملجئة ليعلم كونها بالضرورة (من ربه) فاجيبوا بانه لا يبقى التكليف مع الملجئة ويكفي الآية المنذرة (انما أنت منذر) لا معاقب فتأتي بالآية الملجئة التي تكون نفس المعاقبة أو مستلزمة لها كيف (و) آياتك انما تكون كآيات من تقدم

ذات الرجع) أي تبتدئ بالمطر ثم ترجع به في كل عام وقال أبو عبيدة الرجع الماء وأنشد للمتنخل يصف السيف

غايتها

غايتها افادة الهداية اذ (لكل قوم هاد) فان زعموا ان الآية الغير المجيئة انما هى كالدليل العقلى فليكن كافيا أجيبوا بأنه انما يكفى فى بعض الامور وثمة أمور لا يطلع عليها الا الله أو من أطلعه عليه بالكشف ففى المحاسن والقبائح ما يخفى حسنه وقبحه خفاء الحمل (الله يعلم ما تحمل كل أنثى و) فى الخفيات ما ينقص محبة الله وما يزيدها فهى مثل (ما تغيض) أى تنقص من اجزاء الوالد (الارحام وما تزداد) من اجزاء الولد (و) لابد من هاد يبين مقادير الثواب والعقاب جاء من عنده اذ (كل شئ عنده بمقدار) فيطلع عليه من يبعثه للهداية ليبشر و ينذر بمقدارهما بل الثواب والعقاب من الامور الغيبية التى لا يطلع عليها العقل وانما يطلع عليها الله لانه (عالم الغيب والشهادة) ولا بد من وقوعها لانه (الكبير) فيقتضى كبره كبر جوده وقهره ولا يكون جوده وقهره مثل ما يكون من غيره لانه (المتعال) عن حد المخلوقين فيكون طاعته وعصيانه مقتضيين لما وجوده وقهره ولتعاليه تعالى سمعه عن ان يخفى عليه مسموع بل (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به و) تعالى بصره عن أن يخفى عليه مبصر بل سواء عليه (من هو مستخف) أى طالب الخفاء (بالليل) الذى هو وقت الخفاء ليزداد خفاء (وسارب) أى بارز (بالنهار) الذى هو وقت الظهور ليزداد ظهورا فلا مانع له من الجود والقهر من جهل ولا عجز وقهره يقتضى عظمته بلا مانع وان أوجب اخذ العاصى حال العصيان لكن (له معقبات) أى ملائكة تؤخر قهره (من) طاعات جعلها (بين يديه و) طاعات يتوقع منه (من خلفه) وليسوا معارضين له ارادته قهره بل غايتهم انهم (يحفظونه) حفظا صادرا (من أمر الله) من أجل الطاعات الماضية أو المستقبلة ولا يقتضى ذلك دوام الحفظ بل ما دامت الطاعة الماضية باقية الاثر والمستقبلة متوقعة فاذا زال ذلك بطل الحفظ لذلك (ان الله لا يغير ما بقوم) من عافية ونعمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الخصلة التى من أجلها الحفظ كيف ولا يمكن للملائكة الحفظ عند ذلك لانه وقت ارادة الله قهره (واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له) من جهة الملائكة بالحفظ مع اقتضاء عظمته قهر العاصى فى الحال بلا مانع ولا من غيرهم كيف وحفظهم فرع موالاتهم (و) عند ارادة الله السوء بهم (ما لهم من دونه من وال) يلى أمرهم موالاة تعارض الارادة الالهية مع كونهم دونه ولا يبعد من الله ان يأمر الملائكة بالحفظ مع اقتضاء عظمته قهر العاصى فى الحال بلا مانع اذ (هو الذى) جمع بين القهر واللطف فى أمر واحد هو البرق اذ (يريكم البرق) لتخافوا من خطف الابصار (خوفا و) تطمعون فى اهتدائه الطريق (طمعا و) اكمل وجوه الطمع فيه اذ (ينشئ) من أجل لمعانه (السحاب الثقال) وصف به لان السحاب لما كان جنسا كان فى معنى الجمع (و) أتم وجوه طمع الهداية فيه انه (يسبح الرعد) اى ينزهه عن البخل ملتبسا (بحمده) على جوده (و) هذا الطمع لا يخلو عن التخويف حتى انه يسبح (الملائكة من خيفته) من ظهوره بالهيبة فى الرعد والبرق (و) فى البرق ما هو أبلغ فى التخويف اذ (يرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) من بين العصاة وغيرهم فتخاف الملائكة من قهره مع عصمتهم (و) الكفار لا يبالون بقهره بل (هم يجادلون

أيض كالرجع وسوب اذا ماساخ فى محتمل يغتلى (قوله عز وجل سوط) عذاب السوط اسم العذاب وان لم يكن ثم ضرب.

فى الله) أى فى توحيده وعموم علمه وقدرته (وهو) لغاية عظمته بلا مانع (شديد المحال) اى المكايدة فوق الاصابة بالصواعق واعلم ان السحاب هو البخار المنعقد والبخار هو الصاعد من أجزاء مائية وهوائية فان قل واشتد الحر انقلبت المائية هواء وان كثر أو لم يكن فى الهواء حرارة فان وصل الى الطبقة الزمهريرية تقاطرت الاجزاء المائية ان لم يشتد البرد وان اشتد فان كان الجمود قبل الاجتماع ومصيره حبات كبارا فهو الثلج أو بعده فهو البرد وان لم يصل الى الزمهريرية فالكثير قد ينعقد وهو السحاب وقد لا ينعقد وهو الضباب القليل والذى لم يصل الى الزمهريرية قد يتكاثف ببرد الليل فينزل أجزاء صغارا وهو الطل ان لم يجمد وان جمد فهو الصقيع أما الرعد والبرق فمن الدخان الصاعد من أجزاء أرضية ونارية الى الزمهريرية مخالطة للابخرة يتكاثف البخار وينعقد سحابا ويحتبس الدخان فى جوفه فيخرقه اما فى صعوده لبقائه على حرارته وهبوطه لتكاثفه بالبرد الشديد فيحدث من خرق الدخان وتمزيقه للسحاب ومصاكته اياه صوت هو الرعد ويشتعل الدخان بقوة التسخين لما فيه من مائية وأرضية عمل فيهما الحرارة والحركة فاقترب مزاجه من الدهنية يشتعل بأدنى شئ ولطيفه ينطفئ سريعا وهو البرق وكثيفه لا ينطفئ سريعا وهو الصاعقة وهذا وان كان قول الفلاسفة فيجب أن ينظر فى قولهم اذا لم يخالف الكتاب والسنة واجماع الامة هل لهم فيه مستند سالم أم لا وكيف لا يشتد محاله على من يجادله فيه وهم يقصدون بذلك ترك دعوته والانتقال الى دعوة غيره لكن (له دعوة الحق) أى دعوة يقتضيها الرأى الحق اذ يتوقع منه الاجابة الى تحصيل المطموع والامن من الخوف (والذين يدعون من دونه) لا يستحقون الدعوة اذ (لا يستجيبون لهم بشئ) من القول والفعل استقلالا أو شفاعة فليس الباسط كفيه اليهم بالدعاء (الا كباسط كفيه الى الماء) يدعوه (ليبلغ فاه و) هو لو سمع دعاءه وأجاب بالقول (ماهو ببالغه) اذ لا قدرة له على البلوغ ولو كان له قدرة لم يجبه لانه كافر بربه (وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) أى ضياع اذا دعوا الله أو الاصنام أو أحد الجمادات وانما يجيبهم الشياطين قولا أو فعلا وكيف يستحق غيره الدعوة وهى تذلل (و) هم أذلة بالنظر الى الله تعالى لذلك (لله يسجد من فى السموات والارض) من العقلاء الذين هم أشرف خلقه فضلا عمن دونهم (طوعا) اذا انقاد هواهم لعقلهم (وكرها) اذا لم ينقد ولا بد من الانقياد لارادته وهو السجود الباطن ويظهر ذلك فى الظلال (و) لذلك يسجد (ظلالهم) بالانبساط على الارض (بالغدو والآصال) الى خلاف جهة الشمس فلا تكون ساجدة لها بل لربها فان زعموا ان فى الاشياء ما لا يسجد ظاهرا ولا يظهر له سجود فى الظل كالسموات والارض (قل) كفى فى سجودهما كونهما مربوبين فسلهم (من رب السموات والارض) هل هو الذى له يسجد من فيهما أم لا حتى يختص باختصاص الدعوة والسجود له فان زعموا انهما قديمان (قل) ان صح ذلك فهما لامكانهما يفتقران الى رب قديم هو (الله) فان زعموا انه ظهر بالالهية فى بعض الاشياء (قل أ) تعتقدون ظهور الالهية فى الدون (فاتخذتم من دونه أولياء) مع انهم فى القصور بحيث (لا يملكون لانفسهم) فضلا عن أن يملكوا لغيرهم

(نفعا)

بالوط (قوله عزوجل سعيكم لشتى) أى عملكم مختلف (قوله عزوجل فسنيسره) أى سنهيئه للعودة الى العمل الصالح

(نفعا) يجرونه (ولاضرا) يدفعونه بل هم دونكم فى المظهرية لانهم عماة وأنتم بصراء فان أصروا على تفضيلهم (قل هل يستوى الاعمى والبصير) فضلا عن تفضيل الاعمى فان زعموا انهم أبصر فى الباطن فهذا الباطن انما هو باعتبار ماتعلق بها من أرواح الشياطين فهى ظلمانية وأرواح الانسانية نورانية فهل يستويان (أم هل تستوى الظلمات والنور) فان جعلوها نورانية فلاشك ان الانبياء والملائكة أتم نورانية منهم أجعلوهم شركاء لله مع اعترافهم بالعبودية (أم جعلوا لله شركاء) أجل منهم اذ (خلقوا كخلقه فتشابه الخلق) أى خلقهما (عليهم) فلم يفرقوا بينهما فى الالهية (قل) ان صح ذلك مع حدوثهم فهل خلقوا أنفسهم أوخلقهم الله والاول باطل فتعين أن يقال (الله خالق كل شئ و) لايكون خالقا لمثله اذ (هو الواحد) الذى لايجانسه غيره وكيف يكون المخلوق مثله وهو مقهور والخالق هو (القهار) فان زعموا انه لو كان واحدا قهارا لم يترك لغيره هذه الآثار أجيبوا بأنها من ظهوره بالصور فى بعض الاشياء وبالآثار فى البعض الآخر والكل بحسب الاستعدادات فان ظهوره فى الاشياء كماء السماء (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) أى بمقدار سعتها وعمقها ولاينافى ذلك غلبة الشياطين وحصول الباطل فان ذلك كالزبد (فاحتمل السيل زبدا) وهو مع بطلانه انه فى ذاته يظهر (رابيا) أى مرتفعا على الماء (و) كما ينقسم الجواهر الى الحق والباطل كالملائكة والانبياء والاولياء والعلماء والشياطين والكفرة المضلين ينقسم الافعال اليهما وان كانت مخلوقة لله فانه (مما يوقدون عليه) مجعولا (فى النار ابتغاء) أى طلب (حلية) من الذهب والفضة (أومتاع) كالاوانى وآلات الحرب والحرث من الحديد والنحاس والصفر (زبد مثله) أى مثل زبد الماء ثم أشار الى المقصود بقوله (كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء) أى رميا الى الجوانب وهو مثل ذهاب آثار الشياطين واللذات المحرمة (وأما ماينفع الناس) من الماء الصافى والاجسام المذابة (فيمكث) أى يبقى (فى الارض) كذلك يبقى الانتفاع بالملائكة والانبياء والاولياء والعلماء والاعمال الصالحة وكما ضرب الله المثل بالزبد وماحصل منه للباطل والحق (كذلك يضرب الله الامثال) للعلوم النافعة والضارة فالنافعة تكون تارة بالكشف كالماء النازل من السماء وتارة بالفكر الموجب للحرارة يتخذ منه مايتزين به الاعتقادات والاعمال ويحصل من كل منهما شبهات كالزبد فهى العلوم الضارة ثم انه يبقى العلوم والاعتقادات والاعمال ويذهب الشبهات بالنظر الصحيح (للذين استجابوا لربهم) دعوته فانتفعوا بماء الهداية الذى انزله من سماء عله بطريق الكشف أوالفكر ونفوا عنه وعن أعمالهم زبد الشبهات والقبائح (الحسنى) اى كل خصلة حميدة يتصور بها علومهم واعتقاداتهم وأعمالهم فيبقى ببقاء الجواهر (والذين لم يستجيبوا له لوأن لهم مافى الارض جميعا) من الجواهر (ومثله معه لافتدوا به) من آثار اعتقاداتهم وأعمالهم فانها وان كانت مثل الزبد فيبقى آثارها ببقاء الجواهر ولايعارضها جواهر أخر اذ (أولئك لهم سوء الحساب) فيحاسبون بجميع قبائحهم التى لايفى بها جواهر

ونسهل ذلك ويقال اليسرى الجنة والعسرى النار (قوله عزوجل والليل اذا سجى) اذا سكن

الدنيا (و) لكنها لكونها كالزبد ترى من جوانب الصراط وأولئك (مأواهم جهنم و) مع ذلك لا يحصل لها فناء الزبد لذلك يكون لهم (بئس المهاد) فان زعموا ان استجابة ذوى الخوارق من رهابين الكفرة وشياطين الاصنام استجابة الله يقال لهم (أ) انتم تبصرون ما هو هداية فى نفسه وضلال (فمن يعلم انما أنزل اليك) يا أكمل الخلائق (من ربك) أكمل الاسماء (الحق) الذى ينتقل منه الى ما هو أعلى فى باب الهداية (كمن هو أعمى) لا يبصر ما يفترقان به فى ذاتهما وينظر الى الخوارق وحدها لكن هذا الكمال لا يظهر لعامة النظار بل (انما يتذكر) فيحصل بالتذكر (أولوا الالباب) الناظرون الى بواطن الاشياء وليس المراد فى دقائق الامور الدنيوية بل فى دقائق الدين اذهم (الذين يوفون بعهد الله) الذى عهده على لسان رسله برعاية الدقائق (و) اذا رأوا فيه ناسخا ومنسوخا (لا ينقضون الميثاق) على الايمان بهما لرؤيتهم اشتمال كل منهما على أكمل مصالح زمانه (و) أيضا من أولى الالباب (الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من المساعى والاخلاق الباطنة (ويخشون ربهم) من أن يدعوا الكمال لانفسهم أن يغار عليهم (ويخافون) من ترك الاعمال خوفا من العجب والرياء (سوء الحساب) أن يحاسب محاسبتهم القبائح عليهم (و) أيضا من أولى الالباب (الذين صبروا) فى عبادة الله عن طلب ما سواه أو هرب منه بل عبدوه (ابتغاء) أى طلب رؤية (وجه ربهم) فى الآخرة (وأقاموا الصلوة) لمشاهدته الدنيوية (وأنفقوا) للفرار من حجاب المال (مما رزقناهم) من أملاكهم لا من الغصب (سرا) مع ما فيه من دفع العجب (وعلانية) مع ما فيه من دفع الرياء (و) اذا حجبوا بالمعاصى (يدرؤن) أى يدفعون (بالحسنة السيئة) أى بنور الحسنة حجاب ظلمة السيئة (أولئك) لكونهم أولى الالباب (لهم) وهم فى الدنيا (عقبى الدار) أى معرفة عواقب أمور الدنيا تنكشف لهم كأنهم الآن حصل لهم (جنات عدن) أى اقامة لاقامتهم على المعارف وان كانوا (يدخلونها) واحدة بعد أخرى (و) كيف لا يكون هؤلاء أولى الالباب الحاصل لهم ذلك النور وقد حصل بتبعيتهم لمن يتعلق بهم من كامل وناقص وأنقص اذ يدخلها (من صلح) لدخولها (من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) فكيف لا يطلعون على البواطن (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) من أبواب المعارف يقولون لهم (سلام عليكم) من أن يقع غلط فى كشفكم (بما صبرتم) لتمييز ما هو هداية منه وما هو ضلال واذا كان لهم هذا فى دار الابتلاء (فنعم عقبى الدار) دار الجزاء والكشف التام لهم فهؤلاء هم البصراء (و) اما العماة فهم (الذين ينقضون عهد الله) فى الايمان بالناسخ والمنسوخ والاخذ بالناسخ المشتمل على الدقائق الكثيرة (من بعد ميثاقه) بذكره فى الكتب المنسوخة وبرعاية مصالح الازمنة وباشتمالها على الفوائد الجليلة فهؤلاء فى مقابلة الفرقة الاولى من أولى الالباب (و) فى مقابلة الثانية منهم الذين (يقطعون ما أمر الله به أن يوصل) من الاخلاق والمساعى الباطنة (و) فى مقابلة الثالثة منهم الذين (يفسدون فى الارض) بالمعاصى وترك الطاعات الظاهرة وحذف الذين يشير الى انهم جمعوا بين الخصال التى بها مقابلة الطوائف لكمال عماهم

واستوت ظلمته ومنه بحر ناج أى ساكن

(باب السين المضمومة)

(قوله تعالى سفهاء) أى

اولئك

(أولئك) البعداء عن الله (لهم اللعنة) أى البعد عن معرفة العواقب بدل عقبى الدار (ولهم) بدل الجنات (سوء الدار) كأنهم الآن فيها ولا ينافى ذلك بسط الرزق عليهم اذ (الله يبسط الرزق لمن يشاء) من متلذذ به ومتألم (ويقدر) أى يقبض لمن يشاء من متلذذ به ومتألم (و) لا عبرة بتلذذهم به اذ غايته انهم (فرحوا بالحيوة الدنيا) أيامًا قلائل بدل نعيم الآخرة (و) لو علموا مقدار ما استبدلوه لانقلب فرحهم غمًا وألمًا لأنه (ما الحيوة الدنيا) لو امتدت الى آخر الدهر اذا نظر (فى الآخرة الامتاع) يسير فى مقابلة أمر جليل كمن أبدات سلطنته بطعام يسير (ويقول الذين كفروا) بالآخرة كيف لا نفرح بالدنيا ولا نعرف الآخرة الا عن قول من لا آية له ملجئة (لولا أنزل عليه آية) ملجئة يعلم انها (من ربه) لانتفاء الاحتمالات معها دون غير الملجئة (قل ان) الاحتمالات معلومة الانتفاء بحسب العادة المستمرة فلا يقدح فى صدقها لكن (الله يضل) بها (من يشاء) مع ايقاع صدق الآية الغير الملجئة فى قلبه (ويهدى اليه من أناب) أى رجع الى ما وقع فى قلبه من صدقها وهم (الذين آمنوا) فصدقوا الله فيما أوقع صدقه فى قلوبهم (و) ذلك لعدم ترددهم فيما يوقع فى قلوبهم لثباتها على الحق اذ (تطمئن قلوبهم بذكر الله) فلا يقع فيها ما يوجب التردد والقلوب وان كانت متقلبة فى نفسها لكنها تترك هذه الطبيعة بذكر الله (الا بذكر الله تطمئن القلوب) الكاملة لسكونها الى الله فلا تنقلب عنه لغلبة الايمان عليها كأنهم هم (الذين آمنوا و) لادامة الطمأنينة (عملوا الصالحات) المطيبة للنفوس المكدرة للقلوب لذلك يكون (طوبى لهم) أى لنفوسهم وقلوبهم وأرواحهم وأبدانهم (و) عند هذا الطيب يكون لهم الى الله تعالى (حسن مآب) ولا يختص الارسال بالآيات المفيدة للطمأنينة الى المؤمنين بل (كذلك) بالآيات المفيدة للطمأنينة (أرسلناك فى أمة) فتكرت بالكفر لو تركت العناد نظرا الى ما جرى على معاندى الامم الماضية بتكذيبهم آيات رسلهم اذ (قد خلت من قبلها أمم) مع ان آيتك أعظم اذ ارسلناك (لتتلوا عليهم) الوحى المعجز (الذى أوحينا) من مقام عظمتنا (اليك) يا أكمل الرسل (و) لو لم يؤاخذوا بتكذيبهم فلا شك انهم يؤاخذون بكفرهم بالله اذ (هم يكفرون بالرحمن) فان زعموا انهم يعرفون الله دون الرحمن الا رحمن اليمامة وهو مسيلمة الكذاب (قل هو ربى) وان تعددت أسماؤه فمسماه واحد (لا اله الا هو) فان عاندتم (عليه توكلت) فى دفع عنادكم (و) لا يعسر على التوكل عليه اذ (اليه متاب) رجوعى الموجب للوحى والآيات لا الى الشياطين (و) لا يتركون العناد (لو أن قرآنا) معجزا فى نفسه حصلت فيه معجزات ملجئة اذ (سيرت به الجبال) فازيلت عن اماكنها (أو قطعت) أى صدعت (به الارض) عن كنوزها (أو كلم به الموتى بل) لو جعل جميع مقترحاتهم من خواص القرآن والله تعالى قادر عليه اذ (لله الامر جميعا) لم يكونوا تاركى عنادهم وهو وان كان قادرا على ان يمنعهم العناد تركهم على اختيارهم (أ) يطمع المؤمنون فى ايمانهم بعدما سمعوا الله يقول فيهم هذا القول (فلم ييأس الذين آمنوا) عن ايمانهم لو أتتهم الآيات المقترحة فيرغبون فى تحصيلها الاجلهم بل يجب عليهم أن ينظروا فى (أن) أى ان

جهال والسفه الجهل ثم يكون لكل شئ يقال للكافر سفيه كقوله سيقول السفهاء من الناس

الشأن (لو يشاء الله) ان يترك الناس العناد (لهدى الناس جميعا) بالآيات الغير الملجئة (و) لكن يجعلها اشبه الملجئة اذ (لا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من عنادهم معها (قارعة) أى داهية تقرعهم وتقلقهم (أو تحل) القارعة (قريبا من دارهم) يتطاير اليهم شررها (حتى يأتى) الآية الملجئة أو يأتى (وعد الله) بالعذاب الاخروى وهو وان كان وعيدا فقد جعله وعدا للانبياء بنصرهم على أعدائهم (ان الله لا يخلف الميعاد) كيف يخلف ميعادك مع اصرارهم على عنادك بعد تواتر القوارع ولم يخلف ميعاد من دونك مع ان اصرار أممهم لم تكن بعد تواتر القوارع فانه والله (لقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا) فلم يتواتر عليهم القوارع (ثم أخذتهم) فى الدنيا بعقاب (فكيف كان عقاب) فيقاس عليه عقاب الآخرة التى هى دار الجزاء على من زاد عليهم فى العناد مع من زاد على رسلهم بالفضيلة على انه لو لم يعد لم يترك معاقبتهم على مجرد الشرك والمعاصى بلا عناد (أ) يترك المعاقبة على المعاصى (فمن هو قائم) يطلع (على كل نفس) ليحيط (بما كسبت) من المعاصى كغير المترقب (و) لو لم يبال لمعاصيهم فكيف لا يبالى اشركهم اذ (جعلوا لله) الذى هو ملك الملوك (شركاء) فضلا عن الواحد مع ان أدنى الملوك لا يعفو عن شركة واحدة فان زعموا ان له شركاء فى الواقع فلا يظلم بالمؤاخذة على القول المطابق للواقع (قل) لو كان له شركاء فى الواقع لوضع واضع اللغة لهم ألفاظا تدل على شركهم (سموهم) ليعلم انه هل فى أسمائهم ما يدل على شركهم أتقولون ان الواضع لم يضعه (أم) تقولون خفى على الواضع وهو الله فانتم (تنبئونه بما لا يعلم) لكونه (فى الارض) وهو انما يعلم ما فى السماء (أم) تطلقون عليهم لفظ الآلهة من غير اعتبار معناه بل (بظاهر من القول) كما يسمى الزنجى كافورا من غير بياض فيه ولا رائحة طيبة (بل) لم يكن شئ من ذلك وانما (زين للذين كفروا مكرهم) أى تمويههم على أنفسهم بمعنى الآلهة فيها (وصدوا) بذلك التمويه غيرهم (عن السبيل) الموصل الى المعارف (ومن يضلل الله) بتمويهه على نفسه وغيره (فما له من هاد) من الدلائل والرسل والعلماء لكنهم يصيرون محجوجين لذلك (لهم عذاب فى الحيوة الدنيا) بالاسر والجزية والقتل (ولعذاب الآخرة أشق) كيف (وما لهم) هنالك (من الله) بمدخله ومقتضيه (من واق) أى حافظ عن شدته اذ لا واقى هنالك سوى التقوى فانه اتقى عن النار وعن فوات الجنة وانقطاع الانهار والثمار والظل اذ (مثل الجنة) أى صفتها العجيبة التى يعظم ألم فواتها لاجلها (التى وعد المتقون) انها (تجرى من تحتها الانهار) لاجراء تقواهم أنهار المعارف والعبادات عليهم لذلك (أكلها) أى ثمرها (دائم) اذا اقتطف حصل مكانه آخر وقاية له (و) ان لم يصل اليه أثر الشمس اذ (ظلها) أيضا دائم لاستظلالهم بظل التقوى وكيف لا يشتد بذلك ألم الكفار مع ان (تلك) الامور العظام (عقبى) أعدائهم (الذين اتقوا) فلم يوافقوهم على اعتقاداتهم وأعمالهم (و) لم يقتصر فى حق الكفار على فواتها وجعلها لأعدائهم بل

يعنى اليهود والجاهل سفيه كقوله تعالى فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا قال مجاهد

جعل (عقبى الكافرين النار) التى لها غاية الشدة فى نفسها انضم اليها شدة فوات تلك الامور
وجعلها للاعداء وكيف لا يكون للمتقين تلك المآكل الغير المنقطعة وقد تغذوا من معانى
هذا الكتاب ما لا ينقطع وكيف لا يكون لهم ذلك الظل وقد استظلوا بظلال دلائل
هذا الكتاب التى لا تنقطع بالشبهات (و) لذلك ترى (الذين آتيناهم الكتاب) أى كتب الاولين
(يفرحون بما أنزل اليك) اذ يحصل لهم به من المعانى والدلائل وكشف الشبهات ما لم يحصل
لهم من تلك الكتب (و) ليس هذا على العموم بل (من الاحزاب) أى أحزاب أهل الكتاب
(من ينكر بعضه) وهو مواضع النسخ (قل) انما ينكر فى النسخ ما ينافى عبادة الله أو يوجب
الشرك أو يدعو الى غير الله أو يكون راجعا الى الغير من غير قصد ونسخ هذا الكتاب ليس
كذلك (انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه ادعوا واليه مآب) فليس فيه نسخ
هداية بضلال حتى يبطل دلالة معجزاتى (و) كيف ينكر النسخ وغايته انه تبديل الحكم
باعتبار المناسبة كتبديل اللسان فانه كما أنزلنا على الاولين ما يناسب حالهم بلسانهم (كذلك
أنزلناه حكما عربيا) أى مناسبا لحال العرب على لسانهم (و) المنسوخ وان كان هدى لاهله
لم يبق بعد النسخ هدى بل صار هوى سيما فى حق من بعد عن مناسبتهم لذلك والله (لئن اتبعت
أهواءهم بعد ما جاءك من العلم) لانه لم يبق مناسبا لهم فضلا عن أن يناسبك (مالك من الله من
ولى) من الرسل يقربك اليه وان كان مقربا به قبل النسخ (ولا واق) يحفظك من عذابه
بكونه فى الجملة حكم الله اذ صار هوى محضا (و) كما لا يقدح فى رسالتك شبهة اليهود
بالنسخ لا يقدح فيها شبهة النصارى بالازواج والاولاد فانه (لقد أرسلنا رسلا من
قبلك) باتفاق بينك وبين النصارى (و) لم يقدح فى رسالتهم الازواج والاولاد لانا
(جعلنا لهم أزواجا وذرية و) كذا شبهة مقترحى الآيات فانه (ما كان لرسول أن يأتى بآية
الا باذن الله) ولا يبعد أن يختص كل رسول بحكم وآية اذ (لكل أجل) أى زمان
ينتهى على مقدار مخصوص (كتاب) أى حكم وآية مكتوب فيه ينتهى بانتهائه ولا بعد
فى هذا الانتهاء ولا فى اثبات الضد فانه (يمحوا الله ما يشاء) من الاحكام والآيات (ويثبت)
ما يشاء منهما (و) ليس ذلك بطريق البداء على الله بل (عنده أم الكتاب) وهو اللوح المحفوظ
الذى قدر فيه الامور بحسب الازمنة والاشخاص بطريق التخصيص (و) بالجملة ليس ذلك
منك كما انه ليس منك ما ترتب عليه من الجزاء بل ليس لك تكميل ما نقص ولا نقص ما كمل
منه (اما نرينك) أى ان تحقق اراءتنا لك فى حياتك (بعض الذى نعدهم) فليس لك استكماله
(أو نتوفينك) أى وان تحقق توفيتنا لك قبل اراءة شئ مما نعدهم لنكمله عليهم فى الآخرة
فليس لك نقصه فيها (فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب أ) ينكرون محو أحكامهم مع
ظهور ارادتنا محو دينهم (ولم يروا أنا نأتى الارض) أى أرض سائر أهل الاديان (ننقصها)
عليهم باظهار دين الاسلام (من أطرافها) أى اطراف ممالكهم الحافظة للوسط (و) ليس ذلك
بطريق الابتلاء بل (الله يحكم) باقامة الدلائل ورفع الشبه بحيث (لا معقب) أى لا مبدل

السفيه الجاهل والضعيف الاحمق ويقال للنساء والصبيان سفهاء لجهلهم كقوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم يعنى

(الحكمه) بقول ولا فعل (و) ليس ذلك بتطويل المقدمات أو مضى المدة المديدة ليكون من بعد عهد الاولين اذ (هو) فى اظهار هذا الدين (سريع الحساب) يظهره بمقدمات أولية قليلة فى مدة يسيرة مقدار ثلاثين سنة تقريبا (و) لا يمنع سرعة حسابه مكر الكفار قولا بالقاء الشبه ولا فعلا فانه (قد مكر الذين من قبلهم) على أنبيائهم فدفعه الله عنهم ولا يبعد من الله أن يقلب عليهم مكرهم (فلله المكر جميعا) كيف وقد استحقوا أن يمكر الله عليهم اذ (يعلم ما تكسب كل نفس و) من مكره بهم اخفاء فوات الآخرة عليهم مدة حياتهم فانه (سيعلم الكفار) بعد موتهم (لمن عقبى الدار و يقول الذين كفروا) انما يقوم تناذلك لو كنت مرسلا لكنك (لست مرسلا قل) قد مكر الله بكم فى اخفاء رسالتى عليكم مع اظهارها بالمعجزات فانه (كفى بالله) باعطاء المعجزات (شهيدا) شهادة قاطعة للنزاع (بينى و بينكم و) لو أنكرتم كون آياتى معجزات كفى (من عنده علم الكتاب) كعبد الله بن سلام فانه علم من اطلاعه على كتب الاولين اعجاز هذا الكتاب * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد و آله أجمعين

(سورة ابراهيم)

سميت به لاشتمالها على دعوات لابراهيم عليه السلام تمت بهذه الملة كالحج و جعل الكعبة قبلة الصلاة مع الدلالة على عظمتها بحيث صارت من المطالب المهمة للمتفق على غاية كمال ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى نبوة نبينا عليه أكمل التحيات وأفضل التسليمات مع غاية كماله وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالات ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله فى كتابه (الرحمن) بانزاله لاخراج الناس من الظلمات الى النور (الرحيم) بهدايتهم الى صراط العزيز الحميد (الر) أى أجل لوامع الرشد أو أعلى لواء الرفعة أو أتم لباب الرحمة أو أعز لطائف الربوبية (كتاب أنزلناه اليك) يا أكمل الخلائق فى الاتصاف بهذه الصفات لتكميلهم فيها (لتخرج الناس) أى الذين ذهلوا ما فى استعدادهم من الاستنارة بنور الله والاتصاف بصفاته والاتيان بأعمال تتبع التخلق بها حتى يحصل لهم أعلى لواء الرفعة وأجل لوامع الرشد وأتم لباب الرحمة وأعز لطائف الربوبية (من الظلمات) أى ظلمات وجودهم وصفاتهم (الى النور) أى نور الذات المستلزم للاتصاف بصفاته لا بطريق الاكتساب بل (باذن ربهم) أى بتيسيره لهم هذه الفضائل لا الى حد الافراط بدعوى الالهية لانفسهم ولا الى حد التفريط بالاستغناء عن طاعته بل (الى) اعتدال (صراط العزيز) الذى من عزته لم يظهر بما هو كماله فى شئ حتى يوصف بالالهية (الحميد) بحفظ العبد عند فنائه فيه و بقائه به عن تعطيل ظاهره عن الطاعات الظاهرة فغاية أمره أن يرى غلبة نور الحق وصفاته الحميدة على وجود العبد وصفاته ولا يختص بذلك نفسه بل يقول (الله) هو (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) ولو من غير العقلاء مظاهر لا وجود لشئ منها بدون ظهوره فيها (و) ليس ظهوره فيها التصير

إلهة

(قوله النساء والصبيان) غير عزوجل سورة) غير مهموزة منزلة ترتفع الى منزلة أخرى كسورة البناء وسؤرة مهموزة قطعة

آ الهة فتستر توحيده بل الهيته بل لتستدل بها على ذاته وصفاته وتوحيده لذلك (ويل
للكافرين) أى الساترين الهيته أو توحيده بجعلها آ الهة (من عذاب شديد) يشتد من شدة
غضبه عليهم بجعل ظهوره لغيره ماهو له مع كثافة الحجاب عليهم وشدة اشتياقهم اليه لافادته
لهم الكمالات وسبب ذلك الحجاب قلة نظرهم لاحتجابهم بالحياة الفانية اذهم (الذين يستحبون
الحيوة الدنيا) فيفضلونها (على الآخرة) التى فيها كشف الحجاب فلايهتمون لسبب كشفه فى
الآخرة فيدوم عليهم الحجاب هنالك (و) لولم يستحبوا الحياة الدنيا (يصدون عن سبيل الله)
لدعوى الالهية لانفسهم (و) لولم يدعوها (يبغونها عوجا) باسقاط التكاليف عنهم (أولئك)
وان زعموا انهم أتم الناس نظرا وهداية (فى ضلال بعيد) بحجابهم عن الحق مع غاية قربه
فيشتد عليهم العذاب من فوات رؤيته تعالى معها (و) كيف لايبعد ضلالهم مع مخالفتهم
هدى من كفت هدايته الكل بحيث يخرج الكل من الظلمات الى النور وقد ضل من خالف
هداية من لاتكفى هدايته الا طائفة خاصة فانه (ماأرسلنا من رسول) الابهداية تناسب حال
قومه لذلك ماأرسلناه (الابلسان قومه ليبين لهم) ماهو هدايتهم الخاصة البيانية لاالتوفيقية
(فيضل الله من يشاء) بالقاء الشبهات فى بيانه الكامل مع مبالغته فى رفعها واقامة الحجج
(ويهدى) هداية التوفيق (من يشاء) فيكفيه بيانه لرفع تلك الشبهات به (و) ذلك لغلبة حكم
مشيئته على حكم بيانهم اذ (هو العزيز) ولكن لاتحكم عزته على سبيل التحكم اذهو
(الحكيم) فيفعل بكل واحد بمقتضى حقيقته (و) لكون هداية كل رسول سوى محمد صلى
الله عليه وسلم غير كافية للكل والله (لقد أرسلنا موسى) مع غاية عظمته لكونه مرسلا
(بآياتنا) العظام الكثيرة ولم نقل له (أن أخرج) الناس بل (قومك) لكن لعظمتها وكثرتها
قلنا له اخرجهم (من) أنواع (الظلمات الى النور) لكن لم يؤمر أن يسلك بهم طريق المحبة
اذقيل له (وذكرهم بأيام الله) أى وقائعه التى عظمت بها أيامها (ان فى ذلك) المذكور
(لآيات) أى دلائل على فضائل محمد صلى الله عليه وسلم من جهة عموم هدايته واتساع طريقه
وفضل أمته (لكل صبار) على التأمل فى تمييز النصوص الواردة فى حقه وحق سائر الانبياء
(شكور) بكونه من أمته (و) لعدم سلوكه بهم طريق المحبة ذكرهم النعمة التى هى من
أسباب المحبة بطريق التخويف ولقصورهم لم يقتصر على تخويفهم بوقائع من قبلهم بل
خوفهم أيضا بوقائع أنفسهم فاذكر (اذقال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ
أنجاكم من آل فرعون) اذ كانوا (يسومونكم) أى يقصدونكم (سوء العذاب) فلايبعد
من الله ان كفرتم بنعمته أن يسومكم سوء عذابه (و) كانوا (يذبحون أبناءكم) فلايبعد من
الله أن يذبح نتائج عقولكم الداعية الى الآخرة (ويستحيون نساءكم) فلايبعد من الله أن
يستحى نتائج أوهامكم وخيالاتكم فى أمر الآخرة كيف (و) لم يكن ذلك باستقلال منهم بل
(فى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) فلايبعد منه أن يبتليكم بذبح نتائج العقول واستحياء نتائج

من القرآن على حدة من
قولهم أسارت من كذا
أى بقيت وأفضلت منه
فضلة (قوله عز وجل
سبحانك) تنزيه وتبرىء للرب

الاوهام والخيالات (و) كيف تستبعدون ذلك بعدما صرح لكم به (اذ تأذن) أى أعلم اعلاما بليغا بمقتضى تربيته اذ هو (ربكم لئن شكرتم) نعمه بصرفها الى ما خلقت له كالعقل الى تصحيح الاعتقاد فيه واستعمال سائر النعم بمقتضاه بريا عن الوهم والخيال (لأزيدنكم) فى النعم كلها حتى أبلغ بالعقل درجة الكشف (ولئن كفرتم) سيما نعمة العقل بالاعتقاد الفاسد فلا أقتصر على سلبها بل اذيقكم العذاب على ابطال حكمتى (ان عذابى لشديد وقال موسى) كيف لا يشتد عذابه من لا يراعيه مع عدم احتياجه الى مراعاتهم وان كثروا غاية الكثرة (ان تكفروا أنتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى) عنهم وان كثروا هذه الكثرة اذ لا يلحقه نقص بتعذيبهم ولا ذم بل يظهر به غاية عظمته وقهره لانه (حميد) وكيف يترددون فى تعذيب الكثير (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح) مع غاية كثرتهم (وعاد) مع غاية قوتهم (وثمود) مع كثرة تحصنهم وصنائعهم (والذين من بعدهم) وهم من الكثرة بحيث (لا يعلمهم الا الله) لم يؤاخذهم الله الا على الكفر لانه آخذهم اذ (جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم فى أفواههم) أى فى أفواه أنفسهم أمر اللانبياء باطباق الفم او فى أفواه الانبياء منعا لهم من التكلم (و) اذ لم يسكتوا بذلك (قالوا انا كفرنا بما أرسلتم به) من وجود الله وتوحيده وأسمائه وأفعاله وكيف نؤمن ليناتكم (وانا لفى شك) ناشئ (مما تدعوننا اليه) أى من ذات المدعو اليه لا قريب يعارضه شئ بل (مريب) أى موقع فى الريب بحيث لا يبالى معه للبينات (قالت رسلهم) هل ينشأ شككم من ذات الله وارساله (أفى الله شك) مع انه لا بد من (فاطر السموات والارض) فالعالم بكليته وتفاصيل أجزائه دلائل عليه فكيف يشك فى ارساله مع انه بذلك (يدعوكم) اليه لا لفائدته بل (ليغفر لكم من ذنوبكم) أى بعضها الموجب خراب العالم (و) هو وان كان مرجعه الخراب يريد أن (يؤخركم) بابقاء نسلكم (الى أجل مسمى) هو أجل القيامة (قالوا) لو صح ما ذكرتم فى أمر الارسال فعندنا ما ينفيه وهو انه (ان أنتم الا بشر) وكلهم أمثال فأنتم (مثلنا) فلو أرسل الملك اليكم وكلمكم لأرسل الينا وكلمنا على ان الارسال انما يكون للهداية وأنتم (تريدون) اضلالنا وهو (أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) المشهورون بكمال الهداية والعقل فان زعمتم انهم أهل ضلال وأنتم أهل هداية (فأتونا بسلطان مبين) أى حجة ملجئة على ذلك (قالت لهم رسلهم) سلمنا أنه (ان نحن الا بشر مثلكم) يجوز أن يرسل اليكم الملك ويكلمكم كما أرسل الينا وكلمنا (ولكن الله) لا يجب عليه أن يفعل كل ما هو جائز بل هو (يمن على من يشاء) بارسال الملك اليه أو مكالمته كما يمن على البعض بمزيد المال والولد مع استواء الكل فى كونهم (من عباده و) ليست الآية الملجئة بل جميع الآيات مما يدخل تحت قدرتنا لذلك (ما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله) كيف (و) لا يصدر من أحد شئ الا باذنه لذلك (على الله فليتوكل المؤمنون) باستقلاله بالافعال اذا خوفوا من الغير (و) اذا وجب التوكل على المؤمنين فالانبياء أولى بذلك (ومالنا

قوله تعالى
عز وجل (
سحت) كسب ما لا يحل
و يقال السحت الرشوة فى
الحكم (قوله تعالى سلما
فى السماء) أى مصعدا

الاتتوكل على الله) اذا قصدتم أذيتنا (وقد هدانا سبلنا) فى جلب المنافع ودفع المضار بالله (و) ان لم يدفع عنا أذياتكم ابتلاء منه (لنصبرن على ما آذيتمونا و) لا يتمسك بسبب من الاسباب فى دفعها بل (على الله فليتوكل المتوكلون) لا على الاسباب اذ لا تأثير لها بدونه وهو مستقل بدونها (وقال الذين كفروا) بقدرة الله دون الاسباب بل رأوا الاسباب مؤثرة دون قدرته تعالى (لرسلهم) الذين شأنهم الهداية فى أبواب المعارف التى من جملتها التوكل فهم أتم فيها كيف يفيدكم التوكل فى دفع أذياتنا (لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا) أى الا أن تصيروا فى ملتنا صيرورة من كان فيها فخرج عنها لضرورة ثم عاد اليها بكمال رغبة واشتياق (فأوحى اليهم ربهم) الذى رباهم بالتوكل (لنهلكن الظالمين) بايذائهم على اهدائكم اياهم فلا يتمكنوا من اخراجكم ولا اعادتكم الى ملتهم كيف (ولنسكننكم الارض) التى أرادوا اخراجكم منها (من بعدهم) أى من بعد اخراجهم ولا يكون اخراجهم مثل اخراج الرسل بل (ذلك) الاخراج لهم مع تسكين أعدائهم عبرة (لمن خاف مقامى) أى قيامى بكمال الحكمة فى الاشياء (وخاف وعيد) على السيآت (و) كيف لا يكون الامر كذلك اذ (استفتحوا) أى طلب الرسل النصر عليهم فنصروا (وخاب) بهذا النصر (كل جبار) معتمد على قوته (عنيد) مع الله ورسله ولا يقتصر على اهلاكهم الدنيوى بل (من ورائه جهنم و) غاية ما يتلذذ به منها انها اذا غلب عليه حرارها (يسقى من ماء صديد) لقبح مشرب اعتقاده وأعماله ولاخذه بالشبهات المتكافئة (يتجرعه) أى يتكلف جرعه (و) لتركه البراهين السائغة (لا يكاد يسيغه) أى لا يقرب من اساغته بل يغص به ليطول عذابه (و) اذا كانت هذه غاية لذته فهو فى باب الشدة (يأتيه الموت من كل مكان) أى الشدة من جميع الجهات (وما هو بميت) فيتخلص عنها بالموت (و) لا يقتصر عليه فى حقه بل (من ورائه عذاب غليظ) يشتد كل يوم بحسب تفاصيل قبائحه وعظمها ولا يخففه أعمالهم اذ (مثل الذين كفروا) أى صفتهم العجيبة فى عدم انتفاعهم بأعمالهم لكفرهم (بربهم) الذى رباهم اذ الكفر بالمربى موجب لمزيد غضبه فهو محرق لاعمالهم لذلك (أعمالهم) من الصدقة وبر الوالدين وصلة الرحم وعتق الرقاب واغاثة الملهوف (كرماد) ولا ينالون من ذلك المحرق أيضا لانه (اشتدت به الريح) لاشتداد ريح القهر الالهى بهم (فى يوم عاصف) وصف بوصف المظروف مبالغة وهو مثال يوم القيامة لظهور الله فيه بغاية القهر والشدة فان أمكن أن يناله شئ من الرماد مع عصف الريح فهؤلاء (لا يقدرون مما كسبوا على شئ) وان كان كالمقبوض لهم اذ (ذلك) الكفر بالمربى (هو الضلال البعيد) الذى يبعد به الشخص عن أقرب الاشياء اليه (ألم تر) يا منكر كونه ضلالا بعيدا (أن الله خلق السموات والارض بالحق) أى بالحكمة الثابتة ليعرف فيعبد وينعم فيشكر فاذا فعلتم ما يناقض حكمته فى خلق العالم بعد ضلالكم أوجب غاية القهر عليكم مع غاية لطفه فى ذاته لذلك (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) يراعون حكمته فيلطف بهم (و) لا يبعد عليه ذلك فانه (ما ذلك على الله بعزيز) فلا يعز عليه اذهاب

(قوله سبحانه سبل السلام) أى طرق السلامة (قوله سبحانه سقط فى أيديهم) يقال لكل من ندم وعجز عن شئ ونحو ذلك قد سقط

أعمالكم (و) انما لم يشأ ذلك لانه أراد أن يفضحكم بين الخلائق مزيد فضيحة باعترافكم بابطال حكمته فيكم وفى اتباعكم اذ (برزوا) أى خرجوا من قبورهم (لله جميعا) أى لامره الارادى بعد مخالفتهم أمره التكليفى (فقال الضعفاء) وهم الاتباع (للذين استكبروا) على الرسل خوف ذهاب متبوعيتهم (انا كنا لكم تبعا) فكأنكم ألزمتمونا الكفر (فهل أنتم مغنون) أى دافعون (عنا من عذاب الله من شئ) أى بعض شئ (قالوا) لم نختر لكم شيأ لم نرضه لانفسنا قصدا لضر ربكم (لو هدانا الله لهديناكم) ولا يتأتى منا تخليصكم اذ (سواء علينا) الجزع والصبر (أجزعنا) لترحم (أم صبرنا) لاستعقاب الفرج بل أى حيلة تمسكنا بها (ما لنا من محيص) أى مخلص فكيف يتأتى منا تخليصكم (وقال الشيطان) الذى هو متبوع متبوعهم حين اجتمع الناس على لومه (لما قضى الامر) أى بعد حصول أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار (ان الله وعدكم) على ألسن رسله بالبعث والجزاء (وعد الحق) الصدق باقامة البراهين مصدقة لقدرته على تصديقه (ووعدتكم) على لسان الوسواس بعدمهما وعد الكذب مكرا (فأخلفتكم) مع عجزى من منع البعث والجزاء وقد كان لوعد الله دلائل تحكم على البواطن حكم السلاطين على الظواهر (وما كان لى عليكم من سلطان) يحكم على ظاهركم أو باطنكم (الا أن دعوتكم) أى مجرد دعوة بالوسواس فان كان الوسواس دليلا فهو المستقل (فاستجبتم لى) مع معرفتكم بعداوتى لكم ومكرى عليكم وعجزى عن وفاء وعدى وتركتم استجابة الله وقد علمتم أنه وعدكم بمغفرتكم ورفع درجاتكم (فلا تلومونى) فانه لا يلام العدو بالمكر على عدوه (ولوموا أنفسكم) باطاعة العدو والماكر وترك اطاعة الرب الرحيم ثم يقول قول سائر المتبوعين فى عدم تحمله شيأ من العذاب (ما أنا بمصرخكم) أى بمغيثكم بتحمل شئ من العذاب (وما أنتم بمصرخى) وان كنتم تحبوننى وأحبكم فقد انقلعت تلك المحبة التى كانت باشراككم اياى (انى كفرت بما أشركتمون من قبل) وان كنت به راضيا فلا أرضى به اليوم لئلا أزداد به عذابا اذ الشرك ظلم عظيم فلا أستمر عليه (ان الظالمين لهم عذاب أليم و) يزداد عذابهم شدة بازدياد أعدائهم راحة اذ (أدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات) وهو موجب راحة وقد تأكدت بكونها (تجرى من تحتها الانهار) ثم ازدادت بكونهم (خالدين فيها) ثم تأكدت بكون ذلك (باذن ربهم) الذى هو محبوبهم وليس بين أهلها ما يكون بين الكفار والفساق من العداوة فى النار بل (تحيتهم) أى تحية من فيها من الاتباع والمتبوعين وغيرهم (فيها سلام) يزدادون به لذة لاملام يفضى الى الآلام وان استبعدت هذه اللذات الكثيرة المؤبدة على الكلمة اليسيرة والآلام الغير المتناهية على الكلمة اليسيرة أيضا قيل لك (ألم تر) أيها المستبعد ذلك فى الغائبات ما يماثلها فى الشاهدات (كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة) هى كلمة الاسلام فى انها من حيث ثباتها فى حضرة القرب منه وثباتها بالدلائل القاطعة التى لا تتزلزل بشبهة وارتفاع درجاتها عنده وافادتها أنواع

فى يده وأسقط فى يده لغتان (قوله عز وجل سوء الحساب) هو أن يؤخذ العبد بخطاياه كلها لا يغفر له منها شئ (قوله تعالى سوء

الانعام والاكرام كل حين (كشجرة طيبة) هي النخلة (أصلها ثابت) أي عروقها ضاربة في الارض (وفرعها) أي افنانها مرتفعة (في) جهة (السماء تؤتي أكلها) أي ثمارها (كل حين باذن ربها) اي بارادته التي لا يتوقف تأثيرها على سبب فلا يحتاج الى مثال (و) لكن (يضرب الله الامثال للناس) أي الذين نسوا تأثير ارادته (لعلهم يتذكرون) تأثير ارادته في الغائبات بوجدان مثل ذلك التأثير في الشاهدات فلا يستبعدونها ويتذكرون ان كلمة الاسلام مثمرة للمعارف التي هي لا تتناهي باذن الله وان لم يقصدها القائل وللانعامات من الاحوال والمقامات في الدنيا وأنواع الثواب في العقبى باذن الله من جوده من أجلها كجوده على النخلة (ومثل كلمة خبيثة) هي كلمة الكفر في أنها تقلع المحبة من أصلها ولا يستقر صاحبها على أمر ولا ترتفع له درجة وان عمل من المكارم ما عمل (كشجرة خبيثة) هي الحنظلة أو الكشوث (اجتثت) أي أخذت جثتها (من فوق الارض) بلا أصل له راسخ فيها (مالها من قرار) أي ثبات على منبتها فضلا عن الفرع الصاعد الى السماء وكيف يستبعد ذلك وغايته انه (يثبت الله الذين آمنوا بالقول) أي بقول الاسلام (الثابت) بالحجج (في الحيوة الدنيا) فلا يغلبون بحجة ويحفظون أنفسهم وأولادهم وأزواجهم وأموالهم (وفي الآخرة) فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في القبر ولا في الموقف ولا تدهشهم أهوال القيامة (ويضل الله الظالمين) اذا سئلوا عن حججهم ولا يثبتون في مواقف الفتن وكيف يستبعد ذلك مع ظهور أسبابه (ويفعل الله ما يشاء) من غير سبب فان أنكرت كونهم ظالمين قيل لك (ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله) التي هي النطق الذي يمكن صرفه الى كلمة التوحيد (كفرا) أي كلمة كفر (و) الدعوة اليها بحيث أهلكوا أنفسهم وقومهم اذ (أحلوا قومهم) بعد أنفسهم (دار البوار) أي الهلاك لكونها (جهنم) فانها تكفي في الهلاك لو لم يصلوها لكنهم (يصلونها) ولا يقتصر عليه في حقهم بل يقرون بها (وبئس القرار) كيف (و) لم يقتصروا على تبديل النعمة بل بدلوا المنعم أيضا اذ (جعلوا لله أندادا) لا لاستزادة النعم بل (ليضلوا عن سبيله) وهي اعتقاد أن جميع النعم من الله فان أصروا على القول باستزادتهم النعم بهم (قل) غايتها التمتع الدنيوي المستعقب للانتقام الابدي (تمتعوا فان مصيركم الى النار) التي لا يفي آلامها التلذذ بهذه النعم فان اغتر بنعمهم عبادي (قل لعبادي الذين آمنوا) تمتعوا بما هو الذي من نعمهم في الدنيا والآخرة (يقيموا الصلوة) ليتمتعوا بمشاهدة الرب فيها (وينفقوا مما رزقناهم) ليتمتعوا بخلق السخاء (سرا وعلانية) ليقتدوا بدعاء من ستر عليهم وبدعاء من عمهم كرمهم وليس ذلك بخسران بل بيع الفاني بالباقي وتحصيل رضوان الله فليحصلوا ذلك (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه) ولو للامور الاخروية (ولا خلال) أي ولا محبة تحصل الرضوان وكيف يحتاج في استكثار النعم الى الانداد مع انها اما سماوية واما أرضية وهما لله اذ (الله) هو (الذي خلق السموات والارض و) ليستا موجدتين للنعم ولا لاسبابها القريبة اذ الله هو الذي (أنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات) لتصير أسباب بقائكم اذ جعلها (رزقا لكم و) ليست

(الدار) النار اذ تسود داخلها (قوله عز وجل سلطان) أي ملكة وقدرة وحجة أيضا (وقوله سكرت أبصارنا) سدت أبصارنا من قولهم سكرت

الانداد أسباب انتقالها من مكان الى آخر لا يمكن نقلها اليه بدونهم اذ (سخر لكم الفلك
لتجرى) بتلك النعم (فى البحر) المانع من النقل (بأمره) لا بأمر الانداد (و) ليست أيضا
أسباب تجديدها اذ (سخر لكم الانهار) لتجديدها بعد مضى الامطار (و) ليس لها أيضا
تعطيش الاشجار ليحتاج الى استقاء الماء ولا نضج الثمار اذ (سخر لكم الشمس) لتعطيشها
(والقمر) لانضاج ثمارها (دائبين و) لا يفيد الانداد التنعم بالاحباب ولا الربح بالتجارة اذ
(سخر لكم الليل والنهار) للتنعم بالاحباب والتجارة (و) لا سائر ما يحتاج اليه اذ (آتاكم من
كل ما سألتموه) بلسان الاستعداد (و) لو تصور من الانداد نعم لا يكونون بها أندادا لمن لا
تحصى نعمه (ان تعدوا نعمت الله لا تحصوها ان الانسان) بجعله لله اندادا (لظلوم) بجعل من
قل نعمه على تقدير صحته مثل من لا تحصى نعمه بل (كفار) بجعل بعض نعم الله للانداد
(و) اذكر لمن أنكر كون الانسان ظلوما أى وقت (اذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد)
الذى فيه بيتك الحرام (آمنا) لا يخرب الظلمة بيوت أهله الذين جاوروا بيتك الحرام ومن أظلم
ممن يخاف منهم ذلك (و) لمن أنكر كونه كفارا وقت قوله (اجنبنى) وان كنت معصوما فلا
آمن مكرك بان تظهر على العصمة مدة ثم تنقلنى الى الكفر (وبنى) المولودين فى حياتى (أن
نعبد الاصنام رب) انما دعوت مخافة ضلالى وضلالهم برؤية خوارق شياطينها الداعية الى
الشر (انهن أضللن كثيرا من الناس) فاذا جنبتنا ذلك فلا احتاج الى سؤال عصمتهم
عن المعاصى ولا شئ آخر (فمن تبعنى) فى الاعمال الصالحة والاتقاء عن المعاصى (فانه منى)
فى حكمه حكمى فى النجاة ورفع الدرجات (ومن عصانى) فى الفرعيات (فانك غفور) لا تخلده
فى النار بل (رحيم) بالانجاء منها (ربنا) لو لم أخف اضلال خوارقها فانى أخاف من فقر أولادى
أن يتخذوها لتكثر الهدايا اليهم بسببها (انى أسكنت من ذريتى) أى بعضها (بواد غير ذى
زرع) فأخاف منهم مزيد الطمع فى الهدايا وان جعلتهم (عند بيتك المحرم) الذى يتوقع
الاهداء اليه لكنهم قد لا يكتفون بها (ربنا) لم أجعلهم فى هذا الموضع الخطر لتحصيل تلك
الهدايا التى لا تحصل الا بوضع الاصنام بل (ليقيموا الصلوة) فى ذلك الموضع الذى يضعف
أجرها فادفع عنهم هذا الخطر (فاجعل أفئدة من الناس تهوى) أى تميل (اليهم) ليكثروا
هداياهم بحيث تغنيهم عن وضع الاصنام (وارزقهم من الثمرات) يأتى بها التجار الى بلادهم
فترخص عليهم (لعلهم يشكرون) نعمة اقامتهم عند بيتك المحرم بالصلاة فيه على كمال
الاخلاص والتوحيد مع فراغ القلب (ربنا انك تعلم ما نخفى) من اقامة الصلاة فى أفضل
الاماكن من ذريتى والشكر منهم على طلب ميل القلوب اليهم ورزق الثمرات لهم (وما
نعلن) من طلب ميل القلوب اليهم ورزق الثمرات لهم فلا شر فى سر ما طلبنا ولا فى اعلانه فهو
أولى بالاجابة (و) لو لم ندع لك حصلته لنا لاطلاعك على أحوالنا الظاهرة والباطنة فانه (ما يخفى
على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء) كيف وقد حصلت لنا ما هو أعظم من ذلك (الحمد لله
الذى وهب لى) من يقوم مقامى عند قرب ذهابى من الدنيا غالبا (على الكبر) المانع (اسمعيل)

النهر اذا اسد دنه ويقال هو من سكر الشراب كأن العين يلحقها مثل ما يلحق الشارب اذا سكر (قوله عز وجل سرادقها)

عند

عند تسع وتسعين سنة (واسحق) عند مائة واثنتى عشرة سنة واذا دعوت بهوى القلوب ورزق الثمرات لمثل هؤلاء الخيار المستوجبين للحمد ولاولادهما (ان ربى لسميع الدعاء رب) لما كنت داعيا لهم بذلك لاقامة الصلاة والشكر فلا تجعل ذلك شاغلا لهم عنها بل (اجعلنى مقيم الصلوة و) اجعل (من ذريتى) من يقيمها ولا يشتغل بالجاه والمال اشتغالا مانعا عنها (ربنا) لو جعلت ذلك مانعا لهم عن الصلاة لم تكن متقبلا لدعائى (و) لكن (تقبل دعاء) بجعل ذلك معينا لهم فى اقامة الصلاة والشكر (ربنا اغفر لى) ذنوبى المانعة من اقامتها أو القادحة فيها والحاصلة لاولادى من طلب الجاه والمال لهم (ولوالدى) فلا تجعل ذنوبهما سارية الى أولادهم بجعلهم مكتسبين لها بحملهم أسرارها (وللمؤمنين) أى يسرى من بعضهم الى بعض فتجعلهم مكتسبين لها بسبب صحبتهم ولا تجعل ذنوب بعضهم محسوبا على البعض الآخر (يوم يقوم الحساب) بطريق السراية أو غيرها فان زعموا انه ان لم يعلم الله أعمال الظالمين كيف يقيم حسابهم حتى يكون له يوم يقوم فيه وان علم فلا وجه لتأخير مؤاخذتهم قيل له (ولا تحسبن الله) من تأخير مؤاخذة الظالمين (غافلا عما يعمل الظالمون) حتى لا يقيم حسابهم ولا نسلم انه لا وجه لتأخير مؤاخذتهم لو لم يؤخرهم (انما يؤخرهم ليوم) مثل يوم المعصية بل ليوم من غاية هوله وشدته انه بحيث (تشخص) أى تصير (فيه الابصار) مع بقاء الاعين مفتوحة ومع تلك الحيرة لا يقفون بل يسيرون الى المحشر (مهطعين) أى مسرعين ولا يكونون فى هذا السير ناظرين الى مواضع أقدامهم بل (مقنعى) أى رافعى (رؤسهم) الى السماء انتظار نزول البلاء (لا يرتد) أى لا يرجع (اليهم طرفهم) من شدة الخوف كيف (وافئدتهم) أى صدورهم (هواء) خالية عن القلوب لصيرورتها الى الحناجر (وأنذر الناس) الذين نسوا ذلك اليوم بعد تذكيرهذه الدلائل (يوم) الموت اذ (يأتيهم) فيه (العذاب) البرزخى (فيقول الذين ظلموا) بانكار ذلك حين ظهر ظلمهم بكشف الحجب عن عالم الغيب (ربنا أخرنا) أى اخر موتنا (الى أجل قريب) بمقدار اجابة الدعوة ومتابعة الرسل وقد أخرتنا الى هذه المدة لذلك لكن لم نفعل فيها ذلك فان أخرتنا اليه الآن (نجب دعوتك) الى الاقرار بوجودك وتوحيدك وصفاتك (ونتبع الرسل) فى الشرائع فيقال لهم (أ) تطلبون التأخير من رؤية زوال نعمكم وتبديلها بالعذاب (و) كأنكم (لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال) عن نعيمكم ان كان هنالك حياة لان الله تعالى لم يزل منعما عليكم فلا يزل كذلك أعتقدتم ذلك (و) قد (سكنتم فى مساكن) المتنعمين (الذين ظلموا أنفسهم) بصرف نعمهم الى غير ما خلقت له كعاد وثمود (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) من الانتقام بعد الانعام (و) لم يكن مخصوصا بهم اذ (ضربنا لكم الامثال) أى بينا انكم أمثالهم فى الكفر والمعاصى (و) لا يدفعه مكركم بالقاء الشبهات اذ (قد مكروا مكرهم) الذى بذلوا فيه جهدهم بتحرير الشبهات حذرا من لزوم الحجة (وعند الله) ما يزول به (مكرهم) لتقرير الحجة عليهم (وان كان) أى ما (مكرهم لتزول منه الجبال) أى الدلائل الثابتة العالية ثبوت الجبال

السرادق الحجب التى تكون حول الفسطاط (قوله عزوجل سندس) رقيق الديباج والاستبرق صفيقه (قوله عزوجل

وعلوها واذا رأيت اهلاك الله للامم الماضية بالعذاب الدنيوى منجزا لوعد الرسل (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) بتعذيب أعدائهم العذاب الاخروى نصرا لهم اذ لا يتركه عجزا عنه ولا رحمة عليهم (ان الله عزيز ذو انتقام) من أعدائه نصرا لاوليائه ولا مانع لهم من انتقامه الذى فيه تبديل أحوالهم (يوم تبدل الارض غير الارض) بجعلها جهنم أو بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة (والسموات) بجعلها جنانا كيف (و) هو أتم للفضيحة اذ (برزوا) فيه بحيث لا يخفى على أحد ما يجرى على الآخر ولا ينفعهم اجتماعهم اذ يكون بروزهم (لله الواحد) أى المنفرد بالكمالات (القهار) لكل ما سواه بالنقص (و) من خصوص قهره بالمجرمين انك (ترى) فيه (المجرمين يومئذ مقرنين) مع الشياطين (فى الاصفاد) أى الاغلال اذ قارنوهم فى الدنيا فغلوهم فلم يمشوا فى الايمان والعبادة (سرابيلهم) أى قمصانهم مما يطلى بجلودهم (من قطران) دهن الابهل والعرعر كالزفت اسود منتن يشتعل منه النار بسرعة فيجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار اذ أحاط بهم القبائح من كل جهة (وتغشى وجوههم) التى لم يتوجهوا بها الى الله ولم يستعملوا مشاعرها فى أوامرها (النار) وليس على سبيل العبث بل (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) نفس الكافر بعذاب الكفر والفاجر بعذاب الفجور والمؤمن بفرح النجاة والانتقام من أعدائهم ولا يطول تأخير عذابهم هناك بطول حسابهم (ان الله سريع الحساب هذا) المذكور وان كان دليلا اقناعيا (بلاغ) أى كاف (للناس) أى لتذكير من نسى كيف (و) هو كاف (لينذروا به) عن القبائح التى أخذ عليها الاولون كيف (و) أقل فوائد أخبار مؤاخذة الاولين على الشرك أن يستعدوا (ليعلموا أنما هو اله واحد) لا يقتصر على هذه الفائدة للكمل اذ يستعدون (ليذكر أولوا الالباب) منهم فوائد لا تحصى تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الحجر)

سميت بها لاشتمالها على قوله ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين الى قوله ما كانوا يكسبون الدال على مؤاخذتهم بمجرد تكذيب الرسل والاعراض عن آيات الله بأدنى وجوه المؤاخذة مع غاية تحصنهم ففيه غاية تعظيم الرسل والآيات وهو من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بجمعيته فى آيات كلامه (الرحمن) بتفصيل ذلك التجلى فى كتابه (الرحيم) باجماله بعد التفصيل فى قرآنه المبين (الر) أى آيات لطائف الرقى أو أسرار لزوم الربانية أو أنوار لباب الرشد أو الطاف لحوق الرحمة (تلك آيات الكتاب) الذى فصل كلامه الازلى فتضمن لطائف الرقى اليه أو لزوم الربانية بالتخلق باخلاقه أو لباب الرشد الى أسراره أو لحوق الرحمة بالاقامة فى هذه المقامات (وقرآن مبين) افادة الاجمال بعد التفصيل لجعل اللطائف آيات لمزيد الجمعية وللزوم الربانية أسرارا وللباب الرشد أنوارا لافادة مزيد حضور فى القلب بجمله كلما محفوظا له وللحوق الرحمة الطافا فالانقياد لهذا الكتاب لابد وأن يفيد شيأ من مفصلاته أو مجملاته

سؤالك) أى امنيتك وطلبتك (قوله عز وجل سلالة من طين) يعنى آدم عليه السلام استل من طين ويقال سل من كل تربة وقوله ثم

والكفر به اضدادا لجميع لذلك (ربما) أى فى بعض الاحيان افاقتهم عن سكر هول ماهم فيه
(يود) الاسلام (الذين كفروا) ولا ينالونه بل غايتهم أنهم يتمنون (لو كانوا مسلمين) فلا
يكون لهم هذا التمنى الا فى بعض الاحيان فضلا عن تدارك المتمنى ولكنهم لا يعلمون الآن مع
ظهوره لاشتغالهم بما كلهم (ذرهم يأكلوا) لا يحصل لهم منها سوى تمتع قليل فذرهم
(يتمتعوا) يعلمون عدم بقائه لكنهم يتمنون انهم لو حشر واحصل لهم مثله فذرهم (يلههم)
أى يشغلهم (الامل) بلا سند (فسوف يعلمون) منتهى أملهم وهو الهلاك الابدى (و) قد
استحقوه الآن لكن (ما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب) أى أجل مكتوب (معلوم) أى
مقدر ليتأمل فى أسباب الهلاك ليتخلص عنها وهو وان علم انهم لا يتأملون فيها لا يعجل
اهلاكهم كما أنهم اذا تأملوا فيها عند انتهاء الاجل لا يؤخر عنهم (ما تسبق من أمة أجلها وما
يستأخرون) للزوم الحجة وارتفاع الاعذار (و) لعدم تأملهم فى الآيات المعجزة (قالوا يا أيها
الذى نزل عليه الذكر) المعجز انما عجز عن كلامك العقلاء لانه من كلام المجانين (انك لمجنون)
وغاية مافيه من الحسن انه كلام جنى تعلق بك وزعم انه ملك نازل عليك بالوحى من الله فان
صح (لوما) أى هلا (تأتينا بالملائكة) لنعلم انهم ملائكة كما علمتهم ملائكة (ان كنت من
الصادقين) فى زعمك انه وحى وانه يأتيك الملك من الله فقال تعالى (ما ننزل الملائكة الا بالحق)
أى الا بالحكمة ولا حكمة فى جعل الكل أصحاب الوحى كيف ولا يكون حينئذ رسول
ومرسل اليه على أن ظهورهم يكون كالملجئ الى الايمان فلا يفيد الايمان بعده (و) لذلك
(ما كانوا اذا منظرين) أى مؤخرين وكيف يكون هذا من تنزيل الشياطين مع غاية عظمته
بل (انا نحن نزلنا) من مقام عظمتنا (الذكر) المعجز للجن والانس (و) يدل عليه امتناع تبديله
(انا له لحافظون) اذ يظهر تبديله لكل ذكى (و) لا يبعد اتفاقهم على نسبة الجنون اليك بما
أتيت من الكلام المعجز من غاية كماله فانه سنة الكفرة الماضين فانه (لقد أرسلنا من قبلك فى
شيع) أى فرق (الاولين) والرسول يجب ان يحيط بعقول المرسل اليهم (و) هم مع كونهم فرقا
مختلفة (ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) باتفاق منهم على نسبة الجنون أو غيرها اليه
ولا يبعد هذا الاتفاق منهم مع كونهم عقلاء اذ (كذلك) أى مثل هذا الخيال الفاسد
(نسلكه) بواسطة الشياطين (فى قلوب) من يناسبهم من (المجرمين) فهم وان عارض خيالهم
دلائل واضحة (لا يؤمنون به) لمضى سنتهم على الاصرار فى العناد وسنتنا على اهلاكهم فلا
يبعد أن يلحقهم هذه السنة كيف (وقد خلت سنة الاولين) عن المعارض لها فلا بد من
وقوعها (و) لا يتركون الاستهزاء بالرسل وان أتتهم الآيات التى تشبه الملجئة فانا (لو فتحنا
عليهم) أى على هؤلاء المستهزئين (بابا من السماء فظلوا) أى فصاروا طول نهارهم (فيه
يعرجون) أى يصعدون مستوضحين لما يرونه (لقالوا انما سكرت) أى سحرت (أبصارنا)
ولا يختص السحر بأبصارنا ولا بوقت الصعود ولا بهذا النوع (بل نحن قوم مسحورون)

جعل نسله من سلالة ،عنى السلالة فى اللغة ما نسل من الشئ القليل وكذلك الفعالة نحو الفضالة والنخالة والنحاتة والقلامة

بكلمتنا فى كل وقت بكل نوع (و) كيف يؤثر السحر فى السماء وهى المؤثرة على الاطلاق فانه (لقد جعلنا فى السماء بروجا) تؤثر (و) لا تتأثر كيف تؤثر فى الابصار مع انا (زيناها للناظرين) فلو أثرت فى الابصار لبطلت زينتها عن نظرها (و) لو كان التأثير فى تحصيل الصعود فقط فلا يتصور الا بصعود الشياطين بالابصار طول النهار لكن (حفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق) من الشياطين (السمع) من الملائكة السماوية فانه وان صعد لا يمكنه الصعود طول النهار فانه بمجرد ما صعد رجم (فأتبعه شهاب) أى شعلة نار (مبين) أى ظاهر فيحترق أو يرجع سريعا على أن الصعود انما يحمل على السحر لو استحال فى ذاته وامتناعه فى عموم الناس لا يدل عليه اذهم كالارض والخواص كالجبال (والارض مددناها) اتلازم السفل (وألقينا فيها رواسى) اتلازم الارتفاع (و) ثمة ارتفاع معنوى لبعض الاحجار على بعض اذ (أنبتنا فيها من كل شئ) من الجواهر (موزون) بوزن مخصوص بقيمة عظيمة (و) كيف يحمل على السحر باستحالة النبوة مع انها الى الوجوب أقرب اذ (جعلنا لكم فيها معايش) يقع فيها النزاع ولا يرتفع الا بشرع أتى به شارع من عند الله (و) لو اكتفيتم فى قطعه بالعقل ربما يقصر عن مدارك الشرع اذ قد يعطى الشرع (من لستم له برازقين) كالبنت التى منعتموها الارث وقد أعطاها الشرع نصف ما أعطى الابن (و) لا يدل عدم ادراككم لمقام النبوة بالذوق على عدمها الانها أجل من أن تصلوا الى ذوقها والاشياء الحسية لا تحصل لمن ليس من أهلها الالقصور منا لانه (ان من شئ الا عندنا خزائنه) اختزنها أسماؤنا (و) لكن لعدم استعدادهم لانه (ما ننزله) أى المخزون فى أسمائنا الى عالم الشهادة (الا بقدر) أى الا بقدر استعدادات حقائق المحل (معلوم) فكيف ننزل ذوق أجل الاشياء على أدنا كم (و) النبوة وان لم يحصل لكم ذوقها يحصل لكم آثارها اذ يحصل بسببها العلماء أنواع العلوم فارسلناهم كما (أرسلنا الرياح لواقح) تلقح السحاب أى تجعلها حوامل بالماء وذلك ان السحاب بخاريه يصير باصابة الهواء البارد حوامل للماء كيف وانزال العلوم عليهم سبب حصولها لكم (ف) هو كما أنا (أنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه و) ليست تلك العلوم مما يحصل بالفكر أو بكشف الرهبان من الكفرة فهو كماء السماء (ما أنتم له بخازنين و) كيف تحصل هذه العلوم بطريق الفكر أو بطريق الرهبانية الباطلة مع انها الاحياء والاماتة المعنويين وهما فى الاختصاص بالله كالحسيين (انا لنحن نحيى ونميت و) لكونه منا يرجع الينا رجوع الميراث اذ (نحن الوارثون و) ليس احياؤنا بها واماتتنا على سبيل التحكم فانا (لقد علمنا المستقدمين) أى الطالبين للتقدم بالفضل والقرب (منكم) فأحييناهم (ولقد علمنا المستأخرين) فأمتناهم (و) هذه العلوم وان كانت سبب التقدم فلا تؤثر فى المستقدمين فضلا عن غيرهم بل (ان ربك هو يحشرهم) اليه فيفيدهم التقدم بفضله لا على سبيل التحكم بل لطلبهم التقدم (انه حكيم) والكل وان كانوا طالبين للتقدم الآن فلا عبرة به وانما هى لطلب الحقائق العلية باستعداداتهم الا انه (عليم و) لا يبعد عليه تقريب طالب البعد ولا ابعاد

والقوارة وما أشبه ذلك هذا قياسه (قوله عز وجل الحسنى السوء) أى جهنم والحسنى الجنة (قوله عز وجل سوق) جمع ساق (سعر) جمع

لطالب القرب فانا (لقد خلقنا الانسان) المستحق لاعلى مراتب القرب (من) أمر له غاية البعد (صلصال) هو الطين اليابس المصوت (من حما) أى طين رطب (مسنون) أى منتن فكان فى غاية البعد ثم قربناه نوع تقريب ثم لم نزل نقربه (والجان) الذى فيه من استحق غاية البعد (خلقناه من قبل) أى قبل الانسان فكان أكثر عبادة لله مع كونه من أعز العناصر لكونه (من نار السموم) أى الحر الشديد (و) اذكر لمن يشك فى تقريب الانسان وابعاد الجن (اذ قال ربك للملائكة) الذين هم أعز خلقه قبل الانسان (انى خالق بشرا) لا يستحق العزة بذاته كيف وهو من أخس الاشياء (من صلصال) هو من أخس منه لانه (من حما مسنون) ثم أشار الى تقريبه الموجب لتفضيله عليهم فقال (فاذا سويته) أى عدلت مزاجه فقربته من الوحدة المناسبة لوحدتى (ونفخت فيه من روحى) الفائض من جنابى لا من جناب العقول والنفوس (فقعوا له ساجدين) اعترافا بتفضله عليكم وكان أمرا لهم الملائكة ومن كان فى حكمهم كابليس (فسجد الملائكة كلهم) من غير استثناء (أجمعون) من غير أن يتأخر سجود البعض عن البعض (الا ابليس) لم يقتصر على التأخر بل (أبى أن يكون مع الساجدين) وان كانوا أفضل منه لتذللهم بالسجود (قال) تعالى (يا ابليس ما) عرض (لك) فألزمك (ألا تكون مع الساجدين) فانه لا ذلة لك فيما شاركت فيه الاعزة (قال لم أكن) لاشارك الاعزة فى تذللهم لادنى الاشياء فلم أكن (لاسجد لبشر) هو ذليل فى نفسه مع مزيد ذلته بمادته اذ (خلقته من صلصال من حما مسنون) فتعظيمك اياه بافاضة الروح منك لا يعارض الخسة من هذه الوجوه (قال) تعالى اذا نظرت الى خسة مادته وظاهره بعد ما رفعته وعظمته وأمرت اعزة عبادى بالتذلل له فلم تشاركهم (فاخرج منها) أى من طائفة الملائكة حكما فلم يبق لك من عزتهم شئ (فانك رجيم) بالسب (و) ليس على غير الاستحقاق بل (ان عليك اللعنة) أى الابعاد الكلى الموجب لغاية الذلة (الى يوم الدين) فلا يمكنك اكتساب العزة فى دار الدنيا التى هى مزرعة الآخرة (قال رب) ان لعنتنى فلا تعاجلنى بالعقوبة (فانظرنى الى يوم يبعثون) اذ لا يتصور انظار اللعين بعده (قال) اذا طلبت منى الانظار دون العفو والرجوع الى أمرى (فانك من المنظرين) لا الى وقت البعث اذ لابد من ردنى من دعوتك فغاية انظارك (الى يوم الوقت المعلوم) وهو النفخة الاولى التى يفنى عندها نوع الانسان (قال) ابليس (رب بما أغويتنى) بالنظر الى المادة الجسمانية دون الروحانية فزينت لى باطل رأيى وأزلتنى به عن رتبة الملائكة (لأزينن لهم) أهويتهم الباطلة لاجعلهم راسخين (فى الارض) التى هى مادتهم الخسيسة لارجعهم الى الخسة (و) لا اقتصر على التزين بل (لأغوينهم أجمعين) فلا يتم مقصودك من خلقهم اذ خلقتهم لمعرفتك وعبادتك (الا عبادك منهم المخلصين) الذين أخلصتهم من أهويتهم اذ لا أقدر على ابطال مرادك بالكلية (قال) الله (هذا) أى اغواء البعض واهداء البعض لا يخل بحكمتى اذ هو (صراط) أى دليل (على) لدلالته على سلطنتى

سعير فى قول أبى عبيدة وقال غيره فى ضلال وسعر فى ضلال وجنون يقال ناقة مسعورة اذا كان بها جنون (سورة الباب) يقال

وقهري ولطفي بالمغفرة تارة والاهداء أخرى فهو (مستقيم) في الدلالة على جميع كمالاتي
بخلاف مجرد الاهداء فانه لايدل على جميع كمالاتي بل فيه ميل الى جانب ولا يظهر لك في
اغوائك سلطنة تعارضني بها (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) تقهرهم على الاغواية
فلا يغوى (الامن اتبعك) لكونه (من الغاوين) أي المطبوعين على الغواية (و) هم وان
طبعوا على الغواية (ان جهنم لموعدهم أجمعين) لان غوايتهم انما كانت بترك متابعة الدليل
مع متابعة الاهوية الباطلة لغلبتها عليهم ولاعتبار الغالب منها في الاعتقادات (لها سبعة
أبواب) جهنم لعصاة المؤمنين ولظى لليهود والحطمة للنصارى والسعير للصابئين وسقر
للمجوس والجحيم للمشركين والهاوية للمنافقين وهؤلاء وان كان في كل منهم أهوية
مختلفة (لكل باب منهم) أي من مجموع الغواة (جزء) لانه (مقسوم) بقسمة الغواة باعتبار
الاصول اذ لاضبط للفروع ثم أشار الى أن ابليس وان كان سبب تعذيب الغواة فهو سبب
رفع درجات المتقين (ان المتقين) أي الذين توقوا عما يدعوهم اليه (في جنات) باجابتهم لله
بالعبادة التي تقيهم عن المعاصي (وعيون) بالمعارف الحاصلة لهم عن التصفية الحاصلة عن
العبادة ولكمال صفائهم يقول لهم الملائكة (ادخلوها بسلام) لسلامتكم عن امراض
النفوس (آمنين) عن عقوبتها (و) لصفائهم (نزعنا مافي صدورهم من غل) أي حقد كان
لبعضهم على بعض حتى صاروا (اخوانا) يتلذذ بعضهم بصداقة بعض كيف ولا تذلل في
صداقتهم لكونهم (على سرر) ولايغار بعضهم من بعض بما حصل له من المنزلة الرفيعة
لكونهم (متقابلين) يتلذذ بعضهم برؤية وجه بعض كيف والغل والغيرة نصب وهؤلاء
(لايمسهم فيها نصب) أي تعب كيف وهو اخراج لهم من الجنة معنى (وماهم منها بمخرجين)
لاحسا ولامعنى ولما ذكر ان جهنم موعد جميع الغواة وجعل الجنة للمتقين أيس المذنبون
من المؤمنين فأزال يأسهم بقوله (نبئ) أي أعلم (عبادي) المؤمنين اذ أيسوا لذنوبهم (أني
أنا الغفور) لذنوب لايغفرها ملك غيري لاني أنا (الرحيم و) اذا أخذهم الأمن من ذلك
نبئهم (ان عذابي هو العذاب الأليم) بحيث لايستحق أن يوصف عذاب غيره بالأليم وان بولغ
فيه غاية المبالغة (و) اذا أنكروا الرحمة من المعذب والعذاب من الرحيم (نبئهم عن ضيف
ابراهيم) انهم جاؤا للتبشير ولتعذيب قوم لوط مع ان فيه اشارة الى أنه ينبغي أن يخاف مما
يتوهم فيه الأمن ويرجى فيما يتوهم فيه الخوف فانه خافهم ابراهيم فاذاهم مبشرون ثم
سألهم فاذاهم معذبون للقوم المجرمين وأن من خاف الذنوب بشر ومن لم يخفها عذب (اذ
دخلوا عليه) فخافهم ابراهيم (فقالوا سلاما) ليأمنهم أمان الخائف من الذنوب فلم يأمنهم بل
(قال انا منكم وجلون) كما لايأمن التائب من المعاقبة بعد التوبة (قالوا لاتوجل) فانا وان
كنا ممن يوجل منهم ماجئناك بخوف (انا نبشرك بغلام عليم) يقوم مقامك فلم يعتبر تبشيرهم
اذ كان بعد خروج الوقت كالتوبة حال النزع (قال أبشرتموني) بشارة عالية (على أن مسني
الكبر) المانع منها او بشارتكم ان كانت سببا فالسبب لايؤثر مع المانع ومع ذلك (فبم

هو السور الذي يسمى
الاعراف (قوله عز وجل
سحقا) أي بعدا ومنه
مكان سحيق اذا كان بعيدا
(قوله تعالى سواء) اسم

تبشرون قالوا) ماجعلنا البشارة سببا بل (بشرناك بالحق) أى بفعل الحق الذى لا يمنعه مانع فلا يتوقف فى بشارته الاقانط (فلا تكن من القانطين) قنوط المحتضر عن التوبة (قال ومن يقنط من رحمة ربه) وان كانت على خرق العادة (الا الضالون) عن قدرته على ما لا سبب له أو الموانع فيه موجودة ثم لما علم انه يكفى للتبشير واحد وهم جماعة (قال فما خطبكم) أى شأنكم العظيم الموجب لاجتماعكم (أيها المرسلون) مع ان ارسال الواحد للبشارة كاف (قالوا انا أرسلنا الى) اهلاك (قوم) لوط لكونهم (مجرمين) بأنواع الجرم فنعذبهم بأنواع العذاب (الا آل لوط) لا نعذبهم بشئ منها (انا لمنجوهم أجمعين) عن أنواعه (الا امرأته) فانها وان خرجت مع أهله عن مكان العذاب (قدرنا) كونها فى مكان المعذبين (انها لمن الغابرين) أى الباقين معهم فى اعتقادهم فهذه أعمال كثيرة تحتاج الى كثرة العاملين منافى السنة الالهية وان كان كل منا صالحا للتبشير والتعذيب لكن اذا توجهنا الى جهة فلا يتأتى خلافها فى تلك الحالة بتلك السنة ولما كانوا لانجاء قوم لوط لم يكن لهم بد من مجيئهم اليهم ليعلموهم سبب نجاتهم ولما كان الانجاء فى الحرف لم يكن بد من منكر الحال (فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون) يخاف منكم تارة وعليكم أخرى (قالوا) لسنا ممن يخاف منهم ولا عليهم (بل) ملائكة (جئناك بما) أى بعذاب (كانوا فيه يمترون) أى يشكون (وأتيناك بالحق) أى الفصل بين أهل الحق والباطل لانجاء الاولين واهلاك الآخرين (و) ليست هذه الدعوى منا كاذبة لتسليتك وتخويف قومك بل (انا لصادقون) يظهر صدقنا باعماء قومك فلا بد من وقوع ما قلنا ولا يحصل الا بخروجك من مكانهم (فأسر) أى فاذهب (بأهلك بقطع) أى فى جزء (من الليل) ليكونوا على غفلة من ذهابكم فقدمهم (واتبع أدبارهم) أى كن على اثرهم لان خروجك منهم سبب تعذيبهم فلو تقدمت أخذ العذاب من خلفك وليكن خروجك بأهلك عنهم ظاهرا وباطنا (ولا يلتفت منكم أحد) الى ما يصيبهم فيصيبه مثل ما أصابهم لمحبته لهم (و) لا تقفوا فى الطريق من حيرة ما أصابهم بل (امضوا) أى سيروا الى ان تصلوا (حيث تؤمرون) أى مكانا تؤمرون بالوصول اليه وان بعد (و) أكدنا عليهم الامر بالامضاء اليه اذ (قضينا) أى حكمنا جزما فيما أوحينا (اليه ذلك الامر) الفظيع الذى يجب أن يتباعد عنه غاية التباعد وهو (أن دابر) أى آخر (هؤلاء مقطوع) لئلا يبقى منهم من يحمل أسرارهم (مصبحين) أى داخلين فى وقت الصبح وان كان وقت الرحمة انقلب عليهم عذابا فقيه التخويف عما يتوهم منه الامن (و) ذلك لاستبشارهم بفعل المعاصى مع جعله الله سبب عذابهم فانه (جاء أهل المدينة) الذين حقهم تعميرها بابقاء النسل (يستبشرون) بما فيه خرابها فكان استبشارهم سبب هلاكهم كيف وقد قصدوا بذلك اهلاك عرض لوط الذى ينزل منزلة اهلاكه بالاساءة الى أضيافه لذلك (قال) لهم لوط (ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون) بالاساءة اليهم فان الاساءة اليهم فضيحة للمضيف (واتقوا الله ولا تخزون قالوا)

منهم كان يعبد فى زمن نوح عليه السلام (قوله عزوجل سدى) أى مهملا (قوله سباتا) أى راحة (قوله سجرت) لابد انكم

انك تفضح نفسك بجعلهم ضيفك (أ) تجعلهم ضيفك بعد مانهيناك كانا أمرناك به (ولم ننهك
عن) ان تضيف أحدا من (العالمين قال) انما تمنعوني عما يجب ان أنها كم منه لما فيه من
تخريب بلدكم مع أنه لا يزيد على صب الماء (هؤلاء) نساء القوم (بناتى) انكحوهن اياكم (ان
كنتم فاعلين) صب مائكم فصبوه عليهن ليحصل لكم من بذركم من يقوم مقامكم ويعمر بلدكم
قالت الملائكة (لعمرك) يامن تعظمهم بما فيه تعمير بلادهم وبقاؤهم انهم لا يسمعون
موعظتك (انهم لفى سكرتهم) أى شدة غلبتهم التى أزالت عقولهم (يعمهون) أى يتحيرون
فلا يفهمون ما تقول لهم فلما لم يسمعوا منه النصيحة المبقية لهم أسمعهم الله الصيحة المهلكة
لهم (فأخذتهم الصيحة) من جبريل (مشرقين) أى وقت اشراق الشمس ليموتوا وقت كمال
الحياة لتضييعهم حياة مائهم (فجعلنا) من تلك الصيحة المحركة للارض (عاليها سافلها) لجعلهم
الرجال العالين كالنساء السافلات (وأمطرنا عليهم) لامطارهم على الرجال مياههم ليبقى جمادا
ويجمد بعد الرطوبة (حجارة من سجيل) أى طين كان رطبا فتحجر لرجمهم على لواطهم
وليست هذه القصة للتفكه بسماعها بل (ان فى ذلك لآيات) من أمن الخائف وهلاك الآمن
وانقلاب المذموم لما (للمتوسمين) أى الناظرين بطريق التفرس فى الآيات (و) لم تذهب
عن أهل العصر (انها) أى هذه الآيات (لبسبيل مقيم) أى لموجودة فى سبيل مستقيم للقوم
(ان فى ذلك) أى فى جعلها بسبيل مقيم (لآية) أى عبرة (للمؤمنين) بما يسمع ويرى بأن من
فعل مثل فعلهم استحق مثل نكالهم (و) كيف لا يعتبر بهم وقد جعل مثلهم أصحاب الايكة
(ان) أى انه (كان أصحاب الايكة) قوم شعيب (لظالمين) بنقص حكمة الموازنة ظلم قوم لوط
بابطال حكمة المناكحة بل دون ذلك (فانتقمنا منهم) بما انتقمنا من قوم لوط من الصيحة
(و) فضحناهم مثل فضيحتهم (انهما لبامام مبين) أى طريق واضح (و) لا يختص بنقص حكمة
الموازنة والمناكحة بل يكفى فيه تكذيب الرسل فانه (لقد كذب أصحاب الحجر) وهم ثمود
(المرسلين) أى صالحا القائم مقام جماعتهم (و) يكفى فى تكذيبهم أنا (آتيناهم آياتنا فكانوا عنها
معرضين و) انما لم يبالوا الآيات لتحصنهم اذ (كانوا ينحتون من الجبال بيوتا) ليصيروا (آمنين)
من نقب اللصوص وتخريب الاعداء والانهدام لكن لم يفدهم الامان عن الصيحة (فأخذتهم
الصيحة) مثل صيحة قوم لوط وشعيب اذ لم يسمعوا حكمة الله فى الارسال واظهار الآيات
(مصبحين) وقت توقع الرحمة لبدو النور وهو وان كان مما يصون من الآفات لم يصنهم
لعماهم كما لم تصنهم بيوتهم من آفة الصيحة (فما أغنى) أى دفع العذاب (عنهم ما كانوا يكسبون)
من الابنية الوثيقة ولا من البر الى الخلق (و) لو لم نؤاخذهم بهذه الآيات لاخذناهم بآيات
الآفاق فانا (ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) أى الا بالحكمة الثابتة التى
لا تقبل التغير وهى الاستدلال بها على الصانع وصفاته وأسمائه وأفعاله ليعرفوه فيعبدوه
فاذا أخلوا بذلك أخذناهم (و) لو لم نؤاخذهم بها فى الدنيا أخذناهم فى الآخرة (ان الساعة
لآتية)

أى ملتث ونضد بعضها فى
بعض فصارت حجرا واحدا
عملوا كما قال عز
اسمه واذا البحار سجرت أى
تجر بعضها الى بعض أى

لا آتية) واذا كانت المؤاخذة بمشيئة الله فى الوقت كالايمان فى الشخص (فاصفح الصفح الجميل) أى أعرض عن استجهالها وعن الزامهم الايمان لا عن دعوتهم لانك لست خالقا للعذاب ولا للايمان (ان ربك هو الخلاق) وهو وان كان خلاقا بمشيئته فلا يشاء خلاف ما علمه لانه (العليم و) كيف لا تصفح عن الزامهم الايمان وأنت غنى عن ايمانهم لما أغنيناك عنهم فانا (لقد آتيناك سبعا) أى سبع آيات (من المثانى) أى من سورة الفاتحة التى تكرر نزولها لاشتمالها على معان مختلفة أصلية وتكررت فى الصلاة لما يتفرع منها من تلك الاصول معان اخر (و) آتيناك معها (القرآن العظيم) اتماما لغناك عن الخلق كله وعند هذا الغنى (لا تمدن عينيك) الناظرتين الى الآخرة والى الحقائق والى الله (الى ما متعنا به) من الاموال (أزواجا) أى أشخاصا صار وابها متبوعين متزاوجين (منهم) ليكثر اتباعك وتنفقها فى سبيل الله فالذين يتبعونك بهذه الآيات والقرآن أكثر من ذلك ويحصل لهم من الغنائم أكثر من أموالهم (ولا تحزن عليهم) أى على تركهم الايمان وان كان ايمانهم مقويا للدين من كثرة اتباعهم فان الله يقويك بضعفاء المؤمنين أكثر من تقويتك بهم لان أموالهم ربما تعوقهم عن الجهاد بخلاف الضعفاء (و) لاستكثار الاتباع (اخفض جناحك) أى اجعل يدك متواضعة (للمؤمنين) فانه يجذب الخلائق بطريق المحبة أكثر من جذب المال عند المستكبرين (وقل) لمن لا ينجذب لمحبتك (انى أنا النذير المبين) أن ينزل عليكم العذاب على تقسيمكم أوقاتكم على أهوية مختلفة (كما أنزلنا) من العذاب (على المقتسمين) القرآن الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين (الذين جعلوا القرآن) أى الذى كل آية منه جامع لوجوه الهداية (عضين) أى أجزاء مختلفة من أهوية وضلال فان تركناهم فى الدنيا (فو ربك) الذى أنزله لتربية الكل (لنسألنهم أجمعين) وكفى بسوء المناشدة عليهم سيما اذا سألناهم عما عملوا فيه بل (عما كانوا يعملون) من الاهوية المختلفة التى جاء القرآن ببيان فسادها واذا كان هذا السؤال يتوقف على البيان الكلى (فاصدع) أى فرق بين الاشياء لا برأيك بل (بما تؤمر واعرض عن المشركين) به رأيهم الفاسد فاعترضوا عليه بل استهزؤا به فلا تهتم لدفعه (انا كفيناك المستهزئين) فضلا عن استهزائهم أشار جبريل عليه السلام الى ساق الوليد بن المغيرة فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فأصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات والى أخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى فمات والى أنف عدى بن قيس فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى أصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عينى الاسود بن المطلب فعمى وقد كانوا محل الاستهزاء لانهم (الذين يجعلون مع الله) الذى له كل الكمالات (الها آخر) مع ما فيه من النقائص فان جهلوا الآن كونهم محل الاستهزاء (فسوف يعلمون و) لكنه يكاد يسرى جهلهم اليك فانه (لقد نعلم انك يضيق

فتح ويقال معنى سحرت أى يقذف بالكواكب فيها ثم نضرم فتصير نيرانا (قوله عز وجل سعرت) أى أوقدت (قوله تعالى سطحت

صدرك) فيظلم (بما يقولون) من كلمات الاستهزاء وحقه ان يتسع بنور الله فلا يضيق بظلم
آخر (فسبح) ليزداد تجردا فيزداد استنارة (بحمد ربك) لتتخلق بكمالاته فتزداد اتساعا (وكن)
عند ذلك (من الساجدين) لا من المدعين الكمالات لانفسهم كيف (و) كمالاته في عبادته لذلك
(اعبد ربك حتى يأتيك اليقين) أى نور التجلى الكامل الموسع لقلبك * تم والله الموفق والملهم
والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة النحل)

سميت بها لاشتمالها على قوله وأوحى ربك الى النحل المشير الى انه لا يبعد ان يلهم الله عز وجل
بعض خواص عباده ان يستخرجوا الفوائد الحلوة الشافية من هذا الكتاب بحمل كلماته على
مواضع الشرف وعلى المعانى المثمرة وعلى التصرفات العالية مع تحصيل الاخلاق الفاضلة
وسلوك سبيل التصفية والتزكية وهذا أكمل ما يعرف به فضائل القرآن ويدرك به مقاصده
(بسم الله) المتجلى بذاته وأسمائه باعتبار صورها وآثارها جمعا وتفصيلا فلا يتم فى دار الدنيا
لانصرافها بل انما يتم فى دار البقاء (الرحمن) بافاضة الكمالات على الكل فلا يتم الفرق بين
البر والفاجر فى الدنيا على العموم ولا بد منه فهو فى الآخرة (الرحيم) بانزال الروح الفارق على
المخصوص فى الدنيا لانه تم بالمعنى فى دار الآخرة (أتى أمر الله) أى تحقق شأن ظهوره التام
الذى لا يتصور الا فى القيامة تحقق الماضى لدلالة الدلائل العقلية والنقلية عليه (فلا تستعجلوه)
لازالة الشك فيه أما الدلائل العقلية فلانه عز وجل تسبح (سبحانه) أى تنزه بذاته عن الشرك
واذا كان من لا يتنزه بذاته عن الشريك من الملوك يغضب على من أشرك به فانتقم منه فالمتنزه
بذاته أولى كيف (و) قد (تعالى) أى علت رتبته (عما يشركون) أى عن مراتب كل شريك
ومن أشرك بأحد من لا يساويه غضب عليه وان لم يكن ملكا وكان الشريك ممن يقاربه
فكيف من هو أجل الملوك وبعدت رتبته عن مراتب الشركاء وأما الدلائل النقلية فلانه
عز وجل (ينزل الملائكة) المعصومين (بالروح) أى بالكلام الذى هو كالروح لكلام غيره
ويفيد الحياة الابدية من علوم المكاشفة والمعاملة وغيرهما بحيث يعلم بالضرورة انزاله
به (من أمره) كأن الروح من أمره بل أعلى منه لان فيضان الروح يكون على الكل وهذا
انما يكون (على من يشاء من عباده) المنسوبين الى هويته لا لاضلال الخلق بدعوتهم الى
أنفسهم بل ليقولوا لهم (أن أنذروا) الناس من استقلالى بالتأثير من حيث (أنه لا اله الا أنا)
والمتوحد بالالهية متوحد بالتأثير فلا أثر للاسباب وان كان مؤثرا عندها (فاتقون) أى خافوا
تأثيرى بالذات ولا تخافوا الغير الا بواسطتى وكما لا يساويه غيره فى ذاته لا يساويه فى أفعاله لانه
(خلق السموات والارض) كيف وانما خلقا (بالحق) أى بظهور نور وجوده واذا لم يتصور
من غيره خلقهما ولا ظهور النور من وجوده فيهما (تعالى عما يشركون) فى الافعال تعاليه
فى الذات ثم انه كما لا شريك له يساويه لا شريك له أدنى لان الخلق وان كان ينقسم الى أعلى
وأدنى فله ان يجعل الادنى أعلى فانه (خلق الانسان من نطفة) هى أدنى فجعلها أعلى (فاذا هو

أى بسطت (قوله تعالى سقياها) أى شربها
(باب السين المكسورة)
(قوله عز وجل السر) هو ضد العلانية وسر النكاح كقوله

خصيم

خصيم) أى مجادل فى تمييز الحق من الباطل (مبين) لما يميزه باقامة الدلائل ورفع الشبه على ان الادنى الذى لا يصير أعلى انما خلق لحاجة الاعلى اليه فيجب ان يكون خالقه خالق الاعلى ابقاء لعلوه عليه (و) لذلك وجب أن يقال (الانعام خلقها) ابقاء لعلوكم اذ (لكم فيها دفء) ما يشد به من اللباس والاكسية المتخذة من أصوافها وأوبارها وأشعارها مما يدفع الحر والبرد فيحفظ اعتدال المزاج الذى هو من أسباب العلو (ومنافع) تدفع الحوائج المذلة كالدر والنسل يباعان فيها (و) مما يشتد اليه الحاجة دفع الجوع والعطش وهو يحصل منها بنفسها اذ (منها تأكلون) لحومها وتشربون ألبانها (و) منها ما يفيد كم مزيد علو عند الناس اذ (لكم فيها جمال) أى زينة (حين تريحون) أى تردونها الى المراح بالعشى من المرعى (وحين تسرحون) أى تخرجونها الى المرعى بالغداة فانه يحمل بذلك أهلها فى أعين الناظرين اليها ولكون الجمال فى الاول أظهر لانها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع قدمه ثم أشار الى فائدة جامعة للحاجة والزينة فقال (وتحمل أثقالكم) فلا تتذللون بحملها فهو زينة لكم على انه محتاج اليها لانها تحملها (الى بلد لم تكونوا بالغيه) سيما مع تلك الاثقال (الا بشق الانفس) فربكم انما خلقها رأفة بكم بدفع المشقة عنكم ورحمة عليكم بافادة الزينة لكم (ان ربكم لرؤف رحيم) فلو شكرتموه زادت رأفته ورحمته بكم ولو كفرتموه بنسبتها الى غيره زاد غضبه عليكم ثم أشار الى ما هو أتم فى دفع المشقة وافادة الزينة فقال (والخيل والبغال والحمير) خلقها (لتركبوها) فتدفعوا بها مشقة السير بالارجل وان كانت دون مشقة حال الاثقال ففيه مزيد الرأفة (وزينة) فوق زينة الانعام ففيه مزيد الرحمة (و) من مزيد رحمته (يخلق) لكم (ما لا تعلمون) فالادنى انما خلق ابقاء لعلو العالى المنسوب الى الرب الاعلى يجب ان ينسب اليه أيضا فلا شريك له مساو ولا أدنى (و) اذا كان خالقا للانعام المذكورة لدفع مشقة السير فى طريق التجارة أو الزيارة أو غيرهما ولافادة الزينة فمشقة الآخرة أولى بالدفع وزينتها أولى بالتحصيل كان كالواجب (على الله قصد السبيل) أى بيان سبيل يجب ان يقصده دافع المشقة الاخروية ويحصل زينتها (و) كيف لا يبينه مع انها ليست مستوية فى الايصال الى ذلك اذ (منها جائر) أى مائل (و) لكن لا يلجئ بيانه الى الهداية اذ (لو شاء) البيان الملجئ (لهداكم أجمعين) فلم يكن ثمة طريق جائر أصلا فلم يحتج الى البيان فضلا عن الملجئ بيانه وان لم يكن ملجئا فلا ينقص عن قدر الكفاية فى حق الكل لان سنته فى الرزق الحسى والمعنوى واحدة وقد يكفى فى الحسى اذ (هو الذى أنزل من السماء ماء) وكذلك أنزل علما (لكم منه شراب) يسكن حرارة العطش وكذلك علمه يسكن حرارة الشوق الى المعرفة (ومنه شجر فيه تسيمون) دوابكم ففى العلم ما تنتفع به النفس الحيوانية فلا يقتلها الهوى قتل الجوع للحيوان وكما لا يقتصر فى النبات على ما ينتفع به الحيوان دون الانسان اذ (ينبت لكم به الزرع) الذى فيه قوت الانسان (والزيتون) الذى فيه ادامه (والنخيل والاعناب) اللذين فيهما مع ذلك مزيد التلذذ (ومن كل الثمرات) التى هى فواكه وأدوية فكذا فى العلم

عز وجل ولكن لا تواعدوهن سرا وسر كل شئ خياره (قوله عز وجل سنة ولا نوم) السنة ابتداء النعاس فى الرأس فاذا

ما ينتفع به الروح والقلب بطريق التقوت كالعلوم العقلية وبطريق الادام كالمقدمات وبطريق التلذذ كعلوم المكاشفة وبطريق الفواكه والادوية من علوم المعاملة (ان فى ذلك) أى فى انزال المطر لهذه الفوائد الدنيوية (لآية) على انزاله العلم المفيد هذه الفوائد (لقوم يتفكرون) فى سنته انها لا تخالف فى الامور الظاهرة والباطنة (و) لا يكون بيانه ملجئا لجريان سنته فى الامور الظاهرة التى جعلها فى غاية الظهور واذ يكون لها نوع خفاء اذلك (سخر لكم الليل) للاخفاء (والنهار) للاظهار (و) ليس بيانه فى حق الكل على نمط واحد كما ان الظاهرة للامور الظاهرة ليست على نمط واحد فى جميع الاوقات لانه سخر (الشمس والقمر والنجوم) فكان بيانه فى حق البعض كالشمس وفى حق البعض كالقمر وفى حق البعض كالنجوم وانتسب الكل الى الله كما كانت هذه الكواكب (مسخرات بأمره) فاستوى الكل فى نفس البيان استواء هذه الاشياء فى نفس التسخير (ان فى ذلك لآيات) أشير الى بعضها بما ذكر (لقوم يعقلون) بالفعل فوق عقل المتفكر بالقوة (و) البيان المنزل وان كان واحدا فلا يبعد ان يختلف باختلاف التوجيهات فانه تعالى سخر لكم (ما ذرأ) أى خلق (لكم) بحسب مقاصدكم المختلفة اعتنى بها وان كانت دنية باختصاص كونها (فى الارض مختلفا ألوانه) فاختلاف الوجوه فى الامر الاعلى بحسب اختلاف أهله أولى (ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون) فيستحضرون المعقولات من المحسوسات بادنى ملابسة لتقرير أسرارها بأذهانهم (و) كيف يبعد استخراج الامور المختلفة مما أنزل مع انه البحر المحيط وقد جرت سنته كذلك فى البحر الحسى غاية ما فى ذلك من الصعوبة مثل صعوبة البحر الحسى لكنه عز وجل سهله على أهله اذ (هو الذى سخر البحر) لتصيدوا منه السمك (لتأكلوا منه لحما طريا) فى غاية الرطوبة ليفيد قواما لسهولة الغذاء وهو مثال ما يقوى الدين بأدنى تعب (وتستخرجوا منه) لآلى وجواهر لتجعلوهما (حلية) وهو مثال تحرير الادلة التى يتزين بها الدين ويستر به عيوب الشبهات ستر الحلية عيوبكم اذ (تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه) أى شاقة من المخر وهو مثال لتدقيق النظر واشباعه (ولتبتغوا من فضله) أى التجارة وهو مثال تحصيل الفوائد الزائدة على مفهوم الاصل (و) انما كان البحر دليل ما ذكرناه لانه انما فعل ذلك لطلب الشكر (لعلكم تشكرون) والشكر انما يكون بصرف النعم الى ما خلقت له وذلك ببيان ما خلقت له وبيان المنعم وبيان فوائد الشكر (و) البيان وان لم يتم مع تعارض الادلة أو النقض أو المناقضة ففيه ما يستقر على ما هو سنته فى المحسوسات فانه وان كان فيها ما يتحرك ففيها ما يفيد السكون فانه (ألقى فى الارض رواسى) كراهة (أن تميد) أى تتحرك (بكم) فاذا فعل ذلك بكم فى الامور الحسية ففى العقلية بطريق الاولى لان الضرر هنالك أعظم وقد جرت سنته بدفع الضرر (و) قد جعل فى البيان ما لا يعرض له مانع كما انه ألقى فى الارض (أنهارا و) لو تعارض بعض البيانات أو وضع فيها نقض أو مناقضة فقد جعل فيها طرقا مختلفة موصلة الى المطالب كما انه جعل فى الارض (سبلا لعلكم تهتدون) فاذا اعتنى بكم فى طريق الارض فهو

اشد

خالط القلب صار نوما ومنه قول عدى بن الرقاع العاملى
وسنان أقصده النعاس فرنقت فى عينه سنة وليس بنائم

أشد عناية فى طريق الوصول اليه (و) من عنايته بهدايتكم فى الارض انه جعل لها (علامات و) حيث فقدت العلامات الارضية (بالنجم هم يهتدون) وكما انه يستدل بالنجوم حيث فقدت العلامات يستدل بعلامة عدم الخلق على عدم الالهية لمن فقدله دلائل عدمها فى حق الشركاء (أ) تطلبون دليل عدم الهية الشركاء مع انه لاخلق لهم (فمن يخلق كمن لا يخلق أ) تصرون على القول بالهيتها بعد جزمكم ان لاخلق لها (فلا تذكرون) فان زعمتم ان الالهية لاتتوقف على الخلق بل على استحقاق العبادة وهو موجود فيها قلنا انما يستحقها المنعم شكرا على النعم فلو صح لغيره نعمة فلاشك انها محصورة (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) فيقتضى ذلك استيعاب الاوقات فى عبادته شكرا على تلك النعم بحيث لايبقى وقت لعبادة غيره والحكمة وان اقتضت الاستيعاب لم يؤاخذكم الله بتركه (ان الله لغفور رحيم و) لكن لايغفر لو عبدتم الغير ظاهرا او باطنا اذ (الله يعلم ماتسرون وماتعلنون) ثم الاله ان لم يعتبر فيه الخالقية فلابد أن يعتبر فيه عدم المخلوقية (و) شركاؤكم ليسوا كذلك اذ (الذين تدعون من دون الله لايخلقون شيأ وهم يخلقون) بل هم دون كثير من الخلق اذهم (أموات) وهم وان تعلقت بهم الشياطين (غير أحياء) اذ الشياطين لاتدبر أبدانها (و) لو كانت أرواحها فلا تصلح للالهية لجهلها بما بهمها من أعظم مرغوب الصالحين ومرهوب الطالحين لانهم (مايشعرون أيان يبعثون) على انه يجب ان يكون الاله متصفا بأعلى الكمالات الذى لايتصور فيه الشركة لذلك وجب ان يقال (الهكم اله واحد) لكن انما يظهر على كماله فى دار الجزاء فيؤمن به من يؤمن بجزائه (فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) ان يكون له أعلى الكمالات كيف (وهم مستكبرون) يجوزون ان يكون لانفسهم مثل كماله وهم وان لم يظهروا ذلك (لاجرم) يجازيهم الله به (ان الله يعلم مايسرون ومايعلنون) من تجويز مثل كماله لشركائهم كيف ولو لم يجازهم بذلك لكان محسنا اليهم وهو انما يحسن الى من يحبه (انه لايحب المستكبرين) مطلقا فكيف يحب المستكبرين عليه ويقربهم اليه باستكبارهم (و) من استكبارهم على الله انهم فضلوا كلامهم على كلامه فانه (اذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم) لتربية دينكم (قالوا أساطير الاولين) أى الاكاذيب التى سطروها ولم يحصل لهم بذلك فضل على الله ولا على أمثالهم الا فى زيادة الوزر فكأنهم قالوه (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة) الذى يظهر فيه ثقلها (و) تزداد ثقلا لانهم يحملون (من أوزار الذين يضلونهم) وان كان اضلالهم أو ضلالهم (بغير علم) بكونه معجزا لان اعجازه لايخفى على المتأمل فهم مقصرون فى ذلك فلا يعذرون فى الجهل (ألا ساء مايزرون) لانه انضم الى وزر استكبارهم وزر تقصيرهم ولو عرف المضلون اعجازه كان قولهم أساطير الاولين مكرا منهم على من يضلونهم فهو أشد من اضلالهم الجهال (قد مكر الذين من قبلهم) كنمرود بن كنعان فى صرح ليصعد الى السماء فيقاتل ربها تلبيسا على الجهال مثل تلبيس هؤلاء بالصعود الى سماء كلامه المعجز الذى لايكون صعوبة الوصول اليه أدنى من صعوبة الوصول الى السماء ولايكون فى الاستحالة دون استحالة مقاتلة الله (فأتى الله بنيانهم من

(قوله سيماهم) أى علامتهم والسيما والسيماء العلامة (والسنون) جمع سنة والسنون (سنون) جمع كقوله ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين (قوله

القواعد) أى فأتى أمر الله باهلاك بنيانهم من جهة دعائمه فتضعضعت (فخر) أى سقط (عليهم السقف من فوقهم) فكذلك يتضعضع بنيان فصاحتهم و بلاغتهم اذ عارضوه و يسقط جاههم كما جرب من أبى العلاء المعرى وغيره (واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) أى جهة أمنهم لانهم اعتمدوا على قوة بنيانهم فكان سبب هلاكهم كذلك يعذب هؤلاء بظهور عجزهم عند المعارضة (ثم) بعد ذلك العذاب (يوم القيامة) الذى يشتد فيه الخزى (يخزيهم) بان يأمرهم بمعارضة كلامه مع ظهور اعجازه للكل فيه (ويقول أين شركائى) فى كلامى البالغ أقصى مراتب الاعجاز (الذين كنتم تشاقون فيهم) أى تتحملون مشقة المجادلة فى شأنهم بجعل كلامهم معارضا لكلام الله (قال الذين أوتوا العلم) بحقائق القرآن التى بها اعجازه (ان الخزى) التام فى معارضة القرآن (اليوم) الذى اجتمع فيه العالمون بالاعجاز (والسوء) أى سوء المعاقبة على تلك المعارضة (على الكافرين) أى المستمرين على كفرهم الى وقت الموت فهم (الذين تتوفاهم الملائكة) الذين يظهر أسرار اعجازه بظهورهم فيظهر كونهم (ظالمى أنفسهم) بدعوى مشاركة الله فى كلامه المعجز (فألقوا السلم) أى الانقياد للقرآن وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) معارضة ولا انكار فيقول الملائكة (بلى) كنتم تريدون معارضته وتصرون على انكاره ولا ينفعكم انكار ذلك بعد علم الله به (ان الله) الذى أردتم معارضته وتكذيبه (عليم بما كنتم تعملون) فى كتابه وأوامره ونواهيه (فادخلوا أبواب جهنم) بهذه الجهات (خالدين فيها) استيفاء للحياة الاخروية فيها استيفاءكم للحياة الدنيا فى الكفر بالاستكبار على الله بتجويز معارضة كلامه لكم أو لشركائكم (فلبئس مثوى المتكبرين) من بين مثاوى سائر الناس من جهنم (و) يدل على تكبرهم قول أهل الحق فى مقابلتهم فانه اذا (قيل للذين اتقوا) القول بالباطل والمشكوك فيه والعناد والتكبر (ماذا أنزل ربكم) لتربية دينكم (قالوا خيرا) من كلام جميع المخلوقين لا يتأتى لهم معارضته وفيه من فوائد الهداية وغيرها ما ليس فى غيره اذ فيه (للذين أحسنوا) النظر فيه والعمل بما فيه (فى هذه الدنيا) التى شأنها الحجاب عن الكمالات الحقيقية (حسنة) من العلوم والكرامات (و) لا ينقطع عليهم بذلك فوائدهم الاخروية بل (لدار الآخرة خير) فى تحصيلها مع أن دار الدنيا ليست لهم وانما لهم الآخرة لانهم خيار خلق الله (ولنعم دار المتقين) الآخرة وأقل ما فيها من الخيرية انها (جنات عدن) أى اقامة وان كانوا لا يزالون (يدخلونها) أى يدخلون درجات القرب والعلو فيها اذ (تجرى من تحتها الانهار) من العلوم والكرامات والمقامات وكيف لا تزداد مراتبهم مع انه (لهم فيها ما يشاؤن) من المراتب العالية وهى وان كانت فوق قدر استحقاقهم لكن (كذلك يجزى الله المتقين) أى الذين وقوا أنفسهم عن النقائص يقيهم الله نقائص الآخرة كيف ولا تطيب أنفسهم بدون ذلك ولا بد من تطييبها فى الحكمة لانهم (الذين) طيبوا اعتقاداتهم وأعمالهم الى حين الموت (تتوفاهم الملائكة طيبين) لذلك طيب الله موتهم اذ (يقولون) لهم عند قبض أرواحهم (سلام عليكم) لا يلحقكم مشقة بنقص ولا بغيره بل يبدل مشقاتكم

فسيحوا فى الارض) أى سيروا فى الارض آمنين حيث شئتم (قوله عز وجل ... ى بهم) أى فعل بهم السوء (قوله تعالى تحصيل) وتحصيل

السابقة لذات (ادخلوا الجنة) التى لا مشقة فيها (بما كنتم تعملون) من الاعمال الشاقة انقلبت عليكم لذات ولا يزالون يزدادون لذة فلا يجدون نقصا يؤلمهم الا بدلهم الله لذة بالترقى عنه واذا لم يؤمنوا بهذا البيان الذى به اعجاز القرآن (هل ينظرون) أى ينتظرون للايمان (الا أن تأتيهم الملائكة) المكاشفون لهم عن ظاهرهم أو باطنهم (أو يأتى أمر ربك) بالجزاء عليهما ولا ينفعهم هذا الانتظار اذ (كذلك فعل الذين من قبلهم) فلم ينفعهم (و) لم يكن ذلك ظلما من الله مع كونه نافعا فى نفسه فانه (ما ظلمهم الله) بابطال نفع ما هو نافع (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) باعتقاد النفع فيما هو ضار بنفسه فظهر ضرره لهم (فأصابهم سيئات ما عملوا) على اعتقاد أنها حسنات فلم تكن حسنات بل محبطة للحسنات كيف (و) قد استهزؤا بما هو أصل الحسنات لذلك (حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أى أحاط بهم جزاء استهزائهم (و) من استهزائهم بالدين انه (قال الذين أشركوا) لو كانت الافعال بارادته لكان مشاركين لله فى ايجاد الافعال ولو كانت بارادة الله (لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا) اذ لا ربوبية لاحد منا ومنهم (ولا حرمنا من دونه) أى من دون ارادته (من شئ) ولو عذبنا على عبادة الغير أو التحريم لكان ظلما مع انكم تقولون لا ظلم من الله تعالى فهذا وجه استهزائهم فنقول مقتضى هذا ان لا يعذب الله أحدا على الشرك والتحريم لكنه منقوض بتعذيب الله الامم الماضية عليهما اذ (كذلك فعل الذين من قبلهم) من الشرك والتحريم متمسكين بمثل هذه الشبهة فارسل الله عز وجل الرسل لحلها تارة بأن ارادته تابعة لعلمه وعلمه تابع لمقتضى استعدادات حقائقهم ولكنهم لم ينقادوا لحلها الا لمن كان قاهرا عليهم يخافون من المعاندة معه ولكن (فهل) أى ما (على الرسل الا البلاغ المبين) أى تبليغ أمر الله مع حل الشبهات (و) استعدادات حقائقهم كما اقتضت صدور تلك الافعال منهم اقتضت الامر التكليفى وارسال الرسل به اليهم لذلك (لقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وهذا الامر قد يوافق الفعل المستعد له فيكون هداية وقد يخالفه فيكون ضلالة فالله تعالى أراد كليهما (فمنهم من هدى الله) لاقتضاء استعداد عينه موافقة الامر التكليفى لفعله (ومنهم من حقت) أى ثبتت مع اقتضاء الامر التكليفى رفع الضلالة (عليه الضلالة) ويدل على كونه ضلالة مع كون الفعل واقعا بارادة الله مؤاخذته عليها وهو وان لم يكن لكم محسوسا الآن فلا تعارضوا بعقولكم لمناقضته الواقع (فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) مع ان تكذيبهم كان مراد الله والامر وان كان من الله فليس مقتضاه مراده فى حق أهل الضلال لذلك (ان تحرص) أيها الكامل الذى يتوهم من غاية كماله صحة معارضته لمراد الله (على هداهم) بعد ارادة الله ضلالهم (فان الله) لا يعارض فى ارادته ولو بأمره حتى انه (لا يهدى من يضل) وان كانت الهداية من أمره المراد له فارادة الامر لا تستلزم ارادة مقتضاه (و) ليس هذا حجة لهم بل عليهم لان ارادته تابعة لمقتضى استعداداتهم مع ان من مقتضاها الامر التكليفى والتعذيب على مخالفته لذلك (ما لهم من ناصرين) يدفع عنهم العذاب (و) غاية

الشديد الصلب من الحجارة والضرب عن أبى عبيدة وقال غيره الصحيل حجارة من طين صلب شديد وقال

ما ينتصرون به انهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أى مؤكد أيمانهم انه لو صح تهديه اياناعلى ماارادمنا فلا شك انه انما يكون بعد البعث لكن (لا يبعث الله من يموت) لجريان سنته بعدم بعثه فلا يتبدل فقال عز وجل (بلى) يبعثون وسنته انما لا تتبدل حيث لا وعد فى مقابلتها وقد وعدههنا (وعدا) كان ايفاؤه (عليه حقا) لئلا يلزمه نقص الكذب ولا نقص فى تبديل سنته (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) انه اذا تعارض الوعد والسنة فالترجيح للوعد بل لا يعلمون انه وعدهم بذلك لكن لابد منه لتخويفهم من الاختلاف فى الاعتقاد الذى يتعلق بذاته وصفاته وتوحيده وأفعاله والاعمال المرضية والمكروهة له والتخويف انما يتم بالبعث (ليبين لهم الذى يختلفون فيه) مما ذكر ولا يكون الابان يرجعهم اليه بالبعث (و) كيف يترك البعث وقد خلق العقلاء لمعرفته وفيهم من كفر به ولم يعلم كذبه فلابد من ان يبعثه (ليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) فهذا سبب البعث ولا مانع منه سوى العجز لكن لا يتصور العجز عن كلمة واحدة للمشهورين بالعجز وهو مما يحصل بكلمة واحدة (انما قولنا لشئ) أى لحقيقة شئ (اذا أردناه) أى أردنا جعلها شيأ موجودا (أن نقول له كن) من غير ضم كلمة أخرى معها (فيكون) من غير تخلف (و) لو قيل انه وعيد لا يجب ايفاؤه فالبعث ليس للوعيد وحده بل للوعد أيضا فانه وعد (الذين هاجروا فى) سبيل (الله من بعد ما ظلموا) بالاخراج عن أماكنهم (لنبوأنهم فى الدنيا حسنة) فنجعلها مكانهم الذى لا يمكن الظالمين اخراجهم منه (و) هو وان كان نفعا دنيويا لهم لا يقابل الاجر الاخروى الموعود لهم (لأجر الآخرة أكبر) فالاقتصار على الادنى الدنيوى انما يكون من البخيل العاجز لكن انما يعلمه الكفار (لو كانوا يعلمون) جوده وقدرته وكيف لا يستحق المهاجر ون ذلك الاجر مع انهم (الذين صبروا) على ما ظلموا فى سبيله وأجر الصبر بغير حساب كيف وفيه نصرهم على الكفار (و) هم (على ربهم يتوكلون) لينصرهم على الكفار فى الدارين فان قالوا سلمنا قدرة الله على البعث وسببه ولا مانع منه لكن أمره ممكن لا يعرف وقوعه الا على ألسن الرسل لكنهم بشر لا يمكنهم الاطلاع على الامور الاخروية قال تعالى لهم (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا) ويكفى فى اطلاعهم الوحى وقد كان (نوحى اليهم) فان لم تعرفوا الفرق بين الوحى والوسواس (فاسئلوا أهل الذكر) أى الذين شرفهم الله بمعرفة اسرار معجزاته وكتبه (ان كنتم لا تعلمون) حقيقة رسالتهم (بالبينات) الظاهرة على أيديهم (والزبر) النازلة عليهم للدعوة الى الخيرات فى العموم (و) ان لبسوا عليكم الامر يكفيكم مراجعة الرسول اذ (أنزلنا اليك) أيها المخصوص بخطاب الله تعالى لغاية كمالك واطلاعك على اسراره (الذكر) أى ما هو الشرف المطلق من بين الكتب السماوية (لتبين للناس) أى الذين نسوا اعجازه مع ظهوره للمتذكرين اسرار (ما نزل اليهم) تفصيلا ليفهموا أسراره شيأ بعد شئ فيعرفوا اعجازه (و) لولم يتأت لهم مراجعتك أو يعارض لهم الامر عند مراجعتك ومراجعتهم لمكرهم (لعلهم يتفكرون) فى أسراره فيعرفون اعجازه

(قوله السقاية) هى مكيال يكال به ويشرب فيه (سوى) اذا كسر أوله وضم تصير ابن عباس بجعل آجر

لامحالة (أ) لايبالى الملبسون أمر اعجازه وهو من مكر السيآت (فأمن الذين مكروا السيآت) سيما فى كتاب الله والامور الدينية (أن يخسف الله بهم الارض) كما خسف بقارون اذ مكر بموسى فرشا بغية لترميه بالزنا معها (أو) أمنوا ان (يأتيهم العذاب) غير الخسف (من حيث لايشعرون) أى من جهة لايشعرون بها كما لايشعر الممكور بقصد الماكر (أو يأخذهم فى تقلبهم) أى سعيهم فى آيات الله بأن يفضحهم على أيدى أولى العلم بظهور عجزهم عن معارضتها المعجزة الله عن تصديق رسله ولا يبعد ذلك (فما هم بمعجزين) الله ويكفى ذلك فى ظهور عجزهم الموجب فضيحتهم عند العلماء الذين هم أعز خلق الله (أو يأخذهم) بأن ينقص من فضائلهم شيئا بعد شئ ليصيروا (على تخوف) ان يسلبهم الكمالات كلها وهذا أقرب لاشعاره برأفته بهم ورحمته عليهم فلا يبعد (فان ربكم لرؤف رحيم أ) يزعمون ان رأفته ورحمته تنافى التعذيب مع ان غايته الاذلال (ولم يروا الى) تذلل كل (ما خلق الله من شئ) لانه (تتفيؤا) أى تميل (ظلاله عن اليمين و) هو وان كان لايخلو عن شرف فلا تقتصر على الميل اليه بل تميل الى (الشمائل) أيضا ولا تبقى مرتفعة بل تقع على الارض (سجدا لله و) تذلل الظاهر دليل تذلل الباطن فأصحابها (هم داخرون) أى متذللون وان كان فيهم مستكبرون (و) قد ظهر من الكل سجود الانقياد لارادة الله وسجود الامتثال من أعز خلق الله وهم الملائكة اذ (لله يسجد) جميع (ما فى السموات وما فى الارض من دابة) أى متحرك من الافلاك والكواكب والحيوانات (والملائكة وهم) وان كانوا أعز من الانسان فى جوهره (لا يستكبرون) فهم منقادون من كل وجه ظاهرا وباطنا كيف وهم وان كانوا مجردين وأقوى (يخافون ربهم) الذى رباهم بتشريف جواهرهم وتعظيم قوتهم لكونه قاهرا (من فوقهم) يمكنه تبديل أحوال جواهرهم من الطيب الى الخبث (و) لو لم يخافوا (يفعلون) بمقتضى طيب جواهرهم (ما يؤمرون) وان أمرهم بالتعذيب الذى خالف طبعهم كما انه يأمر بما لايدركه العقل فلا يبعد على الله ان يعذب من يشاء بما شاء (و) الكل وان كان ساجدا لله باعتبار أمر الارادة أو باعتبار ان عبادته مظهر عبادة له فليس ذلك مانعا له من التعذيب على الشرك لمخالفتهم نهى التكليف اذ (قال الله لاتتخذوا الهين) متعددين بأقل الاعداد (اثنين) والمشركون زادوا على النهى ما لا يحصر ولا يتصور ان يأمر بالشرك وان جاز ان يأمر بما لايدركه العقل اذ لا يأمر باعتقاد ما ليس فى الواقع واقعا (انما هو اله واحد) وربما يتوهم الامر بخلاف الواقع من الخوف ولكنه لايتصور من الله بالنسبة اليه واما بالنسبة الى العبد فله ان يفيد الامان منهم وقد فعل اذ قال (فاياى فارهبون) أى خصونى بالخوف (و) كيف يخاف الغير مع اعطاء الله الامان منه والمخوف سواه لايستقل بالتأثير اذ (له ما فى السموات والارض و) كيف لايعطى الامان من الغير ولا يتم التدين بدين الله بدون ذلك اذ (له الدين واصبا) أى لازما ولزوم الدين له ينافى خوف الغير (أ) تنكرون لزوم الدين له (فغير الله تتقون و) عبادة الغير كالا تكون لخوف

واذا فتح صد كقوله الى كلمة سواء بيننا وبينكم أى عدل ونصف يقال دعاك الى السواء فاقبل أى الى النصفة وسواء كل شئ

منه لاتكون لجر النفع منه اذ (ما بكم من نعمة) جهلتم منعمها (فمن الله) اى فاعلموا انها من الله ولالدفع الضر من جهته لان غايته انكم تتوقعون منه دفع الضر (ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون) أى تتضرعون (ثم اذا كشف) أى بذلك التضرع (الضر عنكم اذا فريق) أى جماعة (منكم بربهم يشركون) اذ يزعمون انه ارتفع بسبب الغير ولا فائدة فى هذا الاشراك سوى كفران النعمة (ليكفروا بما آتيناهم) فلا يلزمهم شكرها الموجب للعبادة ليتفرغوا للاشتغال بالتمتع (فتمتعوا) بها كافرين بالمنعم (فسوف تعلمون) مافوتتم من النعم الغير المتناهية المرتبة على الشكر وحصلهم من الشدائد الغير المتناهية المرتبة على الكفران مع ان أدنى شدة منها لاتفى بنعم الدنيا أجمع (و) مع كونهم لايستفيدون منهم نعمة ولايدفعون ضررا يفيدونهم نعمهم و يستنصرون باخراجها اليهم اذ (يجعلون لما لايعلمون) حصول الفائدة منهم (نصيبا مما رزقناهم) ليستفيدوا منهم تلك الفائدة بناء على انا وعدناهم تلك الفائدة فى ذلك فان لم نسألهم عن تضييع تلك النعمة بلا فائدة (تالله لتسئلن عما كنتم تفترون) علينا فى وعدنا الفائدة على ذلك (و) كما يجعلون للاصنام مايحبونه من الاموال (يجعلون لله) مايكرهون من الاولاد (البنات) وقد تنزه (سبحانه) عن التولد فضلا عن المكروه (و) مع ذلك يفضلون أنفسهم على الله اذ يجعلون (لهم مايشتهون) من الذكور (و) ليس هذا التفضيل بما يلزمهم من غير شعورهم بل مع ظهوره لهم فانه (اذا بشر أحدهم) أى أحد الذين يجعلون لله البنات (بالانثى) ولدت له أو لاحد من أولاده (ظل) أى صار (وجهه) من الكآبة والحياء (مسودا) أى كأنه أسود (و) من شدة كراهته لها (هو كظيم) أى مملوء غيظا على امرأته لانه حصل له منها مايوجب أشد الحياء حتى انه (يتوارى) أى يستتر (من القوم من سوء) أى حياء (مابشر به) يحدث نفسه (أيمسكه) أى أيترك المبشر به مع انه أقره (على هون) أى ذلة عظيمة (أم يدسه) أى يخفيه فيجعله (فى التراب) حيا أو مقتولا (ألا ساء مايحكمون) بأن فى البنات ذلا وفى الذكور عزا والحكم بالدس فى التراب وجعل خير الاموال للاصنام وشر الاولاد لله وخيرها لانفسهم ثم قال (للذين لايؤمنون بالآخرة) فيجترؤن على الله باثبات الصفات السوء له (مثل السوء) أى صفات الذل (ولله المثل الاعلى) أى صفات الكمال كيف (وهو العزيز) أى المتفرد بكمال العزة المنافية لذل الموت الذى يطلب له الولد وبكمال القوة المنافية لذل الضعف الذى يدفع بالذكور (الحكيم) فى تخصيص الخلق بالنقائص لئلا يدعوا الاشتراك مع الله فى كمالاته (و) عزته وان اقتضت التعذيب على الفور فحكمته تمنع من ذلك لافضائه الى تخريب العالم فانه (لو يؤاخذ) على الفور (الله) الجامع للرحمة والقهر (الناس) الذين شأنهم نسيان حكمته (بظلمهم) بمخالفة حكمته (ماترك عليها) أى على الارض (من دابة) انسان أو غيره أما الانسان فلانه لايخلو واحد منهم من ظلم وأما غيره فلانه خلق من أجله (و) الحكمة وان منعت

(قوله تعالى مكانا سوى) وسوى أي وسطا وسطه بين الموضعين (قوله عز وجل السجل) الكتاب أي الصحيفة فيها الكتاب

المؤاخذة

المؤاخذة على الفور فلا تبطلها بالكلية لافضائه الى ابطال مقتضى العزة بالكلية (لكن
يؤخرهم) لا الى أمد غير معين لانه يشبه الابطال الكلى بل (الى أجل مسمى) ليستغفر
منهم من يستغفر فيغفر له ويصر من يصر فيزداد عذابا (فاذا جاء أجلهم) أى غاية مدتهم
(لا يستأخرون ساعة) أى لا يمكنهم طلب التأخير عنه الى ساعة أخرى للاستغفار منه لذهاب
وقته المعين له (ولا يستقدمون) لاستقصار العقاب (و) لكن قبل مجيئه لا ينظرون الى
عزته اذ (يجعلون لله) مع كمال عزته (ما يكرهون) لانفسهم لما فيه من ذاتها (و) لا الى
مقتضى عزته فى حقهم اذ (تصف ألسنتهم) الوصف (الكذب) لاعمالهم بأنها حسنة فيزعمون
(أن لهم الحسنى) على خلاف مقتضى عزته لكن مقتضاها تعذيب من استبدلها بغاية
الذلة (لا جرم) أى حقا (أن لهم النار) بمقتضى قهر عزته (وأنهم مفرطون) أى مقدمون
فى التعذيب على غيرهم اذ أرادوا تقدمهم على الله بالتفضل عليه اذ جعلوا له ما يكرهون
لانفسهم وانما قالوا ان لهم الحسنى مع انهم تفضلوا على الله من تزيين الشيطان لهم ولا يبعد
مع بيانك لتزويرانه فانه (تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك) ليبينوا لهم ما يقربهم من الله
ويبعدهم من النار وما يقربهم من النار ويبعدهم من الله (فزين لهم الشيطان أعمالهم)
المقربة من النار المبعدة عن الله فأراها بالعكس وأنت وان كان بيانك أتم فلا يزيل موالاته
بالكلية لعدم كونه ملجئا (فهو وليهم اليوم) يرجحون قوله على قولك لموافقة أهوائهم
(و) هى وان كانت لذيذة (لهم) منها (عذاب أليم) يؤلم ظاهرهم وباطنهم (و) كيف
لا يؤلمهم ولم يترك بيانك من تلبيساته شيئا لانا (ما أنزلنا) من مقام علمنا الكامل (عليك)
يا أكمل الرسل (الكتاب) الذى هو أكمل الكتب (الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه)
لوقوع الالتباس فيه (و) كيف لا يرفع الالتباس وهو (هدى) باقامة الحجج ورفع الشبه
(ورحمة) بافادة الكشف التام لكنه انما يكون مفيدا (لقوم يؤمنون) بالله فيتأملون فى
كلامه فيجدون فيه هذه المطالب الشريفة الدالة على انه من عنده لعجز من سواه عنه (و) لا
يبعد من الله مع غاية عظمته انزال الكتاب لاحياء الناس عن موت الجهل اذ (الله أنزل من
السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ان فى ذلك) أى انزال المطر لاحياء الارض (لآية)
على انزال الكتاب لاحياء الناس (لقوم يسمعون) الدلائل من كتابه المعجز لاشتماله على
ما لا يتناهى من الفوائد المفيدة للهدى والرحمة (و) لا يبعد ان يكون فى هذا الكتاب
هذه الفوائد مع ما يرى فى ظاهره من الاقتصار على الظواهر وكثرة التكرار وتبدل الالفاظ
(ان لكم فى الانعام لعبرة) لان الغذاء الواصل الى كرشها اذا انهضم انجذب الصافى الى
الكبد والكثيف الى الامعاء ثم ما فى الكبد يصير دما ثم ينقسم الى الصفراء فتذهب الى
المرارة والسوداء فتذهب الى الطحال والمائية فتذهب الى الكلية ثم الى المثانة ويبقى بعضه
دما يدخل فى الاوردة وينصب بعضه الى الضرع فيصير لبنا لذلك (نسقيكم مما فى بطونه)
من الغذاء ذكر الضمير بناء على ان الانعام مفرد مقتضب بمعنى الجمع كقولهم ثوب أكياش

وقيل السجل كاتب كان
للنبى صلى الله عليه وسلم
وتمام الكلام للكتب (قوله
عز وجل ضربا) بكسر
الحين من الهز وضربا

واذا أنث فهو تكسير نعم أو انه في معنى الجمع (من بين فرث) وهو ما في الامعاء من الثفل (ودم لبنا خالصا) لا يشوبه شيء منهما الذلك يكون (سائغا) يجرى في الحلق بلا غصة (للشاربين) اذ ليس فيه خشونة الثفل ولا دسومة الدم فكما انقسم الغذاء الى فرث ودم ولبن فكذا القرآن تنقسم معانيه الى قشر محض كالثفل ولب محض كالدم وفوائد عجيبة كاللبن لذلك يسوغ لاهل الحقيقة والشريعة جميعا اذ لا تناقض فيه احداهما الاخرى ثم أشار الى أن التمثيل بالفرث والدم ليس لقصد الذم اذ كله ممدوح كثمرات النخيل والاعناب (و) لكن يتخذ منه علوم مختلفة كما انكم (من ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا) أى خمرا وهو مثال علوم الحقيقة الموجبة لسكر المحبة وقد عرض للخمر ذم السكر لكنه لا ذم يلحق المشبه بها (ورزقا حسنا) كالتمر والزبيب والدبس والخل وهو مثال العلوم النافعة التي ينتظم بها أمر المعاش والمعاد (ان في ذلك) الاتخاذ (لآية لقوم يعقلون) أى يستعملون العقل فيتخذون من القران هذه العلوم النافعة لهم في معاشهم ومعادهم والعلوم الموجبة لسكر المحبة فيجمعون بين هذه العلوم بلا مناقضة بقوة العقل (و) لا يبعد من الله ان يلهم بعض عباده استخراج علوم حلوة شافية من القرآن من غير استعمال عقل ببناء كلماته بمواضع الشرف وتمييز معانيه والتصرفات العالية فيها مع تحصيل الاخلاق الفاضلة وسلوك سبيل الكشف من التزكية والتصفية مع كمال التذلل فيه فقد فعل مثله بادنى الحيوانات اذ (أوحى) أى الهم الهاما يشبه وحي الانبياء (ربك) الذي رباك بهذه الفضائل (الى النحل) وهو الزنبور تربية لها (ان اتخذى من الجبال بيوتا) من ادهان الانوار ودسوماتها وهو الغالب (ومن الشجر) وهو المتوسط (ومما يعرشون) أى من السقف وهو النادر (ثم) بعد بناء البيوت التي تشبه الاعمال الشرعية (كلى من كل الثمرات) الحلوة والمرة والحامضة وهو يشبه تحصيل الاخلاق الفاضلة (فاسلكي سبل ربك) أى فاجعلي ما كلت في مسالك ربك التي تحيلها عسلا وهو مثال التزكية والتصفية حال كون تلك السبل (ذللا) أى متذللة لك وهو اشارة الى تذلل العبد لله عند حصول التزكية والتصفية لا يظهر عند ذلك بدعوى الالهية لنفسه ولا بدعوى الكمال لها (يخرج من) أفواهها لعاب نشأ من ماكولها في (بطونها) وهو (شراب) أى صالح للشراب وهو مثال شرب العلوم اللدنية (مختلف ألوانه) أبيض وأسود وأحمر وهو مثال اختلاف انواع تلك العلوم (فيه شفاء للناس) اما بنفسه كما في الامراض البلغمية أو مع غيره اذ قلما يخلو معجون عنه وليس المراد العموم لانه نكرة في سياق الاثبات لكن تنكيره يفيد تعظيمه (ان في ذلك) الوحي (لآية) على الهام الله بعض عباده استخراج العلوم من القرآن (لقوم يتفكرون) في حال القرآن فيرونه قابلا وفي حال الرجال فيرونهم مستعدين له (و) لا يبعد ان يكثر علوم القرآن مع ان كل عالم انما يتخذ منه مقدارا خاصا كما في العمر يكون لكل حي مقدار خاص اذ (الله خلقكم) باعتبار جميعته فلكم نصيب في الحياة وتوابعها (ثم يتوفاكم) عن قريب او بعد مدة فينقطع نصيبه

بالضم من السخرة وهو ان يضطهد و يكلف عملا بلا أجرة وقوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا أى ليستخدم بعضهم بعضا

قوله التي تحيلها الخ عبارة الكشاف التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من أجوافك ومنافذ ما كلك اه وهي ظاهرة

من

من العمر (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) فيعظم نصيبه ولكنه يستقصر لانه انما يرد اليه (لكيلا يعلم بعد علم شيأ) فكذا كل عالم يتخذ نصيبا من القرآن الذى هو الروح المعنوى ثم منهم من ينقطع نصيبه ومنهم من يكثر ومن المكثرين من يبلغ مبلغا يرى نفسه جاهلا باسراره بل بظاهره ولا يبعد من الله ذلك لكمال علمه وقدرته (ان الله عليم قدير) فيعلم كيف يدرج العلوم الكثيرة فى الالفاظ اليسيرة وقدر على اطلاع كل عالم على مقدار خاص منه (و) لا يبعد من الله ايقاع التفاوت فى فهم العلوم من القرآن من غير تفاوت فى العمر لانه رزق معنوى فهو كالحسى اذ (الله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) كيف وما يحصل بالتعلم لا يبلغ مبلغ علم المعلم كما ان الغنى لا يعطى عبده ما فضل عن حاجته ولا ما يجعله مساويا له (فما الذين فضلوا برادى رزقهم) الفاضل عن حوائجهم (على ما ملكت أيمانهم) ولا مقدارا يساوونهم به (فهم فيه سواء) بل هذا التفاضل من الله فلا يبعد منه ان يفضل بعض علماء القرآن على بعض (أ) تنكرون فضل بعض علماء القرآن على بعض فى فهمه (فبنعمة الله) التى هى تكثير فوائد القرآن بحيث يبلغ بها حد الاعجاز (يجحدون) فيقولون انه مما يستوى فيه الكل مما يفهم من ظاهره الذى لا يعرف به اعجازه (و) لا يبعد من الله ان يفيد من ألفاظ يسيرة ظاهرة بل من لفظ واحد معانى كثيرة اذ له نظير فى المحسوسات اذ (الله جعل لكم من انفسكم أزواجا) فانه كما خلق حواء من آدم خلق ذرات النسوة من ذرات الرجال فان لم يكن فلا شك انهن خلقن من نطف آبائهن (وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة) فلا يبعد ان يفيد من كل لفظ من الفاظ القرآن معانى كثيرة ومن ازدواج الفاظه معانى أخر ومن تلك المعانى الاول معانى ثوانى وثوالث وهلم جرا (و) يكون ذلك بطريق الملازمة والاستدلال تارة وبطريق الذوق اخرى كما انه (رزقكم من الطيبات) فالحاصل بطريق الذوق أطيب من غيره اذ لا كلفة فيه (أ) يغترون بقول الجهال (فبالباطل) من أقوالهم (يؤمنون) أى يصدقون بلا شبهة فضلا عن حجة (وبنعمت الله) وهو كلامه الجامع لانواع الدلائل والاذواق (هم يكفرون) فيجعلونه دون كلام الجهال بل أساطير الاولين (و) كيف لا يكون تصديقكم لاقوالهم ايمانا بالباطل وهم (يعبدون من دون الله) وعبادة الدون باطل ومطلوبهم أيضا باطل لانهم يطلبون منهم الرزق مع انها عبادة (ما لا يملك لهم رزقا) معنويا (من السموات و) حسيا من (الارض شيأ) من الملك الحقيقى والمجازى (ولا يستطيعون) على تحصيله لانفسهم أو لعبادهم بطريق الشفاعة أو غيرها ولا على دفع الضرر فهى لكونها من الله لا تماثل الله بوجه من الوجوه (فلا تضربوا) اى فلا تجعلوا باتخاذهم شركاء (لله الامثال) فى استحقاق العبادة وكيف تصدقون أقوالهم انها أمثال ولا تصدقون قول الله انها عاجزة مع ان الواجب العكس اذ لا يعقل تقليد الجهال مع وجود العالم (ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون) وان قالوا كيف نعلم ان قول الانبياء قول الله دون قول من يسمونهم الجهال يقال لهم (ضرب الله) لبيان ذلك (مثلا) للجهال (عبدا) اذ لا يناسبون سيدهم بوجه من الوجوه (مملوكا) اذ

(قوله جل وعز سدر مخضود) السدر شجر النبق مخضود لا شوك فيه كأنه خضد شوكه أى قطع (سجين) حبس فعيل من السجن

ملكتهم اهويتهم (لا يقدر على شئ) من التصرف والانفاق لانهم وان أعطوا من العقول فليس لهم ان يتصرفوا بها ما يبلغون به المقاصد الدينية ويهدوا الخلائق (و) للانبياء الذين ناسبوا الحق وملكوا أهويتهم وأعطوا من العلم ما وصلوا به الى المقاصد الدينية كلها ظاهرها وباطنها بحيث يتمكنون من انفاقها على الوجه المستحسن للاسرار على أهلها والظواهر على أهلها (من رزقناه) من الاحرار (منا رزقا حسنا) لا خبث فيه من جهة الحرمة كذا علومهم ليس فيها خبث الضلال والفساد (فهو ينفق منه سرا) لاهل السر (وجهرا) لاهل الجهر (هل يستوون) حتى يجعل كلام الكل كلام الله أو كلام من دونه لا يستوون بل يفضل أحدهما الآخر فضلا عظيما يوجب الشكر عليه وعلى من ينفق عليه (الحمد لله) وهؤلاء لا يشكرون (بل أكثرهم لا يعلمون) ان الله أعطاهم وان رأوا انفاقهم (و) ان لم يظهر لهم من هذا المثال فضل الانبياء على جهالهم (ضرب الله مثلا) أى أظهر منه اذ العبد المملوك رعاية قدر بالاعتاق أو باعطاء التصرف فمثل جهالهم ومثل الانبياء مثل (رجلين أحدهما أبكم لا يقدر) على النطق الذى به استفادة العلم وافادته بل (على شئ) من الاعمال لكونه مجنونا فكيف يفيض عليه علما أو مالا للانفاق فيكلفه ثقل ذلك (وهو كل) أى ثقل (على مولاه) أى الذى ولى أمره ومثله لو لم يكن كلا لا يفوض اليه شئ لانه (أينما يوجهه) من الاعمال (لا يأت بخير) أى ينجح فكيف يفوض اليه الاموال والعلوم (هل يستوى هو ومن يأمر) من الانبياء لكونه منطيقا ذا رشد (بالعدل) الشامل للفضائل (و) قد اشتمل عليها فى نفسه اذ (هو على صراط مستقيم) لا يتوجه الى مطلب الا يبلغه باقرب سعى فكيف لا يفوض الله اليه العلوم لانفاقها على الخلق سرا وجهرا (و) ان زعموا انه انما يحسن الامر بالعدل والكون على الصراط المستقيم عند الاطلاع على الحقائق لكنها غيب ولو اطلعوا على الغيب لعلموا وقت الساعة يقال لهم (لله غيب السموات والارض) فله ان يطلع منها على ما يشاء لمن يشاء ويمنع منها ما يشاء فيختص به ذاته (و) لا يضرهم عدم الاطلاع على أمر الساعة اذ يكفيهم ان يطلعوا على قربها فانه (ما أمر الساعة) فى القرب من قدرة الله (الا كلمح البصر) أى كقرب رجع الطرف من أعلى الحدقة الى أسفلها (أو هو أقرب) بان يكون فى زمان أقل أو ان بعث جميع الخلائق هو وان كان أمرا عظيما لا يعظم على الله (ان الله على كل شئ قدير و) لا يبعد من الله ان يخرج بعض أفراد الانسان من ظلمة الجهل الى نور العلم والولاية والنبوة فان له نظيرا فى المحسوسات اذ (الله أخرجكم) الى النور الحسى (من بطون امهاتكم) وهى مظلمة (لا تعلمون شيأ و) الى النور المعنوى اذ (جعل لكم السمع والابصار) لادراك المحسوسات الغائبة والحاضرة (والافئدة) لادراك المعقولات لتتوسلوا بذلك الى معرفته وعبادته (لعلكم تشكرون) بمعرفته وعبادته ولا يلزم من ذلك تساوى الكل فيها كما لا يتساوى الحيوانات فى الاماكن (أ) تنكرون تفاوت المكانات وقد وقع فى الاماكن فكأنهم (لم يروا الى الطير مسخرات) يتمكن (فى جو السماء) كذلك يرتفع بعض الانسان بمكانة العلم على بعض

ويقال سجين صخرة تحت الارض السابعة يعنى ان أعمالهم لا تصعد الى السماء وان كتاب الابرار الى عليين أى فى السماء

لا

لاباستعلائه على بنى نوعه بل باعلاء الله اياه كاعلائه الطير اذ (ما يمسكهن) فى ذلك المكان مع ثقلها (الا الله) وان توهموا انه اجنحته (ان فى ذلك لآيات) اشير الى بعضها ارافعة رفع الطير (لقوم يؤمنون) بالله فيعلون بآياته ويستزيدون بها معارفهم حتى ترتفع احوالهم ومقاماتهم ولا يلزم من ذلك الارتفاع الانتقال من مكان الشهوية والغضبية بالكلية فذلك سبب البقاء فلا بد من السكون فيه (و) لا يلزم الخروج منه كما لا يلزم السالك الخروج من بيته الظاهر اذ (الله جعل لكم من بيوتكم سكنا و) لكن هذا السكون لا ينبغى ان يكون بحيث يمنع من التحرك الى الله ولا من الاتجار بالاعمال والاحوال والمقامات بل غاية الامر ان ينقل البيوت كما انه فى المحسوسات (جعل لكم من جلود الانعام) خصها بالذكر لانها أقوى من بيوت الاشعار والثياب (بيوتا) يمكن نقلها اذ (تستخفونها يوم ظعنكم) اى ارتحالكم (ويوم اقامتكم) فكذلك يستخف هذه القوى المتحرك الى الله حال سلوكه وحال استقراره بمقام قربه وانما يتيسر ذلك بلباس التقوى واتجار الاعمال والاحوال والمقامات بل تكون كأنها حاصلة من هذه القوى كيف (و) قد جعل الله لاعتبار ذلك (من اصوافها واوبارها وأشعارها) اى اصواف جلود الضان واوبار جلود الابل واشعار جلود المعز (اثاثا) من الملبس والمفرش للاشارة الى التلبس بلباس التقوى بجميع انواعها واستفراش بساط الشرع الظاهر والباطن من كل وجه (ومتاعا) يتجر بها (الى حين) للاشارة الى الاتجار بالاعمال والاحوال والمقامات الى حين الموت (و) استصحاب هذه القوى وان كانت لا تخلو عن اذية فغايتها أنها كحرارة الشمس (الله) جعل لكم عنها ظلالا من الاخلاق والاعمال والاحوال والمقامات كما انه (جعل لكم مما خلق) من بعض الاجسام (ظلالا و) هذا اشارة الى ظلال الاخلاق والاعمال واشار الى ظلال الاحوال والمقامات بقوله (جعل لكم من الجبال اكنانا و) ان خفتم من حرارة أذية النفس اذا تقوت بتلك القوى جعل لكم لباس التقوى حافظا عنه كما انه (جعل لكم سرابيل تقيكم الحر و) ان خفتم من محاربة الشيطان بها جعل لكم حافظا من الدلائل ورفع الشبه كما انه جعل لكم (سرابيل) من الدروع والجواشن والسربال٣ (تقيكم بأسكم) فكما اتم نعمته فى هذه المواضع (كذلك يتم نعمته عليكم) فى كل موضع فجعل لكم ظلالا من اسمائه الجمالية عن قهر اسمائه الجلالية حال السلوك وجعل فى الفناء فى الله اكنانا وجود العبد بكن وجود الحق وفى البقاء ما يناسب صفات الحق للاتقاء عن حرارة شهوات النفس ودروعا عن محاربتها بعد الرد بصفاتها (لعلكم تسلمون) وجودكم لله عند الرد (فان تولوا) عن هذا البيان الدال على كمال علمك فلا يضرك عدم الجائه الى الهداية (فانما عليك البلاغ المبين) وقد بينت لهم بهذا البيان نعمة الله فهم بحيث (يعرفون نعمت الله) بالباطن بحيث صار ملجئا للباطن (ثم ينكرونها) باللسان اذ لم تصر ملجئا لهم (و) ليس هذا الانكار لبقاء خفاء عليهم بل (أكثرهم الكافرون) أى ساترون لهذا البيان الذى يكاد يلحق الملجئ (و) لا ينقطع سترهم بموتهم بل يستمرونه (يوم نبعث من كل امة شهيدا) فيشهد

السابعة
(باب الشين المفتوحة)
(قوله عز وجل شكور) أى منيب تقول شكرت الرجل اذا جازيته على

قوله والسربال هكذا فى الاصلين بايدينا وعبارة الكشاف والسربال عام يقع على كل ما كان من حديد وغيره اهـ

عليهم بما يبطل سترهم (ثم لا يؤذن للذين كفروا) برد شهادتهم ليعودوا الى سترهم (ولاهم يستعتبون) أى ولا يطلب منهم الاعتذار لخروج وقته وهو ما قبل رؤية العذاب (و) ما بعد رويته فلا يفيد تخفيفا فضلا عن ازالته بالكلية فانه (اذا رأى الذين ظلموا) بستر الحق الواضح الى ان يشهد عليهم الشهود (العذاب) فاعتذروا (فلا يخفف عنهم ولاهم ينظرون) للاعتذار وان كانوا منتظرين لاقامة الشهود عليهم (و) كيف يخفف عنهم أو ينظرون وأثر الظلم فيهم باق الى هذه الحالة فانه (اذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا) اجعلهم شفعاءنا اذهم (الذين كنا ندعوا من دونك) ليكونوا شفعاءنا عندك (فالقوا) اى رد الشركاء (اليهم القول انكم لكاذبون) فى جعلكم ايانا شركاء الله فكيف تتوقعون الشفاعة من هذا القول الكاذب (و) لو كان صدقا كان مانعا من الشفاعة لاشعاره بالعداوة مع الله تعالى لذلك (ألقوا الى الله يومئذ) وان ادعى بعضهم الشرك قبله (السلم) اى الصلح بترك الشرك (و) هم وان صالحوا مع الله لم يصيروا شفعاء عنده بل (ضل عنهم ما كانوا يفترون) من كونهم شفعاء عنده قبل الصلح او بعده بل (الذين كفروا) من هؤلاء الذين القوا الى الله يومئذ السلم بدعوى الشرك لانفسهم (وصدوا) بدعوى الشفاعة عند الله الناس (عن سبيل الله) فانهم وان صالحوا الله يوم القيامة (زدناهم عذابا فوق العذاب) الذى للمستشفعين بهم لا بصلحهم بل (بما كانوا يفسدون) دين أنفسهم ودين الخلائق فأنى يتصور منهم الشفاعة (و) لا يختص زيادة العذاب عليهم بدخول جهنم حتى رعايتوهم شفاعتهم قبل رؤيته دخولهم النار بل يزاد عذابهم أيضا (يوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم) ليفضحهم لا لعداوة معهم بل مع كونه (من أنفسهم و) اذا أنكروا مع ذلك شهادتهم (جئنا بك شهيدا على هؤلاء) الشهداء والمشهود عليهم لتزكى الشهود وتزيد المشهود عليهم فضيحة بل قبائحهم مما نقلت اليك بالتواتر (و) لا يمكنهم ان يقولوا ان الذى نقل اليك احاديث كاذبة لانا (نزلنا عليك الكتاب) المصدق لها مع كونه (تبيانا لكل شئ) من المعارف والاحكام واخبار الماضين (وهدى) مشتملا على الدلائل ورفع الشبه (ورحمة وبشرى للمسلمين) بأنهم يبلغون به الى حد الفراسة بحيث لو لم تبين لهم أحوال الماضين لاطلعوا عليها بفراستهم فاذا كان هذا للمسلمين عامة فكيف نبيهم صلى الله عليه وسلم وانما بلغوا هذا الحد من قيامهم بهذا الكتاب لانهم يصيرون به أصحاب التحلية والتجلية والتخلية كمالا وتكميلا كما قال (ان الله يأمر) فيه (بالعدل) أى الاعتدال وهو التحلية بالاوساط الجيدة فى باب الاعتقادات كالتوحيد بين التعطيل والشرك والقول بكسب العبد بين التفويض والجبر وفى باب الاعمال كأداء الواجبات والسنن بين البطالة والترهيب وفى باب الاخلاق كالحكمة بين البلاهة والدهاء والعفة بين العنة والشره والجود بين البخل والتبذير والشجاعة بين التهور والجبن (والاحسان) وهو ان تعبد الله كأنك تراه وهو التجلية ذكره لعدم دخوله فى العدل لانه ميل الى الحق فهذا هو الكمال وأشار الى التكميل

احسانه امابفعل واما بقما والله عز وجل شكور أى مثيب عباده على

بقوله

بقوله (وايتاء ذى القربى) أى من له قرابة نسبية أو دينية من العلم والمال ثم أشار الى التخلية بقوله (وينهى) فى مقابلة العدل (عن الفحشاء) وهو ما تجاوز فيه العبد الى افراط أو تفريط وصرح بالنهى اذ الامر قد لا يوجب والتوسط يوهم الحرج المرفوع عن الدين فيتوهم ان الامر للندب (و) ينهى فى مقابلة الاحسان عن (المنكر) وهو الميل الى الخلق بالادبار عن الحق (و) ينهى فى مقابلة ايتاء ذى القربى عن (البغى) عليهم بمنع حقوقهم من المال والعلم وأخذ أموالهم واضلالهم وانما كان هذا مفيدا للتخلية لانه (يعظكم) بهذه الاشياء (لعلكم تذكرون) ما فيها من الضرر فتخلون عنها واذا تخليتم عنها تذكرتم فوائد ما سبق فتحلون بها والتحلى بها يسوق الى التجلية وهو موجب لصدق الفراسة وهو مبلغ لرتبة الشهادة عند الله يوم القيامة وانما ذكر التخلية بعد التحلية اشارة الى انه كثيرا ما يحصل بعدها الرد الى النفس فيخاف من ضررها ولا يندفع الا بالتخلية (و) ما لم يرد فيه أمر ولا نهى بخصوصه (أوفوا بعهد الله) أى بنذره فانه وان لم يجب المنذور بذاته يجب (اذا عاهدتم و) أولى بالوجوب منه ما حلفتم على فعله (لا تنقضوا الايمان) وكيف تنقضونها (بعد توكيدها) بذكر اسم الله فيها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) اى رقيبا هل تبالون به أم لا فلو نقضتم علم انكم لا تبالون به (ان الله يعلم ما تفعلون) فيما لا يراقبكم فكيف فيما يراقبكم (ولا تكونوا) بنقض اليمين التى هى رقيقة ما بينكم وبين الله مجانين (كالتى نقضت غزلها) ريطة بنت عمرو بن سعيد كانت تغزل هى وجواريها الى نصف يوم ثم تنقض الجميع لا لضعف الغزل بل (من بعد قوة) لا لفائدة فى ذلك بل كان (أنكاثا) أى نقضا مجردا عن الغرض فكذلك نقض اليمين كان بعد تقو بالله ثم ابطال ذلك التقوى بلا غرض سوى الابطال وغاية ما تقصدونه من الاغراض فيه انكم (تتخذون أيمانكم دخلا) أى خديعة مفسدة (بينكم) بعد افساد ما بينكم وبين ربكم وأعظم ما يفسد كم ان تنقضوا عهدكم مع قوم لتحلفوا مع آخرين من أجل (أن تكون أمة) تحلفون لهم الآن (هى أربى) أى أزيد (من أمة) حلفتم لهم أولا فهذا وان كان مفيدا للعزة بهم فى الدنيا فهو ذلة لكم عند الله لانه (انما يبلوكم الله) أى يختبركم (به) أى بازديادهم هل تجترؤن على نقض اليمين من أجلهم أم لا ليفضحكم يوم القيامة بعدم مبالاتكم بالله للتعزز بهؤلاء (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه) من عداوة قوم ومحبة آخرين لا لغرض الدين (تختلفون) بجعل الاحباب اعداء والاعداء أحبابا فيفضحكم ببيان هذه الخصلة الذميمة منكم وكيف لا يكون هذا ابتلاء لهذا المعنى (ولو شاء الله) ان لا يبتليكم (لجعلكم أمة) متفقة لا تزال (واحدة) لا عداوة فيما بينها (ولكن) أوقع العداوة بينهم لانه (يضل من يشاء) فيجعله ظالما له أو محبا له (ويهدى من يشاء) فيجعله مظلوما أو محبا له (و) كيف لا يبين لكم هذا الامر الفظيع يوم القيامة مع أنكم (لتسئلن) يوم القيامة الموضوع للسؤال (عما كنتم تعملون) من كل قليل وكثير (و) لو لم يكن فى نقض اليمين هذا الابتلاء والسؤال يوم القيامة لوجب رعايته المحافظة على

(قوله سبحانه أعمالهم) (قوله أنفسهم) أى باعوا شروا به أنفسهم ومنه قوله (وشروه بثمن بخس) أى باعوه (قوله تعالى شطر المسجد)

المصالح الدنيوية (لا تتخذوا أيمانكم دخلا) أي خديعة مفسدة (بينكم) فانه وان أفاد يوما يبطل اعتماد الناس عليكم (فتزل قدم) أي قدم كل واحد عن مقصوده (بعد ثبوتها) فيه (وتذوقوا السوء) أي سوء معاملة الناس معكم اذ يخدعونكم كما خدعتموهم (بما صددتم عن سبيل الله) بتهوين الايمان الكاذبة عليهم (و) مع هذا الذوق للسوء (لكم عذاب عظيم) على نقض الايمان والمكر على الاخوان وصدهم عن سبيل الله هذا في الآخرة والتحفظ عن مكرهم في الدنيا (و) غاية ما تربون في نقض اليمين من الفائدة انكم تحصلون به مالا أو جاها (لا تشتروا) أي لا تستبدلوا (بعهد الله ثمنا قليلا) فانه بالحقيقة تضييع الاعلى بالادنى (انما عند الله) على وفاء العهد (هو خير لكم) من الثمن القليل المأخوذ على نقضه (ان كنتم تعلمون) ان لكم عند الله شيأ ولو لم يكن خيرا فلا شك ان فيه استبدال الفاني بالباقي (ما عندكم ينفد وما عند الله باق و) انما يعسر ترك الفاني للباقي لاحتياجه الى الصبر لكنه انما يعسر الصبر من الادنى الى الاعلى اذا كان مشكوكا فيه ولا شك ههنا (لنجزين الذين صبروا أجرهم) الذي هو بغير حساب فان حوسب جوزي كل عمل منه (بأحسن ما كانوا يعملون) بعوض أدنى أعماله أعلى وكيف لا يكون للصبر هذا الاجر وهو أجر كل عمل للمؤمن مع زيادة طيب الحياة المفقودة في الصبر فات (من عمل) عملا أدنى أو أعلى (صالحا من ذكر أو أنثى) أي كامل أو ناقص (وهو مؤمن) فان عمل الكافر اذا جوزي في الدنيا لا يجازى بالاعلى وكذا اذا جوزي به بعد الايمان في الآخرة لا يجعل أعلى (فلنحيينه حيوة طيبة) يتلذذ بعمله في الدنيا فوق تلذذ صاحب المال والجاه ولا يبطل تلذذه اعساره اذ يرضيه الله بقسمته فيقنعه ويقل اهتمامه بحفظ المال وتنميته والكافر لا يهنأ عيشه بالمال والجاه اذ يزداد حرصا وخوف فوات (ولنجزينهم أجرهم) مع طيب حياتهم الدنيوية (بأحسن ما كانوا يعملون) فلا يقال لهم أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا بل يكمل جزاء أعمالهم الادنى بحيث يلحق بالاعلى فاذا كان هذا في حق من تطيب بعمله ففي حق من تحمل فيه مشقة الصبر أولى وكيف لا تطيب حياة المؤمن بأعماله ومن أعماله قراءة القرآن فانها ألذ الطيبات اذا لم يعرض فيها الوسواس لذلك (فاذا قرأت القرآن) المفيد مزيد التقرب من الله والاطلاع على اسرار معارفه وعباداته (فاستعذ بالله) الذي هو صفته (من الشيطان الرجيم) ليرجمه عنك كما رجمه عنه تعالى وأول وجوه الرجم انه يمنع تسلط وسواسه على المستعيذ لان استعاذته تتضمن الايمان بالله والتوكل عليه (انه ليس له سلطان) أي تسلط بالوسوسة المؤثرة (على الذين آمنوا) لان ايمانهم يفيدهم التنور الكاشف عن مكره (وعلى ربهم يتوكلون) اذ التوكل على الله يفيدهم التقوية بالله فيمنع من معاندة الشيطان وقوة تأثيره (انما سلطانه) أي تسلط وسواسه بالتأثير (على الذين يتولونه) أي يوالونه فيعتمدون عليه لا على الله فيتوكلون عليه (والذين هم به مشركون) فلا يكون لهم ايمان بالله مفيد للتنور بل يزدادون ظلمة فيزداد فيهم تأثيره لذلك يظهر فيهم أنواع الخوارق الداعية

الحرام) أي قصده ونحوه وشطر الشئ نصفه أيضا (قوله عز وجل وشاورهم في الامر) اى استخرج آراءهم وعلم ما عندهم

لهم

اهم الى مزيد الخبث (و) أعظم مواقع الوسواس فيه مواقع النسخ فانا (اذا بدلنا آية مكان آية) مع ظهور الكمال فيهما بالبلوغ الى حد الاعجاز (و) ليس ذلك بطريق البداء بل (الله أعلم بما ينزل) ماذا يتضمن من المصالح بحسب الازمنة المختلفة (قالوا) لادخل للتبديل فى كلام الله لانه ابطال ولا يتصور فى كلامه الازلى الابطال وهذا دال عليه فيكون مثله فتعين انه (انما أنت مفتر) فقال تعالى هذا ليس بابطال (بل) بيان لانتهاء حكمه السابق وابتداء حكم اللاحق ولكن (أكثرهم لايعلمون) هذه الحقيقة فضلا عن الاقولون المطلعون عليهم العناد هم (قل) انما يكون افتراء لو كان فيه انتقال من خير الى شر أو من شر الى شر لكنه انما هو انتقال من خير الى مثله فعلم انه (نزله روح القدس) الطاهر عن الشرور لانها نقائص وهو فى غاية الكمال فلا يتصور منه الافتراء فانما نزله (من ربك) المربية أهل كل عصر بما يصلحهم لتلبسه (بالحق) أى بالاسم الالهى الذى له سلطنة ذلك العصر (ليثبت) على ماهو كمال ذلك العصر بمقتضى ذلك الاسم (الذين آمنوا) بان الله ظهور افى كل عصر بكمال مختص به لتجليه باسم خاص فيه (وهدى) الى معرفة كمالات الازمنة (وبشرى) بحصول تلك الكمالات (للمسلمين) أى المنقادين لما ينزله روح القدس حتى يبلغوا درجة المؤمنين فى الثبات عليه (ولقد نعلم أنهم) لايسلمون انه نزل به روح القدس بل (يقولون انما يعلمه) أى القرآن (بشر) جبير غلام رومى لعامر بن الحضرمى أو يسار وكانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه أو عائش غلام حويطب بن عبد العزى قد أسلم وكان صاحب كتب أو سلمان الفارسى فقال عزوجل فى الرد عليهم (لسان الذى يلحدون) أى يميلون عن الاستقامة بنسبة القرآن (اليه) لسان (أعجمى) ربما لايفهمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فان فهم لم يكن معنى معجزا فان كان لم يتلقف لفظا معجزا فان تلقف لم يكن عربيا (وهذا لسان عربى) معجز لانه (مبين) لما لايتناهى من العلوم بعبارة ليست من جنس اشعارهم ولانثورهم لكن انما يفهم منه هذه العلوم من يهدى الله بها (ان الذين لايؤمنون بآيات الله لايهديهم الله) الى فهم هذه العلوم الغير المتناهية كيف (و) ربما يعجزون عن تطبيقه على وجه مستحسن الا بكلفة (لهم) فيها (عذاب أليم) لايحصل لهم منه ذوق صحيح وكيف يكون معجزا مع كونه مفترى والاعجاز كرامة لايستحقها الامؤمن والفرية تنافى الايمان (انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله) فى الآفاق الدالة على رعاية الحكمة فى خلق الاشياء المقتضية تعذيب المفترى على الله (و) من زعم ان المفترى ينال فضيلة الاعجاز (أولئك هم الكاذبون) لان الاعجاز تصديق والله تعالى لايصدق الكاذب لانه كذب يجب تنزيه الله عنه لانه نقص فى صفته التى هى كلامه وكيف يعطى الله فضيلة الاعجاز من كفر بالله بالافتراء عليه بآيات الله تتضمن الايمان به فيكون كفره بعد الايمان وكيف يطلع مثله على اسرار الاعجاز التى هى أعز الالطاف الالهية مع كونه محل غضبه الموجب عظم العذاب فان

مأخوذ من شرت الدابة وشورتها اذا استخرجت جريها وعلمت خبرها (قوله شعر بينهم) أى اختلط بينهم (قوله شنآن قوم) محركة

(من كفر بالله من بعد ايمانه) فعليهم غضب من الله (الا من أكره) على الكفر فنطق به (و) لم يكن لسانه ترجمان قلبه بل قلبه (مطمئن) أى ثابت الاتصاف (بالايمان) فلا غضب عليه لانه حفظ حق الله بقلبه وحق نفسه الراعية حق الله فيما بعد بلسانه (ولكن من شرح بالكفر صدرا) فلم يتردد فيه نظرا الى دلائل الايمان بل كان مطمئنا بالكفر فانهم لو لم يكن كفرهم بعد الايمان (فعليهم غضب من الله) والمفترى على الله منشرح الصدر بالكفر فكيف يستحق فضيلة الاعجاز كيف وهى بالاطلاع على المعارف الكاشفة للحجب (ولهم عذاب عظيم) فوق عذاب المجرب بالاستمرار على الكفر من ابتداء الامر وكيف تنشرح صدورهم لهذه المعارف مع ان (ذلك) الانشراح بالكفر مناف لتلك المعارف لانها كاشفة عن كدورات الدنيا وهؤلاء لم تنشرح صدورهم الا (بانهم استحبوا الحيوة الدنيا) التى تبين هذه المعارف كدوراتها (على الآخرة) التى تبين هذه المعارف صفاء نعيمها فلا يكون لهم نظر فى هذه المعارف ولا فى مقدماتها بل يقيمون الشبهات (و) لا يهتمون بحلها اذ هذا الاهتمام من هداية الله (ان الله لا يهدى القوم الكافرين) كيف وهذه الهداية من نور الله لكن (أولئك) بعدوا عن ذلك النور لانهم (الذين طبع الله على قلوبهم) فلا يدخلها نور يدعوهم الى حلها فضلا عن نور تجليها لهم (وسمعهم) فلا يسمعون حلها من أحد (وأبصارهم) فلا ينظرون فى الكتب الالهية المشتملة على حلها (و) ذلك لانهم لا يبالون به اذ (أولئك هم الغافلون) عن ضررها لان ضررها موعود فى الآخرة ولا يرونها شيأ فيتزودوا لها (لا جرم انهم فى الآخرة هم الخاسرون) لانهم ضيعوا مزرعتها من الدنيا (ثم) بعد عدم غضب الله الموجب للخلود على المكره بالكفر (ان ربك للذين هاجروا) ولو (من بعد ما فتنوا ثم) بعد الهجرة (جاهدوا) وان لم يجاهدوا قبل الهجرة حفظا للنفس (وصبروا) على مشاق الهجرة والجهاد فلم يرجعوا الى اماكنهم اعتمادا على طمأنينة قلوبهم بالايمان (ان ربك من بعدها) أى بعد اجتماع هذه الامور (لغفور) له بالكلية بل (رحيم) باعطاء الاجور الزائدة والا فلا يخلو عن لوم أو تعذيب كل ذلك فى يوم عظيم لكونه (يوم تأتى كل نفس تجادل) لدفع العذاب واللوم (عن نفسها و) لكن لا ينفعها مجادلتها اذ (توفى كل نفس ما عملت) فلو قصرت بالبقاء فى دار الكفر بعد الاكراه أو فى الجهاد أو فى الصبر فلا يبعد ان توفى عذاب ذلك (وهم لا يظلمون) بالتعذيب الزائد بان يجعلوا كفارا مع اطمئنان قلوبهم بالايمان (وضرب الله مثلا) لمن انشرح بالكفر صدرا بعد انعام الله عليه بآيات تفيد الامان عن الغلط والطمأنينة بعدم ضرر الشبهات لكونها تشبه الاولية وان ورد على واحدة شبهة فثم دلائل كثيرة تأتيهم من مناهج كثيرة لا شبهة على أكثرها فعاندوها وعانقوا الشبهات الواهية على بعضها فوقعوا فى خوف انقلاب ما تدل عليه هذه الدلائل الكثيرة ولم يشبعوا من كثرتها (قرية كانت آمنة) من الخوف فى نفسها (مطمئنة) أى مستقرة على الامن لا تخاف من خارج بعسكر يقصدهم ولا تخاف من خطر السفر

النون أى بغضاء قوم وشنآن مسكنة النون أى بغيض قوم هذا مذهب البصريين وقال الكوفيون شنآن وشنآن مصدران

اذ

اذ كان (يأتيها رزقها رغدا من كل مكان) يسافر اليه لطلبه فاعتقدوا ان ذلك ليس من الله بل من خواص قريتهم (فكفرت بانعم الله) فنزعها منهم (فاذاقها الله) بدل لذة الامن والرزق لا ذوقا مختصا ببعض بل عاما عموم اللباس فكأنه ألبسهم (لباس الجوع والخوف) لا على طريق الاتفاق حتى لا يعتبر به بل (بما كانوا يصنعون) من الكفران بنعمة الامن والرزق وليس باعظم من الكفران بما يفيده هذه الآيات من الامن عن الغلط والاشباع بالعلوم بل عذابه أشد (و) لقد وقع فيهم أيضا فانهم (لقد جاءهم رسول) عرفوا صدقه لكونه (منهم فكذبوه) مع معرفتهم صدقه بكونه منهم وبدلالة المعجزة التي له (فاخذهم العذاب وهم ظالمون) بالتكذيب ظلما أدنى من ظلم هؤلاء بهذه الآيات فهم اولى بالمؤاخذة الاخروية فوق اذاقة لباس الجوع والخوف واذا كان كفران نعمة الله موجبا لاذاقة لباس الجوع والخوف وتحريم حلالها ولو بالنسخ من التحريم تكذيبا موجبا للعذاب لم يكن بد من الشكر وهو بقدر الانتفاع بالنعمة ولا يتم الا بالاكل (فكلوا) لا بطريق الاستيعاب المفضى الى الاسراف المانع عن كمال العبادة التي بها كمال الشكر بل (مما رزقكم الله) انعاما عليكم اذ جعله (حلالا طيبا) اى طاهرا من الشبهات (و) ليس المقصود من انعامها نفس الاكل بل الشكر (واشكروا نعمت الله) بصرفها الى ما خلقت له من التقوى على العبادة ومعرفة المنعم واعتنائه بعبادته (ان كنتم اياه تعبدون) فلو لم تشكروه كنتم عابدين النعمة دون المنعم ولو حرمتم ما أحل لكم كنتم عابدين من حرم من دونه فان لم تأكلوا فلا تحرموا سوى ما حرم ولا تحللوا ما حرمه وان عكس الغير (انما حرم عليكم) من جملة ما يحله الغير (الميتة) اذ لم تستفد من الذكاة الشرعية حياة معنوية تطيبها (والدم) لان المقصود من الذكاة اراقته فلا يستفيد منها فائدة يعتد بها مثل التطيب (ولحم الخنزير) لان خبث اخلاقه ذاتية له فلا تزول بعارض الذكاة (وما أهل لغير الله به) فان ذكاته لم تفده حياة اذ زادته خبثا لكن لا يبالى بخبث هذه الاشياء حال الاضطرار الحاصل بغير معصية (فمن اضطر) الى أكل هذه الاشياء (غير باغ) بالخروج على الامام (ولا عاد) بسفر المعصية كقطع الطريق والاباق (فان الله غفور) اى ساتر لخبثها ولا يتأثر بها فان لم يستر فلا اقل من منع تأثيره لانه (رحيم) بالمضطر فلا يمكنه ان يؤثر فيه (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم) اى للشئ الذى تصفه ألسنتكم بالحل والحرمة الوصف (الكذب) لمخالفته نص الشرع (هذا حلال وهذا حرام) بعد ظهور كذبه لكم فلا تستمروا عليه (لتفتروا) بنسبة التحليل والتحريم الى الله (على الله الكذب) فانه مثل الشرك بالاستحلال والتحريم (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) كما لا يفلح المشركون وان فازوا بكثرة الاموال والاولاد اذ هو (متاع قليل و) مع قلته هو سبب العذاب اذ (لهم عذاب أليم و) من المفتريات قول اليهود ان ما حرم عليهم لم يزل محرما على الكل ولا يزال اذ المحرم الابدى ما يكون فى ذاته خبث ولا خبث فيما حرم عليهم اذ (على الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) فى سورة الانعام مما لا خبث فيه

(قوله عز وجل شعائر الله) ما جعله الله علما للطاعة واحدها شعيرة مثل الحرم يقول لا تحلوه فتصطادوا فيه ولا الشهر الحرام فتقاتلوا

(وماظلمناهم) بتحريم مالاخبث فيه عليهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) باعمال الخبائث فنسع منهم بعض الطيبات جزاء على خبثهم (ثم) انهم اوان حرمت عليهم لخبثهم لم تدم حرمتها عليهم بعد الاسلام لكونه توبة عن ذنوب آبائهم التى جهلوها والاسلام مبالغة فى الاصلاح فوق المبالغة التى فى اليهودية اذا كانت ثابتة (ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) بقدار مساءته حقيقة او حكما (ثم تابوا من بعد ذلك) العمل بالجهل (وأصلحوا) العمل المسىء فقلبوه حسنة (ان ربك) لولم يغفر بمجرد التوبة فلاشك انه (من بعدها) اى بعد التوبة المستعقبة لاصلاح ماتاب عنه (لغفور رحيم) فكذلك يغفر لمن اسلم منهم عن حرمتها ويرحم عليه بالانعام بها ولو كان تحريم ماحرم على اليهود لخبث فى ذاته لكان ابراهيم أولى بالتحريم (ان ابراهيم كان) جامعا لفضائل جماعة من الانبياء عليهم السلام كانه كان (أمة) لانه كان (قانتا) أى مطيعا طاعة جماعة (لله حنيفا) مائلا عن المعاصى (ولم يك من المشركين) شرك اليهود بعزير والنصارى بعيسى ولاغيرهم وكيف يكون مشركا وكان (شاكرا لانعمه) والمشرك ان شكر فانما يشكر ماينسب اليه من النعم دون غيره واشكره (اجتباه و) بلغ من اجتبائه انه (هداه الى صراط مستقيم) فاعتدل فى الاعتقادات والاخلاق والاعمال (و) لاستقامة صراطه (آتيناه فى الدنيا حسنة) هى محبة الكل وتعظيمهم له (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) ارباب الولاية النبوية التى هى أفضل من نبوتهم وان كانت أفضل من ولاية الاولياء (ثم) من فضائله الجليلة انا (أوحينا اليك) ياأكمل الرسل (ان اتبع ملة ابراهيم) فى اعتداله لانه كان (حنيفا) أى مائلا عن طرفى الافراط والتفريط (و) لكن لم يجعل العبادة متوسطة بين الحق والخلق لانه (ما كان من المشركين) ولايلزم من متابعتك اياه تعظيمك للسبت لانه (انما جعل السبت على) اليهود لانهم (الذين اختلفوا فيه) على نبيهم اذ امرهم موسى ان يتفرغوا عن الاشتغال للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا ان الله قد فرغ فى السبت عن خلق السموات والارض فنوافقه فى الفراغ فالزمهم الله السبت وشدد عليهم موافقته فيه ثم جاء عيسى عليه السلام بيوم الجمعة فقالت النصارى لانريد ان يكون عيد اليهود بعد يوم عيدنا فاتخذوا الاحد فاعطى الله يوم الجمعة لهذه الامة وبارك لهم فيه اذ كان فيه خلق آدم فيجب فيه الشكر على الانسانية التى بها كمال الخلقة (وان ربك) وان الزمهم يومهم فى الدنيا (ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) على انبيائهم واذا امرت باتباع ملة ابراهيم فادع الى الله بمثل دعوته (ادع الى سبيل ربك) كل فرقة بحسب مايليق بها (بالحكمة) ايراد البراهين القاطعة لاهل الكمال كاستدلال ابراهيم عليه السلام بافول الكواكب على نقصها المنافى لالهيتها (والموعظة الحسنة) بالكمالات الخطابية المقنعة للمتوسطين كقوله لم تعبد مالايسمع ولايبصر ولايغنى عنك شيأ (وجادلهم) ان كانوا مشاغبين (بالتى هى احسن) وهى طريقة الانصاف كقوله فان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فان فعلت هذا اسقط عنك تكليف البلاغ وان لم يهتد بعضهم (ان ربك

فيه ولا الهدى وهو ماهدى الى البيت يقول لانتحلوه حتى يبلغ محله أى منحره واشعار الهدى ان يقلده بنعل أو غير ذلك

هو

هو اعلم بمن ضل عن سبيله) فلا يمكن ارشاده باحد هذه الاوجه (وهو أعلم بالمهتدين) بوجه من هذه الوجوه (وان عاقبتم) بالطعن عليهم اذا لم يهتدوا بشئ من هذه الوجوه فطعنوا عليها (فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) لا ازيد بالمبالغة فى الطعن (ولئن صبرتم) على طعنهم فلم تطعنوهم (لهو خير للصابرين) فوق خير السكوت عنهم اذ فيه قلة مبالاة بطعنهم (و) الصبر وان كان جائزا فى حق غيرك لكنه واجب عليك (اصبر) وكيف لا يكون صبرك خيرا (وما صبرك الا بالله) واذا كان الصبر بالنفس خيرا فبالله بطريق الاولى (و) ان عسر عليك الصبر لما ترى من بقاء المطاعن عليك (لا تحزن عليهم) ببقاء مطاعنهم بل تظهر مطاعنهم (و) ان بالغوا فى التلبيس بها على العامة (لا تك فى ضيق مما يمكرون) فان الله تعالى يكشفها لك فكيف لا يكشف لك مع تقواك واحسانك (ان الله مع الذين اتقوا) فزكوا انفسهم (والذين هم محسنون) بتصفية قلوبهم لظهور الحق فيه تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

ويجلل ويطعن فى شق سنامه الايمن بحديدة ليعلم انه هدى ولا القلائد كان الرجل يقلد بعيره من لحاء

*(سورة بنى اسرائيل)

سميت بهم لتضمنها ان هدى بنى اسرائيل مما تضمنه اسراء محمد صلى الله عليه وسلم قبل العروج الى السموات وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بتنزيهه فى عبده المنسوب الى ذاته الغالب فيها نظر التنزيه وان كانت متصفة بالصفات الثبوتية (الرحمن) باسرائه اليه ليصير أكمل رسله فتكون رحمته اشمل للخلائق كيف وقد أسرى الى موضع اجتماع البركات قبل وصوله الى السموات (الرحيم) باراءة آياته له ليريها لخواص خلقه فيجعلهم كاملين مكملين (سبحان الذى) أى سبح الله تسبيحه ذاته باعتبار ابهامها العدم اختصاصها باسم خاص عما يتوهم فى قصة الاسراء من التشبيه كالتمكن وغيره (أسرى) أى سير بالليل ليشير الى انه سير أولا من الظاهر الى الباطن لتغلب عليه الروحانية لكمالها المقتضية لاضافتها الى غيب الهوية فى قوله (بعبده ليلا) وصرح بقوله ليلا ليشير الى أن ابتداء سيره وانتهائه لم يكونا بالنهار فهو مع تسييرظاهره كأنه سير من باطن الى باطن اتم منه فى البطون (من المسجد الحرام) اذ نشأ من سجوده الخاص الذى حرم فيه الغير وحرم فيه رؤية الغير (الى المسجد الاقصى) ليشير الى احاطته باقصى مراتب غيره قبل وصوله الى السموات لاتصافه بانوار نبوتهم وولايتهم التى ظهرت هنالك على أقصى الوجوه اذ هو (الذى باركنا حوله) باشاعة انوارهما اشاعة كاملة تنسب الى مقام العظمة الالهية (لنريه) من مقام عظمتنا فيما فوق ذلك حين الخينا (من آياتنا) الظاهرة فى المظاهر الكاملة للانبياء عليهم السلام ومقاماتهم من السموات والبيت المعمور وسدرة المنتهى بل فوق ذلك بحيث يصير سمع الحق وبصره (انه هو السميع البصير) من أعظم ما باركنا حوله باشاعة نور النبوة والولاية انا (آتينا موسى الكتاب) الجامع لاسرارهما (وجعلناه هدى لبنى اسرائيل) هداية خاصة الى توحيد الافعال (ألا تتخذوا من دونى وكيلا) من يعتمد عليه ليقتصر نظرهم على

نعم الله في كل شئ وهي وان حصلت لهم من التوراة فليست موروثة من موسى ولا من سائر الانبياء لان ولاية النبوة لاتحصل لغير الانبياء وانما ورثوها من الاولياء وان بعد زمانهم حتى انهم ورثوها من أولياء قوم نوح لكونهم (ذرية من حملنا مع نوح) فكان نجاتهم كرامة لهم وان كانت معجزة لنوح فكرامات الاولياء معجزات لانبيائهم ولا يبعد ان يحصل لمؤمني قومه هذه الولاية والكرامة (انه كان عبدا شكورا) كثير الشكر لله فلا ينسب شيأ من الكمالات الى نفسه تحقيقا للعبودية والشكر يقتضي المزيد فاعطى مع النبوة وولاية النبوة الولاية العامة لامته حتى سرت بركتها الى أولادهم البعداء (و) مع ذلك هي ولاية قاصرة لاتفيد العصمة لذلك (قضينا) أي حكمنا حكما جازما فيما أوحينا (الى بني اسرائيل) لاخفيا بل جليا (في الكتاب لتفسدن في الارض) أي أرض بيت المقدس التي بارك الله حولها فيكون الافساد فيها افسادا في جميع الارض لامرة بل (مرتين) مرة بقتل شعيا ومرة بقتل زكريا ويحيى (ولتعلن علوا كبيرا) على الانبياء بحيث لاتبالون بنبوتهم بالنظر الى ولايتكم كانكم ترونها افضل من نبوتهم كولاية الانبياء فكان ذلك كفرا مستوجبا للوعيد الدنيوي (فاذا جاء وعد) المؤاخذة على (أولاهما) اي أولى المفسدتين (بعثنا) قاهرين (عليكم عبادا) بختنصر او سنجاريب لم يضفهم الى نفسه لكفرهم ولكن لهم نوع اختصاص بنا اذ كانوا منتقمين (لنا) وان لم يقصدوا ذلك لكن هذا الاختصاص افادهم مزيد قوة فكانوا (أولي بأس شديد) حتى على الانبياء والمؤمنين ولم تقتصر قوتهم على الخارجين عن بيوتهم بل عمت من تحصن ببيوتهم (فجاسوا) أي طلبوكم (خلال الديار) أي أوساطها (و) هو وان كان وعيدا في الظاهر بحيث يجوز التجاوز عنه (كان وعدا) بنصر من قتل من الانبياء فكان (مفعولا) بالجزم (ثم) أي بعد هذه المؤاخذة الشديدة (رددنا) عند توبتكم (لكم الكرة) أي الغلبة التي كانت لكم في الاصل (عليهم و) جعلنا لكم مع القوة الباطنة قوة ظاهرة اذ (أمددناكم بأموال وبنين و) لم نقتصر على تكثير البنين بل (جعلناكم أكثر نفيرا) أي أجانب فصرتم بحيث تغلبونهم من كل وجه فعلنا ذلك لتعلموا انكم (ان أحسنتم) توبتكم وأعمالكم (أحسنتم لانفسكم) بابقاء الغلبة لها والامداد بالاموال والبنين وتكثير النفير وتيسير الامور الاخروية (وان أسأتم فلها) أي فاساءتكم ضارة لها بغلبة الاعداء وسلب الاموال والبنين والنفير فاخترتم الاساءة حتى جاء وعد المؤاخذة (فاذا جاء وعد) مؤاخذة المرة (الآخرة) بعثنا عليكم عبادا ناطوس الرومي (ليسوءوا وجوهكم) بالاذلال والاسر بالسلاسل والاغلال (وليدخلوا المسجد) لتخريبه واحراق التوراة (كما دخلوه أول مرة وليتبروا) أي وليهلكوا (ما علوا) أي ما علوتم به على الانبياء من دعوى الولاية (تتبيرا) عظيما اذلم يفد دعاؤكم عليهم شيأ وانما نفعل ذلك لتخلصوا توبتكم وأعمالكم (عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم) بعد هذه التوبة الى العلو (عدنا) الى تسليط الاعداء وسلب الاموال والاولاد في الدنيا (وجعلنا) يوم القيامة (جهنم للكافرين حصيرا) أي سجنا

شعير المحرم فيا من يلك حيث علك (قوله عز وجل شوكة) أي حد وسلاح

حاجزا

حاجزا لهم لايخرج عنهم العائد الى الكفر بعد التوبة ولا غير العائد وتعذيب من أنكر القرآن أولى من تعذيب من أنكر التوراة لانها وان كانت هدى لبنى اسرائيل هداية خاصة فهداية القرآن أكمل (ان هذا القرآن يهدى للتى) اى للملة أو الشريعة أو الحكمة التى (هى أقوم و) لكمال هدايته (يبشر المؤمنين) به (الذين يعملون الصالحات) كلها (أن لهم أجرا كبيرا) فوق أجر من آمن بالتوراة وعمل بصالحاتها وان بلغ هدايتهم الخاصة (و) يبشرهم (أن الذين لايؤمنون) به فانهم وان آمنوا بالتوراة فهم لايؤمنون (بالآخرة) فلا يؤمنون بدوام ربوبية الله عليهم (أعتدنا لهم) قبل وصولهم الى مكان انكار ربوبيته عليهم فيه (عذابا أليما) أشد من عذاب من أنكر التوراة (و) كيف لايعتد له العذاب الاليم مع استعجاله به اذ (يدع الانسان) استعجالا (بالشر) كالعذاب (دعاءه بالخير) كالثواب كأن الشر عنده خير لايقتضى عقله كاستحسانه الدواء المر (و) لكن يقتضى ترك النظر اذ (كان الانسان عجولا) بترك النظر مع تيسره (و) لايبعد من الانسان ترك النظر مع كونه حاذقا كامل العقل اذ (جعلنا الليل والنهار آيتين) على وقوع الانسان فى ظلمة الجهل تارة ونور العلم أخرى (فمحونا آية الليل) بجعلها مظلمة ليعلم الانسان ان ظلمة الجهل وان افادته السكون الى اللذات الجسمانية فهى مانعة من اكتساب اللذات العقلية التى هى الفضائل (وجعلنا آية النهار مبصرة) لتمييز الاشياء المحسوسة ليعلم الانسان ان نور العلم يفيد تمييز المعقولات (لتبتغوا فضلا من ربكم) من اصلاح المعاش والمعاد (و) آية الليل وان كانت مانعة من طلب الفضل لكنها اذا ضمت الى آية النهار كانت مفيدة فى معرفة مقدار الحياة المشتملة على النعم اذ كانت (لتعلموا عدد السنين) لتحسبوا النعم الواقعة فيها فتشكروا ربها بمقدارها كيف (و) قد كانت لتعلموا (الحساب) لتعلموا ان الجزاء على مقدار ذلك الحساب كيف (و) لم نتركه مجملا بل (كل شئ فصلناه تفصيلا) شافيا (و) لايبعد كون الجزاء بمقدار العمل اذ (كل انسان ألزمناه طائره) أى عمله الذى يطير به الى مقام السعادة أو الشقاوة بأن نجعله هيئة لروحه أو قلبه أو نفسه فهو كالتعويذ المكتوب (فى عنقه) لكنه الآن أمر معنوى (ونخرج له) بتصويره بصورة المكتوب (يوم القيامة) الذى تتصور فيه المعانى بالمحسوسات (كتابا) وهو وان كان اليوم كالمجمل (يلقاه منشورا) لا اجمال فيه وهو وان كان غير مقروء قبل تصوره بصورة الكتاب لكنه اذا تصور يقال له (اقرأ كتابك) أى كتاب أعمالك لئلا تحتاج الى شاهد ولا الى حسيب بل (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) واذا كان عمل كل انسان يتصور بصورة جميلة أو قبيحة مع انه هيئة نفسه أو قلبه أو روحه (من اهتدى فانما يهتدى) مفيدا (لنفسه) الصور الجميلة (ومن ضل فانما يضل) بتفويت تلك الصور واستبدالها بالصور القبيحة (عليها و) لايتغير ذلك بتحمل الغير منه فانه (لاتزر وازرة وزر أخرى) فلا يتصور بالصورة القبيحة لتلك الاعمال وانما يتصور الغير بصورة زعم الحمل لها (و) لايبعد ان تصير الاعمال هيئة روحانية أو قلبية أو نفسية عن اعلام الرسل فانه يفيد تصورها بصورة العلم بكونها طاعة أو معصية ثم انقلابها بصورة الثواب والعقاب فانه

(قوله عزوجل شاقوا الله) أى حاربوا الله وجانبوا دينه وطاعته ويقال شاقوا الله أى صاروا فى شق غير شق المؤمنين (قوله

(ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) يعلمهم ما يفيدهم صور الطاعة بصور العمل أو المعصية وقبل ذلك انما يتصور بصورة العمل لا من حيث الطاعة أو المعصية اذ يكون من قبيل تكليف الغافل وليس المراد غفلة من لا يبالي فانه سبب الاهلاك (و) لذلك (اذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) أي متنعميها بالطاعة فغفلوا عن أمرنا (ففسقوا فيها) فتتصور أرواحهم أو قلوبهم أو نفوسهم بالصورة القبيحة عن مخالفة الامر (فحق عليها القول) أي قول العذاب بتصورهم بصور تقتضيه فعملنا بمقتضاها (فدمرناها) أي أهلكناها (تدميرا) كليا بحيث لا يبقى لهم زرع ولا نسل (و) ليس هذا مما يقع نادرا فانه (كم) أي كثيرا (أهلكنا من القرون) فضلا عن القرى لا في الاعصار البعيدة جدا حتى يمكن ان يقال بتغير السنة بل (من بعد نوح و) لم تكن مؤاخذتهم اتفاقية بل على المعاصي لا على بعضها بحيث يرجى التخفيف بل على كلها ولا يبعد اذ (كفى بربك بذنوب عباده خبيرا) ببواطنها (بصيرا) بظواهرها وكيف يترك الله سبحانه مقتضى هيئات الاعمال ولم يترك مقتضى مباديها بالكلية اذ (من كان يريد) الحياة (العاجلة) أي الدنيوية (عجلنا له فيها ما نشاء) لا كل ما يشاؤه لئلا يدعي الالهية (لمن نريد) لا لكل مريد لئلا ينسب هذا الاثر الى ارادته (ثم) اذا تصور روحه أو قلبه أو نفسه بما عمل (جعلنا له جهنم) فتلك الصور وان كانت باطنة (يصلاها) ظاهرا كما يصلاها باطنا اذ يصير (مذموما) لا كذم سائر الاشياء اذ يصير (مدحورا) أي مطرودا (ومن أراد الآخرة) فهذه الارادة (و) ان لم تستقل بالتأثير تؤثر اذ (سعى لها سعيها) الذي أمر الله به كيف (وهو) يفيده صورة طاعة حين هو (مؤمن) اذ لا تتصور طاعة بدون المطاع (فأولئك) وان لم يستقل سعيهم بافادة الصور الجميلة (كان سعيهم مشكورا) أي مستحسنا بالايمان مع ارادة الآخرة فصار بحيث يفيد فيضان الصورة الجميلة على صاحبه وليس تأثير تلك الصور يوم القيامة كتأثيرها اليوم بل (كلا) أي كل صورة (نمد هؤلاء) أي هيئات الاعمال الصالحة بما يجعل الحسنة عشر أمثالها (وهؤلاء) هيئات الاعمال الصالحة بما يماثلها المماثلة الباطنة التي كانت لها وليس ذلك المدد من أنفسها حتى يجب ازدياد تأثيرها كل يوم في الدنيا بل (من عطاء ربك) لها (و) هو وان لم يحصل لها في الدنيا كان جائزا الحصول لها لانه (ما كان عطاء ربك محظورا) أي ممنوعا وان كان متفاوتا بحسب استعداد المحل فان زعمت انه اذا لم يكن من أنفسها يجب ان لا يتفاوت (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض و) ان زعمت ان التفاضل لو كان بحسب المحل لم يتفاوت المحل الواحد باعتبار الدنيا والآخرة يقال (للآخرة أكبر درجات) من الدنيا فلا بد من وقوع أصل التفاوت (و) اذا جاز أصل التفاوت جاز التفضيل فهي (أكبر تفضيلا) واذا رأيت هذا التفاوت بين الاشياء بل بين الشئ الواحد بحسب وقتين (لا تجعل) عند رؤية التفضيل وان بلغ ما بلغ (مع الله) في كمالاته (الها آخر) اذ لا يساويه في الكمالات فاذا سويت بينهما (فتقعد مذموما) بفقد التمييز ولا يقتصر عليه بل (مخذولا) أي مطرودا عن الانسانية (و) كيف تجعل بمجرد التفضيل الها مع انه لم يفضله ايشاركه في استحقاق

عز وجل بل تزيدهم من خلقهم) أي طردهم فعلا ورامهم أي افعل بهم من القتل يفرق من ورائهم من أعدائك

العبادة بالانعام اذ (قضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه) لاختصاصه بنعمة الايجاد للنعم والمنعم
(و) لو كان ثمة مستحق آخر بالانعام لكان الاولى بذلك الابوين لاختصاصهما بسببية الايجاد
الذى هو أصل النعم لكنه انما قضى فيهما بان تحسنوا (بالوالدين احسانا) أتم من الاحسان
الى سائر المنعمين لانه بحيث (اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) اى ان تحقق
بلوغ أحدهما أو كليهما الذى هو زمان الضعف ومخافة العقل والاستقذار فاذا ظهر منهما
ما تستقذره (فلا تقل لهما أف) وهو صوت يدل على التضجر (و) ان تكلما أو فعلا ما لا ترضاه
(لا تنهرهما) أى لا تزجرهما (و) لو احتجت الى نهيهما (قل لهما قولا كريما) أى جميلا (و) لا
تتكبر فى خدمتهما بل (اخفض لهما جناح الذل) أى يدك المنسوبة الى الذل بتعاطى الافعال
الذليلة على نهج المسارعة لا من ذلتك فى نفسك بل (من الرحمة) أى رحمتك عليهما (و) لا تكتف
برحمتك الفانية بل اطلب لهما الرحمة الباقية ولا تعتذر بعدمها عندك بل (قل رب ارحمهما)
رحمة باقية كاملة (كما) أى كرحمتهما اياى للبقاء حين (ربيانى) تربية شاقة عن افراط الرحمة
اذ كنت (صغيرا) ولا يكفى خفض الجناح فى الظاهر ولا ترك التضجر باللسان بل يجب موافقة
الباطن اذ (ربكم أعلم بما فى نفوسكم) من الضجر والاستكبار على خلاف ما فى الظاهر لكنه
يعفو عنه (ان تكونوا صالحين) أى تائبين عما فى الباطن مرة بعد أخرى (فانه كان للاوابين)
أى الرجاعين الى الله بتوبة ظاهرة وباطنة (غفورا و) كيف لا يحسن الى الوالدين مع انهما
أقرب الاقارب وقد قيل لك (آت ذا القربى) لم يقل القريب لان المطلق ينصرف الى الكامل
والاضافة لما كانت لادنى الملابسة صدق ذو القربى على كل من له قرابة ما (حقه) فيه اشارة الى
ان له حقا معينا بخلاف المسكين وابن السبيل (و) كيف لا تؤتى ذا القربى وقد أمرت ان تؤتى
(المسكين) من الاباعد فى الاقارب مع الصدقة صلة الرحم والفقير يفهم بطريق الاولى لانه
أسوأ حالا منه (و) كيف لا تؤتى المسكين مع انه من أهل بلدك ففيه نوع جوار وقد أمرت ان
تؤتى (ابن السبيل) مع كونه أبعد من جوارك وبالجملة أمر بالاحسان الى من ليس بمنعم فكيف
تترك الاحسان الى المنعم (و) لكن ليس منه التبذير (لا تبذر تبذيرا) بوجه من الوجوه بالانفاق
فى محرم أو مكروه أو على من لا يستحق فتحسبه احسانا الى نفسك أو غيرك (ان المبذرين كانوا
اخوان الشياطين) فى كفران نعمة المال بصرفه فى المحرم والمكروه والى غير المستحق (و) كيف
لا يكونون اخوان الشياطين وغاية أمر الشيطان انه (كان الشيطان لربه كفورا) بتغيير حكمته
(واما تعرضن عنهم) أى وان تحقق اعراضك عمن تريد الاحسان اليهم (ابتغاء) أى طلب (رحمة
من ربك) فى المنع عنهم لئلا يقعوا فى التبذير بصرف المعطى الى شرب الخمر أو الزنا الا متوهمة بل
المظنونة بحيث (ترجوها) لهم لما عرفت من عاداتهم (فقل لهم) فى الدفع (قولا ميسورا) أى
سهلا عليهم احسانا اليهم بدل العطاء لهم فلا تقل لهم منعتكم لما أخاف عليكم شرب الخمر أو الزنا ثم
نهى عن الاعراض للبخل مع الامر بالاعراض مخافة البسط المفرط فقال (ولا تجعل يدك مغلولة)
أى مقبوضة كأنها مغلولة (الى عنقك ولا تبسطها) ولو بلا تبذير (كل البسط فتقعد) أى تثبت

ويقال شرد بهم أي سمع
بهم بلغة قريش (قوله
عز وجل شفا جرف) وشفا
جرف وشفا البئر والوادي
والقبر وما أشبهها وشفيره

(ملوما) بالفقر (محسورا) أى مكشوفا اليس لك مايستر لك عن السؤال والبسط وان كان من الاخلاق الالهية فالقبض من أخلاقه أيضا (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) وان لم يتوجه اليه لوم ولا حسر (انه كان بعباده خبيرا) ببواطنهم (بصيرا) بظواهرهم (و) لما وجب ايتاء ذى القربى والمسكين وابن السبيل لحفظ أرواحهم فالاولاد بحفظ الارواح أولى (لا تقتلوا أولادكم) سيما اذا كان منشؤه (خشية املاق) أى فقر فى المستقبل بالانفاق عليهم اذا كبروا (نحن نرزقهم) أى نحن المختصون باعطاء رزقهم فى الصغر والكبر (واياكم) الآن باغنائكم (ان قتلهم) للاملاق الحاضر والخشية فى المستقبل (كان خطأ كبيرا) لافضائه الى تخريب العالم وأى خطأ أكبر من ذلك ولما نهى عن قتل الاولاد نهى عن قطع النسل فقال (ولا تقربوا) مكانا يمكن فيه (الزنا) فضلا عن فعله (انه كان) عند جميع الخلائق معصية (فاحشة) مجاوزة الحد فى القبح توجب النفرة عن صاحبه والتفرقة بين الناس (وساء سبيلا) لقضاء الشهوة التى خلقت لطلب النسل بتضييعه ثم ذكر ما هو أعظم فى التنفير والتفرقة فقال (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله) قتلها وهى نفس الانسان فان الله حرم قتلها (الا بالحق) أى بالحكم الشرعى كالقصاص والارتداد والزنا المحصن وقطع الطريق بالقتل والحرب والبغى (ومن قتل مظلوما) بغير حق يؤخذ حقه فى الآخرة أو فى الدنيا (فقد جعلنا لوليه) مع عدم كونه مظلوما (سلطانا) بطلب القصاص أو الدية على القاتل لا على متعلقه فلو قتل كان مظلوما (فلا يسرف) ولى المقتول (فى القتل) بقتل غير القاتل (انه) أى المقتول اسرافا (كان منصورا) بتسليط وليه على قاتله لكونه مظلوما ثم نهى عن قتل النفس بالتجويع سيما نفس اليتيم العاجز عن الكسب فقال (ولا تقربوا مال اليتيم) فضلا عن أكله بجهة من الجهات (الا بالتى هى أحسن) هى حفظ ماله وتنميته فاقربوه بتلك الجهة (حتى يبلغ أشده) أى زمان قوته على حفظ المال وتنميته وهو زمان البلوغ بالسن والاحتلام أو الحيض أو الحبل ثم ذكر حفظ العهد الذى به انتظام أمور البالغين فقال (وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا) بان يتصور به صورة حى فيسئل من حفظك فحفظه ومن ضيعك فضيعه ثم ذكر ايفاء الكيل والوزن لانهما فى معنى عهد أن لا ينقص من حق الاخوان شئ فقال (وأوفوا الكيل) لا عند الاخذ فانه يكون استدراجا الى أخذ الزيادة مع ان التسامح فيه أولى لكن (اذا كلتم) لغيركم (وزنوا بالقسطاس المستقيم) الذى لا يميل الى جانب (ذلك خير) من نقص حق الغير فى افادة البركة فى الدنيا (وأحسن تأويلا) أى عاقبة اذ ليس معه مظلمة يطالب بها يوم القيامة ثم أمر برعاية القسطاس المعنوى (ولا تقف) أى ولا تتبع (ما ليس لك به علم) فى قول أو فعل تسنده الى سمع أو بصر أو عقل (ان السمع) قدمه لان أكثر ما ينسب الناس أقوالهم اليه (والبصر) لم يذكر سائر الحواس اذ لا يخالفها قول أو فعل (والفؤاد) أخره لانه منتهى الحواس (كل أولئك) أى كل واحد من هذه الاعضاء (كان عنه) أى عما نسب اليه (مسئولا) ليشهد على صاحبه (و) اذا اتبعت العلم وهو يدعو الى التكبر (لا تمش) مع كونك (فى الارض) التى هى

(قوله أيضا أى حائته عزوجل شغفها حبا) أى اصاب حبه شغاف قلبها كما تقول كبده اذا أصاب كبده ورأسه اذا أصاب

غاية السفل (مرحا) أى تكبرا أو اختيالا اذ لا يفيدك قوة ولا علوا (انك لن تخرق الارض) بشدة وطئك ودوسك (وان تبلغ) بهذه المشية المتطاولة (الجبال) من الجمادات (طولا) تعلو به على الخلائق علوها (كل ذلك) المذكور من المنهيات صريحا أو فى ضمن الامر باضدادها (كان سيئه) فى نفسه ولا يفيد رضا الله اذ كان (عند ربك مكروها) اما الشرك فلا خلاله بالكمال المطلق الذى لا يتصور مع الشرك اذ معه يصير كمالا بالاضافة الى بعض الاشياء دون جميعها واما عبادة الغير فلما فيها من تعظيمه المخصوص بذى الكمال المطلق فهو فى معنى الشرك وأما العقوق فلانه كفران نعمة الابوين فى سببية الايجاد ومنع الحقوق بالبخل تفريط والتبذير والبسط افراط وهما مذمومان والذميم مكروه والقتل يمنع الحكمة من بلوغها الى كمالها والزنا واتلاف مال اليتيم فى معناه ونقض العهد مخل بنظام العالم وكذا اقتفاء ما لا يعلم والتكبر من خواص الحق وعادة الملوك كراهة ان يأخذ أحد شيأ من خواصه (ذلك) أى جميع ما ذكر أكمل ما يعتقد به ويعمل به لانه (مما أوحى اليك) يا اكمل الرسل (ربك) الذى هو أكمل الاسماء الالهية (من الحكمة) أى العلم المحكم الذى لا يتغير بشبهة (ولا تجعل) بقبول ما يخالفها (مع الله الها آخر) بتسويته علمها فانه شرك فان لم يكن فلا أقل من ان يوجب الالقاء فى النار (فتلقى فى جهنم ملوما) بالجهل العظيم بتسوية علم الله مع علم الغير (مدحورا) أى مبعدا عن رحمته بعد المشركين وكيف تسوون علم آبائكم القائلين بأن الملائكة بنات الله بعلم الله بل تفضلون علمهم على علمه وخواصهم على خواصه (أ) تزعمون ان الله فضلكم على نفسه (فاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة) بنات لنفسه مع نقصها بكونها (اناثا) فى زعمكم (انكم لتقولون) فى تفضيل علمكم وخواصكم على علم الله وخواصه (قولا عظيما و) انما قلنا ان اختيارهم لعلم آبائهم لتفضيلهم اياه على علم الله لانه لم يكن لخفاء علمه وظهور علمهم عندهم فانه (لقد صرفنا) أى وجهنا البيان بوجوه كثيرة (فى هذا القرآن) المشتمل على جوامع الكلم (ليذكروا) أى ليذكر كل واحد بوجه ما (وما يزيدهم) أى التصريف (الا نفورا) أى تباعدا من المطلوب الذى يقرب به وجوه البيان (قل) للقائلين ان الملائكة بناته هذا مستلزم للشرك وهو باطل اذ (لو كان معه آلهة كما) يلزم مما (تقولون) انهم بناته (اذا) وان كانوا تحت يده وتصرفه (لابتغوا) أى لطلبوا (الى) مغالبة (ذى العرش) للاستيلاء على عرش ملكه (سبيلا) اذ لو عجزوا لم يشبهوا آباءهم فيلزم ان يعجز معهم لكنه (سبحانه) من ان يعجز (وتعالى عما يقولون) من المشاركة والولادة المخصوصة بالحيوانات (علوا كبيرا تسبح له) أى تدل على تنزيهه (السموات السبع) كل سماء بما فيها من كمال الحكمة (والارض) بما فيها من عجائب التكوين (ومن فيهن) من الملائكة والانس والجن المشتملين على أنواع الكمالات فهذا هو التسبيح بلسان الحال ولبعضها بلسان المقال أيضا (وان من شئ الا يسبح) بلسان الملكوت ملتبسا (بحمده) مما ظهر فيه (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) لاقتصار نظركم على عالم الملك (انه كان) فى ذمكم اياه بلسان المقال باثبات الشركاء له والاولاد

والشغاف غلاف رأسه ويقال هو حبة القلب وهى علقة سوداء فى القلب أى شغفها حبا أى صميمه وشغفها حبا أى ارتفع حبه الى أعلى موضع

(حليماً) بترك الاستعجال لكونه (غفوراً) أي ساتراً عنكم تلك المحامد (و) كيف يفقه من لا يؤمن بالملكوت ما في فيها فلم يخرج الى الملك مع انك أيها الملكوتي الخارج الى الملك (اذا قرأت القرآن) الذي هو ملكوتي خارج الى الملك (جعلنا) عند غلبة الملكوتية عليك (بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة) الملكوتية (حجاباً مستوراً) عن أعينهم فلا يرونك ولا الحجاب الذي بينك وبينهم عن سعيد بن جبير لما نزلت تبت يدا أبي لهب جاءت امرأته بحجر لترضخ رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع أبي بكر فسألته أين صاحبك لقد بلغني انه هجاني فقال والله ما ينطق بالشعر فقال مارأتك يارسول الله فقال لم يزل ملك بيني وبينها (و) لكون القرآن ملكوتيا وهو يقتضي الحجاب على من لا يؤمن بالملكوتية (جعلنا على قلوبهم أكنة) أي حجباً كراهة (أن يفقهوه) لان فقهه كشف للحجاب (وفي آذانهم وقراً) أي ثقلا يمنعهم من سماع ألفاظه الداعية الى فهم معانيه كيف (و) هم ينفرون عن معانيه فانه (اذا ذكرت ربك في القرآن) الجامع دلائل توحيده فجعلته الها (وحده ولوا) أي صرفوا وجوههم فجعلوها (على أدبارهم نفوراً) أي لاجل التباعد عنه فان لم يولوا أدبارهم (نحن أعلم بما يستمعون به) من كونه ألفاظا متفرقة في الظاهر (اذ يستمعون اليك) أيها المظهر انتظامها على وجه معجز (واذ هم نجوى) اي وحين يشير بعضهم الى بعض طلبا للانصاف فيصرون على الظلم (اذ يقول الظالمون) لاهل العدل (ان تتبعون الا رجلا مسحوراً) مهر جن فاختلط كلامه (انظر كيف ضربوا لك) يا أكمل الخلائق عقلا وكشفا وبلاغة (الامثال) بالمسحور والمجنون والمختلط كلامه (فضلوا) عن اعجاز القرآن ضلالا بعيدا (فلا يستطيعون سبيلا) الى مباديه فضلا عن اقاصيه (و) لم يقتصروا على ضرب الامثال لك بل ضربوا لنا أمثال العاجزين اذ (قالوا ائذا) أي انبعث اذا (كنا) بعد مصيرنا ترابا و (عظاما و) ربما لا يبقى عظامنا بل صارت (رفاتا ائنا لمبعوثون) أي أيتحقق حينئذ كوننا مبعوثين فان تحقق كنا (خلقا جديدا) لا معادا (قل) لو صرتم ماهو أبعد في قبول الحياة من العظام والرفات فالبعث متحقق (كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر) أي يعظم تعجبا حصول الحياة له فانما يكبر ذلك (في صدوركم) لا في صدور من عرف الله بكمال القدرة والعلم والحكمة فاذا سمعوا ذلك (فسيقولون) بعد لزوم الحجة عليهم (من يعيدنا) ولا قدرة لاحد على الاعادة (قل الذي فطركم) أي أوجدكم (أول مرة) من العدم الذي هو أبعد من قبول الصفات الوجودية فاذا سمعوا ذلك (فسينغضون) أي يحركون ناظرين (اليك) أيها المقيم للدلائل الكاشف للشبه (رؤسهم ويقولون) استهزاء (متى هو) مع انه لم يتحقق في الادوار الماضية (قل عسى) أي قرب رجاء (أن يكون قريبا) وكيف يبعد مع انه انما يتوقف على دعوته ولا يقع منه حتى يستبعد فيكون (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) على كمال قدرته وحكمته وعلمه (و) ليس هذا تقريبا عقليا فقط بل (تظنون) أي تعتقدون (ان لبثتم) في الدنيا والبرزخ (الا قليلا) لطول ذلك اليوم عليكم (وقل لعبادي) الذين يريدون تقريب أصحابهم الى الصواب كامر البعث (يقولوا) في النصيحة الكلمة (التي هي أحسن)

من قلبها مشتق من شعاف الجبال اي رؤس الجبال وقولهم فلان مشعوف بفلانة أي ذهب به الحب أقصى المذاهب (قوله

وان

وان كان غيرها فيدمثل ان يقولوا الابد لافعال المكلفين من الجزاء وهو متوقف على البعث
لا ان يقولوا الابد للكفرة والفجرة من الاحراق بالنار أبدا أو مدة فانه امغضبة لهم وهو داع الى
التقاتل والتضارب والشيطان معين فيه (ان الشيطان ينزغ) أي يتردد لايقاع العداوة
(بينهم) ليصير بعضهم عدو البعض كما انه عدوهم (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا)
فيعادي الناصح والمنصوح له ولا حاجة الى احتمال هذه الاذية منه في النصيحة بالايمان
والاعمال الصالحة باظهار الشدة فيهما اذ (ربكم أعلم بكم) أي باستعداداتكم لا بطريق الايجاب
بل (ان يشأ يرحمكم) من غير اظهار شدة من الناصح (أو ان يشأ) مع التشديد (يعذبكم) في الدنيا
بالقتل وفي الآخرة بالنار (و) لو لم يكن فيه أذية من الشيطان فلا حاجة اليه في تبليغ الرسالة لانا
(ما أرسلناك عليهم وكيلا) يصلح شأنهم البتة ومجرد كونك ناصحا لهم وان كان يغضبهم ويفضي
الى القتال لما فيه من تفضيلك عليهم مع رؤيتهم انك دونهم حتى قالوا لم يتخذ الله لهذا الشان
الا يتيم أبي طالب والعراة والجوع لصحبته فانه لا عبرة به اذ لابد من ناصح (و) التفضيل من
أجله ليس بايديهم لجهلهم بل بيد الله اذ (ربك أعلم بمن في السموات والارض) وقد علم انه
لا ناصح انصح فيهما العباده من محمد صلى الله عليه وسلم (و) لا يبعد من تفضيله عليهم فانه (لقد
فضلنا بعض النبيين على بعض) وهم أكابر الناس (و) ليس بمبتدع فانه فضل داود على كثير
تقدمه اذ (آتينا داود زبورا) يشتمل على الحكمة وفصل الخطاب (قل) ان كان لكم الفضل
فاصله بالعقل الجالب للمنافع الدافع للمضار وهو أهم (ادعوا) لكشف الضر أو تحويله
(الذين زعمتم) انهم آلهتكم يجرون اليكم المنافع ويدفعون عنكم المضار وان كانوا (من دونه
فلا يملكون كشف الضر) باعدامه (عنكم ولا تحويلا) له منكم الى غيركم فان ملكوا
ذلك وبلغوا فيه من الكمال ما بلغوا (أولئك الذين يدعون) ابعد درجتهم في ذلك بزعمهم في ذل
العبادة اذ (يبتغون الى ربهم الوسيلة) بالعبادة اذ يحرصون في ان (أيهم أقرب) اليه
(و) لا يقتصرون على طلب التقرب بل هم أدنى اذ (يرجون رحمته) ليكملوا (ويخافون عذابه)
لئلا يلحقهم النقص (ان عذاب ربك) وان عمت تربيته للكل (كان محذورا) للكل حتى
المقربين اذ لا يخلو عن عموم بطريق الابتلاء (و) لذلك (ان) أي ما (من قرية) صالحة أو طالحة
(الا نحن مهلكوها) باماتة أهلها أو استئصالهم لا لافناء العالم الدنيوي بل (قبل يوم القيامة
أو معذبوها عذابا شديدا) بالقتل والاسر والقحط والاحراق والاغراق أو غير ذلك اذ (كان
ذلك في الكتاب مسطورا) ليعلم ان المخلوق لا يخلو من قهر (و) لو قيل ان كان لمحمد صلى الله عليه
وسلم هذا الفضل لارسل الله له كل آية تقترح عليه قيل لهم ليس المانع من ارسالها عدم فضله بل
وقوع العذاب المحذور قبل يوم القيامة فانه (ما منعنا أن نرسل) محمدا صلى الله عليه وسلم
(بالآيات) المقترحة (الا) لاجل (أن كذب بها الاولون) الذين يتبعهم هؤلاء بعد ما عذبوا
فخفهم ان يتبعوهم في عذابهم (و) لم يمنعهم من التكذيب كون الآيات مقترحة فانا (آتينا
ثمود الناقة) المقترحة آية (مبصرة) لا مجال لتوهم السحر فيها (فظلموا بها) أي بذبحها الذي

(قوله الشجرة الملعونة في القرآن) هي شجرة الزقوم) أي ناحيته وطريقته ويدل على هذا قوله عز وجل شأنه كلامه ربكم اعلم

هو أشد من التكذيب فعذبوا فى الدنيا لذلك وكيف لا يعذب مكذب بالآيات المقترحة فى الدنيا (وما نرسل بالآيات) المقترحة (الا تخويفا) من العذاب الدنيوى فلا بد من وقوعه ليخاف وعيد عذاب الآخرة (و) لوجوب وقوع الوعيد الدنيوى اذكر (اذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس) أى بقريش ليقهرهم وينصركم عليهم فانه وقع ذلك على خرق العادة تصديقا للوعيد (و) كيف لا يقع ذلك اذا كان فى اليقظة وقد وقع منه ما كان فى المنام وانما وجب وقوع ما فى المنام من الوعيد لانا (ما جعلنا الرؤيا التى أريناك) بأن هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان (الا فتنة) أى اختبارا (للناس) هل يؤمنون بها فيخافون أم لا (و) كما وقع الوعيد الدنيوى يقع الاخروى لما فيه من الاختبار فانا ما جعلنا (الشجرة الملعونة) أى المذمومة ذما بليغا لكونه مذكورا (فى القرآن) المشتمل على جوامع الكلم الا فتنة للناس قال أبو جهل ابن أبى كبشة يخوفنا بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انه تنبت فيها الشجرة وقال عبد الله بن الزبعرى يخوفنا بالزقوم ولا نعرفه الا الزبد والتمر (ونخوفهم) أيضا بوجوه ليس فيها ما بعد اختبارا (فما يزيدهم) تخويف من التخويفات (الا طغيانا كبيرا) فلو أرسلنا اليهم الآيات المقترحة لقالوا انه أجل من أحاط بأبواب السحر فلا فائدة فى ارسالها سوى تعجيل العذاب الدنيوى لكنه ينافى اظهار دينه على الدين كله ثم أشار الى أنه لو لم يظهر لك من الفضل ما ظهر لهم لوجب عليهم ان ينقادوا لامر الله الذى تضمنه الآيات المخوفة لهم من مخالفتك فقال (واذ قلنا للملائكة) الذين ظهر من فضل جوهرهم ما لم يظهر لآدم (اسجدوا لآدم فسجدوا) ترجيحا لامر ربهم على ما ظهر من فضل جوهرهم (الا ابليس) رجح ما ظهر من فضل جوهره على امر ربه (قال أأسجد لمن خلقت طينا) واعترض على ربه بتفضيل آدم عليه السلام اعتراضكم عليه بتفضيل يتيم أبى طالب عليكم حيث (قال أرأيتك) أى اخبرنى لم كرمت على (هذا الذى كرمت على) ثم أظهر عداوته له ولذريته عداوتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين حيث قال (لئن أخرتن) أى أخرت بقائى بلا تعذيب (الى يوم القيامة لاحتنكن) أى لاستأصلن (ذريته الا قليلا) فكان ذلك سبب زيادة ابعاد الحق اياه ومن تبعه حيث (قال اذهب فمن تبعك منهم) اتبعناه اياك فى عذابك من غير نقص (فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا) فيخاف ان يكون عداوة محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين سبب مزيد ابعاد الحق اياكم ثم ان قتالكم مع محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كقتال ابليس مع آدم وذريته حيث قال تعالى له (واستفزز) أى استخف (من استطعت منهم بصوتك) أى بوسواسك بلا شبهة (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) أى الشبهات القوية والضعيفة ثم أشار الى ان مشاركتهم فى الاموال بانفاقها على من يعادى محمدا صلى الله عليه وسلم وفى الاولاد بعنا لكتم به كمشاركة ابليس مع من تبعه من ذرية آدم فيهما اذ قال له تعالى (وشاركهم فى الاموال) كالمكاسب المحرمة والانفاق فى الفسق ومنع الزكاة والبحيرة والسائبة (والاولاد) بالتوصل اليه بالسبب المحرم ودعوى النسب بلا سبب والتسمية بعبد الحرث وعبد العزى ثم أشار الى ان دعوى وعد بعضهم لبعض بالخيرات على

من هواه لدى سبيلا أى طريقا ويقال على شاكلته أى خليقته وطبيعته وهو من الشكل يقال لست على شكلى وشاكلتى

عداوة محمد صلى الله عليه وسلم كوعد ابليس اذ قال تعالى له (وعدهم) بشفاعة الآلهة وتقريبها الى الله زلفى والكرامة على الله بالانساب الشريفة وتسويف التوبة والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول فى الكبائر (و) بعض هذا وان كان حقا فليس بعلم الوقوع فحينئذ (ما يعدهم الشيطان الا غرورا) وهو تزيين الباطل بزينة الحق ثم أشار الى أن المؤمنين لا يغترون به فقال (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان و) لا يتضررون بعداوته اذ (كفى بربك وكيلا) أى حفيظا لهم كيف وقد توكل حفظكم فى البحر اذ (ربكم) هو (الذى يزجى) أى يجرى (لكم الفلك فى البحر) ولا يبعد ان يحفظ من خطر ما أوقعه فيه لافادة الربح اذ حملكم على البحر (لتبتغوا من فضله) الذى لا يعتاد نيله فى البلد فكذلك أركبكم بحر الوساوس الشيطانية على سفن الافكار لربح العلوم اذا سلمتم عن الاخطار بقوة الاخلاص (انه كان بكم) فى حملكم على الاخطار (رحيما) يفيد الرحمة الخاصة (و) من الرحمة الخاصة فى خطر البحر افادة الاخلاص بعد الشرك فانه (اذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه) كذا من مسه ضر المعصية من بحر وساوس الشيطان فألم به التجأ الى التوبة والاستغفار وترك الاهوية الفاسدة فيفيد النجاة بها ثم النجاة عن خطر البحر موقع فى خطر الاعراض فان الدعاء بالاخلاص أفاد النجاة (فلما نجاكم) عن خطر البحر وأوصلكم (الى البر أعرضتم) كذلك الناجى عن خطر الوسواس واقع فى خطر الغفلة عن الله (و) كان الواجب فى شكر الانجاء الزيادة فى أعمال الخير اذ حصل لكم الامن من مس الضر فى البر لكن (كان الانسان كفورا) بالاعراض فضلا عن زيادة الاعمال (أ) أعرضتم (فأمنتم أن يخسف بكم جانب البر) كذلك الانجاء من الشيطان موجب لخطر خسف النفس باهويتها (أو) أن (يرسل عليكم حاصبا) أى حجارة من السماء من غضب الله على الاعراض عنه كذا يخاف على المنجى به عند عدم المعصية وليس هذا الخسف وارسال الحاصب مما يرجى بعده النجاة بل (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) يحفظكم أأمنتم من جانب البر من كل وجه (أم أمنتم أن يعيدكم فيه) أى فى البحر بأن يحوجكم الى ركوبه (تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا) أى كاسرا للسفينة (من الريح) ويكون الكسر فى وسط البحر (فيغرقكم) غرقا لا ترجون معه النجاة (بما كفرتم) عند النجاة عن مثله فى المرة الاولى (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) من يطالب لكم علينا مثل من يطالب على مغرق سوانا كذلك يخاف من النجاة عن وساوس الشيطان الوقوع فى بحر معارضة الوهم والخيال من ريح التشابه فيكسر سفينة الدلائل فيغرق فى بحر الضلال بحيث لا يجدون حجة أصلا (و) كيف لا يكون الانسان كفورا مع ان اعراضه عمن لم يزل مكرما له منعما عليه فانه (لقد كرمنا بنى آدم) بتعليم العلوم تكريم آدم بتعليم الاسماء (و) أنعمنا عليهم بتسخير الحيوانات والجمادات مثل السفينة والريح والبحر اذ (حملناهم) على الحيوانات (فى) سفر (البر و) على السفن فى سفر (البحر و) لم يكن ذلك انعاما لهم محضا اذ (رزقناهم) فى السفرين (من الطيبات) ما ليس فى أوطانهم وأعطيناهم من الطيبات ما لم نعط سائر الحيوانات (و) لم نقتصر

(قوله شططا) أى جورا وعلوا فى القول وغيره (قوله شق) أى مختلف (وقوله عزائمه من نبات شتى) يقال مختلف الالوان فى الطعوم (قوله شجرة

فى اكرامهم وانعامهم على ذلك بل (فضلناهم على كثير ممن خلقنا) من الملائكة (تفضيلا) حتى فضل عوام المسلمين من بنى آدم على عوام الملائكة وخواصهم على خواصهم وانما تظهر هذه الفضيلة ويكمل هذا الاكرام والانعام ويحصل بجزاء كفران من كفر بذلك (يوم ندعوا كل أناس بامامهم) أى بالاضافة الى امامهم الذى أفادهم هذه الفضائل أو أداهم الى الكفران بهم ليشاركوه فى فضائله أو رذائله مع ما يحصل لهم مما كتب عليهم (فمن أوتى كتابه بيمينه) لكونه قويا غلب عقله على هواه فتظهر قوته فى قراءة كتابه (فأولئك يقرؤن كتابهم) مرة بعد أخرى بألسن فصيحة وأعين مفتوحة (و) انما أمروا بقراءته ليعلموا انهم (لا يظلمون فتيلا) أى مقدار خيط (ومن) أوتى كتابه بشماله لضعفه عن مقاومة هواه لا لأن الله لم يعطه قوة تلك المقاومة بل لأنه (كان فى هذه) الدنيا الداعية الى متابعة الهوى (أعمى) عن ضررها فانه لا ينطلق لسانه ولو انطلق لا ينفتح له عيناه (فهو فى الآخرة أعمى) وان كان حديد البصر (و) لو أبصر لم يجد الى التفصى مجالا لأنه (أضل سبيلا) كيف لا يفيد اتباع الهوى العمى وقد كاد حبك ايمانهم يعمى بصيرة الوحى منك (ان كادوا ليفتنونك) أى انهم قاربوا فتنتك باعمائك (عن الذى أوحينا اليك) بالتغيير فيه لا ليحصل لهم الهداية من ذلك الغير بل (لتفترى علينا غيره) بجعل الوعد فى مكان الوعيد (واذا) أى افتريت علينا غيره (لاتخذوك خليلا) فآمنوا بك مع علمهم بانه مفترى من عندك وهو موجب للكفر والبغض (ولولا أن ثبتناك) على الايمان والبصيرة باعلام ان فى ذلك كفرك وكفرهم (لقد كدت تركن) أى تميل (اليهم شيأ قليلا) من الميل من عماك بحبك ايمانهم ولم يكن يفيدك ذلك شيأ بل كان يضرك فى الدارين (اذا لأذقناك ضعف) عذاب (الحيوة) الذى حصل لمن مضى من الكفار (وضعف) عذاب الكفار بعد (الممات) لأن بصيرتك أكمل من بصيرتهم فيتضاعف عذابك بمقدار ما يفوتك من فوائد بصيرتك (ثم لا تجد لك علينا نصيرا و) مما يشبه العمى الطمع فى أموالهم وايمانهم (ان كادوا ليستفزونك) أى ليحركونك (من الأرض) التى تساكنهم (ليخرجوك منها) اذ قالت اليهود يا أبا القاسم ان الأنبياء انما بعثوا الى الشام وهو مهاجر ابراهيم فلو خرجت اليها لآمنا بك ولم يقصدوا بذلك ارشاده بل ليبقى لهم الرياسة بمكانهم (واذا لا يلبثون خلافك) أى لا يبقون بعد اخراجك فضلا عن بقاء رياستهم (الا) زمنا (قليلا) وليس ذلك مختصا بك حتى يستبعد بل كان (سنة) أقوام (من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) كلهم لما أخرجوهم من بلادهم لم يبقوا بعدهم (و) هى وان لم تكن موجبة لكن (لا تجد لسنتنا تحويلا) ولو أردت الهجرة الى مكان الأنبياء فاعمل اعمالا تبلغك أعلى من مكانهم (أقم الصلوة) للاستنارة بنور ربك (لدلوك) أى لرؤية زوال (الشمس) والمراد صلاة الظهر والعصر والمغرب لتبقى فى الارتفاع الذى يكمل فيه الاستنارة بنور الرب منتهيا (الى غسق) أى ظلمة (الليل) فتصلى فيها العشاء بعد غروب الشفق لئلا تعود الى ظلمة البشرية (وقرآن) أى صلاة (الفجر) التى يطال فيها القراءة وانما أطيلت فيها لأن الفجر وقت صعود ملائكة الليل بالأعمال ونزول ملائكة النهار بالبركات

(ان

الخلد) أى من أكل منها لايموت (قوله شاطئ الوادى) وشطء الوادى سواء (قوله تعالى شاخصة أبصار الذين كفروا) أى مرتفعة الاجفان لاتكاد تطرف

(ان قرآن) أي قراءة صلاة (الفجر كان مشهودا) لطائفتي الملائكة فيصعدون بجامع هذه البركات ليتم لك الاستنارة في ابتداء ظهور النور ثم لا يزال يزداد (و) استكمل الفرائض بنوافل الليل (من الليل) أي بعضه (فتهجد) أي اترك النوم (به) لتصلي فيه (نافلة) أي زائدة على الفرائض مفيدة (لك) نورا عظيما فوق ما يفيد غيرك (عسى) أي قرب رجاء (أن يبعثك ربك) الذي هو مجمع أنوار سائر الاسماء (مقاما) هو مقام الشفاعة (محمودا) يحمده الكل لاختصاصه بفيضان النور على أهل القصور اذا كانوا قابلين للكمال فاذا كان لك تحصيل هذا المقام الذي يستفيض منه النور من الله بلا واسطة وتفيض على من سواك فاي حاجة لك في الهجرة الى مقام الانبياء لتستفيد منهم أنوارهم (و) هذه العبادات لا توصلك الى المقام المحمود الا اذا صدق دخولك فيها وخروجك عنها ولا يتم الا بامداد الله بعد استمدادك منه (قل رب أدخلني) في هذه العبادات (مدخل صدق) بمشاهدتك في هذه العبادات ورؤية كونها من ذلك وان كانت صفة العبادة منها مني وتخليتي عن الرياء والعجب وتصفيتي باخلاص العمل واخلاص طلب الاجر ورؤية المنة لله ورؤية التقصير فيها (وأخرجني) عنها (مخرج صدق) فلا تستعملني ما يحبطها علي ولا تردني على نفسي (و) اذا غلبني الشيطان أو النفس أو الخلق أو وردت على شبهة (اجعل لي من لدنك) لا من عند عقلي وفكري (سلطانا) أي حجة (نصيرا) ينصرني على ماذكر ليبقى على عبادتي فيوصلني الى المقام المحمود (و) اذا تجلى لك الحق في هذه العبادات لا تدع لنفسك الالهية بل (قل جاء الحق) أي تجليه على القلب (وزهق) أي ذهب الوجود (الباطل) في نفسه وهو وان اعتقد ثبوته قبل ذلك لم يكن ثابتا بل (ان الباطل كان زهوقا) لكن لم يظهر زهوقه الا بعد حضور التجلي الشهودي للحق (و) لا يبعد ان يكون التجلي الشافي عن مرض الاعتقاد الباطل من ثبوت الوجود لما سوى الله مقتضيا في حق البعض الى دعوى الالهية فانا (ننزل من القرآن ما هو شفاء) عن الشبهات (ورحمة) ببيان الحقائق واقامة البراهين (للمؤمنين و) مع ذلك (لا يزيد الظالمين) بجعل الشبهات دلائل قاطعة وجعل الدلائل القاطعة شبهات (الا خسارا) اذ يخسر مع خسارة الاعتقاد الدلائل أيضا (و) لا يبعد ان يكون سبب الشفاء والرحمة سببا للخسارة فانا (اذا أنعمنا على الانسان) ليتقرب بشكره الينا ويستزيد انعامنا عليه (أعرض) ليكون سببا للبعد عنا كيف (و) قد (نأى) أي بعد من أخذه (بجانبه) فرجعه على جانبنا (و) لا يقبل بعده علاجا لان الشيء انما يعالج بضده وهو (اذا مسه الشر كان يؤسا) وهو أيضا سبب البعد كذلك يعرض الانسان عن شفاء القرآن ويأخذ برأيه واذا وقعت له فيه شبهة يئس من حلها فان زعموا ان الانعام بالقرآن على مثل هؤلاء يكون عبثا (قل) لا عبث فيه اذ يظهر استعداد المنعم عليه للثواب والعقاب اذ (كل) ممن أنعم عليه بالقرآن (يعمل على شاكلته) أي هيئة روحه الحاصلة له من استعداد حقيقته وليس طلب هذا الظهور لتحصيل علم الحق (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) ومن هو أضل بل لالزام الحجة (و) اذا سمعوا استعدادات الحقائق وهيآت الارواح (يسئلونك عن

(قوله عز من هو لغاهم فيه) أي من هول لغاهم فيه (قوله عز وجل شوبا من حميم) أي خلطا من حميم (قوله جل وعز شكله) أي مثله وضربه (قوله تعالى شرع لكم من الدين) أي فتح لكم

الروح) ليقيز عن الحقيقة وهيئتها واستعدادها (قل) الحقائق واستعداداتها أمور
عدمية تعلق بها العلم الالهى فكانت ثابتة فيه لافى الواقع اذ (الروح) وهيأته أمر وجودى
حصل (من امر ربى) بلا واسطة مادة فلم يكن لها شكل ولا مقدار ولا دخول فى البدن
ولا خروج عنه ولا اتصال به ولا انفصال عنه وهذا انما يفهمه من تبحر فى علم الحقائق (و) لكن
(ما أوتيتم) شيأ (من العلم الا قليلا و) بمقتضى قلة علمكم (لئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك)
من المشتمل على الحقائق الغامضة لكن لو ذهبنا به فاتك وكل أصحابك علمها (ثم لا تجد لك به
علينا وكيلا) يطالبنا به اذ لا طريق الى علم الحقائق سوى الوحى الالهى (الا رحمة من ربك)
فانها كالوكيل لك لو لم ينزل عليك القرآن لكن لا بطريق الايجاب بل بطريق التفضل (ان
فضله كان عليك كبيرا) فلو قطع عنك القرآن لتفضل عليك بطريق آخر فان قالوا فلم لم يتفضل
عليك بطريق آخر بل عين القرآن (قل) ان فضله بانزال القرآن ليس كفضله بطريق آخر لان
القرآن جامع لما لا يتناهى من الحقائق وغيره ليس كذلك لذلك (لئن اجتمعت الانس والجن)
المتفرقون زمانا ومكانا مع اختصاصهم بالعلوم الجليلة الدقيقة (على أن يأتوا بمثل هذا القرآن)
المشار اليه بالاشارة القريبة اقرب مأخذ حقائقه ودلائله ورفع شبهاته (لا يأتون بمثله) لان
غايتهم افادة أمور متناهية والقرآن مشتمل على ما لا يتناهى فلا يتصور حصولها منهم
(ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) معينا سيما بعبارة اليق من النظم والنثر مخالفة لاسلوبها
(و) لا يخل باعجازه تكرار لاخبار فيه مع اختلاف العبارات فانا (لقد صرفنا) أى أوردنا
على انحاء مختلفة (للناس) الغافلين عن بعض الفوائد من عبارة ليتذكرها من أخرى ولا بد
من جميع الفوائد (فى هذا القرآن) الجامع لها سيما فى الامور الجليلة (من كل مثل) أى
أمر عجيب يضرب به المثل لكن المبالغة فى جميع الفوائد افضى بالعامة لقصور نظرهم على
ظاهر التكرار الى انكار الاعجاز (فأبى) أى امتنع (أكثر الناس) ان يستفيدوا شيأ من تلك
الفوائد (الا كفورا و) حين كفروا باعجاز القرآن الذى لا مجال لتوهم السحر فيه وقد توهموه
فى سائر المعجزات الفعلية (قالوا لن نؤمن لك) أى لا نأتك (حتى) تأتى بما يشبه الثواب
الاخروى مثل ان (تفجر) أى تشق (لنا) أى لزراعتنا وغرسنا على العموم (من الارض)
أى ارض مكة (ينبوعا) أى كثير الماء (أو تكون لك) على الخصوص (جنة من نخيل وعنب)
لا تتكلف فى سقيها (فتفجر الانهار خلالها) أى فى أوساطها لتصل الرطوبة الى الكل (تفجيرا) لم
يعهد مثله فى كثرة الماء والسقى من غير عمل (أو) تأتى بما يشبه العقاب الاخروى مثل ان (تسقط
السماء كما زعمت) ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء (علينا
كسفا) أى قطعا (أو تأتى بالله) الذى هو خالق الثواب والعقاب (والملائكة) الذين هم أسبابهما
(قبيلا) أى ضامنا بصدق قولك فيصير واضامنين بالثواب والعقاب فكأنك جئت بعينهما
فلا حاجة الى الاتيان بما يشبههما (أو يكون لك) اذا لم تأت بما يشبه الثواب والعقاب

ولا

(قوله المثلى) وعز فكم طريقته (قوله يعنى الامر) أى وعز شريعته (قوله سنة وطريقة) فراخه سبحانه (شطأه) وصغاره يقال اشطأ الزرع اذا أفرخ وهذا مثل ضربه

ولا بما يقوم مقام عينه مما يظهر به فضلك علينا المانع لنا من الكذب اما في الارض بان
يكون لك (بيت من زخرف) أي من جنس ما يتزين به كالذهب والفضة والجواهر
(أو) في السماء بان (ترقى في السماء) فتكلم ربك او يكلمك فيرسلك الينا (ولن نؤمن لرقيك)
لاحتمال انك سحرت اعيننا بذلك (حتى تنزل علينا كتابا) لا يذهب مرة بل لا نزال (نقرؤه قل)
هذه الاشياء انما تقترح على من يدعي كمال القدرة لكن (سبحان ربي) من ان يشارك في قدرته
فان قدر على مثلها غيره فلا يقدر البشر لكني (هل كنت الا بشرا) لا يخلو من عجز وان كنت
(رسولا) ولما اعتذر عن عدم اتيانه بالآيات المقترحة بكونه بشرا جعلوه المانع من الايمان
فقال تعالى (وما منع الناس أن يؤمنوا) بالرسل مع تحقق سببه (اذ جاءهم الهدى الا) ما يصلح
للمنع وهو (أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا) مع انه لا بد من مناسبة الرسل للمرسل (قل)
اعتبار المناسبة بين الرسل والمرسل اليهم أولى من اعتبارها بين الرسل والمرسل فعلى هذا
(لو كان في الارض ملائكة يمشون) ولا يطيرون الى السماء (مطمئنين) لا يخافون من الله
ولا يطلبون مزيد القرب منه مع قابليتهم لذلك (لنزلنا عليهم من السماء) لاتصافه بغاية الكمال
الممكن لهم (ملكا رسولا) يكلمهم ويخوفهم فان زعموا انه لا بد من بعثة الملك ليكون شاهدا
للرسول على صدقه (قل كفى بالله شهيدا) وقد شهد باظهار المعجزات شهادة قاطعة للنزاع (بيني
وبينكم) ولا كذب في شهادته لانه نقص فلا يتصور في الشهادة الناشئة من صفات الكمال
كالخبرة والبصر (انه كان بعباده خبيرا بصيرا و) شهادة المعجزة وان كانت يخلق علما
ضروريا عقيبها فلا يهتدي بها الكل كما لا يهتدي بما يعرف كونه هدى في نفسه بل (من
يهد الله فهو المهتد) سواء هداه باسباب أو بدونها (ومن يضلل) الله (فلن تجد لهم أولياء)
من الاسباب اذ لا تأثير لها (من دونه) أي من دون عنايته لكن لا عناية له باهل الضلال وان
خلقهم مرفوعي الوجوه ناطقين بصراء سامعين بل لم يشكروا هذه النعم اذ صرفوها الى
غير ما خلقت له عكس عليهم الامر (و) لذلك (نحشرهم يوم القيامة) الذي يتصور فيه المعاني
الحاصلة من التصرفات الانسانية منكسين (على وجوههم) لتنكيسهم الآيات العالية
(عميا) لا يبصرون ما فيه نجاتهم اذ لم يبصروا حقائق الآيات (وبكما) لا ينطقون بما فيه
نجاتهم اذ لم ينطقوا في الدنيا بمقتضى الآيات (وصما) عما فيه راحتهم اذ لم يسمعوا الآيات
ولو سمعوا الآيات لازدادوا عنادا لذلك (مأواهم جهنم كلما خبت) أي طفئت في حقهم عند
احتراق جلودهم ولحومهم (زدناهم) بتجديد اللحوم والجلود (سعيرا ذلك جزاؤهم) لا على
الاضلال بل على اختيار الضلال المستعقب للاضلال من الله (بانهم كفروا بآياتنا) بجعلوها
من قبيل السحر النازل (و) لم يستعملوا فيها أبصارهم ولا سمعهم ولا السنتهم بل (قالوا ائذا كنا
عظاما ورفاتا) أي أنبعث اذا تلف لحمنا وبقينا عظاما بل رقت عظامنا فصارت رفاتا (ائنا
لمبعوثون) أي لم يتحقق كوننا مبعوثين فان تحقق لم نكن معادين بل (خلقا جديدا) وكما عطلوا

الله عز وجل للنبي صلى الله
عليه وسلم اذا أخرج وحمله
ثم قواه الله عز وجل باصحابه
(قوله عز وجل شديد
القوى) يعني جبريل عليه
السلام وأصل القوى من

النظر الى الآيات المنزلة على زعم انها سحر عطلوه فى سائر الآيات أيضا (أولم يروا) فى آيات
الافاق التى لامجال للسحر فيها (ان الله الذى خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم)
مرة بعد أخرى بطريق الاعادة فالقدرة التى هى سبب الوجود محققة (و) لاتحقق للمانع اذ
لا يصلح عدم جريان السنة الالهية مانعا وغيره ليس بمانع اتفاقا اذ (جعل لهم أجلا لاريب فيه)
أى فى كونه حكمة اذ لو جرت العادة بذلك لم يبق للتكليف وجه ولو ترك صار ظلما لكنهم لظلمهم
لا يعتبرون الحكمة و يجوزون الظلم (فابى الظالمون الا كفورا) بالقدرة الالهية فان
زعموا انهم لا ينكرون القدرة الالهية وانما يمنعونه لعدم جريان السنة الالهية بذلك (قل)
يدل على انكاركم القدرة توهمكم عجز الله ان يؤتيكم الرزق مع تكرر اعطائه اياكم لذلك
تفرطون فى البخل بحيث (لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى) الذى هو أوسع الاسماء الالهية مع
انه لا يتصور نفاد خزينة من خزائنه الجزئية (اذا) أى حال ملككم لها (لامسكتم) أى بخلتم
(خشية الانفاق) اى نفاد تلك الخزائن بلا عوض لعدم اعتمادكم على قدرة الله (و) لو اعتمدتم
ما تركتم بخلكم أيضا اذ (كان الانسان قتورا) بالطبع والامور الطبيعية لاتفارق بالدلائل
العقلية (و) يدل على عدم وجدان الضال أولياء من دون الله وعلى اباء الظالمين الا الكفور
وعلى قتورية الانسان بالانفاق فوق قتوريته بالمال انا (لقد آتينا موسى تسع آيات) غاية عدد
الافراد (بينات) ظاهرة الدلالة على القدرة الالهية وهى حل العقدة من اللسان والعصا
واليد البيضاء والسنون والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم فان شككت فيها لغيبتها
عنك (فاسئل بنى اسرائيل اذ جاءهم) بتلك الآيات فشاهدها قدماؤهم وسمع بالتواتر
متأخروهم (فقال له فرعون) الضال الظالم الآبى القتور بالانفاق الذى لم يزده آيات موسى
سوى الكفور (انى لاظنك ياموسى مسحورا) أى مجنونا جنون المسحور لادعائك الرسالة
المستحيلة وان لم تكن مسحورا كنت ساحرا فى اتيان الآيات (قال) موسى (لقد علمت) من علمك
بغاية ما يبلغه السحر لغلبته فى زمانك ومكانك (ما أنزل هؤلاء) الآيات من السموات الى
الارض (الارب السموات والارض) لا للتلبيس لكونها (بصائر) تبصرك وقومك صدقى
(وانى لاظنك) فى عنادك من سلطنتك (يافرعون مثبورا) أى ملعونا تبعد عن ملك الدارين
فلما ظهرت حجته خاف ايمان قومه به (فاراد أن يستفزهم) أى يزعجهم بالقهر (من الارض)
أى أرض مملكته فهرب وامنه فوقع البحر فى البين فشقه بضرب بعصاه فعبروه فتبعهم
فرعون وقومه (فاغرقناه ومن معه جميعا) لئلا يبقى منهم من ينازع بنى اسرائيل (وقلنا من
بعده) أى بعد اهلاكهم (لبنى اسرائيل) الذين أراد ان يستفزهم من الارض (اسكنوا
الارض) أخذا بحظ الملك عليهم ولا تستوفون المظالم بذلك بل يبقى بعضها الى الآخرة (فاذا
جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا) أى مختلطين يتعلق المظلوم بالظالم (و) لابد من مجىء هذا
الوعد لانه (بالحق) أى الدليل القطعى من نصوص الكتب الالهية (أنزلناه و بالحق) الذى هو
ثبات نظام العالم على اكمل الوجوه (نزل) وكيف يكذب هذا الوعد (وما أرسلناك) أيها

قوى الحبل وهى طاقاته
واحدتها قوة (قوله عز
وجل شوى) جمع شواة وهى
جلدة الرأس (قوله عز
وجل شامخات) أى عاليات

الكامل الذى لايتصور منه الكذب لولا المعجزات وقد يتأيد بها صدقك (الامبشرا) به لاهل الصلاح (ونذيرا) لاهل الفساد (و) الاظهار تا (قرآنا) هو ترجمة كلامنا الازلى الذى لامجال لنقيصة الكذب فيه ولا يخل بذلك تفريقه اذ (فرقناه لتقرأه على الناس على مكث) أى على مهل ليستقر فى قلوبهم (و) هو وان كان ترجمة كلام واحد لا يقبل التفريق صار قابلا له اذ (نزلناه) مرتبة بعد مرتبة (تنزيلا) واصلا الى عالم التفصيل فان زعموا ان الكلام الازلى غير قابل لهذا التنزيل (قل آمنوا به أولا تؤمنوا) فانه يستوى ايمانكم وعدمه لجهلكم بالحقائق (ان الذين أوتوا العلم) فعلموا قابليته لهذا التنزيل لاحاطتهم بالحقائق (من قبله اذا يتلى عليهم) فعلموا اشتماله على تلك الحقائق (يخرون) أى يسقطون ملصقين (للاذقان) أى الوجوه بالارض (سجدا) أى خاضعين (و يقولون) فى مطابقته ما وعد فى كتبه (سبحان ربنا) من أن يكذب شئ من مواعيده (ان) أى انه (كان وعد ربنا لمفعولا و) بعد الانقياد لحقيته (يخرون للاذقان) فى العمل به (يبكون) خوف العقاب وفوات الثواب (و يزيدهم) كل نظر فيه وسماع له وعمل به (خشوعا) فان زعموا انه لو كان نازلا من الله لكان داعيا الى الله فلم يكن فيه شائبة شرك لكنه يأمر تارة بدعوة الله وتارة بدعوة الرحمن (قل) ليس هذا بشرك بل غايته بيان دعوته بالوجوه الكثيرة بحسب اختلاف المطالب (ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) ولا يختص دعوته بهذين الاسمين لكثرة الاغراض الجزئية بل (أياما) أى أى اسم من أسمائه (تدعوا) أوصلك الى مطلوب من غير شرك فى ذاته (فله الاسماء الحسنى) أى الكاملة الموصلة الى المقاصد (و) يعينك فى الايصال الى المطالب الصلاة ذات الخشوع سيما اذا اجتمع عليها القلوب لذلك (لا تجهر بصلوتك) لئلا تخل بالخشوع (ولا تخافت بها) أى ولا تبالغ فى الاخفاء بحيث لا يسمعها من خلفك فيفوتك فائدة الاجتماع بهم (و) بالجملة الاخذ بالاوساط يفيد تزكية النفس عن الاطراف التى هى الرذائل لذلك (ابتغ بين ذلك سبيلا) ليكون داعيا لك الى التوسط فى الاخلاق ليفيدك التزكية والتصفية المقربة للمشاهدة الكاشفة عن الحقائق التى بها الاعجاز من حيث لا تناهيها (و) هذه العبادة انما تفيدك هذه المشاهدة لو خلت عن العجب والرياء لذلك (قل الحمد لله) على انه منّ على بهذه العبادة بلا شرك فيها اذ بالغ فى نفيه لانه (الذى لم يتخذ ولدا) وكيف يتخذه وهو اما للشرك أو الاستعانة (ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى) يعينه (من الذل) ليتعزز (و) لا تجعل العبادة مفيدة له عزة بل (كبره) من ان يستفيد من أحد شيأ (تكبيرا) بانه وان استحق المحامد من الكل فلم يستفد تلك المحامد من شئ بل له تلك المحامد من ذاته فافهم والله الموفق والملهم تم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الكهف)

سميت بها لاشتمالها على قصة أصحابه الجامعة فوائد الايمان بالله من الامن الكلى عن الاعداء والاغناء الكلى عن الاشياء والكرامات العجيبة وهذا من أعظم مقاصد القرآن

ومنه شبح بانه (قوله تعالى شفق) الشفق الحمرة بعد مغيب الشمس (قوله عز وجل شاهد ومشهود) قيل الشاهد يوم الجمعة

(بسم الله) المتجلى بجميع ما ثبته فى كتابه حتى ظهر استحقاقه للمحامد كلها على انزاله (الرحمن) بانزاله على عبده الجامع الذى ارسله رحمة للكل (الرحيم) بجعله منذرا عن البأس الشديد لبشير خواص عباده ببشارة الاجر الحسن الدائم (الحمد لله) أى الحمد الجامع للمحامد مستحق لله لانه (الذى انزل على عبده) الذى تجلى فيه التجلى الجامع الغيبى (الكتاب) الجامع لتجلياته الشهودية (و) هذا التجلى وان كان قد يؤدى الى تعوج بدعوى الالهية (لم يجعل له عوجا) بل جعله منزها للعوج اذ جعله (قيما) مصلحا لا بطريق القهر بل (لينذر بأسا شديدا) وهو وان لم ير الغير كان يرى هذا البأس (من لدنه) باعتبار تجليه الجلالى (و) لاختصاصه بأهل الاعوجاج وتقويمهم بلا له كان شأنه أن (يبشر المؤمنين) المزيلين عوج اعتقادهم (الذين يعملون الصالحات) ليزيلوا عوج أفعالهم الظاهرة والباطنة (أن لهم أجرا حسنا) من التجلى الجمالى وهو وان كان قابلا للتبديل الى الجلالى كقابليته التبديل الى الجمالى لا يتبدل ما وقع منه بطريق الجزاء فيكونون (ماكثين فيه أبدا و) لاتتم هذه البشارة لكل من يدعى الايمان والاعمال الصالحة فظهر عليه الجمال مع بطون الاعوجاج الذى هو دليل بقاء الجلال فيه بل كان شأنه ان (ينذر الذين) بقى اعوجاجهم وجلالهم فى الباطن مثل أهل الكتاب اذ (قالوا اتخذ الله ولدا) وكيف لا يكونون من أهل الجلال وهم فى هذا القول من أهل الحجاب فانهم وان كانوا علماء وآباؤهم علماء (ما لهم به من علم ولا لآبائهم) الذين تعلموا منهم بل لا شبهة لهم سوى متشابهات ألفاظ كتبهم مع ان العقل الصريح اذ دل على امتناع مفهومه يجب تأويله بما يناسب جناب الحق فهذه الكلمة وان نطقت بها كتبهم (كبرت كلمة) من حيث (تخرج من أفواههم) على اعتقاد انها مستعملة فى المعنى الحقيقى مع ظهور كذبه فهم وان وافقوا ظاهر الكتاب (ان يقولون الا كذبا) فان انكروا كونه كذبا لكونه ظاهر كتابهم (فلعلك) لعدم قبولهم قولك من افراط عوجهم (باخع) أى قاتل (نفسك) غضبا (على آثارهم) أى آثار علمهم بالكتاب من حمله على الامر المستحيل المخالف لكتاب آخر منه سيما (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) القريب من مقتضى صريح العقل فانه يوجب (أسفا) أى افراط الحزن المفضى الى افراط الغضب عليهم فان زعموا انهم كيف يكونون محل الغضب وهم زينة الخلائق لاتصافهم بعلم الكتاب والزينة توجب الميل اليها لا الغضب عليها قيل لهم غاية أمرهم انهم زينة دنيوية كزينة ما على الارض (انا جعلنا ما على الارض) من الحيوانات والنباتات والاحجار الشريفة (زينة لها) لا للميل اليها بل (لنبلوهم) لنختبرهم فيظهر (أيهم أحسن عملا) بالشكر عليها فكذلك أهل الكتاب زينتها جعلنا وتوامن علمه لنبلوهم أيهم أحسن عملا بمقتضاه فيبقى له زينة أخروية (و) الا فالزينة الدنيوية غير باقية (انا لجاعلون ما عليها صعيدا) أى ترابا (جرزا) أى خاليا عن الزينة كذلك يجعل الله أهل الكتاب صعيدا لا يبقى زينتهم اذ لم يتزينوا بالعمل به فلا يبقى اليهم الميل المانع من الغضب عليهم بل يصيرون محله سال اخلالهم بالعمل المطلوب منهم وقد تركوا التزين بهذا الكتاب الذى هو أعجب الكتب السماوية واقتصروا

ومشهود يوم عرفة وقيل شاهد محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ومشهود يوم القيامة

بانهم كان منهم أصحاب الكهف والرقيم فيقال للمنصف منهم أحسبت ان هذا الكتاب المستوجب للمحامد كلها من أعجب آيات الله (أم حسبت أن أصحاب الكهف) وهو الغار الواسع في الجبل قيل كانوا بالروم بمدينة تسمى الآن طرسوس وقيل افسوس والجبل ينجلوس والكهف جيرم وقيل بالشام وقيل في لوسنة في جهة غرناطة من بلاد الاندلس والملك الذي هربوا منه دقيانوس أودقيوس (والرقيم) لوح من ذهب أو رصاص أو حجر رقم فيه حديثهم وأسماؤهم نقرا أو جبل رقم فيه أو بناء كانه قصر محاق وأسماؤهم مكسلمينا وتمليخا ومرطونس و بينوس وذونواس وكفيشططونس وهو الراعي أو تمليخا ومكشلمينا ومشلينا هؤلاء أصحاب يمين الملك ويرنوش وديرنوش وشاذنوش أصحاب يساره والسابع هو الراعي وقيل مكسلمينا ومحسلمينا وتمليخا ومرطونس وكسوطونس وبيرونس ودنيمونس وبطيونس واسم كلبهم قطميرأو ريان أو سرا وتورا أو صهبا أي أحسبت ان جماعة ذهبوا الى محل خلوتهم والى مارقم فيه حديثهم وأسماؤهم (كانوا من آياتنا) المنسوبة الى عظمتنا (عجبا) يتزين بهم بحيث يترك لاجله التزين بهذا الكتاب وغاية ما يتعجب منهم تغليبهم جانب الله على جانب أهويتهم حال شبابهم (اذ أوى الفتية) من خوف ايذاء الملك على ترك عبادة الاوثان والذبح لها (الى الكهف) الذي لا طعام فيه ولا شراب (فقالوا ربنا) أي من ربانا بنعمة ايثار جانبه على جانب أنفسنا (آتنا من لدنك رحمة) تغنينا عن الطعام والشراب (وهيئ لنا) بالامن من عدونا (من أمرنا) اختيار الكهف (رشدا) هو توحيد الله وعبادته فاغناهم (فضربنا) الحجاب بينهم وبين الاصوات (على آذانهم) لئلا ينقطع نومهم فيحتاجون الى طعام وشراب أو يبقوا في خوف العدو فتركناهم على ذلك (في الكهف) بحيث لا يراهم العدو (سنين) متعددة (عددا) اتماما للرحمة عليهم (ثم) أي بعد حصول الامن الكلي من العدو وذريته (بعثناهم) أي أيقظناهم ايقاظا يشبه بعث الموتى (لنعلم) واقعا ما علمنا انه سيقع وهو (أي الحزبين) المختلفين في مدة لبثهم (أحصى) أي أشد احاطة (لما لبثوا أمدا) أي لغاية مدة لبثهم فيعلموا اقدر ما حفظهم الله بلا طعام ولا شراب وامنهم من العدو فيتم لهم رشدهم في شكره وتكون لهم آية تبعثهم على عبادته فان زعموا انهم انما نالوا هذه الرتبة العزيزة والكرامات العجيبة لتدينهم بديننا قيل لهم هذا لا يصلح معارضا لما حكاه الله لا كمل رسله وموافقا لما حكاه في سائر كتبه اذ (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) المطابق للواقع ولما وقع في كتبهم (انهم فتية) أوتوا قوة العقل والفهم والصبر والتوكل حتى (آمنوا بربهم) مع اتفاق أقوامهم على الشرك به (وزدناهم هدى) بترجيح جانب الله على جانب أنفسهم (وربطنا) محبتنا بقلوبهم فجعلناها غالبة (على قلوبهم) بحيث لا يبالون لما يحملون في سبيلنا (اذ قاموا) بين يدي ملكهم حين رفع اليه أمرهم فقيل للملك يجتمع الناس على عبادة آلهتك والذبح لها وهؤلاء الفتية من أهل بيتك يستهزؤن بك (فقالوا) انما نتقرب ونذبح له وهذه ليست أربابا بالتابل (ربنا) أي رب كل واحد منا ومنك (رب

وأسماؤهم مكسلمينا الخ كذا بأصح الاصلين بأيدينا وفي الأصل الآخر نوع مغايرة وحرر اسماءهم من القاموس وغيره اهـ مصحح

كما قال تعالى وذلك يوم مشهود (قوله تعالى والشفع والوتر) الشفع في اللغة اثنان والوتر واحد وقيل الشفع يوم الاضحى

(السموات والارض) بحيث يدخل تحت ربوبيته كل معبود سواه فان اكرهتنا على عبادة الغير (لن ندعو) فضلا عن أن نعبد (من دونه) أى من دون رتبته عن رتبة رب السموات والارض (الها) نجعله فى رتبته (لقد قلنا اذا) أى اذ جعلنا الادنى فى رتبة الاعلى (شططا) أى ظلما على الله فيجب ادفعه تحمل ظلمك علينا ولا يندفع هذا الظلم بكونه متفقا عليه بين جماعة من عقلاء الدنيا اذ (هؤلاء) المشار اليهم بالاشارة القريبة لدناءتهم فى امور الآخرة لا نتبعهم مع انهم (قومنا) ممن كثرت شفقتهم علينا لانهم ضلوا حيث (اتخذوا من دونه آلهة) فان زعموا انهم أهل الصواب (لولا يأتون) على ما يقال (عليهم بسلطان) يتسلط على عقل من يقول عليهم (بين) لا يمكنه دفعه فان لم يأتوا به فهم ظالمون فى حق الله لافترائهم عليه بان فى رتبته العليا شركاء يساوونه فيها بجعلهم اياهم كذلك افتراء عليه (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) فهم أعداؤه ولا عبرة بقرابة من عادى سلطانا كبيرا (واذ اعتزلتموهم) بترك متابعتهم من افراط ظلمهم وهو موجب غضبهم (و) قد ازدادوا غضبا عليكم من ترككم عبادة (ما يعبدون الا الله) فانهم كانوا يعبدونه صريحا أو فى ضمن عبادتهم له (فأووا الى الكهف) الذى لا يطلعون عليكم فيه فلا يؤذونكم ولا تخافوا من الكون فيه فوات الطعام والشراب فانكم اذا التجأتم الى الله بعدما دعوتموه بنشر الرحمة وتهيئة الرشد (ينشر لكم ربكم من رحمته) ما يغنى عن الطعام والشراب (ويهيئ لكم من أمركم) اختيار جانبه على جانبكم (مرفقا) يرفق بنفوسكم فيعطيها من لذات عبادته ما ينسيها سائر اللذات على أن لذاتها لم تخل عن أذية وهذه خالية عن الاذيات كلها (و) من رفق الله بهم فى ضمن رفقه بانابتهم انك ترى الشمس) جميع السنة (اذا طلعت) أى صعدت (تزاور) أى تميل (عن) باب (كهفهم) الجهة (ذات اليمين) أى يمين الكهف لئلا يصيبهم شئ من حرها فى وقت شدته فيوقظهم ويغير ألوانهم (واذا غربت) أى هبطت (تقرضهم) أى تقطعهم قطعة من نورها لئلا يموتوا بالبرد مائلة (ذات الشمال و) ليس ذلك لضيق باب الكهف أو ميله الى جهة لا يصل اليها ذلك بل (هم فى فجوة) أى سعة (منه) أى من الكهف يصل اليهم الهواء من كل جانب دون أذى الشمس ولا استحالة فى ذلك وان كان على خرق العادة اذ (ذلك من آيات الله) أى كراماته فى حقهم وان لم يبالغوا فى عبادته لكنها حصلت لهم من مزيد هدايتهم وليست الهداية منوطة بمزيد العبادة بل (من يهد الله فهو المهتد) وان لم يكن له مزيد عبادة (ومن يضلل فلن تجد له) عبادة مرشدة بل لن تجد له (وليا) يلى أمره فيحفظه من الضلال فضلا عن أن يكون (مرشدا و) الله تعالى وان منعهم حر الشمس لم يمتهم فانه من تقوية الحياة لذلك (تحسبهم أيقاظا) لفتح أعينهم وعدم استرخاء أعضائهم (وهم رقود) مستغرقين فى النوم بحيث لا يصل اليهم الصوت (و) قد كان بحيث لا يمكنهم التقلب بأنفسهم لكنا بمقتضى ما وقعوا بنا من مزيد الرفق (نقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) لئلا تتلف الارض أجسادهم (و) كما حفظهم بالتقليب عن اهلاك

والوتر يوم عرفة وقيل الوتر الله عز وجل والشفع الخلق خلقوا أزواجا وقيل الوتر آدم عليه السلام شفع بزوجته

الارض حفظهم عن الاعداء بكلب اذ (كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) بفناء الكهف او الباب أو العتبة ليهابهم الاعداء مع هيبة ذاتية لهم بحيث (لو اطلعت عليهم) مع غاية قوتك فى مكافحة الحروب (لوليت منهم فرارا و) لا يندفع الخوف بالفرار بل (لملئت منهم رعبا و) كما أبهمنا على الناس أحوالهم فى النوم (كذلك) أبهمنا عليهم أحوالهم فى اليقظة حين (بعثناهم) ليهابوا الله فيخافوا مكره اذ منعهم العلم بما فى أنفسهم مع اعطائهم هذه الكرامات لا لاساءة الظن بأربابها بل بأنفسهم حتى يتذلل لامثالها بالسؤال (ليتساءلوا بينهم) لذلك (قال قائل منهم كم لبثتم) اعترافا بجهل نفسه أو طلبا للعلم من غيره وان لم يظهر كونه على اليقين (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) فمن نظر الى أنهم دخلوا غدوة وانتبهوا عشية ظن انهم لبثوا يوما ومن نظر الى أنه قد بقيت من النهار بقية ظن انهم لبثوا بعض يوم وهم مع ما أعطوا من الكرامات يتكلمون بالظن فالولى يجوز أن يتكلم بالظن فيما ليس من الاصول ويجوز أن يخطئ ثم لما نظروا الى شعورهم وأظفارهم علموا أنهم لبثوا أكثر من ذلك لكن عجزوا عن تعيين مقداره فأحالوه على ربهم حتى (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) أى بمقدار ما لبثتم فيه ولكن هذه الاحالة لا تمنع من طلب العلم به ولو فى ضمن أمر آخر فاطلبوه فى ضمن حاجة عرضت لنا (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه) المأخوذة للتزود لئلا نحوج الى السؤال سيما فى مكان يمنع من الاجابة الى المسؤل به فيفضى الى الهلاك فلا ينافى التوكل (الى المدينة) التى فررتم عنها فانه لا يمنع الرجوع اليها الحاجة يفضى اهمالها الى الهلاك لكن لا يأخذ منها أى طعام وجده كحال المضطر اذ لا اضطرار مع امكان تحصيل الحلال (فلينظر أيها) أى أهلها (أزكى طعاما) أى اطهر عن الحرمة فلا يكون مغصوبا من مسلم ولا ذبيحة كافر وعن الشبهة (فليأتكم برزق منه) فانه وان كان على الله بكل مكان فلا بأس بالطلب الخفيف ولذلك قال (وليتلطف) فلا يبالغ فى السعى له كى لا يبطل التوكل (ولا يشعرن بكم أحدا) لانه اهلاك أشد من الاهلاك بالجوع (انهم ان يظهروا عليكم) أى يطلعوا على مكانكم (يرجموكم) أى يقتلوكم بالحجارة وهو أشد من الموت بالجوع (أو يعيدوكم فى ملتهم) وهو أشد من الرجم بالحجارة اذ يحصل بعده الفلاح (وان تفلحوا اذا) أى اذا صرتم الى ملتهم (أبدا) ولو باللسان مع طمأنينة القلب بالايمان اذ ربما يقتدى بظاهركم أولادكم أو غيرهم (و) كما أعثرناهم على مقدار لبثهم من لسان أهل المدينة حين دخلها من بعثوه للطعام فأخرج الورق وكان بضرب دقيانوس فاتهموه بانه وجد كنزا من ضرب من سبق بثلثمائة وتسع سنين (كذلك أعثرنا عليهم) أهل المدينة حين ملكها مؤمن وهو بندوسيس واختلف قومه فى أن البعث روحانى محض أو جسمانى فسأل الملك ربه أن يبين لهم الحق فلما ذهبوا به الى الملك فقص عليه سره وانطلق مع قومه اليهم (ليعلموا) من حالهم الشبيه بالبعث الجسمانى (ان وعد الله) بالبعث (حق و) ان لم يقع له نظير فى الازمنة الماضية لما علموا (أن الساعة) الموعود فيها البعث (لا ريب فيها) اذ لا بد من الجزاء بمقتضى الحكمة ثم قالوا الملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس فبينما هو قائم

وقيل الشفع والوتر الصلاة منها الشفع ومنها الوتر

(شانئك مبغضك)

•(باب الشين المضمومة)•

(قوله عز وجل شرعا) أى

اذ رجعوا الى مضاجعهم فقبض الله أرواحهم لكن لم يعلمه الكل (اذ يتنازعون بينهم أمرهم) فيقول المسلمون انهم مسلمون نبنى عليهم مسجدا وقال الكفار انهم أولاد الكفار ولم يثبت اسلامهم (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا) صومعة أو كنيسة لكن قطع الله ذلك النزاع أيضا بتغليب المؤمنين اذ (ربهم أعلم بهم) فغلب بالحجة والقدرة من علم اطلاعه على حقيقة أمرهم حتى (قال الذين غلبوا على أمرهم) بالحجة والقدرة (لنتخذن) على رغم المشركين (عليهم مسجدا) نصلى فيه ونتبرك بهم والله تعالى وان كان قاطعا للنزاع فلا يزال الناس يخترعون نزاعا وان قلت فائدته لذلك (سيقولون) أى بعض الناس هم (ثلاثة رابعهم كلبهم) أى ثلاثة موصوفة بان رابعهم كلبهم الحاقا له بين تبعهم (ويقولون) أى البعض الآخر (خمسة سادسهم كلبهم) فالقولان باطلان لكونهما (رجما) أى تلفظا (بالغيب) الذى لا اطلاع لهم عليه (ويقولون) أى الفريق الثالث (سبعة وثامنهم كلبهم) بطريق عطف الجملة احترازا عما فى الصفة المذكورة من الاستهانة بالموصوف فان زعم الاولان أن هذا القول أيضا رجم بالغيب فلم يكذبهم الله كما كذبنا (قل) انما لم يكذبهم لانهم وافقوا عدتهم فى الواقع وانما كذب من كذب لا لكونه غيبا بل لكونه غير مطابق للواقع ولكن ذكر جهة الغيب لو ما عليهم (ربى أعلم بعدتهم) ولا نسلم أن الفريق الثالث قائل بالغيب بل غاية الامر أنه (ما يعلمهم الا قليل) واذا كانت عادتهم الرجم بالغيب وادعاء عموم العلم فيما لا يعلمه الا القليل ولا انكار على أولئك القليل (فلا تمار فيهم) أى أصحاب الكهف (الا مراء ظاهرا) بحجة لا يمكنهم الرجم بالغيب على خلافها ولا دعوى العلم بخلافها ولا الانكار عليك لقلة من يعلمه (ولا تستفت) أى لا تسأل (فيهم) أى فى شئ من أحوال أصحاب الكهف (منهم أحدا) لانهم لا يصدقونك ويقولون تعلمته من أهل الكتاب فنسبته الى الوحى (ولا تقولن لشئ) استفتوك فيه (انى فاعل ذلك) أى الجواب عنه (غدا الا أن يشاء الله) أى الا مقرونا بمشيئة الله لئلا يلزمك الكذب ولا يلزمك التحكم على الله فيبطئ عليك الوحى كما فى سؤالهم عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين (واذكر ربك اذا نسيت) الاستثناء فى وعد الجواب المتوقف على الوحى فان ذكرك اياه موجب لذكره اياك فيرجى لك تقريب الوحى (وقل) ان منعت الوحى فى مطلوب خاص (عسى أن يهدين ربى لأقرب) أى ابدل من المطلوب أقرب (من هذا) المطلوب (رشدا) كتعليم الاستثناء وذكر الرب عند نسيانه ليذكره بالتفضيل عليه (و) لا يبعد على أهل عناية الله الغفلة عن بعض الامور وقد غفل أصحاب الكهف المربوط على قلوبهم محبة الله عن الله مدة مديدة اذ (لبثوا) نائمين (فى كهفهم) الذى التجؤا اليه ليتفرغوا لذكر الله وعبادته (ثلثمائة) لو كانت أياما لكانت غفلتهم ممتدة مدة مديدة فكيف اذا كانت (سنين) سيما اذا كانت شمسية (و) لو حسبت قمرية (ازدادوا تسعا) اذ التفاوت بينهما فى كل مائة سنة ثلاث سنين فان أنكروا الزائد (قل الله أعلم) منكم (بما لبثوا) أى بمقدار لبثهم لاحاطة علمه بالمعقولات والمحسوسات أما المعقولات فلأنه (له غيب السموات

والارض

(قوله عز وجل الشقة) أى السفر البعيد (قوله عز وجل شورى بينهم) أى يتشاورون فيه (قوله ظاهرة واحدها شارع

والارض) والمعقولات دون الغيب وأما المحسوسات فلانه لا يحجب بصره وسمعه شئ فيتعجب من بصره وسمعه حتى يقال (أبصر به وأسمع) وكيف لا يكون كذلك مع انه الذى أعطى العلم بالمعقولات والبصر والسمع لكل من أعطاه لانه (مالهم من دونه من ولى) يعطيهم شيأ فضلا عن العلم والبصر والسمع (و) كيف يكون لهم ولى فى ذلك مع ان الدون لا يستقل بنفسه (لا يشرك فى حكمه) الذى هو الايجاد واعطاء العلم والبصر والسمع وغير ذلك (أحدا) وفيه اشارة الى أن علمهم بهم اما من قبيل الغيب فهو مختص بالله أو من قبيل المسموع فهو أسمع أو من قبيل المبصر فهو أبصر (و) ان زعموا أنه اذا لم يشرك فى حكمه أحدا فكيف يشرك فى علمه فالجواب أن الوحى ليس باشراك بل افاضة علم وغايته جعل من يوحى اليه واسطة لافادته الكل (اتل) ليفيد الكل (ما أوحى اليك) ليفيدك علما مطابقا لعلمه لكونه (من كتاب ربك) والدليل على انه منه أنه (لا مبدل لكلماته) ولو لم يكن من الله لامكن تبديلها ولو كان مفترى يمتنع تبديل كلماته لاقتضت الحكمة اسراع اهلاك المفترى لئلا يصير سببا للاضلال الذى لا يمكنهم التفصى عنه ولا يمكنك دفعه لانك (لن تجد من دونه ملتحدا) أى ملجأ (و) اذا لم تجد من دونه ملتحدا فلا تلتحد الى اشراف الناس وان أعانوك فى اظهار الوحى بل (اصبر) أى احبس (نفسك مع) أهل الله فالالتجاء اليهم بمنزلة الالتجاء الى الله لانهم (الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) باعتبار ظهوره وبطونه ولا يريدون عبادة المظاهر بل (يريدون وجهه) أى ذاته فلا تقم عن مجلسهم لرؤية اشراف الناس (ولا تعد) أى ولا تجاوز (عيناك) بالاعراض (عنهم) الى الاشراف لو لم تقم عنهم لان النظر الى الاشراف والقيام اليهم انما يكون لارادة زينة الدنيا وقد بعثت للزهد والرغبة فى الآخرة فكيف (تريد زينة الحيوة الدنيا) لتتبعك أمتك فى هذه الارادة (ولا تطع) هؤلاء الاشراف لو لم تصرف نظرك عنهم بالاستماع اليهم لانهم اطاعة (من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) فتؤديك الى الغفلة عنه (و) هى أيضا اطاعة من (اتبع هواه) وقد بعثت لمنع متابعتها (و) هى وان كانت جالبة للمنافع فالافراط فيها مهلك وهذا (كان أمره فرطا) فلم يكن هواه من جوالب النفع (وقل) ان طلب التحادك اليه لاختصاصه بشرف الدنيا حقك أن تلتحد الى ما أنزل الله اذ هو (الحق) لكونه (من ربكم) فالالتحاد اليه التحاد الى الرب اذ انزله اليكم ليمتحنكم هل تؤمنون به أم لا (فمن شاء فليؤمن) التحادا اليه ابقاء لشرفه واستزادة فيه (ومن شاء فليكفر) اعترارا بشرفه فيصير ظلما مستحقا للسياسة التى لا يبقى معها شرف (انا أعتدنا للظالمين نارا) سيما من أحاط بهم ظلمهم لتعلقه بربهم الذى أحاط بهم انعاما لذلك (أحاط بهم سرادقها) أى جدرانها كل جدار مسيرة أربعين سنة (و) كيف تلتحد اليهم مع أنهم يصيرون بحيث (ان يستغيثوا) لدفع الحرارة والمكاره بماء بارد طيب (يغاثوا بماء) خبيث (كالمهل) أى الصديد الحار بحيث (يشوى الوجوه) التى لم تشوها النار اذا قرب الى وجهه سقطت فروة وجهه لينعكس عليه مطلوبه كما عكس مطلوب الحق فى الدنيا ولا يبقى لهم مع هذا شرف اذ (بئس الشراب) شرابهم (وساءت) الاغاثة (مرتفقا) اغاثتهم من الشدة فهم أحوج

عز وجل شعوبا وقبائل) الشعوب أعظم من القبائل واحدها شعب بفتح الشين ثم القبائل واحدها قبيلة ثم العمائر واحدها عمارة

للالتحاد الى ما أنزل الله ليخلصوا عنه (ان الذين آمنوا) التجادا الى الله تعالى (وعملوا الصالحات) التجادا الى ما أنزل الله فلا يتصور فى حقهم ازالة الشرف بل لابد من تشريف من لاشرف له منهم لاستحقاقهم الأجر من جهات كثيرة (انا لانضيع أجر من أحسن عملا) واحدا فكيف نضيع أجر الاعمال الكثيرة وأجر الايمان الذى هو الاصل واذا لم نضيع الاجر فكيف نضيع الشرف الحاصل قبل ذلك بل (أولئك) تتعدد رتبتهم فى الشرف اذ (لهم جنات عدن) اقامة لهم فى مقام القرب (تجرى) من فيضان أعمالهم (من تحتهم) لاستيلائهم عليها فلا يحتاجون الى الاستغاثة (الانهار) من أنواع الاشربة الطيبة بدل ما يغاث به أهل النار من ماء كالمهل ويعطون من شرف كبراء الدنيا أنهم (يحلون فيها من أساور من ذهب) بدل سلاسل أهل النار (ويلبسون) من الخلع الخاصة لهم بدل ثياب القطران لأهل النار (ثيابا خضرا) لانها أطيب للمسرة وأكمل للتزين (من سندس) مارق من الديباج على الاعمال اللطيفة (واستبرق) ماغلظ منه على الاعمال الكثيفة ثم ذكر من الشرف مايختص بالملوك أو العروس فقال (متكئين فيها على الارائك) وهى السرر فى الحجال (نعم الثواب) ثوابهم بدل بئس الشراب للكفار (وحسنت مرتفقا) بدل ساءت مرتفقا والبدل أعم من نقيض المبدل (و) ان زعموا أنه لانظير فيما سبق لجعل الشريف دنيا بالكفر والدنى شريفا بالايمان فهو خلاف السنة الالهية (اضرب لهم مثلا رجلين) أخوين من بنى اسرائيل كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر أرضا ودارا وخدما ومتاعا وتزوج امرأة وتصدق المؤمن ليحصل بذلك أرضا فى الجنة ودارا فيها وحورا وولدانا مخلدين أو من بنى مخزوم كافر الاسود بن عبد الاسد ومؤمن أبو سلمة عبد الله ابن عبد الاسد (جعلنا لأحدهما) وهو الكافر مايفيد شرفا (جنتين) هما منشأ المال والجاه لكونهما (من أعناب) يحصل بهما من الاموال مالا يحصل من غيرها ولها عروش مرتفعة يحصل بها مع تلك الاموال الجاه (وحففناهما بنخل) هى أعز مايؤثره الدهاقين فى تأزير كرومهم بالاشجار (وجعلنا بينهما) أى بين الجنتين أو بين النخيل والاعناب (زرعا) فحصل منهما الفواكه والاقوات فاجتمع فيهما المال كل الحيوانية وقد كملتا اذ (كلتا الجنتين آتت أكلها) أى ثمرها كاملة (ولم تظلم) أى لم تنقص فى سنة من السنين (منه شيأ و) لم تنقص شيأ من حاصله بأجرة السقى اذ (فجرنا خلالهما) أى فيما بينهما (نهرا) يسقى الاشجار والزرع بالله (و) لم يتلف بزيادة الماء شىء من الثمر بل (كان له ثمر) فلم يزل ينمى المال والجاه حتى تكبر بهما على أخيه (فقال لصاحبه) أى أخيه الذى انقطعت اخوته باختلاف الدين (وهو يحاوره) أى يراجعه الكلام الذى يعيره به لفقره ويفتخر عليه (أنا أكثر منك مالا و) جاها لانى (أعز نفرا) أى حشما ينصرون معى (و) لم يقتصر على لوم أخيه والتكبر عليه بل ضم اليه الكفران والكفر اذ (دخل جنته) التى كانت جنتين فاتصلتا (وهو) بالكفران والكفر حين يتوقع منه كمال الشكر والايمان (ظالم لنفسه) بما يوجب سلب النعمة ويمنعه المزيد لا المنعم الذى

ثم البطون واحدها بطن
ثم الافخاذ واحدها فخذ ثم
الفصائل واحدها فصيلة
ثم العشائر واحدها عشيرة
وليس بعد العشيرة حى

لايحتاج الى الشكر ولا الى غيره (قال ما أظن) أى ما أعتقد اعتقادا راجحا فضلا عن الجازم (أن تبيد) أى تهلك (هذه) الجنة (أبدا) اذ لا تخلو عن عامر من أولادى مادامت الدنيا (و) لا أرى انها انقطاعا لانى (ما أظن الساعة قائمة) فكفر بالقول بقدم العالم ونفى حشر الاجساد (و) اعتقد عكس الجزاء اذ قال (ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا) أى موضع تقلب لان ما وجدته من الدنيا كان لشرفى وهو باق والقول بقدم العالم ينفى اختيار الصانع وارادته وبانكار حشر الاجساد ينفى قدرته على الاعادة وبعكس الجزاء ينفى الحكمة الالهية (قال له صاحبه) الذى عيره بفقره وتعييره اله على كفره (وهو يحاوره) أى يراجعه كلام التعيير على الكفر محاورته كلام التعيير على الفقر فى ضمن الشكر عليه (أكفرت) بهذه الاقوال سيما بنفى القدرة على الاعادة (بالذى خلقك من تراب) فأنكرت عليه قدرته على اعادتك من التراب (ثم من نطفة) بجعل التراب نباتا ثم جعله غذاء يتولد منه النطفة فأنكرت عليه قدرته على انزال المطر الغليظ قبل البعث (ثم سواك) بتعديل مزاجك المقتضى فيضان الروح عليك لتصير (رجلا) فأنكرت عليه تسويته مزاج أهل القبور وافاضة الارواح عليهم وقد كفرت أيضا بانكار دوام ربوبيته بعد الموت (لكنا) أى لكن أنا لا أنكر دوام ربوبيته اذ (هو) الذى خلقنى من تراب ثم من نطفة ثم سوانى رجلا (الله) الجامع للكمالات التى لا تنقطع فهو (ربى) الذى لا تنقطع ربوبيته عن المعدوم وقد أشركت بالقول بقدم العالم (و) أنا (لا أشرك بربى أحدا و) أشركت بالقول بأن لا تبيد جنتك ما دام لها عامر فجعلت عمارة العامر معارضة لمشيئة الله دافعة لتأثيرها فلو لم تقصد المعارضة (لولا) أى هلا (اذ دخلت جنتك قلت) لا تبيد (ما شاء الله) أى مادامت مشيئته بأن لا تبيد اذ لا معارض لمشيئته بل (لا قوة الا) قائمة (بالله) وتعييرك اياى بالفقر لا يبعد أن ينعكس فيه الامر (ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربى) لايمانى به ورضاى بفعله (أن يؤتين) فى الدنيا أيضا (خيرا من جنتك ويرسل عليها) أى على جنتك لكفرك به وازدرائك بخواص عباده (حسبانا) أى صواعق (من السماء) تحرقها (فتصبح صعيدا) أى ترابا (زلقا) أملس لا تثبت فيها قدم فلا تمسك ماء ليكون فيه نبات (أو) يهلكها من جهة الارض بمنع السقى بأن (يصبح ماؤها غورا) أى سافلا الى حيث لا يمكن حفره (فلن تستطيع له طلبا) بالحفر أو بغيره فأعطى المؤمن خيرا من جنته (و) أرسل على جنة الكافر حسبانا من السماء بحيث (أحيط بثمره) بالاهلاك فلم يبق له منها ثمرة فينتفع به فى الحال فعير نفسه أكثر من تعييره أخاه وتعيير أخيه اياه (فأصبح يقلب كفيه) ظهرا لبطن تحسرا (على ما أنفق فيها) ولم يربح منها غرا فى المآل اذ (هى خاوية) أى ساقطة (على عروشها) الساقطة على الارض بحيث قاربت أن تصير صعيدا زلقا (و) لا يقتصر على هذا التحسر بعد الموت الذى وقع له عقيبه عن قريب بل يزداد تحسرا بعده لا عليها بل (يقول يا ليتنى لم أشرك بربى أحدا و) يتحسر أيضا على تكبره بالحشم اذ (لم تكن له فئة) أى جماعة (ينصرونه) بالانقاذ من الله لكونهم (من دون الله وما كان منتصرا) بنفسه

(قوله تعالى شواظ) بوصف (من نار) النار المحيطة (قوله عزوجل بغير دخان) (وهو شهب) جمع شهاب وهو

الشريفة وماله وكيف يجده هنالك خير منقلب مع انه لا ولاية له ولا لاحد من شركائه اذ (هنالك الولاية لله) الظاهر بصفة (الحق) الصرف فلا يحصل منها الا الفعل الحق فلا جرم (هو خير ثوابا) لا ينقص لمؤمن درجة لدناءته فى الدنيا (وخير عقبا) لا يترك لكافر عقوبة لشرفه بل يعاقبه بذنبه وذنب من استتبعه فتى يعكس الامر هنا لك وان كان يعكس ههنا لعدم ظهوره بالحق الصرف وان كان مآله الى الحق بحسب ما يترتب عليه من الجزاء لئلا يلجئ الى الايمان (و) ان زعموا ان شرف الدنيا لا يخلو عن أثر عند الكبراء وان زال سببه (اضرب لهم مثل الحيوة الدنيا) التى لها شرف لنزولها من السماء فهى (كماء أنزلناه من السماء) ثم انه يختلط به أجزاء الحيوان كما أن الماء ينزل (فاختلط به نبات الارض) فيحصل للانسان شرف الحياة كما يحصل للنبات شرف النمو ثم يموت الانسان موت النبات (فأصبح هشيما) أى جافا مكسورا لا يبقى له شرف اذ (تذروه) أى تفرقه وتنسفه (الرياح و) كيف ينكر على الله قلب الشريف دنيا مع انه (كان الله على كل شئ مقتدرا) فان زعموا أن الله تعالى وان كان مقتدرا فلا يفعل شيأ الا بسبب وقد جعل الاموال والاولاد أسباب الشرف فلا يكون شرف الآخرة الا بهما قيل لهم (المال والبنون زينة) اى شرف (الحيوة الدنيا) لاعانتهما فيها (و) ليسا من أسباب الشرف الاخروى اذ لا يحتاج فيها اليهما بل (الباقيات) من الاعتقادات والاخلاق وهيآت الاعمال التى تبقى ببقاء الروح لاتصافها بها (الصالحات) فهى أسباب الشرف فى الآخرة اذ هى (خير عند ربك) لمناسبتها له دون المال والبنين (ثوابا) أى جزاء خير (وخير أملا) لتحصيل منازل القرب عنده والمال والبنون ان أفادا ثوابا وأملا فمن حيث صرف المال فى سبيل الله ولرشاد الاولاد ودعوتهم للوالدين (و) خير أيضا فى دفع الاهوال من المال والبنين فى الدنيا لاسيما (يوم نسير الجبال) فى الجو بعد قلعها من الارض هباء منبثا والمال والبنون لا ينفع فى هذه الاهوال (و) يحصل لاربابها هنالك جاه عظيم عند جميع الخلائق لانك (ترى الارض) بعد قلع ما فيها من الجبال والابنية والاشجار (بارزة) أى ظاهرة لا يخفى ما يجرى عليها على من كان على ظهرها (و) يكون على ظهرها جميع الخلائق اذ (حشرناهم فلم نغادر) أى لم نترك (منهم أحدا) وان كان فيهم من أكله انسان آخر فانه يحشر كل بأجزائه الاصلية والمحشورون يكونون على تلك الارض فيظهر لكل منهم شرف أهل الباقيات الصالحات فوق شرف أهل الاموال والبنين (و) لا يكون لهم هذا الشرف فيما بين الخلائق فقط بل عند الله أيضا مع الخلائق كلهم اذ (عرضوا على ربك صفا) واحدا لئلا يخفى ما يكون لواحد عند ربه على أحد من الحاضرين عنده وأقله أن لا يفتضح افتضاح من يقال لهم من أرباب الاموال والبنين (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) بلا مال ولا بنين ولا بانه حميد منهما أو من غيرهما (بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا) أى وقتا لانجاز ما وعدناكم من البعث والنشور والحساب والجزاء فلم يعملوا لذلك أصلا بل عملوا بما ما يزدادون به افتضاحا (و) لتكميل افتضاحهم (وضع الكتاب) بين يدى الله بحضرة الخلائق (فترى المجرمين) قبل قراءته (مشفقين) أى خائفين

كل شئ متوقد مضئ (قوله عز وجل ملئت حرسا شديدا وشهبا) يعنى كواكب

خائفين أن يفتضحوا (مما فيه و) لا ينفعهم هذا الخوف هنالك بل يقرأ عليهم حتى انهم (يقولون) عند قراءته (ياويلتنا) من افتضاحنا الذى هو أشد من التعذيب عليها (ما) أى شأن حصل (لهذا الكتاب) فى جمع الفضائح بحيث (لايغادر) فضيحة (صغيرة ولا كبيرة) لانه لايذكر معصية صغيرة ولا كبيرة (الا أحصاها) أى عد مقاديرها وأوصافها فلم يتسامح فى شئ من ذلك (و) مع ذلك (وجدوا ما عملوا حاضرا) بصور مخصوصة (ولا يظلم ربك أحدا) فيكتب عليه أو يصور له مالم يفعله أو يزيد فى مقاديره أو أوصافه (و) كيف لا يفضحكم هذه الفضيحة مع انكم خرجتم عن أمر من أكرمكم غاية الاكرام لامر من أهانكم وخرج لاجله عن أمر ربه (اذ قلنا للملائكة) الكرام عندنا (اسجدوا لآدم) اكراماله (فسجدوا) وان كان فيه تذلل ينافى كرامتهم (الا ابليس) فانه وان لم يكن له مثل كرامتهم اذ (كان من الجن) قصد اهانتكم (ففسق عن أمر ربه) الذى أعطاه كرامة اللحوق بالملائكة حتى دخل فى أمرهم (أ) تتبعونه فى فسقه النازع كرامته (فتتخذونه وذريته أولياء) مع كونهم (من دونى) وربما يتخذ الادنى وليا لمزيد شفقته ورحمته (وهم لكم عدو) يقصدون نزع كرامتكم لما نزع كرامتهم بسببكم فقد ظلمتم بوضع الادنى موضع الاعلى والعدو موضع لراحم ونازع الكرامة موضع معطيها (بئس للظالمين بدلا) على أن البدل يجب أن يكون صالحا للقيام مقام المبدل وهؤلاء لايصلحون لان ذلك بالمشاركة فى الايجاد وهؤلاء (ما أشهدتهم خلق السموات والارض) لانى خلقتهما قبل خلقهم فانى يتصور منهم ايجادهما (ولا خلق أنفسهم) وان كان بعد خلقهما (و) اذلا مشاركة فى الايجاد فلا أقل من الاستعانة لكنى (ما كنت متخذ المضلين) الخلق عنى (عضدا) أى معاونا لانهم أعدائى ولا يستعين أحد من عدوه مع العلم بعداوته (و) كما أنهم ليسوا معاونى كذلك ليسوا معاونى من اتخذوهم أولياء من دونى (يوم يقول) الله (نادوا شركائى) لافى الواقع بل فى زعمكم لانهم (الذين زعمتم) أنهم شركائى (فدعوهم) ابقاء اعتقاد شركهم بعد قوله الذين زعمتم (فلم يستجيبوا لهم) لعجزهم عن الجواب فضلا عن الاعانة وكيف يجيبونهم وهو فرع التواصل (و) قد (جعلنا) التواصل (بينهم موبقا) أى سبب هلاك كأنه مكانه الذى أحاط به (و) لكون مواصلتهم سبب الهلاك الكلى (رأى المجرمون) عند دعوتهم المشعرة ببقاء المواصلة (النار) المهيطة بوجوه الهلاك (فظنوا) بعد اعتقادهم اعانتهم فى دفعها (أنهم) لمواصلتهم اياهم (مواقعوها) أى مخالطوها (ولم يجدوا عنها مصرفا) آخر لانهم وان تركوا مواصلتهم الآن بقى عليهم أثر ما مضى منها كالصبغ (و) كيف يجدون عنها المصرف الآن بعد ما تركوا أسباب الصرف عنها فى الدنيا (لقد صرفنا) أى وجهنا توجيهات مختلفة (فى هذا القرآن) الجامع للمهمات (للناس) الذين نسوا ضرر هذه المواصلة لو بقيت أيام الحياة (من كل مثل) أى دليل جار مجرى المثل (فنسوا) فعاوجهنا التوجيهات المختلفة اذ (كان الانسان أكثر شئ جدلا) فلعله اذا أمكنه الجدال

•(باب الشين المكسورة)•
(قوله عز وجل لاشية فيها) ملتقها من أصلها وشى النقص ما لحق زنتها عدة
(قوله عز وجل لاشية فيها) أى لالون

فى توجيه لايمكنه فى توجيه آخر (و) امكان الجدال فى بعض التصريفات وان توهموه مانعا من الايمان فليس بمانع بالحقيقة فانه (ما منع الناس) أى الذين نسوا وجه التفصى عن الشبهة فى بعض التصريفات (أن يؤمنوا) بمطالب القرآن (اذ جاءهم الهدى) أى الدليل القطعى من بعض الوجوه مع امكان التفصى عن الشبهة فى البعض الآخر (و يستغفروا) عن المعاصى الحاجبة عن طلب التفصى (ربهم) الذى رباهم بهذه التوجيهات فيرجى منه ان يربيهم بكشف الشبهات عن بعضها (الا) انتظار (أن تأتيهم سنة الاولين) من المؤاخذات المخصوصة (أو يأتيهم العذاب قبلا) أى متنوعا أنواعا لئلا يتوهم من اختصاصه بنوع انه من البليات التى تعم الصالحين والطالحين (و) ليس المراد بسنة الاولين سنة الرسل من الاتيان بالآيات الملجئة حتى يتوقف تحقق الرسالة عليها فانه (ما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) أى جامعين بينهما وهذه السنة تنافى الجمع بينهما سيما اذا قدم التبشير لسبق الرحمة الالهية (و) انما لحقهم السنة لانه (يجادل الذين كفروا بالباطل) اذ لا يقصدون اظهار الصواب بل (ليدحضوا) أى يزيلوا (به الحق) الثابت عن مقره فهذه المجادلة سبب الغضب (و) قد ازدادوا من أسبابه انهم (اتخذوا آياتى) المنسوبة الى ذاتى لقوتها (وما أنذروا) من مدلولاتها من القهر الالهى (هزوا) أى موضع استهزاء وسخرية (و) كيف لا يكونون محل الغضب مع ان محله الظلم و يحصل غاية الظلم بما دون المجادلة فضلا عن الاستهزاء فانه (من أظلم ممن ذكر بآيات ربه) الذى رباه بالنعم فأراه آياته لتذكيرها بشكر المنعم (فأعرض عنها) لعدم مبالاته بها وبربها (ونسى) مع تذكيرها (ما قدمت يداه) من صرف نعمه الى غير ما أعطاها من أجله وانما قدمت يداه ما قدمتا فى النعم لانهما تابعتان للقلوب وهى محجوبة عن فهم ما خلقت النعم له (انا جعلنا على قلوبهم أكنة) أى حجبا مانعة (أن يفقهوه) أى ما خلقت النعم من أجله (و) هذه الاكنة وان كانت ترتفع غالبا بطريق السماع لكن جعلنا (فى آذانهم وقرا) أى ثقلا (و) لو سمعوا العاندوا لانهم (ان تدعهم الى الهدى) فهم وان كانوا يهتدون به لو سمعوا من آبائهم (فلن يهتدوا اذا) أى اذا جئت به لمعاندتهم معك (أبدا و) هذه الامور وان اقتضت تعجيل العذاب لكنه يتأخر اذ (ربك الغفور) فكأنه ينتظر توبتهم ليغفر لهم لانه (ذو الرحمة) ويبطل رحمته لو عمل بمقتضى هذه الامور ولانه (لو يؤاخذهم بما كسبوا) لاعجالة (لعجل لهم العذاب) المنافى للرحمة لكنه ليس بتارك العذاب حتى يبطل الفرق بين المسىء والمحسن (بل لهم موعد) يمكنهم التوبة قبله لكنهم اذا بلغوه بلا توبة وجب عليهم العذاب بحيث (لن يجدوا من دونه) أى من دون الله (موئلا) أى ملجأ بحيث لو أمكنه المغفرة لم يكن ليغفر له بعد ما لم يغفر له أرحم الراحمين (و) يدل على تعذيبهم مع افراط رحمته ان (تلك القرى أهلكناهم) لا بطريق الابتلاء لان اهلاكهم كان (لما ظلموا) فالظاهر نسبته الى سببه (و) لكنه لما لم يكن سببا تاما تأخر عنه اذ (جعلنا لمهلكهم موعدا) هو من اجزاء السبب اذ يتحقق فيه عدم

التوبة

فيما سوى لون جميع جلدها (قوله جل اسمه شقاق) أى عداوة ومباينة وقوله لا يجرمنكم شقاقى أى عداوتى (قوله عز وجل

التوبة الموجبة للمغفرة والرحمة المانعتين من التعذيب (و) اذكر للذين ان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا التذكير هم عليك انكم لستم بأعلم من موسى ولا أرشد منه واست أقل من الخضر فى الهداية لانها هداية فى الظاهر والباطن وهداية الخضر انما هى فى الباطن ولا تحتاجون فى تحصيله الى تحمل المشاق واحتاج اليه موسى (اذ قال موسى لفتاه) أى لخادمه يوشع بن نون اختاره لقوته على تحمل المشاق (لا أبرح) أى لا أزال أسير (حتى أبلغ مجمع البحرين) أى بحرى فارس والروم أو طنجة أو افريقية أو العذب والمالح فأجد فيه الخضر (أو) حتى (أمضى) أى أسير (حقبا) والحقب ثمانون سنة والمراد زمانا طويلا ان لم أبلغه وذلك انه قام خطيبا فى بنى اسرائيل فقالوا أى الناس أعلم فقال أنا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فأوحى اليه بل أعلم منك عبدى بمجمع البحرين وهو الخضر قال يارب كيف لى به قال خذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهو هنالك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرنى فسارا (فلما بلغا مجمع بينهما) وكان بالليل أويا الى الصخرة فوضع موسى رأسه عليها فنام وأصاب الحوت روح الماء وبرده وقيل توضأ يوشع فانتضح الماء على الحوت فعاش فوقع فى الماء فكره يوشع ان يوقظه ثم لما استيقظ نسى ان يخبره ونسى موسى ان يسأله فهو وان كان مجمع ما بينهما وبين الخضر لم يجتمعا به لانهما (نسيا حوتهما) الذى جعلت حياته فى مكان بعد كونه مشويا أو مملوحا علامة كون الخضر فيه لكنهما رجعا اليه لانه وقع فى الماء (فاتخذ سبيله) مع كونه (فى البحر سربا) أى طاقا وهو وان لم يكن ليوشع مذكرا أولا ذكره بعد المجاوزة (فلما جاوزا) المجمع الذى فيه الخضر (قال لفتاه) بعد ما سارا الى الظهر من الغد وجاعا ولم يجدا شيأ من ذلك قبله (آتنا غداءنا) وهو الخبز والحوت اللذين حملهما يوشع فى المكتل وهو وان جعل علامة لم يتعين لها فطلبه فى وقت الضرورة (لقد لقينا من سفرنا هذا) الذى هو بعد مجاوزة الصخرة (نصبا) تعبا ولا بد لاختصاصه بهذا الوقت من سبب (قال أرأيت) أى اخبرنى هل سبب نصبك تجاوز موضع المطلوب بنسيان وقوع الحوت فى الماء (اذ أوينا الى الصخرة فانى) بعد ما أمرتنى ان أخبرك بأمر الحوت (نسيت الحوت) بعد استيقاظك وكرهت ايقاظك (وما أنسانيه) مع اهتمامى بأمرك (الا الشيطان) فانه كره (أن أذكره) لك فيحصل لك الاجتماع بالخضر بلا تعب ولا عصيان منى فى مخالفة أمرك (و) لكن لا يفوت على مكانه لانه (اتخذ سبيله فى البحر عجبا) أمرا غريبا اذ صار الماء عليه طاقا وسربا (قال) موسى (ذلك) المكان الذى اتخذ فيه سبيله سربا هو (ما) أى مكان (كنا نبغ) أى نطلب فيه الخضر ولذلك حصل التعب بمجاوزته فان من جاوز المطلوب تعب لكنه لا يفوتنا بالرجوع الى ذلك المكان (فارتدا) أى رجعا ماشيين (على آثارهما) أى آثار اقدامهما يتبعانهما (قصصا) أى اتباعا لئلا يفوتهما الموضع ثانيا فوصلا اليه فدخلا البحر (فوجدا عبدا) لا يكتنه غاية كماله لكونه (من عبادنا) مظاهر عظمتنا اذ (آتيناه رحمة من عندنا) وهو التجلى الشهودى من غير فناء

شرعة ومنهاجا) شرعة شريعة واحدة أى سنة وشريعة ومنهاج طريقة وطريقة ومنهاج طريق واضح ويقال الشرعة ابتداء الطريق والمنهاج

(و) لذلك (علمناه) بلا واسطة بشر وملك (من لدنا علما) جليلا لا يعطى كثيرا من الانبياء (قال له موسى) الذى هو متبوع يوشع وسائر بنى اسرائيل (هل أتبعك) فى علومك من تقيا من علومى (على أن تعلمن) وان كنت لا أتعلم من بشر بل من الله أو ملائكته (مما علمت) من لدن ربك (رشدا) فوق هداية أهل الظاهر كمعرفة اسرار الحق فى بعض الافعال التى يظهر قبحها (قال) ان هذا العلم ليس مما يظهر حسنه بادنى النظر بل منه ما يظهر فى الصور القبيحة التى يبادر أهل الظاهر الى الانكار عليها وهو مانع عن الاطلاع على محاسنها وترك الانكار عليها يحتاج الى صبر عظيم قال (انك لن تستطيع) وان كنت (معى) متأثرا عنى (صبرا) بوجه من الوجوه (وكيف تصبر على ما) ظهر قبحه مع انك (لم تحط به خبرا) تعرف به محاسنه الماحية قبحه (قال) موسى انى وان كنت من أهل الظاهر الذين لا صبر لهم الى تتبع البواطن (ستجدنى ان شاء الله صابرا) بالتغلب على طبعى من اقتدائى بك وتأثرى عنك كيف وفى تركه عصيانك (و) اذا اتبعتك (لا أعصى لك أمرا) وان رأيت فيه طاعة الله فى الظاهر لكنه معصية بالحقيقة لان اعتقاد القبح فيمن زكاه الله طعن على الله ولما كان هذا الكلام كالرد عليه فى قوله انك لن تستطيع معى صبرا لم يجد الصبر وان راعى الاستثناء (قال فان اتبعتنى) فى علومى (فلا تسئلنى عن شئ) فضلا عن الانكار عليه فهذا العلم ليس بطريق السؤال والجواب بل بطريق الفيض فلا بد من انتظاره ولا بد من الصبر (حتى أحدث لك) فى قلبك ولو بطريق الفيض ولو مع اللسان (منه ذكرا) يذكر به ما كمن فيه فاتبعه موسى على ان لا يسأله شيأ حتى يفاتحه وأرسل يوشع الى القوم لاقامة الشرائع (فانطلقا) أى سارا على ساحل البحر حتى مرت بهما سفينة فكلما أهلها ان يحملوهما فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول (حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها) أخذ القدوم فقلع لوحا من أسفلها (قال أخرقتها لتغرق أهلها) الذين حملوك بغير نول (لقد جئت شيأ إمرا) أى عظيما من اتلاف السفينة وقتل الجماعة الكثيرة بغير ذنب وكفران نعمة الحمل بغير نول (قال) لو صبرت عرفت انه مثل التابوت الذى حملتك أمك فيه لا يدخله ماء ولم يغرق (ألم أقل) لك (انك لن تستطيع معى صبرا) وان قصدته (قال) انما قلت ما قلت لنسيانى أن امثال هذا من مسائل ذلك العلم بل هو من فرطاتك (لا تؤاخذنى بما نسيت) فان المؤاخذة به تفضى الى العسر (ولا ترهقنى) أى لا تغشنى (من أمرى) فى تحصيل العلم منك (عسرا) لئلا يلجئنى الى تركه فنزلا من السفينة (فانطلقا) أى مشيا فى الساحل (حتى اذا لقيا غلاما) أمسكه فى الحال (فقتله) بقلع رأسه من غير تأخير بخلاف قلع اللوح من السفينة (قال أقتلت نفسا زكية) أى طاهرة من موجبات القتل من الردة والزنا والقتل لكون قتلها (بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا) أى منكرا لا يمكن اصلاحه بحال بخلاف ما تقدم فانه وان كان عظيما يمكن اصلاحه بوجه ما (قال) لو صبرت لعلمت انه كقتلك القبطى (ألم أقل لك) أى لاجل ما رأيت من العجلة فى طبعك فيما يخالف ظاهره الشرع (انك لن تستطيع معى صبرا) وان

[...] الطريق المستقيم (قوله [...] عز وجل شيعا) أى فرقا [...] بقوله فى شيع الاولين أى [...] فى أمم الاولين (قوله عز [...] وجل شهاب مبين) أى

لم تنس عهد الله ولا عصمى (قال) موسى ان كان الاول نسيانا ولى فيه عذر فهذا ليس بنسيان ولا عذر لى فيه (ان سألتك عن شئ بعدها) أى بعد هذه المرة وان لم أنكر عليك (فلا تصاحبنى) لانى أتضرر بخالفتك فوق ما انتفع بصحبتك ولا يلزمك حقوق الصحبة والتعلم لانك (قد بلغت من لدنى) أى من جهتى (عذرا) اذ خالفتك ثلاث مرات بمقتضى طبع الاستعجال (فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية) هى انطاكية أو الابلة أو الجزيرة الخضراء وهى من الاندلس أو برقة أو باجر وان أرمينية أو ناصرة من أرض الروم (استطعما أهلها) أعاده لانها صفة للقرية لفظا وللاهل معنى فلا بد من ذكره ليستقيم ولو جعل صفة لاهل لم يتوجه الاعتراض على اصلاح بعض ما فى القرية لكن ذنب الاهل سبب ذم القرية ومنع اصلاحها ولو جعل جواب الشرط افهم منه ان اتيانهما القرية انما كان للاستطعام (فأبوا) أى فامتنعوا من (أن يضيفوهما) أى يطعموهما الطعام الذى هو حق ضيافتهما عليهم (فوجدا فيها جدارا) مائلا كانه (يريد أن ينقض) أى ينهدم وكان ارتفاعه مائة ذراع (فأقامه) بأن مسحه بيده أو بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه (قال) موسى للخضر الاحسان الى المسىء وان كان من شأن أهل الكمال لكن من المضطرين الذين لهم أخذ طعام الغير (لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال) الخضر (هذا) وان لم يكن انكارا منك ولا سؤالا فى الظاهر فهو راجع اليهما وقد نشأ من استعجال طبعك مع انك لو صبرت لعلمت انه مثل سقيك بلا أجر مع الاضطرار فهو (فراق بينى وبينك) المأمور به فى ضمن نهى المصاحبة وأمر الرسول واجب لكن لا أفارقك على الفور (سأنبئك) باللسان من غير طريق الافاضة الباطنة (بتأويل) أى بمآل (ما لم تستطع عليه) أى على ظاهره (صبرا) لتذهب بفائدة الصحبة وتسد بذلك ضرر المخالفة (أما السفينة) التى خرقتها (فكانت لمساكين يعملون) بها صيدا (فى البحر) فهى سبب بقائهم لو بقيت لهم لكنها انما تبقى لهم لو كانت معيبة (فأردت أن أعيبها) أسند العيب الى نفسه (و) انما تبقى المعيبة لهم لانه (كان وراءهم) فى طريق رجوعهم (ملك) غسان الجلندى الازدى أو هدد بن بدد (يأخذ كل سفينة) سليمة (غصبا) ويترك المعيبة (وأما الغلام فكان) قتله حفظا لايمان أبويه اذ كان (أبواه مؤمنين) وقد طبع كافرا طاغيا قاطع طريق مثير شبهات فى الدين داعيا الى الكفر والطغيان (فخشينا) لو تركناه (أن يرهقهما) أى يغشيهما (طغيانا وكفرا فأردنا) بقتله (أن يبدلهما ربهما) أسند الى نفسه لما فيه من القتل الشر والى ربه لما فيه من البدل الخير ولدا (خيرا منه) لتضمنه (زكوة) أى طهارة عن الكفر والطغيان (وأقرب رحما) أى رحمة بأبويه وبرا ليكون كالدية عن المقتول وجبر الاساءة بالاحسان قيل أبدلهما جارية فتزوجها نبى فولدت له نبيا فهدى الله على يديه أمة (وأما الجدار فكان) اصلاحه وحفظ ما تحته واجبا على لانه كان (لغلامين) وحفظ مال الغلام أولى من الجارية لاستغنائها بنفقة زوجها (يتيمين) وحفظ مال اليتيم واجب سيما اذا كان (فى المدينة) اذ

كوكب مضئ وكذلك شهاب ثاقب وقوله بشهاب قبس أى شعلة نار فى رأس عود وشهابا رصدا يعنى شهبا أرصد به للرجم (قوله

قوله الجلندى الازدى عبارة البيضاوى واسمه جلندى ابن كركر وقيل منوار بن جلندى الازدى اهـ مصحح

لو كان في البرية ربما يحفظ بعدم اطلاع أحد عليه (وكان تحته كنز) من ذهب وفضة (لهما) والجدار حافظ له فلو ترك لينقض لضاع ولا أجر عندهما سوى ذلك الكنز الذي لو أخرج لضاع لعدم استقلالهما وكيف لا يهتم بحفظ كنزهما (وكان أبوهما) الثامن (صالحا فأراد ربك) ببركة صلاحه (أن) يحفظ كنزهما حتى (يبلغا أشدهما) أي قوتهما في الحفظ بالبلوغ والعقل (ويستخرجا كنزهما) حال تمكنهما من التصرف وهو وان كان لطفا لم يكن واجبا على الله بل (رحمة من ربك) تفضل بها (وما فعلته) أي المذكور بمقتضى على (عن أمري) أي من أمر نفسي بل كان معه أمر الله أيضا (ذلك) الذي بعد عليك لعدم صبرك لانه (تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) فلو صبرت لوصلت اليه بنفسك من غير احتياج الى البيان بل غايته الاحتياج الى الافاضة الباطنة مني (ويسئلونك) أي اليهود أو قريش لتخبر (عن ذي القرنين) بالغيب أخبار الخضر الذي كان على مقدمة جيشه قيل هو مرزبان ابن مرزبة اليوناني أو افريدون أو الاسكندر بن فيلقوس الرومي وهو المشهور كان وليا أو نبيا وهو الاسكندر الكبير وأما الصغير فكان على مذهب استاذه ارسطو سمي به لانه طاف قرني الدنيا أي المشرق والمغرب وقيل لانه أمر قومه بالتقوى فضرب على قرنه الايمن فمات فأحياه الله ثم أمرهم فضرب على قرنه الايسر فمات فأحياه الله (قل) أخبركم عنه بخبر مما أخبر به الخضر (سأتلوا عليكم منه ذكرا) معجزا أنزله الله على دون الخضر (انا مكناله) التصرف (في الارض) بما أعطيناه العلم والحكمة وسخرنا له النور يمد به من امامه والظلمة تحفظه من خلفه (وآتيناه من) خواص (كل شيء سببا) أي طريقا لتحصيل أمور عظام (فأتبع سببا) اطلى الارض وتيسير الحروب ودفع ما يستعين به العدو فسار (حتى اذا بلغ مغرب الشمس) أي الظلمات التي لا طلوع للشمس فيها (وجدها تغرب) دائما عند استقراره (في عين) من البحر المحيط (حمئة) أي ذات حماء وهو الطين الاسود (ووجد عندها) أي بقربها (قوما) قيل هم ناسك (قلنا) بالوحي اليه ان كان نبيا أو الى نبي زمانه أو بالالهام (ياذا القرنين) اذا أمرت هؤلاء فأنت مخير بين أمرين (اما أن تعذب) بالقتل والاسترقاق (واما أن تتخذ فيهم حسنا) بالمن والفداء (قال أما من ظلم) أي أصر على الكفر بعد عرض الاسلام عليه والارشاد على أدلته (فسوف نعذبه) بعد المبالغة في الارشاد (ثم يرد) في الآخرة (الى ربه فيعذبه عذابا نكرا) لا يعرفه أهل الدنيا (و) قال (أما من آمن وعمل صالحا فله) عند ربه (جزاء) أعماله (الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا) وهو المن والفداء (ثم) أي بعد ما فعل بأهل المغرب ما ذكر (أتبع سببا) اطلى الارض من المشرق ولمحاربة أهله ودفع حيلهم فلم يزل يحصل ذلك (حتى اذا بلغ مطلع الشمس) أي الارض التي يدوم فيها الطلوع (وجدها تطلع) دائما بلا ليل (على قوم) قيل هم منسك (لم نجعل لهم من دونها سترا) من الارض والجبال فهم أعلم بالحيل وأشد في الحروب ومع ذلك فعل بهم (كذلك) أي مثل ما فعل بأهل المغرب (وقد أحطنا بما لديه) من أسباب محاربة هؤلاء

تعالى بشق الانفس) أي
(قوله
بمشقة الانفس
شرذمة) أي طائفة قليلة
(قوله شرب) أي نصيب من
الماء (شيعته) أي أعوانه

ودفع

ودفع حيلهم التى لانسبة لكثرتها وشدتها الى حيل أهل المغرب (خبرا) أحسن عند السائلين (ثم) أى بعد الفراغ من أهل المشرق (أتبع سببا) لطى الارض عما بين المشرق والمغرب ولمقابلة أهله ودفع حيلهم (حتى اذا بلغ بين السدين) أى جبلى ارمينية واذربيجان بينهما سد ذى القرنين (وجد من دونهما) أى أدنى من الفريقين (قوما لا يكادون يفقهون قولا) فضلا عن الحيل الدقيقة فى الحرب فلم يحاربوه بل استعانوا به اذ (قالوا ياذا القرنين) نادوه باسمه من قلة فقههم (ان يأجوج) قوم من الترك (ومأجوج) قوم من الديلم أو من الترك (مفسدون فى الارض) يخرجون أيام الربيع فلا يرون أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا حملوه ويفترسون الانسان والدواب ويأكلون الحيات والعقارب (فهل نجعل لك خرجا) أى جعلا (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) أى حاجزا (قال) ذو القرنين (ما مكنى) بالتصرف (فيه) من الاموال (ربى خير) أى أجل من خرجكم فلا أستعين به (فأعينونى) فى دفع افسادهم (بقوة) عملة وصناع (أجعل بينكم وبينهم ردما) أى حاجزا حصينا موثقا (آتونى) أى ناولونى لعمله (زبر) أى قطع (الحديد) اجعلها مع الحطب والجمر فوق الاساس الذى من النحاس والصخر الى مبلغ الماء فرفع البناء (حتى اذا ساوى بين الصدفين) أى طرفى الجبلين المتقابلين (قال انفخوا) بالمنافيخ ففعلوا (حتى اذا جعله) أى النفخ البناء فى غاية الحرارة كأنه صار (نارا) والنافخون عليه لا يضرهم النار بسبب استعمله (قال آتونى) قطرا (أفرغ) أى أصب (عليه قطرا) هو النحاس المذاب أو الصفر فجعلت النار تأكل الحطب تصير النحاس مكانه حتى لزم الحديد النحاس فصار بناء رفيعا أملس صلبا ثخينا (فما اسطاعوا أن يظهروه) أى يعلوه لملاسته وارتفاعه (وما استطاعوا له نقبا) لصلابته وثخانته قيل بعد ما بين الصدفين مائة فرسخ وطوله فى السماء مائتا ذراع وعرضه قيل خمسون فرسخا وقيل ذراعا (قال) ذو القرنين (هذا) البناء (رحمة من ربى) على بالتوفيق وعلى هؤلاء وأولادهم بالسلامة والنجاة الى وقت قريب من القيامة (فاذا جاء وعد ربى) أى قرب وقت اتيانه بالقيامة (جعله) أى هذا البناء (دكا) أى مسوى بالارض (و) هو وان كان مستبعدا لكنه (كان وعد ربى حقا) فلا تبعد حقية ما هو من علاماته (و) انما كان دكه من علامات الساعة لانه سبب خراب العالم اذ (تركنا بعضهم) أى بعض يأجوج ومأجوج (يومئذ) أى يوم اذ دكه (يموج) أى يختلط (فى بعض) مما وراء الروم فهو معيد لافسادهم بل هو أشد منه فهو سبب خراب العالم وهو مستدع لانتصاف المظلومين من الظالمين (و) لاستدعائه اجتماع الخصوم (نفخ فى الصور) عقيب ذلك (فجمعناهم) فيه (جمعا) روحانيا (و) للانتصاف الروحانى هناك (عرضنا جهنم يومئذ) أى يوم اذ تجتمع أرواحهم فى الصور على كل ظالم سيما (للكافرين عرضا) غير عرضها فى القبر بطريق التخييل ولا فى القيامة بطريق الاحساس بل بطريق عقلى محض لانكشاف الحجاب الجسمانى بالكلية عنهم اذ هم (الذين كانت أعينهم فى غطاء) من الجسم الحقيقى أو الخيالى

ماخوذ من الشياع وهو الحطب الصغار الذى تشعل بها النار ويعين الحطب الكبار على اتقاد النار ويقال الشيعة الاتباع

عن جميع أمورى حتى (عن ذكرى) اذ زعموا انه لابد للمذكور من تصوره بالقلب ولا يتصور المنزه (و) أعين غيرهم وان كانت فى غطاء كان لهم سماع وهؤلاء (كانوا لا يستطيعون سمعا) لذكر المنزه حتى يتلقفوه فاضطروا الى عبادة المظاهر (أ) يعتقدون انهم لم يظلموا أنفسهم بعبادة المظاهر (فحسب الذين كفروا) أى ستروا كمال الحق باعتقاد ظهور كماله فى هذه المظاهر فجوزوا (أن يتخذوا عبادى) الذين لا يكون لهم ظهورى فيهم الا بحسب استعداداتهم ولا يستعدون لظهور كمالى لكونهم (من دونى أولياء) أى احبابا بحبى لكونهم مظاهر كمالى وهو موجب لاعتقاد النقص فى كمالى الموجب لغضبى (انا أعتدنا جهنم للكافرين) باعتقاد النقص فى (نزلا) أعددناها لهم ليعرض عليهم أول ما يرجعون اليه وان زعموا انه رجوعهم الى محبوبهم فان زعموا أنا انما عبدنا المظاهر لتضمنها عبادة الله والله تعالى يجزينا على هذا القصد وان أخطأنا فيه (قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا) هم (الذين ضل سعيهم) باعتقاد النقص فى الله اعتقادا لا يعود الى الكمال لوقوعه (فى الحياة الدنيا) الموضوعة لتحصيل الاعتقادات والاعمال الصالحة فاذا فات فيها لا يمكن تداركه أبدا (و) لا يتدارك كون ذلك فى الدنيا اذ (هم يحسبون انهم يحسنون صنعا) اذ هم يعتقدون انهم يعبدون ربا يتصورونه بهذه المظاهر (أولئك) وان لم يكفروا بهذه العبادة ولم يخسروا بها فلا شك انهم (الذين كفروا بآيات ربهم) التى جاءبها رسلهم ليمنعوهم عن عبادة هذه المظاهر ومن اعتقاد تقيده بصورة ولو قبلت عبادة المظاهر فانما تفيد من اعتقد الرجوع اليه وهؤلاء كفروا بالرجوع اليه (ولقائه) فان كان لهم عمل صحيح باعتبار عبادة المظاهر فهذا الانكار مبطل له (فحبطت أعمالهم) على تقدير صحتها وهى وان كانت عظيمة عندهم مفيدة للكشوف والاحوال (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) لانها انما اعتبرت فى عالم اللبس لا فى عالم الكشف التام بل (ذلك) العمل وان توهموا تقربهم به الى الله لما أفادهم من الكشف عن بعض الامور فهو سبب بعدهم عنه لان كشفهم كان حجابا لهم عن الله لذلك (جزاؤهم جهنم) يجعلهم فى غاية البعد لا بأنهم عملوا للتقرب اليه بل (بما كفروا) باعتقاد النقص فى الله (و) لم يكفروا بذلك فلا شك انهم كفروا حيث (اتخذوا آياتى) المانعة عن عبادة المظاهر الداعية الى عبادة المنزه (ورسلى) القائلين بها (هزوا) والاستهزاء بآيات الله ورسله استهزاء بالله موجب لمقته وشدته (ان الذين آمنوا) بانه له أقصى الكمالات (و) تحصلوا الانفسهم ما أمكن منها بأن (عملوا الصالحات) فهم وان لم يتصوروا من علوها وان لم يحصل لهم فى الدنيا بها كشف (كانت لهم جنات الفردوس) التى هى أقرب الجنان من عرش الرحمن لقربهم من الله بتحصيل ما أمكنهم من الكمالات الموجبة مناسبتهم له المقتضية محبته فاذا رجعوا اليه أكرمهم بها (نزلا) وهو وان جرت العادة بقطعه عند الاقامة فهو لكونه عطاء الله لاحبابه غير منقطع فيكونون (خالدين فيها) وهو وان كان فى بعض الاعيان أدنى فهو لكونه ممن له غاية الكمال لمن ناسبه فى كماله يكون فى غاية الكمال

من قولهم شاطك كذا أى
اتبعك ومنه شاطكم
السلام (قوله عز وجل
الشعرى) كوكب معروف
كان ناس من الجاهلية

فهم وان كانوا لايزالون يرتقون في مراتب الكمالات (لايبغون عنها حولا) لاشتمالها على مالايتناهى من مراتب الكرامات فان طلبوا لهذا العطاء المشتمل على مالايتناهى من الفضائل مثالا (قل) مثاله القرآن المشتمل على مالايتناهى من العلوم فانه (لو كان البحر مدادا لكلمات ربي) أي لكتابة مايفهم منها (لنفد البحر) لكونه متناهيا (قبل أن تنفد كلمات ربي) أي مفهوماتها لكونها غير متناهية فلا تنفد بنفاد المتناهي (ولو) ضم اليه متناه آخر بأن (جئنا بمثله) أي بحر آخر مثله (مددا) لهذا البحر فان ضم المتناهي الى متناه آخر لايجعله غير متناه ليوازي به غير المتناهي فان زعموا ان هذا القرآن كلام مثل كلامنا فلو كانت مفهوماته غير متناهية لكانت مفهومات كلامنا كذلك (قل) يجوز ان يختص أحد المثلين بفضائل لاتوجد في الآخر (انما أنا بشر مثلكم) وقد تميزت عنكم بفضيلة الوحي (يوحى الي) ماهو جامع للكمالات والكمالات يجوز ان تجتمع في واحد فان من جملة مايوحى الي (أنما الهكم اله واحد) فكيف لاتجتمع في هذه الكثرة سيما فيمن ناسبه ومناسبة كلامه أقرب من مناسبة البشر والبشر تناسبه بالاخلاق الحاصلة من الاعمال الصالحة فيكاشف بكمالاته (فمن كان يرجوا لقاء ربه) بمكاشفة كمالاته ولو في ضمن كلماته (فليعمل عملا صالحا) يفيد تصفية القلب وتزكية النفس (ولايشرك بعبادة ربه) في باب الاعمال والعلوم والاخلاق (أحدا) من المدح وتحصيل المال والجاه فافهم والله الموفق والملهم تم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله الكرام البررة أجمعين

آمين

م

(تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني أوله سورة مريم)

يعبدونها (قوله عز وجل شيبا) جمع أشيب وهو الابيض الرأس